

شرح صحيح البخاري

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين

طبعة مسكولة، محققة، مخزعة الأهاريني،
مقررة الأطراني والفوائد، زائدها من علمية نبيه

تأليف
العلامة ابن باز

تخریج
العلامة الألباني

فترل لتحقيق ولتخرج العلمی
بالمكتبة الإسلامية

الجنة العشر

المكتبة الإسلامية
للنشر والتوزيع - القاهرة

التي لا تترك
مسكن القديس

حقوق الطبع محفوظة

I.S.B.N.

978-977-6241-49-7

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن
المغيرة، ٨٧٠-٨١٠
شرح صحيح البخاري
الشارح/ محمد بن صالح العثيمين
ط١ - القاهرة
المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع ٢٠٠٨
٦٥٦ ص ٢٤×١٧ سم
تدمك: ٩٧٨٩٧٧٦٢٤١٤٩٧

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/٢١٥٧

التاريخ: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م



للنشر والتوزيع

الإدارة والفرع الرئيسي:

٢٢ ش صعب صالح - حيد شمس الشرقية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت فاكس: ٢٤٩٩١٢٥٤ / ٢٤٩٠٠٦٠٦ / ٢٤٩٠٠٨٠٨

فرع الأزهر: ١٢ ش البيطار خلف جامع الأزهر - ورب الأثر (ك. ت. ٢٥١٠٨٠٠٤)

E-mail: islamya2005@hotmail.com

شَيْخ
صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ

كِتَابُ التَّحْمِي

٧٢٤٥ - ٧٢٣٣

ثُمَّ قَالَ الْبُحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦ - بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّمَنِّيِ «وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» [النساء: ٣٢].

٧٢٣٣ - حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ» لَتَمَنَّيْتُ^(١).

٧٢٣٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُهُ، عَنْ أَبِي أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: أَتَيْنَا خَبَابَ بْنَ الْأَرْتِّ نَعُوذُهُ وَقَدْ اكْتَوَى سَبْعًا فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُو بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ^(٢).

٧٢٣٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ - اسْمُهُ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ، مَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَزْهَرَ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ»^(٣).

قَوْلُهُ: بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّمَنِّيِ. أَنَّ مِنَ التَّمَنِّيِ مَا يُكْرَهُ، وَذَكَرَ الْآيَةَ: «وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ»؛ يَعْْنِي: لَا تَتَمَنَّوْا أَنْ يَكُونَ لَكُمْ. وَقَالَ سَبْحَانَهُ: «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ». فَتَمَنِّي مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ، نَقُولُ: لَا تَفْعَلْ. بَلْ اسْأَلِ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ كَمَا مَنَنْتَ عَلَى فَلَانٍ بِكَذَا، فَأَمْنُنْ عَلَيَّ بِمِثْلِهِ. أَمَا أَنْ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ حَتَّى يُحْرَمَ مِنْهُ وَيَبْقَى لَكُمْ، فَهَذَا مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ» لَتَمَنَّيْتُ يَقُولُهُ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا لِمَا رَأَى مِنَ الْفِتَنِ؛ لِأَنَّهُ أَذْرَكَ فِتْنًا وَقَعَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَكَانَ يَوْذُنُ أَنْ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ لَوْلَا النَّهْيُ.

وَفِي هَذَا: دَلِيلٌ عَلَى حُرْصِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى مُوَافَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَطَاعَتِهِ. وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي بَعْدَهُ، فَخَبَابُ بْنُ الْأَرْتِّ قَالَ: لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُو بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الثَّالِثِ: بَيَانُ الْحِكْمَةِ مِنَ النَّهْيِ عَنْ تَمَنِّيِ الْمَوْتِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مُحْسِنًا فَيَزْدَادُ بِبَقَائِهِ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ يَكُونُ مُسِيئًا فَيَسْتَعْتَبُ، وَيَسْتَغْفِرُ، وَيَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ، وَمَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ عَلَى أَلَّا يَكُونُ يَزْدَادُ

(١) رواه مسلم (٢٠٦٤/٤) (٢٦٨٠) (١١).

(٢) رواه مسلم (٢٠٦٤/٤) (٢٦٨١) (١٢).

(٣) رواه مسلم (٢٠٦٥/٤) (٢٦٨٢) (١٣) بغير هذا اللفظ.

وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون استغْتَبَ.

فإن قال قائل: ما تقولون في قول مريم -عليها السلام-: ﴿لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْ سَيِّئَاتِي﴾ [٣٣] ﴿٣٣﴾ [٢٣:٢٣].

الجواب: عن هذا أن تقول: إنها إنما أرادت التمني بأنها ماتت قبل هذه الفتنة؛ يعني: ماتت ولم تفتن ولم تتمتع بعمل الموت، فكأنها تقول: ليتني مت قبل أن يصيبني ما أصابني. وليست تقول: ليتني مت قبل هذا فتكون قد تمتت الموت، ففرق بين أن يتمنى الإنسان الموت قبل أن يصاب بالفتنة، وبين أن يتمنى تعجل الموت، فالأخير هو المنهي عنه؛ ولهذا جاء في الحديث: «إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»^(١).

ومثل هذا قول يوسف عليه السلام: ﴿أَنْتَ وَلِيِّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١]. ليس هذا دعاء بالموت، ولكنه دعاء بالموت على هذا الوصف وهو الإسلام، ويشبهه ما في دعاء الجنابة: «ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان»^(٢).

فإذا قال قائل: أليس رسول الله ﷺ قد كره الاكتواء، فكيف اكتوى خباب بن الارت سبع مرات؟ الجواب: أن الاكتواء الذي في الحديث أن يطلب الإنسان من يكويه، وفعل خباب بن الارت ليس فيه تعين أن يكون طلب أن يكوي فمن الممكن أنه لما جاءه من يكويه وافق وأجاز، كالقراءة أيضًا، فالذين يسترقون، والذين يقرأ عليهم بدون استرقاء، الثاني منهم لا يمتنع أن يكون من السبعين ألفاً. والجواب على فعل خباب عليه السلام أنه جاءه من يرقيه فوافق أو أن الحديث لم يبلغه.

ثم إن هناك مسألة؛ وهي أنه ليست هذه الصفات الأربع إذا فاتت الإنسان فاته أن يدخل الجنة بلا حساب، فقد يكون هناك صفات أخرى توجب أن يدخل الجنة بغير حساب، قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَعُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ١٠٠]. يُحْتَمَلُ بغير حساب على الأجر بل يُعْطَوْنَ أَجْرًا كثيرًا بلا عدد.

أما سبب الأرق الذي كان عند الرسول ﷺ فلا شك أن سببه الخوف؛ ولذلك تمنى أن يهَيِّئَ الله له رجلاً صالحاً.



(١) رواه الترمذي (٣٢٣٣)، (٣٢٣٥)، وأحمد في «مسنده» (٦٦/٤) (١٦٦٢١)، ومالك في «الموطأ» (٢١٨/١) (٥٠٨)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على سنن الترمذي.

(٢) رواه أبو داود (٣٢٠١)، والترمذي (١٠٤٤)، وابن ماجه (١٤٩٨)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧- باب قول الرجل: لولا الله ما اهتدينا.

٧٢٣٦ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَارَى التُّرَابَ بِيَاضَ بَطْنِهِ، يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزَلَنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنْ الْأَلَى - وَرُبَّمَا قَالَ الْمَلَأَ - قَدْ بَغَوَا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَتَهُ أَبِينَا أَبِينَا» يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ^(١).

❦ الشاهدُ قوله: «لولا الله ما اهتدينا». وهذا مثَالٌ. وإِلَّا فَيَصِحُّ أَنْ تَقُولَ: لولا الله ما اهتدينا، ولولا الله لم يَنْزِلِ المطرُ، ولولا الله لم يَحْصُلْ لنا هذا الرِّيحُ، ولولا الله لم تُرْزَقْ بوليدٌ، وهكذا. ولكن إضافة الشيء إلى غير الله بـ «لولا». هل هو جائز أو لا؟ نقولُ هذا له أحوالٌ:

الحال الأولي: أن يَنْسِبَهُ إِلَى مَنْ لَيْسَ سَبَبًا لَهُ فَهَذَا شَرَكٌ إِمَّا أَصْغَرُ، وَإِمَّا أَكْبَرُ، فإِذَا نَسِبَهُ إِلَى مَيِّتٍ فِي قَبْرِهِ وَقَالَ: لولا فلانٌ لم يَحْصُلْ كَذَا وَكَذَا. أو لولا فلانٌ لَحْصُلْ كَذَا وَكَذَا. فَهَذَا شَرَكٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّهُ اعْتَقَدَ أَنَّ لِلْأَمْوَاتِ تَأْثِيرًا فِي الْحَوَادِثِ، وَهَذَا شَرَكٌ.

والحال الثانية: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَصْغَرُ كَمَا لَوْ نَسِبَهُ إِلَى غَيْرِ سَبَبٍ شَرْعِيٍّ، لَكِنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى حَدِّ الْأَكْبَرِ، مِثْلَ قَوْلِ الْقَاتِلِ: لولا البطُّ لَأَتَى اللَّصُوصُ. فَهَذَا شَرَكٌ أَصْغَرُ وَلَا يُخْرِجُ عَنِ الْمَلَةِ.

والحال الثالثة: أَنَّهُ يُضَيِّفُهُ إِلَى السَّبَبِ الْمَعْلُومِ شَرْعًا أَوْ حَسًّا وَحْدَهُ، فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا حَرَجَ فِيهِ، مِثْلَ أَنْ تَقُولَ: لولا شربي الماءَ لَعَطِشْتُ، أَوْ لولا أَكْلُ السَّحُورِ لَجُعتُ، فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا حَرَجَ.

وَلَكِنْ يُشْتَرَطُ فِي هَذَا أَنْ تُضَيِّفَهُ إِلَيْهِ إِضَافَةَ السَّبَبِ إِلَى الْمُسَبَّبِ، لَا إِضَافَةَ الْمُحْدِثِ إِلَى الْحَادِثِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا ذَكَرَهُ أَنَّهُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ.

قال: «ولولا أنا لكان في الدركِ الأسفلِ من النارِ»^(٢).



(١) رواه مسلم (٣/ ١٤٣٠) (١٨٠٣) (١٢٥).

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (١٩٤/ ١) (٢٠٩) (٣٥٧).

وابن القيم في ميمته الشهيرة يقول في الصحابة:

وَلَوْلَاهُمْ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ

وَلَوْلَاهُمْ كَادَتْ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا

وَلَكِنْ رَوَّاسِيَهَا وَأَوْتَادَهَا هُمْ^(١)

وعلى كل حال: نحن نذكر كلام ابن القيم رحمه الله للاعتضاض والاستشهاد لا للاعتداء؛ لأنه غير معصوم.

والحال الرابعة: أن يقول: «ويُضَيِّفُهُ إلى السبب المعلوم شرعاً أو حساً مع الله مقروناً بالواو، فهذا شرك، قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر مثل: لولا الله وزيد لغرق».

يقوله في زيد الذي أنقذه من الغرق، فإن هذا شرك إما أصغر وإما أكبر، فإن كان هذا القرن مجرد قرن لفظي فهو شرك أصغر، وإن كان هذا القرن يعتقده أن هذا المنقذ مساوٍ لله تعالى في إنقاذه، أو أعظم من الله فهذا شرك أكبر.

الحال الخامسة: أن يقرن ذلك مع الله بما يدل على التعقيب بمهلة، مثل: لولا الله ثم فلان. فهذا جائز ولا بأس به، بشرط أن يكون فلان سبباً حقيقياً شرعياً أو حسياً فإن قرنه بحرف يقتضي الترتيب والتعقيب مثل: لولا الله فلان. فهذا محل نظر؛ لأنه لم يضيفه إلى الله وغيره بالواو، ولم يضيفه إلى الله وإلى غيره بـ«ثم»، فكان متردداً بين هذا وهذا ولا شك أن الأفضل تجنبه، وإنما الجزم بأنه حرام فلا نجزم به.

وخير من ذلك كله، أن تقول: لولا أن الله قيض لي فلاناً لغرقت.

أو لولا أن الله قيض لي المعلم ما تعلمت، وما أشبه ذلك.

فيجعل الأصل هو الله عز وجل، وهذا خير الأقسام.

فالأقسام إذن ستة، هذه الخمسة التي ذكرنا، والأول من قوله: إذن: لولا الله ما اهتدينا. فهذا

هو القسم الأول هو الذي بنينا عليه التقسيم، وهو أن يضيفه إلى الله وحده.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٨- بَابُ كَرَاهِيَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ.

وَرَوَاهُ الْأَعْرَجُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (١).

٧٢٣٧- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ مُوسَى ابْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمِ أَبِي النَّضْرِ -مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ-، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي أَوْفَى، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَاقِبَةَ» (٢).

هذا الحديث قال في آخره: «فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» (٣).

وهكذا لَا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَمَنَّيَ الْبَلَاءَ، فَإِنَّهُ إِذَا تَمَنَّيَ الْبَلَاءَ رَبِّهَا لَا يَصْبِرُ إِذَا نَزَلَ بِهِ.

❦ فَقَوْلُهُ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ» لَيْسَ خَاصًّا بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. بَلْ كُلُّ مَا فِيهِ بَلَاءٌ فَاسْأَلِ اللَّهَ السَّلَامَةَ مِنْهُ، فَإِذَا نَزَلَ فَاسْتَعِزَّ بِاللَّهِ ﷻ عَلَيْهِ وَاصْبِرْ كَمَا أَمَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَأْتِي مِنَ اللَّهِ ﷻ، أَوْ مِنَ الْبَشَرِ لَا تَتَمَنَّاهَا.

ولهذا يُذَكَّرُ أَنْ سَحَنُونَا وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ، قَالَ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ صَابِرٌ، وَذَكَرَ آيَاتًا فِيهَا: فَكَمَا شِئْتُ فَاثْمَحْنِي فَاثْبُلِي بِعَسْرِ الْبُولِ، فَمَا كَانَ الْبُولُ يَخْرُجُ مِنْهُ بِسَهُولَةٍ، فَكَانَ يَدُورُ عَلَى الصَّبْيَانِ وَيَقُولُ: اذْعُوا لِعَمَّكُمْ الْكَذَابِ (٤).



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ اللَّوِّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ [٨٠: ٨٠].

٧٢٣٨- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمُتَلَاعِنِينَ؛ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَادٍ: أَهِيَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ رَاجِمًا امْرَأَةً مِنْ غَيْرِ بَيْنَةٍ، قَالَ: لَا تِلْكَ امْرَأَةٌ أَغْلَنْتُ» (٥).

٧٢٣٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو: حَدَّثَنَا عَطَاءٌ، قَالَ: أَعْتَمَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعِشَاءِ

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٢٢٣/١٣)، وتقدم الكلام عليه في الجهاد، باب: لا تمنوا لقاء العدو (٣٠٢٦).

وانظر: «تغليق التعليق» (٣١٤/٥).

(٢) رواه مسلم (١٣٦٢/٣) (١٧٤٢/٢٠).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٥٦٠/١٣)، و«طبقات الصوفية» (١٦٥-١٩٩)، و«حلية الأولياء» (٣٠٩/١٠)، و«تاريخ بغداد» (٩/٢٣٤)، و«المنتظم» (٦/١٠٨).

(٥) رواه مسلم (١١٣٥/٢) (١٤٩٧/١٣).

فَخَرَجَ عُمَرُ فَقَالَ: الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ رَقَدَ النَّسَاءُ وَالصَّبِيَانُ فَخَرَجَ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ -»، وَقَالَ سَفِيَانُ أَيْضًا: «عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالصَّلَاةِ هَذِهِ السَّاعَةَ»^(١).

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَخَّرَ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الصَّلَاةَ، فَجَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَقَدَ النَّسَاءُ وَالْوِلْدَانُ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَمْسَحُ الْمَاءَ عَنْ شِقِّهِ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَلْوَقْتُ لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي...».

وَقَالَ عُمَرُ: حَدَّثَنَا عَطَاءٌ: لَيْسَ فِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ، أَمَّا عُمَرُ فَقَالَ: رَأْسُهُ يَقْطُرُ. وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يَمْسَحُ الْمَاءَ عَنْ شِقِّهِ، وَقَالَ عُمَرُ: لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي، وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّهُ لَلْوَقْتُ لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ: حَدَّثَنَا مَعْنٌ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ عُمَرُ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ^(٢).

٧٢٤٠ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَالِكِ»^(٣).

٧٢٤١ - حَدَّثَنَا عَيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: وَاصَلَ النَّبِيُّ ﷺ آخِرَ الشَّهْرِ وَوَاصَلَ أَنَسٌ مِنَ النَّاسِ فَلَبَّغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ مَدَّ بِيَ الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وَصَالًا يَدْعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمِّقَهُمْ إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي تَابِعَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ مُغِيرَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ^(٤).

٧٢٤٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ح، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ: أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْوَصَالِ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تَوَاصَلْ! قَالَ: «أَيْكُمْ مِثْلِي إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي» فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوْا؛ وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَكَ، فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُمْ» كَالْمَنْكَلِ لَهُمْ^(٥).

(١) رواه مسلم (٤٤٢/١) (٦٣٨) (٢١٩).

(٢) قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (٢٢٩/١٣): وَقَوْلُهُ: «قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ... إلخ» يَرِيدُ أَنْ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ هُوَ الطَّائِفِيُّ رَوَاهُ عَنْ عُمَرُ وَهُوَ ابْنُ دِينَارٍ، عَنْ عَطَاءٍ مَوْصُولًا بِذِكْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِيهِ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِتَصْرِيحِ سَفِيَانِ بْنِ عَيْنَةَ، عَنْ عُمَرُ، بِأَنْ حَدِيثَهُ عَنْ عَطَاءٍ لَيْسَ فِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَهَذَا يَعِدُ مِنْ أَوْهَامِ الطَّائِفِيِّ، وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِسُوءِ الْحِفْظِ، وَقَدْ وَصَلَ حَدِيثَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ مِنْ وَجْهَيْنِ عَنْهُ هَكَذَا، وَذَكَرَ أَنْ مِنْ جُمْلَةِ مَا حَدَّثَ بِهِ عَنْ سَفِيَانِ مَدْرَجًا كَمَا قَالَ الْحَمِيدِيُّ: عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ، وَأَحَدُ ابْنِ عَبْدِ الطَّيِّبِ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ، وَأَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ، وَعَمَارُ بْنُ الْحَسَنِ رَوَاهُ عَنْ سَفِيَانٍ، فَاقْتَصَرَا عَلَى طَرِيقِ عُمَرُ، وَذَكَرَ فِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَوَهَا فِي ذَلِكَ أَشَدَّ مِنْ وَهْمِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَأَنْ ابْنَ أَبِي عَمْرِو رَوَاهُ فِي مَوَاضِعٍ، عَنْ ابْنِ عَيْنَةَ مَفْضَلًا عَلَى الصَّوَابِ. قُلْتُ: وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ سَفِيَانٍ مَوْصُولًا. اهـ.

(٣) رواه مسلم (٢٢٠/١) (٢٥٢) (٤٢).

(٤) الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٧٦/٢) (١١٠٤) (٦٠)، وَالتَّابِعَةُ رَوَاهَا أَيْضًا مُسْلِمٌ (٧٧٥/٢) (١١٠٤) (٥٩).

(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٧٤/٢) (١١٠٣) (٥٧).

٧٢٤٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا أَبُو الْأَخْوَصِ، حَدَّثَنَا أَشْعَثُ، عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْجَدْرِ؛ أَمِنَ الْبَيْتُ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَمَا بِالْهَمِّ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: «إِنَّ قَوْمَكَ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ» قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفَعًا؟ قَالَ: «فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكَ لِيُدْخِلُوا مِنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنْ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أَدْخَلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أَلْصَقَ بَابَهُ فِي الْأَرْضِ»^(١).

٧٢٤٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيًا أَوْ شُعْبًا، لَسَلَكَتِ وَادِي الْأَنْصَارِ أَوْ شُعْبِ الْأَنْصَارِ»

٧٢٤٥ - حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبَادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا أَوْ شُعْبًا، لَسَلَكَتِ وَادِي الْأَنْصَارِ وَشُعْبَهَا» تَابَعَهُ أَبُو التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الشُّعْبِ^(٢).

هذا الباب كما قال المؤلف رحمه الله: باب ما يجوز من اللو وأشار رحمه الله إلى ما يجوز، وسكت عما لا يجوز؛ وذلك لأن اللو تختلف أحكامها كما سيأتي.

وهنا أدخل «أل» على «لو» والمعروف أن «أل» لا تدخل إلا على الأسماء، ولا تدخل على الحروف؛ لأنها من علامات الأسماء، لكن لما قصد لفظها صح أن تدخل عليها «أل» كأنه قال: باب ما يجوز من هذا اللفظ. فصح دخول «أل» على «لو» مع أنها حرف؛ لأن المراد بها اللفظ.

اللو تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم للتمني، وقسم للخبر، وقسم للندم. فالقسم الأول للتمني: ومنه قول لوط عليه السلام: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ» أي: أي: أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ، فهذه حكمها حكم ما يتمناه، فإن تمنى خيراً فهي خير، وإن تمنى شراً فهي شر.

فلو رأى رجلاً عنده مالٌ يَبْذُلُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ مَالِ فُلَانٍ فَأَفْعَلُ مِثْلًا فَعَلَ. كان هذا تمنى الخير فهو خير.

ورجلٌ آخر رأى شخصاً يُنْفِقُ مَالَهُ فِي الْمَلَاهِي، وَالْفُسُوقِ، وَالْفَجُورِ، وَالْمَجُونِ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا حَتَّى أَتَبَقَ بِمِثْلِ مَا يُنْفِقُ. فهذا تمنى شيئاً فيكون شراً. إذا: التي للتمني يكون يحسب ما تمنى الشخص.

(١) رواه مسلم (٩٧٣/٢) (١٣٣٣) (٤٠٥).

(٢) الحديث رواه مسلم (٧٣٨/٢) (١٠٦١) (٣٩) والمتابعة أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب: مناقب الأنصار (٣٧٧٨).

القسم الثاني: أن تكون لمجرد الخبر: فهذه جائزة. إذا كان القائل صادقاً في قوله، مثل أن تقول لصاحبك: لو زرتني لأكرمك، فهذا خبرٌ محضٌ إذا كنت صادقاً في أنه لو زارك لأكرمته، فهذا خبرٌ صادقٌ ولا شيء فيه، فإن قلت: لو زرتني لأكرمك. وأنت كاذبٌ، بل ولو زارك لأهتته فهنا يحرم؛ لأنه كذب. فإذا كانت للخبر، فهي على حسب ما يقتضيه ذلك الخبر.

القسم الثالث: أن تكون للندم: فهذه هي التي نهى عنها الرسول ﷺ حيث قال: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، فإن لو تفتح علم الشيطان»^(١) فهذه منهي عنها؛ لأنها تفتح عمل الشيطان كما قال النبي ﷺ، وعمل الشيطان الذي تفتح هو الندم، والتحسر، والهَمُّ، فكلُّ هذا من عمل الشيطان؛ لأن الشيطان لا يريد لابن آدم أن يكون مسروراً أبداً، بل يريد أن ينزل به الغم والحزن والكسل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّجَوُّى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٠].

ومن فتحها لأعمال الشيطان، أنها تفتح الاعتراض على القدر، فإن الذي يقول: لو أني فعلت لكان. كأنه يُعَالِبُ قدر الله وقدر الله قد حصل، ولا يمكن أن يرفع، فعمل الشيطان الذي تفتح ليس بالأمر الهين، فقد يكون أمراً صعباً؛ فهذا نهى النبي ﷺ أن يقول الإنسان لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن يفعل الأسباب النافعة لقوله: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله»^(٢). فإن قالها على سبيل الخبر، مثل أن يقول: لو أني تركته ما حصل كذا وكذا، لا على سبيل الندم فلها حكم القسم الثاني، الذي ذكرنا أنه لا بأس به إن كان صادقاً.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ قال البخاري: «وقوله تعالى» مع أن الله حكاه عن لوط؛ لأن هذا اللفظ من الله، فلو لم يقله بهذا اللفظ؛ لأن هذا اللفظ لفظٌ عربي، ولوطٌ ليست لغته عربية، فكان قول الله ﷻ، ومن العلماء من يخفي مثل هذا فيقول: لقول الله تعالى عن لوط، عن آدم، عن نوح، وما أشبه ذلك، فالأمر في هذا واسع.

ثم ذكر قول النبي ﷺ: «لو كنت راجعاً امرأة من غير بينة لرجمتها» وهي امرأة - كما قال ابن عباس - ثعلب، ولكنها لا تقر، وهذا من باب الخبر.

ثم ذكر أيضاً حديث تأخير صلاة العشاء، حيث أعتم النبي ﷺ بالعشاء، فخرج عمر

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٥٢) (٢٦٦٤) (٣٤).

(٢) المصدر السابق.

فقال: الصلاة يا رسول الله.

❖ وقوله: «الصلاة» بالنصبِ لفعلٍ محذوفٍ تقديره: أقم الصلاة، وَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: الصلاةُ على تقدير الصلاة حاضرة، أو حضرت.

❖ قوله: فخرج فقال: الصلاة يا رسول الله رَقِدَ النساءُ والصبيانُ. في هذا دليلٌ على أن الصبيانَ يَحْضُرُونَ المسجدَ في عهدِ الرسولِ ﷺ، ولكن اشترط العلماءُ في تمكينهم من الحضورِ ألا يَحْضُلَ منهم أذيةٌ على المصلين، ولا على المسجدِ، فإن حصلَ منهم أذيةٌ فإنهم يُمْنَعُونَ، ولكن يُمْنَعُونَ عن طريقِ أولياءِ الأمورِ؛ لأننا لو منعناهم منعًا مباشرًا لكان في ذلك تنفيرٌ لهم عن المسجدِ^(١).

❖ قوله: فخرج ورأسه يَقْطُرُ يَقُولُ: «لولا أن أشقَّ على أمتي -أو على الناسِ- وقال سفيانُ أيضًا- على أمتي لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة» يعني: بعد أن أعتموا، ومضى نحو ثلث الليل. وإنما قال الراوي خرج ورأسه يَقْطُرُ، أو يَمْسَحُ الباءَ عن شقِّه، من بابِ أن الرسولَ ﷺ تعمَّدَ التأخيرَ، ومن بابِ أنه ضَبَطَ القصةَ، وهذا يُشَبِّهُ ما يُسمِّيهِ علماءُ المصطلحِ بالسلسلِ يَقُولُ: «لولا أن أشقَّ على أمتي أو على الناسِ لأمرتهم بالصلاة هذه الساعة».

❖ «بالصلاة»؛ أي: صلاة العشاء هذه الساعة.

وفي هذا: دليلٌ على القاعدةِ المشهورةِ عند العلماءِ أن المشقةَ تَجْلِبُ التيسيرَ.

وفيه: دليلٌ على أن رسولَ الله ﷺ يُسْرِعُ من عنده؛ لأنه لم يَقُلْ: لولا أن يُشَقَّ على أمتي لأمرهم الله. بل قال: لولا أن أشقَّ لأمرت. وهو كذلك له أمرٌ مستقلٌّ؛ لأنه لو أمر بها لا يريدُه الله؛ لَبَيَّنَ الله له ذلك كما في قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ [النجم: ٤٣].

وفي هذا الحديث: دليلٌ على أن الأفضلَ في صلاة العشاءِ التأخيرُ.

فإذا كانوا جماعة وقالوا: سنؤخر ولا يشق عليهم إذا أخرنا فما هو الأفضل لهم؛ التأخير أم التقديم؟

فالجواب: الأفضل لهم التأخير.

وذكر المؤلفُ أيضًا اختلافَ الرواياتِ في هذا الحديثِ، ولكنه اختلافٌ لا يَضُرُّ؛ يعني: لا يُؤدِّي إلى أن يَكُونَ هذا الحديثُ مُضْطَرِبًا؛ لأن موضعَ الدليلِ منه ليس فيه اضطرابٌ؛ وهو تأخيرُ الصلاةِ إلى أن يَمْضِيَ هزيعٌ من الليل.

ثم ذكر المؤلفُ أيضًا حديثَ أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «لولا أن أشقَّ على أمتي

لأمرتهم بالسواك». وتتمة الحديث في ألفاظ أخرى: «عند كل صلاة»^(١) هذا هو المشهور إنه عند كل صلاة ورواه مالك: «مع كل وضوء»^(٢) والغالب أن الصلاة والوضوء مقترنان.

وفي هذا الحديث: إشارة على أن الأصل في الأمر الوجوب وفي الذي قبله أيضًا؛ لأنه لو لم يكن أصله الوجوب، لم يكن في الأمر به مشقة؛ لأن المندوب يجوز للإنسان تركه، والذي فيه المشقة لو أمر به ما كان واجبًا. ولكن أين محل السواك؟

قال العلماء: عند المضمضة؛ لأن المضمضة هي تطهير الفم، ولكن لو تسوَّك قبل ذلك أو بعده صدق عليه أنه تسوَّك مع الوضوء^(٣).

ثم ذكر المؤلف: حديث الوصال أن النبي ﷺ نهى عن الوصال. والوصال: أن يفِرَن الصائم بين يومين بدون فطرٍ بينهما. وقد نهى النبي ﷺ عنه، مع أنه كان يفعلُه؛ ولهذا لما نهى عنه الصحابة؛ قالوا: إنك تواصل؛ يعني: ولنا فيك أسوة في الوصال. ولكنه بين الفرق فقال: «إني لست كهيتكم» أو قال: «أيكم مثلي»، إني أبيتُ يطعمُني ربي ويسقيني.

وقوله: «يطعمُني ويسقيني». يعني: فليستُ أواصل. لو واصلت حسًا فلا أواصل معنى؛ لأن الله ﷻ يطعمُه ويسقيه، لكنه ليس إطعامًا حسيًا ولا سقيًا حسية؛ لأنه لو كان كذلك لم يكن مواصلة، ولم يكن ممسكًا فما هذا الإطعام والإسقاء؟

قال بعضهم: إنه يطعمُ من الجنة، ويسقي من الجنة، وهذا ضعيف؛ لأنه حتى لو أطعم من الجنة، أو سقي من الجنة فهو غير مواصل.

والصحيح: أنه ما كان في قلبه من الانشغال بالله ﷻ، فإنه بانشغاله بالله، ويذكره الله لا يهمله الأكل ولا الشرب، وهذا شيء محسوس فإن الإنسان إذا اشتغل اشتغلاً تاماً بشيء نسي ما سواه، فتجده إذا كان منهمكاً في شغل من الأشغال يأتي عليه وقت الغداء، ووقت العشاء ما يهمله وقد قال الشاعر:

لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها عن الشرابِ وتلهيها عن الزادِ^(٤)

قوله: لها أحاديثٌ من ذكراك؛ أي: إذا قامت تذكريك وتحدثت بك نسيت الأكل والشرب.

قوله: فهذا هو المعنى الصحيح في هذا الحديث.

(١) رواه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٢٠/١) (٢٥٢) (٤٢).

(٢) في «الموطأ» (٨٣/١) (١١٥).

(٣) انظر: «المبدع» (١٠٠/١)، و«الإنصاف» (١٢٠/١).

(٤) انظر: «المدش» (٤٥٥/١)، و«الحماسة البصرية» (١٥٧/١)، و«ديوان المعاني» (٦٣/١).

وليس قصدُهم عليه السلام المعاندة، لكنَّهم فهموا أن النبي ﷺ أراد الفرقَ بهم فقالوا: تتَحَمَّلُ المشقة، ولم يُريدوا قطعاً المعصية.

فواصلَ بهم النبي ﷺ تركهم يوماً، ثم يوماً، ثم رأوا الهلالَ؛ أي: هلالَ شوالٍ فقال ﷺ: «لو تأخرَ لِرِدَّتِكُمْ». كالمُنْكَلْ لهم، حتى يَمْسَهُم الجوعُ، والعطشُ، ويعْرِفُوا حِكْمَةَ النبي ﷺ في النهي عن الوصالِ.

وفيه أيضاً: في بعضِ الألفاظِ. لو مُدَّ بي الشهرُ لوَاصِلَت وصالاً يَدْعُ المتعمِّقونَ تعمُّقَهم ^(١)، وفي هذا إشارةٌ إلى أن التعمُّقَ مذمومٌ.

فالتعمُّقُ في دينِ الله، ومحبةُ الإنسانِ للشقاقِ على نفسه أمرٌ مذمومٌ، مادامَ الشرعُ قد جعلَ له رخصةً، وقد قال النبي ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» ثلاثَ مراتٍ ^(٢).

وفي قصةِ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنه حينما قال: إنه يَصُومُ ولا يُفْطِرُ، وَيَقُومُ ولا يَنَامُ، فبيَّن له الرسولُ ﷺ أن لنفسه عليه حقاً، ولأهله عليه حقاً، ولربِّه عليه حقاً، ونارَ له في الصيامِ إلى أن قال: «أَفْضَلُ الصَّيَامِ صِيَامُ دَاوُدَ، صَمَ يَوْمًا وَأَفْطَرَ يَوْمًا». فلما كَبَرَ صارَ يَشُقُّ عليه أن يَصُومَ يَوْمًا وَيُفْطِرَ يَوْمًا، ولكِنَّه لم يَكُنْ لِيَتْرَكَ شَيْئًا، أَوْ لِيَدْعَ شَيْئًا تركه عليه رسولُ الله ﷺ، وقال: لِيَتَّيْنِي قِبَلَتْ رَخْصَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فكانَ يَصُومُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا جَمِيعًا بَدُونِ وَصَالٍ لَكِنَّه يَصُومُهَا مُتَابِعَةً وَيُفْطِرُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ^(٣)، وهذا من الضيقِ على نفسه، ضَيِّقٌ على نفسه فُضِّيَقَ عليه.

ولهذا جاء في الحديثِ: «لَا تُشَدُّوْا فَيُشَدِّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» ^(٤) فالإنسانُ كُلُّهُ كانَ سهلاً ميسراً على نفسه. سهَّلَ الله له الأمرَ.

وذكرَ المؤلفُ رحمته الله حديثَ بناءِ الكعبةِ. عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ النبي ﷺ عن الجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتَ هو؟ يعني: أم لا؟ والجَدْرُ: هو الحجرُ؛ جدارٌ مبنيٌّ معروفٌ، قال: نعم. أي: من البيتِ، فظاهرُ هذا الحديثِ أن جميعَ الحجرِ من البيتِ.

ولكنَّ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُونَ: إن الذي من البيتِ من الحجرِ ستَةُ أَذْرَعٍ ونصفٌ تقريباً ^(٥). وليس الحجرُ كُلُّهُ، فلعلَّ الحجرَ في ذاكَ العهدِ؛ أي: عهدِ الرسولِ ﷺ كانَ دونَ هذا، وهذا هو

(١) تقدم في أحاديث الباب.

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٥/٤) (٢٦٧٠) (٧).

(٣) رواه البخاري (١٩٧٧)، ومسلم (٨١٣/٢) (١١٥٩) (١٨٢).

(٤) رواه أبو داود (٤٩٠٤) وضعفه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٥) قال صاحب «الإِنْصَافِ» (٨/٢): نص الإمام أحمد أن الحجر من البيت وقدره ستة أذرع وشيء.

وانظر: «كشاف القناع» (٣٠٠/١)، و«المغني» (١٩٠/٣).

الأقرب؛ لأن الحجر مقوس، والكعبة لا تكون كعبة إلا إذا كانت بناءً مربعًا؛ ولهذا نقول: الأقرب أنه من حيث يَبْدِئُ التقويسُ تنتهي الكعبة.

وكان الذي بناه مقوسًا -والله أعلم- أراد ألا يكون مربعًا فيتمسح الناس بأركانه، كما يتمسحون بالحجر والركن اليماني؛ لأنه إذا كان مقوسًا ما فيه أركان تُمسح، بخلاف ما لو كان مربعًا.

ونظير هذا ما فعله بعض الغلاة في الشاذروان، والشاذروان هو العتبة المبنية في أسفل الكعبة دائرة عليها، وهذا البناء كان بالأول مسطحًا، وكان الناس يركبونه، ويطوفون عليه إذا رجموا؛ لأنه كان مسطحًا، فجاء بعض الخلفاء -جزاهم الله خيرًا- وجعله غير مسطح، بحيث لا يتمكن الإنسان من الوقوف عليه، والطواف به؛ لأنهم يرونه من أصل الكعبة، ومعلوم أن الطواف يجب أن يكون بجميع البيت.

لكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرى أن الشاذروان ليس من الكعبة، وإنما بني لدعم الكعبة، فهو عماد لها، وليس منها^(١).

والاحتياط لا شك أن يطوف الإنسان من وراء الشاذروان.

ثم قالت عائشة رضي الله عنها: فما لهم لم يَدْخُلُوهُ في البيت. هذه مناقشة، والصحابة عندهم الصراحة؛ يعني: لو أنها اقتصرنا لما قال: نعم انتهى الموضوع. لكنها أوردت إشكالًا، إذا كان من البيت فلماذا لم يَدْخُلْ. قال: إن قومك قصرت بهم النفقة؛ يعني: لم يتمكنوا من بناء البيت كله. لكن لماذا اختاروا تلك الجهة؟

الجواب: أنهم اختاروا تلك الجهة؛ لأن الجهة اليمانية فيها الحجر والركن اليماني، ولا يمكن أن تَحْتَلَّ، فلماذا رأوا أن يكون التقصير من الجهة الشمالية.

لكنك تتعجب كيف عجزوا أن يبنوا بقيتها وهم أصحاب إيل، وأصحاب أموال، ولهم تجارات من الشام، وتجارات من اليمن، وفيهم الأغنياء فلماذا قصرت بهم النفقة، وعجزوا أن يبنوا بقيتها؟

الجواب: لأنهم اختاروا ألا يبنوا من شيء محرم، لا من الربا، ولا من الميسر، قالوا لا يمكن أن نبني بيت الله إلا بأطيب أموالنا، وهذه من حماية الله للبيت -سبحان الله!- كفاً لا يحلّون ولا يحرمون، لكن حمى الله البيت أن يبنى بكسب حرام. فقصرت بهم النفقة فتبوه على هذا.

وهنا جاء إشكال آخر من عائشة رضي الله عنها فقالت: قلت فما شأن باب مرتفعًا. وهي حجرة من الحجر، والمفروض أن يكون بابها لا طناً بالأرض، حتى يدخله من يَدْخُلُ من الناس، أو أن يكون له درج إذا رُفِع، لكن الدرج ممتنع؛ لأن الدرج يُعَيِّقُ الطائفين فما بالهم رفعوه.

قال: «فعل ذلك قومك ليَدْخُلُوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا» هذا تحكم -والعياذُ

(١) انظر: «الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٧٥).

بِالله - إِذَا جَاءَ إِنْسَانٌ كَبِيرٌ ذُو جَاهٍ، أَوْ غَنِيٌّ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ أَدْخَلُوهُ فِي الْكَعْبَةِ، وَإِذَا جَاءَ مَنْ سِوَاهُ قَالُوا: الْبَابُ مَغْلَقٌ، وَالْعَتَبَةُ رَفِيعَةٌ، وَلَمْ يَدْخُلُوهُ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «لَوْلَا أَنْ قَوْمَكَ حَدِيثٌ عَهْدٌ بِالْجَاهِلِيَّةِ - فَأَخَافُ أَنْ تُتَكَرَّرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخَلَ الْجَدْرُ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ فِي الْأَرْضِ - لَفَعَلْتُ».

وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «لَوْلَا أَنْ قَوْمَكَ حَدِيثٌ عَهْدٌ». فَيَبَيِّنُ الرَّسُولُ ﷺ الْهَالِكَ لَهُ مِنْ إِعَادَةِ الْبَيْتِ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى الْوَصْفِ الَّذِي ذَكَرَهُ، وَهُوَ أَنَّ قَرِيشًا كَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِالْكَفْرِ، وَالْكَافِرُ لَضَعْفِ إِيْمَانِهِ؛ وَلِأَنَّ الْإِيْمَانَ لَمْ يَرَسَخْ فِي قَلْبِهِ، يَسْتَتَكِرُّ كُلُّ شَيْءٍ فَأَخَافُ أَنْ تُتَكَرَّرَ قُلُوبُهُمْ مَا أَفْعَلُ.

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ: دَرُءُ الْمَفَاسِدِ، وَأَنَّهَا أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ، وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ سَلِيمَةٌ، لَكِنَّهَا مَشْرُوطَةٌ بِأَنْ تَسَاوَى الْمَفَاسِدُ وَالْمَصَالِحُ، أَوْ يُرَجَّحَ جَانِبُ الْمَفَاسِدِ، أَمَا إِذَا تَرَجَّحَ جَانِبُ الْمَصَالِحِ، فَإِنَّهُ يُعْطَى الْمَفَاسِدُ، فَهَذَا لَا يَتَرَجَّحُ جَانِبُ الْمَصْلَحَةِ؛ لِأَنَّ الْمَفْسَدَةَ الَّتِي يُخْشَى مِنْهَا مَفْسَدَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ الرَّجُوعُ فِي الْكَفْرِ، فَتَحْصُلُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ لِقَرِيشٍ، وَرَبِمَا يَعُودُ الْأَمْرُ جَذْعًا بَعْدَ أَنْ قُتِحَتْ مَكَّةُ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: حِكْمَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَأَسَّى بِهِ، فَإِذَا رَأَيْنَا بَعْضَ الْمَصَالِحِ الَّتِي نَرَى أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْهَا يُخْشَى مِنْهَا عَاقِبَةُ سَيِّئَةٍ، فَإِنَّمَا نَدْعُهَا، وَنَسْكُتُ، وَنَصْبِرُ حَتَّى يَعُودَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَنْبَغِي.

وَلِهَذَا لَمَّا تَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ﷺ الْخِلَافَةَ فِي مَكَّةَ، بَلَ عَلَى الْحِجَازِ كُلَّهُ - مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَمَا كَانَ تَابِعًا لَهَا بَنَى الْكَعْبَةَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَمَنَّاهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَأَدْخَلَ الْجَدْرَ وَبَنَاهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ بَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ النَّاسُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ ^(١).

ثُمَّ لَمَّا حَصَلَتْ فِتْنَةُ الْحِجَاجِ، وَرَمَاهَا بِالْمَنْجَنِيْقِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَهَدَمَهَا، وَدَخَلَ مَكَّةَ عَنُودًا مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ قَالَ: «لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي». لَكِنَّهُ خَالَفَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَقَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ﷺ، وَصَلَبَهُ وَجَّيًّا إِلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، وَأَخْبِرَتْ بِمَا فَعَلَ النَّاسُ بِهِ، فَقَالَتْ: إِنْ الشَّاةُ لَا يَضُرُّهَا سَلْخُهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا، صَبْرٌ وَاحْتِسَابٌ، وَإِلَّا فَهَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ.

ثُمَّ لَمَّا اسْتَوَلَى عَلَيْهَا هَدْمُهَا كُلِّيَّةً، وَأَعَادَهَا عَلَى بِنَاءِ قَرِيشٍ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ - هَلْ قَصَدَهُ أَنْ الرَّسُولَ أَقَرَّ هَذَا الْبِنَاءَ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَأَقَرَّهُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، أَوْ أَنَّ قَصْدَهُ الْإِنْتِقَامُ مِمَّا فَعَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ ^(٢)؛ لَكِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الْحَدِيثُ قَالَ لَوْ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٥٨٦)، وَمُسْلِمٌ (٩٧٠ / ٢) (١٣٣٣) (٤٠٢).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٧٠ / ٢) (١٣٣٣) (٤٠٢).

عَلِمْتُ بِهِ لَمَنْعَتُ الْحِجَاجِ مِنْ هَدْمِهَا وَبِنَائِهَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ^(١).
 ثُمَّ لَمَّا طَالَتِ الْمُدَّةُ، وَتَوَلَّى الرَّشِيدُ بْنُ هَارُونَ فَأَرَادَ أَنْ يَهْدِمَهَا وَيُعِيدَهَا عَلَى مَا تَمَنَّاهُ
 الرَّسُولُ ﷺ، فَاسْتَشَارَ الْإِمَامَ مَالِكًا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَحِمَهُ- فَقَالَ: لَا تَجْعَلْ بَيْتَ اللَّهِ مَلْعَبَةً
 لِلْمُلُوكِ، كُلَّمَا جَاءَ مَلِكٌ هَدَمَهُ، وَأَعَادَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ، فَتَرَكَهُ وَيَقِي عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ^(٢).
 وَلَكِنَّا نَقُولُ: مَا أَرَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ حَصَلَ لِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى وَجْهِهِ أَكْمَلَ مَا تَتَوَقَّعُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ
 بُنِيَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ مَسْقُوفًا، وَجُعِلَ لَهُ بَابَانِ: بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ النَّاسُ، وَبَابٌ يَخْرُجُونَ مِنْهُ،
 لَأَهْلَكَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا سَيِّمًا فِي مِثْلِ عَصُورِنَا هَذِهِ مَعَ جَهَالَةِ النَّاسِ.
 أَمَّا الْآنَ فَإِنْ لَهُ بَابَيْنِ: بَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ النَّاسُ، وَبَابًا يَخْرُجُونَ مِنْهُ بِالْهَوَاءِ الطَّلِقِ؛ لِأَنَّ بَيْنَ
 الْكَعْبَةِ الْقَائِمَةِ وَالْجَدْرِ بَابَيْنِ، فَمَا أَرَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ حَصَلَ لِلَّهِ الْحَمْدُ، مَعَ زَوَالِ الْمَفْسَدَةِ.
 ثُمَّ إِنْ فِي بَقَائِهِ هَكَذَا جَدْرًا دُونَ أَنْ يَكُونَ كَعْبَةً مَبْنِيَةً كُلَّهَا، امْتِحَانًا وَإِذْعَانًا؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ بَنَاءً
 وَاحِدَةً، لَكَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهَا اضْطِرَارًّا، لَكِنْ الْآنَ لَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ بَابِ الْحَجَرِ،
 وَيَخْرُجَ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي، أَمَكَّنَهُ ذَلِكَ، لَكِنْ تَعَبَدَا اللَّهُ يَكْمُلُونَ الْحَجَرَ، وَيَطُوفُونَ مِنْ وَرَائِهِ، وَلَوْ
 كَانَ عَلَيْهِمْ أَعْظَمُ مَشَقَّةٍ، فِيهِ مَحَنَةٌ وَابْتِلَاءٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ بَنَاءً قَائِمَةً مَا تَمَكَّنَ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ،
 لَكِنْ هُنَا يُمَكِّنُ أَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ.

لَكِنْ لَوْ قَالَ إِنْسَانٌ: سَأَكْمُلُ مَا أَمَرَنِي بِهِ اللَّهُ ﴿وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ^(٣) [٢٩: ٢٤].
 وَأَطُوفُ مِنْ وَرَاءِ الْجَدْرِ صَارَ فِي هَذَا امْتِحَانٌ لِلْعِبَادِ فِي آدَاءِ الْعِبَادَةِ، وَاللَّهُ ﷻ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، فَقَدْ
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [٢١٦: ٢١]. وَقَالَ: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ
 تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ^(٤) [١٩: ١٩]. وَهَذِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ حَدِيثَ الْأَنْصَارِ، وَهُوَ مَهُمٌّ وَفِيهِ عِبْرٌ عَظِيمَةٌ.
 وَهَذَا الْحَدِيثُ: لَهُ قِصَّةٌ؛ وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنْ حُنَيْنٍ، وَقَسَمَ الْغَنَائِمَ، وَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ
 قُلُوبَهُمْ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ، تَكَلَّمَ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْأَنْصَارِ بِكَلَامٍ لَا يَلِيقُ بِهِمْ، لَكِنْ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ
 ﴿وَيُخَوِّتُ أَمْوَالَ جُحَاثِمًا﴾ ^(٥) [التَّحْوِيتُ: ٢٠]. وَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ^(٦) [الْعَنْكَرَةُ: ٨]. فَمِنْ
 أَجْلِ الْهَالِ تَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَا يَلِيقُ بِهِمْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا لَقِيَ قَوْمَهُ فَصَارَ يُعْطِيهِمْ وَتَرَكَنَا.
 فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا أَمَرَ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي مَكَانٍ خَاصٍّ بِهِمْ، فَأَجْتَمَعُوا فَجَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
 فَقَالُوا: إِنَّا اجْتَمَعْنَا. فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْنِي: سِوَاكُمْ. قَالُوا: أَبَدًا إِلَّا فُلَانٌ كَانُوا هُمْ أَخْوَالَهُ

(١) رواه مسلم (٩٧٢/٢) (١٣٣٣) (٤٠٣).

(٢) انظر: «الاستذكار» لابن عبد البر (١٨٨/٤)، و«التمهيد» (٥٠/١٠)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (٢٦٥/١)، و«أخبار مكة» (٣٦/٢).

قال: ابنُ أختِ القومِ منهم. ثم جاء إليهم وخطبَ بهم خطبةً بليغةً عظيمةً ساقها في عمدة الأحكام بطولها^(١)، ذكَّره عليه السلام بما أنعم الله به عليهم، من بعثة النبي عليه السلام وقال لهم: ألم أجِدْكُمْ ضُلَّالًا فهداكم الله بي؟ ألم أجِدْكُمْ فقراءَ عالةً فأغناكم الله بي، ألم أجِدْكُمْ متفرقينَ فألفكم الله بي؟ كلما قال قولًا قالوا: الله ورسوله أَمَنٌ؛ يعني: أعظم منة.

فقال: لو شِئْتُمْ لَقُلتُمْ: جئنا طريداً فأويناك. وذكر أشياء فكما أن له عليهم فضلاً، فلهم عليه فضلٌ أيضاً، وهذا من حكمته وعدله.

ثم أتت هذه الخطبة العظيمة بقوله: «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار». لكن الهجرة تمنعه أن يكونَ من الأنصار؛ لأنها أعلى وأفضل، فالمهاجرون جمَّعوا بين الهجرة بترك ما يُحبُّونَ، وبين النصره والأنصارَ عندهم النصره، وهم في بلادهم وفي أموالهم.

وفي هذا: إشارةٌ إلى مسألة تقدَّم الكلامُ عليها، وهي أن عيسى عليه السلام لا ينبغي أن نصِّفه بالصحية، وهو في مقام أعلى فنقول: لولا النبوة لكان من الصحابة مثلاً، ولكنه نبيٌّ والنبوة أعلى.

فيقول: «لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلكَ الناسُ وادياً، وسلكَ الأنصارُ وادياً أو شعباً، لسلكْتُ وادِي الأنصارِ، أو شعبَ الأنصارِ».

وهذا فخرٌ عظيمٌ، أن يدعَ النبي عليه السلام الناسَ ليكونَ مع الأنصارِ، الناسُ دِثارٌ، والأنصارُ شعارٌ، والشعارُ: هو الثوبُ الذي يلي الجسدَ، والدِّثارُ ما فوقه.

ثم قال: «إنكم ستلقونَ بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوضِ». فجعلوا يَبْكُونَ حتى خَضَبُوا إِيَّاهُمْ من الدموع عليه السلام، واقتنعوا أعظمَ اقتناع.

وهذا: دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان أن يُطِيبَ قلوبَ الناسِ، إذا رأى أنهم وجدوا عليه شيئاً، حتى يزولَ ما في قلوبهم، فهذا هو النبي عليه السلام أرفعُ من الأنصارِ وأرفعُ من المهاجرين، وأكرمُ الخلقِ عند الله، يتودَّدُ إلى الأنصارِ هذا التوددَ، ويُطِيبُ قلوبهم هذا التطيبَ.

والشاهدُ من هذا الحديثِ في هذا البابِ: قوله: «لولا الهجرة»، «ولو سلكَ الناسُ»، وهذا من قسم الخبر كما ذكرنا.



(١) تقدم تخريج الحديث في الصحيحين، وانظر: «عمدة الأحكام» (٣/ ١٧١).

شیخ
صالح بن محمد بن
الحجری

کتابُ اَنْجَبَارِ الْاَحَادِ

۷۲۷-۷۲۴۶

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كِتَابُ الْإِجَارَةِ

١ - بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَارَةِ خَيْرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الْأَذَانِ، وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَالْفَرَائِضِ، وَالْأَحْكَامِ.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وَيُسَمَّى الرَّجُلُ طَائِفَةً؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [المائدة: ٩]. فلو اقْتَتَلَ رَجُلَانِ دَخَلَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي فَتَبَيَّنُوا﴾ [المائدة: ٦]. وَكَيْفَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَاءَهُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ فَإِنْ سَهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ رُدَّ إِلَى السَّنَةِ.

قَوْلُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَارَةِ خَيْرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الْأَذَانِ، وَالصَّلَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْفَرَائِضِ، وَالْأَحْكَامِ».

وَالْخَبَرُ: هُوَ كُلُّ مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُصَدَّقَ قَائِلُهُ، أَوْ يُكَذَّبَ لِدَاثِهِ؛ أَي: لِدَاثِ الْخَبَرِ بَقِطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْمُخْبِرِ بِهِ، فَإِنْ خَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ هَذَا لَا يُمَكِّنُ تَكْذِيبَهُ، وَخَبَرُ مُسَيِّمَةٍ بِأَنَّهُ رَسُولٌ، لَا يُمَكِّنُ تَصْدِيقَهُ، لَكِنَّ نَفْسَ الْخَبَرِ بَقِطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْمُخْبِرِ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ صَدَقَ، وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ كَذَبَ.

وَالشَّهَادَةُ: هِيَ خَبَرٌ مُّوَكَّدٌ؛ لِأَنَّ الشَّاهِدَ يَقُولُ: أَشْهَدُ. كَأَنَّا شَاهَدَهُ بَعِينَهُ.

وَخَبَرُ الْوَاحِدِ هَلْ يَجُوزُ فِي كُلِّ شَيْءٍ؟ بَيَّنَّ الْمُؤَلَّفُ أَنَّهُ يَجُوزُ فِي الْأَذَانِ، فَيُعْمَلُ بِقَوْلِ الْمُؤَذِّنِ فِي دُخُولِ وَقْتِ الصَّلَاةِ، وَفِي الْامْتِنَاعِ عَنِ الْأَكْلِ فِي الصَّوْمِ، وَفِي حُلِّ الْأَكْلِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَكَذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ، إِذَا أَخْبَرَهُ شَخْصٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ إِلَى اتِّجَاهِ الْقِبْلَةِ؛ وَهُوَ ثَقَّةٌ فَإِنَّهُ يَتَّبِعُهُ.

وكذلك على القول الصحيح إذا سَبَّحَ به واحدٌ، وهو ليس عنده ما يُخَالِفُهُ، فإنه يَتَّبِعُهُ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ إنما مَنَعَهُ من اتباعِ ذي اليدين ما كان عنده من الجزمِ بأنَّه على صوابٍ؛ ولهذا قال: «لم أنس ولم تُقْصِر» وقصةُ ذي اليدين أنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَلَّمَ في إحدى صَلَاتَي الْعِشِيِّ: الظهرِ أو العصرِ من ركعتين، فقال له ذو اليدين: يا رسولَ اللَّهِ، أنْسَيْتَ أمْ قُصِرَتِ الصَّلَاةُ، فقال: «لم أنس ولم تُقْصِر» ^(١) فنفي الأمرين جميعاً.

ولكن كيف نفى الأمرين جميعاً، وأحدهما متأكدٌ؟
الجواب: أنَّ الإنسانَ يَجُوزُ له أن يُخْبِرَ عما في ظَنِّه، ولا يُعَدُّ هذا كذباً، ولا يَحْنُثُ به لو حَلَفَ عليه، فلو قال: واللَّهِ لَيَقْدُمَنَّ زَيْدٌ غداً بناءً على ما في قلبه وأنه سَيَقْدُمُ، ثم لم يَقْدَمْ فإنه لا يَحْنُثُ، ولا كفارةَ عليه؛ لأنَّ هذا خبرٌ عما في نفسه، وهو صادقٌ.

❖ فلما قال: «لم أنس ولم تُقْصِر». فهم الصحابيُّونَ ﷺ أنه نسى؛ لأنه يُمَكِّنُ أن يُخْطِئَ في الذكرِ، ولا يُخْطِئُ في الشرعِ؛ لأنَّ النفيَ هنا -أي قوله: «لم أنس»- هذا نفْيُ ذِكْرٍ، وقولُه: «ولم تُقْصِر» نفْيُ شرعٍ، وهو أن يُخْطِئَ في الذكرِ أقربُ من أن يُخْطِئَ في الشرعِ، بل لا يُخْطِئُ في الشرعِ.
❖ قال: «بلى قد نسيت». فاجتمع الآن قولُ ذي اليدين، واعتقادُ الرسولِ ﷺ، فلا بدَّ من مرجح، فلهذا قال: «أحقُّ ما يَقُولُ ذو اليدين». قالوا: نعم.

الشاهد: أنه يُقْبَلُ في الصَّلَاةِ، حتى في السهوِ على القولِ الرَّاجِحِ، ما لم يُخَالِفْهُ عَقِيدَةُ الْإِمَامِ مثلاً. والصومُ كذلك؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «كلوا واشربوا حتى تَسْمَعُوا أذانَ ابنِ أمِّ مَكْتُومٍ» ^(٢).

❖ وقولُه: «الفرائضُ»: مثلُ الزكواتِ، وغيرها؛ أي: كل ما فَرَضَهُ اللَّهُ.
❖ وقولُه: «والأحكامُ»: يعني: الأحكامَ الشرعيةَ، وأحكامَ القضاءِ بينَ الناسِ. والقاعدةُ في هذا: أنَّ كُلَّ خبرٍ دينيٍّ فإنه يُقْبَلُ فيه خبرُ الواحدِ.

❖ لكن المؤلفَ يَقُولُ: «الصدوقُ»؛ يَعْنِي: الذي يَغْلِبُ على الظنِّ صدقُه؛ لأمانتهِ، ومعرفتهِ، فأما من يَغْلِبُ على الظنِّ كذبه، فإنه لا يُقْبَلُ، فلو تَرَأَى الناسُ الهلالَ، وقال رجلٌ: ضعيفُ البصرِ: رأيتهُ، وقال الأقوياءُ في البصرِ: لم نَرَهُ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦١٧)، ومسلم (٧٦٨/٢) (١٠٩٢) (٣٦).

لا نأخذ بقوله؛ لأنه ضعيفُ البصر، وضعيفُ البصرِ ربما يَرَى الواحدَ اثنين أو ثلاثة، وربما يَرَى الثلاثةَ اثنين أو واحدًا.

ويُذَكِّرُ أن شَرِيحًا القاضِي أو غيره جَاءَ إليه رجلٌ ثقةٌ أمينٌ، فقال: إني رَأَيْتُ الهلالَ وكان قد تراءاه مع الناسِ. فقال الناسُ: لم نَرَهُ. فالقاضي توقَّفَ.

فهذا ثقةٌ، والناسُ خالفوه. فقال: «قُمْ معي تَرَأَى الهلالَ». فقام معه فترأىا الهلالَ، فقال: أترأه؟ قال: نعم. والقاضي لا يَرَاهُ فمسحَ حاجبه وقال له: تَرَاهُ الآن؟ قال: لا أَرَاهُ. وإذا هي شعرةٌ بيضاءٌ في حاجبه متقوسةٌ كأنها الهلالُ.

فهذا لا تَقْبَلُ شهادته؛ لأنه يَغْلِبُ على ظنِّنا أنه ليس بصادقٍ وإن كان ثقةً، كما أن حادَّ النظرِ إذا كان غيرَ ثقةٍ لا تَقْبَلُ؛ لعدمِ ثقتنا بقوله، وكذلك ضعيفُ البصرِ.

ثم قال: وقولُ الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾. وهذا بقيةُ الآيةِ، وأولُها: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [البقرة: ١٧٢]. يَعْنِي: في الجهادِ، فما كان لهم أن يَنْفِرُوا جميعًا، ولكن ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ يَعْنِي: فهلاً نَفَرَ من كُلِّ فِرْقَةٍ منهم طائفةٌ.

وقال: «من كُلِّ فِرْقَةٍ منهم»؛ لِيَكُونَ الجهادُ موزعًا على الجميع، ولم يَقُلْ: فلولا نَفَرَ منهم طائفةٌ من كُلِّ فِرْقَةٍ من الأوسِ، من الخزرجِ، من بطونهما، من كُلِّ فِرْقَةٍ منهم طائفةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدين.

ظاهرُ السياقِ أن التعليلَ للنافرينَ والحقيقةُ أنه للباقيين، والضميرُ في قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ للباقيين؛ لأن الذين يَنْفِرُونَ للجهادِ إنما يُقَاتِلُونَ. والباقون عند الرسول ﷺ هم الذين يَتَفَقَّهُونَ؛ ولهذا قال: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: بما سَمِعُوا من النبي ﷺ ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

وفي هذه الآية: دليلٌ واضحٌ على أن تعلَّمِ العلمِ الشرعيُّ يُقَابَلُ، أو يُعَادِلُ الجهادَ في سبيلِ الله؛ ولهذا ذهب كثيرٌ من العلماءِ إلى أن طلبةَ العلمِ يَسْتَحِقُّونَ من الزكاةِ، وإن كان عندهم ما يَكْفِيهِمْ، لنفقاتِهِمْ من أجلِ طلبِ العلمِ، فيَدْخُلُونَ في قولِ الله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٦٠].

وقوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ فيه: دليلٌ على أن المدحَ إنما هو للفقهِ في الدين، وليس للفقهِ في الواقعِ، فالفقهُ في الواقعِ وسيلةٌ لتطبيقِ الأحكامِ الشرعيةِ، أما الأصلُ فهو الفقهُ في

الدين؛ ولهذا قال: ﴿لَيْسَ فَقَهُوْا فِي الدِّينِ﴾ وهذا يُطَابِقُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١). وكثيرٌ من الناسِ اشتغلوا بأحوالِ العالمِ ليفقَّهُوا الواقعَ، ففاسدتهم أوقاتٌ كثيرةٌ لو تفرَّغوا فيها للفقهِ في الدينِ لكان خيراً لهم وأولى، ونحن لا نُنْكِرُ أن يَكُونَ عند الإنسانِ فقهٌ، وعلمٌ بأحوالِ الناسِ، ولكننا نقولُ: خيرٌ من ذلك أن يَتَفَقَّهَ في دينِ الله، ثم يُطَبِّقَ الواقعَ بعد أن يَعْرِفَهُ، وَيَحْكُمَ عليه بما يَقْتَضِيهِ هذا الفقه.

❖ قوله: «وُسِّمَى الرَّجُلُ طَائِفَةً». مع أن قوله: ﴿ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ ﴾، ﴿لَيْسَ فَقَهُوْا﴾، أي: الباقون. ﴿ وَلْيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ ﴾؛ يعني: يكفي رجلٌ واحدٌ أن يَتَفَقَّهَ وَيُنْذِرَ، واستدلَّ لقوله بأن الطائفة تطلق على الرجل الواحد بقوله تعالى: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الْحَجَّاتُ: ٩]. فلو اقْتَتَلَ رجلانِ دخلا في معنى الآية. فلو اقْتَتَلَ رجلانِ، وَجِبَ علينا أن نَمْنَعَ بعضهما من بعضٍ، وأن نُصْلَحَ بينهما.

لكن دخوله في الآية فيه نظرٌ، وإنما يُؤْخَذُ من أدلةٍ أخرى.

❖ وجهُ النظرِ قوله: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ وهذه جمعٌ، فلا بدَّ أن تكون الطائفةُ اثنتين فأكثر، أو على الأقلَّ اثنتين من وجهٍ، وواحدٍ من وجهٍ آخر؛ لِيَصْدُقَ الجمعُ. لكنَّ اقْتِتَالَ رجلينِ لا شكَّ أنه يَجِبُ علينا التدخُّلُ والمنعُ من الاقتتال، والإصلاحُ بقدرِ المستطاع. وقوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنْ﴾. والفاسيقُ: هو الخارجُ عن طاعةِ الله. وعَرَفَهُ الفقهاءُ: بأنه من فعلٍ كبيرةٍ، لم يَتَّبِعْ منها، أو أَصَرَ على صغيرةٍ^(٢)، فإذا جاءنا رجلٌ معروفٌ باتهامه بالدين، وعدمِ مبالاةٍ بتركِ الواجباتِ، وفعلِ المحرماتِ، فهذا فاسقٌ لا يُقْبَلُ خبره. ولكن هل يُرَدُّ؟

الجوابُ: لا، لا يُرَدُّ، ولا يُقْبَلُ، بل يُتَبَيَّنُ الأمرُ؛ ولهذا قال: ﴿فَتَبَيَّنْ﴾؛ أي: اطلبوا بياناً لواقع، هل هو على حسبِ ما أَخْبَرَ به هذا الفاسقُ أو لا؟ وهذا من الإنصافِ، ألا نَرُدَّ خبرَ الفاسقِ مطلقاً، ولا نَقْبَلَهُ مطلقاً؛ لأن قبوله مطلقاً مشكُلٌ؛ فهو مُتَهَمٌ في خبره، ورَدُّه مطلقاً أيضاً مشكُلٌ؛ لاحتمالِ أن يَكُونَ صادقاً.

(١) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (٧١٨/٢) (١٠٣٨) (٩٨).

(٢) انظر: «التعاريف» (٥٥٧/١)، و«تفسير القرطبي» (٣١٢/١٦)، و«تفسير الطبري» (٥/٢٦١).

قوله: «وكيف بعث النبي ﷺ أمراءه واحداً بعد واحدٍ فإن سها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنة». نعم، كان الرسول ﷺ يبعثُ بدين الله الرجل الواحد، وربما يُردُّه بآخر، وربما لا يُردُّه فإن سها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنة.

إن سها؛ يعني: غفل فإنه يُردُّ إلى السنة وجوباً.

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح (٢٣٤/١٣، ٢٣٥):

قوله: «وكيف بعث النبي ﷺ أمراءه واحداً بعد واحدٍ، فإن سها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السنة»، سيأتي في أواخر الكلام على خبر الواحد، باب: ما كان النبي ﷺ يبعثُ من الأمراء والرسل واحداً بعد واحدٍ، فزاد فيه بعث الرسل.

والمراد بقوله: «واحداً بعد واحدٍ»، تعدد الجهات المبعوث إليها، بتعدد المبعوثين، وحمله الكرمانى على ظاهره، فقال: فائدة بعث الآخر بعد الأول ليردَّه إلى الحق عند سهوه، ولا يخرج بذلك عن كونه خبراً واحداً، وهو استدلالٌ قوي؛ لثبوت خبر الواحد من فعله ﷺ؛ لأن خبر الواحد لو لم يكف قبوله ما كان في إرساله معنى.

وقد نبه عليه الشافعي أيضاً، كما ساذكره، وأيده بحديث «ليبلغ الشاهد الغائب» وهو في الصحيحين، وبحديث: «نصر الله امرءاً سمع مني حديثاً فأداه» وهو في السنن. واعتراض بعض المخالفين بأن إرسال الأمراء لأعم من قبض الزكاة وإبلاغ الأحكام وغير ذلك، ولو لم يشتهر من ذلك إلا تأمير معاذ بن جبل وأمره له وقوله له: إنك تقدم على قوم أهل كتاب فأعلمهم أن الله فرض عليهم... إلخ.

والأخبار طافحة بأن أهل كل بلد منهم كانوا يتحاكمون إلى الذي أمر عليهم، ويقبلون خبره، ويعتمدون عليه من غير التفات إلى قرينته، وفي أحاديث هذا الباب كثير من ذلك.

واحتج بعض الأئمة بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٦٧]. مع أنه كان رسولاً إلى الناس كافة، ويجب عليه تبليغهم، فلو كان خبر الواحد غير مقبول لتعذر إبلاغ الشريعة إلى الكل ضرورة؛ لتعذر خطاب جميع الناس شفاهاً، وكذا تعذر إرسال عدد التواتر إليهم وهو مسلك جيد ينضم إلى ما احتج به الشافعي ثم البخاري، واحتج من ردَّ خبر الواحد بتوقيفه ﷺ في قبول خبر ذي اليمين ولا حجة فيه؛ لأنه عارض

عِلْمَهُ، «وَكُلَّ خَبَرٍ وَاحِدٍ إِذَا عَارَضَ الْعِلْمَ لَمْ يَقْبَلْ»، وَبِتَوْقُفِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي حَدِيثِي الْمُغْيِرَةِ «فِي الْجَدَّةِ وَفِي مِيرَاثِ الْجَنِينِ» حَتَّى شَهِدَ بِهِمَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَبِتَوْقُفِ عُمَرَ فِي خَبَرِ أَبِي مُوسَى فِي الْإِسْتِذَانِ حَتَّى شَهِدَ أَبُو سَعِيدٍ، وَبِتَوْقُفِ عَائِشَةَ فِي خَبَرِ ابْنِ عُمَرَ «فِي تَعْذِيبِ الْمَيْتِ بِنَاءِ الْحَيِّ».

وَأُجِيبَ: بِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ مِنْهُمْ إِمَّا عِنْدَ الْإِرْتِيَابِ كَمَا فِي قِصَّةِ أَبِي مُوسَى، فَإِنَّهُ أَوْرَدَ الْخَبَرَ عِنْدَ إِنْكَارِ عُمَرَ عَلَيْهِ رُجُوعَهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ وَتَوَعَّدَهُ فَأَرَادَ عُمَرُ الْإِسْتِثْنَاتِ خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ دَفَعَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ، وَقَدْ أَوْضَحْتُ ذَلِكَ بِدَلَالَتِهِ فِي «كِتَابِ الْإِسْتِذَانِ» وَأَمَّا عِنْدَ مُعَارَضَةِ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ كَمَا فِي إِنْكَارِ عَائِشَةَ حَيْثُ اسْتَدَلَّتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْزِرُوا زِينَةَ﴾ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَصِحُّ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِهِ مَنْ يَقُولُ: لَا بُدَّ مِنَ اثْنَيْنِ عَنْ اثْنَيْنِ، وَإِلَّا فَمَنْ يَشْتَرِطُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَجَمِيعُ مَا ذُكِرَ قَبْلَ عَائِشَةَ حُجَّةٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ قَبِلُوا الْخَبَرَ مِنْ اثْنَيْنِ فَقَطْ، وَلَا يَصِلُ ذَلِكَ إِلَى التَّوَاتُرِ، وَالْأَصْلُ عَدَمُ وُجُودِ الْقَرِينَةِ؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ مَوْجُودَةً مَا احتِجَّ إِلَى الثَّانِي، وَقَدْ قَبِلَ أَبُو بَكْرٍ خَبَرَ عَائِشَةَ فِي أَنَّ «النَّبِيَّ ﷺ مَاتَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ» وَقَبِلَ عُمَرُ خَبَرَ عُمَرَ بْنِ حَزْمٍ فِي أَنَّ «دِيَةَ الْأَصَابِعِ سَوَاءٌ» وَقَبِلَ خَبَرَ الضُّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ فِي «تَوْرِثِ الْمَرْأَةِ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا»، وَقَبِلَ خَبَرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي «أَمْرِ الطَّاعُونَ، وَفِي أَخْذِ الْجَزْيَةِ مِنَ الْمَجُوسِ»، وَقَبِلَ خَبَرَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي «الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَيْنِ»، وَقَبِلَ عُثْمَانُ خَبَرَ الْفَرِيعَةِ بِنْتِ سِنَانٍ أُخْتِ أَبِي سَعِيدٍ فِي «إِقَامَةِ الْمُعْتَدَةِ عَنِ الْوَفَاةِ فِي بَيْتِهَا» إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْ حَيْثُ النَّظَرِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ بَعَثَ لِتَلْيِيقِ الْأَحْكَامِ وَصِدْقِ خَبَرِ الْوَاحِدِ مُمَكِّنٌ، فَيَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ احتِطَاءً، وَأَنَّ إِصَابَةَ الظَّنِّ بِخَبَرِ الصَّدُوقِ غَالِيَةٌ، وَوُقُوعُ الْخَطَا فِيهِ نَادِرٌ فَلَا تُرِكَ الْمَصْلَحَةُ الْغَالِيَةُ خَشْيَةَ الْمَفْسَدَةِ النَّادِرَةِ، وَأَنَّ مَبْنَى الْأَحْكَامِ عَلَى الْعَمَلِ بِالشَّهَادَةِ وَهِيَ لَا تُفِيدُ الْقَطْعَ بِمُجَرَّدِهَا، وَقَدْ رَدَّ بَعْضُ مَنْ قَبِلَ خَبَرَ الْوَاحِدِ مَا كَانَ مِنْهُ زَائِدًا عَلَى الْقُرْآنِ، وَتُعَقَّبُ بِأَنَّهُمْ قَبِلُوهُ فِي وُجُوبِ غَسْلِ الْمَرْفِقِ فِي الْوُضُوءِ؛ وَهُوَ زَائِدٌ، وَحُصُولُ عُمُومِهِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ كِنَصَابِ السَّرِقَةِ، وَرَدُّهُ بَعْضُهُمْ بِمَا تَعُمُّ بِهِ الْبَلَاوَى وَفَسَّرُوا ذَلِكَ بِمَا يَتَكَرَّرُ، وَتُعَقَّبُ بِأَنَّهُمْ عَمِلُوا بِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، كَلَيْجَابِ الْوُضُوءِ بِالْفَهْقَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَبِالْقِيَاءِ وَالرَّعَافِ، وَكُلُّ هَذَا مَبْسُوطٌ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ، اِكْتَفَيْتُ هُنَا بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ. وَجُمْلَةُ مَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ هُنَا اثْنَانِ وَعِشْرُونَ حَدِيثًا. اهـ

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ الْحَوَرِثِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبِيَّةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرَنَا، قَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُّوهُمْ - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤْمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»^(١).

❖ هذا الحديث يَقُولُ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ»؛ يَعْنِي: فِي عَامِ الْوُفُودِ، وَنَحْنُ شَبِيَّةٌ مُتَقَارِبُونَ؛ يَعْنِي: شَبَابًا، وَالشَّبَابُ إِلَى سَنِّ الثَّلَاثِينَ، وَمِنْهَا إِلَى الْأَرْبَعِينَ: كَهْلٌ.

❖ يَقُولُ: «فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً». أَقَامُوا عِنْدَهُ يَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ، مِنْ قَوْلِهِ، وَفَعْلِهِ، وَإِقْرَارِهِ، وَلَيْسَتْ إِقَامَةٌ نَزْهَةً، وَلَكِنَّهَا إِقَامَةٌ عِلْمٍ.

❖ يَقُولُ: «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَفِيقًا»، وَرَفِيقًا مِنَ الرَّفْقِ، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ لِيَنْبَغِي عَلَيْهَا مَا بَعْدَهَا؛ وَهِيَ قَوْلُهُ: فَلَمَّا ظَنَّ أَنَا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، سَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرَنَا؛ يَعْنِي: تَرَكْنَا الْأُمَّ، الْوَلَدَ، الْبَنْتَ، الزَّوْجَةَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَقَالَ ﷺ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ» فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ مَعَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا لِلْعِلْمِ.

وهذا الحديث فِيهِ فَوَائِدُ، مِنْهَا: أَنَّ الْوَافِدَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ الْمَوْفُودِ إِلَيْهِ مَدَّةً يَسْتَفِيدُ مِنْهَا، فَلَا يَكْفِي الْيَوْمَانِ وَالثَّلَاثَةُ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُقِيمَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَسْتَفِيدَ مِنَ الْوَفَادَةِ.

وَمِنْ فَوَائِدِهِ: هَذَا الْخُلُقُ الْعَظِيمُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وَهُوَ أَنَّهُ رَفِيقٌ بِأَمَّتِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ يُعْطِي بِالرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ»^(٢).

وَمِنْهَا: الْعَمَلُ بِالظَّنِّ؛ لِقَوْلِهِ: فَلَمَّا ظَنَّ أَنَا قَدْ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا. وَهَذَا مِمَّا تَوَافَرَتْ فِيهِ الْأَدَلَةُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى الْعَمَلِ بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ لَهُ مِنْ قَرَائِنٍ تُؤَيِّدُهُ^(٣).

وَمِنْهَا: عَنَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِأَمَّتِهِ، وَأَصْحَابِهِ حَيْثُ سَأَلَهُمْ مِنْ تَرْكُوا بَعْدَهُمْ.

(١) رواه مسلم (١/٤٦٥) (٦٧٤) (٦٩٢).

(٢) رواه مسلم (٤/٢٠٠٣) (٢٥٩٣) (٧٧).

(٣) تقدم بحث هذه المسألة في كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله قريباً.

ومنها: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ أَهْلِهِ، إِلَّا إِذَا دَعَتِ الْحَاجَةُ إِلَى سَفَرِهِ عَنْهُمْ؛ لِقَوْلِهِ: ازْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ.

ومنها أَيْضًا: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ فِي أَهْلِهِ أَنْ يَعْلَمَهُمْ حَسَبَ مَا تَحْتَمَلُهُ عَقُولُهُمْ، فَالْصَغَارُ لَهُمْ طَرِيقَةٌ فِي التَّعْلِيمِ، وَالْكِبَارُ لَهُمْ طَرِيقَةٌ؛ لِقَوْلِهِ: عَلِّمُوهُمْ.

ومنها: أَنَّ لِلْإِنْسَانِ سُلْطَةً عَلَى أَهْلِهِ فِي الْأَمْرِ مِنْ قَوْلِهِ: وَمُرُّوهُمْ. وَقَالَ: «وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا». «أَوْ» هَذِهِ لِلتَّنَوُّعِ؛ يَعْنِي: بَعْضُهَا أَحْفَظُهَا، وَبَعْضُهَا لَا أَحْفَظُهَا.

ومنها: الْأَمْرُ بِأَنْ تُصَلِّيَ كَمَا صَلَّيْتُ؛ لِقَوْلِهِ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلِّي». وَالتَّشْبِيهُ هُنَا عَائِدٌ عَلَى الْكَيْفِيَّةِ، وَلَيْسَ عَائِدًا عَلَى الْعَدَدِ، وَبِهِ يُبَيِّنُ ضَعْفُ مَنْ اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَزَادُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةِ رَكْعَةٍ أَوْ ثَلَاثَ عَشْرَةِ رَكْعَةٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَا تَعْلَمُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ كَمَا عَدَدَ صَلَاتِهِ فِي اللَّيْلِ، وَإِنَّمَا يُشَاهِدُونَ كَيْفِيَّةَ صَلَاتِهِ، فَالتَّشْبِيهُ هُنَا عَائِدٌ عَلَى الْكَيْفِيَّةِ، ثُمَّ هَذَا الْأَمْرُ بِحَسَبِ الْمَأْمُورِ؛ قَدْ يَكُونُ لِلْوُجُوبِ، وَقَدْ يَكُونُ لِلِاسْتِحْبَابِ، فَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الصَّلَاةِ وَاجِبًا فَلِإِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ وَاجِبٌ، وَمَا كَانَ مُسْتَحَبًّا فَهُوَ مُسْتَحَبٌّ.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الْأَذَانَ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ حُلُولِ الصَّلَاةِ وَقْتًا وَفَعْلًا، فَيُؤَذَّنُ إِذَا دَخَلَ الْوَقْتُ؛ لِأَنَّهَا حَضَرَتْ، وَإِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ مِمَّا يُسَنُّ تَأْخِيرُهَا، فَإِنَّهُ يُؤَذَّنُ لَهَا عِنْدَ إِرَادَةِ فَعْلِهَا بَعْدَ دُخُولِ الْوَقْتِ وَإِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ فَعِلَتْ بَعْدَ الْوَقْتِ لَعَذْرِ؛ فَإِنَّهَا قَدْ حَضَرَتْ، فَيُؤَذَّنُ لَهَا، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ:

الْأُولَى: مَا يُسَنُّ تَقْدِيمُهُ مِنَ الصَّلَوَاتِ فَيُؤَذَّنُ لَهُ عِنْدَ دُخُولِ الْوَقْتِ.

وَالثَّانِيَّةُ: مَا يُسَنُّ تَأْخِيرُهُ فِي وَقْتِهِ، يُؤَذَّنُ لَهُ عِنْدَ فَعْلِهِ.

وَالثَّالِثَةُ: مَا كَانَ مَقْضِيًّا؛ أَي: بَعْدَ الْوَقْتِ، فَإِنَّهُ يُؤَذَّنُ لَهُ أَيْضًا عِنْدَ فَعْلِهِ، وَكُلُّ هَذَا لَهُ أَدْلَةٌ مِنَ السَّنَةِ.

* أَمَّا الْأَوَّلُ: فَقَدْ كَانَ بَلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُؤَذِّنُ فِي الْمَدِينَةِ إِذَا دَخَلَ الْوَقْتُ ^(١)، وَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ

أَذَّنَ ^(٢)، وَإِذَا غَرُبَتِ الشَّمْسُ أَذَّنَ، وَهَكَذَا.

(١) وَذَلِكَ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣١)، وَمُسْلِمٌ (٦٧٤) مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَالِكِ بْنِ الْحَوِيثِ: «إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ».

(٢) ذَلِكَ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٢٢)، وَمُسْلِمٌ (١٠٩٢) مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ: «إِنْ بَلَالَ لَا يُؤَذِّنُ بِالْبَلِيلِ، فَكَلِّمُوا

* وأما الثاني: فدلِيلُهُ مَا ثَبِتَ فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ فَقَامَ بِلَالٌ لِيُؤَذِّنَ فَقَالَ: «أَبْرَدُ». ثُمَّ قَامَ لِيُؤَذِّنَ، فَقَالَ: «أَبْرَدُ». فَلَمَّا رَأَوْا فِيءَ التَّلَوْلِ أَوْ حَتَّى إِذَا سَاوَى التَّلُّ فَيَأْهُ أَمْرُهُ فَأَذَّنَ^(١).

* وَأَمَّا الثَّلَاثُ: فَحَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ فِي نَوْمِهِمْ عَنْ صَلَاةِ الصَّبْحِ، فَإِنَّهُمْ حِينَ اسْتَيْقَظُوا مِنَ الشَّمْسِ، وَتَرَكُوا مَكَانَهُمْ نَزَلُوا، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ^(٢). وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ تَحْتَ قَوْلِهِ: «إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ». وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الْأَذَانَ قَبْلَ الْوَقْتِ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَحْضُرُ قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِهَا.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الْأَذَانَ فَرَضٌ كِفَايَةٌ، وَلَيْسَ فَرَضٌ عَيْنٌ؛ لِقَوْلِهِ: «فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ». وَهَذَا شَيْءٌ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ فَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يُؤَذِّنُونَ بَلِ الَّذِي يُؤَذِّنُ وَاحِدٌ. وَمِنْ فَوَائِدِ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ لَا بَدَأَ أَنْ يَرْفَعَ الْمُؤَذِّنُ صَوْتَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ مَنْ أَذَّنَ لَهُ؛ لِقَوْلِهِ: «فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ». فَلَوْ كَانَ النَّاسُ فِي نَاحِيَةٍ، وَخَفَضَ الْمُؤَذِّنُ صَوْتَهُ حَتَّى لَا يُسْمَعُ، فَإِنَّهُ لَا يُجْزِئُ، لَا بَدَأَ أَنْ يَسْمَعَ مَنْ تَحْصُلُ بِهِ الْجَمَاعَةُ.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ مُتَابَعَةَ الْمُؤَذِّنِ لَا تَجِبُ، فَيَكُونُ مُبَيَّنًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلًا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ»^(٣) وَأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ لِلْجَوَابِ، وَلَكِنَّهُ لِلْإِسْتِجَابِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ إِجَابَةُ الْمُؤَذِّنِ وَاجِبَةً لَبَلَّغَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ حِينَ قَالَ: «فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ». وَقَالَ: «وَلْيَتَابِعَهُ مِنْ سَمْعِهِ»؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ هُنَا مَقَامُ تَعْلِيمٍ؛ فَهَؤُلَاءِ وَفَدٌّ يُرِيدُونَ يَذْهَبُوا بِالشَّرِيعَةِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَمِنْ فَوَائِدِ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ مَنْ قَامَ بِالْأَذَانِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ، حَيْثُ أَذَّنَ لِإِخْوَانِهِ، وَلِنَفْسِهِ أَيْضًا، وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ فَرَضُ الْعَيْنِ أَوْ فَرَضُ الْكِفَايَةِ؟^(٤).

وَالصَّحِيحُ: أَنَّ فَرَضَ الْعَيْنِ أَفْضَلُ؛ وَلِهَذَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَهُوَ أَفْضَلُ وَأَجَبُ إِلَى اللَّهِ.

واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم

(١) رواه البخاري (٥٣٩)، ومسلم (٤٣١/١) (٦١٦) (١٨٤).

(٢) رواه مسلم (٤٧٢/١) (٦٨١) (٣١١).

(٣) رواه البخاري (٦١١)، ومسلم (٢٨٨/١) (٣٨٣) (١٠).

(٤) انظر: «القواعد والفوائد الأصولية» (١/١٨٨)، و«التمهيد» (١/٧٥).

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب صلاة الجماعة؛ لقوله: «وَلْيُؤْمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ». ولا إمامة إلا بجماعة، فإذا كانت الإمامة واجبة، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.
ومن فوائد هذا الحديث: تقديم الأكبر في الإمامة، لكن ما لم يعارضه وصف أهم، فالأكبر وصف مرجح، ولكن إذا عورض بوصف أهم، صار مرجوحاً، الوصف الأهم ما ثبت عن النبي ﷺ في قوله: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمُ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هَجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهَجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا» أو قال: سِنًا^(١).

فإذا قال قائل: لماذا لم يبين في هذا الحديث، وأنتم تقولون إن البيان في هذا الموضع مهم؛ لأن هؤلاء وفد سيذهبون بالسرعة؟
قلنا: لأنهم كانوا كما قال مالك: شَبَبَةٌ مُتَقَارِبِينَ. وكان علمهم متقارباً؛ لأنهم جاءوا جميعاً، ورجعوا جميعاً، فكان النبي ﷺ علماً بأنهم متساوون، أو متقاربون في القراءة والسنة، فقال: «وَلْيُؤْمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ».

وفي هذا: إشارة إلى مكان الإمام وأنه يكون أمام الناس؛ لأن الإمام لا بد له من تقدم، حتى يكون إماماً يقتدى به، ويُسْتَنَى من ذلك ما إذا كانوا اثنين، فإن الإمام يكون مع المأموم، وذلك لوجوب المصافقة؛ لأنه لا جماعة إلا باجتماع، فإذا كانوا اثنين وتقدم واحد وتأخر واحد، فهل في هذا اجتماع؟

الجواب: لا. وإذا كانوا جميعاً اثنين، فإنها يتساويان في الصف، خلافاً لمن استحَبَّ أن يتقدم الإمام شيئاً يسيراً، فإن هذا خلاف السنة، والسنة هي تسوية الصفوف.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٧- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ أَذَانُ بِلَالٍ مِنْ سَحُورِهِ؛ فَإِنَّهُ يُؤَذِّنُ - أَوْ قَالَ يُنَادِي - بَلِيلٍ لِيَرْجِعَ قَائِمَكُمْ وَيُنَبِّهَ نَائِمَكُمْ، وَلَيْسَ الْفَجْرُ أَنْ يَقُولَ هَكَذَا. وَجَمَعَ يَحْيَى كَفَيْهِ حَتَّى يَقُولَ

هَكَذَا، وَمَدَّ يَحْيَىٰ إِصْبَعِيهِ السَّبَابَتَيْنِ ^(١).

الشاهد من هذا: أن الرسول ﷺ اعتبر خبر الواحد؛ لأنه قال ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ أَذَانُ بِلَالٍ مِنْ سَحُورِهِ». فدل ذلك على أن المؤذن يُقْبَلُ قوله، فيُمنَعُ من السحور أو لا يُمنَعُ. وفي هذا الحديث: دليلٌ على ردِّ قول بعض العلماء: إن صلاة الفجر يُؤَدَّنُ لها قبل الوقت، كما أن ذلك في الحديث الأول أيضًا؛ وهو الحديث الذي قبل حديث مالك؛ لأن النبي ﷺ بين الحكمة من أذان بلال وقال: «لِيُرْجَعَ قَائِمُكُمْ، وَيُنْبَهَ نَائِمُكُمْ»، فليس هو لصلاة الفجر، بل هو لهذا الغرض.

وفيه: دليلٌ أيضًا على خطأ من فهم من قول الرسول ﷺ لبلال: «إِذَا أَذَنْتَ أَذَانَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ فَقُلْ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ» ^(٢) حيث إن قوله: «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ» إنما تُقَالُ في الأذان الذي في آخر الليل؛ لأننا نقول: هذا ليس أذانًا لصلاة الصبح، هذا أذانٌ لإرجاع القائم وتببيه النائِم، قالوا: وَيَدُلُّ لِقَوْلِنَا أَنَّهُ قَالَ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ، والخيرية في المستحب.

فهؤلاء نقول لهم: هذا خطأ وجهلٌ، فالخيرية جاءت بأصل الإيمان، وفرائض الإسلام، قال الله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُمْسِكُونَ بِنِيعَةِ اللَّهِ فَيَكُونُ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ذِكْرًا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [الفتح: ١١]. وذلك المشار إليه هو الإيمان والجهاد، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعْتُمْ فَاصْلَوْا مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [الجمعة: ٩]. وهي فريضة من فرائض الإسلام.

فلهذا لا شك أن هذا القول خطأ؛ أي: قولهم: إن الذي يُشْرَعُ فيه قول: الصلاة خيرٌ من النوم. هو الأذان الذي في آخر الليل، وليس لهم دليلٌ إلا أنهم قالوا: الأذان الأول. ولكن الأذان الأول هو الذي ثانيه الإقامة، فإن الإقامة يُطْلَقُ عليها الأذان كما في الحديث: «بين كل أذنين صلاة» ^(٣). وكما في صحيح البخاري قال: «فَرَادَ عَثْمَانُ الْأَذَانَ الثَّلَاثَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ» ^(٤).

(١) رواه مسلم (٧٦٨/٢) (١٠٩٣) (٣٩).

(٢) رواه أحمد (٤٠٨/٣) (١٥٣٧٩)، وأبو داود (٥٠٠)، وابن حبان (١٦٨٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٣) رواه البخاري (٦٢٤)، ومسلم (٥٧٣/١) (٨٣٨) (٣٠٤).

(٤) رواه البخاري (٩١٣).

ومعلومٌ أن يومَ الجمعةِ ليس فيها ثلاثُ أذاناتٍ، بل فيه أذانانِ وإقامةٌ.

مسألة: السؤال عن أذان آخر الليل قبل دخول وقت الفجر؟

الجواب: ظاهرُ السنةِ في هذا الأذانِ أنه في رمضانَ فقط، ولكن ذهب بعضُ العلماءِ إلى أنه

يُشرعُ حتى في غير رمضانَ؛ لأن الرسولَ ﷺ علَّلَ بعَليَينِ:

الأولى: إرجاعُ القائمِ^(١).

والثانية: تنبيهُ النَّائمِ. وهذا يَكُونُ في كُلِّ ليلةٍ لمن أراد أن يَصُومَ، ومَن لم يَصُمْ ففيه التنبيهُ؛

أي: تنبيهُ النَّائمِ.

ومن المعلوم أن هناك فجرين: فجرًا صادقًا، وفجرًا كاذبًا، وبينهما ثلاثة فروق:

الفرق الأول: أن الفجرَ الصادقَ يَتَسَّعُ شمالًا وجنوبًا، والكاذبُ يَذْهَبُ مستطيلًا في الأفقِ

طولًا من الشرقِ إلى الغربِ، وذاك من الجنوبِ إلى الشمالِ، فالصادقُ مستطيرٌ، والكاذبُ مستطيلٌ.

الفرق الثاني: أن الفجرَ الكاذبَ بينه وبين الأفقِ ظلمةٌ؛ يعني: النورُ فيه لا يَتَّصِلُ بالأفقِ،

والصادقُ يَتَّصِلُ بالأفقِ.

الفرق الثالث: أن الكاذبَ يَزُولُ وَيَحْدُثُ بعده ظلمةٌ، ولهذا سُمِّيَ كاذبًا والصادقُ لا

يَزُولُ، بل لا يَزَالُ يَزْدَادُ ضياءً حتى تَطْلُعَ الشمسُ.

فإذا قَالَ قائلٌ: هل يُسْتَدَلُّ بهذا الحديثِ على أن قيامَ الليلِ يَتَّهِى بالأذانِ الذي في آخرِ الليلِ؟

الجواب: أنه لا يَدُلُّ على هذا، ولكن يَدُلُّ على أنه يَنْبَغِي تأخيرُ السحورِ بعدَ القيامِ، وأن

الأفضلَ لمن أرادَ أن يَصُومَ أن يَكْفَ عن القيامِ من أجلِ السحورِ، والراجحُ في قيامِ الليلِ أنه

يَتَّهِى إلى الفجرِ، لكنَّ الأفضلَ منه ثلثُ الليلِ بعدَ النصفِ، فينَامُ النصفَ الأولَ، ثم يَقُومُ

الثلثَ، ثم يَنَامُ السُّدُسَ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٤٨ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ،

قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ بِلَا لَا يُنَادِي بِلَيْلٍ

(١) انظر: «المبدع» لابن مفلح (١/٣٢٥).

فَكُلُّوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ^(١).

هذا الحديث: كالأول، إلا أنه أَصْرَحُ في أن أذان المؤذن يَجِبُ العملُ به في الامتناع عن الأكل والشرب، وكان ابنُ أمِّ مكتومٍ رجلاً أَعْمَى لا يُؤدُّنُ حتى يُقالَ له: أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ^(٢)، ثم يَقُومُ فَيُؤدِّنُ.

وفي هذا: دليلٌ على خطأ اجتِهَادِ بعضِ الناسِ الْمُتَعَمِّقِينَ الْمُتَنَطِّعِينَ الَّذِينَ يُؤدِّنُونَ في رمضانَ للفجرِ قَبْلَ دخولِ الوقتِ، زَعَمُوا أن ذلك حَمايَةُ للصومِ، واحتياطٌ للصومِ، وهذا ليس احتياطاً للصومِ، فالمشروعُ في الصومِ أن تَسَحَّرَ إلى طلوعِ الفجرِ.

ثم على زَعَمِكَ أنه احتياطٌ للصومِ، ففيه تَفْرِيطٌ في الصلاة؛ لأن من سَمِعَ النداءَ فربما يَقُومُ فَيُصَلِّي، فيَكُونُ قَدِ صَلَّى قَبْلَ الوقتِ، ثم إن فيه جَنَايَةً على عبادِ الله؛ لأنك تَمْنَعُهُمْ مما أَحَلَّ اللهُ لهم إلى الفجرِ، فإن أكثرَ الناسِ إذا سَمِعُوا النداءَ أَمْسَكُوا، بل رأيتُ في بعضِ التقاويمِ يُكْتَبُ الوقتُ كذا للإمساكِ، وكذا طلوعُ الفجرِ، ويُجْعَلُ بين الإمساكِ وطلوعِ الفجرِ خمسُ دقائق، أو نحوها، وهذا لا شكَّ أنه من المضاةَدةِ لحكمِ الله، فكيف يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْفَجْرُ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وأنت تقولُ: كُلْ وَاشْرَبْ حَتَّى يَنْقُيَ خَمْسُ دقائق، ونحوها؟ ولكن هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٢٤٩ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ الْحَكَمِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: صَلَّى بِنَا النَّبِيِّ ﷺ الظُّهْرَ خَمْسًا، فَقِيلَ: أَرِيدَ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ» قَالُوا: صَلَّيْتَ خَمْسًا. فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ مَا سَلَّمَ^(٣).

فَهنا كلمة «قَالُوا» يُحْتَمَلُ أن القائلَ واحدٌ، ويُحْتَمَلُ أنه أكثرُ فليس في الحديثِ ما يَدُلُّ على قبولِ خبرِ الواحدِ في مثلِ هذه المسألة.



(١) رواه مسلم (٧٦٨/٢) (١٠٩٢) (٣٦).

(٢) رواه البخاري (٦١٧).

(٣) رواه مسلم (٤٠١/١) (٥٧٢) (٩١).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٢٥٠ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنْصَرَفَ مِنْ اثْنَتَيْنِ، فَقَالَ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ: أَقْصَرْتَ الصَّلَاةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ نَسِيتَ؟ فَقَالَ: «أَصَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ»، فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ أُخْرَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ، ثُمَّ سَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ، ثُمَّ كَبَّرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ ثُمَّ رَفَعَ^(١).

هنا استدلل بعض العلماء؛ أي: بهذا الحديث على أنه لا يُرْجَعُ إلى قول الواحد؛ لأن النبي ﷺ لم يَرْجِعْ إلى قول ذي اليدين حتى سأل الصحابة^(٢)، ولكن لا دليل فيه؛ لأن عند النبي ﷺ يقيناً -في ظنه- أنه لم يُنْقَضْ، ودليل ذلك أنه لما قال له ذو اليدين: أنسيت أم قُصِرْتَ الصلاة؟ قال: لم أنس ولم تُقْصِرْ.

وهذا يدل على أن عنده يقيناً في أنه لم ينس، فإذا كان عند الإنسان يقيناً، وحديثه أحدٌ بخلاف يقينه، فلا بد من مُرْجِعٍ، فلهذا سأل الصحابة، فلما وافقوا ذا اليدين أتم الصلاة. وفي هذا الحديث: أن سجود السهو يكون بعد السلام؛ لأن هذه زيادة، وسجود السهو إنما يكون في الزيادة بعد السلام.

فلو قال قائل: هذه ليست زيادة، بل هي نقص؟

قلنا: بل هي زيادة؛ لأن الإنسان سلم؛ أي: أتى بركن في غير محله، وعليه فيكون مطابقاً لما دل عليه حديث ابن مسعود الذي قبله، بأن سجود السهو للزيادة يكون بعد السلام. وهناك أيضاً مسألة أخرى يكون سجود السهو فيها بعد السلام: وهي ما إذا شك في عدد الركعات، وترجع عنده أحد الأمرين، فإنه يأخذ بالراجح ويتم عليه، ويسجد بعد السلام، كما لو شك هل صلى ثلاثاً أم اثنتين، وترجع عنده أنها اثنتان، فإنه يكمل على الثنتين ويسلم، ويسجد بعد السلام.

أما الذي قبل السلام ففي موضعين:

الموضع الأول: إذا نقص واجب من واجبات الصلاة، أو شك مع التردد وعدم

(١) رواه مسلم (٤٠٣/١) (٥٧٣) (٩٧).

(٢) انظر: «الأحكام للأمدى» (٧٩/٢)، و«المحصول» (٦٠١/٤)، و«المستصفى» (١٢٢/١)، و«روضة الناظر» (١١٠/١).

الترجيح، فإذا نقص واجبٌ من واجبات الصلاة كالشهاد الأول، أو قول سبحان ربِّي الأعلى فإن صلاته صحيحةٌ، ويسجد قبل السلام.

والموضع الثاني: إذا شك مع التردد، فإنه يبني على اليقين وهو الأقل، وسجد قبل السلام. فصار السجود قبل السلام في موضعين، والسجود بعد السلام في موضعين.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥١ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا وَكَانَتْ وَجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ^(١).

٧٢٥٢ - حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ الْبَرَاءِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قَدْ زَرَى نَفْلُكَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤]. فَوُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَاَنْحَرُفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ^(٢).

هذا كالأول فيه دليل على قبول خبر الواحد.

وفي هذين الحديثين: أن المسألة وقعت في قضيتين: في صلاة العصر، وفي صلاة الفجر.

أما التي في صلاة العصر: فإنهم لم يفتهم إلا صلاة واحدة فقط؛ لأن هذا الرجل صلى مع

النبي ﷺ العصر، وكانت أول صلاة صلاها إلى القبلة هي صلاة العصر.

والقضية الثانية: أن أهل قباء لم يأتهم الخبر إلا في صباح اليوم الثاني، فكانوا يصلون إلى

بيت المقدس؛ لأن النبي ﷺ أول ما قدم المدينة كان يصلّي إلى بيت المقدس؛ لقول الله

(١) رواه مسلم (٣٧٥/١) (٥٢٦) (١٣).

(٢) رواه مسلم (٣٧٤/١) (٥٢٥) (١١).

تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهِدَتْهُمْ أَقْبَدُ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وكان اليهود يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ المقدسِ، هكذا زعم بعض العلماء، ولكنَّ الصحيح أن اتجاء الأنبياء في صلاتهم إلى الكعبة، وأن الصلاة إلى بيت المقدس من تحريف اليهود، كما أن الصلاة إلى المشرق من تحريف النصارى، وإلا فإن الكعبة قبله لجميع الأنبياء، كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: ^(١) وأنها ليست قبله للمسلمين فقط.

وفي هذا: دليل على أن الإنسان إذا صَلَّى إلى غير جهة القبلة، ثم تبين له أن اتجاهه خطأ، وجب عليه أن يَنْحَرِفَ إلى الكعبة، ولا يُلْزَمُهُ إعادة الصلاة من الأول، فإذا كُنْتَ مثلاً في صحراء تُصَلِّي إلى جهة ما، ثم علمت أنك أخطأت، فإنك يجب أن تَنْحَرِفَ، لكن إذا دَخَلْتَ في مسجدنا هذا، وصَلَّيتَ إلى غير القبلة وراك أحد الناس، وقال: القبلة على يمينك، فهل تبني على ما سبق وَتَسْتَأْنِفُ الصلاة من جديد؟

الجواب: أَنَّكَ تَسْتَأْنِفُ الصلاة من جديد؛ لأنك هنا مفطرٌ، فلو تأملت بعض الشيء لعرفت القبلة.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٢٥٣ - حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَسْقِي أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَأَبِيَّ بَنَ كَعْبٍ شَرَابًا مِنْ فُضِيخٍ وَهُوَ تَمْرٌ، فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أَنَسُ قُمْ إِلَى هَذِهِ الْجِرَارِ فَانْكُسِرْهَا، قَالَ أَنَسُ: فَقُمْتُ إِلَى مِهْرَاسٍ لَنَا فَضَرَبْتُهَا بِأَسْفَلِهِ حَتَّى انكَسَرَتْ ^(١).

الشاهد من هذا الحديث: أنهم عملوا بخبر الواحد في أن الخمر قد حُرِّمَتْ، وكانت في الأول مباحةً، وقد ذكر العلماء أن الخمر لها أربع حالات: الإباحة، والتعريض بالتحريم، والتحريم في أوقات الصلاة، والتحريم المطلق ^(٢).

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ» (٢٧/ ١١).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٥٧٢) (١٩٨٠) (٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٣٦١)، و«تفسير القرطبي» (٦/ ٢٨٦).

أَمَّا الْإِبَاحَةُ: ففِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٧].

وَأَمَّا التَّعْرِيزُ بِالتَّحْرِيمِ: ففِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا اكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

وَأَمَّا التَّحْرِيمُ فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ: ففِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [البقرة: ٤٣]. أَيْ: حَتَّى يَزُولَ السُّكْرُ مِنْكُمْ.

وَأَمَّا التَّحْرِيمُ الْمَطْلُوقُ: ففِي سُورَةِ الْهَادِثَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْكَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ① إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ② [البقرة: ٩٠-٩١].

فَهَذَا عَمَلٌ هُوَ لِثَلَاثَةِ: أَبُو طَلْحَةَ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ وَأَمْرُ أَبُو طَلْحَةَ أَنْسَا أَنْ يَكْسِرَ الْجِرَارَ مِنْ بَابِ سَدِّ الدَّرَائِعِ، حَتَّى لَا تَتَعَلَّقَ النَّفْسُ بِهَذِهِ الْجِرَارِ الَّتِي تُعَدُّ لِلْخَمْرِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥٤ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صَلَّةَ، عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَهْلِ نَجْرَانَ: لَا بَعْنَ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ ①.

وهذا: يَدُلُّ عَلَى قَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥٥ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ» ②.

٧٢٥٦ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ

(١) رواه مسلم (٤/١٨٨٢) (٢٤٢٠) (٥٥).

(٢) رواه مسلم (٤/١٨٨١) (٢٤١٩) (٥٣).

حُسَيْنٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا غَابَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدَتْهُ أَتَيْتُهُ بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِذَا غِبْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدَهُ أَتَانِي بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(١).

هذا أيضًا فيه: قبول خبر الواحد؛ لأنه وقع في عهد النبي ﷺ ولم يُنكَرْ.
وفي هذا دليلٌ: على التناوب في العلم؛ يعني: أن واحدًا يُتَوَبُّ عن الآخر في حلقة من الحلقات أو في وقت من الأوقات إما في الزمان، وإما في المكان.
في الزمان: مثل أن يقول: احضر درس الشيخ في الصباح، وأنا أحضره في المساء.
وفي المكان: مثل أن يقول: احضر درس الشيخ الفلاني في المكان الفلاني، وأنا أحضر درس الشيخ الفلاني في المكان الفلاني، وكل واحد منّا يُخْبِرُ الآخر بما سمع، فالتناوب في العلم كان في عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كما كان عمرُ عاهد الرجل الأنصاري.
أما بالنسبة لتفضيل أبي عبيدة في الحديث السابق، وأنه أمين هذه الأمة، فهل يدلُّ هذا على أنه أفضل من الخلفاء الراشدين؟

الجواب: أن التفضيل نوعان: تفضيل مطلق، وتفضيل في قضية معينة.
فالتفضيل المطلق لا شك أنه للخلفاء الراشدين، وقد يمتاز بعض الناس بخصيصة لا تحضل للخلفاء الراشدين، مثل هذا الحديث، ومثل قول الرسول ﷺ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ أُعْطَاهَا عَلِيًّا» ^(٢) فالفضائل في خصيصة واحدة لا تستلزم الفضل المطلق.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٢٥٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا. فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَّرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَلُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ لِلآخَرِينَ: لَا طَاعَةَ

(١) رواه مسلم (٢/١١٠٨) (١٤٧٩) (٣١) مطوَّلًا.

(٢) تقدم تخريجه.

فِي مَعْصِيَةِ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ ^(١).

❦ قوله: «لا طاعة في المعصية» لأنهم لو فعلوا قتلوا أنفسهم، وقتل النفس معصية، وكذلك لو أمرهم بشرب خمر، أو بترك صلاة الجماعة، أو أمرهم بحلق اللحية، فكل هذا لا يجوز أن يطاع فيه؛ لأن الطاعة في المعروف فقط.

ومناسبة الحديث للباب: أن الرسول أمر عليهم رجلاً وهو واحد.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٥٨، ٧٢٥٩ - حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَزَيْدَ بْنَ خَالِدٍ، أَخْبَرَاهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ^(١).

٧٢٦٠ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْضِ لِي بَكْتَابِ اللَّهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْضِ لَهُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَذَنْ لِي فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «قُلْ». فَقَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا - وَالْعَسِيفُ: الْأَجِيرُ - فَرَنَى بِأَمْرَاتِهِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِأَتَةٍ مِنَ الْغَنَمِ وَوَلِيدَةً ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى أَمْرَاتِهِ الرَّجْمَ، وَأَنَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِبُ عَامٍ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا قُضِيَ بَيْنَكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ فَرُدُّوهَا وَأَمَّا ابْنُكَ فَعَلَيْهِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِبُ عَامٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُتَيْسُ - لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ - فَاغْدُ عَلَى أَمْرَاةٍ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمَهَا» فَغَدَا عَلَيْهَا أُتَيْسٌ فَاعْتَرَفَتْ فَارْجَمَهَا ^(١).

هذا الحديث: سبق لنا، وبيّنا أنه يدلُّ على عدم تكرار الإقرار بالزنا إذا لم يكن هناك ريبة، ووجه مناسبة للباب أنه اعتمد على رجل واحد، كما اعتمد على بعث أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل.

(١) رواه مسلم (٣/١٤٦٩) (١٨٤٠) (٣٩).

(٢) رواه مسلم (٣/١٣٢٤) (١٦٩٧، ١٦٩٨) (٢٥) مطوّلًا.

(٢) رواه مسلم (٣/١٣٢٤) (١٦٩٧، ١٦٩٨) (٢٥).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢- بَابُ بَعْثِ النَّبِيِّ ﷺ الزُّبَيْرَ طَلِيعَةً وَحَدَهُ.

٧٢٦١ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَدَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ نَدَبَهُمْ، فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فَانْتَدَبَ الزُّبَيْرُ، فَقَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ وَحَوَارِيُّ الزُّبَيْرِ»^(١). قَالَ سُفْيَانُ: حَفِظْتُهُ مِنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَقَالَ لَهُ أَيُّوبُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدَّثْتُهُمْ عَنْ جَابِرٍ فَإِنَّ الْقَوْمَ يُعْجِبُهُمْ أَنْ تُحَدِّثَهُمْ عَنْ جَابِرٍ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ: سَمِعْتُ جَابِرًا فَتَتَابَعُ بَيْنَ أَحَادِيثَ: سَمِعْتُ جَابِرًا، قُلْتُ لِسُفْيَانَ: فَإِنَّ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: يَوْمَ قُرَيْظَةَ، فَقَالَ: كَذَا حَفِظْتُهُ مِنْهُ كَمَا أَنَّكَ جَالِسٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ. قَالَ سُفْيَانُ: هُوَ يَوْمٌ وَاحِدٌ، وَتَبَسَّمَ سُفْيَانُ.

الشاهد قوله: انتدب الزبير، وهو واحد، ورضيه النبي ﷺ أن يأتي بخبر القوم. ويوم الخندق أو يوم قريظة، يعبر ببعضهما عن بعض؛ لأن قريظة متصلة بالخندق، فإن الرسول ﷺ لما رجع من الخندق ووضع لأمته، جاءه جبريل وأمره أن يخرج إلى بني قريظة^(٢).



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الاحزاب: ٥٣]. فَإِذَا أُذِنَ

وَاحِدٌ جَازٍ.

٧٢٦٢ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي عُمَرَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطًا، وَأَمَرَنِي بِحِفْظِ الْبَابِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُ فَقَالَ: «أُذِّنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: «أُذِّنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَقَالَ: «أُذِّنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»^(١).

٧٢٦٣ - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ

(١) رواه مسلم (٤/١٨٧٩) (٢٤١٥) (٤٨).

(٢) رواه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (٣/١٣٨٩) (١٧٦٩) (٦٥).

(٣) رواه مسلم (٤/١٨٦٧) (٢٤٠٣) (٢٨).

حُنَيْنٍ، سَمِعَ ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ، وَغُلَامٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْوَدُ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ: قُلْ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَذِنَ لِي ^(١).

مع أن البيت يكون فيه الأهل، ويكون فيه الأموال، ومع ذلك يقبل فيه الرجل الواحد إذا أذن له.
فإذا قال قائل: هل قول البخاري: رجل المقصود به البالغ؟
الجواب: لا، ما أراد هذا، فلو أذن له واحد جاز وما عندنا رجل.
والمرد بالحائط البستان الذي عليه حائط.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٤- باب مَا كَانَ يَبْعَثُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ.
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ دُخِيَةَ الْكَلْبِيِّ بِكِتَابِهِ إِلَى عَظِيمٍ بَصْرِيٍّ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى قَبْصَرٍ ^(٢).



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٢٦٤- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ يَدْفَعُهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ كِسْرَى مَزَقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ.
فَمَزَّقُوا - والله الحمد - كُلُّ مُمَزَّقٍ.



(١) رواه مسلم (١١٠٦/٢) (١٤٧٩) (٣٠).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٢٤١/١٣) وأسنده المصنف في العلم باب (٣٨) حديث (٥١) مختصراً وعدة مواضع عنه من حديث عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس.
وانظر: «تغليق التعليق» (٣١٧/٥).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٢٦٥ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ، حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَسْلَمَ: أَذْنٌ فِي قَوْمِكَ أَوْ فِي النَّاسِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ أَنْ مَنْ أَكَلَ فَلَيْتُمْ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أَكَلَ فَلْيَصُمْ^(١).
الشاهد من الحديث قوله: لرجل من أَسْلَمَ أذن في قومك.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥ - بَابُ وَصَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَفُودِ الْعَرَبِ أَنْ يُبَلِّغُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ قَالَهُ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ^(٢).

٧٢٦٦ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ح، وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُقْعِدُنِي عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ الْوَفْدُ». قَالُوا: رَبِيعَةٌ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ وَالْقَوْمِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارٌ مُضَرٌّ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ وَنُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، فَسَأَلُوا عَنِ الْأَشْرِبَةِ فَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، وَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ.

أَمَرَهُمْ: بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَظْنُ فِيهِ صِيَامُ رَمَضَانَ، وَتَوَاتُوا مِنَ الْمَغَانِمِ الْخُمْسَ وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُرْقَفِ، وَالتَّقِيرِ، وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقْبِرُ قَالَ: أَحْفَظُوهُمْ وَأَبْلِغُوهُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ»^(٣).

في هذا الحديث: دليل على أن الأعمال من الإيمان؛ لأن النبي ﷺ قال: «أتدرون ما الإيمان؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله... إلى آخره.

(١) إرواه مسلم (٧٩٨/٢) (١١٣٥) (١٣٥).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٢٤٢/١٣). وأسنده المؤلف في الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كان جماعة والإقامة (٦٣٠) مختصراً، و(٦٣١) مطوَّلاً، وفي عدة مواطن أخرى. وانظر: «تغليق التعليق» (٣١٨/٥).

(٣) إرواه مسلم (٤٦/١) (١٧) (٢٣).

وَلْيُعْلَمَ أَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَشْمَلُ الْإِيمَانَ فِي الْقَلْبِ، وَالْأَعْمَالَ فِي الْجَوَارِحِ، وَالْإِسْلَامَ كَذَلِكَ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [التَّوْبَةُ: ٣]. فَهَذَا يَشْمَلُ كُلَّ الْإِسْلَامِ.

وَأَمَّا إِذَا قُرِنَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ فِي الْقَلْبِ، وَالْإِسْلَامَ فِي الْجَوَارِحِ؛ فَالْإِيمَانُ سِرٌّ، وَالْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الْعَنَقَبُوتُ: ١-٢]. فَقَوْلُهُ: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عَطْفٌ عَلَى الْإِيمَانِ وَلَيْسَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْمَغَايِرِ عَلَى غَيْرِهِ. فَالْإِيمَانُ فِي الْآيَةِ بِالْقَلْبِ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ بِالْجَوَارِحِ.

وَمِنْهُ: حَدِيثُ جَبْرِيلَ حَيْثُ فَرَّقَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: قَرَنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ اللَّهِ بِالْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ». وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْحَكَمَ حَكْمٌ شَرْعِيٌّ، وَعِلْمُ الرَّسُولِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﷻ وَمِنْهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٥٩]. لِأَنَّ هَذَا الْإِتْيَانُ إِتْيَانٌ شَرْعِيٌّ، وَشَرَعُ الرَّسُولِ مِنْ شَرَعِ اللَّهِ ﷻ.

أَمَّا الْأُمُورُ الْكُونِيَّةُ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَرَّنَ فِيهَا اسْمُ الرَّسُولِ بِاسْمِ اللَّهِ بِالْوَاوِ، مِثْلُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَلَوْلَا اللَّهُ وَأَنْتَ؛ لِأَنَّ مَقَامَ الرُّبُوبِيَّةِ غَيْرُ مَقَامِ الْعِبَادَةِ، فَالرَّسُولُ ﷺ مَشْرَعٌ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَشْرَعٌ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مَدَبِّرًا لِلْكُونِ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَدَبِّرٌ، فَهَذَا وَجْهُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْأُمُورِ الْكُونِيَّةِ وَالْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى التَّرْحِيبِ بِالْوَفْدِ؛ لِقَوْلِهِ: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ وَالْقَوْمِ غَيْرِ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى» وَهَذَا مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ، أَنْ يُرَحَّبَ الْإِنْسَانُ بِالْوَافِدِينَ إِلَيْهِ، سَوَاءً كَانُوا مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَفِيهِ: النَّهْيُ عَنْ هَذِهِ الْأَوَانِي الْأَرْبَعَةِ: لَكِنَّهُ نُسِخَ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ الْإِتْبَازِ بِالْذُّبَاءِ وَمَا ذَكَرَ مَعَهَا فَاتَّبِعُوا فِيهَا شَيْئًا، غَيْرَ أَلَّا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا»^(١) وَإِنَّمَا نَهَى عَنْ هَذِهِ الْأَرْبَعِ؛ لِأَنَّهَا حَارَةٌ، فَإِذَا اتَّبَعَ فِيهَا صَارَ سَرِيعَ الْغَلِيَانِ سَرِيعَ التَّخْمِيرِ، فَقَدْ يَتَخَمَّرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ الْمَرْءُ، لَكِنَّ الرَّسُولَ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ. أَوْ فِي أَنْ تَتَّبَعَ بِهَا شَيْئًا، غَيْرَ أَلَّا تَشْرَبَ مُسْكِرًا.

والنبذ: هو أن يُجَعَلَ مع الماءِ عنبٌ - زبيبٌ -، أو تمرٌ، أو شعيرٌ، أو بُرٌّ لمدة يومٍ وليلةٍ، أو يومين فيكتسب الماءُ من طعمِ هذا الشيء الذي نبذ فيه، ويُقالُ أيضًا: إن هذا النبذَ يَمْتَصُّ ما في الماءِ من العفوناتِ أو الجراثيمِ أو ما أشبهها، ثم بعد هذا يَشْرَبُونَهُ، فيكونُ مع العنبِ ومع الزبيبِ خلواً، ويكونُ مع الشعيرِ والبرِّ له طعمه، وهو مأخوذٌ من النبذ، فنبذٌ بمعنى منبوذ.
ومعنى الـ«ح» في السند، تحويلُ السندِ من السندِ الأولِ إلى سندٍ جديدٍ آخر، وفائدته تقويةُ السندِ الأولِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦- باب خبر المرأة الواحدة.

٧٢٦٧ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ تَوْبَةَ الْعَنْبَرِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي الشَّعْبِيُّ: أَرَأَيْتَ حَدِيثَ الْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَاعَدْتُ ابْنَ عُمَرَ قَرِيبًا مِنْ سَتَتَيْنِ أَوْ سَنَةٍ وَنُصْفٍ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرَ هَذَا، قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ سَعْدٌ، فَذَهَبُوا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمٍ فَتَادَتْهُمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّهُ لَحْمٌ ضَبٌّ، فَأَمْسَكُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُوا - أَوْ اطْعَمُوا - فَإِنَّهُ حَلَالٌ - أَوْ قَالَ لَا بَأْسَ بِهِ شَكٌّ فِيهِ - وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَعَامِي»^(١).

الشاهد هنا: أن الصحابة أَمْسَكُوا بخبر المرأة وخبر المرأة في الحلال والحرام، والعلم جائزٌ ومقبولٌ.

وفي هذا الحديث: دليلٌ على أنه يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَمْتَنِعَ عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ يَشْتَهِيهِ؛ لأن الرسول ﷺ أَبَاحَ الضَّبَّ وَلَكِنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ طَعَامِي» وفي روايةٍ أخرى: «إِنَّهُ لَيْسَ فِي أَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافَهُ»^(٢). فلا يُلَامُ الْإِنْسَانُ إِذَا تَرَكَ الْمَبَاحَ؛ لِأَن نَفْسَهُ لَا تَشْتَهِيهِ. ومن ذلك: إِذَا وَقَعَ الذَّبَابُ فِي الشَّرَابِ، وَغَمَسَهُ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهُ، فَإِنْ بَعْضُ النَّاسِ لَا تَقْبَلُهُ نَفْسُهُ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَشْرَبْهُ.

(١) رواه مسلم (٣/١٥٤٢) (١٩٤٤) (٤٢).

(٢) رواه مسلم (٣/١٥٤٣) (١٩٤٥) (٤٣).

ومن ذلك: أن بعض أمهات النساء لا تطيب أنفسها أن تكشف وجهها لزوج ابنتها حياة وخجلاً، فلا بأس بهذا ما دامت لا تعتقد التحريم.

فالحاصل: أن ما أباحه الله ﷻ فالإنسان منه في حلٍّ ما لم يتخذ عبادةً.

فإذا قال قائل: إذا كان النبي يكره الضبَّ فهل من السنة ألا تأكله؟

الجواب: لا، السنة أن يأكل؛ لأن الرسول قال لأصحابه: «كلوا أو اطعموا».

أتى البخاري بكتاب خبر الواحد بعد كتاب التمني؛ لأن بعض الناس لا يقبلون خبر الواحد، حتى قال بعضهم: لا يكون الحديث صحيحاً إلا إذا جاء من طريقين، وقد أشار إلى هذا ابن حجر رحمه الله في النخبة، حيث ذكر شروط الحديث الصحيح، وذكر العزيز، وقال: إنه ليس شرطاً للصحيح خلافاً لمن اشترطه^(١). فبعض الناس يجعل هذه الأمور مثل الشهادة على الأحوال، وبعض الناس أيضاً يقبل خبر الواحد في غير العقائد، ويقول: خبر الواحد لا يمكن أن تثبت به عقيدة، وهذا مذهب باطل.

فالرسول ﷺ يبعث الرجل الواحد بالعقيدة بالإسلام كله، وتقوم به الحجة، ويبعث الرجل إلى الملوك وحده يدعوهم إلى العبادة، وإلى الإيمان، وهو واحد وتقوم به الحجة.

فالقول: بأن خبر الواحد لا تثبت به العقيدة قول باطل باطل، بل إن العقيدة تثبت بخبر الواحد، والاثنين، والثلاثة، ولكن لا بد أن يكون ثقة، أما غير الثقة فلا يقبل.

ثم نقول: لهؤلاء المنكرين خبر الواحد: الأعمال البدنية لا بد أن يصحبها عقيدة، فالإنسان الذي يصلي الصلوات الخمس، قد صحب صلاته عقيدة؛ وهي أن هذه الصلوات واجبة، ومن الفرائض، فأى فرق بين أن اعتقد بأن محمداً رسول الله، وأن الصلاة فريضة، كلاهما عقيدة، لكن هم يحبون أن يقللوا من إثبات الصفات لله، فتارة يطعنون في السند، وتارة يطعنون في المتن، ويحرفون الكلم عن مواضعه.



(١) انظر: «شرح نزاهة النظر في توضيح نخبة الفكر» (ص ٥٧).

سبق أن قلنا: كُلُّ شَيْءٍ لَا تَشْتَهِيهِ فَالْسَّنَةُ أَلَا تَأْكُلُهُ، وَهُوَ أَيْضًا مِنَ الطَّبِّ، لَكِنْ اخْتَلَفَ
 الْأَطْبَاءُ إِذَا كَانَ فَمُكَ يَشْتَهِيهِ، وَبَطْنُكَ لَا تَشْتَهِيهِ، وَالصَّحِيحُ: أَنْ تُقَدِّمَ الْبَطْنَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ لَذَّةَ
 الْفَمِ لَذَّةٌ عَابِرَةٌ، لَكِنْ تَعَبَ الْبَطْنِ تَعَبٌ مُسْتَمِرٌّ وَخَطَرٌ، فَبَعْضُ النَّاسِ مِثْلًا يَرُوقَ لَهُ بَعْضُ
 الْأَشْيَاءِ، لَكِنَّهُ إِذَا أَكَلَهُ أَوْ شَرِبَ صَارَ فِي بَطْنِهِ غَازَاتٌ عَظِيمَةٌ تُتَعَبُهُ.
 وَبَعْضُ النَّاسِ أَيْضًا يَكُونُ فِيهِ دَاءٌ مُعَيَّنٌ يُحْمَى مِنْ طَعَامٍ مُعَيَّنٍ وَلَكِنَّهُ يَشْتَهِيهِ فَيَأْكُلُهُ،
 فَيَقَالُ: لَا تَفْعَلْ: اللَّهُمَّ إِلَّا الشَّيْءَ الْقَلِيلَ الْنَادِرَ فَلَا حَرَجَ.



شَيْخ
صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ

كِتَابُ
الْإِعْصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

٧٢٦٨ - ٧٣٧

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كِتَابُ الْإِعْتَصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

❖ قَوْلُهُ: «الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة». الكتابُ: هو القرآنُ. والسُّنَّةُ: هي سنةُ النبي ﷺ. والمرادُ بها هنا: ما نُسِبَ إليه مِن قولٍ، أو فعلٍ، أو تقريرٍ، وإن شئتَ، فقل: أو وصفٍ. فما نُسِبَ إلى الرسولِ ﷺ، وأُضيفَ إليه، وصحَّ عنه فهو سنةٌ، سواءً من قوله، أو فعله، أو إقراره.

والاعتصامُ بهما واجبٌ؛ لقولِ الله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَزِدْهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النسبة: ٥٩]. ولا تظنُّوا أن الرجوعَ إليهما فيه مضرَّةٌ، حتى وإن كان في بادئ الأمرِ شاقًّا، أو يَتَحَيَّلُ الإنسانُ أن فيه مضرَّةً، فإن الله يقولُ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٨) [النسبة: ٥٩]. أي: أحسنُ مآلاً، وما يتوهمُه بعضُ الناسِ -ضعفاءُ الإيمانِ اليومَ- مِن أن تطبيقَ الشريعةِ كما جاء عن النبي ﷺ لا يَتَنَاسَبُ مع العصرِ، ويُخْشَى مِن نفورِ الدولِ الكافرةِ، فإن ذلك مِن وحي الشيطانِ؛ لأننا نقولُ: لو صَدَقْنَا الله ﷻ في الرجوعِ إلى كتابه، وسنةِ رسوله ﷺ؛ لكانت العاقبةُ لنا، بل العاقبةُ والحاضرةُ، فقولُه: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ في الحاضرِ، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ في المستقبلِ.

ولكن القرآنَ الكريمَ يَعْتَوِرُ -أو يُعَكِّرُ عليه- المُسْتَدِلُّ به شيءٌ واحدٌ؛ هو الفهمُ في مرادِ الله ورسوله، فقد يُخْطِئُ الإنسانُ في فهمه، ويفهمُه آخرٌ على خلافه، فيَحْصُلُ في هذا الاختلافُ.

والسنةُ النبويةُ يَعْتَوِرُ الإنسانَ فيها شِئَانِ:

أولاً: ثبوتُها عن الرسولِ ﷺ، قد تُروى عن طريقٍ يَرَاهُ بعضُ العلماءِ طريقاً صحيحاً، ويَرَاهُ آخرونَ طريقاً غيرَ صحيحٍ، مثلُ أن يَخْتَلِفُوا في رجلٍ مِنَ الرواةِ، فيوثِّقُه بعضهم، ويضعُّقُه آخرونَ، ثم إذا نظرنا في هذا، يَبْقَى النظرُ في المفهومِ مِنَ المتنِ.

ولهذا وقع الخلاف بين الأمة في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ولكنه خلاف بلا اختلاف - والله الحمد -، إلا عند أهل الأهواء، فهم يجعلون من الخلاف اختلافاً.

٧٢٦٨- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مِسْعَرٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ لِعُمَرَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَنَّ عَلَيْنَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [التوبة: ٣٠]. لَأَتَّخِذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَيَّ يَوْمٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ^(١). سَمِعَ سُفْيَانُ مِنْ مِسْعَرٍ، وَمِسْعَرٌ قَيْسًا، وَقَيْسٌ طَارِقًا.

قوله: سمع سفیان... إلخ: إنما نص البخاري على ذلك ليزول الوهم من التدليس في هذه العنعة. لكنه قال: عن مِسْعَرٍ وَغَيْرِهِ. والغير هنا: مجهول، والفائدة من هذا أن هذا الغير المجهول يقوي روايته عن مِسْعَرٍ؛ يعني: لم يتفرد بهذه الرواية عن مِسْعَرٍ، بل رواها عن مِسْعَرٍ وغيره عن قيس.

٧٢٦٩- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ الْغَدَّ حِينَ بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَاسْتَوَى عَلَى مَنبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَشَهُدَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَاخْتَارَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ الَّذِي عِنْدَهُ عَلَى الَّذِي عِنْدَكُمْ، وَهَذَا الْكِتَابُ الَّذِي هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَكُمْ، فَخُذُوا بِهِ تَهْتَدُوا، وَإِنَّمَا هَدَى اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ.

٧٢٧٠- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَمَنِي إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ»^(٢).

الشاهد من هذا الحديث، قوله: «اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ». يعني: القرآن، والتعليم هنا يشمل: التعليم اللفظي، والمعنوي؛ ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنهما يُلقَّبُ بِتَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ؛ لأنه من أعلم الصحابة بتفسير كتاب الله ﷻ.

٧٢٧١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَبَّاحٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ عَوْفًا، أَنَّ أَبَا الْمُنْهَالِ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَرَزَةَ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُغْنِيكُمْ أَوْ نَعَشِكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَعَ هُنَا «يُغْنِيكُمْ». وَإِنَّمَا هُوَ «نَعَشِكُمْ». يُنْظَرُ فِي أَصْلِ كِتَابِ الْاِعْتَصَامِ.

(١) رواه مسلم (٢٣١٢/٤) (٣٠١٧) (٣).

(٢) رواه مسلم (١٩٢٧/٤) (٢٤٧٧) (١٣٨) بلفظ: اللهم فقه.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْفَتْحِ» (٢٤٦/١٣):

❖ قَوْلُهُ: «يُنْظَرُ فِي أَصْلِ كِتَابِ الْاِعْتِصَامِ». فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ صَنَّفَ «كِتَابَ الْاِعْتِصَامِ» مُفْرَدًا، وَكَتَبَ مِنْ هُنَا مَا يَلِيقُ بِشَرْطِهِ فِي هَذَا الْكِتَابِ، كَمَا صَنَعَ فِي «كِتَابِ الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ»، فَلَمَّا رَأَى هَذِهِ اللَّفْظَةَ مُغَايِرَةً لِمَا عِنْدَهُ أَنَّهُ الصَّوَابُ، أَحَالَ عَلَى مَرَاجَعَةِ ذَلِكَ الْأَصْلِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ غَائِبًا عَنْهُ، فَأَمَرَ بِمَرَاجَعَتِهِ وَأَنْ يَصْلَحَ مِنْهُ، وَقَدْ وَقَعَ لَهُ نَحْوُ هَذَا فِي تَفْسِيرِ ﴿أَنْقَضَ ظَهْرُكَ﴾ [الزُّمَرُ: ٢٣]، وَنَبَّهَتْ عَلَيْهِ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ ﴿أَلَمْ تَنْشَرْ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ١٠].

وَنَقَلَ ابْنُ التِّينِ عَنِ الدَّأودِيِّ أَنَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي بَرزَةَ هَذَا هُنَا، إِنَّمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ تَثْبِيتُ خَبَرِ الْوَاحِدِ، وَهُوَ غَفْلَةٌ مِنْهُ، فَإِنْ حُكِمَ تَثْبِيتُ خَبَرِ الْوَاحِدِ انْقَضَى، وَعَقَّبَ بِالْاِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمُنَاسِبَةُ حَدِيثِ أَبِي بَرزَةَ لِلْاِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ، مِنْ قَوْلِهِ «إِنَّ اللَّهَ نَعَشَكُمْ بِالْكِتَابِ» ظَاهِرَةٌ جَدًّا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ.

قال بدر الدين العينيُّ فِي: «عَمْدَةُ الْقَارِي» (٢٤/٢٥):

❖ قَوْلُهُ: «أَوْ نَعَشَكُمْ». بَنَوْنِ، ثُمَّ عَيْنَ مُهْمَلَةٍ، وَشِينِ مُعْجَمَةٍ، أَي: رَفَعَكُمْ، أَوْ جَبَرَكُمْ مِنَ الْكَسْرِ، أَوْ أَقَامَكُمْ مِنَ الْعَثْرِ.

إِذَنْ: نَعَشَكُمْ بِالْكِتَابِ، يُعْنِي: رَفَعَكُمْ بِهِ؛ وَلَعَلَّ النِّعْشَ الَّذِي يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمِيتُ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ يُرْفَعُ. ❖ وَأَمَّا قَوْلُهُ: «بِالْإِسْلَامِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ»، فَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْكِتَابِ، لَكِنْ لَعَلَّهُ فِي أَصْلِ كِتَابِ الْاِعْتِصَامِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْبُخَارِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - وَحَيْثُ ذُكِرَ فِيهِ مُنَاسِبَةُ لِبَابِ الْاِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٧٢٧٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَبَايَعُهُ، وَأَقْرَأَ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، فِيمَا اسْتَطَعْتَ. سَبَقَ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ، وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ». فَإِنَّ الْمُرَادَ بِسُنَّةِ اللَّهِ هُوَ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلُ: الْوَاوُ فِي «وَأَقْرَأَ». زَائِدَةٌ أَمْ مِنَ الْحَدِيثِ؟

الْجَوَابُ: إِنَّهَا مِنَ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَبَايَعُهُ، ثُمَّ قَالَ فِي مَبَايِعَتِهِ: وَأَقْرَأَ لَكَ. فَهِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا فِي كِتَابِ ابْنِ عُمَرَ؛ الَّذِي لَمْ يَذْكُرْهُ الْمُؤَلِّفُ هُنَا.

ثم قال البخاري رحمه الله:

١- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ»:

٧٢٧٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدِي». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَدْ ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ تَلْغَوْنَهَا أَوْ تَرْغَوْنَهَا، أَوْ كَلِمَةً تُشَبِّهُهَا ^(١).

الشاهد من هذا: قوله: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ». فكلامُ النبي ﷺ جوامعُ، وانظرُ قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» ^(٢). وقوله: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ^(٣). وقوله: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فُكِّلَ» ^(٤). وقوله: «إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ - يَعْنِي: الْوَسَاوِسَ الَّتِي يُلْقِيهَا الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، وَهِيَ وَسَاوِسُ رَدِيئَةٍ - فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّه» ^(٥). وأمثال ذلك كثيرٌ.

وقد أَلَفَ العلماءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مَوْلاَفَاتٍ مِنْهَا: الْأَرْبَعُونَ النَّوِيَّةَ لِلنَّوَوِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فَإِنَّهَا جَوَامِعُ تَجِدُ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ كَلِمَاتٍ لَوْ أَلَفَ النَّاسُ مَجْلَدَاتٍ، مَا أَتَوْا بِمُضْمُونِهَا، وَلَا نَفَعُوا النَّاسَ بِمِثْلِهَا.

وأما قوله: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ»، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أُتِيْتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ». قد سبق الكلامُ عليها، وهو إشارةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَحَلَّ لَهُ الْغَنَائِمَ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ الْمَشْهُورِ ^(٦).

٧٢٧٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أَوْ مِنْ - أَوْ آمَنَ - عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْ حَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(٧).

(١) رواه مسلم (٣٧١/١) (٥٢٣) (٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (١٣٤٣/٣) (١٧١٨) (١٨)، وهو عند البخاري (٢٦٩٧) بلفظ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا...

(٤) رواه البخاري (٢٥٠٧)، ومسلم (١٥٥٨/٣) (١٩٦٨) (٢٠).

(٥) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٢٠/١) (١٣٤) (٢١٤).

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) رواه مسلم (١٣٤/١) (١٥٢) (٢٣٩).

هذا الحديث: فيه آيةٌ من آياتِ الله ﷻ؛ وهي أن الله ما بعث نبياً إلا وآتاهُ من الآياتِ ما يؤمنُ على مثله البشرُ، ومن رحمتهِ أيضاً؛ لأنه لا يُمكنُ أن يُصدّقَ رجلٌ يأتي من بين الناسِ، ويقولُ: أنا رسولٌ. حتى يكونَ معه آياتٌ.

وفي هذا: دليلٌ على أن الأفضل أن يُعبّرَ بآياتٍ دونَ معجزاتٍ، فكثيراً ما نرى في كتبِ العلماءِ معجزاتِ الأنبياءِ، ومعجزاتِ النبي ﷺ.

نقولُ: الأفضل أن نقولَ: آياتٌ. كما عبّرَ الله عنها، وعبّرَ عنها رسولُه ﷺ.

وأما المعجزاتُ فقد تكونُ من الساحرِ، ومن الكاهنِ، فيأتي بها يعجزُ عنه الناسُ، لكنها ليست آياتٍ على صدقهِ، فالتعبيرُ بالآياتِ هو الأصحُّ، ويمكنُ أن نقولَ: دلائلُ النبوةِ، لكن الآياتُ أحسنُ.

ولكن الرسولَ ﷺ أوتيَ وحياً أو حاه الله إليه، وبقي بعد موته، وسيبقى إلى قيام الساعةِ، إلى أن يرفعَه الله ﷻ في آخر الزمانِ، وآياتُ الأنبياءِ السابقينَ أكثرُها تنقضي بانقضاءِ حياتهم؛ فلهذا قال: أرجو أني أكثرُهم تابِعاً يومَ القيامةِ؛ لأنه إذا كانتِ الآيةُ في هذا الوحيِ، وهذا الوحيُ باقٍ، صارت آيةٌ للرسولِ إلى يومِ القيامةِ.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٢- بابُ الاقتداءِ بسُنَنِ الرسولِ ﷺ، وقولِ الله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [التوبة: ٤٠]. قال: أئمةٌ نقتدي بَمَنْ قَبْلُنَا وَيَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا.

وعن ابنِ عوْنٍ: ثلاثُ أحبهنَّ لنفسي ولإخواني: هذه السُّنةُ أن يتعلَّموها ويسألوا عنها، والقرآنُ أن يتفهَّموه ويسألوا الناسَ عنه، ويدعوا الناسَ إلّا من خيرٍ^(١).

قوله: «بابُ الاقتداءِ بسُنَنِ رسولِ الله ﷺ»، وقوله: ﴿وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، أجعلنا هذا من دعاءِ عبادِ الرحمنِ: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الأنعام: ٦٣]، وقوله: ﴿وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ أي: أئمةٌ يقتدى بهم.

وقوله: «نقتدي بَمَنْ قَبْلُنَا». هذا ليس بظاهرٍ؛ لأن الإمامَ هو المتبوعُ وليس التابعُ،

(١) هكذا علقه البخاري بصيغة العنونة كما في «الفتح» (٢٤٨ / ١٣). وقال الحافظ في الفتح (٢٥١ / ١٣): وصله

محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة، والجوزقي من طريقه، قال محمد ابن نصر: حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا سليم بن أخضر، سمعت ابن عوْنٍ، يقول غير مرة، ولا مرتين، ولا ثلاث: «ثلاث أحبهنَّ لنفسي» الحديث. وانظر: «تغليق التعليق» (٣١٩ / ٥).

وفيه آيات كثيرة تدلُّ على الاقتداء برسول الله ﷺ، مثل قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣١].

❖ وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الاحزاب: ٢١]. فهذه الآية التي ذكرها المؤلف أعم من كونها للرسول ﷺ؛ لأنها لعباد الرحمن.

❖ وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. هذه إمامة الدين، وأما إمامة الدنيا فقد تكون لغير المتقين، وإمامة النار قد تكون للكافر، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الصافات: ١٦].

❖ وقول ابن عون: «ثلاث أحبهنَّ لنفسي ولإخواني: هذه السنة أن يتعلَّموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهَّموه ويسألوا عنه». الظاهر أنه لا فرق بين الفهم والعلم في كلام ابن عون، فإن المطلوب من ذلك أن يفهم القرآن وتفهم السنة، ومن لم يعلم ولم يفهم، فليَسأل.

❖ وقوله: «يَدْعُوا النَّاسَ». هذا في زمن الفتنة لا يتكلمون مع الناس، ولا يتحازون إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، بل يكن همهم أن يتعلَّموا كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ويدْعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ. إذا كان هناك خير، مثل أن يضلِّحوا بين الناس، ويؤلَّفوا بينهم، ويجمَعوا كلمتهم فهذا طيبٌ.

❖ قوله: «اجعلنا». وهذا جمع، وإماماً مفرداً، وذلك لأن إماماً تصلُّح للجمع والمفرد، وبعضهم قال: اجعلنا؛ أي: اجعل كلَّ واحدٍ منا للمتقين إماماً، لكنَّ الأول أظهر، وهو أنها صالحة للجمع والمفرد.

قال ابن حجر في «الفتح» (٢٥٢ / ١٣):

❖ وقوله: «أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا، وَيَسْأَلُوا عَنْهَا». في رواية يحيى بن يحيى هذا الأثر عن رسول الله ﷺ، فيتَّبِعُهُ وَيَعْمَلُ بِهَا فِيهِ.

❖ قوله: «وَالْقُرْآنُ أَنْ يَتَفَهَّمُوهُ وَيَسْأَلُوا النَّاسَ عَنْهُ». في رواية يحيى «فَيَتَدَبَّرُوهُ» بدل «فَيَتَفَهَّمُوهُ»، وهو المراد.

❖ قوله: «وَيَدْعُوا النَّاسَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ» كذا للأكثر بفتح الدالِّ من «يَدْعُوا» وهو من الودع بمعنى الترك. ووقع في رواية الكُشَمِيهَنِيِّ بسكون الدالِّ من الدعاء، وكذا هو في نسخة الصاغاني، ويؤيِّدُ الأول أن في رواية يحيى بن يحيى: «ورجلٌ أقبلَ على نفسه ولها عن الناس إلا من خيرٍ»؛ لأن في ترك الشرِّ خيراً كثيراً. قال الكرمانِيُّ: قال: في القرآن يَتَفَهَّمُوهُ، وفي السنة يَتَعَلَّمُوها؛ لأن الغالب أن المسلم يتعلَّم القرآن في أول أمره، فلا يحتاج إلى الوصية بتعلُّمه،

فهذا أوصى بتفهم معناه، وإدراك منطوقه. انتهى، ويُحتمل أن يكون السبب أن القرآن قد جمع بين دفتي المصحف، ولم تكن السنة يومئذٍ جمعت، فأراد بتعلمها جمعها؛ لِيَتِمَّكَنَ من تفهمها بخلاف القرآن، فإنه مجموعٌ، فليبادر لتفهمه. ثم ذكر فيه ثلاثة عشر حديثاً. اهـ

القول الثاني أحسن من الأول؛ وهو أن السنة يتعلموها، والقرآن يتفهموه؛ لأن القرآن لا يحتاج إلى تعلم. فهو معلوم بين الصغير والكبير، والذكر والأنثى.

وأما السنة فتحتاج إلى معاناة في تعلمها.

أولاً: في إثبات صحة الحديث عن الرسول ﷺ، وذلك بقراءة السنن، والمسانيد، والرجال، وغير ذلك.

والثاني في فهمها.

٧٢٧٥- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى شَيْبَةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ قَالَ: جَلَسَ إِلَيَّ عَمْرُو فِي مَجْلِسِكَ هَذَا فَقَالَ: هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدْعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْتُ: مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ. قَالَ: لِمَ. قُلْتُ: لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبُكَ، قَالَ هُمَا الْمَرْءَانِ يُقْتَدَى بِهِمَا.

قوله: «الصفراء والبيضاء»: هما الذهب والفضة، ولكنه لما ذكر بأن هذا شيء لم يفعله الرسول ﷺ، ولا خليفته، توقفت، بل رجعت، وقال: هما المرءان يُقْتَدَى بهما، فهذا يدل على حرص عمر على اتباع السنة التي جاءت عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر.

٧٢٧٦- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَأَلْتُ الْأَعْمَشَ، فَقَالَ: عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، سَمِعْتُ حَذِيفَةَ، يَقُولُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، فَقَرَأُوا الْقُرْآنَ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»^(١).

قوله: «في جذر» أي: في أصل، الجذر وجمعه جذور؛ يعني: الأصول؛ يعني: أن الأمانة نزلت في أصل قلوب الرجال، ثم نزل القرآن مُتِمِّمًا لذلك، فقرأ الناس القرآن، وعلموا من السنة، فاعتصموا بالقرآن والسنة.

٧٢٧٧- حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ مُرَّةٍ، سَمِعْتُ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ، يَقُولُ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،

وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَإِنْ مَا تَوَعَّدُونَ لَا تِ، وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ.

هذه الكلمات جاءت عن النبي ﷺ، ﴿إِنْ مَا تَوَعَّدُونَ لَا تِ﴾ [الأنعام: ١١٣]. هذه في

القرآن الكريم.

والشاهد من هذا: أن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد، الهدى يعني: الطريقة، وطريقة النبي ﷺ هي سُنَّتُهُ، والحُسْنُ هنا يشمل: الحُسْنَ اللفظي والمعنوي، وحُسْنَ العقيدة، وحُسْنَ القول، وحُسْنَ العمل.

وفي هذا الحديث: دليل على جواز الإخبار عن النبي ﷺ باسمه دون لقبه، بخلاف دعائه، فإنه يُقَالُ: يا رسول الله، يا نبي الله؛ لقول الله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُلِ يَتَّبِعَكُمْ كَذِبًا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٣]. على أحد التفسيرين، أما في الخبر، فلا بأس أن نقول: قال محمد أو خير الهدى هدى محمد.

٧٢٧٨ - ٧٢٧٩ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَا: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ»^(١).

٧٢٨٠ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هَلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى، قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

٧٢٨١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَادَةَ، أَخْبَرَنَا يَزِيدٌ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانٍ - وَأُنْتَى عَلَيْهِ - حَدَّثَنَا

سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، حَدَّثَنَا أَوْ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: إِنَّ

لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَادَّةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ

الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَادَّةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَادَّةِ. فَقَالُوا: أَوَلَوْهَا لَهُ يَفْقَهُهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ

وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ. فَقَالُوا فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَحُمُودُ ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ. تَابَعَهُ قَتِيبَةُ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ

خالد، عن سعيد بن أبي هلال، عن جابرٍ خرج علينا النبي ﷺ^(١).
في نسخة: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَيَّانَ.

وفي نسخة: مُحَمَّدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ وَأُخْرَى: مُحَمَّدٌ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ.

الشاهد من هذا: قوله: «فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ». فهو دليل على وجوب الاعتصام بالسنة.

وقوله: «فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ فَرَّقَ»؛ يعني: بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَبَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْمُؤْمِنِ، وَبَيْنَ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ.

بَعْضُ النَّاسِ الْيَوْمَ يُنْكِرُ السَّنَةَ، أَوْ يُنْكِرُ الرَّجُوعَ إِلَيْهَا وَيَقُولُ: عِنْدَنَا الْقُرْآنُ نَرْجِعُ إِلَيْهِ وَلَا نَرْجِعُ إِلَى غَيْرِهِ، وَهَذَا أَخْبَرَ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ قَالَ: «لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي، يَقُولُ: لَا أَذْرِي، مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ. قَالَ: وَإِنِّي أَوْتَيْتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ^(٢). وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالسَّنَةِ كَافِرُونَ بِالْكِتَابِ؛ لِأَنَّ السَّنَةَ مَتَمَّةٌ لَهُ؛ إِلَّا سَنَةً لَمْ تَتَّبِعْ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ، لَكِنْ مَا ثَبَتَ عَنْهُ فَهُوَ كَالْقُرْآنِ تِمَامًا.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: حَدِيثُ «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». هَلْ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْعَاصِيَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟

الجواب: نعم فالعاصي لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَلَكِنَّ الْمَعْصِيَةَ نَوْعَانِ: وَالدَّخُولُ نَوْعَانِ:

فَمَنْ عَصَى مَعْصِيَةً كَامِلَةً دَخَلَ النَّارَ مُخْلَدًا فِيهَا.

وَمَنْ عَصَى بَعْضَ مَعْصِيَةٍ فَهُوَ مُسْتَحَقٌّ لِدُخُولِ النَّارِ، لَكِنْ بِقَدْرِ مَعْصِيَتِهِ، وَلَا يَسْلَمُ مِنَ النَّارِ إِلَّا مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ ﷺ، أَمَا مَنْ عَصَى وَلَوْ مَعْصِيَةً يَسِيرَةً؛ فَإِنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِدُخُولِ النَّارِ وَالْعَذَابِ فِيهَا.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ يَصِحُّ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى الرَّسُولِ إِنَّهُ مُفَرَّقٌ؟

الجواب: لا، فَإِذَا أَطْلَقْنَاهُ يَجِبُ أَنْ نُفَسِّرَهُ، بِأَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنَ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ قَسَمَ

النَّاسَ إِلَى مُطِيعٍ وَعَاصٍ، فَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ الْمُطِيعِ وَالْعَاصِي.

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٢٤٩/١٣). وقال الحافظ في «الفتح» (٢٥٦/١٣): وصله الإسماعيلي، عن الحسن بن سفيان. وأبو نعيم من طريق أبي العباس سراج، كلاهما، عن قتيبة. وانظر: «هدي الساري» (ص ٧٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٣٠/٤٥ (١٧٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

٧٢٨٢- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقُرَاءِ اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا.

في نسخة «فقد سبقتم».

هذه توصية من حذيفة رضي الله عنه يوصي القراء؛ يعني: حملة القرآن، يوصيهم بالاستقامة، ويقول: إنكم سبقتم سبقًا بعيدًا بما من الله به عليكم من قراءة القرآن، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا، لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا؛ لأنكم علمتم الحق، والذي يأخذ يمينًا وشمالًا بعد علمه بالحق، لا شك أنه ضال ضالًا بعيدًا.

٧٢٨٣- حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْل مَا بَعَنِي اللَّهُ بِهِ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعَنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءُ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَذَلُّوهُ، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَفَجَّوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاَحَهُمْ، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمِثْلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»^(١).

قوله ﷺ: «إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْل مَا بَعَنِي اللَّهُ بِهِ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعَنِي». و«يعني». هنا تأكيد للرؤية؛ لأن الرؤية لا تكون إلا بالعين.

وقوله: «وإني أنا النذير العريان» النذير: المنذر. والعريان: المتجرد من ثيابه، وكانوا إذا دهّمهم العدو، وكانوا يتخوفون منه كثيرًا، يأتي النذير عريانًا في القوم، فيصيح بهم: النجاء النجاء. وهذا يحتمل أن يكون إشارة إلى أن العدو قد سلبه حتى ثيابه، ويحتمل أن العدو سلبه فعلاً سلباً حقيقة، ويحتمل أن ذلك من أجل التهيج؛ أي تهيج القوم. كل ذلك محتمل؛ لأن كشف العورات عندهم أمر عظيم حتى إن بعضهم إذا أدرك؛ يعني: ليقتل. كشف عورته، فإذا كشف عورته امتنع القاتل، أو امتنع مريد القتل، عن قتله.

ثم ذكر أن الناس انقسموا إلى قسمين: طائفة من قومه أطاعوه، فأذلّجوا فانطلقوا على مهلهم، ففجّوا، وكذّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصباحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. وفي هذا الحديث: ضرب الأمثال، وأن ضرب الأمثال لتقريب المعاني لا بأس به.

(١) رواه مسلم ٤/ ١٧٨٨ (٢٢٨٣) (١٦).

فهل يَشْمَلُ ذلك ضربُ الأمثالِ بالفعل، وهو ما يُسمَّى عند الناسِ بالتمثيلياتِ، أو يُقالُ: إن هناك فرقاً بين التمثيلِ القوليِّ، والتمثيلِ الفعليِّ.

من هنا اختلفَ الناسُ. فمنهم مَنْ يَقُولُ: هناك فرقٌ.

ومنهم مَنْ قالَ: إنه لا فرقَ بينهما. المهمُّ ألا يَشْتَمِلَ التمثيلُ الفعليُّ على شيءٍ مُحَرَّمٍ.

التفسير الثاني: أنه إذا دعاكم شيءٌ وجب عليكم الإجابة، وأما غيره فلا تجب.

القولُ الراجح في التمثيل أنه لا بأس به، إذا لم يَشْتَمِلَ على شيءٍ محرمٍ.

٧٢٨٤-٧٢٨٥- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي

عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالُهُ وَنَفْسُهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ^(١). قَالَ ابْنُ بَكْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ، عَنِ اللَّيْثِ: عَنَّا. وَهُوَ أَصَحُّ.

❖ قوله: (عقلاً) أو (عقالاً). الفرقُ بينهما: أن العناق: هو الصغيرُ مِنَ وَلَدِ الْهَامِزِ، والعقالُ: ما يُعْقَلُ به الناقةُ.

فأبو بكرٍ يَقُولُ: «لو مَنَعُونِي عَقَالًا تُعْقَلُ به إِبِلُ الصَّدَقَةِ لَقَاتَلْتُهُمْ». واللفظُ الثاني: عَنَّا؛ يَعْنِي: لو مَنَعُونِي صَغِيرًا مِنَ الْهَامِزِ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

وهذا الحديثُ فيه: دليلٌ على حسنِ سيرةِ الصحابةِ رضي الله عنهم، وأن الصغيرَ يُنَاقِشُ الكبيرَ.

وفيه: دليلٌ أيضاً على أن مقصودَهُمُ الْحَقُّ، فَيَرْجِعُ الْمُنَاقِشُ إِلَى الْحَقِّ؛ لِأَن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا رَأَى اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، عَلِمَ أَنَّهُ الْحَقُّ.

(١) رواه مسلم (٥١/١) (٢٠) (٣٢).

(٢) علق البخاري رحمه الله قولِي ابنِ بكير، وعبد الله بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٢٥٠/١٣).

فأما حديث ابنِ بكير فقد أسنده المؤلف في استتابة المرتدين، باب قتل من أبي قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة (٦٩٢٤). وأما حديث عبد الله، وهو ابن صالح، فقد وصله أبو عبيد في كتاب «الأموال» له عن عبد الله بن صالح، ثنا الليث بن سعد، حدثني عقيل، عن ابنِ شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: أن أبا هريرة.... الحديث. وانظر: «تغليق التعليق» (٣٢١/٥).

وفيه: دليلٌ على أن الرجلَ المجتهدَ المعروفَ بالصلاح، إذا انشَرَحَ صدرُهُ لشيءٍ، فهو دليلٌ على أنه الحقُّ، ويؤيِّدُ هذا قولُ النبي ﷺ: «البرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأنَّ إليه القلبُ»، والإثْمُ ما تردد في الصدر أو ما حاك في الصدر وكرِهت أن يطَّلَعَ عليه الناسُ»^(١).

ومن فوائد هذا الحديث أيضًا: قوةُ أبي بكرٍ رضي الله عنه في مواطنِ الضيق، وأنها تزوُّو على قوةِ عمرَ رضي الله عنه، ففي موتِ الرسولِ ﷺ حصلَ من عُمر ما هو معلومٌ، وجاء أبو بكرٍ - وهو أشدُّ مصيبةً من عمر بموتِ رسولِ الله ﷺ - مطمئنًا وصعدَ المنبرَ، وأخبرَ الناسَ بموتِ الرسولِ ﷺ، وقال: من كان يعبدُ محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ، وتلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا﴾ [التوبة: ١٤٤]. فكان عمرُ يقولُ: فوالله ما أن سمِعْتُها حتى عَقَلْتُ، فما تُقَلِّني رَجُلَايَ^(٢).

وكذلك في قصةِ جيشِ أسامةَ الذي نفَّذَه الرسولُ ﷺ، وتوفي وهو في ظهرِ المدينةِ فأمرَ أبو بكرٍ رضي الله عنه أن يستمرَّ الجيشُ، فجادلَه في ذلك عمرُ فقال: والله لا أنقضَ رايةَ عقدها رسولُ الله ﷺ، فنفَّذَ الجيشُ، وصارتِ العاقبةُ حميدةً؛ لأن الذين ارتدُّوا من العربِ قالوا: لولا أن عند هؤلاءِ القومِ قوةٌ، ما بعثوا جيشًا يُقاتِلُ الرومَ. فاستسلموا.

وأيضًا: في قتالِ أهلِ الردَّةِ، فإن عمرَ توقَّفَ حتى بينَ له أبو بكرٍ رضي الله عنه بهذا الحزمِ حيثُ قال: لو منعوني عَنَاقًا، أو عِقَالًا يُؤدُّونه إلى رسولِ الله ﷺ لقاتلتُهم على ذلك.

وفي هذا الحديث: دليلٌ على فائدةِ عظيمةٍ؛ وهي أن مانعي الزكاة يُقاتلونَ عليها ولا يُقتلونَ؛ أي: يُقاتلونَ عليها حتى يؤدُّوها، ودماؤُهم حرامٌ، لكن يُقاتلونَ من أجلِ القيامِ بالواجبِ كما نقولُ بأنه يُقاتلُ من ترك الأذانَ ولا يُقتلُ، وكما نقولُ: تُقاتلُ الفئةُ الباغيةُ ولا تُقتلُ، فبابُ القتالِ أوسعُ من بابِ القتلِ.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٨٦- حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ

(١) رواه مسلم (٢٥٥٣/٤) (١٤) بنحوه.

(٢) رواه البخاري (١٢٤١).

فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحَرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُذْنِبُهُمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرُ وَمُشَاوَرَتِهِ كُھُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ، فَتَسْتَأْذِنُ لِي عَلَيْهِ. قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذِنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ فَقَالَ الْحَرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَّهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ.

الشاهد من هذا: أن عمر اعتصم بكتاب الله، ولم يتجاوزها، وهذا واجب على كل مؤمن؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٦]. وإلا فهذه كلمات عظيمة كبيرة في حق أمير المؤمنين، فالرجل يقول: ما تُعْطِينَا الْجَزَلَ، وما تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ.

❖ أما قوله: «ما تُعْطِينَا الْجَزَلَ». فهذا أعرابي لا يشبع، فلو أُعْطِيَ الدنيا كلها فهي عنده يسيرة، وعمر لا يُعْطِي الْجَزَلَ، وإنما يُعْطِي ما فيه مصلحة الخلق؛ لأنه أمين على بيت المال.

❖ أما قوله: «وما تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ». فقد كَذَبَ، فإن عمر مضرب المثل في العدل، وهو من أعدل الخلفاء عليه السلام؛ ولهذا هم أن يقع به حين غضب، ولكن أخاه كان ذكياً حليماً فقال: إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

❖ قوله: ﴿الْعَفْوَ﴾. يعني: ما عفا وتيسر من الناس، ولا تطلب حقك كله، فإن ذلك لا يمكن من بني آدم، وإنما تأخذ العفو، أي: ما عفا وهان وتيسر.

❖ وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾. أي: بما يُعْرَفُ من الشرع، وبما يُعْرَفُ من العادة والمروءة.

❖ وقوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. لأنه سوف يجهل عليك، ما يجهل إذا أمرت بالعرف، فما من أمر بالمعروف إلا ويجد أذى، وإن هذا يكون من الجاهلين.

يقول: لما تَلَّهَا عليه، ما جاوزها. ولا ضربه، ولا قال له شيئاً، وكان وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ ﷺ.

وقوله: «ما جاوزها» الظاهر أنه من كلام ابن عباس؛ لأنه هو راوي الحديث.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٨٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ

الْمُنْذِرُ، عَنْ أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَالنَّاسُ قِيَامٌ وَهِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا لِلنَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَقُلْتُ: آيَةٌ. قَالَتْ: بَرَأْسُهَا أَنْ نَعَمَ. فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَرَهُ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوِ الْمُسْلِمُ لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ: أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا. فَيَقَالُ: نَمْ صَالِحًا عَلِمْنَا أَنَّكَ مُوقِنٌ. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوِ الْمُرْتَابُ لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُ»^(١).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «جاءنا بالبينات، فأجبنا وآمنا». وهذا هو الاعتصام بالسنة، وأثر عمر الذي سبق هو من الاعتصام بالكتاب.

وفي هذا الحديث من الفقه: جواز الإشارة في جواب من طلب أو استتهم عن شيء في الصلاة. وفيه: تسبيح المرأة لقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سبحان الله. ولا يخالف هذا قول النبي ﷺ: «إِذَا نَابَكُمْ شَيْءٌ فَلْيُسَبِّحِ الرِّجَالَ وَلْتَصْفُقِ النِّسَاءُ»^(٢). لأن المراد بذلك النساء مع الرجال إذا نابهم شيء، أما إذا كانت النساء وحدهن وامرأة إلى جوار امرأة مع الرجال، ولا يسمعون صوتها، فلا بأس؛ لأنه إنما أمر النساء بالتصفيق، صيانة عن سماع أصواتهن. وفي الحديث أيضًا من العقيدة: أن الرسول ﷺ قد يكشف له حتى يرى ما كان غائبًا عن الخلق، فقد رأى في مقامه حتى الجنة والنار.

وفيه أيضًا من العقيدة: إثبات فتنة القبر فإنها قريبة من فتنة الدجال، لعظمها؛ فإن الإنسان ليس عنده كتاب في القبر يرجع إليه، فإذا سئل عن ربه، ودينه، ونبيه، فإن كان من المؤمنين أجاب بالصواب، وإن كان من المرتابين أو المنافقين قال: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، ولكن الإيثار لم يصل إلى قلبه - والعياذ بالله.

ومن قال إن محمدًا يعلم الغيب استنادًا لهذا الحديث فهو صادق كاذب؛ لأنه إن أراد أنه يعلم الغيب بذاته بدون وحي من الله فهو كاذب؛ لأن الله قال له: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وإن أراد أنه يعلم الغيب بما أخبره الله؛ فهو صادق؛ لقوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ

(١) رواه مسلم ٦٢٤/٢ (٩٠٥) (١١).

(٢) رواه البخاري (٧١٩٠)، ومسلم ٣١٦/١ (٤٢١) (١٠٢).

عَلَى غَيْرِهِ أَحَدًا ③ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ④ [البقرة: ٢٦-٢٧]. والصوفية يرون أنه يعلم الغيب بذاته لا بالوحي، حتى إنه يعلمهم - عندهم - ما يقع في الأرض بعد موته، وهذا لا يمكن.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٨٨- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ①.

في رواية مسلم: «بأمر». وفي رواية أخرى له: «بشيء» وعلى كل حال المراد بالأمر أو بالشيء معناه واحد.

وفي هذا الحديث: دليل على أنه في عهد الرسول ﷺ لا ينبغي السؤال، فقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ فَسُؤْكُمْ﴾ [البقرة: ١٠١]. فعلى الإنسان أن يعتصم بما جاءه.

وهنا فرق بين النهي وبين النهي والامر: فالنهي قال فيه: اجتنبوه. والامر قال: اتوا منه ما استطعتم؛ لأن النهي يُجْتَنَّبُ كُلُّهُ ولا يفعل الإنسان ولا يعطه، والامر يُفْعَلُ ما يُقَدَّرُ عليه منه. فإذا قيل: لا تفعل كذا. فلا يجوز لك أن تفعل بعضاً، وتقول: أنا ما فعلته كله، بل قد فعلت البعض. وإذا قيل: افعل كذا. ففعلت البعض بقدر استطاعتك، فإنه قد برئت ذمتك.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٣- بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكْلُفِ مَا لَا يَعْنِيهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ فَسُؤْكُمْ﴾.

٧٢٨٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقَرِّيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْماً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يَحْرَمْ، فَحَرَّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ» ②.

الترجمة هذه مهمة، فترجم البخاري رحمه الله «بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ». وكثرة السؤال على نوعين: النوع الأول: الإعنات؛ يعني: الإشفاق على المسئول، بحيث يقصد بذلك ملأه، وتعبه، وخطأه وما أشبه ذلك، فهذا لا شك أنه منهى عنه لما فيه من الإضرار بالشخص المسئول،

① رواه مسلم (٩٧٥/٢) (١٣٣٧) (٤١٢) بلفظ «بشيء».

② رواه مسلم (١٨٣١/٤) (٢٣٥٨) (١٣٢).

ولما فيه من الخطر فيما يُجِيب به هذا الشخص؛ لأنه قد يُجِيبه في هذه الحال بخطرٍ.
والنوع الثاني: كثرة السؤال على سبيل البحث والمناقشة والتعلم، فهذا لا بأس به، كما
يَكُونُ من الطالب إلى معلمه؛ لأنه من باب التعلم.
وأما تكلف ما لا يُغنيه فهذا من أهم ما يَكُونُ اجتنابه. فالشيء الذي لا يُغنيك لا تتكلفه،
ولاسيما في الأمور الخيرية التي تتعلق بذات الله سبحانه وأسمائه وصفاته، وكثير من الطلبة في
الوقت الحاضر لما من الله عليهم بالفتح، ومحبة التعمق في العلم صاروا يَتَنَطَّعُونَ وَيَسْأَلُونَ
عن أشياء لا تغنيهم ولا يَحْتَاجُونَ إليها؛ لأننا نَعْلَمُ أنها لو كانت تُغني الناس أو يَحْتَاجُونَ إليها
لَبَيَّنْتَ، ولهذا أمثلة كثيرة.

منها: مَنْ يَسْأَلُ عن كيفية النزول.

ومنها: مَنْ يَقُولُ: كيف يَنْزِلُ وهو فوق كل شيء.

ومنها: مَنْ يَقُولُ: كيف يَنْزِلُ في ثلث الليل الآخر، وثلث الليل الآخر يَمْتَدُّ في الأرض
كلها، حتى يَدُورَ عليها وأشباه ذلك.

وكذلك من الطلبة مَنْ يَسْأَلُ: كم أصابع الرحمن ﷻ، وكم أنامله؟ وما أشبه ذلك من
الأسئلة التي لا تغنيك، والتي من حُسن إسلام المرء وأدبه مع الله ورسوله ألا يسأل عنها،
وَلْيَسْأَلِ الإنسان نفسه فليقل: أنا أحرص أم الصحابة رضي الله عنهم؟ سيُجيب نفسه بأن الصحابة
أحرص، أحرص على العلم بالله وبأسمائه وصفاته منك وهم أحب للخير منك، ولم يسألوا
النبي ﷺ عن شيء.

وانظر إلى أدبهم ﷺ لما حدثهم الرسول ﷺ أن الدجال يَبْقَى أربعين يوماً:
«اليوم الأول كسنة»^(١). ما سألوا كيف يَكُونُ اليوم الأول سنة؟ والمعروف أن دوران
الشمس يَكُونُ في أربع وعشرين ساعة، إنما سألوا عن الشيء الذي يُهمُّهم، وهو الصلاة،
فقالوا: كيف صلاتنا في ذلك اليوم؟

فإذا عرفت الأدب مع الله ورسوله في مثل هذه الأمور، فإنك لا تتكلم. والإمام مالك رحمه الله لما سُئِلَ
عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ قال: السؤال عنه بدعة^(٢).

(١) رواه مسلم (٢٢٥٠/٤) (٢١٣٧) (١١٠).

(٢) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤) واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٤)، وأبو عثمان
الصابوني في «عقيدة السلف» (٢٥)، وأبو نعيم في الحلية (٣٢٥/٦)، وله طرق عدة تنبأ بشوت هذه القصة عن

فالحاصل: أن كلَّ شيءٍ لم يردَّ في القرآن والسنة، مما يتعلَّقُ بأمور الغيب، فوظيفتك الأدبية، والشرعية، والعقلية ألاَّ تسأل عنه، وإن تسأل عن المعنى فلا بأس؛ لأن المعنى مما يحبُّ علمه، أما الكيفية، كيف ولم، وما أشبه ذلك فهذه لا تسأل عنها، وظيفتك التسليم؛ ولهذا قال: «وتكلَّف» أي: ما يكره من تكلف ما لا يعنيه.

﴿وَقُولْهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِلَ لَكُمْ قَسْوَكُمْ﴾﴾ (الأنعام: ١١٠). هذه إنما تكون في زمن الوحي؛ يعني أن الله نهى عباده المؤمنين أن يسألوا عن أشياء في زمن الوحي، فقد تكون معفوًا عنها مسكوتًا عنها، ثم بعد هذه المسألة تحرَّم أو توجب، مثال ذلك: عندما سأل الأقرع بن حابس رسول الله ﷺ لما قال: «إن الله كتب عليكم الحجَّ فحجُّوا». قال: أفي كلِّ عام يا رسول الله؟ هذا سؤال تكلف، ولهذا قال له «لو قلت: نعم. لوجبت ولما استطعتم، الحجَّ مرة، فما زاد فهو تطوع، ذروني ما تركتكم؛ فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»^(١) وما أشبه ذلك.

وهذا الحديث: الذي ذكره البخاري رحمه الله: «أن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيءٍ لم يحرم، فحرم من أجل مسألته»، هذا من أعظم الناس جرماً؛ لأنَّه حرم ما أحله الله لعباده، وكذلك من سأل عن شيءٍ لم يجب، فأوجب من أجل مسألته، فهو شريك في هذا الإثم. أما بعد أن انقطع الوحي، فلا بأس أن يسأل الإنسان عن كلِّ شيءٍ يعنُّ له ويخفى عليه. والترجمة هنا أخص من وجه، وأعم من وجه؛ لأن الترجمة في الكثرة لا في مطلق السؤال، والآية في مطلق السؤال، فمطلق السؤال إنما ينهي عنه في زمن التشريع، وأما كثرة السؤال ففي كلِّ وقتٍ ما لم يكن على وجه التعلم كما سبق.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩٠- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، سَمِعْتُ أَبَا النَّضْرِ يُحَدِّثُ عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي الْمَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا لَيْالِي، حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً فَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحَّجُ لِيُخْرِجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «مَا زَالَ بِكُمْ الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ صَنِيعِكُمْ،

مالك بن أنس رحمه الله؛ ولذلك قال الذهبي في «مختصر العلو» (ص ١٤١): هذا ثابت عن مالك.
(١) رواه البخاري (٧٢٨٨) مختصراً، ومسلم (٩٧٥ / ٢) (١٣٣٧) (٤١٢) مطولاً.

حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُمْتُمْ، بِهِ فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنْ أَفْضَلَ صَلَاةَ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ»^(١).

في هذا الحديث أيضًا: من الأشياء التي يتكلفها بعض الناس حتى تُفَرِّصَ على الأمة، فإن النبي ﷺ صلى في حجرة من حصير، فعلم الناس، فاجتمعوا إليه حتى كثروا، ثم إنهم فقدوا صوته، فظنوا أنه قد نام، فجعلوا يَتَنَحَّضُونَ لِيَنْبُهُوهُ، فَبَيْنَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَاللَّيْلُ أَنَّهُ إِنَّمَا تَرَكَ هَذَا خَوْفًا مِنْ أَنْ تُفَرِّصَ عَلَى الْأُمَّةِ، فَيَعْجَزُوا عَنْهَا.

وفي الحديث: «أَيُّهَا النَّاسُ صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنْ أَفْضَلَ صَلَاةَ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ» يُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ، قِيَامُ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ، فَإِنَّهُ ثَابِتٌ فِي السُّنَّةِ، وَيُسْتَشْنَى مِنْ هَذَا أَيْضًا صَلَاةُ الْكُسُوفِ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا سُنَّةٌ، وَيُسْتَشْنَى مِنْ هَذَا صَلَاةُ الْاسْتِسْقَاءِ، وَيُسْتَشْنَى مِنْ هَذَا صَلَاةُ الْعِيدِ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهَا سُنَّةٌ أَوْ فَرَضٌ كَفَايَةً.

إِذَا: المرادُ بذلك أن التطوع، الأفضل أن يَكُونَ فِي الْبَيْتِ حَتَّى فِي مَكَّةَ، حَتَّى فِي الْمَدِينَةِ كَمَا هُوَ الظاهرُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَالصلَاةُ فِي الْبَيْتِ أَفْضَلُ.

وعلى هذا فإذا كنت في مكة، وأردت أن تتطوع، فالتطوع في البيت أفضل من التطوع في المسجد الحرام.

وإنما قلنا: إن صلاة التطوع في البيت أفضل من التطوع في الحرم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها في المدينة، وهو يقول: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ»^(٢). والتوفيق بينهما بأن يُقَالَ: إما أن هذا خاصٌّ بالفرائض، كما قيل بها: إن ما يُشْرَعُ فِي الْمَسْجِدِ فَهُوَ فِي الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ أَكْثَرُ. وَلَكِنَّ هَذَا قَوْلٌ فِيهِ نَظَرٌ، بَلْ نَقُولُ: مَا فُعِلَ فِي الْمَسْجِدِ مِمَّا يَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ مِثْلًا. فَتَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ تَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ أَلْفِ تَحِيَّةٍ فِيمَا سِوَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا لَوْ جَلَسَ إِنْسَانٌ يَتَنَظَّرُ الصَّلَاةَ، وَصَلَّى. فَهَذَا نَفْلٌ مُطْلَقٌ، فَإِنْ هَذِهِ الصَّلَاةُ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ وَهَكَذَا.

وَأَمَّا أَنْ تَقْصِدَ أَنْ تَذْهَبَ مِنْ بَيْتِكَ إِلَى الْمَسْجِدِ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْفَضْلِ فَلَا. وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا التَّضْعِيفَ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ يَكُونُ فِي الْكَمِيَّةِ، لَكِنْ فِي الْبَيْتِ يَكُونُ بِالْكَفِيَّةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّكَ لَوْ جَمَعْتَ مِائَةَ نَوَاةٍ، ثُمَّ أَتَيْتَ بِحَجَرٍ كَبِيرٍ صَارَ الْحَجَرُ أَعْظَمُ مِنْهَا،

(١) رواه مسلم (١٥٣٩/١) (٧٨١) (٢١٤).

(٢) رواه البخاري (١١٩٠)، مسلم ١٠١٢/٢ (١٣٩٤) (٥٠٥).

فالصلاة في البيت من حيث الكيفية أفضل من حيث الصلاة، وإن زادت الكمية في المسجد النبوي، هذا وجه.

الحاصل: أن ما يُشْرَعُ فعله في المساجد، فالمساجد الثلاثة خير من البيت، ومن المساجد الأخرى، وما لا يُشْرَعُ ففي البيت أفضل، فراتبة الفجر في البيت أفضل، لأن الحديث عام.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩١- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ غَضِبَ وَقَالَ: «سَلُونِي». فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ». ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي فَقَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ». فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ: إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ﷻ^(١).

هذا شاهد للباب، لأن الرسول ﷺ لما أكثروا عليه المسألة غضب، وقال: «سَلُونِي». تحدياً لهم، فجعلوا يسألونه هذا السؤال، مَنْ أَبِي؟ مَنْ أَبِي؟ مع أنه لا فائدة منه. لكن كأن السائلين قد قيل فيهم ما قيل من الاشتباه، بأنهم يُنسَبُونَ إلى آبائهم أو لا، فأرادوا أن يأخذوا من النبي ﷺ إثباتاً بأن آباءهم فلان وفلان. ولكنَّ عمرَ رضي الله عنه لما رأى ما بوجه النبي صلى الله عليه وسلم من الغضب قال: إنا نتوب إلى الله ﷻ. يعني: نرجع إليه مما أغضب رسوله ﷺ.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩٢- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ وَرَادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ قَالَ كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمُغِيرَةِ اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطَى لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ». وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلٍ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الْأُمَهَاتِ، وَوَادِ الْبَنَاتِ، وَمَنْعِ وَهَاتِ^(٢).

(١) رواه مسلم (٤/١٨٢٤) (٢٣٦٠) (١٣٨).

(٢) رواه مسلم (١/٤١٤) (٥٩٣) (١٣٧) مختصراً.

في هذا الحديث: كَتَبَ معاوية إلى المغيرة رضي الله عنه جميعاً يسأله عما سمع من رسول الله ﷺ؛ لأن الخلفاء في صدر هذه الأمة علماء، يَخْرِصُونَ على العلم، وعلى الحديث، فكتب إليه يسأله ماذا سمع من رسول الله ﷺ، فكتب إليه المغيرة... إلى آخره.

وفي هذا الحديث: دليل على تداول الحديث بواسطة الكتابة، وهذا أمر كان فيه خلاف في صدر هذه الأمة؛ فإنهم كرهوا أن يُكْتَبَ الحديث خوفاً من أن يُلْحَقَ بالقرآن، لكن بعد ذلك اتفق العلماء على جواز كتابة الحديث، وعلى جواز كتابة الأحكام المستنبطة من الأحاديث في المصنفات الفقهية وغيرها ^(١).

كَتَبَ إليه يَقُولُ: إن النبي ﷺ كان يَقُولُ في دبرِ كُلِّ صلاةٍ: «لا إله إلا الله».

والمراد بدبر الصلاة هنا: ما بعد السلام؛ لأنه يَقَعُ مستدبراً لها.

❖ وأما قوله في حديث معاذ: «لا تَدْعَنَّ أَنْ تَقُولَ في دبرِ كُلِّ صلاةٍ» ^(٢). فالصحيح أن المراد به آخر

الصلاة، والفرق أن حديث معاذ: «اللهم أعني» دعاء، ومحل الدعاء قبل السلام بعد التشهد، كما قال النبي ﷺ في حديث ابن مسعود، لما ذكر التشهد قال: «ثُمَّ لِيَتَخَيَّرَ من الدعاء ما شاء» ^(٣).

وأما الذكر فهو بعد الصلاة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٠٣].

❖ وقوله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». النفي هنا نفي للحقيقة، فلا إله حق إلا الله، أما ما يُعْبَدُ من دون الله، ويُسَمَّى إلهاً فهو

أسماء فقط، قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا﴾ [الحج: ٢٢]. ووضعوها على غير مسمياتها في الحقيقة، فهم يَعْبُدُونَ هذه الأصنام، وَيَتَّخِذُونَهَا آلِهَةً، وهي في الحقيقة ليست بآلهة.

❖ وقوله: «وحده لا شريك له». هذا تأكيد للنفي والإثبات، «فلا شريك له». تأكيد

(١) أما سبب كراهه السلف كتابة الحديث قديماً فذلك لما رواه الإمام مسلم (٣٠٠٤) من حديث أبي سعيد

الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه...»

قال القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم (٥٥٣/٨): كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهه كثير منهم، وأجازها أكثرهم ثم أجمع المسلمون على جوازها، وزال ذلك الخلاف. وقال الحافظ في «الفتح» (٢٠٤/١): السلف اختلفوا في ذلك عملاً وتركاً - أي كتابة العلم - وإن كان الأمر مستقر والإجماع انعقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خشي النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٤٤/٥) (٢٢١٩)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٢)، وصححه الشيخ

الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٣) رواه البخاري (٦٣٢٨)، ومسلم (٣٠٢/١) (٤٠٢) (٥٨).

للنفي، «وحده» تأكيدٌ للإثبات.

❖ وقوله: «له الملك». أي: له وحده الملك، والدليل على قولنا وحده، أنه قدّم الخبر في قوله: «له الملك»؛ لأن «له». خبرٌ مقدّم، و«الملك». مبتدأٌ مؤخر، قال العلماء: وتقديم ما حقه التأخير يُفيدُ الحصرَ والاختصاص^(١).

❖ وقوله: «له الحمد». أي: الوصفُ بالجمال والكمال، فهو ﷻ له الحمد كله، وهو المستحقُّ له، أما غيره ممن يُحمدُ فإنه لا يستحقُّ من الحمد إلا اليسير، ولا يستحقُّ الحمد كله.

❖ وقوله: «وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». أي: كلُّ شيءٍ فالله قديرٌ عليه، ولا يمتنعُ عليه شيءٌ أراده ﷻ، سواءً كان في إيجادٍ معدوم، أو إعدامٍ موجود، أو تغييرٍ حال، أو تغييرٍ وصف، المهمُّ أنه ﷻ على كلِّ شيءٍ قديرٌ؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ولا أعظم من قدرةِ بيّنها الله في قوله: ﴿فَأَنفَأْ هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ (١٣) ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [الأنعام: ١٣-١٤]. فالأمواتُ كلُّهم ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾. يخرجون من القبورِ ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، كأنها خرجوا من نفسٍ واحدة، بإذنِ الله، والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ولا يُستثنى من هذا شيءٌ. وأما ما يقعُ في عبارة بعضِ الناس: إنه على ما يشاء قديرٌ. فهذا غلطٌ؛ لأنه تخصيصٌ لما عمّمه الله، وتقييدٌ له، فهو قديرٌ على ما يشاء وعلى ما لا يشاء سبحانه، ثم إن هذه العبارة ربما توهمُ أنه لا يقدرُ على أفعالِ العباد؛ لأن أفعالَ العباد عند المعتزلة ليست داخلَةً في مشيئةِ الله، وعلى هذا فلا يكونُ قادرًا عليها، ولذلك ينبغي تجنبُ هذه العبارة، وأن نقولَ كما قال الله عن نفسه: ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأما ما ورد في حديثِ آخرِ أهلِ الجنةِ دخولًا، وأن الله يقول: «إني على ما أشاء قادرٌ»^(٢). فلا يعني هذا الوصفَ المطلق، ولكنه لما حصل لهذا الرجل ما حصل من الوصولِ إلى هذه الدرجاتِ العُلا، بينَ الله تعالى أن هذا بمشيئته، وأن ما شاءه فهو قادرٌ عليه، فهو كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. أي: إذا شاء جمعهم فليس بعاجزٍ عنه، ففرق بين القدرةِ المقيدةِ بشيءٍ معين، فإنها إذا قيدت بالمشيئةِ فلا بأس؛ ليتبين أن هذا الشيءَ المعينَ شاءه الله، وما شاءه فهو قادرٌ عليه.

(١) انظر: دروس البلاغة بتحقيقنا (ص ٤٧، ٥١).

(٢) رواه مسلم (١٧٤/١) (١٨٧) (٣١٠).

أما إذا ذُكرت القدرة على أنها وصفٌ مطلقٌ لله، فلا تُقيَّدُ بالمشيئة؛ وبهذا جاءت السنة: «وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». كما جاء في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (النحل: ٢١) وما أشبهه.

❖ وقوله: «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت». في هذا: تمام التفويض إلى الله ﷻ، فما أعطاه الله لا يُمكن لأحد أن يمنعه؛ أي: ما قدر أن يُعطيه أحدًا فإنه لا يُمكن لأحد أن يمنعه أبدًا، لو اجتمع أهل الأرض على أن يضُرُّوك بشيء، لم يضُرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.

❖ كذلك قوله: «لا مُعطي لما منعت»، فما قدر الله منعة، فلن يستطيع أحدًا أن يُعطيه مهما كان.

إذًا: ففي هاتين الجملتين كمال التفويض إلى الله ﷻ، والاعتماد عليه، وصدق التوكل عليه ﷻ.

❖ وقوله: «ولا ينفع ذا الجِذِّ منك الجِذُّ» الجِذُّ يعني: الحظُّ والغنى، وصاحبُ الجِذِّ لا ينفعه من الله جُده. ونفع هنا: بمعنى منع، ولذلك عُدِّيَتْ بـ «من» فالمعني: لا يمنعه صاحبُ الجِذِّ جُده منك مهما عظم حظُّه، وسلطانُه، وقوته فإنه لا يمنعه من الله شيءٌ.

❖ وقوله: «وكتبَ إليه أنه كان ينهى عن قيل وقال» -الله أكبر- ما أعظم هذه العبارة، فدَيَّدَن كثير من الناس اليوم -ومع الأسف أنها تُوجد في طلبة العلم- قيل في فلان كذا، قال فلان في فلان كذا، فيُضَيِّعون أوقاتهم في غير فائدة، ويَحْمِلُونَ قلوبهم من الضغائن والأحقاد ما لا ينبغي أن يكون من طالب العلم؛ ولهذا ينبغي لك إذا رأيت الناس مشغولين بقيل وقال أن تُعرِّض عن هذا؛ لأن النبي ﷺ ينهك عنه، ولا يسلم من اتبع قيل وقال من الإثم غالبًا؛ لأنه إما أن ينقلَ كذبًا، أو ينقلَ تهمةً، أو يحملَ ضغائن أو ما أشبه ذلك فتجنب قيل وقال، واجعل قولك مبنياً على قول الرسول ﷺ: «مَنْ كَانَ يَوْمًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١).

ولو أننا سلكنا هذا المسلك لسَلِمْنَا من مآثم كثيرة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «لَمَعَادِ بْنِ جَبَلٍ: «أَفَلَا أَخْبَرْتُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» لَهَا عَدَدٌ عَلَيْهِ مَا عَدَدَ مِنْ شُعَائِرِ الْإِسْلَامِ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخِذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مَعَاذُ وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(٢).

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٦٨/١) (٤٧) (٧٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٣١/٥) (٢٢٠١٦)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

❦ وقوله: «وكثرة السؤال». كثرة السؤال، هل المراد سؤال العلم، أو السؤال عن أحوال الناس، أو سؤال المال؟ الظاهر أن كل ذلك محتمل. فكثرة السؤال للعلم قد تُقضي إلى الإعانات والإشفاق على المستؤل كما هو مشاهد فقد يأتي إنسان يسألك عشرين مسألة في آن واحد فإن اعتذرت قال: هذا كاتم للعلم، وتلوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ (١٥٩). فيُعطيكَ اللعنة وينصرف وهذا غلط.

وأما كثرة السؤال عن أحوال الناس، فبعض الناس مبتلى - والعياذ بالله - كلما جلس عند إنسان يسأله، ما حصل لفلان؟ وما حصل لفلان؟ وقد قال النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١) فما دام هذا الأمر لا يعينك لا في دينك، ولا في دنيك فاتركه، فإن هذا من حسن إسلامك. وأما كثرة سؤال المال فأشد، لأن سؤال المال محرّم إلا للحاجة أو الضرورة، فإذا كان محرماً على وجه الإطلاق، فهو محرّم على وجه الكثرة من باب أولى. وإضاعة المال: هو صرفه في غير فائدة، وصرفه في المحرم أشد، وفي المكروه يُنهي عنه، والناس يصرفون أموالهم في وجوه شتى.

فمنهم: من يصرفه في طرق الخير المعلومة وفي محله؛ فهذا خير من يصرف. ومنهم: من يصرفه فيما يظنه خيراً وليس بخير، وهذا يُعذرُ بجهله، ولكن يجب عليه أن يسأل. ومنهم: من يصرفه في المباح، ويُطلق العنان لنفسه في الصرف في المباح، فهذا لا ينبغي، ولا سيما إذا كان ذلك يؤدي إلى الاستدانة من الغير. كما يوجد بعض الناس، ولا سيما في بلادنا، فمن أجل أن يكون مظهره لدى الناس مظهر الغنى، ومظهر الشرف والسيادة، تجده يستدين، ويظهر بيته بمظهر بيوت الملوك، والشرفاء، والأسايد، وهذا لا ينبغي، بل يُنهي عنه، وهو من أشد ما يكون من إضاعة المال.

وأما من يصرف المال فيما يليق به وبأمثاله، فهذا ليس من إضاعة المال، وليس من الإسراف. ❦ وقوله: «وكان ينهى عن عقوق الأمهات». العُق بمعنى: القطع، والمراد بالعقوق قطع ما يجب للأُم من البر والصلة، وخص الأمهات وإن كان الآباء مثلهن؛ لأن الغالب أن الإنسان يستهين بالأُم أكثر مما يستهين بالأب؛ لأنه يهاب أباه ولا يهاب أمه، فهو ينظر إلى أبيه نظرة الهيبة والسلطان، وينظر إلى أمه

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان (٣٢٩)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

نظر الرحمة والإشفاق، وإذا لم يكن في قلبه رحمة فإنه لا يهتم لها.

❖ وقوله: «وعن وأد البنات». والوَأْدُ، هو القتل على صفة معروفة معهودة، وهي الدفن أحياء، وهذا من شأن الجاهلية - والعياد بالله - .

وفي الجاهلية يَنْقَسِمُونَ في قتل الأولاد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: حماه الله ﷻ من قتل الأولاد الذكور والإناث.

والقسم الثاني: يقتل الذكور والإناث، وهؤلاء أشار الله إليهم في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ﴾ [النحل: ١٥١]. وفي آية أخرى ﴿حَتَّى إِمْلَاقٍ﴾ [النحل: ٣١]. فهؤلاء يقولون: إنهم عندما يكبرون يضيِّقون علينا في الأكل والشرب.

والقسم الثالث: يقتل الإناث فقط؛ لأنهن على زعمه عارٌ عليه، أشار الله إليهم في قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨]. - أعود بالله - يعني: يتغير في ظاهره وباطنه، ففي ظاهره يكون وجهه مسوداً، وفي باطنه كظيم ممتلئ غيظاً: ﴿يَتَوَرَّى مِنَ الْغَوْرِ﴾ [النحل: ٥٩]. أي: يختفي عنهم: ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾، لأنهم يلقونه بقولهم جبر الله مصيبتك جاءك اليوم بنت. فيتوارى منهم من سوء ما بُشِّرَ به، ثم يُفَكِّرُ: ﴿أَيْمِسْكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾: يعني: يُبْقِيهِ حياً على هونٍ وذُلٍّ ومهانة، ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾.

وهذا هو الوَأْدُ، قال تعالى: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٩].

والعجب أن هؤلاء يشتمون ويستكفون أن تُنسب البنات إليهم، ويجعلونها لله قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧].

كما فعلوا ذلك في المأكَل، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِهِمْ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ [النحل: ١٣٦].

وقوله: عن وأد البنات. يدخل فيه وأد الأولاد؛ لأن التخصيص هنا باعتبار الواقع وقد ذكر علماء الأصول أن التخصيص باعتبار الواقع لا مفهوم له. وقد سبق لنا الكلام عليها عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ [النحل: ٢٣]. فهذا باعتبار الواقع، فليس له مفهوم، وكذلك وأد البنات باعتبار الواقع فليس له مفهوم.

❖ وقوله: «ومنع وهات». منع لما يجب، وهات لما لا يجب له؛ يعني: يمنع ما يجب عليه؛ وهذا يدل على البخل، وهات: يطلب ما ليس له؛ وهذا هو الشح، والشح قال فيه

الرسول ﷺ: «اتقوا الشَّعْ فإنه أهلك من كان قبلكم»^(١).

هذا الحديث: كما ترون جمع مسائل متعددة، فهو يدلُّنا على نصيح سلف الأمة لولاة الأمر، فإنَّ المُغِيرَةَ ﷺ أتى بكلِّ ما أتى به؛ لأنَّ المقامَ يَقْتَضِيهِ، فأتى بما يتعلَّقُ بالعبادة، وبما يتعلَّقُ بمعاملة الناس، وبما يتعلَّقُ بالهال؛ لأنَّ معاوية ﷺ هو الخليفة، وعنده الأموالُ يفعلُ بها ما يشاء، لكن إذا جاء مثل هذا الحديث: يَنْهَى عن إضاعة المال، توقَّفَ.

وكذلك عقودُ الأمهات؛ لأنَّ الخليفة قد يرِدُ عليه أن فلاناً عَقَّ أمه، أو ما أشبه ذلك، فهذا يدلُّنا على كمالِ نصيح سلف الأمة لولاة الأمور، وأحقُّ مَنْ تَنْصَحُ وليُّ الأمر؛ لأنَّ وليَّ الأمر إذا صَلَحَ صَلَحَ مَنْ تحت ولايته، وإذا فَسَدَ أَهْمَلُ وَأَضَاعَ.

❦ وقوله: «وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ». وهذا يدلُّ على أنه لا يَجُوزُ للإنسان أن يَقُولَ: اللَّهُمَّ إني لا أَسْأَلُكَ ردَّ القضاء، ولكنني أَسْأَلُكَ اللطفَ فيه. بل الإنسانُ يَدْعُو بما شاء، والدعاءُ يَرُدُّ القضاء كما جاء في الحديث: «لا يَرُدُّ القضاءَ إلا الدعاء»^(٢). وأنت الآن كأنك تتحدَّى الله وتَقُولُ: اقض علىَّ بما تُريدُ، لكن الطُفَّ بي، وهذا لا يَسْتَقِيمُ أو نَقُولُ: اللَّهُمَّ إني لا أَسْأَلُكَ أن تَمْنَعَنِي من الغرق، ولكن الطف بي إذا غَرِقْتُ. هذا لا يَسْتَقِيمُ. وهذه مبتدعة، ما سَمِعناها في دعاء الأولين، ولا الآخرين.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩٣- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: نُهَيِّنَا عَنِ التَّكْلِيفِ.

النهْيُ هنا عن التكليف في كلِّ شيءٍ، حتى في أحوالك الخاصة، فاجعل الأمور تأتي على طبيعتها، وعلى ما تيسر؛ لأنك إذا تكلفت تكلفت، فإذا أردت أن يكون كلُّ شيءٍ على ما تُريدُ، فأتاك كلُّ ما تُريدُ، وَعَبِيتَ، فاجعل الأمور تَمْشِي على طبيعتها، والذي يَتَسَيَّرُ يَتَسَيَّرُ، والذي لم يَتَسَيَّرْ فاعلم أن الله سبحانه لو أراد سِوَاهُ لَحَصَلَ.

فالتكليف في كلِّ شيءٍ مِنْهِيٌّ عنه، ولا أعرف لفظَ الحديث الذي ورد، ولكن قول عمر:

(١) رواه مسلم (١٩٩٦/٤) (٢٥٧٨) (٥٦).

(٢) رواه الترمذي (٢١٣٩)، وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

نُهِينَا. قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّهُ مِنَ الْمَرْفُوعِ حُكْمًا ^(١)، وَأَمَّا الْمَرْفُوعُ صَرِيحًا فِي هَذَا فَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا» ^(٢).

* * * *

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩٤ - حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رحمته الله - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عَظِيمًا ثُمَّ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا». قَالَ: أَنَسُ فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ، وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي». فَقَالَ أَنَسُ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «النَّارُ». فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ». قَالَ: ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ: «سَلُونِي سَلُونِي». فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا. قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ: عُمَرُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ آتِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ وَأَنَا أُصَلِّي، فَلَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» ^(١).

وفي نسخة: «أولى والذي نفسي بيده»

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٢٦٩):

❖ قَوْلُهُ: «وَقَالَ سَلُونِي». فِي حَدِيثِ أَنَسٍ الْمَذْكُورِ: فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتَهُ لَكُمْ». وَفِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ عِنْدَ أَبِي حَاتِمٍ، «فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ حَتَّى صَعَدَ الْمِنْبَرَ»، وَبَيَّنَّ فِي رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذَا الْبَابِ وَقْتُ وَقُوعِ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الظُّهْرَ، وَلَفْظُهُ: «خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ السَّاعَةَ ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ» فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

❖ قَوْلُهُ: «فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَبِي؟» بَيَّنَّ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ مِنْ رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ

(١) انظر: «مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث» ص ٢٣.

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٥) (٢٦٧٠) (٧).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٨٣٢) (٢٣٥٩) (١٣٤).

اسمَه، وفي رواية قتادة سبب سؤاله، قال: فقام رجلٌ كان إذا لَحَى - أي؛ خاصَمَ - دعى إلى غير أبيه، وذكر اسمُ السائل الثاني، وأنه سعدٌ، وإني نقلته من ترجمة سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ مِنْ تَمِيمِ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ. وزاد في رواية الزهري الآتية بعدَ حديثين، فقام إليه رجلٌ فقال: «أين مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قال: «النَّارُ» ولم أَقِفْ على اسمِ هذا الرجل في شيءٍ من الطرق، كأنهم أَبْهَمُوهُ عَمْدًا لِلسترِ عليه. وللطبراني من حديث أبي فراسٍ الأَسْلَمِيِّ نحوه وزاد «وسأله رجلٌ في الجنة أنا؟» قال: «في الجنة» ولم أَقِفْ على اسمِ هذا الآخر.

ونقل ابنُ عبدِ البرِّ عن رواية مسلمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال في خطبته: «لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُهُ، وَلَوْ سَأَلَنِي عَنْ أَبِيهِ». فقام عبدُ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ، وذكر فيه عتابُ أمِّه له وجوابه، وذكر فيه: «فقام رجلٌ فسأل عن الحجِّ» فذكره، وفيه فقام سعدٌ مولى شيبَةَ فقال: من أنا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «أَنْتَ سَعْدُ بْنُ سَالِمٍ مَوْلَى شَيْبَةَ». وفيه فقام رجلٌ من بني أسَدٍ فقال: أين أنا؟ قال: «في النارِ» فذكر قصةَ عمرَ قال: فَتَزَلَّتْ ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ [التَّائِبَةُ: ١٠١] وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ قِيلٍ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ.

وهذه الزيادة يَتَضَحُّ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ سَبَبُ نَزُولِ: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْتَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن يُبْدِلَكُمْ تَسْوُكُمْ﴾. فَإِنَّ الْمَسَاءَةَ فِي حَقِّ هَذَا جَاءَتْ صَرِيحَةً، بِخِلَافِهَا فِي حَقِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ، فَإِنَّهَا بِطَرِيقِ الْجَوَازِ، أَيْ لَوْ قَدَّرَ أَنَّهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ لِأَبِيهِ فَيُنْ أَبَاهُ الْحَقِيقِي لَا تَفَضَّحَتْ أُمُّهُ، كَمَا صَرَّحَتْ بِذَلِكَ أُمُّهُ حِينَ عَاتَبَتْهُ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي «كِتَابِ الْفِتَنِ».

وقوله: «فَلَمَّا رَأَى عَمْرُ مَا بَوَّجَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْغَضَبِ». بَيِّنَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ فَهَمُّوا ذَلِكَ، فِي رِوَايَةِ هِشَامٍ «فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لَفَأَ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي» وَزَادَ فِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ: «وَطَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيَّ أَمِيرٍ قَدْ حَضَرَ» وَفِي رِوَايَةِ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسٍ الْمَاضِيَةِ فِي تَفْسِيرِ الْمَاهِدَةِ: «فَغَطُّوا رُؤُسَهُمْ لَهُمْ حِينٌ». وَزَادَ مُسْلِمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ: «فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ».

وقوله: «فَقَالَ: إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ﷻ زَادَ فِي رِوَايَةِ الزَّهْرِيِّ: «فَبَرَكَ عَمْرُ عَلَى رَكْبَتِهِ فَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا». وَفِي رِوَايَةِ قَتَادَةَ مِنَ الزِّيَادَةِ: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ». وَفِي مَرْسَلِ السُّدِّيِّ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ فِي نَحْوِهِ هَذِهِ الْقِصَّةُ: «فَقَامَ عَمْرُ فَقَبَّلَ رَجْلَهُ وَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا». فَذَكَرَ مِثْلَهُ وَزَادَ: «وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا، فَاعْفُ عَنَّا اللَّهُ عَنكَ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ».

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ غَيْرُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالترجمة.

مراقبة الصحابة أحوال النبي ﷺ، وشدة إشفاقهم إذا غضب، خشية أن يكون لأمر يعم فيعظمهم، وإدلال عمر عليه.

○ وجواز تقبيل رجل الرجل.

○ وجواز الغضب في الموعظة.

ويروك الطالب بين يدي من يستفيد منه، وكذا التابع بين يدي المتبوع إذا سأل في حاجة.

ومشروعية التعوذ من الفتن عند وجود شيء قد يظهر منه قرينة وقوعها.

واستعمال المزاجية في الدعاء في قوله: «اعف عفا الله عنك» وإلا فالنبي ﷺ معفو عنه

قبل ذلك. اهـ.

وقوله: المزاجية في الدعاء في قوله: «اعف عفا الله عنك»؛ لأن النبي ﷺ قد عفي عنه

قبل ذلك. في هذا التعليل نظر؛ لأنه قد يكون من أسباب العفو دعاء الناس له؛ ولهذا يجب أن

تصلي على الرسول ﷺ مع أن الله قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الاحزاب: ٥٦]. وكذلك أيضا نسأل الله له الوسيلة عند الفراغ من الأذان، مع أنها حاصلة له^(١).

فإذا قال قائل: إذا كانت هذه الأمور حاصلة فما الفائدة من الدعاء بها له؟

قلنا هذا له فوائد: أولاً: كثرة الأجر لنا لسؤالنا لرسول الله ﷺ هذا.

ثانياً: أنه عنوان على محبة الإنسان لرسول الله ﷺ.

ثالثاً: إنه قد يكون حصول هذا له بأسباب متعددة؛ منها دعاؤنا له. فما ذهب إليه ابن حجر

رحمته في نظره.

وإنما لا شك أنه ينبغي أن يكون الدعاء من جنس العمل: مثل: اغفر لي غفر الله لك،

أعطني أعطاك الله، أو وسع لي وسع الله لك.

قال ابن حجر في «الفتح» (٢٧٠ / ١٣):

قال ابن عبد البر: سئل مالك عن معنى النهي عن كثرة السؤال، فقال: ما أذري أنهى عن

الذي أنتم فيه من السؤال عن النوازل، أو عن مسألة الناس المال، قال ابن عبد البر: الظاهر

الأول، وأما الثاني فلا معنى للترقية بين كثرة وقلته، لا حيث يجوز ولا حيث لا يجوز، قال:

وقيل كانوا يسألون عن الشيء ويلحون فيه إلى أن يحرم، قال: وأكثر العلماء على أن المراد

(١) رواه مسلم (٢٨٨ / ١) (٣٨٤) (١١).

كثرة السؤال عن النوازل، والأغلوطات، والتوليدات كذا قال : وقد تقدم الإسلام بشيء من ذلك في كتاب «العلم». اهـ

ثم قال ابن حجر رحمته الله في «الفتح» (٢٧٢/١٣):

الحديث السادس: وهو يتعلق بالقسم الثالث، وكذا الرابع حديث أنس وهو في معنى الحديث الرابع، وقد مضى شرحه، أورده من وجهين عن الزهري، وساقه هنا على لفظ معمر، وفي باب وقت الظهر من «كتاب الصلاة» بلفظ شعيب وهما متقاربان، ووقع هنا «فأكثر الأنصار البكاء». في رواية الكشميهني، وفي رواية غيره «فأكثر الناس» وهي الصواب، وكذا وقع في رواية معمر وغيره، ووقع هنا «فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أمورًا عظامًا». وفي رواية شعيب، وذكر أن فيها أمورًا عظامًا، وزاد هنا: «فقام رجل فقال: أين مُدخلي» إلخ. ووقع هنا «وبمحمد رسولاً» وفي رواية شعيب «ومحمد نبياً» ووقع هنا «فسكت حين قال ذلك عمر» ثم قال النبي ﷺ: «أولى» وسقط هذا كله من رواية شعيب قال المبرد: يُقال للرجل إذا أفلت من معضلة: أولى لك، أي: كذت تهلك، وقال غيره هي بمعنى التهديد والوعيد. اهـ

وقوله: «أولى» معروف أنها تقع للتهديد، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ فَأُولَى﴾ [الأنعام: ١٣٤]. ويحتمل أن قوله «أولى» هنا أن هذا أولى؛ أي: ما قاله عمر من قوله: «رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً» ففيه احتمال.

المشكلة عندي أن الرجل قال: أين مُدخلي؟ فقال: النار؛ فمثل هذا من رسول الله ﷺ فيه شيء من الجفاء، ومن عادته ﷺ أنه لا يقع منه الجفاء، اللهم إلا أن يُقال: لعل هذا الرجل كان معروفًا بالعداوة وإيذاء المسلمين، فأراد النبي ﷺ أن يُخبر بمصيره تطبيقاً لقلوب المسلمين الذين يلحقهم أذيتُهُ، فهذا له وجه. وذكر في كتاب «العلم» أنه كان منافقاً.

وقوله: «الأغلوطات» يعني: الإيرادات والمنازعات.

ثم قال البخاري رحمته الله:

٧٢٩٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ: رَجُلٌ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ

فَلَانٌ. وَنَزَلَتْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ الآية ^(١).

هذا الحديث مع الأحاديث التي ذكرها المؤلف في هذا الباب: وهو كراهة السؤال عما يُخشى أن يُجاب عليه الإنسان بما يسوءه. فهذا الرجل سأل من أبي؟ وكأنه والله أعلم يتكلم الناس فيه، فأراد أن يسأل النبي ﷺ عن أبيه حتى يُحقّق أن أباه فلان ابن فلان، فيزول هذا الاشتباه الذي رماه الناس به، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ فَتَقْتُلُوا﴾ [التوبة: ١٠١]؛ لأنه ربّما لو كان الرجل يُنسبُ إلى غير أبيه الحقيقي، فأخبر به النبي ﷺ حين سُئل لسأه ذلك.

وهذه الآية محلّها وقت نزول الوحي، أما الآن فيجب السؤال عن كلّ شيء يُشكّل على المرء؛ لأن تغيير الأحكام مأمون، فلا يُمكن أن يُوجب ما لم يجب، ولا أن يُحرّم ما لم يُحرّم.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩٦- حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ صَبَّاحٍ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ يَرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يَقُولُوا هَذَا اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟» ^(١).

في تفسيره: ذاك صريح الإيمان. أي: أنه يُؤدّي إلى صريح الإيمان الذي ليس فيه تردّد ولا شك، وهذا خلاف ظاهر الحديث؛ لأن ظاهر الحديث أن نفس الشك صريح الإيمان، وحينئذ يحتاج إلى توجيه.

وتوجيهه أن يُقال: إن الشك لا يردّ إلا على قلب خالص؛ لأن الشك على القلب المتردد غير وارد؛ إذ إنه لم يكن فيه يقين حتى يردّ عليه الشك خلفه ويلقي الشبهة في قلب هذا الموقن الذي إيقانه صريح، من أجل أن يُفسّده.

فإذا ورد الشك على القلب، فهذا يدلّ على أن قلبه صريح سالم؛ إذ إن القلب الذي فيه شبهات، هو من الأصل مبني على الشبهات، فلا يردّ عليه الشك، هذا هو المعنى الصحيح، وقد أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب «الإيمان».

أما قول من يقول عن الله أنه قديم، فهذا مصطلح حادث بدعي، ويريدون بالقديم غير ما

(١) رواه مسلم (١٨٣٢/٤) (٢٣٥٩) (١٣٥).

(٢) رواه مسلم (١٢١/١) (١٣٦) (٢١٧).

يُرَادُ بِهِ لُغَةً، فَالْقَدِيمُ فِي اللُّغَةِ: مَا سَبَقَ غَيْرَهُ، وَإِنْ كَانَ حَادِثًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يَس:٣٩]. وأما القديمُ عندهم في اصطلاحهم فهو الذي لم يُسَبَقْ بعدهم^(١)، وعلى هذا فيكونُ بمعنى الأول، ولكن الأول أولى منه لأمرين: أولاً: لأنه هو الذي ورد في القرآن والسنة^(٢).

وثانياً: أن فيه معنى أول الأشياء التي بعده إليه؛ لأنه يجوز أن يكون من الأولية بمعنى التقدم، أو من الأول بمعنى الرجوع، فيكون الأول بلا شك أولى من القديم، وإن كان القديم بمعناه عند هؤلاء في اصطلاحهم.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٢٩٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ بْنُ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصِيبٍ، فَمَرَّ بَنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ لَا يَسْمَعُكُمْ^(٣) مَا تَكْرَهُونَ فَقَامُوا إِلَيْهِ فَنَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ. فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوْحَى إِلَيْهِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّى صَعِدَ الْوُحْيُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الْأَنْعَامُ: ٨٥].^(٤)

الشاهد من هذا الحديث قوله: «لَا يَسْمَعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ».

والمراد بالروح هنا: روح الحيوان من الإنسان، وغير الإنسان، فإنها من أمر الله ﷻ، ولا يمكن أن يحيط الإنسان بشيء من كفياتها، إلا بما جاء به الوحي، نعم قد يحيط الإنسان بآثارها، وأنها مادامت في البدن فهو حي، وإذا فارقت صار ميتاً، لكن صفة هذه الروح، وكيف هي؟ وما مادتها، وكثافتها، ولطافتها؟ هذا لا يعلم إلا عن طريق الوحي. وقد قال بعض الناس: إن الروح جزء من البدن كالدم، وبه الحياة.

(١) قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

(٢) قال النبي ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء» رواه مسلم (٢٧١٣).

(٣) قال ابن حجر رحمته الله في «الفتح» (٤٠٢/٨): قوله: وقال بعضهم: «لا يستقبلكم بشيء تكرهونه». وفي رواية العلم: «لا يحيي في شيء تكرهونه». وفي الاعتصام «لا يسمعكم ما تكرهون». وهي بمعنى، وكلها بالرفع على الاستئناف، ويجوز السكون وكذا النصب أيضاً. اهـ

(٤) رواه مسلم (٢١٥٢/٤) (٢٧٩٤) (٣٢).

وقال بعضهم: إنها عرض من أعراضه كالصحة والمرض وما أشبه ذلك وقال بعضهم: الروح شيء يُذكر، ولكنه ليس بداخل الجسم، ولا خارج الجسم، ولا متصل بالجسم، ولا منفصل عن الجسم؛ يعني: لا نقول: هي داخل الجسم، ولا خارجة. وقال بعضهم: لا نقول هي داخل العالم، ولا خارجة، كما وصفوا بذلك الرب ﷻ. فهاتان طائفتان، وكلاهما مُنحرفتان.

فالأولى: سلكت فيها مسلك التمثيل. حيث قالت: جزءاً من البدن أو عرضاً من أعراضه، وأنها تفنى بفنائها، وتوجد بوجوده.

والثانية: سلكت بها مسلك التعطيل، والجحود؛ لأن هذا الوصف الذي ذكره لها؛ يعني: أنه ليس لها وجود كما قالوا في الخالق ﷻ: أنه ليس داخل العالم، ولا خارجة ولا متصل ولا منفصل إلى آخره.

والحق أنها: أي: الروح جسم، ولكنه جسم لطيف قوي النفوذ والسلوب والدخول في البدن، والدليل على هذا أن النبي ﷺ أخبر حين جاء إلى أبي سلمة رضي الله عنه، وقد قبض وشخص بصره فقال: «إن الروح إذا قبض أتبعه البصر» ^(١). ومعلوم أن البصر، لا يتبع إلا شيئاً ذا جرم. وكما أخبر أن الإنسان إذا قبضت روحه، كُفّن في كفن من الجنة، أو بكفن من النار، وصُعد بها إلى السماء، وكان لها رائحة طيبة إن كانت من أرواح المؤمنين، أو خبيثة إن كانت من أرواح الكفار ^(٢)، وهذا يدل على أنها ذات جرم.

لكن جرم ليس من العناصر التي كعناصر المخلوقات لا كالأجساد، بل هي من مادة لا تعلمها، ولا نذكرها؛ لأنها لم توصف لنا في الكتاب والسنة؛ ولهذا قال: «قل الروح من أمر ربي». والروح أمرها عجيب؛ فلو أن الإنسان أغلق عليه في مكان. فإن الروح تخرج ولو كان محكم الإقفال.

فالصواب في الروح أنها جرم يرى ويُقبض، ويُكفّن، ويُصعدُ به، ويُقَى له رائحة، لكنه جسم ليس كالأجسام في الكثافة، وله قوة في السريان في الجسم عجيبة؛ ولهذا تجد أن النائم

(١) انظر الكلام في هذه المسألة: الروح لابن القيم ص ٥٦ وما بعدها.

(٢) رواه مسلم (٢/٦٣٤) (٩٢٠) (٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/٢٨٧) (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم في المستدرک (١/٣٧)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

مثلاً تَخْرُجُ رَوْحُهُ، لَكِنَّهَا لَا تَخْرُجُ خُرُوجًا كَلِيًّا، فَإِذَا أَوْقَطَ اسْتَيْقِظَ فِي لَحْظَةٍ، فَهَذِهِ الرُّوحُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْأَوَّلِ خَارِجَةً كَالظَّلِّ عَلَى الْجَسَدِ إِذَا أَوْقِظْتَ دَخَلَتْ فِي الْجَسَدِ.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٤- بَابُ الْاِقْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ.

٧٢٩٨- حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ». فَنَبَذَهُ وَقَالَ: «إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا» فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ^(١).

قوله: «بَابُ الْاِقْتِدَاءِ بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ ﷺ». يَعْنِي: اتِّبَاعَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَفْعَالِهِ.

وقد قَسَمَ الْعُلَمَاءُ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ إِلَى أَقْسَامٍ^(٢):

القِسْمُ الْأَوَّلُ: مَا فَعَلَهُ بِمَقْتَضَى الْجَبِلَةِ؛ مِثْلُ الْأَكْلِ إِذَا جَاعَ؛ وَالشَّرْبِ إِذَا عَطِشَ، وَالنُّوْمِ إِذَا أَنَاهَ النَّوْمُ، فَهَذَا لَا حَكْمَ لَهُ فِي نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ مُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ لَهُ حَكْمٌ فِي وَصْفِهِ؛ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ الْأَكْلُ بِالْيَمِينِ، وَالشَّرْبُ بِالْيَمِينِ، وَالنُّوْمُ عَلَى الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: مَا فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْعَادَةِ؛ يَعْنِي: أَنَّ النَّاسَ اعْتَادُوهُ، فَهَذَا يُتَّبَعُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَنْسِهِ لَا فِي عَيْنِهِ.

وَمَعْنِي قَوْلُنَا: فِي جَنْسِهِ: أَنْ نَتَّبِعَ مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ اتَّبَعَ مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ. لَا فِي عَيْنِهِ؛ فَمِثْلًا: إِذَا كَانَ النَّاسُ فِي عَهْدِهِ يَعْتَادُونَ لِبَسِ الْإِزَارِ وَالرِّدَاءِ بَدَلًا عَنِ الْقَمِيصِ وَالسَّرَاوِيلِ وَالْغُتْرَةِ، فَهَلِ الْمَشْرُوعُ لَنَا أَنْ نَلْبَسَ الْإِزَارَ وَالرِّدَاءَ، وَإِنْ خَالَفَ الْعَادَةُ؟

الْجَوَابُ: لَا؛ بَلْ نَقُولُ: مَا فَعَلَهُ عَلَى سَبِيلِ الْعَادَةِ فَاتَّبَاعُهُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ الْجَنْسِ، بِأَنْ نَتَّبِعَ مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ، لَا بِاعْتِبَارِ عَيْنِهِ.

القِسْمُ الثَّلَاثُ: مَا فَعَلَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعْبِيدِ، فَهَذَا نَتَّبِعُهُ فِيهِ، فَمَا فَعَلَهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعْبِيدِ فَإِنَّهُ يُشْرَعُ لَنَا أَنْ نَتَّبِعَهُ فِيهِ.

وَلَكِنْ إِذَا كَانَ لَمْ يَرِذْ إِلَّا مَجْرَدُ الْفِعْلِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مُسْتَحَبًّا وَلَا يَكُونُ وَاجِبًا. وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الرَّاجِعُ،

(١) رواه مسلم (١٦٥٥/٣) (٢٠٩١) (٥٣).

(٢) انظر: الإحكام في أصول الأحكام» للآمدني (٢٧/١)، والبرهان في أصول الفقه» للجويني (١/٣٢١)، والمسودة لأل تيمية (١/٦٦)، و«المنحول» للغزالي (١/٢٢٣).

أي: أن ما فعله على سبيل التعبد، وليس مقروناً بأمرٍ منه فإنه يكون مستحباً، وليس بواجبٍ؛ ولهذا قال العلماء: إن فعل النبي ﷺ المجرد يدلُّ على الاستحباب دون الوجوب.

القسم الرابع: ما كان متردداً بين العادة والعبادة، فهنا اختلف العلماء فيه: فمنهم من قال: إنه يُستحب؛ لأن الأصل اتباع الرسول ﷺ في فعله؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الاحزاب: ٢١].

وقال بعضهم: بل يُحكَّم له بحكم العادة؛ لأن الأصل في العبادات المنع حتى يقوِّم دليل لا تردّد فيه على أن هذا الشيء من العبادات، فنفعله؛ ومن أمثلة ذلك: اتّخاذ شعر الرأس هل هو سنة، أو عادة؟.

فمن العلماء من قال: إنه سنة، وإلى هذا ذهب الإمام أحمد رحمه الله، حيث قال: هو سنة لو نقوى عليه لاتّخذناه، ولكن له كلفة ومثونة^(١).

وقال بعض العلماء: إنه ليس بسنة؛ لأن الرسول ﷺ اتّخذ على سبيل العادة؛ ولهذا قال في الصبي الذي كان فيه قزحٌ؛ يعني: بعض رأسه محلوّق، وبعضه غير محلوّق، قال: «احلقه كله أو اتركه كله»^(٢) ولو كان من الأمر المشروع لقال: اتركه حتى ينبت. وهذا هو الأقرب: أن ما تردّد بين كونه عبادة، أو عادة فإن الأصل أنه ليس متعبداً به؛ لأن العبادة لا تثبت إلا بيقين أنها عبادة، فيرجح جانب العادة.

القسم الخامس: ما فعله امتثالاً لأمر الله ﷻ، لكنّه فعله على وجه البيان، والتفصيل، فهذا قال بعض العلماء فيه: إن له حكم ذلك الممّجل، فإن كان الممّجل واجباً فهو واجب، وإن كان غير واجب فهو غير واجب.

ولكن يُدو أن هذا ليس على إطلاقه؛ بدليل قول الله تبارك وتعالى في سورة البائدة: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [البقرة: ٦٦]. فهذا ممّجل لم يبيّن فيه كيف يكون التطهر، والنبي ﷺ بيّن كيف يكون ذلك، كما في صفة غسل الرسول ﷺ^(٣). فهل نقول: إن الغسل على هذه الصفة واجب، لأنه بيان لممّجل

(١) انظر «المبدع» (١/ ١٠٥)، و«الفروع» (١/ ٩٩)، و«كشاف القناع» (١/ ٧٥)، و«الروض المربع» (١/ ٤٥).

(٢) رواه أبو داود (٤١٩٥) بهذا اللفظ، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على «السنن»، وهو عند مسلم (٣/ ١٦٧٥) (٢١٢٠) (١١٣) بلفظ: «نهي عن القزح....».

(٣) روى البخاري (٢٧٤)، مسلم (٣١٧) عن ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ أنها قالت: وضعت لرسول الله ﷺ وضوء الجنابة فأكفأ يمينه على يساره مرتين أو ثلاثاً، ثم غسل فرجه، ثم ضرب يده بالأرض أو الحائط مرتين أو ثلاثاً، ثم مضمض واستنشق ثم غسل وجهه وذراعيه، ثم أفاض على رأسه الماء، ثم غسل سائر

واجب، أو نقول: إن أصل الغسل واجب، وهذه الصفة سنة؟

لا شك أن السنة دلت على الأخير، وهو أن الغسل واجب بأصله، مستحب بوصفه، ويدل لهذا ما في صحيح البخاري، من حديث عمران بن الحصين الطويل، وفيه: أن رجلاً اعتزل ولم يصل مع النبي ﷺ فقال له: «ما منعك أن تصلني معنا؟». قال: أصابني جنابة ولا ماء. فقال: «عليك بالصعيد، فإنه يكفيك». ثم جيء بالماء، واستقى الناس، وشربوا، وبقي بقية فأعطاه الرجل، وقال: «خذ هذا أفرغه على نفسك»^(١).

ولم يبين له الكيفية، فلو كانت الكيفية واجبة، لبيّنها الرسول ﷺ، لوجوب التبليغ عليه. وعلى هذا: القسم الخامس محل نظر؛ بمعنى: أننا ننظر كل قضية بعينها، ولا نعطيها حكماً عاماً، فنقول: إذا كان بياناً لواجب؛ فهو واجب، وإذا كان بياناً لمستحب؛ فهو مستحب، بل نقول: نحكم في كل قضية بعينها.

وهناك قسم سادس يفعله النبي ﷺ اتفاقاً: فهذا لا يقتدى به فيه، وليس محل اقتداء عند جمهور الصحابة، وإن كان ابن عمر رضيا يقتدي بالرسول ﷺ فيه، ويتبعه فيه^(٢).

مثال ذلك: إذا نزل النبي ﷺ في مكان وصلى فيه اتفاقاً؛ أي: صادفه الوقت في هذا المكان، فتزل فصلّى، هل نقول: يُشرع للإنسان إذا مر في هذا المكان في وقت الصلاة أن يتزل فيه ويصلي؟ والجواب: أما ابن عمر رضي الله عنهما فكان يفعل ذلك، حتى ذهب إلى ما هو أعظم، فكان يتحرى المكان الذي بال فيه الرسول ﷺ، فيتزل ويؤل فيه، ولكن هذا الأصل خالفه فيه أكثر الصحابة، ورأوا أن ما فعل اتفاقاً، فإنه لا يُشرع.

ومن ذلك أيضاً: قدوم الإنسان الحاج إلى مكة في اليوم الرابع من ذي الحجة، فهل نقول: إن هذا مشروع، وأنه ينبغي للإنسان أن يكون قدومه إلى مكة وهو حاج في الرابع من ذي الحجة، أو نقول: إن هذا حصل من النبي ﷺ^(٣) اتفاقاً فلا حكم له؟ الجواب: أن الثاني هو الصحيح.

جسده، ثم تنحى فغسل رجله.... الحديث.

(١) رواه البخاري (٣٤٤).

(٢) أورد البخاري رحمه الله جملة من الأحاديث والآثار الدالة على ذلك في كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ الحديث (٤٨٣) وما بعده من الأحاديث.

(٣) رواه البخاري (٧٣٦٧)، ومسلم (١٢١٦) (١٤١).

فهذه أقسامٌ ستةٌ في أفعالِ النبي ﷺ.

أما الحديث الذي معنا؛ وهو «اتخاذُ النبي ﷺ خاتماً من ذهبٍ، فاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، ثُمَّ نَبَذَهُ ﷺ فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ». فهذا في زمنِ المشروعية والاتباع، فكان الصحابةُ يَحْرِصُونَ عَلَى تَابِعَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا نَزَعَ نَعْلَيْهِ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ، نَزَعَ النَّاسُ نِعَالَهُمْ^(١)، وَحَتَّى إِنَّهُمْ تَابَعُوهُ فِي الرُّكْعَةِ الْخَامِسَةِ لَمَّا صَلَّى خَمْسًا^(٢)، وَتَابَعُوهُ فِي التَّسْلِيمِ مِنْ رَكْعَتَيْنِ فِي الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ لَمَّا سَلَّمَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ^(٣)؛ لِأَنَّ هَذَا زَمَنُ التَّشْرِيعِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَا فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْعِبَادَةِ، فَكَانُوا يُتَابِعُونَهُ فِيهِ.

وَفِي الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ مِنْ حَيْثُ الْفَقْه - عَلَى أَنَّ لِبَاسَ الذَّهَبِ حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا». وَهُوَ كَذَلِكَ. فَلَبَسَ الذَّهَبَ حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ سَوَاءً كَانَ خَاتَمًا، أَوْ سَلْسَلَةً، أَوْ قُرْطًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، ثُمَّ أُضِيفَ إِلَى هَذَا أَنَّهُ مِنْ خَصَائِصِ النِّسَاءِ، فَصَارَ فِيهِ مُحْظُورَانِ: أَوَّلًا: كَوْنُهُ مِنْ ذَهَبٍ.

وَالثَّانِي: التَّشَبُّهُ بِالنِّسَاءِ، وَهُوَ مِنْ كِبَائِرِ الذَّنُوبِ.

وَأَمَّا الْيَسِيرُ التَّابِعُ فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، كَالْمَسَامِرِ فِي الْمِرَاةِ مَثَلًا، أَوْ الْعَضِدِ فِي الْمِرَاةِ، أَوْ الْعَقْرِ فِي السَّاعَةِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ^(٤)، لِأَنَّهُ يَسِيرٌ تَابِعٌ، وَالتَّابِعُ يَثْبُتُ تَبَعًا مَا لَا يَثْبُتُ اسْتِقْلَالًا، وَقِيَاسًا عَلَى الْحَرِيرِ الَّذِي قُرِنَ تَحْرِيمُهُ بِالذَّهَبِ، وَأُبَيِّحَ مِنْهُ مَا كَانَ تَابِعًا، كَأَرَبِ أَصَابِعٍ فَمَا دُونَ ذَلِكَ.

وَلِهَذَا تَرَخَّصَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَائِنَا لِبَاسِ الْمَشَالِحِ الْمَنْسُوجَةِ بِالزَّرِيِّ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: إِنَّ فِي هَذَا الزَّرِي ذَهَبًا؛ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: لَا ذَهَبَ فِيهِ، وَإِنَّمَا هَذَا مَلُونٌ بِلَوْنِ الذَّهَبِ، وَنَقَلَ شَيْخُنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَارٍ، عَنْ شَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: أَنَّ هَذَا الزَّرِي الَّذِي فِي الْمَشَالِحِ لَيْسَ بِذَهَبٍ، وَلَكِنَّهُ مَلُونٌ بِالذَّهَبِ.

وَعَلَى هَذَا فَلَا إِشْكَالَ فِيهِ؛ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَرَامٍ، أَمَّا إِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ ذَهَبٌ، وَقُلْنَا: بِجَوَازِ التَّابِعِ قِيَاسًا عَلَى الْحَرِيرِ، فَهُوَ جَائِزٌ أَيْضًا، وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَوَرَّعُ عَنْ هَذَا، وَلَا يَلْبَسُ الْمُطَرَّرَ

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٠/٣) (١١٥٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (٦٥٠)، وَابْنُ خَزِيمَةَ (١٠١٧)، وَالدَّارِمِيُّ (٣٢٠/١)، وَالحَاكِمُ (٢٦٠/١) وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى السَّنَنِ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٤)، وَمُسْلِمٌ (٤٠١/١) (٥٧٢) (٩١).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧١٤)، وَمُسْلِمٌ (٤٠٣/١) (٥٧٣) (٩٧).

(٤) انْظُرْ «مَجْمُوعَ فَتَاوَيِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ» (٢٥/٦٤)، وَ«الْمَبْدَعُ» (١/٣٨٣)، وَ«شَرْحُ الْعَمْدَةِ» (٤/٣٠٨).

بالذهب أخذًا بالعموم، أن الذهب حُرِّمَ على ذكورِ هذه الأمة^(١). وكذلك أيضًا: يَجُوزُ الذهب في الخناجرِ والسيوفِ والبنادق؛ لأن ذلك فيه مصلحةٌ أكبرُ من مفسدته، وهو إغاطةُ الأعداء، فالأعداء إذا رأوا أن أسلحةَ المسلمين من الذهب فلا شك أنهم يُعَاظُونَ بهذا، فلمصلحةٍ راجحةٌ أُبَيِّحَ منه هذا الشيء.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٥- بابُ ما يُكْرَهُ من التعمقِ والتنازعِ^(٢) والغلوِّ في الدينِ والبدعِ لقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]؟
 وقوله: «التعمق»، مأخوذٌ من العمق؛ وهو التقعرُ في الشيء.
 وقوله: «التنازع»، هو التنازُعُ في العلم، والمرادُ بالتنازعِ في العلم الذي لا يَقْصِدُ به الإنسانُ إلا منازعةَ الخصمِ وغلبته عليه.
 وقوله: «الغلو في الدين»: الزيادةُ فيه، سواءً فيما لم يُشْرَعْ، أو فيما شُرِعَ فيزيدهُ في وصفه، فإن هذا مما يُكْرَهُ.

وقوله: «البدع»: أيضًا مما تُكْرَهُ؛ أي: البدعُ في الدين، لا في الدنيا. فالبدعُ في الدين كلها ضلالةٌ، حتى وإن ظنَّ صاحبُها أنها هُدى فإنها ضلالةٌ، ولكنها تختلفُ بحسبِ ما تُوصِلُ إليه، فقد تكونُ فسقًا، وقد تكونُ كفرًا بحسبِ مخالفتها للسنة.

ثم استدلَّ البخاري رحمه الله بقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]. فأهلُ الكتابِ كانوا في دينهم على طرفين: طرفٌ غالٍ، وطرفٌ جاهلٌ.

فكان بعضهم يَغْلُوا في دينه حتى يَفْرِضَ على نفسه ما لم يَفْرِضْهُ اللهُ عليه؛ كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آيَةً رَضَوْنَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٢٧].
 وبعضهم يَتَغَلَّتْ من دينه، وَيَقْرَطُ، وَيُهْمِلُ، فكما أننا منهيون عن التفريط، فإننا منهيون أيضًا عن الغلو.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في نسخة الشعب: والتنازع في العلم.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٢٩٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُوَاصِلُوا». قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ. قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَسَقَيْنِي». فَلَمْ يَتَّهَوْا عَنِ الْوَاصِلِ - قَالَ - فَوَاصِلُ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَيْنِ أَوْ لَيْلَتَيْنِ، ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَأَخَّرَ الْهَلَالُ لَزِدْتُمْ». كَالْمُنْكَلِ لَهُمْ^(١).

❖ قوله ﷺ: «لَا تُوَاصِلُوا». قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ. لم يريدوا بهذا أن يعترضوا على الرسول ﷺ؛ أي: لم يريدوا أن يقولوا: كيف تنهانا عن شيء أنت تفعله؟ وإنما يريدون بذلك أن يبينوا أن مواصلة لهم كانت اتباعاً له ﷺ، فكأنهم قالوا: إنك تواصل وتريد أن تتبعك في ذلك، ثم بين لهم الفرق الذي يمنع المتابعة في هذا، بأنه ليس مثلنا يبيت يطعمه ربه ويسقيه.

❖ قوله: «يبيت»، يعني: في الليل.

❖ وقوله: «يطعمه ربه ويسقيه». هل يطعمه خبزاً ولحماً وعسلاً، ويسقيه لبناً وماء؟

الجواب: لا؛ إذ لو كان كذلك، لم يكن هناك وصلاً، فتعذر أن يكون طعاماً كطعام الناس، إذن هو طعام آخر، فما هذا الطعام؟

قال بعضهم: إنه طعام من طعام الجنة، وطعام الجنة طعام أخروي، فلا يفطر الصائم. وهذا أيضاً فيه نظر؛ لأن طعام الجنة وشراب الجنة يملأ البطن، فيحصل به ما يحصل بطعام الدنيا فلا يصح.

وقال بعضهم: إن معنى الإطعام، والإسقاء: هو أن الرسول ﷺ يشتغل بمناجاة الله ﷻ وذكره، والثناء عليه، فيحصل له بهذا من الغذاء الروحي، ما يكفيه عن الغذاء الجسدي، والإنسان إذا اشتغل بشيء اشتغلاً تاماً، أنساه الاشتغال به ما سواه، وهذا شيء مشاهد، وعلى هذا يجزى قول الشاعر:

لَهَا أَحَادِيثُ مِنْ ذِكْرِكَ تَشْغَلُهَا عَنْ الشَّرَابِ وَتُلْهِيَهَا عَنِ الزَّادِ^(٢)

يعني أن أحاديثها بذكرك تشغلها عن الشراب فلا تحتاج إليه، وتلهيها عن الزاد فلا تحتاج إليه. وهذا القول هو المتعين، لأنه لا يمكن أن يكون الناس في مرتبة كمرتبة الرسول ﷺ، فيستغنون بمناجاة الله ﷻ عن الغذاء الجسدي، فهذا هو الفرق.

(١) رواه مسلم (٧٧٤/٢) (١١٠٣) (٥٧).

(٢) انظر: «المدحش» (٤٥٥/١)، و«الحماسة البصرية» (١٥٧/١)، «ديوان المعاني» (٦٣/١).

وقوله: «فلم يَنْتَهوا عن الوصال». ربما يأخذ من هذه الجملة وأمثالها مَنْ يَقْدَحُ بالصحابة. ويقول: انظروا للصحابة يُنْهَوْنَ فلا يَنْتَهَوْنَ، ويؤْمَرُونَ فلا يَأْتَمِرُونَ، فَيَتَّخِذُ مِنْ هَذَا قَدْحًا فِي الصَّحَابَةِ ﷺ، وكذلك أَمَرُوا بِالْحَلْقِ فِي غُرُوةِ الْحَدِيثِ^(١)، وَأَمَرُوا بِالتَّحَلُّلِ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ^(٢)، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَمْتَثِلُوا عَلَى وَجْهِ مُبَادِرِينَ فِيهِ.

فَنَقُولُ: الصَّحَابَةُ ﷺ حِينَ لَمْ يَنْتَهَوْا، لَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَحِينَ امْتَنَعُوا عَنْ فِعْلِ الْأُمُورِ لَمْ يُرِيدُوا بِذَلِكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَإِنَّمَا هُمْ مُتَأَوِّلُونَ، وَيَرْجُونَ أَنْ يَعْدِلَ الرَّسُولُ ﷺ عَنِ هَذَا الْحُكْمِ، أَوْ أَنَّهُ أَتَى بِهَذَا الْحُكْمِ رَحْمَةً بِهِمْ، فَهَمُّ لَمْ يَنْتَهَوْا عَنْ الْوَصَالِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ نَهَى عَنْ الْوَصَالِ رَأْفَةً بِهِمْ، فَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: إِنَّا قَادِرُونَ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْنَا؛ وَلِهَذَا تَرَكَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، لَمْ يُعَنِّفْهُمْ، وَوَصَلَ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ، أَوْ لَيْلَتَيْنِ، ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَالَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَأَخَّرَ الْهَلَالُ لَزِدْتُمْ». كَالْمُنْكَلِ لَهُمْ.

وَفِي هَذَا: إِشَارَةٌ إِلَى عَقُوبَةِ الْإِنْسَانِ بِأَشَدِّ الْعُقُوبَتَيْنِ الَّتِي يَتَرَجَّأُ؛ وَلِهَذَا بَنَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ مَنَعَ الرَّجُلَ الْمَطْلُوعَ ثَلَاثًا مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى زَوْجَتِهِ، وَقَالَ: أَرَى النَّاسَ تَعَجَّلُوا فِي أَمْرِ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أُنَاءٌ، فَلَوْ أَمْضِيَانَهُ عَلَيْهِمْ^(٣)، فَعَاقَبَهُمْ بِمَا تَعَجَّلُوا إِلَيْهِ مِنَ الشَّيْءِ الْمَحْرَمِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يُطَلَّقُ زَوْجَتَهُ ثَلَاثًا يُرِيدُ بِذَلِكَ سُرْعَةَ الْبَيْنُونَةِ، فَعَاقَبَهُمْ عُمَرُ بِمَا أَرَادُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ.

وَهُنَا عَاقَبَ النَّبِيُّ ﷺ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةَ بِمَا أَرَادُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْوَصَالِ، فَقَالَ: «لَوْ لَا أَنَّ الْهَلَالَ رَأَى لَزَادَهُمْ».



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ ﷺ:

٧٣٠٠- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ خَطَبَنَا عَلِيُّ ﷺ عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ أَجْرٍ، وَعَلَيْهِ سَيْفٌ فِيهِ صَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يُقْرَأُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. فَنَشَرَهَا فَلِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبِلِ، وَإِذَا فِيهَا: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ غَيْرِ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَمَلَائِكَتُهُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا». وَإِذَا فِيهِ: «ذِمَّةُ مُسْلِمِينَ وَاحِدَةٍ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

يَسْعَى بِهَا أَذْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا. وَإِذَا فِيهَا: «مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلَاهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»^(١).

وفي هذا الأثر: دليل على أن علي بن أبي طالب عليه السلام لم يُخَصَّ بشيء باطن لا يُعْلَمُ به، بل كل ما رواه عن النبي ﷺ أغلنه ويئنه، ولم يخف شيئاً، فيه رد على الرافضة الذين يقولون: إن عندهم مصحفاً لفاطمة عليها السلام، وإنه أكثر من المصحف الموجود الذي أجمع عليه المسلمون، أو أن لآل البيت أشياء، ووصايا خاصة بهم لا يعلمها الناس.

فعلي بن أبي طالب عليه السلام أتقى الله من أن يجحد شيئاً، أو يكتمه مما علمه النبي ﷺ، فلذلك يقول: والله ما عندنا من كتاب.

❖ وقوله: «عندنا»، يشمل آل البيت كلهم؛ ولهذا لم يقل: ما عندي. ويبدو لي - والله أعلم - أن الناس من عهده يدعون هذه الدعوة الباطلة، وهي أن آل البيت خُصوا بشيء؛ ولهذا جاء في أثر آخر: أنه قيل لعلي: هل خصكم النبي ﷺ بشيء؟ قال: لا، لم يَخُصَّنَا بشيء^(٢). فالصحيفة يقول فيها: «ما عندنا من كتاب يُقرأ إلا كتاب الله». وهو هذا المصحف الذي أجمع عليه المسلمون، منذ كُتِبَ إلى يومنا هذا، ومن المعلوم أن المصحف جُمِعَ على مصحف واحد في عهد عثمان قبل خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣)، والمصحف العثماني الذي قرره الصحابة في عهد عثمان، هو المصحف الذي يريده علي بن أبي طالب عليه السلام، وليس هناك مصحف سواه.

❖ وقوله: «ما في هذه الصحيفة». يعني: الورقة، «فنشرها» أي: فلها، فإذا فيها: «أسنان الإبل»؛ أي: بنت المخاض، وبنت اللبون، إما في الزكاة أو في الديات.

فيها أيضاً: «المدينة حرم من غير إلى كذا». وقد جاء مبيناً في صحيح مسلم: من غير إلى ثور^(٤). وهما جبلان معروفان في شمال المدينة وجنوبها.

❖ وقوله: «فمن أحدث فيها حديثاً». يعني: يتهاك به هذا التحريم من اعتداء على الآدميين، أو على أموالهم، أو على الطير في المدينة: فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين.

(١) رواه مسلم (٩٩٤/٢) (١٣٧٠) (٤٦٧).

(٢) رواه مسلم (١٥٦٧/٣) (١٩٧٨) (٤٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه مسلم (٩٩٤/٢) (١٣٧٠) (٤٦٧).

❦ **وقوله:** «فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين». فهذا خبرٌ، أو دعاءٌ، فإن الرسول ﷺ لعنَ، بل أخبر: «أن من أحدث في المدينة حدثاً، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين»^(١). وهذا دليل على عظم الإحداث في المدينة، وإن كان الإحداث فيها دون الإحداث في مكة؛ لأن مكة قال الله فيها: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَمِ ظُلْمٌ نَذَرْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [٢٥: ٢٥]. ❦ **وقوله:** «لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً». صرفاً أي: صرفاً للعقوبة، ولا عدلاً أي: أخذ مُعَادِلٍ عنها، وهو الفداء؛ يعني: لا يُمكن أن يقبل الله فداءً، ولا صرفاً بدون فداء. ❦ **وقوله:** «وإذا فيه ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم». يعني: أن المسلمين عهدهم واحد، فإذا آمن واحد من المسلمين أحداً، وجب على المسلمين أن يؤمنوه؛ لأن ذمتهم واحدة؛ ولهذا قال: «فمن أخفر مسلماً» - أي: غدر في ذمته - فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

❦ **وقوله:** «وإذا فيها من وإلى قومًا بغير إذن مواليه، فعليه لعنة الله، والملائكة والناس أجمعين»، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً؛ يعني: صار مولى لهم بغير إذن مواليه، فعليه لعنة الله. وظاهر الحديث: أنه إذا والآهم بإذن مواليه، فإنه جائز، ويحمل هذا على غير ولاء العتاقة، لأن ولاء العتاقة لا يتقبل ولو أذن فيه المولى؛ لقول النبي ﷺ: «إنما الولاء لمن أعتق»^(٢). لكن المراد في هذا موالاة الحلف، والمساعدة والمناصرة، وما أشبه ذلك.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٠١ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا تَرَخَّصَ وَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»^(٣).

❦ **قوله:** «فحمد الله». وفي نسخة: فحمد الله، وأثنى عليه.

هذا كما وقع في قصة نفر الثلاثة؛ الذين سألوا عن عمل النبي ﷺ في السر، فذكر لهم،

(١) إرواه مسلم (٩٩٩/٢) (١٣٧١) (٤٦٩).

(٢) إرواه البخاري (٢٥٦٠) - (٢٥٦٥) ومسلم (١١٤١/٢) (١٥٠٤) (٥).

(٣) إرواه مسلم (٨٢٩/٤) (٢٣٥٦) (١٢٧).

فَكَانَهُمْ تَقَالُوا عَمَلَهُ، فَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ عَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ الثَّانِي: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ. وَالثَّلَاثُ قَالَ: أَقُومُ اللَّيْلَ وَلَا أَنَامُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَرَجَرَهُمْ، وَقَالَ: «إِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

وَمِنْ ذَلِكَ مَنْ يَتَنَزَّهُونَ عَنْ بَعْضِ الْأَطْعِمَةِ؛ لِاشْتِبَاهِهِمْ فِيهَا، مَعَ أَنَّ الْأَصْلَ فِيهَا الْحُلُّ. فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّ قَوْمًا جَاءُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَقَالُوا: إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا بِاللَّحْمِ لَا نَذَرِي أَذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْ لَا؟ فَقَالَ: «سَمُّوا أَنْتُمْ وَكُلُوا»^(٢).

وَهَذَا كَالْتَأْنِيْبِ لَهُمْ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ، يَعْنِي: كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّكُمْ لَا تُكَلَّفُونَ إِلَّا عَمَلَكُمْ، أَمَا عَمَلٌ غَيْرُكُمْ فَلَسْتُمْ مُسْتَوْلِينَ عَنْهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانُوا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكَفْرِ. وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّبِعَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ؛ لَحَصَلَ فِي ذَلِكَ إِشْكَالٌ كَثِيرٌ، وَتَعَبٌ؛ أَيْ: أَنَّا لَوْ قُلْنَا: كُلُّ إِنْسَانٍ بَاعَ عَلَيْنَا بَيْتًا مِثْلًا، لَا بَدَأَ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ تَمَلَّكَه بِطَرِيقٍ شَرْعِيٍّ، أَوْ بَاعَ عَلَيْنَا ثِيَابًا، لَا بَدَأَ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ تَمَلَّكَهَا بِطَرِيقٍ شَرْعِيٍّ. فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّ فِيهِ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالْحَرَجِ، مَا يُنَافِي الشَّرِيعَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٠٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: كَادَ الْخَيْرَانِ أَنْ يَهْلِكََا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، لَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ بَنِي تَمِيمٍ، أَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الْآخَرُ بغيرِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ خِلَافِي. فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ. فَارْتَفَعَتْ أَصَوَاتُهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَتَزَلَّتْ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ [الْحَجَّاتُ: ٢٠]. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾ [الْحَجَّاتُ: ٣]. قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَكَانَ عُمَرُ بَعْدَ - وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ - إِذَا حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السَّرَّارِ، لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ.

❖ قَوْلُهُ: «فَكَانَ عُمَرُ بَعْدَ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ»؛ يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ، إِذَا حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ، كَأَخِي السَّرَّارِ، لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهَمَهُ؛ يَعْنِي: فِي مَقَابَلَةِ رَفْعِ الصَّوْتِ الَّذِي حَصَلَ مِنْهُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٠٢٠/٢) (١٤٠١) (٥٠).

(٢) رواه البخاري (٥٥٠٧).

٧٣٠٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ». قَالَتْ: عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعْ لِنَاسٍ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ. فَقَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ». فَقَالَتْ، عَائِشَةُ، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَفَعَلْتُ حَفْصَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كُنَّ لَأَنْتَنَ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ». قَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا^(١).

❖ قولها: «ما كنتُ لأُصِيبَ مِنْكَ خَيْرًا»: لأن رسول الله ﷺ وبَّخها، وقال: «لَأَنْتَنَ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ». يعني: في الكيد، وكانت عائشة تُعَلِّلُ بهذا، أنه كثيرُ البكاء ﷺ، وتُعَلِّلُ أيضًا بعلَّةٍ أخرى؛ وهي أنه سيقوم بعد الرسول ﷺ، والناس لا يطمئنون إليه إذا كان بعد حبيبهم ﷺ، فكانت تُريدُ هذا وهذا.

ومناسبة هذا الحديث في الباب:

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٣/ ٢٨٠):

والمقصود منه بيان ذم المخالفة، وقال ابن التين: وفيه: أن أوامره على الوجوب، وأن في مراجعته فيها يأمر به بعض المكروه. قلت: وليس ما ادَّعاه من دليل الوجوب ظاهرًا. اهـ

٧٣٠٤- حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: جَاءَ عُوَيْمِرٌ إِلَى عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَيَقْتُلُهُ، أَتَقْتُلُونَهُ بِهِ، سَلْ لِي يَا عَاصِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلُهُ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسَائِلَ، وَعَابَهَا، فَرَجَعَ عَاصِمٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَرِهَ الْمَسَائِلَ، فَقَالَ عُوَيْمِرٌ: وَاللَّهِ لَا تَيْنَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ خَلْفَ عَاصِمٍ، فَقَالَ لَهُ: «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيكُمْ قُرْآنًا». فَدَعَا بِهِمَا فَتَقَدَّمَا فَتَلَا عَنَّا، ثُمَّ قَالَ عُوَيْمِرٌ: كَذَبْتُ عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَمْسَكْتُهَا. فَفَارَقَهَا وَلَمْ يَأْمُرْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِفَرَاقِهَا، فَجَرَّتِ السُّنَّةُ فِي الْمُتَلَاعِنِينَ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انْظُرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَحْمَرُ قَصِيرًا مِثْلَ وَحَرَةٍ، فَلَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ كَذَبَ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمُ أَعْيَنَ ذَا اللَّيْتَيْنِ، فَلَا أَحْسِبُ إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا». فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَكْرُوهِ^(١).

(١) رواه مسلم (١/ ٣١٣) (٤١٨) (٩٥). مطولاً.

(٢) رواه مسلم (٢/ ١١٢٩) (١٤٩٢) (١).

الشاهد من هذا قوله: «إن الرسول كره المسائل». فلا ينبغي للإنسان أن يتعرض للبلاء، ويفرض الأشياء المكروهة؛ لأنه ربما يقع المكروه بناءً على توقعه؛ ولهذا قيل: البلاء موكّل بالمنطق. وقال الشاعر:

احذر لسانك أن تقول فتبتلي إن البلاء موكّل بالمنطق^(١)

وكم من إنسان يتوقع أشياء مكروهة ثم تقع؛ ولهذا كان الرسول ﷺ يُعجبه الفأل، ويكره الطيرة^(٢)؛ لأن الفأل حسن، وفيه تنشيط للإنسان، وفيه فتح سرور. والفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل، للشيء الحسن؛ يعني: تنفأل خيراً، والطيرة: للتشاؤم. فلا ينبغي للإنسان أن يكون قلبه متشائمًا، بل ينبغي أن يكون متفائلاً؛ لأن التفاؤل يوجب نشاط الإنسان، وانشراح صدره، وسيره في عمله، والتطير بالعكس.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٠٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَوْسٍ النَّصْرِيُّ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ بْنُ مُطْعِمٍ ذَكَرَ لِي ذِكْرًا مِنْ ذَلِكَ، فَدَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: انْطَلَقْتُ حَتَّى أَذْخُلَ عَلَى عُمَرَ أَنَا حَاجِبُهُ يَرْفَأُ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عُثْمَانَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدِ بْنِ زَيْدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَدَخَلُوا فَسَلَّمُوا وَجَلَسُوا. فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ. فَأَذِنَ لَهُمَا. قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْضِ بَيْنِي وَبَيْنَ الظَّالِمِ - اسْتَبَا - فَقَالَ الرَّهْطُ عُثْمَانُ وَأَصْحَابُهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْضِ بَيْنَهُمَا، وَأَرْخِ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ. فَقَالَ: اتَّيَدُوا، أَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي يَأْذِنُهُ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورُثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً». يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ. قَالَ الرَّهْطُ: قَدْ قَالَ ذَلِكَ. فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَلِيٍّ، وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشِدْكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ. قَالَا: نَعَمْ. قَالَ عُمَرُ: فَإِنِّي مُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِي هَذَا الْمَالِ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ [البقرة: ٦١].

(١) انظر «النجوم الزاهرة» (٢/ ١٣٠)، و«المستطرف» (١/ ١٨٨)، و«حاسة البحري» (١/ ٢٧٢)، و«السحر الحلال» (١/ ٨٣).

(٢) فمن ذلك ما رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤) (١١١) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: ما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»

الآيَةِ، فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَاللَّهِ مَا اخْتَارَهَا دُونَكُمْ، وَلَا اسْتَأْثَرِ بِهَا عَلَيْكُمْ، وَقَدْ أَعْطَاكُمْوهَا وَبَنَاهَا فِيكُمْ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهَا هَذَا الْمَالُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً سَتَيْهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِيَ فَيَجْعَلُهُ يَجْعَلُ مَالِ اللَّهِ، فَعَمِلَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ حَيَاتِهِ، أَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَقَالُوا: نَعَمْ. ثُمَّ قَالَ لِعَلِيِّ وَعَبَّاسٍ: أَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَانِ ذَلِكَ، قَالَا: نَعَمْ. ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَبَضَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَعَمِلَ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْتُمَا حَبِيتُذ - وَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ - تَزْعُمَانِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ فِيهَا كَذَّاءٌ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ، ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: أَنَا وَلِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ. فَقَبَضْتُهَا سَتَيْنِ، أَعْمَلُ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ جِئْتُنِي، وَكَلِمَتُكُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ، جِئْتَنِي تَسْأَلْنِي نَصِيكَ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، وَأَتَانِي هَذَا يَسْأَلُنِي نَصِيبَ امْرَأَتِهِ مِنْ أَبِيهَا، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتُمْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمْ، عَلَى أَنَّ عَلَيْكُمْ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ تَعْمَلَانِ فِيهَا بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَبِمَا عَمِلَ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ، وَبِمَا عَمِلْتُ فِيهَا مِنْذُ وَلَيْتُهَا، وَلَا فَلَا تَكَلِّمَانِي فِيهَا. فَقُلْتُمَا: اذْفَعُهَا إِلَيْنَا بِذَلِكَ. فَدَفَعْتُهَا إِلَيْكُمْ بِذَلِكَ، أَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ، قَالَ الرَّهْطُ: نَعَمْ. فَأَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ، فَقَالَ: أَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ هَلْ دَفَعْتُهَا إِلَيْكُمْ بِذَلِكَ. قَالَا: نَعَمْ. قَالَ: أَفَتَلْتَمَسَانِ مِنِّي قَضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ، فَوَ الَّذِي يَأْذِنُهُ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا أَقْضِي فِيهَا قَضَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهَا فَادْفَعَاهَا إِلَيَّ، فَأَنَا أَكْفِيكُمْهَا^(١).

هذا الحديث مرّ علينا من قبل، وفيه أن النبي ﷺ قال: «لَا تُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صدقةً». وهاتان جملتان: الأولى نفْي: لَا تُورَثُ. والثانية: مَا تَرَكْنَا صدقةً. فـ «مَا» هنا اسمٌ موصولٌ مبتدأ، والتقدير: الذي تَرَكْنَاهُ صدقةً؛ أي: يَكُونُ صدقةً، فالأنبياء لَا يُورَثُونَ، بل مَا تَرَكُوهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ صدقةً. وقد زعمتِ الرافضة أن الكلام جملة واحدة، وأن قوله: «لَا تُورَثُ مَا تَرَكْنَا صدقةً». أي: لَا تُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صدقةً. وأما مَا تَرَكْنَاهُ تملُّكًا، فَإِنَّهُ يُورَثُ.

وعلى تحريفهم، تَكُونُ «مَا»: في موضع نصبٍ مفعولاً به لـ «تَرَكْنَا»، لَا تُورَثُ الذي تَرَكْنَا صدقةً، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا تحريفٌ واضحٌ؛ لأنَّ مَا تَرَكْ صدقةً لَا يُورَثُ، لَا مِنَ الرُّسُولِ ﷺ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أَوْصَى بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ أَنْ يَكُونَ صدقةً تُدْفَعُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُورَثَ عَنْهُ، بَلْ يُتَصَدَّقُ بِهِ كَمَا

جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ تَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ بِثُلُثِ أَمْوَالِكُمْ عِنْدَ وفَاتِكُمْ»^(١).

وفي هذا الحديث أيضًا: دليلٌ على براءة أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما، مما زعمته الرافضة أنها ظلمًا على بن أبي طالب، وفاطمة، والعباس، فإن النهاية كما رأيتم أن عمر رضي الله عنه دفع إليهما على أن يعملا فيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل فيه، ومع ذلك تنازعا في هذا النزاع، حتى وصف العباس على بن أبي طالب بأنه ظالم، وهذا نزاعٌ شديد؛ ولهذا قال: إن عجزتما عنها، فاذفعاها إلي، فأنا أكفيكماها رضي الله عنهما؛ أي: وإن قدرتما على أن تصرياها كما صرّفها النبي صلى الله عليه وسلم فهذا هو الواجب عليهما.

وفي هذا: دليلٌ على أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ينالهم من الرعية ما ينالهم من الأذى، ولكنهم يصبرون، ويحتسبون كما هي طريقة الرسل - عليهم الصلاة والسلام - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤]. ولا تظن أنك تكون رأسًا في شيء من الأشياء، فتسلم.

ولهذا يُذكر عن رجل أنه أوصى ابنه، فقال: يا بني لا تكن رأسًا، فإن الرأس كثير الآفات. كل إنسان يتولى شيئًا قياديًا، فإنه لابد أن يجد من يرصى بعمله، ومن لا يرصى بعمله، ولكن وظيفة الإنسان أن يصلح ما بينه وبين الله عز وجل، فإذا أصلح ما بينه وبين الله عز وجل، أصلح الله ما بينه وبين الناس.

ولهذا كتبت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى معاوية حين تولى الخلافة، وقالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ التمس رضا الناس في سخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس، ومن التمس رضا الله في سخط الناس، كفاه الله مئونة الناس، ودافع عنه وحفظه، وبين أمره»^(٢). أما مَنْ يُسخط الله برضا الناس، فإن الله تعالى يسخط عليه، ويسخط عليه الناس، فتكون قلوبهم كارهة له، ساخطة لفعله، فأهم شيء على الإنسان أن ينظر ما بينه وبين ربه فقط، أما ما بينه وبين الناس فإنه سوف يصلح، ولو بعد زمن.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤٤٠ / ٦) (٢٧٤٨٢)، وابن ماجه (٢٧٠٩) والطبراني في الكبير (٩٤ / ٢٠)، والدارقطني (١٥٠ / ٤)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٢١٢ / ٤)، وقال: إسناده حسن، وقال الحافظ في «بلوغ المرام» بعد أن ذكر له عدة طرق: وكلها ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضًا وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على «السنن»، وفي «الإرواء» (١٦٤١).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٤)، ابن حبان (٢٧٦)، وعبد بن حيد (١٤٢٤) وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على «السنن».

ثم قال البخاري رحمه الله:

٦- بَابُ إِنْ مَنَّ آوَى مُحَدَّثًا، رَوَاهُ عَلَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ^(١).

٧٣٠٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، قَالَ: قُلْتُ لِأَنْسِ: أَحْرَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ. قَالَ: نَعَمْ مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا، لَا يُقَطَّعُ شَجَرُهَا، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. قَالَ عَاصِمٌ: فَأَخْبَرَنِي مُوسَى بْنُ أَنْسٍ، أَنَّهُ قَالَ: أَوْ آوَى مُحَدَّثًا^(٢).

❖ قوله: «آوى»؛ يعني: تلقاه، ونصره، ودافع عنه، فإنه ملعون، وإن كان هذا فيمن آواه، فالْمُحَدَّثُ أَوَّلَى بِاللَّعْنِ - والعياذُ بِاللَّهِ - وهذا يَشْمَلُ الْحَدَّثَ الْإِعْتِقَادِيَّ، وَالْحَدَّثَ الْعَمَلِيَّ. فَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الْمَدِينَةِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

❖ وقوله: «لَا يُقَطَّعُ شَجَرُهَا». يُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ مَا يَحْتَاجُهُ أَهْلُهَا لِلْحَرِثِ، فَإِنَّهُ رُخِّصَ فِي هَذَا بِخِلَافِ مَكَّةَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُرَخِّصْ فِي شَجَرِهَا إِلَّا الْإِذْخِرَ^(٣). ثُمَّ إِذَا حُرِّمَ قَطْعُ شَجَرِهَا، فَهَلْ فِيهِ جَزَاءٌ؟
الْجَوَابُ: أَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّهُ لَا جَزَاءَ فِي قَطْعِ الشَّجَرِ، لَا فِي مَكَّةَ وَلَا فِي الْمَدِينَةِ، أَمَّا الصَّيْدُ فَفِيهِ الْجَزَاءُ فِي مَكَّةَ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ فِي الْمَدِينَةِ^(٤).

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧- بَابُ مَا يُذَكَّرُ مِنْ ذِمِّ الرَّأْيِ، وَتَكْلُفِ الْقِيَاسِ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الأنعام: ٣٦].

❖ قوله رحمه الله: «مَا يُذَكَّرُ مِنْ ذِمِّ الرَّأْيِ». الْمُرَادُ بِهِ الرَّأْيُ الْمَجْرَدُ عَنِ الدَّلِيلِ.

❖ وقوله: «وَتَكْلُفِ الْقِيَاسِ». وَلَمْ يَقُلْ: وَالْقِيَاسُ. وَلَكِنَّهُ قَالَ: تَكْلُفِ الْقِيَاسِ. أَيِ الْقِيَاسِ الْمَتَكَلَّفِ الْمُتَعَمِّقِ فِيهِ، وَأَمَّا الْقِيَاسُ الصَّحِيحُ فَلَا يُكْرَهُ، فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَاسَ بِنَفْسِهِ حَيْثُ قَالَ لِلْمَرْأَةِ: «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى أَمِّكَ دِينَ أَكُنْتَ قَاضِيَتُهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَاقْضُوا الَّذِي لَهُ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ^(٥).

(١) علقه البخاري رحمه الله بصيغة الجزم كما في «الفتح» (١٣/ ٢٨١)، وأسنده المؤلف في أواخر الحج وفي فضائل المدينة، باب حرم المدينة (١٨٧٠).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٩٤/ ٢) (١٣٦٦) (٤٦٣) بِنَحْوِهِ.

(٣) تَقْدِمُ تَخْرِيجِهِ.

(٤) انْظُرْ: «الْمَبْدَعُ» (٣/ ٢٠٨)، وَ«الْفُرُوعُ» (٣/ ٣٥٠)، وَ«الْإِنْصَافُ» (٣/ ٥٥٩)، وَ«كَشَافُ الْقِنَاعِ» (٢/ ٤٧٤).

(٥) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٧٣١٥)، وَمُسْلِمٌ (٨٠٤/ ٢) (١١٤٨) (١٥٤) بِنَحْوِهِ.

وقال للرجل الذي قال له: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاما أسود - يُعَرِّضُ بها - فقال: «هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمراء. قال: هل فيها من أورك؟ - الأورك الذي سواده فيه بياض - قال: نعم. قال: «من أين أتاه الأورك؟» - قال: لعله نزع عرق. قال: «فابتك هذا لعله نزع عرق»^(١).

فالقياس الصحيح الذي ليس فيه تكلف، هذا طريق شرعي محمود، أما القياس المتكلف فهو المذموم.

ثم استدلل المؤلف رحمه الله بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الأنعام: ٢٣٦]. وفسر تقف بـ «تقل»: والصواب أن «تقف» بمعنى: تتبع؛ لأنه مأخوذ من القفا، أي: لا تتبع شيئا ليس لك به علم، سواء كان هذا في القول أو في الفعل، وتشمل الآية قفو ما ليس فيه علم من الأمور الشرعية، وغيرها، حتى فيما بين الناس، لا تقف ما ليس لك به علم. وفي هذه الآية: دليل على أنه يجب على الإنسان أن يتثبت ويتأني فيما يُنقل، وقد جاء في الحديث: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»^(٢).

* * * *

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٠٧- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلَيْدٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهَبٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ، وَغَيْرُهُ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَغْطَاهُمُوهُ أَنْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ، فَيَقْبِ نَاسٌ جُهَالٌ يُسْتَفْتُونَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ». فَحَدَّثْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو حَجَّ بَعْدُ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَخْتِي أَنْطَلِقْ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَاسْتَنْتِ لِي مِنْهُ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْهُ. فَحِثُّهُ فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِي بِهِ كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي، فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَأَخْبَرْتُهَا، فَعَجِبْتُ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو^(١).

الشاهد قوله: «فَيَقْبِ نَاسٌ جُهَالٌ يُسْتَفْتُونَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ، وَيُضِلُّونَ». ومثل هؤلاء لا يُعْذَرُونَ بجَهْلِهِمْ، بل يجب ألا يقولوا على الله إلا ما يعلمون.

(١) رواه البخاري (٥٣٠٥)، ومسلم (١١٣٧/٢) (١٥٠٠) (١٨).

(٢) رواه مسلم (١٠/١) (٥) (٥).

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٩/٤) (٢٦٧٣) (١٤).

٧٣٠٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ، سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ: هَلْ شَهِدْتَ صَفِينَ، قَالَ: نَعَمْ. فَسَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ، يَقُولُ: ح. وَحَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، قَالَ: قَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، لَقَدْ رَأَيْتَنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَرَدَدْتُهُ، وَمَا وَضَعْنَا سُيُوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إِلَى أَمْرٍ يُفْظِنُنَا إِلَّا أَسْهَلُنَا بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ غَيْرَ هَذَا الْأَمْرِ. قَالَ: وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ: شَهِدْتُ صَفِينَ وَبِثَّتْ صِفُونُ^(١).

❖ قَوْلُهُ صِفُونُ: مَلْحَقٌ بِجَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّلَامِ.

الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ». ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقِصَّةِ أَبِي جَنْدَلٍ، يُشِيرُ إِلَى الصَّلَاحِ الَّذِي وَقَعَ فِي غَزْوَةِ الْحَدِيثِيَّةِ، بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَبَيْنَ قَرِيشٍ. وَمِنْ شُرُوطِ الصَّلَاحِ: أَنْ مَنْ جَاءَ مُسْلِمًا رَدَدْنَاهُ إِلَى قَرِيشٍ، وَمَنْ جَاءَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَلَانِهِمْ لَا يَرُدُّونَهُ، فَرَأَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ وَقَالَ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ. قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَلِمَ نُعْطِ الدُّنْيَةَ فِي دِينِنَا^(٢)، وَلَكِنْ هَذَا الصَّلَاحُ كَانَ خَيْرًا وَفَتْحًا، وَصَارَ النَّاسُ يَأْتُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَيَذْهَبُونَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَانْتَشَرَ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَلِهَذَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَتْحًا. فَقَالَ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ﴾ [الْحَدِيثُ: ١٠٠]. يَعْنِي بِذَلِكَ صَلَاحَ الْحَدِيثِيَّةِ.

وَالنَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا الصَّلَاحَ جَوْرٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنْ ذَلِكَ الصَّلَاحِ: إِنَّهُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ لَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ، وَإِنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُهُ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَقَعَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ^(٣). فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّهَمَ رَأْيَهُ أَمَامَ شَرَعِ اللَّهِ ﷻ، وَلَا يُقْلَ: لَمْ كَانَ هَذَا؟ أَوْ كَيْفَ كَانَ هَذَا؟ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْإِنْكَارَ. أَمَا إِذَا سَأَلَ لَمْ كَانَ هَذَا؟ يُرِيدُ بِهِذَا

(١) قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣ / ٢٨٨): قَوْلُهُ: وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ: «شَهِدْتُ صَفِينَ وَبِثَّتْ صِفُونُ» كَذَا لِأَبِي ذَرٍّ، وَلِغَيْرِهِ: «وَبِثَّتْ صِفُونُ»، وَفِي رِوَايَةِ النَّسْفِيِّ مِثْلُهُ وَلَكِنْ قَالَ: «بِثَّتْ الصَّفُونُ» بِزِيَادَةِ أَلْفٍ وَلامٍ وَالْمَشْهُورُ فِي صَفِينِ كَسْرِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَبَعْضُهُمْ فَتَحَهَا، وَجَزَمَ بِالْكَسْرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَثْمَةِ، وَالْقَاءُ مَكْسُورَةٌ مُثْقَلَةٌ اتِّفَاقًا، وَالْأَشْهُرُ فِيهَا بِالْيَاءِ قَبْلَ النُّونِ كَمَا رَدَيْنِ وَفَلَسْطِينَ وَقَنْسَرِينَ وَغَيْرَهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْدَلَ الْيَاءَ وَآوًا فِي الْأَحْوَالِ وَعَلَى هَاتَيْنِ اللَّغَتَيْنِ فإِعْرَابُهَا إِعْرَابُ غَسْلِينَ وَعَرَبُونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَبَهَا إِعْرَابَ جَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّلَامِ فَتَنْصَرِفُ بِحَسَبِ الْعَوَامِلِ مِثْلُ: لَفِي عَلِيَيْنِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ فَتَحَ النُّونَ مَعَ الْوَاوِ لَزُومًا نَقَلَ كُلُّ ذَلِكَ ابْنُ مَالِكٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ فَتَحَ النُّونَ مَعَ الْيَاءِ لَزُومًا. اهـ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣ / ١٤١١) (١٧٨٥) (٩٤).

(٣) تَقْدِمُ تَخْرِيجَهُ.

(٤) تَقْدِمُ تَخْرِيجَهُ.

الاسترشاد والوصول إلى الحكمة، أو سأل كيف هذا؟ يُريدُ بذلك أن يَعْرِفَ الكيفية، فيقولُ بها، فهذا لا بأس.

❖ وقوله: «وما وَضَعْنَا سِوْفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إِلَى أَمْرٍ يُفْطِنُنَا إِلَّا أَسْهَلُنَا بِنَا إِلَى أَمْرٍ نَعْرِفُهُ». المعني أننا نَحْمِلُ السِوْفَ لِنُقَاتِلَ، فإذا أُمِرْنَا بالكفِّ عَادَ بِنَا ذَلِكَ إِلَى الْأَسْهَلِ فِي الْفَعْلِ.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفتح» (١٣/٢٨٨):

❖ قوله: «قال سهلُ بْنُ حُنَيْفٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ». قد تقدّم بيانُ سببِ خطبته بذلك في تفسير سورة الفتح، وبيانُ المراد بقولِ سهلِ يومِ أَبِي جندلٍ.

❖ وقوله: «يُفْطِنُنَا» بِالظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ الْمَكْسُورَةِ بَعْدَ الْفَاءِ السَّاكِنَةِ؛ أَي: يُوقِنُنَا فِي أَمْرٍ فَطِيعٍ، وَهُوَ الشَّدِيدُ فِي الْقُبْحِ وَنَحْوِهِ. وقوله: «إِلَّا أَسْهَلُنَا». بِسُكُونِ اللَّامِ بَعْدَ الْهَاءِ وَالنُّونِ الْمَفْتُوحَتَيْنِ؛ وَالْمَعْنَى أَنزَلْنَا فِي السَّهْلِ مِنَ الْأَرْضِ؛ أَي: أَفْضَيْنَا بِنَا، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ التَّحْوِيلِ مِنَ الشَّدَةِ إِلَى الْفَرَجِ.

❖ وقوله: «بنا». فِي وَرَايَةِ الْكُشَيْمِيِّ «بها».

ومرادُ سهلٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا وَقَعُوا فِي شِدَّةٍ يَحْتَاجُونَ فِيهَا إِلَى الْقِتَالِ فِي الْمَغَازِي وَالثُبُوتِ وَالْفَتْوحِ الْعُمَرِيَّةِ، عَمَدُوا إِلَى سِوْفِهِمْ فَوَضَعُوهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الْجَدِّ فِي الْحَرْبِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ انْتَصَرُوا، وَهُوَ الْمَرَادُ بِالنُّزُولِ فِي السَّهْلِ، ثُمَّ اسْتَشْنَى الْحَرْبَ الَّتِي وَقَعَتْ بِصُفَيْنَ لَمَّا وَقَعَ فِيهَا مِنْ إِبْطَاءِ النَّصْرِ، وَشِدَّةِ الْمَعَارِضَةِ مِنْ حَجَجِ الْفَرِيقَيْنِ؛ إِذْ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ مَعَهُ مَا شَرَعَ لَهُمْ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ حَتَّى يَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ، وَحُجَّةٌ مُعَاوِيَةَ وَمَنْ مَعَهُ مَا وَقَعَ مِنْ قَتْلِ عَثْمَانَ مَظْلُومًا، وَوُجُودَ قَتْلِهِ بِأَعْيَانِهِمْ فِي الْعَسْكَرِ الْعِرَاقِيِّ فَعَظُمَتِ الشُّبْهَةُ حَتَّى اشْتَدَّ الْقِتَالُ. وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي الْجَانِبَيْنِ، إِلَى أَنْ وَقَعَ التَّحْكِيمُ فَكَانَ مَا كَانَ. اهـ.

ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

٨- بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسْتَلُّ مِمَّا لَمْ يُنَزَّلْ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَيَقُولُ: لَا أَذْرِي أَوْ لَمْ يُجِبْ حَتَّى يُنَزَّلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، وَلَمْ يَقُلْ بِرَأْيٍ وَلَا بِقِيَاسٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْكَأُ اللَّهُ﴾. وقال ابنُ مسعودٍ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الرُّوحِ فَسَكَتَ حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ^(١).

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسندته المؤلف في التفسير، تفسير سورة بني إسرائيل، باب: ويستثلونك عن الروح (٤٧٢١)، وانظر: «تغليق التعليق» ٣٢٢/٥.

قوله: «ما كان النبي ﷺ يُسْتَلُّ مما لم يَنْزَلْ عليه الوحي فيقول: لا أدري. أو لم يُجِبْ حتى يَنْزَلْ عليه الوحي». هذه إحدى حالات الرسول ﷺ، أنه إذا سُئِلَ عن أمرٍ لا يَعْرِفُهُ تَوَقَّفَ، ولكن إذا سُئِلَ عن أمرٍ يَعْرِفُهُ أَجَابَ، وقد يأتي الاستدراكُ على جوابه مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ. مثال ذلك: أنه سُئِلَ عن الشهادة هل تُكْفَرُ الذنبُ، فقال: نعم، فأنصرف السائلُ، ثم دعاه، فقال: إلا الدينَ. أخبرني بذلك جبريلُ أنفًا^(١). فهذا دليلٌ على أن الرسول ﷺ يُجِيبُ فإذا أقرَّه الله على الجوابِ، كان هذا وحياً، كما أن الرسول ﷺ إذا أقرَّ أحداً على شيءٍ كان هذا الإقرارُ سنةً.

فإذا سُئِلَ إنسانٌ عن مسألةٍ وعنده علمٌ سابقٌ فيها لكن غابَ عنه الدليلُ أثناءَ إفتائه، فهل يُفتي أم يَتَتَبَرَّحُ حتى يَسْتَحْضِرَ الدليلَ؟
الجوابُ: أنه إذا أمكنَ التأني فهو أولى، وإذا كانتِ الضرورةُ تُلحُّ على المبادرةِ بالفتيا، فلا بأسَ أن يُفتيَ بما كان يَعْلَمُهُ راجحاً، وإن لم يَسْتَحْضِرِ الدليلَ حينَ الفتوى، وهذا يَكْفِي، لأن الأمورَ الشرعيةَ قد تكونُ يقينيةً وقد تكونُ ظنيةً.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٠٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: مَرَضْتُ فَجَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَأَتَانِي وَقَدْ أَغْمَى عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: فَقُلْتُ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ - كَيْفَ أَقْضَى فِي مَالِي، كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي، قَالَ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ^(٢).

في هذا دليلٌ على: استحبابِ عيادةِ المريضِ.

وعلى قوةِ الصلةِ بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبي بكرٍ.

وعلى أنه ينبغي أن يُصَبَّ على المغمى عليه ماءً؛ لأن ذلك يُوجِبُ انتباهه، كما هو مُجَرَّبٌ مشاهدٌ.

وفيه: جوازُ التبرُّكِ برسولِ اللَّهِ ﷺ في حياته، أما بعدَ مماته فإنه لا يُتَبَرَّكُ بترابِ قبره، ولكن

(١) رواه مسلم (١٥٠١/٣) (١٨٨٥) (١١٧).

(٢) رواه مسلم (١٢٣٤/٣) (١٦١٦) (٥).

يُتَبَرَّكَ بِآثَارِهِ، وَكَمَا كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ تُتَبَرَّكَ بِشَعْرِهِ، وَيُسْتَشْفَى بِهَا مِنَ الْمَرَضِ^(١).
وَقَدْ فَهَمَ بَعْضُ الصُّوفِيَةِ مِنَ التَّبَرُّكِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَآثَارِهِ أَنَّهُ يَجُوزُ التَّبَرُّكَ بِالصَّالِحِينَ
وَأَثَارِهِمْ، وَهَذَا فَهْمٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، لِأَنَّ الصَّحَابَةَ مَا فَهَمُوا ذَلِكَ، وَهُمْ لَيْسُوا أَفْهَمَ مِنَ الصَّحَابَةِ،
وَالصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمْ يُتَبَرَّكُوا بِأَبِي بَكْرٍ، وَلَا عُمَرَ، وَلَا غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ أَصْلَحُ النَّاسِ.
فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ يُتَبَرَّكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ آثَارُهُ؟ كَخَطَابَاتِهِ لِلْمُلُوكِ؟
الْجَوَابُ: لَا، هَذِهِ مَا يُتَبَرَّكَ بِهَا، لَكِنَّ الْإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا اعْتِبَارًا، وَكَيْفَ كَانَ الْخَطُّ مَثَلًا فِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَكَيْفَ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَأْتِي بِمُخْتَصَرِ الْقَوْلِ دُونَ التَّطْوِيلِ وَهَكَذَا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٩- بَابُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ لَيْسَ بِرَأْيٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.
٧٣١٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ
ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ
بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، نُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ
كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا». فَاجْتَمِعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ
قَالَ: «مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةَ، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ». فَقَالَتْ امْرَأَةٌ
مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اثْنَيْنِ، قَالَ: فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ»^(٢).
فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ يَجْتَمِعَ النِّسَاءُ فِي مَكَانٍ، وَيَأْتِيَ الرَّجُلُ الثِّقَةَ الْأَمِينُ،
فِيَعْلَمُهُنَّ فَيُؤَخِّدُ مِنْهُ جَوَازَ تَدْرِيسِ الرَّجُلِ لِلنِّسَاءِ. لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنَ الْقَوَاعِدِ الْعَامَةِ لِلشَّرِيعَةِ، أَنَّهُ
إِذَا كَانَ يُخْشَى الْفِتْنَةُ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ يَجِبُ دَرْؤُهَا، لِكُونِهَا مَفْسُودَةً.

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النِّسَاءَ لَا يَجْتَمِعْنَ مَعَ الرِّجَالِ فِي التَّعْلِيمِ، وَإِلَّا لَقَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ احْضُرْنَ مَعَ الرِّجَالِ، لَكِنَّ الشَّرْعَ لَا يُفَرِّقُ الْإِخْتِلَاطَ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ حَتَّى فِي
مَقَامِ التَّعْلِيمِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النِّسَاءُ يَحْضُرْنَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَاةَ، وَلَكِنَّهُ يَحْثُنُهُنَّ عَلَى التَّأَخُّرِ،
فَيَقُولُ: خَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا^(٣).

(١) اتقدم تخريجه.

(٢) إرواه مسلم (٢٠٢٨/٤) (٢٦٣٣) (١٥٢).

(٣) إرواه مسلم (٣٢٦/١) (٤٤٠) (١٣٢).

كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ الْبَعْدِ عَنِ الْاِخْتِلَاطِ بِالرِّجَالِ.

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ أَيْضًا: عَلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِتَقْدِيرِ الْحِصَصِ مَكَانًا وَزَمَانًا، وَعَلَى هَذَا فَيَرَدُّ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الدِّرَاسَةَ النِّزَامِيَّةَ الْآنَ بَدْعٌ، وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهَا.

لأنَّهُ يُحَدِّدُ لَهَا مَكَانًا، وَيُحَدِّدُ لَهَا زَمَانًا، فَيُقَالُ: وَمَا الْبَاسُ مِنْ أَنْ يُحَدِّدَ لَهَا زَمَانًا، وَمَكَانًا، فَهَذَا الرِّسُولُ ﷺ أَمَرَ النِّسَاءَ أَنْ يَجْتَمِعْنَ فِي يَوْمٍ كَذَا، فِي مَكَانٍ كَذَا، فَحَدَّدَ الزَّمَانَ وَحَدَّدَ الْمَكَانَ.

ثُمَّ إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْوَسَائِلِ وَالْغَايَاتِ، فَهَذِهِ الْمَدَارِسُ النِّزَامِيَّةُ تُنَظَّمُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنْ أَجْلِ حِفْظِ الْوَقْتِ، وَحِفْظِ الْعِلْمِ، كَمَا فَعَلَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي تَبْوِيبِ السَّنَةِ، فَجَعَلُوا التَّوْحِيدَ عَلَى حَدِّهِ، وَالطَّهَارَةَ عَلَى حَدِّهِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى حَدِّهِ، وَالزَّكَاةَ عَلَى حَدِّهِ، مَعَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مَعْرُوفًا فِي عَهْدِ الرِّسُولِ ﷺ، لَكِنْ مِنْ بَابِ الْمَصْلَحَةِ، وَحَصْرِ الْعُلُومِ، وَتَطْيِيبِهَا لِلنَّاسِ، فَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ يُصْنَعْ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ يَكُونُ بَدْعًا، إِلَّا مَا قُصِدَ التَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِهِ، فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ، أَمَا مَا كَانَ وَسِيلَةً إِلَى مَقْصُودٍ شَرْعِيٍّ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا يُعَدُّ هَذَا مِنَ الْبَدْعِ.

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ إِذَا مَاتَ لِلْمَرْأَةِ وَلَدَانِ، فَإِنَّ الْوَلَدَيْنِ يَكُونَانِ حِجَابًا لَهَا مِنَ النَّارِ، لَكِنْ هَلْ يَلْحَقُ بِذَلِكَ الْأَبُ، أَوْ هَذَا خَاصٌّ بِالْأُمِّ؟

الْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا خَصَّ النِّسَاءَ؛ لِأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِنَّ؛ لِأَنَّ مَصِيبَةَ الرَّجُلِ بِأَوْلَادِهِ، كَمَصِيبَةِ الْمَرْأَةِ بِأَوْلَادِهَا، وَإِنْ كَانَتِ الْمَصِيبَةُ لِلْمَرْأَةِ قَدْ تَكُونُ أَشَدَّ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ يُشْتَرَطُ رِضَا الْأُمِّ عَنْ ذَهَابِ ابْنِهَا لِلْجِهَادِ حَتَّى تَخْضَلَ عَلَى هَذَا الْأَجْرِ إِذَا قُتِلَ؟

الْجَوَابُ: الظَّاهِرُ لَا، مَا يَدْخُلُ فِي الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مُقَيَّدٌ فِي رَوَايَاتٍ أُخْرَى بِقَوْلِهِ: «لَمْ يَبْلُغُوا الْحِلْمَ، أَوْ الْحَنْثَ»^(١)، يَعْنِي: الْأَوْلَادَ الصِّغَارَ.

وَالظَّاهِرُ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِهِنَّ مَرَّةً وَاحِدَةً، لَكِنْ لَا نَذْرِي عَنْهُ أَنَّهُ اسْتَمَرَ كُلُّهَا مَضَى وَقْتُ ذَهَبٍ وَأَخَذَ مِنْهُنَّ مَوْعِدًا، أَوْ أَنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى هَذَا إِجَابَةً لَطَلِبِهِنَّ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنْ تَحْدِيدَ وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، وَمَكَانٍ مُعَيَّنٍ لِلنِّسَاءِ كَانَ ذَلِكَ فِي تَعْلِيمِهِنَّ دِينَهِنَّ، فَمَا الْآنَ فَالْأَصْلُ فِي التَّعْلِيمِ هُوَ تَعْلِيمُ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ؟

الْجَوَابُ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ جَائِزًا فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ فَهَذِهِ مِنْ بَابِ أُولَى.



قال ابن حجر رحمته الله في «الفتح» (١٣/١٩٣):

وقد مضى شرحه مستوفى في أول «كتاب الجنائز» وفي العلم.

❖ وقوله: «جاءت امرأة» لم أقف على اسمها، ويحتمل أن تكون هي أسماء بنت يزيد بن السكن.

❖ وقوله هنا: «فأناهن فعلمهن مما علمه الله». تقدم هناك بلفظ: «فوعدهن يوماً لقيهن

فيه فوعظهن، فأمرهن فكان فيما قال لهن». فذكر نحو ما هنا، ولم أر في شيء من طرقه بيان ما

علمهن، لكن يمكن أن يؤخذ من حديث أبي سعيد الآخر الباضي في «كتاب الزكاة» وفيه:

«فمر على النساء فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار» الحديث، وفيه:

«فقامت امرأة فقالت لم؟» وفيه: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل، وأليس إذا

حاضت لم تصل ولم تصم». وقد مضى شرحه مستوفى هناك، وإن المرأة المذكورة هي أسماء

قال الكرمانى: موضع الترجمة من الحديث قوله «كن لها حجاباً من النار». فإنه أمر توقيفي لا

يُعلم إلا من قبل الله تعالى لا دخل للقياس والرأي فيه. اهـ

ثم قال البخاري رحمته الله:

١٠- باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، يقاتلون وهم أهل العلم.

٧٣١١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»^(١).

٧٣١٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي حُمَيْدٌ

قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ يَخْطُبُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا

يُفْقَهُهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطَى اللَّهُ، وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ،

أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»^(٢).

هذا الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله، وهم ظاهرون». يريد

بهم عليه السلام الطائفة التي تتمسك بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، فهم الذين يكونون

ظاهرين لا يضُرُّهم من خذلهم، ولا من خالفهم.

وفي الحديث الثاني: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْقَهُهُ فِي الدِّينِ»: فيه بشارة لمن فقَّهه الله في دينه،

(١) رواه مسلم (٣/١٥٢٣) (١٩٢١) (١٧١).

(٢) رواه مسلم (٣/١٥٢٤) (١٩٢٢) (١٧٥).

أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا، وَيُؤْخَذُ مِنْ مَفْهُومِهِ أَنَّ مَنْ لَمْ يُفْقَهُهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ فَلَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْرًا، فَالْفَقْهُ فِي الدِّينِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا.

والفقه في الدين ليس هو عِلْمُ الأحكام الشرعية العملية كالطهارة والصلاة، بل هو أعمُّ من ذلك، حتى في العقائد يُعْتَبَرُ العِلْمُ بها فقهًا؛ ولهذا سَمَّى العلماءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ عِلْمَ التَّوْحِيدِ الفقه الأكبر. وفي هذا: إثبات الإرادة لله ﷻ؛ لقوله: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا».

وقوله: «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَيُعْطِي اللَّهُ». الْقِسْمَةُ هُنَا: قِسْمَةُ الْعِلْمِ وَالْبَيَانِ، فَهُوَ يُعَلِّمُ النَّاسَ، وَيُقَسِّمُ بَيْنَهُمْ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، وَالَّذِي يُعْطِيهُ هُوَ اللَّهُ ﷻ، فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ أَخَذَ قِسْطًا، وَإِفْرًا مِنَ السَّنَةِ، لَكِنْ بَدُونِ فَقْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُفْقَهُهُ، وَعَلَى هَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رُبُّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^(١).

وَفِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ قَدْ تَجَدَّدَ أَنَا سَا عِنْدَهُمْ فَهَمُّ فِي الدِّينِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَنْشُرُونَهُ لِلنَّاسِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ مَا فَقَهُوا فِي الدِّينِ إِذْ لَوْ فَقَهُوا فِي دِينِ اللَّهِ لَنْشَرُوا الْعِلْمَ؛ لِأَنَّ مِنْ جَمَلَةِ الْفَقْهِ فِي الدِّينِ أَنْ يَنْشُرَ عِلْمَهُ، فَإِنْ نَشَرَ الْعِلْمَ لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ الْفَقْهِ، وَالْفَقْهُ لَيْسَ مَجْرَدَ الْفَهْمِ، فَالْفَهْمُ قَدْ لَا يَكُونُ فِقْهًا، إِنَّمَا الْفَقْهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ تَعَمُّقٌ فِي دِينِ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةٌ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَالْقِيَامُ بِالْعَمَلِ بِهِ.

وَالطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ فَسَّرَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ^(٢). وَمَرَادُهُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ، لَا الَّذِينَ يَزُودُونَهُ، فَأَهْلُ الْحَدِيثِ لَيْسُوا هُمْ رَوَاتُهُ فَقَطْ، بَلْ هُمْ الَّذِينَ يَحْفَظُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، فَالرَّوَاةُ نَقْلَةٌ فَقَطْ؛ وَلِهَذَا تَجَدَّدَ بَعْضُ الرِّوَاةِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ فَقْهُ إِطْلَاقًا، وَلَا يُعَدُّونَ مِنَ الْفُقَهَاءِ.

وَالطَّائِفَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ؛ هِيَ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي أَحَادِيثٍ أُخْرَى وَهَذَا مِنْ تَعَدُّدِ الْأَوْصَافِ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ عِبَارَةُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي الْوَاسِطِيَّةِ: أَمَّا بَعْدُ، فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ^(٣).

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

١١ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَلْسَكُمُ شَيْعًا﴾ [الْأَنْعَامُ: ٦٥].

٧٣١٣ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (١٧٤١)، وَمُسْلِمٌ (٣/ ١٣٠٥) (١٦٧٩) (٢٩).

(٢) انْظُرْ: اعْتِقَادُ أُمَّةِ الْحَدِيثِ (١/ ٧٩).

(٣) انْظُرْ: «الْعَقِيدَةُ الْوَاسِطِيَّةُ» مِنْ مَجْمُوعِ فِتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (٣/ ١٢٩).

يَقُولُ: لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ قَوْكُمُ﴾ [الأنعام: ٦٥]. قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾ قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿أَوْ يَلْسَكُمُ شَيْعًا وَيَذِقَ بِمَضْرُكَيْ بَاسٍ بَعْضُ﴾ قَالَ: «هَاتَانِ أَهْوَنُ أَوْ أَيْسَرُ».

❖ قَوْلُهُ: ﴿يَلْسَكُمُ شَيْعًا﴾: أَي: يَخْلِطُكُمْ شَيْعًا، كُلُّ شَيْعَةٍ تُفَارِقُ الْآخَرَى فِي الرَّأْيِ، وَالسُّلُوكِ، وَالْعَمَلِ.

ثم ذَكَرَ الْآيَةَ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ قَوْكُمُ﴾. كَالْحَاصِبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى قَوْمٍ لَوِطٍ، وَكَالصَّوَاعِقِ وَمَا أَشْبَهَهَا.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾. كَالْخَسْفِ، وَالزَّلَازِلِ.

❖ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»: فِي الْاِثْنَيْنِ؛ لِأَنَّ هَاتَيْنِ الْاِثْنَيْنِ لَا قِبَلَ لِلْإِنْسَانِ بِهِمَا، وَلَا يُمْكِنُهُ التَّخَلُّصُ مِنْهُمَا، فَلِذَلِكَ اسْتَعَاذَ النَّبِيُّ ﷺ بِوَجْهِ اللَّهِ مِنْهُمَا، أَمَّا الثَّلَاثَةُ وَالرَّابِعَةُ، فَقَالَ: ﴿أَوْ يَلْسَكُمُ شَيْعًا﴾ يَجْعَلُكُمْ فِرْقًا، وَهَذَا أَهْوَنُ، وَإِنْ كَانَ يُعْتَبَرُ عَذَابًا، وَنِقْمَةً أَنْ تَفْرَقَ الْأُمَّةُ، فَإِنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهُ عَذَابٌ.

وَلَيْسَ اخْتِلَافُ الْأُمَّةِ كَمَا يُرَوَى الْحَدِيثُ الْمَوْضُوعُ: «اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ»^(١). لِأَنَّهُ لَا صِحَّةَ لَهُ. وَالْاِخْتِلَافُ شَرٌّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١٨٨) إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ ﴿[مُتَّفَقٌ: ١١٨-١١٩]﴾. فَالْرَحْمَةُ بِالْاِتِّفَاقِ لَا بِالْاِخْتِلَافِ، فَإِذَا تَفَرَّقَتِ الْأُمَّةُ شَيْعًا حَصَلَ الْفُشْلُ، وَذَهَابَ الرِّيحُ، وَدُخُولُ الْأَعْدَاءِ فِي صَفُوفِ الْأُمَّةِ.

❖ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَيَذِقَ بِمَضْرُكَيْ بَاسٍ بَعْضُ﴾ [الأنعام: ٦٥]. فَهَذَا بِالْحُرُوبِ كَأَن تَتَحَارَبَ الْأُمَّةُ فَيَقَاتِلَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَإِنَّمَا كَانَتْ هَاتَانِ أَهْوَنُ أَوْ أَيْسَرُ؛ لِأَنَّهُ بِإِمَّاكَانِ الْإِنْسَانِ الْعَاقِلِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُمَا، فَيَدْعُو إِلَى الْوِفَاقِ وَالْمَصَالِحَةِ وَوَضْعِ السِّلَاحِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَلِمَةُ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». أَلَيْسَ هَذَا مِنْ دَعَاءِ الصِّفَةِ؟

الْجَوَابُ أَن يُقَالَ: إِنَّ الْوَجْهَ يُعْبَرُ بِهِ عَنِ الذَّاتِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَ وَجْهِ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الأنعام: ٢٧]. كَذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجْدُ وَأَحَادِرُ»^(٢).

(١) قَالَ ابْنُ الْمَلِّقِ فِي تَذَكُّرَةِ الْمُحْتَاجِ إِلَى أَحَادِيثِ الْمَنَاهِجِ (١/ ٧١): هَذَا الْحَدِيثُ لَمْ أَرِ مِنْ خُرْجِهِ مَرْفُوعًا بَعْدَ الْبَحْثِ الشَّدِيدِ عَنْهُ. وَقَالَ السَّيُوطِيُّ فِي شَرْحِ الزَّرْقَانِيِّ عَلَى «مَوْطَأِ» الْإِمَامِ مَالِكٍ (٤/ ٣١٤): لَعَلَّهُ خُرِجَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا؛ لِأَنَّهُ عَزَاهُ لَجَمْعٍ مِنَ الْأَجَلَةِ ذَكَرُوهُ فِي كُتُبِهِمْ بِإِسْنَادٍ وَلَا نُسَبَةَ لِمَخْرُجِ كِلَامِ الْحَرَمِيِّينَ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤/ ١٧٢٨) (٢٢٠٢) (٦٧).

والعبادُ بصفةٍ من صفاتِ الله لا بأسَ به، لكن لو يَقُولُ الإنسانُ: يا عِزَّةَ اللهِ أَعِزِّدْنِي. فهذا لا يَجُوزُ، لأنه بهذا جعل العِزَّةَ منفصلةً عن الله، وهي التي تَفْعَلُ وتُرِيدُ.

أما إذا استعاذ بعِزَّةِ اللهِ، أو استعاذ برضاه عن سخطه، فهذا توسلٌ إلى الله ﷻ بهذه الصفة ليُعِذَّهُ اللهُ بها، فيُفَرِّقُ بين دعاءِ الصفة، وبين أن يجعلها وسيلةً كقولهِ: «برحمتك أستغيثُ»^(١). فليس المعنى: أن يَقُولَ القائلُ: يا رَحْمَةَ اللهِ أَغِثْنِي لأن هذا لا يَجُوزُ وقد حكى شيخُ الإسلام رحمه الله: اتفاقُ العلماءِ على كُفْرِ من دعا الصفة^(٢)، وأما «برحمتك استغثيت»، فالمعنى أنه توسل إلى الله برحمته ليُغِيثَهُ.

فإذا قال قائلٌ: هل قوله: «لها حجاباً من النار». هو مطلقٌ أم مقيدٌ؟
الجوابُ: أن يقال: هذا من الأسبابِ التي تَمْنَعُ دخولَ النار، وقد يَكُونُ هناك أسبابٌ قوية تدخلُ بها النار، منها عدمُ الصبرِ، فلا بدَّ لها من الصبرِ، فأما إذا لم تَصْبِرْ فإنه لا يَكُونُ لها حجاباً من النار.

ثم قال البخاري رحمه الله:

١٢- بابٌ من شبه أصلًا معلومًا بأصلٍ مبينٍ وقد بينَ^(١) النبي ﷺ حكمهما، ليفهم السائلُ.
٧٣١٤- حَدَّثَنَا أَصْبَغُ بْنُ الْفَرَجِ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَمْرًا آتَى وَلَدْتُ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَكْرَهُهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِيْلٍ؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَمَا أَلَوْنُهَا؟». قَالَ: حُمْرٌ. قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟». قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا. قَالَ: «فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا؟». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عِرْقٌ نَزَعَهَا. قَالَ: «وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ». وَلَمْ يُرَخَّصْ لَهُ فِي الْإِتِّفَاعِ مِنْهُ^(٢).

قال البخاري: «بابٌ من شبه أصلًا معلومًا بأصلٍ مبينٍ». كأنه أشار إلى البابِ السابقِ

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٤)، وقال: حديث غريب. والحاكم في المستدرک (٦٨٩/١) (١٨٧٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الهيثمي في المجمع (١١٧/١٠): رجاله رجال الصحيح غير عثمان بن موهبة وهو ثقة، وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١/١١١).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/٢٩٦): في رواية الكشميهني والإسعايلي والجرجاني: قد بين الله بحذف «الواو» وبجذف «النبي» والأول أولى. اهـ.

(٤) رواه مسلم (١١٣٧/٢) (١٥٠٠) (١٩).

في ذمّ الرأي، وتكلف القياس لأنه إذا كان الشيء معلوماً واضحاً فلا بأس من أن يُشَبَّه أحدهما بالآخر، ويُعطى حكمه، ولا يُعدُّ هذا تناقضاً من البخاري رحمته الله؛ لأنه إنما أراد فيها سبق ذمّ الرأي المجرد الذي ليس مبنياً على أصلٍ معلوم، أمّا إذا كان أصلاً معلوماً وبيّن بأصلٍ مبين، فإن هذا لا بأس به.

وهذا الحديث سبق الإشارة إليه ويُؤخذ منه:

أنه ينبغي للمجيب أن يُفِيعَ السائل بالأدلة العقلية وإن كان مؤمناً؛ أي: السائل، فإن المؤمن لا شك يُقبل ما جاء به الكتاب والسنة، لكن إذا بيّن له هذا بدلالة من العقل، صار أشدّ طمأنينة له بالحكم الشرعي، فلهذا بيّن النبي صلّى الله عليه وآله لهذا الأعرابي أن ابنه لا يمتنع أن يكون منه، وإن كان مخالفاً له في اللون، فينبغي للمجيب أن يبيّن للسائل ما يقتنع به من الأدلة العقلية؛ لأن ذلك أشدّ طمأنينة له، وأشدّ قبولا له.

ثم قال البخاري رحمته الله:

٧٣١٥- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ، إِلَى النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحْجَّ، فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحْجَّ، أَفَأَحْجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَالَ: «فَاقْضُوا الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ»^(١).

عندي في نسخة: «فاقضوا الله الذي له». وهي صحيحة.

وهذا الحديث كالأول، فإن النبي صلّى الله عليه وآله لما أذن لها أن تحجّ عن أمّها، بيّن أن هذا كالدين، إذا كان عليها دينٌ لأدمي، فإنه يُقضى عنها، فكذلك إذا كان الدين للله فإنه يُقضى عنها. ولكن متى يلزّم؟ وهل يلزّم بمجرد النذر أو لا بدّ من إمكان الأداء؟

الجواب: إن هذا يَحْتَمَلُ وجهين:

أحدهما: أنه بمجرد النذر يلزّم النذر، سواءً تمكّن من أدائه أم لا.

والثاني: لا يلزّم إلا إذا تمكّن من الأداء.

ويظهر أثر الخلاف فيما لو نذر الإنسان أن يحجّ، وكان نذره في رمضان، فمات في شوال،

فهل يَلْزَمُ أَنْ يُقْضَى عنه؟

إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ إِمْكَانِ الْأَدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يُقْضَى عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتِمُّكَ مِنْ الْحَجِّ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ شَهْرُ ذِي الْحِجَّةِ، وَتَأْتِيَ أَيَّامُ الْحَجِّ.

وَإِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرْطٍ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُحَجَّ عَنْهُ. وَهَذَا هُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ: وَأَنَّهُ إِذَا نَذَرْتَ أَنْ تَحَجَّ، فَلَمْ تَحَجَّ، فَإِنَّهُ يُحَجُّ عَنْهَا؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ لَهَا قَالَتْ: مَاتَ قَبْلَ أَنْ تَحَجَّ مَا قَالَ: هَلْ أَدْرَكْتَ زَمَنَ الْحَجِّ، أَمْ لَا؟ فَظَاهِرُهُ الْعُمُومُ.

وَقَدْ يُقَالُ: إِنْ الْحَدِيثَ لَيْسَ بِظَاهِرٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ قَوْلَهَا: «نَذَرْتُ أَنْ تَحَجَّ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ تَحَجَّ» يُشْعِرُ بِأَنَّهُ أَمَكَّنَهَا أَنْ تَحَجَّ فَلَمْ تَفْعَلْ، فَإِنَّهَا لَمْ تَقُلْ: فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْحَجُّ. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (٢٩٧/١٣):

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ قَرِيبًا أَيْضًا، وَتَقَدَّمَ شَرْحُهُ مُسْتَوْفٍ فِي الْحَجِّ، قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: التَّشْبِيهُ وَالتَّمثِيلُ هُوَ الْقِيَاسُ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَقَدْ احْتَجَّ الْمُزَنِيُّ بِهِذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ الْقِيَاسَ، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ أَنْكَرَ الْقِيَاسَ إِبْرَاهِيمُ النَّظَّامُ، وَتَبِعَهُ بَعْضُ الْمَعْتَزَلَةِ، وَمِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى الْفَقْهِ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةُ هُوَ الْحُجَّةُ، فَقَدْ قَاسَ الصَّحَابَةُ فَمَنْ بَعَدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَفَقَهاءِ الْأَمْصَارِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. اهـ

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣ - بَابُ مَا جَاءَ فِي اجْتِهَادِ الْقَضَاءِ ^(١) بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى، لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النِّسَاءُ: ٥٨]. وَمَدَحَ النَّبِيُّ ﷺ صَاحِبَ الْحِكْمَةِ حِينَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا لَا يَتَكَلَّفُ مِنْ قِبَلِهِ وَمُشَاوَرَةَ الْخُلَفَاءِ وَسُؤَالَهُمْ أَهْلَ الْعِلْمِ. هَذَا الْبَابُ يَشْتَمِلُ عَلَى مَسَائِلَ:

أَوَّلًا: اجْتِهَادُ الْقَضَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ، وَالْقَضَاءُ هُنَا يَشْتَمِلُ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ: الْحُكَامَ بَيْنَ النَّاسِ، وَبِالْمَعْنَى الثَّانِي: الْمَفْتِينَ لِلنَّاسِ، فَإِنَّ الْمَفْتَى لَا شَكَّ أَنَّهُ حَاكِمٌ،

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (٢٩٩ - ١٣): كَذَا لِأَبِي ذَرٍّ وَالنَّسْفِيِّ وَابْنِ بَطَالٍ وَطَائِفَةُ «الْقَضَاءِ» بِفَتْحِ أَوَّلِهِ، وَالْمَدِّ وَإِضَافَةِ الْجَهْدِ إِلَيْهِ بِمَعْنَى الْجَهْدِ فِيهِ، وَالْمَعْنَى: الْجَهْدُ فِي الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى، أَوْ فِيهِ حَذْفُ تَقْدِيرِهِ اجْتِهَادَ مَتَوَلِّي الْقَضَاءِ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ غَيْرِهِمُ الْقَضَاءُ بِصِغَةِ الْجَمْعِ وَهُوَ وَاضِحٌ وَلَكِنْ سَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ التَّرْجُمَةُ لِاجْتِهَادِ الْحَاكِمِ فَلْيَزِمِ التَّكَرَّارَ. اهـ

وكلُّ منهم يَلْزُمُهُ الاجتهادُ بما أنزلَ اللهُ، والاجتهادُ يَسْتَلْزِمُ القياسَ؛ لأنَّ المجتهدَ سوفَ يَجْتَهِدُ في فهمِ النصوصِ، والجمعِ بينها، وَيَجْتَهِدُ أيضًا بالمسائلِ التي تُشَبِّهُ المنصوصَ عليها. ثم قال: لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُصَّكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الشورى: ٤٥]. وَمَنْ لَمْ يَجْتَهِدْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَخُصَّكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ. وهذا أحدُ الأوصافِ الثلاثةِ التي ذكرها اللهُ ﷻ في سورة المائدة، في مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ؛ الظالمونَ، والفاسقونَ، والكافرونَ. وقد اختلفَ العلماءُ في تخرِيجِ هذه الأوصافِ الثلاثةِ^(١).

فقال بعضهم: إنها أوصافٌ لموصوفٍ واحدٍ، وأنَّ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، فهو كافرٌ، والكافرُ يُطْلَقُ عليه اسمُ الفاسقِ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [البقرة: ٢٠].

وَيُطْلَقُ عليه الظالمُ، كقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. وعلى هذا فمن لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فهو فاسقٌ ظالمٌ كافرٌ.

وقيل: إن هذه الأوصافَ الثلاثةَ تنزَّلُ على أحوالٍ بحسبِ الحاملِ للشخصِ، على الحكمِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ.

فمن لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ معتقداً أن غيره أنفعَ للخلقِ وأوليَ فهذا كافرٌ. وَمَنْ حَكَمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ عُدُوًّا وظلمًا على المحكومِ عليه، وهو يَعْتَقِدُ أن الحكمَ الصحيحَ، هو حكمُ اللهِ فهذا ظالمٌ.

وَمَنْ حَكَمَ بهوى في نفسه، لا للعدوانِ على المحكومِ عليه، فهو فاسقٌ. وهذا أولى؛ لأنَّ حملَ اللفظِ على معنى جديدٍ غيرِ الأولِ أولى مِنْ حَمْلِهِ على الأولِ، ولهذا يُحْمَلُ اللفظُ على التأسيسِ دونَ التوكيدِ. وأننا إذا حكمنا على اختلافِ الحالاتِ، صار كلُّ آيةٍ تدلُّ على معنى مستقلٍّ غيرِ المعنى الذي دلَّت عليه الآيةُ الأخرى. وربما يظهرُ ذلك مِنْ سياقِ الكلامِ في السورة، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيِّنُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ الْكَاسَ وَالْأَخْشُونَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَخُصَّكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [الشورى: ٤٤]. فإن سياقَ الآيةِ يدلُّ على أن ذلكَ فيمن تركَ ما اسْتُحْفِظَ عليه مِنْ

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٢٣٣)، و«البغوي» ٢/ ٤٠، و«فتح القدير» ٢/ ٤٢.



كِتَابُ اللَّهِ وَلَمْ يَحْكَمْ بِهِ.

وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ فِي الْقِصَاصِ: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٧٨]. وَعَدَمُ الْقِصَاصِ أَوْ رَفْعُ الْحُكْمِ بِهِ، يَظْهَرُ فِيهِ الظُّلْمُ أَكْثَرُ مِمَّا يَظْهَرُ غَيْرُهُ.

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّلَاثَةُ: فَفِيهَا ذِكْرُ الْإِنْجِيلِ، وَأَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنْ الْيَهُودُ لَمْ يَقْبَلُوهُ، أَوْ بَدَّلُوهُ أَوْ غَيْرُوه، فَانْسَبَ أَنْ يُوصَفُوا بِالْفَسَقِ؛ لِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا هَوَى أَنْفُسِهِمْ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَمَدَحُ النَّبِيِّ ﷺ صَاحِبِ الْحِكْمَةِ حِينَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». وَهَذَا فِي حَدِيثٍ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْهَالَ فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

قَالَ: «لَا يَتَكَلَّفُ مِنْ قَبْلِهِ، وَمَشَاوَرَةُ الْخُلَفَاءِ وَسُؤَالُهُمْ أَهْلَ الْعِلْمِ». هَذَا مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «اجْتِهَادُ الْقَضَاةِ». يَعْنِي: وَمَا جَاءَ فِي مَشَاوَرَةِ الْخُلَفَاءِ وَسُؤَالِهِمْ أَهْلَ الْعِلْمِ، وَهَذَا وَاجِبٌ عَلَى الْخُلَفَاءِ سِوَاءَ كَانُوا خُلَفَاءَ كِبَارًا، أَوْ خُلَفَاءَ مُسْتَخْلَفِينَ عَلَى قَرْيَةٍ، أَوْ مَدِينَةٍ كَالْأَمْرَاءِ، وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ حَادِثَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى التَّفَقُّهِ بِهَا، فَكَمَا أَنَّ الْخُلَفَاءَ يَشَاوِرُونَ مَنْ لَهُ خُبْرَةٌ بِالسَّلَاحِ، وَبِالزَّرَاعَةِ، وَبِالْعُلُومِ الْآخَرَى، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ أَيْضًا أَنْ يَشَارُوا أَهْلَ الْعِلْمِ، فَيَصْدُرُوا عَنْ رَأْيِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣١٦- حَدَّثَنَا شَهَابُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَسْلَطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»^(٢).

❖ وَقَوْلُهُ: «يَقْضِي بِهَا»، أَي: يَعْمَلُ بِهَا، وَيَحْكُمُ بِهَا إِذَا حُكِمَ.

❖ وَقَوْلُهُ: «يُعَلِّمُهَا»؛ أَي: يُعَلِّمُهَا النَّاسَ، وَيَنْشُرُهَا سِوَاءَ حُكْمٍ أَمْ لَمْ يُحْكَمْ.

❖ وَقَوْلُهُ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَسْلَطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ». هَذَا لَا يَشْمَلُ جَمِيعَ الْهَالِ؛ لِأَنَّ

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٣١٦)، وَمُسْلِمٌ (٥٥٩/١) (٨١٦) (٢٦٨).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥٥٩/١) (٨١٦) (٢٦٨).

«في». للظرفية؛ يعني: في دائرة الشرع.

ولكن كيف لو فعل ذلك في جميع ماله؟

صورة ذلك مثل ما جرى لأبي بكر رضي الله عنه حين حثَّ رسولُ الله ﷺ على الصدقة فجاء بكلِّ ماله ^(١). وهذا مشروع لمن كان مثل أبي بكر، يعني: عنده قوة توكل، وعنده عمل يستطيع به أن ينقذ نفسه وأهله، وما دام الحديث مُقيداً في الحق؛ والمعنى: أن هذا الإهلاك لا يخرج عن دائرة الحق. ولا يُعارض هذا قول النبي ﷺ لسعيد: «الثلث والثلث كثير» ^(٢). لأن هذا في الوصية.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣١٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ إِمْلَاصِ الْمَرْأَةِ - هِيَ الَّتِي يُضْرَبُ بَطْنُهَا فَتَلْقَى جَنِينًا - فَقَالَ: أَتَيْكُمْ سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ شَيْئًا، فَقُلْتُ: أَنَا. فَقَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «فِيهِ غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ». فَقَالَ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى تَجِئَنِي بِالْمَخْرَجِ فِيمَا قُلْتُ.

٧٣١٨- فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَةَ فَجِئْتُ بِهِ، فَشَهِدَ مَعِيَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «فِيهِ غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ». تَابَعَهُ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ ^(٣). المراد بالغُرَّة: العبد أو الأمة. وسمي غرة؛ لأنه أعلى أنواع الهال، فإن الأموال تختلف: إبل، وبقر، وغنم، وغيرها، لكن أشرفها هو الرقيق، ولهذا سمي غرة. وغرة الشيء وجهه، أو بياض وجهه. قال أهل العلم: وهذه الغُرَّة يكون ثمنها خمسا من الإبل؛ أي: عشر دية المرأة ^(٤)؛ لأن المرأة ديتها خمسون بعيرا، وعشر الدية خمس من الإبل.

فإذا زادت الغُرَّة عن خمس من الإبل، فهل المعبر خمس من الإبل، أو المعبر الغُرَّة، ولو زادت؟

(١) رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والدارمي (٣٩١/١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٤٠)، وحسنه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (١٣١١/٣) (١٦٨٩) (٣٩).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٦٠/٣٤): ولو قدر أن الشخص أسقط الحمل خطأ، مثل أن يضرب المرأة خطأ فتسقط، فعليه غرة عبد أو أمة بنص النبي ﷺ، واتفاق الأئمة، وتكون قيمة الغرة بقدر عشر دية الأم عند جمهور العلماء كمالك، والشافعي، وأحمد. اهـ. وانظر: «الأم» (٢٤٥/٦)، و«المبدع» (٣٥٨/٨)، و«الإنصاف» (٧٠/١٠).

الجواب: أن المشهور عند الحنابلة رحمهم الله: أن المعتبر خمس من الإبل، قالوا: لأننا لو اعتبرنا الغرة ولو زادت، فإنه يلزم أن تكون غرة الجنين أكثر من غرة أمه، كما لو قدرنا أن الرقيق يساوي ثمانين بعيراً مثلاً، فإن هذا يقتضي أن تكون دية الجنين أكثر من دية أمه، فقيدوها بخمسين من الإبل، سواء زادت الخمس على الغرة أو لا^(١).

ثم قال البخاري رحمهم الله:

١٤- باب قول النبي ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم.

٧٣١٩- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذَنْبٍ، عَنِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ». فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَّارَسَ وَالرُّومَ. فَقَالَ: «وَمِنَ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَئِكَ؟»

٧٣٢٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا أَبُو عُمَرَ الصَّنْعَانِيُّ - مِنَ الْيَمَنِ - عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»^(١).

هذا الحديث: فيه أن النبي ﷺ بين أن هذه الأمة تتبع طريق من قبلها، وهو قوله: «سنن». أي: طريقة من كان قبلكم، وليس المراد بهذا إقرار النبي ﷺ للأمة على ما تفعل، ولكنه إخبار بأن هذا سيقع، ويتضمن التحذير من ذلك، أن تحذر الأمة من أن تتبع سبيل من قبلها. وهناك وجوه كثيرة شاركت فيها الأمة من قبلها، مثال ذلك: الحسد، وحب الدنيا، والنكول عن الجهاد وإضاعة الصلاة، والحكم بغير ما أنزل الله، والتحريف، وأشياء كثيرة.

فإذا قال قائل: كيف قال ﷺ في الرواية الأولى، لما قالوا: كفارَسَ والروم: فقال: «ومن الناس إلا أولئك». في الرواية الثانية قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ؟! لأن المراد الجنس، فهم لما ذكروا الفرس والروم كمثال، قال: فَمَنْ؟ ولما ذكروا اليهود والنصارى كمثال، قال: فَمَنْ؟ فالمراد جنس المنحرفين عن الحق من فرسٍ أو يهودٍ أو نصارى، أو غير ذلك.

(١) انظر: «المبدع» (٣٥٨/٨)، و«الإنصاف» (٦٩/١٠)، و«كشف القناع» (٢٣/٦).

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٤/٤) (٢٦٦٩) (٦).

لكن لو كان للكفار عادة معينة، وشاعت بين المسلمين؛ كلبس الكفار مثلاً، فهل هذا يُعدُّ من التشبيه المذموم؟

الجواب: لا، لأن ما كانت العلة فيه التشبه، فإنه يزول حكمه إذا اتسع وشمل المسلمين ما لم يكن عبادة أو محرماً بذاته، فلو كان من عادة المشركين لباس الحرير للرجال حُرْمَ ولو شاع بين الناس، ولكن ما حُرْمَ للتشبه فإذا شاع بين الناس وصار للمسلمين والكفار زال التشبه.

ثم قال البخاري رحمه الله:

١٥- بابُ إثم من دعا إلى ضلالة أو سنَّ سنة سيئة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ أَوَارِ الْذِّبِكِ يُضِلُّونَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥] الآية.

٧٣٢١- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْماً إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ. وَمِنْ دَمِهَا - لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا»^(١).

قال المؤلف: «بابُ إثم من دعا إلى ضلالة، أو سنَّ سنة سيئة»، يعني: فإنه يَحْمِلُ وزره، ووزر من عمل بهذه السيئة، ثم استدلل البخاري بقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ أَوَارِ الْذِّبِكِ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥]. وهذا بعض آية، لَيْتَهُ جَاءَ بها مِنْ أَوْلَها، وهي قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوَارِئَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة: ٢٥]. أما أوزار غيرهم، فقال: ﴿وَمِنَ أَوَارِ الْذِّبِكِ﴾؛ يعني: يَحْمِلُونَ مِنْ أَوَارِ الذين يُضِلُّونَهُمْ بغير علم، وإنما كانت أوزارهم كاملة؛ لأنها فعلهم، وكانت مِنْ أَوَارِ الذين يُضِلُّونَهُمْ بغير علم؛ لأنه فعل غيرهم، فأوزار غيرهم موزعة عليهم، وعلى غيرهم، وأوزارهم على أنفسهم، ولهذا قال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوَارِئَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوَارِ الْذِّبِكِ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥]. وقوله: ﴿يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. يحتمل أن تكون عائدة على الفاعل، أو على المفعول؛ يعني: مِنْ أَوَارِ الذين يُضِلُّونَهُمْ، وهم لا يعلمون أنهم على ضلال، فتكون عائدة على التابع؛ يعني: أن التابعين لهم يُضِلُّونَ بغير علم. فأما لو ضلَّ التابعون على علم بضلالهم، فإنهم هم الضالون، ويحتمل أنه عائد على الأول، وأنهم؛ أي: المضلين، وأن هؤلاء المضلين تكلموا بغير علم، فضلُّوا، وأضلُّوا، والمعنيان حق. فإن

المتبوعين إذا تكلموا عن علم، فقد تكلموا بحق، وإن تكلموا عن غير علم، فقد تكلموا بالباطل. وإن تكلموا عن علم بالمخالفة، فهم أضل.

وكذلك التابعون. نقول: إذا تبعوهم عن غير علم، فعلى المتبوعين من أوزارهم، وإن تبعوهم بعلم يعلمون أنهم على باطل، فإنهم هم الآثمون الظالمون.
قال ابن حجر رحمته الله في «الفتح» (٣٠٢ / ١٣):

❦ قوله: «باب إثم من دعا إلى ضلالة، أو سن سنة سيئة»؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. ورد فيما ترجم به حديثان بلفظ: وليس على شرطه، واكتفى بما يؤدي معناهما، وهما ما ذكرهما من الآية والحديث، فأما حديث «من دعا إلى ضلالة» فأخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل إثم من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا».

وأما حديث «من سن سنة سيئة» فأخرجه مسلم من رواية عبد الرحمن بن هلال، عن جرير بن عبد الله البجلي في حديث طويل، قال فيه: «فقال رسول الله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا».

وأخرجه من طريق المنذر بن جرير، عن أبيه، مثله، لكن قال: «شيء» في الموضوعين بالرفع.

وأخرجه الترمذي من وجه آخر عن جرير، بلفظ: «من سن سنة خير، ومن سن سنة شر».

وأما الآية، فقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾. قال: حملهم ذنوب أنفسهم، وذنوب من أطاعهم، ولا يخفف ذلك عما أطاعهم شيئا، وأخرج عن الربيع بن أنس: أنه فسر الآية المذكورة بحديث أبي هريرة المذكور، ذكره مرسلًا بغير سند.

وأما حديث الباب عن عبد الله بن مسعود، فقد مضى شرحه في أول «كتاب القصاص». وتقدم البحث في المراد بالمفارق للجماعة المذكور فيه، قال المهلب: هذا الباب، والذي قبله في معنى التحذير من الضلال، واجتناب البدع، ومحدثات الأمور في الدين، والنهي عن مخالفة سبيل المؤمنين انتهى.

ووجه التحذير: أن الذي يحدث البدعة قد يتهاون بها لخفة أمرها في أول الأمر، ولا

يَشْعُرُ بِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَفْسَدَةِ، وَهُوَ أَنْ يَلْحَقَهُ إِثْمٌ مِنْ عَمَلٍ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُوَ عَمِلَ بِهَا، بَلْ لَكُونَهُ كَانَ الْأَصْلُ فِي إِحْدَائِهَا. اهـ

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ أَوْ بَدْعَةٍ فِي الدِّينِ، عَقْدِيَّةً، أَوْ قَوْلِيَّةً، أَوْ فِعْلِيَّةً، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟
الْجَوَابُ: نَعَمْ، لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ، إِذَا تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَلْحَقَهُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ تَبِعَهُ شَيْءٌ، وَلَكِنْ يَجِبُ إِذَا كَانَ قَدْ دَعَا إِلَى الضَّلَالَةِ مِنْ طَرِيقٍ، أَنْ تَكُونَ تَوْبَتُهُ وَرَجُوعُهُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِ هَذَا الطَّرِيقِ. فَإِذَا كَانَتْ عَنْ طَرِيقِ الْمُؤَلَّفَاتِ، فَلْيَكْتَبْ أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ عَنْ طَرِيقِ التَّأْلِيفِ، إِذَا كَانَ عَنْ طَرِيقِ الْأَشْرَاطِ، كَمَا يُوجَدُ فِي عَصَرِنَا، فَلْيَكْتَلَمْ عَنْ طَرِيقِ الْأَشْرَاطِ. الْمَهْمُ أَنْ السَّيِّئَةَ لَا تُمَحَى إِلَّا بِطَرِيقٍ مِثْلِ الطَّرِيقِ الَّتِي أُثْبِتَتْ بِهَا، وَحِينَئِذٍ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَلْحَقَهُ شَيْءٌ مِنْ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ.

وكَذَلِكَ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً، فَإِنْ تَوْبَتَهُ أَنْ يُعْلِنَ الرَّجُوعَ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنْ يَخْرِصَ عَلَى أَنْ يُحْدِثَ حَسَنَةً تَمُوحُو تِلْكَ السَّيِّئَةَ، فَإِذَا كَانَتِ السَّيِّئَةُ الَّتِي سَنَّهَا؛ الْامْتِنَاعُ عَنِ الزَّكَاةِ، فَتَبِعَهُ النَّاسُ، وَامْتَنَعُوا عَنِ الزَّكَاةِ، فَتَوْبَتُهُ أَنْ يُخْرِجَ الزَّكَاةَ، وَيُعْلِنَ ذَلِكَ، وَإِنْ حَقَّقَ التَّوْبَةَ بِإِخْرَاجِ الصَّدَقَاتِ الَّتِي تُقَابِلُ بُخْلَهُ أَوَّلًا فَهَذَا حَسَنٌ. لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيئَاتِ﴾ ﴿١١٤﴾.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: ابْنُ آدَمَ الْأَوَّلُ أَلَيْسَ قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبَحَ نَدِمًا﴾ ﴿٣١﴾.

الْجَوَابُ: بَلَى، وَلَكِنْ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ تَابَ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ نَدِمَ، وَلَيْسَ هَذَا نَدَمُ التَّوْبَةِ عَلَى مَا فَعَلَ، لَكِنَّهُ نَدَمٌ أَنْ يَكُونَ الْغَرَابُ أَعْلَمَ مِنْهُ بِالتَّخْلِصِ مِمَّا يَضُرُّهُ.

وَهَلْ يَدْخُلُ فِيمَنْ يَلْحَقُهُ أَوْزَارُ مَنْ اتَّبَعَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمَتَاوَلُ الَّذِي دَعَا إِلَى شَيْءٍ ثُمَّ تَبِعَهُ النَّاسُ؟
الْجَوَابُ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ السَّيِّئَةَ فِي حَقِّهِ لَيْسَتْ سَيِّئَةً، وَلَكِنْ عَلَيْهِ إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ أَنْ يَرْجِعَ.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١٦- بَابُ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَحَضَّ عَلَى اتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَا أَجَمَعَ عَلَيْهِ الْحَرَمَانُ: مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ، وَمَا كَانَ بَهَا مِنْ مَشَاهِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْمَهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ، وَمَصَلَّى النَّبِيِّ ﷺ، وَالْمَنْبَرِ، وَالْقَبْرِ.

هذه الترجمة فيها مسائل:

أولاً: ما ذكر النبي ﷺ، وحض على اتفاق أهل العلم، حيث إن الرسول ﷺ حض على الجماعة، وأخبر: «أن من خرج عن الجماعة، فإنه شاذ»^(١). وأخبر: «أن من خرج على الإمام الذي تمت عليه البيعة ليُفَرَّقَ المسلمون، فإنه يجب على المسلمين أن يضربوا عنقه»^(٢). لأنه خارج، فحث على اجتماع الناس.

ثانياً: «وما أجمع عليه الحرمان: مكة والمدينة». هل ما أجمع عليه أهل الحرمين يُعتبر إجماعاً؟ الجواب: ذهب بعض العلماء إلى أن ما أجمع عليه أهل المدينة فهو إجماع^(٣)؛ لأن المدينة دار العلم، ولكن الصواب: أنه لا إجماع إلا ما أجمع عليه المسلمون عموماً بمكة، والمدينة، والشام، والعراق وغيرها.

ثالثاً: قوله: «وما كان بها من مشاهد النبي ﷺ، والمهاجرين، والأنصار». مشاهد المهاجرين والأنصار، يعني: التي شهدوها، كأمكنة العبادة، ومصلّى العيد، وما أشبه ذلك. وقول المؤلف رحمه الله: «ومصلّى النبي ﷺ والمنبر، والقبر، ومصلّاه أول ما يدخل فيه المسجد، ثم مصلّى العيد، ثم مصلّى الجنائز، والمنبر، والقبر، يعني: منبر النبي ﷺ، وقبره الذي كان في بيت عائشة رضي الله عنها».

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٣٠٦/١٣):

قوله: «باب ما ذكر النبي ﷺ وحض». بمهملة وضاد ثقيلة؛ أي: حرص بالمهملة وتشديد الراء، وقوله: «على اتفاق أهل العلم». قال الكيرماني في بعض الروايات: «وما حض عليه من اتفاق»، وهو من باب تنازع العاملين، وهما ذكر وحض.

قوله: «وما اجتمع عليه الحرمان: مكة والمدينة، وما كان بها من مشاهد النبي ﷺ، والمهاجرين، والأنصار». في رواية الكشميهني «وما أجمع». بهمزة قطع بغير تاء، وعنده «وما كان بها» بالافراد والأول أولى، قال الكيرماني: الإجماع هو: اتفاق أهل الحل والعقد؛ أي:

(١) روى الترمذي (٢١٦٧) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «وיד الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النار». ورواه الحاكم في «المستدرک» (٣٩٢)، وصححه الشيخ الألباني دون قوله: «ومن شذَّ كما في تعليقه على السنن».

(٢) رواه مسلم (١٤٧٩/٣) (١٨٥٢) (٥٩).

(٣) قال صاحب «البرهان» في أصوله (٤٥٩/١): نقل أصحاب المقالات عن مالك رحمه الله أنه كان يرى اتفاق أهل المدينة؛ يعني: علمائها حجة، وهذا مشهور عنه. وانظر: «المدخل» (٢٨٣/١)، و«التبصرة»، (٣٦٥/١)، و«الإحكام» للأمامي (٣٠٢/١).

المجتهدين من أمة محمد ﷺ على أمر من الأمور الدينية، واتفاق مجتهدَي الحرمين دون غيرهم ليس بإجماع عند الجمهور، وقال مالك: إجماع أهل المدينة حجة، قال: وعبارة البخاري مشعرة بأن اتفاق أهل الحرمين كليهما إجماع.

قلت: لعله أراد الترجيح به لا دعوى الإجماع، وإذا قال بحجية إجماع أهل المدينة وحدها مالك، ومن تبعه فهم قائلون به إذا وافقهم أهل مكة بطريق الأولى، وقد نقل ابن التين عن سحنون اعتبار إجماع أهل مكة مع أهل المدينة، قال: حتى لو اتفقوا كلهم وخالفهم ابن عباس في شيء لم يُعدَّ إجماعاً، وهو مبني على أن ندرة المخالف تؤثر في ثبوت الإجماع. اهـ

❦ قوله: «وهو مبني على أن ندرة المخالف تؤثر في ثبوت الإجماع». هذا فيه خلاف؛ ولهذا قال: مبني على القول وذلك أن بعض العلماء يقول: إذا أجمع المسلمون على شيء، وخالف واحد، أو اثنان فلا إجماع ما دام هناك خلاف من مجتهد - وإن لم يكن من كبار العلماء - فإنه يُعدَّ إجماعاً.

وعند بعض العلماء: لا عبرة بالمخالف الواحد والاثنين.

والصحيح: أنه لا يُعدَّ إجماعاً حتى يتفق الناس كلهم عليه.

و أهم شيء في هذه الترجمة، قوله: «باب ما ذكر النبي وحض على اتفاق أهل العلم»؛ أي: أنه حض على اتفاق أهل العلم ألا يختلفوا فيما بينهم، وأن يحاولوا اجتماع الكلمة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لما في اجتماع الكلمة من الفوائد العظيمة، والقرب إلى الصواب؛ لأنه كلما كثرت الناس على شيء كانوا أقرب إلى الصواب، مما إذا اختلفوا، ولئلا يضطرب الناس؛ أي: العامة الذين يقتدون بالعلماء، إذا رأوا اختلاف العلماء، فإن العامة يقلدون العلماء تقليد دين، فإذا رأوهم مختلفين، حصل عندهم قلق وحرَج، فلذلك حث النبي ﷺ على اتفاق أهل العلم، لما فيه من المصالح الكثيرة، ودرء المفاسد.

وفي هذا دليل: على أن الإنسان يجب عليه أن يرجع إلى الحق إذا كان مع غيره، وألا يخالفه، وألا يجادل، وقد أرسل الرسول ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل، وقال: تطاوَّعا، يعني: ليطع بعضكما بعضاً^(١).

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٢٢- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّلَمِيِّ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَأَصَابَ الْأَعْرَابِيَّ وَعْكٌ بِالْمَدِينَةِ، فَجَاءَ الْأَعْرَابِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْلَنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: أَقْلَنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ، فَقَالَ: أَقْلَنِي بَيْعَتِي. فَأَبَى، فَخَرَجَ الْأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا»^(١).

في هذا الحديث كان الناس إذا بايعوا النبي ﷺ ارتحلوا إلى المدينة، وهاجروا إليها؛ لأنها بلاد المهاجرين، فهذا الأعرابي أُصيب بالوعك، ولعل هذا قبل أن تنقل حمى المدينة إلى الجحفة؛ لأن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة كانت فيها الحمى، فدعا الله أن ينقل حمى المدينة إلى الجحفة^(٢) فنقلها الله ﷻ وصارت المدينة طيبة.

وفي هذا: دليل على أن الإنسان لا يمكن أن يرجع في الإسلام، إذا قيل أن يسلم وإلا فهو على دينه، لكن إذا دخل في الإسلام فإنه لا يمكن أن يرتد عنه.

وفي هذا: دليل على أن هذا الرجل - والعياذ بالله - لم يطمئن قلبه بالإيمان، ولهذا أثر الحياة الدنيا على الآخرة، فخرج من المدينة بعد أن منعه الرسول ﷺ عدة مرات.

ولكن هل قول النبي ﷺ «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا، وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا» على العموم، أم هو خاص بعهد النبي ﷺ؟

الجواب: ظاهر الحديث العموم، ولكن قد يقال: إن الواقع يخالف ذلك؛ يعني: يخالف دعوى العموم؛ لأن في المدينة الآن أناس خبث لا شك، وليسوا على المستوى الذي يراؤ منهم، فيحمل هذا العموم على أنه في عهد النبي ﷺ، أما الظاهر فهو العموم. قال الحافظ في «الفتح» (٣٠٦/١٣):

❖ قوله: «أن أعرابياً» تقدم القول في اسمه، وفي أي شيء استقال منه، وضبط ينصع في أواخر الحج في فضل المدينة، وكذا...

❖ وقوله: «كالكبير» مع سائر شرحه والله الحمد، قال ابن بطال عن المذهب: فيه تفضيل المدينة على غيرها بما خصها الله به، من أنها تنفي الخبث، ورتب على ذلك القول بحجية إجماع

(١) رواه مسلم (١٠٠٦/٢) (١٣٨٣) (٤٨٩).

(٢) رواه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٠٠٣/٢) (١٣٧٦) (٤٨٠).

أهل المدينة، وتُعَقَّبَ بقول ابن عبد البر: أن الحديث دالٌّ على فضل المدينة، ولكن ليس الوصفُ المذكورُ عامًّا لها في جميع الأزمنة، بل هو خاصٌّ بزمانِ النبي ﷺ؛ لأنه لم يكن يخرج منها رغبةً عن الإقامة معه إلا مَنْ لا خيرَ فيه.

وقال عياضٌ نحوه، وأيده بحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم: «لا تقوم الساعةُ حتى تنفي المدينة شرارها، كما ينفي الكيرُ خبثَ الفضة». قال: والنارُ إنما تُخرجُ الخبثَ والرديءَ، وقد خرج من المدينة بعد النبي ﷺ جماعةٌ من خيار الصحابة، وقطنوا غيرها، وماتوا خارجًا عنها، كابن مسعود، وأبي موسى، وعلي، أو أبي ذرٍّ، وعمار، وحذيفة، وعُبادَةُ بن الصامت، وأبي عبيدة، ومعاذ، وأبي الدرداء، وغيرهم، فدلَّ على أن ذلك خاصٌّ بزمانه ﷺ بالقيد المذكور. اهـ

هذا المثال الذي ذكره من خروج بعض الصحابة، لا شك أنه يدلُّ على عدم العموم، وأنه خاصٌّ في زمنه، أو خاصٌّ بمن يخرجُ كارهاً لها لا لمصلحة؛ يعني: مَنْ خرج كارهاً لها فإنه يصدَّق عليه هذا الوصف. أما هؤلاء الصحابة فقد خرجوا لمصلحة لا شك.

ولكن إذا ترجَّح عند الإنسان مصلحةٌ دينيةٌ للخروج وهو فيها فهل يخرج منها؟
الجواب: نعم، بلا شك. ولهذا اختلف العلماء هل المجاورة بمكة أفضل، أم في المدينة أفضل؟
الجواب: على قولين للعلماء: بعضهم فضَّل المجاورة بالمدينة، وبعضهم فضَّل المجاورة بمكة^(١).
وقال شيخ الإسلام رحمته الله: المجاورة في مكانٍ يكثرُ فيه تقواه ﷺ أفضل من المدينة وغيرها^(٢).
فجعل العبرة بما يقوم به الدين، لا العبرة بالمكان، واستدلَّ بتزوج بعض الصحابة رضي الله عنهم عن المدينة.



ثم قال البخاري رحمته الله:

٧٣٢٣- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أُقْرِئُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، فَلَمَّا كَانَ آخِرَ حَاجَةِ حَجَّهَا عُمَرُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَمْنَى: لَوْ شَهِدْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ رَجُلٌ، قَالَ: إِنْ فَلَانًا يَقُولُ: لَوْ مَاتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَبَايَعْنَا فَلَانًا. فَقَالَ عُمَرُ: لِأَقَوْمٍ الْعَشِيَّةَ فَأَحْذَرُ

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (٣/ ٣٦٤)، و«الإنصاف» للمرداوي (٣/ ٥٦٢)، و«كشاف القناع» (٢/ ٤٧٣).

(٢) قال ابن مفلح في «الفروع» (٣/ ٣٦٤): قال يعني شيخ الإسلام ابن تيمية - والمجاورة بمكان يكثر فيه إيمانه وتقواه أفضل حيث كان. ونقله عنه أيضًا صاحب «كشاف القناع» (٢/ ٤٧٣).

هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَغْصِبُوهُمْ. قُلْتُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ الْمَوْسِمَ يَجْمَعُ رِعَاعَ النَّاسِ، يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ، فَأَخَافُ أَنْ لَا يُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَيُطِيرُ بِهَا كُلُّ مُطِيرٍ، فَأَمْهَلُ حَتَّى تَقْدَمَ الْمَدِينَةُ دَارَ الْهَجْرَةِ وَدَارَ السُّنَّةِ، فَتَخْلُصَ بِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَيَحْفَظُوا مَقَالَتَكَ، وَيُنْزِلُوهَا عَلَى وَجْهِهَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقُومَنَّ بِهِ فِي أَوَّلِ مَقَامٍ أَقُومُهُ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ فِيهَا أَنْزَلَ آيَةَ الرَّجْمِ^(١).

الشاهد من هذا، قوله: «حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة». ففيه دليل عظيم على أهمية الخلافة، أو السلطة، وأنه لا يجوز للإنسان أن يتعرض لها بسوء لخوف الفتنة، فإن هؤلاء الرهط قالوا: لو مات عمر لباعنا فلاناً، ولم يعينه الحديث، لكن هذا يدل على أنهم كرهوا خلافته، فقدروا هذا التقدير، على أنه يحتمل أن يكون فلان في رأيهم أفضل من عمر رضي الله عنه، وإن لم يكن ذلك كراهة لعمر، لكنه محبة لمن هو أولى، ومع ذلك غضب عمر رضي الله عنه. ثم فيه أيضاً: دليل على أن الإنسان الفاضل قد يفوته شيء يعلم به المفضل، فإن عمر لا شك أفضل من عبد الرحمن بن عوف، وأوفر عقلاً، وأرجح رأياً، ولكنه قد تفوته - ولا سيما عند الحمية، وعند الغضب - أشياء كثيرة.

وفيه أيضاً: دليل على أن الإنسان ينبغي له أن يضع الحديث موضعه، فلا يحدث بحديث يخشى منه الضرر أو الشر، وإن كان خيراً فقد يسمعه أهل الشر، فينزلونه على ما يريدون فينقلونه على ما يريدون؛ فلذلك يجب أن يتحرر الإنسان، حتى في الإفتاء في العلم يجب أن يتحرر، فكم من إنسان أفتى فتوى علم على ظاهر السؤال، ثم استغل في القدح ببعض الناس، والإنكار عليهم، وما أشبه ذلك. فالإنسان لا سيما في زمن القيل والقال، وكثرة الكلام يجب عليه أن يتحرر تحرراً كاملاً، وإذا علم الله من نيته الخير، وفقه له، ووقاه من الشر.

وفيه: دليل على أن القرب من المتكلم أو الخطيب لا يدل على أن الذي يقرب إليه هم أهل العقل، وأهل الفهم، بل الذي يقرب في الغالب ولا يستحيي هم عامة الناس، فتجد أهل الخير، وأهل العقل، وأهل الرزانة يستحيون، فلا يترحمون، ولا يتزاحمون على المجالس، ويكونون في آخر الناس، ولهذا يقول: «يجمع رِعَاعُ النَّاسِ، يَغْلِبُونَ عَلَى مَجْلِسِكَ».

(١) رواه مسلم (٣/١٣١٧) (١٦٩١) (١٥) بغير ذكر القصة، وبلغ في أنتم من هذا في مسألة الرجم.

وفيه أيضًا: التحرُّزُ مِنَ الرَّعَاعِ، وَالْأَيْقَادُ الْإِنْسَانُ مَعَهُمْ، وَأَنْ يُحْكَمَ عَقْلُهُ عَلَى عَاطِفَتِهِ، فَإِنْ بَعْضُ النَّاسِ يَغْتَرُّ إِذَا رَأَى الرَّعَاعَ فَيَتَكَلَّمُ بِمَا يَظُنُّ أَنَّهُ يُرْضِيهِمْ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مُضَرَّةٌ عَاجِلَةٌ أَوْ آجِلَةٌ.

وفيه أيضًا: دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَأْخِيرِ مَا يُظُنُّ فِيهِ الْمَصْلَحَةُ لِدَرِّ الْمَفْسَدَةِ؛ لِأَنَّ عَمَرَ آخَرَ مَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ إِلَى أَنْ يَفْزَحَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَحَصَلَ فِيهِ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ.

وفيه: دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ نَسْخِ اللَّفْظِ، وَإِبْقَاءِ الْحُكْمِ، وَذَلِكَ فِي آيَةِ الرَّجْمِ، فَإِنَّمَا كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ إِذَا أُخْصِنَ الرَّجُلُ وَزَنَّا، فَإِنَّهُ يُرْجَمُ، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «إِنَّمَا قَرَأْنَاهَا وَحَفَظْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، وَرَجَمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولُوا: لَا نَرَى الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيُضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ عز وجل، وَإِنْ الرَّجْمُ حَقٌّ ثَابِتٌ عَلَى مَنْ زَنَّا إِذَا أُخْصِنَ، وَكَانَ الْحَبْلُ أَوْ الْاعْتِرَافُ»^(١).

وفيه أيضًا: أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ، وَالْأَحَقِّيَّةُ هَذِهِ تُعَوِّدُ إِلَى أَمْرَيْنِ: إِلَى الْبَعْثِ، وَإِلَى الْمَبْعُوثِ بِهِ. فَالْبَعْثُ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ صَادِقٌ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. وَالْمَبْعُوثُ بِهِ؛ أَنَّ كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلِهَذَا لَا تَرَى بَاطِلًا فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ أَبَدًا، لَا تَرَى كَذِبًا فِي خَبَرٍ، وَلَا جَوْرًا فِي حُكْمٍ، وَلَا تَنَاقُضًا فِي مُخْتَلَفٍ أَبَدًا، فَكُلُّهُ حَقٌّ.

وفيه أيضًا: أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وَنَحْنُ نَعْلَمُ جَمِيعًا أَنَّ الْقُرْآنَ وَصْفٌ، وَلَيْسَ عَيْنًا تَنْزِلُ وَتُرى وَتُشَاهَدُ، وَلَكِنَّهُ كَلَامٌ، فَإِذَا كَانَ نَازِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ كَلَامٌ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ كَلَامَهُ وَلَيْسَ مَخْلُوقًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، بِخِلَافِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ نَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٦٠]. فَإِنَّ هَذَا الْإِنْتِزَالَ إِنْتِزَالُ الْمَخْلُوقِ، لِأَنَّ الْمُنَزَّلَ أَعْيَانٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا، فَتَكُونُ مَخْلُوقَةً بِخِلَافِ الْقُرْآنِ، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يُعَوِّدُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: «غَيْرُ مَخْلُوقٍ» مِنَ التَّعَمُّقِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ اللَّهَ قَالَ: مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَيَقَالُ: إِنَّ السَّلَفَ اضْطَرُّوا إِلَيْهَا دَفْعًا لِبَاطِلِ اخْتِرَاعِ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَهُمْ الْجَهْمِيَّةُ، حَيْثُ قَالُوا: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَلَزِمَ أَنْ يَقُولُوا: غَيْرُ مَخْلُوقٍ^(٢). وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ أَوْ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ

(١) المصدر السابق.

(٢) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى» (٣/ ١٧٤): أَمَّا هَذَا الْقَوْلُ فَهُوَ الْمَأْثُورُ الثَّابِتُ عَنِ السَّلَفِ مِثْلَ مَا نَقَلَهُ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَالَ: أَدْرَكَتِ النَّاسَ مِنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً يَقُولُونَ: اللَّهُ الْخَالِقُ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ إِلَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّهُ

«بذاته» فإن «بذاته» لم تَرِدْ في القرآن ولا في السنة، لكن اضطرُّوا إلى ذلك لقول أهل الباطل: إنه لم يَسْتَوِ بذاته على العرش، ولكنه اسْتَوَى استيلاءً. وكذلك النزول إلى السماء الدنيا، حيث عَبَّرَ بعضهم فقال «بذاته» فإنهم اضطرُّوا إلى ذلك من أجل دفع قول من يَقُولُ: إن الذي يَنْزِلُ إلى السماء الدنيا أمره، أما هو فلا يَنْزِلُ. هكذا يَقُولُونَ: تَنْزِلُ رحمته. وهذا خطأ.

فمثل هذه العبارات قد يُعَبَّرُ بها السلف للاضطرار، وإذا كانت للاضطرار، فإنه لا يَنْبَغِي أن تُقَالَ في حال الاختيار؛ يعني: إذا كنت تُحَدِّثُ عامَّةَ الناس، ولم يَطْرَأْ على بالهم، وليسوا في مكانٍ أو في زمانٍ قد شاع فيه أن المراد يَنْزِلُ أمره، فلا يَحْسُنُ أن تقول: يَنْزِلُ بذاته، لأنك لست أبلغ من الرسول ﷺ، ولا أنصح من الرسول ﷺ، وليس عليك لومٌ فيما لو حذف «بذاته». وما دام لم يَرِدْ في أذهان من عندك: أنه تَنْزِلُ رحمته، أو ملكٌ من ملائكته، فلا حاجة إلى هذه العبارة؛ لأن ما جاز حال الاضطرار، لا يَلَزُمُ جوازُه في حال الاختيار.

إذن تقول: إن قول السلف: «غير مخلوق». ^(١) جاءوا به اضطراراً لدفع قول الجهمية، ولا يَكْفِي أن يقول: منزلٌ من عند الله. وكلُّ يَعْرِفُ بعقله وفطرته السليمة أنه إذا كان القرآن كلاماً وقولاً، وهو نازلٌ من الله فلا بد أن يكون من صفاته؛ إذ هو شيءٌ ليس عيناً قائمةً بذاتها. وقوله: الكتاب. ذكرنا فيما سبق أنه سُمِّيَ بذلك؛ لأنه مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، وفي الصحف التي في أيدي الملائكة وفي أيدي الناس.

وقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُنْشِئُونَ﴾ [النحل: ٨١]. هذا لملائكته. والدليل قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾ ① ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ حُفُوظِينَ﴾ ② ﴿كَرَامًا كُنِينٍ﴾ ③ ﴿يَعْمَلُونَ مَا تَقَعَلُونَ﴾ [الأنعام: ٩-١٢]. وقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ٥٤] يعني: أوجب، مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]. يعني: أوجب عليكم.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٢٤- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي

كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود. وانظر: سؤال عمن يقول إن صفات الرب نسب وإضافات وغير ذلك، لشيخ الإسلام (١/١٦٢)، و«العقيدة الأصفهانية» (١/٥٨).
(١) اتقدم تخريجه.

هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ نَوْبَانِ مُشَقَّانِ مِنْ كَثَانٍ فَنَمَحَطَ فَقَالَ: بَخَ بَخَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَحَطُ فِي الْكَثَانِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُ فِيمَا بَيْنَ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًا عَلَى، فَيَجِيءُ الْبَجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلَّا الْجُوعُ.

وهذا الحديث فيه بيان حكمة الله ﷻ، أن يكون العباد مختلفين في الأرزاق، والأشكال، والأخلاق، والفهوم، والعقول، وفي كل شيء، حتى يرى الإنسان قدر نعمة الله عليه إن كان من الطبقة العليا، ويضرب على ما دون ذلك إن كان من الطبقة السفلى.

وفيه ردٌّ على القائلين بالاشتراكية الذين يقولون في الرسول ﷺ: والاشتراكيون أنت إمامهم. وهم كذبة فيما يقولون، فإن الله ﷻ جعل الإنسان حراً في ماله، لكن أوجب عليه واجبات، ولو كانت الاشتراكية من الشرع، ما كان أبو هريرة يبلغ هذا المبلغ من الجوع، وعبد الرحمن بن عوف وأمثاله عندهم من الغنى ما يباين هذه الحال بينونة عظيمة، وفي جيش العسرة جهز عثمان بن عفان ١٠٠٠٠ مائة بعير، بجميع ما تحتاج إليه من معدات^(١). فهاثة بعير من رجل واحد في جيش يسمى جيش العسرة، يدل على غنى كبير.

وفي هذا: دليل على التحدث بنعمة الله، وأن يذكر الإنسان نفسه بنعمة الله عليه، حيث كان في الأول لا يملك شيئاً، ثم أنعم الله عليه بالمال، وإذا كان هذا بنعمة المال، فبنعمة العلم أولى أن يقول: الحمد لله الذي هدانا، فقد كنت لا أعرف من العلم شيئاً، ثم هداني الله حتى وصلت إلى ما أنا فيه من العلم.

والحقيقة أن من فوائد تحديث الناس بالنعمة أن يعرف الإنسان قدر النعمة؛ لأن الذي لا يذكر نفسه، بما مضى لا يعرف قدر النعمة.

وأضرب لك مثلاً بشيء محسوس: عندك ابنٌ له أربع سنوات، غبت عنه ست سنين، إذا جئت تبين لك الفرق العظيم بين حاله وهو ابن عشر، وحاله وهو ابن أربع، أو ست. كذلك الإنسان إذا لم يذكر نفسه بما مضى، فإن العلم مثلاً أو المال ينتهي شيئاً فشيئاً فلا يعرف الإنسان قدره حتى يتذكر ما بين الحالين.

والشاهد من هذا الحديث قوله: «فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة».

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٢٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَشْهَدْتَ الْعِيدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: نَعَمْ وَلَوْ لَا مَنَزِلَتِي مِنْهُ مَا شَهِدْتُهُ مِنَ الصَّغَرِ، فَأَتَى الْعَلَمَ الَّذِي عِنْدَ دَارِ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَذَانًا وَلَا إِقَامَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَ النِّسَاءُ يُشِيرْنَ إِلَى آذَانِهِنَّ وَحُلُوقِهِنَّ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَتَاهُنَّ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ^(١).
الشاهد من هذا قوله: «فأتى العلم الذي عند دار كثير بن الصلت فصلَّى». فهذه مواضع صلاته.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة:

منها: احترام الصحابة لقراءة النبي ﷺ؛ ولهذا قال: «ولو لا منزلتي منه ما شَهِدْتُهُ مِنَ الصَّغَرِ» واحترام آل النبي ﷺ واجب لحق الرسول ﷺ، ولحق القرابة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [النساء: ٢٣]. يعني: إلا أن تؤدُّوا قرابتي، هذا على قول في معنى الآية.

وقيل: إلا المودة بسبب قُرْبِي منكم؛ يعني: فأريد أن تؤدُّوني لا لأني جئتكم بالرسالة، ولكن لأني قُربى منكم، والقريب غايته أن يؤدَّ قريبه، والآية تحتل المعنيين، فتحمل عليهما؛ لأنه لا منافاة بينهما.

وفيه: دليل على حرص عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على العلم والقرب من المعلم، وهذا أمر مشهود له حتى إنه كان يأتي إلى دار الرجل في القيلولة في نصف النهار، فيضع رداءه ويتوسَّده، ويبقى إلى أن يقوم الرجل، فيحدثه، فيقول له: هلا كنت استأذنت فيقول: أنا صاحب الحاجة، فلا يليق بي أن أوقظك لتفضي حاجتي، وهذا من أدبه جليلة^(٢).

وفيه أيضًا: دليل على أن الرسول ﷺ يُصَلَّى العيد في غير المسجد النبوي، وأن هذا هو السنة، وعمل أهل المدينة اليوم على خلاف السنة، فالسنة أن يجعل للمدينة مصلًى عيد، يخرج الناس إليه، ويصلُّون فيه، كما كان النبي ﷺ يفعلُه.

فإن قيل: إذا صلُّوا في المكان الذي كان الرسول ﷺ يُصَلَّى فيه، كانوا في جوف المدينة. فيقال: هذا المكان الذي صلى فيه الرسول ﷺ ليس مقصودًا بعينه، ولكنه مقصود بوصفه، وهو أنه خارج البلد، فيطلب للمدينة مصلًى خارج المدينة يصلُّون فيه.

وفيه: دليل على أن المفضول قد يكون أفضل من الفاضل بسبب يقتضيه، فالصلاة في

(١) رواه مسلم ٦٠٣/٢ (٨٨٥) (٣) بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

مسجد الرسول ﷺ خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه من المساجدِ إلا مسجدَ الكعبةِ، فالصلاة فيه خير من ألف صلاةٍ في مُصَلَّى العيد لكن لما كان الخروجُ إلى مُصَلَّى العيد وتركُ المسجدِ النبويِّ في صلاةِ العيد يترتبُ عليه مصلحةٌ أكثرُ، صار أفضلَ، فلا يُقالُ: إن أهلَ المدينة تركوا الخروجَ إلى الصحراءِ من أجل فضلِ المكانِ، لأننا نقولُ: فضلُ هذا المكانِ ثبت في عهدِ الرسولِ ومع ذلك لم يُراعه النبي ﷺ، بل كان يخرجُ إلى الصحراءِ.

وفيه دليلٌ على أن خطبةَ العيد بعدها الصلاةُ، بخلافِ خطبةِ الجمعة، فإنها قبلُها، واختلفَ العلماءُ في الحكمةِ من تقديم خطبةِ الجمعة على العيد.

ف قيل: إن الخطبتين في الجمعة شرطٌ لصحة الصلاة، والشرطُ يتقدّمُ المشروطَ، بخلافِ الخطبتين في العيد فإنها سنةٌ، فلو أن الناسَ تركوها فلا إثمَ عليهم.

وقيل: من أجل أن يجتمعَ الناسُ في الجمعة شيئاً فشيئاً، بخلافِ العيد، فإنه ليس لها أذانٌ ولا إقامةٌ، فيُأدّرُ بالصلاة إليها. وقيل غيرُ ذلك. والشاهدُ أن الخطبةَ في العيد تكونُ بعدَ الصلاة.

وفيه دليلٌ على أنها خطبةٌ واحدةٌ؛ وذلك لأن «خطب» فعلٌ مطلقٌ، والمطلقُ لا يقتضي التكرارَ إلا بدليلٍ، ولا دليلٌ على هذا إلا حديثُ رواه ابنُ ماجه في سننه ضعفٌ: أن الرسول ﷺ خطبَ خطبتين جلسَ بينهما^(١).

وفيه أيضاً: أنه لا يُشرعُ للعيد أذانٌ، ولا إقامةٌ، ولا الصلاةُ جامعةً، خلافاً لقولِ بعضِ العلماءِ^(٢): إنه يُشرعُ أن يُنادى لصلاةِ العيد: «الصلاةُ جامعةٌ» وهذا ليس بصحيحٍ. لكن لو حصلَ حالٌ تقتضي أن يُصَلِّيَ الناسُ داخلَ البلدِ، فهل يُشرعُ للمؤذن أن يقولَ: «الصلاةُ في البلدِ»؟

الجوابُ: نعم، يُشرعُ؛ لإعلامِ الناسِ، ولهذا كان النبي ﷺ إذا حصلَ وحلٌ أو مطرٌ أو نحو ذلك، قال: «صلوا في رحالكم»^(٣). بدلٌ «حيَّ على الصلاة».

وفيه دليلٌ على حثِّ الناسِ على الصدقةِ، أو أمرهم بها في صلاةِ العيد، لاجتماعِ الناسِ؛ ولأنه يومٌ يُنبغي أن يكونَ عيداً للأغنياءِ والفقراءِ، فإذا تُصدّقَ على الفقراءِ في هذا اليومِ انتفعوا كثيراً.

(١) رواه ابنُ ماجه (١٢٨٩)، وقال الشيخ الألباني في تعليقه على «السنن»: منكرٌ سنداً ومتناً.

(٢) انظر: «الأم» (٨٢/١)، و«المجموع» (٨٣/٣)، و«منهاج الطالبين» (٩/١)، و«الإنصاف» (٤٢٨/١)، و«كشف القناع» (٤٢٨/١)، و«الروض المربع» (٣١٩/١).

(٣) رواه البخاري (٦٦٦)، ومسلم (٤٨٤/١) (٦٩٧) (٢٢).

ومن فوائد هذا الحديث وهو مختصرٌ في هذا: فضيلةُ نساءِ الصحابةِ رضي الله عنهم؛ لأن النبي ﷺ لما أمر بالصدقة، تصدَّق من حُلِيِّهَن حتى جعلن يُشِرْنَ إلى آذانِهَن وحُلوقِهَن، فالأذانُ فيها الأخرَصُ، والحلوقُ فيها القلائدُ، وفي حديثٍ آخرَ بلفظٍ آخرَ «خواتِمِهَن» ^(١).

ففيه: دليلٌ على جواز الذهبِ المحلَّق، وأن الأحاديثَ الواردةَ في التحذيرِ منه والوعيدِ عليه إن صحَّت، فإنما كانت ثم نُسخَت، وقد حقَّق الشيخُ إسماعيلُ الأنصاريُّ رحمته الله في كتاب له، وناقش فيه الشيخُ الألبانيُّ - دَعَّاه: أن الذهبَ المحلَّق حرامٌ - مُناقشةً جيدةً حديثيةً وفقهيةً، وبيَّن أن هذا الحكمَ منسوخٌ ^(٢).

ولهذا حكى بعضُ العلماءِ الإجماعَ على جوازِ لبسِ الذهبِ للنساءِ مطلقاً محلَّقاً ومقطَّعاً، وعلى أيِّ حالٍ، هذا القولُ هو الراجحُ ^(٣) وعليه يَدُلُّ مثلُ حديثِ ابنِ عباسٍ هذا: من أنه يَجُوزُ للمرأةِ لبسُ الذهبِ مطلقاً محلَّقاً وغيرَ محلَّق، إلا أن بعضَ الفقهاءِ اسْتَشْنَى، أو قيَّدَ المسألةَ بما جرت به العادةُ، فقيدها وصفاً لا نوعاً ^(٤)؛ لأن ما خرج عن العادةِ يُعْتَبَرُ إسرافاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأنعام: ٣١]. وهذا القيدُ واضحٌ أنه مرادٌ، وهو من الفهم الدقيق الذي يَغِيبُ عن كثيرٍ من طلبةِ العلمِ؛ لأن العلماءَ يَفْهَمُونَ الأحاديثَ على إطلاقِها، وعلى ظاهرِها، ثم على القواعدِ العامةِ.

مثالُ ذلك: قولُ النبي ﷺ: «أَحْلِلْ الذَّهَبَ وَالْحَرِيرَ لِلنِّسَاءِ لِأَنَّهُنَّ أُمَّتِي» ^(٥). فللقائل أن يَقُولَ: فكلُّ

(١) رواه مسلم (٦٠٣/٢) (٨٨٥) (٤).

(٢) انظر: «رسالة إباحة التحلي بالذهب المحلق للنساء» والرد على الألباني في تحريمه للعلامة إسماعيل بن محمد الأنصاري رحمته الله.

(٣) قال البيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٢/٤): فهذه الأخبار وما في معناها تدل على إباحة التحلي بالذهب للنساء، واستدلنا بحصول الإجماع على إباحته لهن، وعلى نسخ الأخبار الدالة على تحريمه فيهن خاصة. اهـ وقال النووي في «المجموع» (٤٠/٦): وأجمع المسلمون على أنه يجوز للنساء لبس أنواع الحلبي من الفضة والذهب جميعاً كالطوق، والعقد، والخاتم، والسوار، والخلخال، والتعاويذ، والدمالج، والقلائد، والمخاتق، وكل ما يتخذ في العنق وغيره، وكل ما يعتدن لبسه، ولا خلاف في شيء من هذا وانظر: «تفسير القرطبي» (٧١/١٦)، و«الأحكام للجصاص» (٤٧٧/٤)، و«فتح الباري» (٣١٧/١٠)، و«الزواجر» للهيتمي (ص ١٢٥)، و«حاشية السندي على سنن النسائي» (١٥٧/٨).

(٤) قال ابن مفلح في «الفروع» (٣٥٣/٣): ويباح للمرأة من الذهب والفضة ما جرت به العادة كالطوق، والخلخال، والسوار، والدملاج، والقرط، والخاتم. اهـ وانظر: «المبدع» (٣٧٥/٢).

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٩٤/٤) (١٩٥١٥)، والترمذي (١٧٢٠)، والنسائي (٥٢٦٥)، وابن ماجه

الذهبِ يَجُوزُ للمرأة، ولو أن تَجْعَلَ نَفْسَهَا فِي قَارورةٍ مِنْ ذَهَبٍ؛ لَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «أَحِلَّ الذَّهَبُ لِإِنَاثِ أُمَّتِي». وَهَذَا الْقَوْلُ لَا شَكَّ أَنَّهُ غَيْرُ صَوَابٍ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ نَصُوصًا عَامَّةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْرَافَ وَالتَّبَذِيرَ حَرَامٌ.

فَلَوْ قَالَ قَائِلٌ: هَلْ يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَلْبَسَ سُورًا عَلَى شَكْلِ حَيَّةٍ؟
فَالْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ: هَذَا حَرَامٌ مِنْ أَجْلِ الصُّورَةِ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ أَحَادِيثَ تُقَيِّدُ هَذَا^(١).

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ نِسَاءِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وَسُرْعَتِهِنَّ إِلَى الْإِمْتِثَالِ، وَلَا تَرَدُّدُ الْمَرْأَةِ مِنْهُنَّ، وَتَقُولُ: لَعَلَّ وَلَعَلَّ. وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ أَيُّ الرِّجَالِ مِنْهُمْ سُرْعَةُ الْإِمْتِثَالِ لِأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهَذَا أَمْرٌ مُشَاهِدٌ، وَأَنَا أَنْصَحُ نَفْسِي، وَإِيَّاكُمْ إِذَا بَلَّغْنَا شَيْءً عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلَّا نَتَرَدَّدَ فِي تَفْصِيهِهِ إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا مَرَادُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

أَمَّا إِذَا شَكَكْنَا فِي الْحُكْمِ هَلْ هُوَ ثَابِتٌ أَوْ لَا؟ فَهَذَا لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يَفْعَلَهُ، لَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَرَدَّدُ إِذَا جَاءَ الْأَمْرُ، وَيَقُولُ: هَلْ الْأَمْرُ لِلْجُوبِ، أَمْ لِلْإِسْتِحْبَابِ؟ فَسُبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ أَنْتَ مُلْزَمٌ أَلَّا تُمَثِّلَ الْأَمْرَ إِلَّا إِذَا كَانَ لِلْجُوبِ؟! وَلَكِنَّ الْبَحْثَ عَنِ الْأَمْرِ هَلْ لِلْجُوبِ أَوْ لِلْإِسْتِحْبَابِ يَكُونُ فِيمَا إِذَا فَرُطَتْ وَلَمْ تَفْعَلْ، فَحِينَئِذٍ رُبَّمَا نَقُولُ: لَكَ الْعِذْرُ فِي أَنْ تَقُولَ هَلْ هُوَ لِلْجُوبِ، أَوْ لِلْإِسْتِحْبَابِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُحَدِّثَ تَوْبَةً إِذَا رَأَيْتَ أَنَّهُ لِلْجُوبِ، أَوْ تُحَدِّثَ اسْتِقَامَةً أَكْثَرَ إِذَا رَأَيْتَ أَنَّهُ لِلْإِسْتِحْبَابِ، فَكَلِمًا مَرَّةً عَلَيْكَ أَمْرٌ قُلْ: سَمِعًا وَطَاعَةً. إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ الْمَرَادُ، أَمَّا أَنْ تَبْحَثَ هَلْ هُوَ وَاجِبٌ أَوْ مُسْتَحَبٌّ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ مَرْتَدِّدٌ.

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ سَيِّدًا قَالَ لِعَبْدِهِ: افْعَلْ كَذَا. هَلْ مِنَ الْأَدَبِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ لِلسَّيِّدِ أَنْتَ تَأْمُرُنِي عَلَى وَجْهِ الْإِلْزَامِ أَمْ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِحْبَابِ؟!

كَذَلِكَ فِي مَسْأَلَةِ النَّهْيِ؛ فَإِذَا بَلَّغَكَ نَهْيٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا تَقُلْ: هَلْ هُوَ لِلتَّحْرِيمِ، أَوْ لِلْكَرَاهَةِ بَلْ أَنْتَ. ثُمَّ إِذَا فَرُطَتْ وَفَعَلْتَ فَحِينَئِذٍ تَبْحَثُ هَلْ هُوَ لِلتَّحْرِيمِ أَوْ لِلْكَرَاهَةِ؛ لِتُحَدِّثَ

=

(٣٥٩٥)، وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى السَّنَنِ.

(١) يُشِيرُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٥١)، وَمُسْلِمٌ (٢١٠٧) (٩٦)، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَى نُمُرْقَةَ فِيهَا صُورَةَ فَوْقَ وَلَمْ يَدْخُلْ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَرَفْتُ الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ: أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِمَّا صَنَعْتُ. فَقَالَ: «إِنْ أَهْلَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَعْبُدُونَ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيَا مَا خَلَقْتُمْ». وَقَالَ أَيْضًا: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٤٩)، وَمُسْلِمٌ (٢١٠٦) (٨٣): «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ». إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَرْوِيَةِ فِي مَعْنَى هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ.

توبة إذا كان للتحريم.

هذه حقيقة المؤمن؛ ولهذا نجد الصحابة - إذا تأملنا أحوالهم - ليسوا يقولون: هل هذا الأمر للاستحباب أو للوجوب أبدًا، بل يَمْتَلِونَ فورًا، فلما أُمِرَ بالصدقة، هل النساء قلن: يا رسول الله أتأمرنا على وجه الوجوب أو الاستحباب؟! لكن إذا كان الإنسان يُخَشَى الضرر على نفسه لو نفذ، وكان الأمر فيه احتمالًا، كما قلْتُ أولاً، فيُمكنُ للإنسان أن يتردد كما قالت بريرة للرسول ﷺ، لما أشار عليها أن ترجع إلى مغيث: يا رسول الله إن كنت تأمرني فسمعًا وطاعة، وإن كنت تُشيرُ علىَّ فلا رغبة لي فيه^(١). فهذه ردَّت الأمر؛ لأن فيه احتمالاً أنه يُشيرُ إشارةً. والتزامها بما أشار به الرسول فيه مشقة عليها؛ لأنها تُبَغِضُ زوجها بغضاً شديداً، لذلك رأت لنفسها فُسحةً أن تسأله هل هو أمرٌ أو مشورة.

إنما نحن الآن لا يوجد مشورة بالنسبة للرسول ﷺ، فإذا جاءنا أمرٌ فإننا إن كان للاستحباب، فقد كسبنا خيراً، وإن كان للوجوب، فقد كسبنا أخيراً من ذلك، وسلمنا من الإثم، فنحن لن نعدم خيراً أبدًا، ثم بعد ذلك إذا جرى إهمالٌ، أو ما أشبه ذلك، أو ما يترتب على هذا الواجب فيما إذا ترك من شيءٍ فحينئذٍ، نبحث هل هو للوجوب أو لا، ونعمَّق في البحث، ولا حرج علينا في هذا.

❖ وقوله: «يُشِرْنَ إلى آذانهم، وحلوقهم». هل فيه دليل على أن الحجاب ليس بواجب؟
لقوله: «يُشِرْنَ إلى آذانهم وحلوقهم»؟

الجواب: أن هذا ليس فيه دليل؛ لأن الإنسان قد يُشيرُ إلى حلقه وإلى أذنه، وهو قد احتجب، وليس فيه دليل على أن الحجاب ليس بواجب، وإن كان يَحْتَمِلُ، لكن عند العلماء قاعدة وهي: إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال^(٢).

❖ قوله: «فأمر بلالاً فأتاهن ثم رجع إلى النبي ﷺ». هذا فيه دليل أيضاً على جواز التوكيل في قبض الصدقات؛ لقوله: «فأمر بلالاً». ويجوزُ التوكيلُ في حفظ الصدقات، ويجوزُ التوكيلُ أيضاً في دفع الزكوات، فكل ذلك جاء به السنة؛ فالتوكيلُ في قبض الصدقات كما في حديث بلال. وفي حفظ الصدقات كما في حديث أبي هريرة حين جعله النبي ﷺ حفيظاً على زكاة الفطر^(٣).

(١) رواه البخاري (٥٢٨٣).

(٢) انظر: «القواعد والفوائد الأصولية» (٢٣٥/١)، و«التقرير والتحريم» (١٨٨/١)، و«فتح القدير» (٣/٢٤٥).

(٣) تقدم تخريجه.

في دفع الزكواتِ أيضًا في حديثِ أبي هريرة؛ لأنه دفع إلى مَنْ ادَّعى أنه فقيرٌ وذو عائلةٍ، فأقرَّه النبي ﷺ على ذلك، ففيه دليلٌ على جوازِ التوكيلِ في قبضِ الصدقاتِ وحفظها ودفعها، ولكن لا يجوزُ لو لي الأمرُ أن يُوكَّلَ على ذلك إلا من جمَعَ بين أمرين: القوة، والأمانة. لأن القوة والأمانة شرطٌ في كلِّ شيءٍ، فكلُّ عقدٍ، وكلُّ عملٍ تتولاهُ لابدٌ من قوةٍ وأمانةٍ؛ لأنَّ ضدَّ القوة الضعفُ، فإذا كان الوكيلُ ضعيفًا ولو كان أمينًا، فإنه لا يصلحُ للوكالة، فقد يجيءُ إنسانٌ يأخذُ من الصدقاتِ في غفلته، أو يأخذُ من الصدقاتِ في غيرِ غفلته؛ لأنه ضعيفٌ مسكينٌ. والأمينُ ضدهُ الخائنُ، فلا يجوزُ أن يُوكَّلَ في شيءٍ من أمورِ المسلمين إذا كان خائنًا مهما كان عنده من القوة.

فإذا كان عندنا رجلان: أحدهما: قويٌّ غيرُ أمينٍ، والثاني: أمينٌ غيرُ قويٍّ، وليس عندنا غيرُ هذين الرجلين فَمَنْ نولي؟

الجوابُ: أنه يَخْتَلَفُ باختلافِ الأمرِ المولَّى عليه، فإذا كان العملُ المولَّى عليه يَمْتَنِعُ من القوة، أو يَحْتَاجُ من القوة أكثرَ من الأمانة أخذنا القويَّ، ووَكَّلنا أمينًا غيرَ قويٍّ على هذا الرجلِ يَسْبُرُ حاله، وفي هذه الحالِ يَجُوزُ أن نَجْعَلَ هذا الأمينَ من رجالِ المباحثِ، ولا حرجَ.

ورجالُ المباحثِ إذا كانوا يَبْحَثُونَ عن الشرِّ من أجل أن يُطْفِئُوهُ فهذا طيبٌ، ولكنَّ المشكلَ إذا كانوا يَبْحَثُونَ عن الخيرِ من أجل أن يُطْفِئُوهُ فهذا هو الشرُّ. فالمباحثُ لا نقولُ كلُّهم خيرٌ، أو كلُّهم شرٌّ، بل على حسبِ ما يَبْحَثُونَ عنه، فإن كانوا يَبْحَثُونَ عن الشرِّ لِيَمْنَعُوهُ فبَجَزَاهم اللهُ خيرًا، ولكن بشرطٍ ألا يَكُونَ هناك تجسُّسٌ، أو اعتداءٌ على الناسِ، وإن كانوا يَبْحَثُونَ عن الخيرِ؛ لِيَمْنَعُوهُ فهذا شرٌّ، ولا يجوزُ لأحدٍ أن يَكُونَ في هذه الوظيفة أبدًا؛ لأنَّ هذا تعاونٌ على الإثمِ والعدوانِ.

فلهذا نُسألُ دائمًا: هل يَجُوزُ أن أَكُونَ موظفًا في المباحثِ؟ نقولُ هذا شيءٌ يَرْجِعُ لك أنت، فإذا كُنْتَ تُريدُ أن تَمْنَعَ الشرَّ، ولا تظَلِمَ أحدًا، فهذا لا بأسَ به؛ فهناك من المباحثِ أهلٌ خيرٌ إذا وجدَ أحدًا عنده مخدراتٌ، أو عنده فسوقٌ، أو فجورٌ، أو ما أشبه ذلك، دلُّوا عليه، فهذا ليس فيه شيءٌ بشرطٍ ألا يَصِلَ الحالُ للتجسسِ المنهِي عنه.

فالحاصلُ أننا نقولُ: إذا اجتمع أمينٌ غيرُ قويٍّ، أو قويٌّ غيرُ أمينٍ تَقَدَّمَ حسبَ العملِ، فإذا كان العملُ يَحْتَاجُ إلى القوة أكثرَ من الأمانة، قَدَّمنا القويَّ، وإذا كان يَحْتَاجُ للأمانة أكثرَ من القوة قَدَّمنا الأمينَ، فربما يَكُونُ العملُ حفظَ الصدقاتِ في الصناديقِ، والمفاتيحِ مضبوطةً

فَتَقَدَّمَ الْأَمِينُ؛ لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ لِلْقُوَّةِ هُنَا.

لَكِنْ عَمَلٌ آخَرٌ يَخْتَاجُ إِلَى إِنْسَانٍ حَذِرٍ قَوِيٍّ، نَقَدَّمُ الْقَوِيَّ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهُ أَمِينًا، وَنَجْعَلُ وَاحِدًا حَوْلَهُ يَبْحَثُ عَنْهُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٣٢٦- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَأْتِي قُبَاءَ مَاشِيًا وَرَاكِبًا^(١).

فِي هَذَا: دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ إِيْتَانِ مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَهُوَ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ-، عَلَى وَجْهِهِ فِيهِ كُلْفَةٌ، لَكِنْ الْآنَ تَوَفَّرَ فِيهِ الْهَاءُ، وَتَوَفَّرَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ، -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ-، وَيُسَنُّ أَنْ يَأْتِيَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ أَنْ يَتَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، وَيَخْرُجَ مَاشِيًا أَوْ رَاكِبًا، وَهُوَ أَحَدُ الْمَزَارَاتِ الَّتِي تُرَآرُ فِي الْمَدِينَةِ:

الْأَوَّلُ: الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ.

وَالثَّانِي: زِيَارَةُ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِيهِ.

وَالثَّالِثُ: مَسْجِدُ قُبَاءٍ.

وَالرَّابِعُ: الْبَقِيعُ.

وَالْخَامِسُ: شَهْدَاءُ أَحَدٍ.

وَلَيْسَ فِي الْمَدِينَةِ مَزَارَاتُ سِوَى هَذِهِ الْخَمْسَةِ، فَأَمَّا مَسْجِدُ الْقِبْلَتَيْنِ، وَالْمَسَاجِدُ السَّبْعَةُ، وَمَسْجِدُ الْغَمَامَةِ، وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ فَكُلُّهُ لَا أَصْلَ لَهُ، وَلَكِنْ جَاءَ عَلَى سَبِيلِ الدَّعْوَى الْكَاذِبَةِ.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٣٢٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ إِذْ فَنِي مَعَ صَوَاحِبِي، وَلَا تَدْفِنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَيْتِ، فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُرَكَّبِي.

٧٣٢٨- وَعَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ أَرْسَلَ إِلَى عَائِشَةَ أَتَدْنِي لِي أَنْ أَدْفِنَ مَعَ صَاحِبِي فَقَالَتْ: إِي وَاللَّهِ. قَالَ: وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرْسَلَ إِلَيْهَا مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا أُؤَثِّرُهُمْ بِأَحَدٍ أَبَدًا.

هذا الحديث: فيه دليلٌ على ذكر قبر النبي ﷺ، وأنه دُفِنَ في حجرة عائشة رضي الله عنها، وكذلك دُفِنَ معه أبو بكر رضي الله عنه، آثَرَتْ به عائشة رضي الله عنها أباهما على نفسها، وكذلك لما طُعن عمر رضي الله عنه أُرْسِلَ إليها يَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مع صاحبيه، فَأَذِنَتْ له، وقال لهم رضي الله عنهم: إِذَا حَمَلْتُمُونِي إِلَى مَكَانِ الْحَجَرَةِ، فَاسْتَأْذِنُوا مَرَّةً ثَانِيَةً؛ لِأَنِّي أَخْشَى أَنَّهُ أَذِنَتْ فِي حَيَاتِي؛ يَعْنِي: حَيَاءً وَإِلَّا خَجَلًا مِنِّي، فَإِذَا أَذِنَتْ فَادْفِنُونِي، وَإِلَّا فَرُدُّونِي إِلَى الْبَقِيعِ. ^(١) اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ.

❖ قَوْلُهَا: «لَا وَاللَّهِ لَا أَوْثَرُهُمْ بِأَحَدٍ أَبَدًا». الْمَعْنَى أَنَّهُ تَمَنَعُ أَحَدًا إِذَا اسْتَأْذَنَ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِيهَا.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٢٩- حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي أَوْسٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، قَالَ ابْنُ شَهَابٍ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْعَصْرَ فَيَأْتِي الْعَوَالِيَّ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ. وَزَادَ اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ، وَبَعْدَ الْعَوَالِيَّ أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ أَوْ ثَلَاثَةً ^(١).

الشاهد قوله: «فَيَأْتِي الْعَوَالِيَّ». يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ.

٧٣٣٠- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ الْجُعَيْدِ، سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ، يَقُولُ: كَانَ الصَّاعُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مَدًّا وَثُلُثًا بِمَدِّكُمْ الْيَوْمَ، وَقَدْ زِيدَ فِيهِ. سَمِعَ الْقَاسِمُ بْنُ مَالِكٍ الْجُعَيْدَ.

٧٣٣١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مَكِيلِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدِّهِمْ» يَعْنِي: أَهْلَ الْمَدِينَةِ ^(١).

❖ قَوْلُهُ: «بَارِكْ لَهُمْ...» الْمُرَادُ: بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا يُكَالُ مِنَ الثَّمَارِ، لَا فِي نَفْسِ الْمَكِيلِ، أَوْ نَفْسِ الْمُدِّ.

(١) رواه البخاري (٣٧٠٠) في قصة مقتل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٤٣٣/١) (٦٢١) (١٩٢) بغير: زيادة الليث عن يونس «وبعد العوالي أربعة أميال أو ثلاثة». وهذه الزيادة وصلها البيهقي في «السنن الكبير» (٤٤٠/١) من طريق أبي عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا أحمد بن زهير الحمراوي، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث، حدثني الليث بن سعد به... وانظر: تغليق التعليق (٣٢٤/٥).

(٢) رواه مسلم (٩٩٤/٢) (١٣٦٨) (٤٦٥).

وفي هذا: دليلٌ على أن المكيالَ تتغير، يُزَادُ فيها، وَيُنْقُصُ؛ ولهذا عدل العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَنْ تقديرِ الصاعِ بالحجمِ إلى تقديرِهِ بالوزن، فتجدُهم إذا تكلموا على الصاعِ في بابِ الغسلِ، أو في بابِ الفطرةِ يتكلمون عن تقديرِهِ وزنًا^(١).

فإذا قال قائلٌ: هل الدعاءُ بالبركةِ الواردُ في الحديثِ عامٌّ لكلِّ ما في المدينةِ أم خاصٌّ؟
الجوابُ: ظاهرُ الحديثِ أنه فيما يُكَالُ فقط، لكن لا يَمْنَعُ أن الله يُبارِكُ في الجميعِ، لكن ما يَشْمَلُهُ الدعاءُ هو الذي يُكَالُ فقط.

ثم قال البخاريُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ:

٧٣٣٢- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ الْيَهُودَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ زَنِيَا، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَجِمَا قَرِيبًا مِنْ حَيْثُ تَوَضَّعَ الْجَنَائِزُ عِنْدَ الْمَسْجِدِ^(٢).

الظاهرُ في هذا الحديثِ أنهما كانا مُحَصَّنَيْنِ، وكان الرجمُ واجبًا في شريعةِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكن لما كثر الزَّنا في أشرافهم، ساءهم أن يُرْجَمَ الأشرافُ، فأبدلوا هذه العقوبةَ بعقوبةٍ أُخْرَى؛ وهي أن تُحَمَّمَ وجوهُهما؛ يعني: تُسَوَّدَ، وأن يَرْكَبَا على عيرٍ؛ أي: على حمارٍ، وَيَكُونُ وجهُ الرجلِ إلى دُبُرِ الحمارِ، وَيَكُونُ وجهُ الأنثى إلى وجهِ الحمارِ أو العكسِ، وَيُطَافُ بهما في الأسواقِ. إظهارًا لما حصلَ منهما مِنَ الفاحشةِ، وكانوا يُتَقَدَّونَ ذلك مع قلقٍ^(٣).

فلما قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المدينةَ قالوا: اتُّوا هذا الرجلُ لعلَّه يَجِدُ لكم مخلصًا، وَيَسْهَلُ عليهم أن يُؤْمِنُوا بالرسولِ مِنْ وجهِهِ، وَيَكْفُرُوا بِهِ مِنْ وجهِهِ آخَرَ؛ يعني: لو قال لهم: الحدُّ كذا وكذا اتبعوه ولا يَهْمُهم، ولكنَّ الرسولَ ﷺ أحالهم على التوراةِ، فقالوا: لا نجدُ الرجمَ في التوراةِ، فدعا بها، فجاءوا بالتوراةِ فجعلوا يقرأونها على رسولِ الله ﷺ، فوضَعَ القارئُ يدهُ على آيةِ الرجمِ، وكان عبدُ الله بنُ سلامَ هُنَا حَاضِرًا، وهو عالمٌ مِنْ علماءِ اليهودِ يَعْرِفُ التوراةَ، فقال للرجلِ: ارفعْ يدَكَ؛ يعني: عن الآيةِ التي فيها الرجمُ، فرفعَ يدهُ، فإذا آيةُ الرجمِ تَلَوَّحَ فيها

(١) قال ابن مفلح رَحِمَهُمُ اللَّهُ في «الفروع» (٢/ ٣١٥): والوسق، الصاع كيلان لا صنجتان نقل إلى الوزن ليحفظ

وينقل. وانظر: «المبدع» (٢/ ٣٤٣)، و«الإنصاف» (١/ ٢٨٥)، و«كشف القناع» (١/ ١٥٥).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٣٢٦) (١٦٩٩) (٢٦) دون قوله: قريًا من حيث توضع الجنائز عند المسجد.

(٣) انظر: ما رواه البخاري (٦٨٤١)، ومسلم (٣/ ١٣٢٧) (١٧٠٠) (٢٨).

واضحاً، فأمر بها الرسول ﷺ فرجها. قال الراوي: فرأيت الرجل يخني ظهره على المرأة يقيها من الحجارة^(١). وهذا يدل على شدة تعلقه بها فرجها النبي ﷺ من حيث توضع الجنائز عند المسجد.

وفي هذا: دليل على أن مصلى الجنائز غير المسجد، بل هو إلى جوار المسجد، وهو كذلك، لكن هذا لا يمنع أن يصلى على الجنازة في المسجد، فقد ثبت أن النبي ﷺ صلى على ابني بيضاء في المسجد^(٢).

وقد يؤخذ من هذا الحديث أنه تنبغي إقامة الحدود قرب المساجد كما يصنع اليوم؛ لأن ذلك تحصل به إشاعة هذه الحدود.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٣٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَمْرِو مَوْلَى الْمُطَّلِبِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَعَ لَهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: «هَذَا جَبَلٌ يُجَبِّنَا وَنُجِبُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَإِنِّي أَحَرَّمُ مَا بَيْنَ لَا بَتَيْهَا». تَابَعَهُ سَهْلٌ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَحَدٍ^(٣).

قوله: «أحد». هو الجبل المحيط بالمدينة من ناحية الشمال، وهو أكبر جبال المدينة، وقد حصل عنده الواقعة المشهورة؛ ولهذا كان النبي ﷺ يحب هذا الجبل، لما حصل حوله من هذه المعركة التي فيها من المصالح العظيمة، مذكروا الله ﷻ في آيات آل عمران، واستطرد لها الحافظ ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد، وذكر من الفوائد ما يحسن لطالب العلم أن يراجعها^(٤).

ولو كانت المسألة في غير النبي ﷺ، لكان الرجل المهزوم عنده يتشاءم به، ويغضه، ويكرهه، لكن النبي ﷺ قال: «إِنَّهُ يُجَبِّنَا وَنُجِبُهُ».

وفي هذا: دليل على أن الجمادات لها شعور؛ لأن الأصل فيما يُضاف إلى الفاعل أنه حقيقة، فيكون الجبل يحب النبي ﷺ، والرسول ﷺ يحبه، وعلى هذا فلا يرد إشكال في قوله تعالى: ﴿

(١) راجع الحاشيتين السابقتين.

(٢) رواه مسلم (٦٦٨/٢) (٩٧٣) (٩٩).

(٣) رواه مسلم (٩٩٣/٢) (١٣٦٥) (٤٦٢) وأما متابعة سهل فقد تقدم الكلام عليها في الزكاة، باب خرص التمر،

(١٤٨١) وانظر: «الفتح» (٣/٣٤٣، ٣٤٤).

(٤) انظر: «زاد المعاد» (٣/١٩٢-٢٤٢).

فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴿[الكهف: ٧٧]﴾. حَيْثُ أَنْكَرَ بَعْضُ النَّاسِ الْإِرَادَةَ مِنَ الْجِدَارِ، وَقَالَ: إِنَّ إِرَادَةَ الْجِدَارِ أَنْ يَنْقَضَ كَنَاءٌ عَنْ مِيلِهِ لِلْسُقُوطِ، وَلَيْسَ عَنْ إِرَادَةِ حَقِيقَةٍ ^(١).

وَالصَّوَابُ: أَنَّ الْجِدَارَ لَهُ إِرَادَةٌ حَقِيقَةٌ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهَا عَلَامُ الْغُيُوبِ؛ الْخَالِقُ الَّذِي قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿[الملك: ١٤]﴾. وَهَذِهِ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، فَتُكَلِّمُ وَتَنْطِقُ: بِأَنَّهُ فَعَلَ عَلَيْهَا كَذَا وَكَذَا، أَوْ سَمِعَتْ كَذَا وَكَذَا، فَلَهَا سَمْعٌ، وَلَهَا بَصَرٌ، وَلَهَا نَطْقٌ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَقَّفَ فِي مَدْلُولِ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فِي أَمْرٍ يُحَارِ فِيهِ عَقْلُهُ، فَالْعَقُولُ لَا تُدْرِكُ هَذِهِ الْأُمُورَ، لَكِنَّ خَالِقَ الْعُقُولِ، وَخَالِقَ هَذِهِ الْجِمَادَاتِ هُوَ الَّذِي أَخْبَرَنَا بِأَنَّ لَهَا إِرَادَةً، وَالنَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا بِأَنَّ لَهَا مَحَبَّةً.

❦ قَوْلُهُ: «يُحِبُّنَا». هَلْ هَذَا الْوَصْفُ يَنْطَبِقُ عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ خَاصٌّ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَيَمْنُ كَانَ مَعَهُ؟

الْجَوَابُ: الظَّاهِرُ الثَّانِي. أَمَا نَحْنُ فَنُحِبُّ أَحَدًا، وَلَا نَكْرَهُهُ، وَلَا نَتَشَاءُ بِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نُعْظِمُهُ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْظِمَهُ الرَّسُولُ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَرَّمَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا؛ أَي: مَا بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ، وَلَكِنَّ هَذَا التَّحْرِيمَ كَمَا سَبَقَ، لَيْسَ كَتَحْرِيمِ مَكَّةَ، لَا فِي الْقَوَّةِ، وَلَا فِي الْإِتْفَاقِ عَلَيْهِ؛ فَلِإِنْ تَحْرِيمَ الْمَدِينَةِ فِيهِ خِلَافٌ، وَتَحْرِيمُ مَكَّةَ ثَابِتٌ بِالْإِجْمَاعِ ^(١).

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٣٤- حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَسَانَ، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ، أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ جِدَارِ الْمَسْجِدِ وَمَا يَلِي الْقِبْلَةَ وَبَيْنَ الْمِنْبَرِ مَرُّ الشَّاةِ ^(١).

هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ بَيَانٌ: أَنَّ الْمِنْبَرَ لَيْسَ لاصِقًا بِالْجِدَارِ، بَلْ مُتَقَدِّمًا عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا تَجِدُونَ الْعُلَمَاءَ يَتَكَلَّمُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ فِي الْمَسْجِدِ، هَلْ هُوَ الَّذِي يَلِي الْإِمَامَ، أَوْ مَا يَقْطَعُهُ الْمِنْبَرُ ^(٢)؟

(١) انظر: «الإحكام» للآمدي (١/ ٧٥)، و«المستصفى» (١/ ٨٤)، و«المحصول» (١/ ٤٦٢)، و«المعتمد» (١/ ٢٤). كذلك غالب من قال بوقوع المجاز في القرآن الكريم، تجده يتبنى هذا القول. والله أعلم.

(٢) انظر: «الاستدكار» لابن عبد البر (١٧٦٩١) (١٩١٩٨)، و«المجموع» للنووي (٧/ ٤٥١)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان (١/ ٢٩٧) (١٦٨٧).

(٣) رواه مسلم (١/ ٣٦٤) (٥٠٩) (٢٦٣).

(٤) قال صاحب «المغني» (٢/ ١٠٢): الصف الأول الذي يقطعه المنبر، أو الذي يليه. والصحيح أنه الذي يقطعه

دائمًا الإنسان يسأل ما معنى قولهم يَقْطَعُهُ المنبر؟ ولكن إذا عَرِفَ أن المنابرَ فيما سَبَقَ كانت تُوضَعُ دُونَ جِدَارِ القِبْلَةِ، عَرِفَ أن المنبرَ يَقْطَعُ الصَّفَّ الأوَّلَ، لأنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ اتِّصَالِهِ المنبرِ، فَيَتَضَحَّ المعنى في قول العلماء هل هو ما يلي الإمام، أو ما يَقْطَعُهُ المنبرُ.

وفي هذا: دليلٌ على بساطةِ الأولين، وسهولةِ أمرهم؛ لأنَّهُ لم يَقُلْ قدرَ شبرٍ، أو ذراعٍ، أو ذهبَ يذَرُّعُهُ بِمِرْفَقِهِ، بل قدره هذا التقدير، فقال: «ممرُّ الشاةِ». وممرُّ الشاةِ قد يَكُونُ كَبِيرًا، وقد يَكُونُ الشاةُ صَغِيرَةً، وقد تكونُ تمرُّ بسهولةٍ، وقد تكونُ تمرُّ بضيقٍ، ولكنَّ النَّاسَ فيما سَبَقَ ولا سِيَّما في عصر الصحابةِ تَجِدُ أن أمرهم كُلَّهُ سهلٌ وبسيطٌ، وأنهم يَعِدُونَ عن التعمقِ أشدَّ البعدِ.

وأما نحن فشدَّدنا فشدَّد الله علينا فصرنا الآن نَقْدُرُ حتى قدرَ الملمِّترِ، وعلى كلِّ حالٍ فهذه الدقَّةُ العظيمةُ قد لا نَحْتَاجُ إليها في كُلِّ شيءٍ، ففي بعضِ الأشياءِ ربَّما نَحْتَاجُ إليها، وأما في كُلِّ شيءٍ يَذْهَبُ الإنسانُ، وَيَتَعَمَّقُ هذا التعمقُ الشَّدِيدُ الذي يُتَعَبُ نفسه، وَيُتَعَبُ غَيْرَهُ فلا شك أن هذا خلاف ما كان يفعله الصحابةُ (رضي الله عنهم).

* * * *

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٣٥ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»^(١).

يُرَوَّى هذا الحديثُ: «ما بين قبري ومنبري». لكنَّ هذا ليس بصحيح^(٢)؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ حين تكلَّم بهذا، لم يكن له قبرٌ، لكن كان له بيتٌ، واللفظُ المذكورُ «ما بين قبري» ليس في الصحيحين، ولا في

=

المنبر، لأنَّهُ هو الأوَّلُ في الحقيقة، ولو كان الأوَّلُ ما دونهُ لأفضى إلى خلوه ما يلي الإمام، ولأنَّ أصحاب النبي ﷺ كان يليه فضلاؤهم ولو كان الصَّف الأوَّل وراء المنبر لوقفوا فيه اهـ. وانظر: «المبدع» (١/٤٢٧)، و«الإنصاف» (٢/٤١)، و«الفروع» (١/٣٥٨).

(١) رواه مسلم (١٠١١/٢) (١٣٩١) (٥٠٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٦٤/٣) (١١٦١٠)، وأبو يعلى (١٣٤١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٥٦)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/٧٣). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «القاعدة الجلية» ص ٧٤: قوله: «في بيتي» هذا هو الثابت الصحيح، ولكن بعضهم رواه بالمعني فقال: قبري وهو ﷺ حين قال هذا لم يكن قد قبر ﷺ؛ لهذا لم يحتج بهذا الحديث أحد من الصحابة حيث تنازعوا في موضع دفنه، ولو كان هذا عندهم لكان هذا نصًّا في محل النزاع. اهـ

أَحَدُهُمَا، وَالصَّوَابُ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ».

وَمَعْنَى: «الرَّوْضَةُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ» أَنَّهُ مَحَلُّ غَرْسٍ، وَزَرْعٍ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَيُقِيدُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُكْثِرَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؛ مِنْ صَلَاةٍ، أَوْ ذِكْرِ، أَوْ قِرَاءَةٍ. وَلَكِنْ الصَّلَاةُ فِي الرَّوْضَةِ الْآنَ قَدْ يَكُونُ فِيهَا مَشَقَّةٌ شَدِيدَةٌ؛ لِشِدَّةِ الزَّحَامِ، حَتَّى إِنَّهُ لَا يَكَادُ يَطْمَئِنُّ الْمَصْلِي فِي صَلَاتِهِ، فَهَلِ الْأَوَّلَى الصَّلَاةُ فِي الرَّوْضَةِ، أَوِ الْأَوَّلَى الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ؟ هَذَا يَنْبَغِي عَلَى قَاعِدَةٍ سَبَقَ ذِكْرُهَا، وَهِيَ أَنَّ مَرَاعَاةَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعِبَادَةِ أَوْلَى مِنْ مَرَاعَاةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالزَّمَانِ أَوِ الْمَكَانِ.

❦ قَوْلُهُ: بَلَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِ: «وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي». الظَّاهِرُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْبَرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُوَضَّعُ عَلَى حَوْضِهِ، حَتَّى يُشَاهِدَ أُمَّتَهُ وَهِيَ تَرُدُّ هَذَا الْحَوْضَ، وَتَشْرَبُ مِنْهُ، حَتَّى إِنَّهُ يُزَادُ أَنَاثُ وَرَدُّوا الْحَوْضَ، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي»^(١).

ثُمَّ هَلِ الْمَرَادُ الْمَنْبَرُ عَيْنًا، أَمْ الْمَنْبَرُ جَنْسًا؟ الْجَوَابُ أَنَّ يُقَالُ: إِنْ كَانَ الْمَرَادُ الْمَنْبَرُ عَيْنًا، فَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، حَتَّى لَوْ تَلَفَ الْمَنْبَرُ الَّذِي فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْشِئَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا يُنْشِئُ الْأَجْسَامَ إِذَا بَلَّيَتْ فِي الْأَرْضِ.

وَإِنْ كَانَ الْمَرَادُ الْمَنْبَرُ جَنْسًا، فَلَا إِشْكَالَ؛ أَيُّ: أَنَّهُ يُوَضَّعُ لَهُ مَنْبَرٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَكُونُ لَاتِّقَاً بِذَلِكَ الْيَوْمِ. ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رحمته الله:

٧٣٣٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا جَوْهَرِيٌّ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَ الْخَيْلِ، فَأَرْسَلَتِ النَّبِيَّ ضُمَرْتُ مِنْهَا وَأَمَدَّهَا إِلَى الْحَفِيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوُدَاعِ، وَالَّتِي لَمْ تُضْمَرْ أَمَدَّهَا ثَنِيَّةُ الْوُدَاعِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِي زُرَيْقٍ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ فِيمَنْ سَأَلَ^(٢).

الشَّاهِدُ هُنَا ذِكْرُ هَذِهِ الْأَمَكَةِ: «الْحَفِيَاءِ، ثَنِيَّةُ الْوُدَاعِ، مَسْجِدُ بَنِي زُرَيْقٍ». وَكُلُّ هَذَا الْآنَ بِالنِّسْبَةِ لِي غَيْرُ مَعْرُوفٍ، لَكِنْ رَبِّمَا لَوْ أَنَّ أَحَدًا تَبَعَ الْأَنَارَ فِي الْمَدِينَةِ، يُمَكِّنُ أَنْ يَعْرِفَ هَذِهِ الْأَمَاكِنَ، وَالْمَسَافَاتِ الَّتِي بَيْنَهَا.

لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْهَا مِنْ حَيْثُ الْحُكْمُ، الْمَسَابَقَةُ بَيْنَ الْخَيْلِ، وَأَنَّهُ مِنَ السَّنَةِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ الْمَسَابَقَةُ الْآنَ فِي الدَّرَاجَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ فِي السَّفَنِ الْعَسْكَرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ فِي الطَّائِرَاتِ

(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٧٠٤٨)، وَمُسْلِمٌ ١٧٩٤/٤ (٢٢٩٣).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٩١/٣) (١٨٧٠) (٩٥).

العسكرية، وكلُّ شيءٍ بحسبه.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٣٧- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، ح. وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عِيسَى، وَابْنُ إِدْرِيسَ، وَابْنُ أَبِي غَنِيَّةٍ، عَنْ أَبِي حَيَّانَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ ^(١).

٧٣٣٨- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ، سَمِعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ خَطَبَنَا عَلَى مِنْبَرِ النَّبِيِّ ﷺ.

٧٣٣٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ أَنَّ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ يُوضَعُ لِي وَلِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْمَرْكَنُ، فَتَشْرَعُ فِيهِ جَمِيعًا ^(٢).

قول المصنف: «ح»؛ يعني: تحويل السند؛ أي: أنه بِحَوْلِهِ تحوّل من السند الأول إلى السند الثاني، وهو يُشَبِّهُ ما يُعْرَفُ في الاصطلاح بالمتابعة؛ يعني: أن أهل السند الثاني تابَعُوا أهل السند الأول.

وفي نسخة في الحديث الثاني خطيباً على منبر النبي ﷺ.

❖ وقولها: «هذا المَرَكَنُ». أي: أن هذا من آثار الرسول ﷺ، والمَرَكَنُ الذي كانت عائشة تُشِيرُ إليه، كان موجوداً بعد موته ﷺ.

❖ وقولها: «يُوضَعُ لِي» الظاهر أن الذي يَضَعُهُ لها، أو لهما الخادم، مثل بريرة أو غيرها.

❖ وقولها: «تَشْرَعُ فِيهِ جَمِيعًا». أي: تَغْتَسِلُ فِيهِ جَمِيعًا، أو نَعْمَلُ فِيهِ جَمِيعًا، والمَرَكَنُ نوعٌ من الأواني.

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٤٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّادٍ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ الْأَخْوَلُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَالَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَقُرَيْشٍ فِي دَارِي التِّي بِالْمَدِينَةِ ^(٣).

٧٣٤١- وَقَنْتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ ^(٤).

الشاهد قوله: «في دَارِي التِّي بالمدينة» وهي من الآثار.

(١) رواه مسلم (٤/٢٣٢٢) (٣٠٣٢) (٣٢).

(٢) رواه مسلم (١/٢٥٦) (٣٢١) (٤٣) أن عائشة قالت: كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد ونحن جنبان.

(٣) رواه مسلم (٤/١٩٦٠) (٢٥٢٩) (٢٠٥).

(٤) رواه مسلم (١/٤٦٩) (٦٧٧) (٣٠٤) بلفظ: قنت شهراً يدعو على أحياء من أحياء العرب ثم تركه.

❖ وقوله: «قُنتَ شهرًا يَدْعُوا على أحياءٍ من بني سُلَيْمٍ».

وهذا فيه دليلٌ: على تقييدِ القنوتِ بالشهرِ، لكن هل معني ذلك أنه قَيَّدَ بالشهرِ لزوالِ العلةِ، وإتيانِ هؤلاءِ القومِ مُسلمينَ، أو لئلاَّ يَحْضُلَ المَلَلُ والكسَلُ؟
الجوابُ: على كُلِّ حالٍ أَذْكَرُكُمْ أنه قَيَّدَ لنا القنوتَ للْبوسنةِ والهرسكِ، وعلى أعدائِهِم من الصَّربِ والكرواتِ شهرًا - من خمسةَ عشرَ ذي القعدةِ، إلى خمسةَ عشرَ ذي الحجةِ - وانتهى الشهرُ. لكن لا يعنينا هذا أَنه يَنْتَهِي دُعاؤُنَا لَهُم؛ أي: للْبوسنةِ والهرسكِ، والدعاءُ على هؤلاءِ النَّصارى لعنةُ الله على النَّصارى جميعًا.

بَلْ ادْعُوا لَهُم في السجودِ، وبين الأذان والإقامةِ، وفي آخر الليل، وفي كُلِّ مناسبةٍ؛ لأنهم في حاجةٍ إلى دعائِكُم لَهُم، فَهُمْ على وشكِ أن يُبادوا جميعًا، وتُدَمَّرَ ديارُهُم من تَأْمِرِ النَّصارى عليهم من كُلِّ صوبٍ.

فهي مؤامرةٌ ظاهرةٌ واضحةٌ جدًّا ولا تُشْكَلُ على أيِّ واحدٍ أنها مؤامرةٌ، فنسألُ الله ﷻ أن يَدَمِّرَ كُلَّ عَدُوٍّ للمُسلمينَ، وأن يَجْعَلَ كَيْدَهُم في نُحُورِهِم، واللهُ المستعانُ.

أنا أوصيكم ونفسي بالدعاءِ لَهُم والإلحاحِ، فالدعاءُ أعظمُ سلاحٍ؛ لأنه بكلِّ بساطةٍ أَقولُ لكم: الذي يَحْمِلُ هؤلاءِ على غزوِ هؤلاءِ المُسلمينَ هو ما وَقَعَ في قُلُوبِهِم من الإرادةِ وما أَمَلُوهُ من الانتصارِ، والإرادةُ بيدُ الله ﷻ، والانتصارُ أو فرحُ القلبِ بما حَصَلَ من نصرٍ من الله، واللهُ تعالى قادِرٌ على أن يُلقِيَ في قُلُوبِهِم كراهةَ الحربِ، ويُلقِيَ في قُلُوبِهِم الرعبَ، حتى يَنْخَذِلُوا أُمَمَ المُسلمينَ، وَيَلْقُطُوهُم لِقَطَ الْجُعْلَانِ، فاللهُ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

ولا تَظُنَّ أن المسألةَ القُوَّةُ الهاديَّةُ فقط، بل هناك شيءٌ فوقَ القُوَّةِ الهاديَّةِ، فالقُوَّةُ الهاديَّةُ مسخَرَةٌ، والقُوَّةُ الهاديَّةُ تَخْضَعُ لإرادةِ المُحرِّكِ لها، فإذا لم يَكُنْ في المُحرِّكِ إرادةٌ، لا تتحرَّكُ، وإذا كان في قلبِهِ الرعبُ يَخَافُ حتى من ظِلِّهِ، ولن يَتحرَّكُ.

فلهذا لا تَيأسُوا من رَحْمَةِ الله، وأكثرُوا من الدعاءِ على أعداءِ المُسلمينَ عموماً، وعلى الكرواتِ والصَّربِ خصوصاً، وادْعُوا الله بالنصرِ لِكُلِّ من جَاهَدَ في سبيلِ الله، وبالأخصَّ البوسنةَ والهرسكِ؛ لأنهم في حاجةٍ لنا نَسألُ الله أن يُفَرِّجَ عنهم.

وفي قنوتِ النوازلِ، هل يَجُوزُ للإمام أن يَقولَ: اللهم اغفر لي ولوالدي. أم يدعُو فقط للمُسلمينَ، ويدْعُوا على أعداءِ المُسلمينَ؟

الجوابُ: أنه إذا قال: اللهم اغفر لي ولوالدي. وقال النَّاسُ: آمين. فهذا مشكَلٌ فقد حَرَمَهُم، وخصَّ

نفسه؛ ولهذا جاء في الحديث: ما من إمام يدعو ليخص نفسه بالدعاء إلا خان المأمومين^(١). ولا يخصص هذا بدعائه ﷺ لنفر مخصوصين؛ لأن هذا هو الأصل، ولكن نقول: لعله بالتبع، ويثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٤٢- حَدَّثَنِي أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا بَرِيدٌ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالَ لِي: انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ فَاسْقِكِ فِي قَدَحٍ شَرِبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُصَلِّيْ فِي مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ. فَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَاسْقَانِي سَوِيْقًا، وَأَطْعَمَنِي تَمْرًا، وَصَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِهِ.

في هذا الحديث أثران من آثار النبي ﷺ.

فالأثر الأول: القدح.

والأثر الثاني: المسجد.

وفي هذا: عرض الهدية على المهدي إليه، وهو لا يضُرُّ، ولا يُقال: إن هذا من البخل كما تقول العامة: مَنْ قال تَبَغَّى ما أعطى. فأحياناً يعرض الإنسان الهدية من باب التبيين والإيضاح، لا من باب المن؛ لأنه لو كان لا يُريدُ العطاء لسكت، وما الذي يُدريك أن عنده شيئاً يُريدُ أن يُهديه.

فهذا القدح الذي عند عبد الله بن سلام، ما الذي يُدري أبا بردة عنه، فلو لا أنه يُريدُ أن يمتنحه هذه الهدية، وهي أن يشرب من القدح الذي شرب منه النبي ﷺ - ما عرضه عليه.

وهل يؤخذ من هذا الحديث التبرك بآثار النبي ﷺ؟

الجواب: أنه ربما يؤخذ منه التبرك بآثاره، لكنه خاص به ﷺ، فيجوز أن تبرك بشيائه وبريقه، وتبرك أيضاً بآثاره التي شرب بها، أو لبسها، ويحتمل أن يكون من شدة محبة الإنسان للرسول ﷺ، يحبُّ أن يشرب بالإناء الذي شرب منه. كما كان ﷺ يتبع الإناء الذي شرب منه عائشة رضي الله عنها، ويشرب من محل فمها، وكذلك يأخذ العظم الذي تعرَّفته، فيتعرَّفه ﷺ^(٢).

فهذه الأشياء قد يُرادُّ بها التبرك، وقد يُرادُّ بها بيان كمال المحبة.

(١) رواه الترمذي (٣٥٧)، وابن ماجه (٩٢٣)، وضعفه الشيخ الألباني كما في تعليقه على «السنن».

(٢) رواه مسلم ١/ ٢٤٥ (٣٠٠) (١٤).

قال ابن حجر رحمته الله في «الفتح» (٣١١/١٣):

❦ قوله: «فانطلقْتُ معه، فأسقاني سويقاً، وأطعمني تمرًا» قد مضى في مناقبِ عبدِ الله بن سلام، من طريقِ سعيد بن أبي بُردة عن أبيه بلفظ: «أَلَا تَجِيءُ فَأُطْعِمُكَ سَوْيِقًا وَتَمْرًا» فكانه استعملَ الإطعامَ بالمعنى الأعم، وليس هذا من قبيل: علفتها تبنًا وماءً.

لأنه إما من الاكتفاء، وإما من التضمين ولا يحتاجُ لذلك هنا؛ لأن الطعامَ يُستعملُ في الأكل والشرب، وقد بينَّ في الرواية الأخرى أنه أسقاه السويقَ. اهـ
لو قال: أطعمني سويقًا ما فيه إشكال، ولكنه قال: فأسقيكَ في قدح شرب منه رسولُ الله ﷺ، فانطلقْتُ معه فسقاني سويقاً، فالذي أشكل كيف يُقال: إنَّ السويقَ يُسقى، إلا أن المراد أن السقيا هنا بمعنى الإطعام، وليس هذا بمستنكر، لأن الله قال: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة: ٢٤٩]. أو نقول: إن السويقَ يُستعملُ على وجهين: على وجهٍ رقيق، وعلى وجهٍ غليظ. فالغليظُ يُطعمُ والرقيقُ يُسقى.
إنما الشاهدُ من هذا هو: أن هنا أثرين من آثارِ رسولِ الله ﷺ: وهما هذا القدحُ، والمسجدُ. والله أعلم.

قال ابن حجر رحمته الله في «الفتح» (١٠٠/٤):

فأما الحديثُ الأولُ في المنبرِ فقوله: «ما بين بيتي ومنبري» كذا للأكثر، ووقع في رواية ابنِ عساکرٍ وحده قبري بدلَ «بيتي» وهو خطأ، فقد تقدَّم هذا الحديثُ في كتابِ الصلاةِ قُبيلَ الجنائزِ بهذا الإسنادِ بلفظ: «بيتي» وكذلك هو في مسندِ مسددٍ شيخِ البخاريِّ فيه، نعم، وقع في حديثِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ عندَ البزارِ بسندٍ رجاله ثقاتٌ، وعندَ الطبراني من حديثِ ابنِ عمرَ بلفظِ القبر، فعلى هذا المرادُ بالبيتِ في قوله: «بيتي» أحدُ بيوتِهِ لا كُلُّها؛ وهو بيتُ عائشةَ الذي صار فيه قبرُهُ وقد وردَ الحديثُ بلفظ: «ما بين المنبرِ وبيتِ عائشةَ روضةٌ من رياضِ الجنة» أخرجه الطبرانيُّ في الأوسط.

قوله: «روضةٌ من رياضِ الجنة». أي: كروضةٍ من رياضِ الجنةِ في نزولِ الرحمة، وحصولِ السعادةِ بما يحصلُ من ملازمةِ حِلَقِ الذكرِ، لا سيما في عهده ﷺ فيكونُ تشبيهاً بغيرِ أداةٍ، أو المعنى أن العبادةَ فيها تُؤدِّي إلى الجنةِ فيكونُ مجازاً، أو هو على ظاهره وأن المرادُ أنه روضةٌ حقيقةً، بأن يتَّهَّل ذلك الموضعُ بعينه في الآخرةِ إلى الجنةِ. هذا مُحصلُ ما أوله العلماءُ

في هذا الحديث، وهي على ترتيبها هذا في القوة.

❖ وأما قوله: «ومنبري على حوضي» أي: يُنْقَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْصَبُ عَلَى الْحَوْضِ، وَقَالَ الْأَكْثَرُ: الْمَرَادُ مِنْهُ بِعَيْنِهِ الَّذِي قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ وَهُوَ فَوْقَهُ. وَقِيلَ: الْمَرَادُ الْمَنْبَرُ الَّذِي يَوْضَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ. وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْمَتَقَدِّمِ، وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَفَعَهُ: «إِنْ قَوَّائِمُ مَنْبَرِي رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ»، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ قَصَدَ مَنْبَرَهُ، وَالْحَضُورَ عِنْدَهُ لِمَلَاذِمَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يورِدُ صَاحِبَهُ إِلَى الْحَوْضِ، وَيَقْتَضِي شَرِيحَهُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَنَقَلَ ابْنُ زُبَيْلَةَ: أَنَّ ذَرَعَ مَا بَيْنَ الْمَنْبَرِ وَالْبَيْتِ الَّذِي فِيهِ الْقَبْرُ الْآنَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا، وَقِيلَ: أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ وَسَدَسٌ وَقِيلَ خَمْسُونَ إِلَّا ثَلَاثِي ذِرَاعٍ، وَهُوَ الْآنَ كَذَلِكَ، فَكَأَنَّهُ نَقَصَ لَهَا أَدْخَلَ مِنَ الْحَجَرَةِ فِي الْجِدَارِ، وَاسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْمَدِينَةَ أَفْضَلُ مِنْ مَكَّةَ؛ لِأَنَّهُ أُثْبِتَ أَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي بَيْنَ الْبَيْتِ وَالْمَنْبَرِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَقَدْ قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «لِقَابُ قَوْسٍ أَحَدُكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ حَزَمٍ، بِأَنَّهُ قَوْلُهُ: إِنَّهَا مِنَ الْجَنَّةِ مُجَازٌ، إِذْ لَوْ كَانَتْ حَقِيقَةً لَكَانَتْ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ الْجَنَّةَ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ [طه: ١١٨]. وَإِنَّمَا الْمَرَادُ أَنَّ الصَّلَاةَ فِيهَا تُوْدِي إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا يُقَالُ فِي الْيَوْمِ الطَّيِّبِ: هَذَا مِنْ أَيَّامِ الْجَنَّةِ، وَكَمَا قَالَ ﷺ: «الْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ». قَالَ: ثُمَّ لَوْ ثُبِتَ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَهَا كَانَ الْفَضْلُ إِلَّا لَتَلَكَّ الْبَقْعَةُ خَاصَةً.

فَإِنْ قِيلَ: إِنْ مَا قَرَّبَ مِنْهَا أَفْضَلُ مِمَّا بَعُدَ، لَزِمَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: إِنْ الْجَحْفَةَ أَفْضَلُ مِنْ مَكَّةَ، وَلَا قَائِلَ بِهِ. اهـ

صَارَ فِيهَا الْآنَ قَوْلَانِ: هَلِ الْمَنْبَرُ بِعَيْنِهِ، أَوْ بِجَنَسِهِ؟

الْجَوَابُ: وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ بِجَنَسِهِ، وَلَكِنْ كَوْنُهُ بِعَيْنِهِ لَا مَانِعَ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ الْآنَ قَدْ تَلَفَ وَزَالَ، فَاللَّهُ ﷻ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَعِيدَهُ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٤٣- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ، قَالَ: حَدَّثَنِي النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: «أَتَانِي اللَّيْلَةُ آتٍ مِنْ رَبِّي وَهُوَ بِالْعَقِيقِ أَنْ صَلَّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ: عُمْرَةٌ وَحَجَّةٌ». وَقَالَ هَارُونُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ: «عُمْرَةٌ فِي حَجَّةٍ»^(١).

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٣٠٥/١٣). ووصله ابن حجر في تعليق التعليق (٣٢٥/٥) بسنده إلى عبد بن حيد قال: حدثنا هارون بن إسماعيل به وانظر «الفتح» (٣١١/١٣).

في هذا الحديث اللفظان معناهما واحد، والذي أتاه يُحْتَمَلُ أنه جبريل، ويُحْتَمَلُ أنه غير جبريل، ولكن المهم أنه أرشد النبي ﷺ إلى أن يقول: عمرة وحجة، أو عمرة في حجة. وهل هذا قبل أن يشرع في الإحرام أو بعده؟

الجواب: فظاهر حديث عائشة الذي في الصحيحين أنه بعده؛ لأنها تقول: أهلك رسول الله ﷺ بالحج، وذلك في مورد التقسيم. عندما قالت: منا من أهل بحج، ومنا من أهل بعمرة، ومنا من أهل بحج وعمرة، وأهلك رسول الله ﷺ بالحج^(١). وهذا يدل على أنه كان مفردًا أولاً، ثم أمر أن يكون قارئًا، فيكون دليلًا لقول من قال: إنه يجوز إدخال العمرة على الحج، ويصير به الإنسان قارئًا.

وقد سبق في كتاب المناسك: أن الحنابلة رحمهم الله يقولون: لا يجوز إدخال العمرة على الحج، وأنه لو أحرم مفردًا، ثم أدخل العمرة عليه؛ أي: على الحج، لم يصح إحرامه؛ لأنه لا يصح إدخال الأصغر على الأكبر^(٢)، ولكن من قال بالأول، قال: هذا هو ظاهر الحديث أن النبي ﷺ قال: «دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة»^(٣).

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٤٤- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَقَتَّ النَّبِيُّ ﷺ قَرْنَا لِأَهْلِ نَجْدٍ، وَالْجُحْفَةَ لِأَهْلِ الشَّامِ، وَذَا الْحُلَيْفَةَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ. قَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبَلَغَنِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلُمُ». وَذَكَرَ الْعِرَاقُ، فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ عِرَاقُ يَوْمَئِذٍ.

هذا الجواب من ابن عمر، يريد بالعراق يومئذ البصرة والكوفة؛ لأنها ما كانت إلا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإلا فإنها موجودة من قبل، وليس يريد أن العراق لم يُسَلِّموا فإن الشام أيضًا لم يُسَلِّموا، واليمن لم يُسَلِّم، وكثير منهم، ولكن مراده أن العراق الذي مُصِّر، وكان أمصارًا - الكوفة والبصرة - لم يكن ذلك في عهد الرسول ﷺ.



(١) رواه البخاري (١٥٦٢)، ومسلم (٨٧٣/٢) (١٢١١) (١١٨).

(٢) انظر: «الإنصاف» للمرداوي (٤٣٨/٣)، و«شرح العمدة» و«الكافي في الفقه الحنبلي» (٣٩٥/١)، (٥٧١/٢).

(٣) رواه مسلم (٩١١/٢) (١٢٤١) (٢٠٣).

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٤٥- حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا الْفَضِيلُ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ أَرَى وَهُوَ فِي مُعْرَسِهِ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ يَبْطَحَاءُ مُبَارَكَةٌ^(١).

الشاهد من هذا الحديث: أن هذا المكان وصف بأنه مبارك. ومعنى المباركة هنا: أنها مواقيت للعبادة، فكان مباركاً بهذا الشيء، لأنه تُشأ منه العبادة، أو أن الله قد بارك فيها فيخرج منه من أشجار، وزروع، وغيرها. هذا هو الظاهر، فالأول: بركة تتعلق بأمر الآخرة، والثاني: بركة تتعلق بأمر الدنيا. ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

١٧- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [التوبة: ١٧].

٧٣٤٦- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ -وَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ-: قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فِي الْأَخِيرَةِ. ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الْعَنِ فَلَانًا وَفُلَانًا». فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

في هذا الحديث: الجمع بين اللهم، والواو في قوله: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ». وبهذا تكْمُلُ الوجوه الأربعة في هذه الجملة:

الوجه الأول: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. بحذف اللهم، وحذف الواو.

والوجه الثاني: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ. بإثبات الواو، وحذف اللهم.

والوجه الثالث: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ. بحذف الواو وإثبات اللهم.

والوجه الرابع: الجمع بينهما، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ.

ففيها أربعة أوجه، ينبغي للإنسان أن يقول هذا مرة، وهذا مرة؛ لأن الإتيان بالعبادات المتنوعة على وجوها يحصل به ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: حفظ السنة، لأنك إذا لم تعمل بها نسيتها.

والفائدة الثانية: تمام الاتباع؛ لأنك لو اقتصر على وجه واحد، لم يكن منك تمام الاتباع.

والفائدة الثالثة: قوة الاستحضار؛ لأن الإنسان إذا اعتاد شيئاً صار يَقُولُهُ هكذا تلقائياً. لكن إذا كان أحياناً يَقُولُ هذا، وأحياناً يَقُولُ هذا، صار ذلك أبلغ في الاستحضار، فينبغي لك في جميع العبادات الواردة على وجوه متنوعة أن تأخذ بوجه مرة، وبوجه آخر مرة أخرى.

وكذلك في القراءات في القرآن الكريم، فينبغي للإنسان أن يتعلمها، وأن يقرأ مرة بهذا، و مرة بهذا؛ لأن الكل ثبت عن النبي ﷺ.

فإذا قال قائل: كيف يقول: إنه ينبغي معرفة القراءات، والقراءة بها، مع قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون»^(١)؟

الجواب أن يقال: إن القراءات غير الموجودة في المصحف لا يقرأ بها عند العامة، لكن فيما بينك وبين نفسك، وفي صلاتك غير التي تكون فيها إماماً يصح أن تقرأ بها، أما عند العامة فلا تقرأ؛ لأنك إذا قرأت سوف يحصل إحدى مفسدتين:

إما أن يقولوا: هذا رجل لا يعرف قراءة القرآن، ولا نريد أن يكون إماماً لنا.

وإما أن يتشككوا في القرآن، كيف القرآن يُتْلَعُ به مرة كذا ومرة كذا.

وفي هذا الحديث: دليل على القنوت بعد الركوع، وأنه في الركعة الأخيرة.

وفيه: دليل على جواز لعن الشخص المعين، ولكن هذا فيه نظر، والصواب المنع لأن

الرسول ﷺ دعا أولاً، ثم نهى عن ذلك وقيل له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. فالأمر

ليس إليك، بل إلى الله وحده؛ ولهذا قال: ﴿أَوْ تَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾. فلعن

المعين لا يجوز إذا كان حياً؛ لأن الله تعالى قد يتوب عليه فيهندي.

لكن إذا كان ميتاً، هل يلعن؟

الجواب: قد يقال: لا يلعن أيضاً؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الأموات فتؤذوا

الأحياء»^(٢). وفي لفظ: «فإنهم أفضوا إلى ما قدموا»^(٣).

أما لعن العموم فهذا جائز، مثل أن تقول: اللهم العن الكافرين، اللهم العن اليهود، اللهم العن

النصارى، فقد قال النبي ﷺ: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٤).

(١) رواه البخاري (١٢٧).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٥٢/٤) (١٨٢٠٩)، والترمذي (١٩٨٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٣) رواه البخاري (١٣٩٣).

(٤) رواه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٣٧٦/١) (٥٢٩) (١٩).

وفي هذا: دليلٌ على أن الرسول ﷺ قد يَجْتَهُدُ، فإن أقره الله على ذلك، فاجتهاده صحيحٌ، وإن لم يقره، فإنه يَكُونُ مِنَ الاجتهادِ المغفور؛ الذي يَكُونُ له فيه أجرٌ واحدٌ.
ثم قال البخاري رحمه الله:

١٨- بابُ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَفِ جَدَلًا﴾ [البقرة: ٥٤]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [البقرة: ١٧٠].

المجادلة: المناظرة والمخاصمة؛ وسميت بذلك؛ لأن كل واحدٍ منهما يجادل رأيه؛ أي: يفتله؛ كما يفتل الحبل؛ ليقويه حتى يردَّ به على صاحبه.

وقوله تعالى: ﴿أَكْثَرَفِ جَدَلًا﴾. وهو الإنسان؛ ولهذا يُجادل أحياناً بالحق، وأحياناً بالباطل، وأحياناً باللغو، فالجدال إما أن يَكُونَ لِيُصِفَ الحق، ويخذل الباطل، أو بالعكس أو يَكُونُ لغواً كأن يَتَجَادَلُ اثنان في أمر ليس بحق ولا باطل، بل هو من اللغو فيحصل الجدل بينهما.

والذي يَنْبَغِي للإنسان تركُ الجدال، ما لم يَتَعَيَّنْ عليه لإثبات حقٍّ أو إبطال باطل، وإلا فتركُ الجدال أولى، وأسلم، وأبعد عن تحمي النفوس بعضها على بعض كما هو مشاهد.

لكن بعض الناس يُجادل في أمرٍ لا يترتب عليه إثبات حقٍّ، وإبطال باطل، لكن من أجل أن يُثبت رأيه، مع أنه ليس في أمر ديني، ولا أمر دنيوي نافع، وهذا خطأ؛ لأن الجدال لا بد أن يترك في النفوس شيئاً، لا سيما إذا لم يكن ذلك لله.

أما إذا كان الجدال لله، فاعلم أنك إذا جادلت صاحبك لله، من أجل إثبات الحق. وإبطال الباطل، فإنه وإن كان في نفسه عليك شيء حين المجادلة، فإن الله تعالى سوف يمحوه؛ لأن هذا داخل في عموم قوله ﷺ: «مَنْ التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مئة سنة الناس»^(١).

وقوله ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [البقرة: ١٧٠]. إذا جاء ذكر أهل الكتاب في القرآن؛ فهم اليهود والنصارى، كما قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ١٥٦]. وهما اليهود والنصارى، فاليهود كتابهم التوراة، وهي أصل الإنجيل، والنصارى كتابهم الإنجيل، والإنجيل أصل ومرجع لكل الكتب التي جاءت بعده.
وقوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [البقرة: ١٧٠]. أي: إلا بالمجادلة التي هي أحسن، «فالتي» هنا وصفٌ لموصوفٍ محذوفٍ، وتقديره المجادلة، وبأي شيء هي أحسن.

ولكن هل هي بالإقناع، أو بالفصاحة، أو بصفه الكلام، وهل يكون نهرًا، أو يكون لينا أو ما أشبه ذلك؟

الجواب: نقول: يشمل كل هذا قوله: ﴿إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. فمن حيث الإقناع بالأدلة السمعية، والعقلية، والحسية، ومن حيث صيغة الكلام وقوته، ومن حيث صفة الكلام بالقوة والانفعال، أو باللفظ واللين، على حسب ما تقتضيه المصلحة، بالتي هي أحسن، وقد يكون من المجادلة بالتي هي أحسن ترك المجادلة.

لكن في آخر الآية قال: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٤٦]. فهو لاء لا تُجادلهم بالتي هي أحسن. وإنما نجادلهم بما يقتضيه ظلمهم، بحيث نمنعهم من الظلم ولو أدى ذلك إلى المقاتلة والمجادلة. أما غير أهل الكتاب، فقد قال الله تعالى: ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. ولم يستثن؛ وذلك لأن عناد أهل الكتاب ليس كعناد غيرهم، لأن معهم من الحق ما يلزمهم بقبول الحق الذي جاء به الرسول ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [النحل: ١٤٦].

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٤٧- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، ح حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا عَتَّابُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «أَلَا تُصَلُّونَ». فَقَالَ عَلِيٌّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثْنَا، فَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فِخْذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: «وَكَانَ الْأَسْنَى أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا» [الأنعام: ٥٤].^(١)

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يُقَالُ: مَا أَتَاكَ لَيْلًا فَهُوَ طَارِقٌ. وَيُقَالُ: الطَّارِقُ النُّجْمُ، وَالثَّاقِبُ الْمَضِيءُ، يُقَالُ: أَتَقِبُ نَارَكَ لِلْمُوقِدِ.

هذا الحديث فيه فوائد:

منها اعتناء الرسول ﷺ بأهل بيته؛ لأن الظاهر أن طرقه إياهم في الليل، ليتفقدهم، وينظر ماذا يعملون، ولهذا قال لهم: «أَلَا تُصَلُّونَ». وهذا عرض لطيف، فلم يقل: لماذا لم

(١) رواه مسلم (٥٣٧/١) (٧٧٥) (٢٠٦).

تُصَلُّوا؟ وَالْعَرَضُ فِيهِ لَطَافَةٌ فِي الْأَسْلُوبِ وَالتَّرْغِيبِ.

وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ أَنْ يُقَدَّمَ الْعَذْرُ إِلَى مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ لِأَنَّ قَوْلَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ. لَا يُرِيدُ بِذَلِكَ الرَّدَّ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ تَبَكُّيَتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَأَنَّ الرَّسُولَ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْفُسَهُمْ بِيَدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَكِنْ يُرِيدُ الْاعْتِذَارَ، وَأَنَّ هَذَا شَيْءٌ لَيْسَ مِنْ فَعْلِنَا؛ لِأَنَّ النَّائِمَ لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ فَعْلٌ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْكَهْفِ: ﴿وَقَلْبُهُمْ دَاثَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الأنعام: ١٨]. لَمْ يَقُلْ: «يَتَقَلَّبُونَ». لِأَنَّ النَّائِمَ لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ قَوْلٌ وَلَا فَعْلٌ.

فلهذا اعتذر على بن أبي طالب عليه السلام بالنوم، وأن أنفسهم بيد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإذا شاء أن يبعثها بعثها، والنبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ مِنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِذَلِكَ، لَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُقَدَّمَ الْعَذْرُ.

وَاحْتِجَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْجَبَرِيَّةُ عَلَى تَرْكِ الْوَاجِبِ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: عَلَى تَرْكِ الْمَأْمُورِ، ثُمَّ عَلَى فَعْلِ الْمَحْظُورِ. وَقَالُوا: إِنْ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ احْتِجَ بِالْقَدْرِ عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ فِي اللَّيْلِ، لِأَنَّ النَّوْمَ بِيَدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يَنَامُ فِي فِرَاشِهِ، وَيَضْطَجِعُ يُرِيدُ النَّوْمَ، وَلَا يَأْتِيهِ، وَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ يَغْلِبُهُ النَّوْمُ وَهُوَ جَالِسٌ حَتَّى يَضْطَجِعَ، وَهُوَ لَا يَذَرِي عَنْ نَفْسِهِ شَيْئًا.

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنَ الْمُتَشَابِهَةِ؛ لِأَنَّ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا نُّصُوصٌ مُتَشَابِهَةٌ؛ يَعْنِي: قَدْ يَكُونُ فِيهَا شُبُهَةٌ لِمَنْ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَى الْبَاطِلِ، وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَتَلَوَّ الْعَبْدَ، أَهْوَى مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، أَمْ هُوَ مِنَ الزَّائِغِينَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -.

فَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَةَ مِمَّا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ أَهْلُ الزَّبْغِ، وَهُمْ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحِذَرُوهُمْ كَمَا صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١).

وَالوَاجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ إِذَا جَاءَتْ النُّصُوصُ مُتَشَابِهَةٌ، أَنْ يَحْمِلَهَا عَلَى النُّصُوصِ الْمَحْكَمَةِ، وَالنُّصُوصُ الْمَحْكَمَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا حُجَّةَ بِالْقَدْرِ عَلَى الشَّرْعِ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ يَرُدُّ عَلَى إِنْسَانٍ مُخْتَارٍ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَلِهَذَا لَوْ أَكْرَهَ الْإِنْسَانُ عَلَى مُخَالَفَةِ الشَّرْعِ، فَفَعَلَ لِلْإِكْرَاهِ لَمْ يَكُنْ مُخَالَفًا، أَمَّا إِذَا وَقَعَ بِاخْتِيَارِهِ فَهُوَ مُخَالَفٌ.

فَالنَّصُّ الْمَحْكَمُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا حُجَّةَ بِالْقَدْرِ عَلَى الشَّرْعِ، قَالَ اللَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ؛ إِذْ لَوْ كَانَ لَهُمْ حُجَّةٌ فِي ذَلِكَ مَا ذَاقُوا بَأْسَ اللَّهِ،

ولكانوا معذورين بما احتجوا به، وحيثُ نَقُولُ: هذا لا يُرَادُّ به الاحتجاجُ بالقدرِ.
إِذَا فَمَا هُوَ الْجَمْعُ؟

جَمَعَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ الْمُتَشَابِهِ، وَبَيْنَ النُّصُوصِ الْمُحْكَمَةِ، بِأَنَّ
الاحتجاجَ بالقدرِ على أمرٍ قد فَرَطَ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَلَا يُمَكِّنُهُ تَلَاْفِيهِه فَيَقُولُ ذَلِكَ مُعْتَذِرًا، لَا
مَعَانِدًا، وَيُعْذِرُ بِهَذَا الْاحتجاجِ أَمَّا مَنْ قَالَ ذَلِكَ مُحْتَجًّا بِالْقَدْرِ عَلَى عُنَادِهِ، وَإِصْرَارِهِ، وَرَفَعَ
اللُّومَ عَنْهُ فَهَذَا مُلَوَّمٌ؛ لِأَنَّ الَّذِي وَقَعَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ هَذَا النُّوعِ الْأَوَّلِ، ذَكَرُوا ذَلِكَ
احتجاجًا على معاصيهم وعنادهم لا اعتذارًا منهم، وَعَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ ذَكَرَهُ اعْتِذَارًا، فَفَرَّقَ
بَيْنَ هَذَا وَهَذَا^(١).

ولهذا لو أَنَّ الْإِنْسَانَ فَرَطَ مِنْهُ مَعْصِيَةٌ، كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ مَثَلًا، ثُمَّ نَدِمَ وَتَابَ، فَلَمَّا عَوَّتَبَ
عَلَى ذَلِكَ قَالَ: وَاللَّهِ هَذَا شَيْءٌ قَضَاهُ اللَّهُ عَلَيَّ وَقَدَّرَهُ، وَلَكِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي مِنْهُ، وَتَبْتُ
إِلَى اللَّهِ مِنْهُ. فَهَذَا لَا تَلَوُّمُ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَحْتَجَّ بِالْقَدْرِ عَلَى أَنْ يَسْتَوِيَّرَ فِي شَرِبِ الْخَمْرِ،
بَلْ يَحْتَجُّ بِالْقَدْرِ اعْتِذَارًا، لَا إِصْرَارًا وَدَفْعًا لِلُّومِ.
أَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَقَدْ احْتَجَّوْا بِالْقَدْرِ عَلَى الشَّرِكِ دَفْعًا لِلُّومِ عَنْهُمْ، وَإِنْكَارًا لِعُقُوبَتِهِمْ؛ أَيِ:
كَيْفَ تُعَاقِبُونَنَا وَهَذَا لَيْسَ بِاخْتِيَارِنَا؟!

ولهذا احتجَّ اللَّهُ بِالْقَدْرِ عَلَى شُرَكَ الْمُشْرِكِينَ فِي آيَةٍ أُخْرَى، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُسَلِّيًا
رَسُولَهُ ﷺ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرُكِيْلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧]. فَسَلَّاهُ
اللَّهُ ﷻ بِكَوْنِ الشَّرِكِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُمْ، وَخَالَفُوا بِهِ الرَّسُولَ كَانَ بِمُشِيئَةِ اللَّهِ؛ لِيَهُونَ الْأَمْرَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَرْضَى بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ.

ومثل هذه النصوص المتشابهة من الكتاب والسنة سواءً من الكتاب بعضه مع بعض،
أو من السنة بعضها ببعض، أو من القرآن والسنة مع بعضها، فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَرُدَّ
المتشابه إلى المحكم، حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ مُحْكَمًا.

ومن فوائد هذا الحديث: الاستدلالُ بِالْآيَةِ عَلَى الْوَاقِعِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ
شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]. وَكَذَلِكَ وَقَعَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ حِينَ جَاءَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ
وَعَلَيْهِمَا ثَوْبَانِ يَغْتَرَانِ بِيَهُمَا، فَنَزَلَ وَأَخَذَهُمَا وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أَمُورُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ﴾ [التكوير: ١٥]^(٢).

(١) انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (ص ٤٤-٤٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٥٤/٥٥) (٢٢٩٩٥)، والترمذي (٣٧٧٤)، وأبو داود (١١٠٩)، وابن ماجه

يوجد شيء من المتشابه أيضاً: وهو كون الرسول ﷺ يضرب فخذه، فهل يقال: إن هذا كضرب المصاب على خذه وعلى رأسه، أم ماذا؟
قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٣١٤/١٣، ٣١٥):

ويؤخذ منه: أن علياً ترك فعل الأولى خلفه، ولو كان امتثل وقام لكان أولى.
ويؤخذ منه: الإشارة إلى مراتب الجدال فإذا كان فيها لأبد له منه تعيين نصر الحق بالحق، فإن جاوز الذي يُنكر عليه المأمور نُسب إلى التقصير، وإن كان في مباح اكتفى فيه بمجرد الأمر والإشارة إلى ترك الأولى.

وفيه أن الإنسان طُبع على الدفاع عن نفسه بالقول والفعل، وأنه ينبغي له أن يجاهد نفسه وأن يقبل النصيحة ولو كانت في غير واجب، وألا يدفع إلا بطريق معتدلة وأنها من غير إفراط ولا تفريط.
ونقل ابن بطال عن المهلب ما ملخصه: أن علياً لم يكن له أن يدفع ما دعاه النبي ﷺ إليه من الصلاة بقوله ذلك، بل كان عليه الاعتصام بقوله، فلا حجة لأحد في ترك المأمور اهـ.
ومن أين له أن علياً لم يمتثل ما دعاه إليه فليس في القصة تصريح بذلك، وإنما أجاب علي بما ذكر اعتذاراً عن تركه القيام بغلبة النوم، ولا يمتنع أنه صلى عقب هذه المراجعة، إذ ليس في الخبر ما ينفيه.

وقال الكيرماني: حرّضهم النبي ﷺ باعتبار الكسب والقدرة الكاسية، وأجاب علي باعتبار القضاء والقدرة.

قال: وضرب النبي ﷺ فخذه تعجباً من سرعة جواب علي، ويحتمل أن يكون تسليمًا لما قال: وقال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة: وفي هذا الحديث من الفوائد مشروعية التذكير للغافل خصوصاً القريب والصاحب؛ لأن الغفلة من طبع البشر، فينبغي للمرء أن يتفقد نفسه ومن يحبه بتذكير الخير والعون عليه.

وفيه أن الاعتراض بأثر الحكمة لا يناسبه الجواب بأثر القدرة، وأن للعالم إذا تكلم بمقتضى الحكمة في أمر غير واجب، أن يكتفي من الذي كلمه في احتجاجه بالقدرة، يؤخذ الأول من ضربه ﷺ على فخذه، والثاني من عدم إنكاره بالقول صريحاً. قال: وإنما لم يُشافهه بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شِقْوٍ جَدًّا﴾ [الزمر: ١٥٤]. لعلمه أن علياً لا يجهل أن الجواب بالقدرة ليس من الحكمة، بل يحتمل أن لهما عذراً

يَمْنَعُهَا مِنَ الصَّلَاةِ، فَاسْتَحْيَا عَلَىٰ مِنْ ذَكَرِهِ فَأَرَادَ دَفْعَ الْخَجَلِ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَنْ أَهْلِهِ فَاحْتَجَّ بِالْقُدْرَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ رَجوعُهُ ﷺ عَنْهُمْ مَسْرَعًا. قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَلِيٌّ أَرَادَ بِهَا قَالِ اسْتَدْعَاءَ جَوَابٍ يَزَادُ بِهِ فَائِدَةً [أَيَّ مِنَ الرِّسُولِ ﷺ] ^(١).

وفيه جوازُ محادثةِ الشخصِ نفسَه فيما يتعلَّقُ بغيره، وجوازُ ضربه بعضَ أعضائه عند التعجب، وكذا الأسفُ. اهـ

الظاهرُ: أن الحديثَ يُحْمَلُ عَلَى أَنَّ الرِّسُولَ ﷺ فَعَلَ ذَلِكَ تَعْجَبًا مِنْ كَوْنِ عَلِيٍّ بَنِ أَبِي طَالِبٍ يَحْتَجُّ بِأَمْرِ كَانَ الرِّسُولُ ﷺ يَعْلَمُهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ نَفْسَهُ بِيَدِ اللَّهِ، فَيَتَعَجَّبُ كَيْفَ احْتَجَّ بِهَذَا الشَّيْءِ الْمَعْلُومِ، وَهُوَ لَيْسَ لَهُ فِيهِ حِجَّةٌ! ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٤٨ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ». فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمَدْرَاسِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَادَاهُمْ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ اسْلِمُوا تَسْلَمُوا». فَقَالُوا: بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ اسْلِمُوا تَسْلَمُوا». فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ أُرِيدُ». ثُمَّ قَالَهَا الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «اعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجْلِبَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِإِلَيْهِ شَيْئًا فَلْيَبِيعْهُ، وَإِلَّا فاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ» ^(٢).

قوله: «الْمَدْرَاسُ»: يَعْنِي: الْبَيْتَ الَّذِي يَدْرُسُونَ فِيهِ، أَوْ بَيْتَ الْمَدْرَاسِ، أَيِ الْبَيْتِ الَّذِي يَدْرُسُ فِيهِ، فَهُوَ لَيْسَ عِلْمًا لِشَخْصٍ، بَلْ هُوَ مِنَ الدِّرَاسَةِ.

قوله: «اسْلِمُوا تَسْلَمُوا»: أَيِ تَسْلَمُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أما فِي الدُّنْيَا: فَتَسْلَمُونَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ.

وأما فِي الْآخِرَةِ: فَتَسْلَمُونَ مِنَ النَّارِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ ﷺ حِينَ كَتَبَ إِلَى هِرَقْلَ: «اسْلِمْ تَسْلَمْ» ^(٣).

وقولهم: «بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ». نَقُولُ فِيهِ: مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ. فَالْيَوْمَ تَمُرُّ بِبَعْضِ النَّاسِ، فَتَقُولُ: يَا فَلَانُ صَلِّ. فَيَقُولُ: أَمْرٌ بِخَيْرٍ. وَهُوَ فِي مَكَانِهِ لَا يَتَحَرَّكُ مِثْلَ قَوْلِ الْيَهُودِ:

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

(٢) رواه مسلم (١٣٨٧/٣) (١٧٦٥) (٦١).

(٣) رواه البخاري (٧).

بَلَّغَتْ. وَهُوَ يَعْنِي أَنَّهُ لَنْ يَمْتَثِلَ؛ وَلِهَذَا أَعَادَهَا النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثًا، وَلَكِنْهُمْ يُجَادِلُونَ وَيَقُولُونَ: بَلَّغَتْ.

فَتَهَدَّدَهُمْ ﷺ فَجَادَلَهُمْ بِالْقُوَّةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [الْحَجَّكَتُ: ٤٦]. وَهَؤُلَاءِ ظَلَمُوا. وَقَالَ: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجْلِبَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِإِلَهٍ شَيْئًا فَلْيَبْعُهُ، وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ».

وَهَكَذَا تَنْبَغِي الْقُوَّةُ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِذَا عَانَدُوا، لَكِنْ بِشَرْطٍ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْقَوِيِّ قُدْرَةٌ يَسْتَطِيعُ بِهَا أَنْ يُنْفِذَ قَوْلَهُ، أَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ، فَإِنْ قَوْلُهُ يَكُونُ أَضْحَكَةً.

وَمِنَ الْقُوَّةِ: الْقُوَّةُ الْمَعْنَوِيَّةُ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحِ، أَرَأَيْتَ لَوْ جَاءَ طِفْلٌ صَغِيرٌ لَهُ أَرْبَعُ سَنَوَاتٍ، وَأَخَذَ يَهْدُدُ شَابًّا مَمْلُوءًا شَبَابًا وَيَقُولُ: وَاللَّهِ لئن خَالَفْتَنِي لَأَفْعَلَنَّ بِكَ كَذَا وَكَذَا. فَهَذَا لَا شَكَّ غَيْرُ حِكْمَةٍ.

فَالْتَهْدِيدُ بِالْقُوَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِمَنْ عِنْدَهُ قُدْرَةٌ عَلَى تَنْفِيزِ تَهْدِيدِهِ، وَإِلَّا صَارَ ضَحْكَةً. وَفِي هَذَا: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ لِينِهِ وَرَحْمَتِهِ قَوِيٌّ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ، شَدِيدٌ عَلَيْهِمْ، كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ وَأَصْحَابُهُ، بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ خَذَلْنَا مُؤْمِنَيْ أُثُودَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ هُوَ مِنْهُمْ فَاعْلَمُوا﴾ [الْأَنْعَامُ: ٩٢]. فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِذَا دَعَوْتَ أَحَدًا مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: ﴿لَا تُدْرِكُوا الْوَيْدَانَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٩٢]؟ فَلِمَاذَا تَدْعُونَنَا؟! فَمَاذَا نَقُولُ لَهُمْ؟

الْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: هَذَا مِنْ جِهَةِ الْبَرَاءَةِ، فَلَهُمْ دِينُهُمْ وَلَنَا دِينُنَا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ اتِّفَاقٌ فِي الدِّينِ، لَكِنْ مِنْ جِهَةٍ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا مِنْ دَعْوَتِهِمْ وَقِتَالِهِمْ إِذَا لَمْ يَمْتَثِلُوا ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، فَهَذَا شَيْءٌ آخَرُ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١٩- بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٤٣]. وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِلِزْوَمِ الْجَمَاعَةِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٤٣]. قَالَ الْعُلَمَاءُ^(١): الْوَسْطُ: الْعَدْلُ الْخِيَارُ، وَسَطًا؛ أَيُّ: عَدْلًا خِيَارًا، فَهَذِهِ الْأُمَّةُ - وَاللَّهُ الْحَمْدُ - هِيَ صَاحِبَةُ الْعَدْلِ، وَهِيَ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ ﷻ لَتَكُونَ شَاهِدَةً عَلَى النَّاسِ.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٨/٢)، والقرطبي (١٥٣/٢)، وابن كثير (١/١٩٢)، و«فتح القدير» (١/١٥٠).

قال: وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة. أي: جماعة المسلمين، بأن يَجْتَمِعُوا على الحق. ولكن هل المراد بلزوم الجماعة، جماعة أهل الحل والعقد، إذا أمروا أميرًا أَلَا يَخْرُجَ الإنسانُ عمن أمروا، أو المراد جماعة أهل العلم؛ أي: إذا اجتمع العلماء على شيء فإنه يلزمه الأخذ به؟ كلام البخاري رحمه الله يدل على الثاني؛ وهو المراد بلزوم الجماعة عدم مخالفة العلماء، فإذا أجمعوا على شيء وجب الأخذ به، والأول كذلك له وجه صحيح؛ لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم، فاضربوا عنقه»^(١). والاجتماع على الأمير أمر واجب؛ لأن المخالفة والاختلاف عليه يؤدي إلى شر كثير، وفتن عظيمة، ولا تحل المشكلة التي من أجلها اختلفوا على هذا الأمير.

قال ابن حجر رحمه الله (٣١٦/١٣):

وأما قوله «وما أمر إلى آخره» فمطابقته لحديث الباب خفية، وكأنه من جهة الصفة المذكورة وهي العدالة، لما كانت تعم الجميع لظاهر الخطاب، أشار إلى أنها من العام الذي أريد به الخاص، أو من العام المخصوص؛ لأن أهل الجهل ليسوا عدولاً، وكذلك أهل البدع، فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي، ومن سواهم، ولو نسب إلى العلم فهي نسبة صورية لا حقيقة، وورد الأمر بلزوم الجماعة في عدة أحاديث.

منها: ما أخرجه الترمذي مصححاً من حديث الحارث بن الحارث الأشعري فذكر حديثاً طويلاً، وفيه: «وأنا أمركم بخمس أمرني الله بهن: السمع والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه» وفي خطبة عمر المشهورة التي خطبها بالجابية. «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد» وفيه: «ومن أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة».

وقال ابن بطال: مراد الباب الحض على الاعتصام بالجماعة، لقوله ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وشرط قبول الشهادة العدالة، وقد ثبتت لهم هذه الصفة بقوله: ﴿وَسَطًا﴾. والوسط العدل، والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر، وقال الكرماني: مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون وهم المراد بقوله: «وهم أهل العلم» والآية التي ترجم بها احتج بها أهل الأصول لكون الإجماع حجة؛ لأنهم

عَدُّوْا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾؛ أَي: عَدُولًا، وَمَقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ عَصِمُوا مِنَ الْخَطَا فِيهَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ قَوْلًا وَفِعْلًا. اهـ

المهم: أَن الْمَرَادُ بِالْجَمَاعَةِ تَشْمُلُ الْمَعْنِينَ: الْجَمَاعَةَ عَلَى الْأَمِيرِ، وَالْجَمَاعَةَ عَلَى الْقَوْلِ وَالْحُكْمِ، فَالرَّسُولُ ﷺ أَمَرَ بِهَذَا وَهَذَا.

أَمَّا هَلِ الْإِجْمَاعُ حُجَّةٌ أَوْ غَيْرُ حُجَّةٍ فَهَذَا مَوْضِعُ بَحْثٍ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِجْمَاعَ حُجَّةٌ، وَلَكِنْ يَبْقَى النَّظَرُ فِي تَحَقُّقِ الْإِجْمَاعِ، فَإِنَّ تَحَقُّقَ الْإِجْمَاعِ صَعْبٌ لِلْغَايَةِ، إِلَّا فِيهَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، كَوْجُوبِ الصَّلَاةِ مَثَلًا.

وَالْأَمَّا فِيهِ إِشْكَالٌ فَتَقُلُّ الْإِجْمَاعُ فِيهِ صَعْبٌ، وَالْعِلْمُ بِالْإِجْمَاعِ عَلَيْهِ كَذَلِكَ.

ولهذا قال الإمام أحمدُ فيما يُروى عنه: مَنْ ادَّعَى الْإِجْمَاعَ فَهُوَ كَاذِبٌ، وَمَا يُذَرِّبُهُ لَعَلَّهُمْ اخْتَلَفُوا^(١)، أَمَّا شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَتَوَسَّطَ وَقَالَ: الْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْصَبُطُ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الْاِخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ^(٢).

فَمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ فَهُوَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُحَاطَ بِهِ، أَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَالْحُكُومَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ اتَّسَعَتْ، وَالْأَرَءَاءُ كَثُرَتْ، وَحَصَلَ التَّرَاغُ الْكَثِيرُ، فَانْظُرْ إِلَى تَفَرُّقِ الْأُمَّةِ لَهَا اخْتِلَافٌ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ وَمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَيْفَ انْشَطَرَتْ انْشِطَارًا مَا زَالَتْ تَتَنُّ مِنْهُ إِلَى الْيَوْمِ!

وَالْإِجْمَاعُ لَا شَكَّ أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ، سِوَاءٍ فِي الْمَسَائِلِ الْحُكْمِيَّةِ، أَوْ فِي مَسَائِلِ السُّلْطَةِ وَالْإِمْرَةِ. فَإِذَا كَانَ هُنَاكَ أَمِيرٌ سُلْطَةً؛ وَهُوَ رَئِيسُ الدَّوْلَةِ، وَهُنَاكَ أَهْلٌ سُنَّةٌ وَجَمَاعَةٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا لَهُمْ أَمِيرًا، فَهَلْ لَهُمْ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ فَقَطْ؟

الجواب: الظَّاهِرُ أَنَّ أَمِيرَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يَكُونُ أَمِيرًا، بَلْ يَكُونُ إِمَامًا، فَكَوْنُهُ إِمَامًا وَلَوْ كَانَ تَحْتَ سُلْطَةٍ عَامَةٍ لِلْجَمِيعِ لَا بَأْسَ بِهِ - يَفْتَادُونَ بِهِ وَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ - كَمَا كَانَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِيهَا الْأَثَمَةُ، وَفِيهَا الْخُلَفَاءُ.

٧٣٤٩- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجَاءُ بَنُو حِمْيَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ، فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَغَكُمْ؟، فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ شُهِدْتُكَ، فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَيَجَاءُ بِكُمْ فَتُشْهَدُونَ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسائله لأبيه (١١٣٧)، وانظر إعلام الموقعين لابن القيم (٣٠ / ١).

(٢) انظر العقيدة الواسطية في مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٥٧ / ٣).

وَسَطًا ﴿ قَالَ عَدَلًا: ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا^(١).
ثم قال البخاري رحمه الله:

٢٠- باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول ﷺ من غير علم فحكمه مردود؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢).

٧٣٥١، ٧٣٥٠- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يُحَدِّثُ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَخَا بَنِي عَدِيَّ الْأَنْصَارِيَّ وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى خَيْرٍ، فَقَدِمَ بِتَمْرِ جَنِيبٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكُلْ تَمْرَ خَيْرٍ هَكَذَا». قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَنَشْتَرِي الصَّبَاعَ بِالصَّبَاعَيْنِ مِنَ الْجَمْعِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَفْعَلُوا، وَلَكِنْ مِثْلًا بِمِثْلِ، أَوْ يَبْعُوا هَذَا وَاشْتَرُوا بِثَمَنِ مِنْ هَذَا، وَكَذَلِكَ الْمِيزَانُ»^(٣).

✽ يقول البخاري رحمه الله: «إذا اجتهد العامل» والعامل: هو الذي يبعثه الإمام عاملاً على الصدقة، يجمعها من الناس، ويأتي بها إلى المدينة.

✽ وقوله: «أو الحاكم»؛ أي: الذي يحكم بين الناس؛ وهو القاضي، فإذا أخطأ خطأ مخالفاً للنص من غير علم، فحكمه مردود؛ ولهذا قال البخاري رحمه الله: فأخطأ خلاف الرسول؛ أي: أنه تبين أنه مناقض للنص، فإنه يُردُّ حكمه.

ولهذا قال العلماء: إنه لا يتقضي حكم الحاكم للقضاء، إلا ما خالف نصاً، أو إجماعاً قطعياً، أو ما يعتقده الحاكم، وإلا فإن حكمه نافذ، فتقييد البخاري رحمه الله هذه المسألة بقوله: «خلاف الرسول». يعني: أن خطأه مخالف للنص، فإنه مردود.

(١) علقه البخاري رحمه الله بصيغة الجزم. وأسنده الترمذي في «التفسير»، باب ومن سورة البقرة عقب حديث (٢٩٦١) قال: حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا جعفر بن عون، أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد... الحديث. وانظر: «تغليق التعليق» (٣/٢٦)، و«هدي الساري» ص ٧٠، و«فتح الباري» (١٣/٣١٧).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، وتقدم الكلام عليه في الصلح (٢٦٩٧)، وقد أسنده المؤلف من حديث عائشة بغير هذا اللفظ، وتقدم هذا اللفظ معزواً لمسلم وغيره. وانظر: «تغليق التعليق» (٥/٣٢٧). وانظر كما في «الفتح» (٣/٣١٧).

(٣) رواه مسلم (٣/١٢١٥) (١٥٩٣) (٩٤).

واستدلّ لذلك بقول النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١). فقوله: «عملًا». نكرة في سياق الشرط، فتعمُّ كلَّ عمل سواء كان عبادةً، أو معاملةً، أو قضاءً أو غير ذلك.

وقوله: «فهُوَ رَدٌّ»؛ أي: مردودٌ، لكنه عبّر عن اسمِ المفعول بالمصدرِ مِنْ بابِ التوكيد؛ يعني: كَانَ هَذَا الشَّيْءَ نَفْسَهُ رَدًّا، فَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَوْلِهِ: «مردودٌ».

وهذا الحديثُ قال العلماءُ: إنه ميزانُ الأعمالِ الظاهرة، وحديثُ عمرَ «إنما الأعمالُ بالنيات»^(٢). ميزانُ الأعمالِ الباطنة، وعلى هذا فيكونُ هذانِ الحديثانِ قد استوعبا ميزانَ الأعمالِ الظاهرة، وميزانَ الأعمالِ الباطنة^(٣).

وقوله: «ليس عليه أمرنا»؛ أي: أمرُ الله ورسوله فهو رَدٌّ، وما خالفَ أمرَ رسولِ الله فهو مخالفٌ لأمرِ الله، وهذا الحديثُ روي بلفظٍ آخر: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٤). وهذا اللفظُ الأخيرُ يدلُّ على أن جميعَ البدعِ مردودةٌ؛ لأنه قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». فيكونُ اللفظانِ يُبينانِ على أن مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَصْلُهُ مَشْرُوعٌ لَكِنَّهُ عَلَى خِلَافِ الْمَشْرُوعِ؛ فَهُوَ مُرَدودٌ، وَمَنْ أَحْدَثَ أَمْرًا أَوْ عَمَلًا لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ؛ فَإِنَّهُ أَيْضًا مُرَدودٌ.

قال ابنُ حجرٍ رحمه الله تعالى في «الفتح» (٣١٧/١٣):

❖ قوله: «بابُ إذا اجتهدَ العاملُ أو الحاكمُ» في روايةِ الكشميهني «العالمُ» بدلَ العاملِ، و«أو» للتنويع، وقد تقدم في «كتابِ الأحكام» ترجمةُ إذا قضى الحاكمُ بجورٍ أو خلافِ أهلِ العلمِ فهو مردودٌ، وهي معقودةٌ لمخالفةِ الإجماع، وهذه معقودةٌ لمخالفةِ الرسولِ ﷺ. ❖ قوله: «فأخطأ خلافَ الرسولِ مِنْ غيرِ علمٍ»؛ أي: لم يتعمَّدِ المخالفةَ؛ وإنما خالفَ خطأً.

❖ قوله: «فحكمه مردودٌ؛ لقولِ النبي ﷺ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»؛ أي: مردودٌ، وقد تقدمَ هذا الحديثُ موصولًا في «كتابِ الصلح» عن عائشةَ بلفظٍ آخر، وأنه بهذا اللفظِ موصولٌ في صحيحِ مسلم، وتقدّمَ شرحُه هناك.

قال ابنُ بطالٍ: مرادهُ أن مَنْ حكمَ بغيرِ السُّنَّةِ جهلاً، أو غلطاً يَجِبُ عَلَيْهِ الرجوعُ إلى حكمِ السُّنَّةِ،

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (٩٥/١).

(٤) تقدم تخريجه.

وترك ما خالفها امتثالاً لأمر الله تعالى، بإيجاب طاعة رسوله ﷺ، وهذا هو نفس الاعتصام بالسنة.

وقال الكيرماني: المرادُ بالعامل: عاملُ الزكاة، وبالحاكم: القاضي.

❦ وقوله: «فأخطأ»؛ أي: في أخذ واجب الزكاة، أو في قضائه.

قلت: وعلى تقدير ثبوت رواية الكشميهني، فالمرادُ بالعالم: المفتي، أي أخطأ في فتواه، قال: والمرادُ بقوله، «فأخطأ خلاف الرسول»؛ أي: يَكُونُ مخالفاً للسنة، قال وفي الترجمة نوعٌ تعجرف.

قلت: ليس فيها قلقٌ إلا في اللفظ الذي بعد قول: «فأخطأ» فصار ظاهر التركيب يُنافي المقصود؛ لأن مَنْ أخطأ خلاف الرسول لا يُدْمُ، بخلاف مَنْ أخطأ وفاقه، ليس ذلك المراد وإنما ثَمَّ الكلام عند قوله: «فأخطأ» وهو متعلق بقوله: اجتهد، وقوله «خلاف الرسول»؛ أي: فقال خلاف الرسول، وحذف «قال» يقع في الكلام كثيراً فأُتيَ عجرفة في هذا، والشارح من شأنه أن يوجه كلام الأصل مهما أمكن، ويغترف القدر اليسير من الخلل تارة، ويحمّله على الناسخ تارة، وكل ذلك في مقابلة الإحسان الكثير الباهر، ولا سيما مثل هذا الكتاب.

ووقع في حاشية نسخة الدُمياطي بخطه الصواب في الترجمة «فأخطأ بخلاف الرسول» انتهى، وليس دعوى حذف الباء برفع للإشكال، بل إن سلك طريق التغيير فلعلّ اللام متأخرة، ويَكُونُ في الأصل خالف بدل خلاف. اهـ

الحاصل: هو ما سبق أن ذكرناه؛ وهو أن يَكُونُ مخالفاً للنص، أما ما لم يَكُنْ مخالفاً، فإنه لا يُنْقَضُ، ولو تبين له الخطأ، ولكن يجب عليه الرجوع عن الخطأ.

مثال ذلك: أن يَكُونَ حكم الحاكم مبنياً على الاجتهاد الذي لا يخالف النص، ثم تبين له في القضية الثانية أنه أخطأ في الأولى، فيجب عليه أن يحكم في القضية الثانية بما تبين له أو بما ظهر له أنه الحق، ولكن لا يُنْقَضُ الأول، وهذا هو الذي يكاد العلماء أن يجمعوا عليه؛ لأننا لو قلنا: كلما تبين لحاكم أن اجتهاده الأول خطأ، وجب عليه نقضه، لاختلت أحكام الناس، حتى لو كان قاضياً، فأفتى بصحة الصلاة مثلاً، ثم تبين له أن فتواه خطأ، فإنه لا يلزمه أن يرجع في الفتوى الأولى.

مثال ذلك: لو أن رجلاً أفتى شخصاً أكل لحم إبل، بأن صلاته صحيحة، بناءً على أنه تبين له باجتهاده أن لحم الإبل لا يُنْقَضُ الوضوء، ثم بعد أن نُوقِشَ تبين له أن لحم الإبل يُنْقَضُ الوضوء، فهل نقول: يلزمه أن يُبلغ الرجل الأول بإعادة الصلاة؟ الجواب: لا، وحتى الأول لو علم أن المفتي تغير اجتهاده لا يلزمه أن يعيد الصلاة،

ويُدلُّ على هذا كتاب أبي موسى الذي كتبه له عمر رضي الله عنه:

أنه إذا تبين له حقٌ فلا يَمْنَعُه من قضاءه بالأمس عن القول بالحق، فإن الرجوعَ للحق خيرٌ من التماسي في الباطل ^(١).

وأما العبارة ففيها شيءٌ من القلق؛ أي: قوله: «فأخطأ خلاف الرسول». لكن من الممكن أن نُقدِّر المعنى: أخطأ فقال بخلاف الرسول، أو نقول: إن «أخطأ» تُضَمُّنُ معنى «قال»، أو معنى «حكم» خلاف الرسول، ولا إشكال فيها.

أما الحديث الذي ساقه رحمته الله، فاستدلَّ به أصحاب الحيل على جواز الحيل، وقالوا: إن الرسول ﷺ قال: «لا تفعلوا. ولكن مثلاً بمثل، أو يبيعوا هذا واشتروا بثمانه من هذا» ^(٢).

ولا شك أن قوله: «مثلاً بمثل». لا حيلة فيه، لأنه قال: اشترُوا صاعاً من هذا بصاع من هذا، أو يبيعوا هذا واشتروا بثمانه من الطيب. فالأول عادة لا يُمكنُ - هو مثلاً بمثل - والثاني ممكنٌ.

وفيه دليلٌ على أن الإنسان إذا ذكر للناس ما يُمنعون منه، فإنه يذكُرُ لهم ما يباح لهم؛ لأن الرسول ﷺ لما قال: لا تفعلوا. قال: «ولكن». فعلمهم المباح، وهذا من الحكمة.

فأنت إذا رأيت الناس يعملون عملاً محرماً، فلا تقصر على قولك هذا محرّم فقط، بل افتح لهم الباب؛ أي: باب المباح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْذِيرُ ۖ أَمْتُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَفُؤُولُوا أَنْظَرَنَا﴾ ^(٣) [١٠:٤] فاتاهم بالبديل.

وفيه أيضاً: أن الإنسان الذي يُسيء في إدارته، لا ينبغي أن نعرِّله عن الإدارة، حتى نجد البديل؛ لئلا تبقى الإدارة شاغرة من المدير، اللهم إلا أن يكون بقاءه أفسد من شغورها، فهذا شيء آخر.

واستدلَّ بهذا الحديث جماعة من العلماء على جواز بيع العينة، وقالوا: لأن قوله: «بع واشتر». لم يقل: اشتر من غير هذا، ولكن هذا ليس بصحيح؛ لأن الفعل لا يدلُّ على العموم، وإنما يدلُّ على الإطلاق فليس في الحديث صيغة عموم، بل فيها إطلاق ^(٤).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) راجع الفصل الذي عقده العلامة ابن القيم رحمته الله تعالى تحت عنوان «الدلالة على تحريم الحيل» من كتابه «إعلام الموقعين» (٤/٥٢٣).

(٣) قال صاحب الإنصاف (٤/٣٣٥): ومن باع سلعة بنسيئة لم يجز أن يشتريها بأقل مما باعها نقداً إلا أن تكون قد تغيرت صفتها، هذه مسألة العينة، فعلها محرّم على الصحيح من المذهب، نص عليه، وعليه الأصحاب، وعند أبي الخطاب يحرم استحساناً، ويجوز قياساً، وكذا قال في الترتيب لم يجز استحساناً، وفي كلام القاضي

ثم على فرض أن فيها صيغة عموم، فهناك أدلة تدل على تحريم العينة: أدلة سمعية، وأدلة عقلية. أما السمعية: فحديث ابن عمر الذي في «السنن»، «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، فإن الله تعالى ينزل في قلوبكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»^(١). وهذا صريح في تحريم العينة.

ثم إن المعنى يقتضي ذلك، إذا قلنا: يحرم عليك أن تأخذ صاعاً من التمر الجيد، بصاعين من التمر الرديء، ثم قلنا: بيع التمر الرديء، على صاحب التمر الجيد، ثم اشتر منه بثمانه تمراً جيداً، فما الذي استفاده من البيع؟

الجواب: لا شيء، فهي حيلة واضحة، والشرع لا يحرم الأشياء لصورها، وإنما يحرمها لمعانيها، فإذا كان شراء صاع من التمر الطيب، بصاعين من التمر الرديء محرماً فبيع التمر الرديء على صاحب التمر الطيب، ثم شراؤه بثمانه تمراً طيباً يكون حراماً؛ لأنه حيلة واضحة. وأيضاً قوله: «لا تفعلوا». ليس فيه دليل على رد البيع الأول، وإنما فيه دليل على النهي عن الفعل في المستقبل.

لكن في بعض ألفاظ الحديث: «رُدُّوه»^(٢). فأمر برده، وحينئذ يكون فيه دليل على ما ترجم له البخاري رحمه الله، ولعله لم يذكر هذه اللفظة إما لأنها على غير شرطه، أو لأنها في سياق على غير هذا الطريق.

وقوله: «كذلك الميزان». أي: كذلك ما يؤزن، مثل: الذهب والفضة، فإنه لا يباع الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، فإن كان جيداً ورديئاً، فإنه يباع الرديء ويشتري بثمانه جيداً. ثم قال البخاري رحمه الله:

٢١- باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ

٧٣٥٢- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَادِ، عَنْ

مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ

وأصحابه القياس صحة البيع، قال في الفروع: ومرادهم أن القياس خولف لدليل راجح فلا خلاف إذا في المسألة، وحكى الزركشي بالصحة قولاً. اهـ

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٨/٢) (٤٨٢٥) وأبو داود (٣٤٦٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة (١١)، وتعليقه على السنن.

(٢) رواه مسلم (١٢١٦/٣) (١٥٩٤) (٩٧).

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ؛ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ؛ فَلَهُ أَجْرٌ »^(١).

قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِذَا الْحَدِيثَ أَبَا بَكْرٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ، فَقَالَ: هَكَذَا حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٢).

وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمُطَّلِبِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ^(٣).

هَذَا الْبَابُ بَيْنَ مَرَادِ الْبَخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْبَابِ الَّذِي قَبْلَهُ، مِنْ أَنَّ الْمَرَادَ الْحَاكِمُ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ مُخَالَفًا لِلنَّصِّ، فَإِنَّهُ يُنْقَضُ حُكْمُهُ، أَمَا إِذَا لَمْ يُخَالَفِ النَّصَّ، فَحُكْمُهُ الْأَوَّلُ صَحِيحٌ، وَيُؤْجَرُ أَجْرًا وَاحِدًا عَلَى اجْتِهَادِهِ.

أَمَا الَّذِي اجْتَهَدَ فَأَصَابَ، فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ أَجْرَيْنِ: الْأَجْرُ الْأَوَّلُ عَلَى اجْتِهَادِهِ، وَالثَّانِي عَلَى إِصَابَتِهِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يُؤْجَرُ عَلَى إِصَابَتِهِ، وَإِصَابَتُهُ بغير فعله في الواقع، فَهُوَ لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا الْاجْتِهَادُ؛ وَلِذَلِكَ يَجْتَهِدُ فَيُخْطِئُ تَارَةً، وَيُصِيبُ تَارَةً؟

الْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: إِنْ إِصَابَتُهُ لِلصَّوَابِ، وَإِظْهَارَهُ إِيَّاهُ يُؤْجَرُ عَلَيْهِ كَمَا يُؤْجَرُ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَزْرَعُ زَرْعًا، أَوْ يَغْرِسُ نَخْلًا فَتَأْكُلُ مِنْهُ الطَّيْرُ، مَعَ أَنَّهُ مَا قَصَدَ ذَلِكَ، فَالْفَعْلُ إِذَا كَانَتْ ثَمَرَتُهُ نَافِعَةً أَجْرَ صَاحِبِهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَصُولُ الثَّمَرَةِ بِاخْتِيَارِهِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ: « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ». قَدْ يُشْكَلُ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ، أَيُّهُمَا أَسْبَقُ، الْحُكْمُ أَوْ الْاجْتِهَادُ؟

الْجَوَابُ: الظَّاهِرُ أَنَّهُ الْاجْتِهَادُ، فَلَمَّا ذَا لَمْ يَقُلْ: إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ ثُمَّ أَصَابَ؟

فَيُقَالُ: إِنْ الْحَدِيثَ عَنْ حُكْمِ الْحَاكِمِ، وَأَنْ قَوْلَهُ: فَاجْتَهَدَ. يَعْنِي: حَكَمَ حَكْمًا مَبْنِيًّا عَلَى الْاجْتِهَادِ، وَهَذَا وَجْهٌ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ، لَا التَّرْتِيبِ الْمَعْنَوِيِّ أَيْ ذَكَرَ الْاجْتِهَادَ بَعْدَ الْحُكْمِ وَإِنْ كَانَ الْاجْتِهَادُ سَابِقًا، وَالتَّرْتِيبُ الذِّكْرِيُّ مَوْجُودٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

(١) رواه مسلم (٣/١٣٤٣) (١٧١٦) (١٥).

(٢) هكذا رواه البخاري عقب الحديث (٧٣٥٢)، وقال الحافظ في «هدي الساري» ص ٧٠: رواية عبد العزيز بن المطلب المرسلة لم أجدها. اهـ.

(٣) انظر: «معجم الهوامع» (٣/١٩٥)، و«مغني اللبيب» (١/٥٩).

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ سَادَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ جَدُّهُ

فإن سيادة الأب هنا مقدمة على سيادة الابن، وسيادة الجد مقدمة على سيادة الأب، ومع ذلك جاء بثُمَّ الدالة على الترتيب، فيقال: إن هذا ترتيبٌ ذكريٌّ، وليس ترتيباً معنوياً.

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٣١٨/١٣):

بابُ «أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ». يُشِيرُ إلى أنه لا يلزم من ردِّ حكمه أو فتواه إذا اجتهد، فأخطأ أن يائمه بذلك، بل إذا بذل وسَّعه أجر، فإن أصاب ضوَّع أجره لكن لو أقدم فحكم أو أفتى بغير علم لحقه الإثم، كما تقدَّمت الإشارة إليه.

قال ابن المنذر: وإنما يؤجر الحاكم إذا أخطأ إذا كان عالماً بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم يكن عالماً فلا، واستدلَّ بحديث: «القضاء ثلاثة - وفيه - وقاضٍ قضى بغير حق؛ فهو في النار، وقاضٍ قضى وهو لا يعلم؛ فهو في النار». وهو حديثٌ أخرجه أصحاب السنن عن بُريدة بالفاظٍ مختلفة، وقد جمعت طرقه في جزءٍ مفرد.

ويؤيدُ حديثَ الباب ما وقع في قصة سليمان في حكم داود عليه السلام في أصحاب الحرث، وقد تقدَّمت الإشارة إليها فيما مضى قريباً، وقال الخطابي في معالم السنن: إنما يؤجر المجتهد إذا كان جامعاً لآلة الاجتهاد، فهو الذي نَعَزُّهُ بالخطأ، بخلاف المتكلف فيخاف عليه، ثم إنما يؤجر العالم؛ لأن اجتهاده في طلب الحق عبادة، هذا إذا أصاب، وأما إذا أخطأ فلا يؤجر على الخطأ، بل يوضع عنه الإثم فقط، كذا قال، وكأنه يرى أن قوله: «وله أجرٌ واحدٌ» مجازٌ عن وضع الإثم.

قوله: «عن محمد بن إبراهيم بن الحارث». هو التيمي، تابعي، مدني، ثقة، مشهور، ولأبيه صحبة، «ويُسَرُّ». بضم الموحدة وسكون المهملة، «وأبو قيس»، مولى عمرو بن العاص لا يعرف اسمه كذا قاله البخاري، وتبعه الحاكم أبو أحمد، وجزم ابن يونس في تاريخ مصر بأنه عبد الرحمن بن ثابت، وهو أعرف بالمصريين من غيره، ويُقَلُّ عن محمد بن سُحنون أنه سمى أباه الحكم وخطأه في ذلك، وحكى الدماطي أن اسمه سعد وعزاه لمسلم في الكنى.

وقد راجعتُ نسخاً من الكنى لمسلم فلم أر ذلك فيها، منها نسخة بخط الدراقطني الحافظ، وقرأت بخط المنذري «وقع عند السبتي» يعني: ابن حبان في صحيحه «عن أبي قابوس» بدل أبي قيس، كذا جزم به، وقد راجعتُ عدة نسخ من صحيح ابن حبان فوجدتُ فيها «عن أبي قيس» إحداها صحَّحها ابنُ عساكر، وفي السند أربعة من التابعين في نسق، أولهم يزيد بن عبد الله، وهو المعروف بابن الهادي، وما لأبي قيس في البخاري إلا هذا الحديث.

قوله: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب»، في رواية أحمد «فأصاب». قال القرطبي: هكذا وقع في الحديث بدأ بالحكم قبل الاجتهاد، والأمر بالعكس، فإن الاجتهاد يتقدم الحكم، إذ لا يجوز الحكم قبل الاجتهاد اتفاقاً، لكن التقدير في قوله «إذا حكم» إذا أراد أن يحكم فعند ذلك يجتهد، قال: ويؤيده أن أهل الأصول، قالوا: يجب على المجتهد أن يجدد النظر عند وقوع النازلة، ولا يعتمد على ما تقدم له لإمكان أن يظهر له خلاف غيره انتهى، ويحتمل أن تكون الفاء تفسيرية لا تعقيبية.

وقوله: «فأصاب» أي صادف ما في نفس الأمر من حكم الله تعالى. اهـ
إذا قوله: إذا حكم الحاكم فاجتهد. يعني: إذا أراد أن يحكم فاجتهد ثم حكم، أو نقول: الفاء هنا للترتيب الذكري، أو أن المعنى: إذا حكم حكماً مبنياً على الاجتهاد؛ أي: إذا حكم فكان مجتهداً، على كل حال فالمتفق عليه أن الاجتهاد لا بد أن يكون سابقاً على الحكم. والاجتهاد هنا يشمل الاجتهاد في دليل المسألة، والاجتهاد لا بد أن يكون في وسائل الحكم؛ يعني: الاجتهاد في الحكم ووسائله.

فوسائل الحكم: كأن يتحرى الشهود، ويسأل عن عدالتهم، وينظر في القرائن، وما أشبه ذلك، فكل هذا محل اجتهاد.
وكذلك في محل الحكم؛ أي: ما دل عليه الشرع، وهل يدل عليه النص، أو لا يدل؟ وهل يدل عليه ظاهراً، أو دلالة قطعية وما أشبه ذلك؟

الجواب: ظاهر الحديث أنه يتكلم عن المسائل العملية؛ لأنها هي محل الحكم، لكن لا شك أن المسائل العلمية مثلها؟ فإذا اجتهد الإنسان فأداه اجتهاده إلى شيء ما، وكان هذا الاجتهاد سائغاً فلا بأس، أما الاجتهاد غير السائغ فلا يقبل، والاجتهاد السائغ أن يكون ما قاله محتملاً في اللغة العربية، أو في قرينة السياق، وفي محل الحكم فإنه حيث يحدّر؛ ولهذا اختلف السلف حتى في المسائل العلمية، فاختلّفوا في عذاب القبر^(١)، واخلّفوا في الصراط، واخلّفوا فيما يوزن^(٢)، واخلّفوا هل رأى الرسول ربه^(٣)، فكل هذه

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٤/ ٢٦٢) وما بعدها.

(٢) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» ص ٤١٧.

(٣) روي مسلم في صحيحه (١٧٧) من حديث عائشة قالت: ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم الفرية. قلت ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. وانظر: «كلام شيخ الإسلام في مجموع فتاويه» (٥٢/ ٦).

المسائل علمية، ومن باب العقيدة.

وأما إطلاق بعض الناس أنه لا خلاف في العقيدة، فالمراد بها الأصل، أما المسائل الجزئية فقد يقع فيها الخلاف؛ يعني: أنهم لم يختلفوا في أنه سيكون وزن، وسيكون عذاب قبر، وسيكون صراط.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٢٢- باب الحجة على من قال: إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة، وما كان يعيب بعضهم

من مشاهد النبي ﷺ وأمور الإسلام.

٧٣٥٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي عَطَاءٌ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ أَبُو مُوسَى عَلَى عُمَرَ، فَكَانَهُ وَجَدَهُ مَشْغُولًا فَرَجَعَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، ائْذَنُوا لَهُ. فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّا كُنَّا نُوْمِرُ بِهَذَا. قَالَ: فَأَنِّي عَلَى هَذَا بَيِّنَةٌ أَوْ لَأَفْعَلَنَّ بِكَ. فَانْطَلَقَ إِلَى تَجْلِسِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: لَا يَشْهَدُ إِلَّا أَصَاغِرْنَا. فَقَامَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ فَقَالَ: قَدْ كُنَّا نُوْمِرُ بِهَذَا. فَقَالَ عُمَرُ: خَفِيَ عَلَى هَذَا مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، أَلْهَانِي الصَّفْقُ^(١) بِالْأَسْوَاقِ^(٢).

٧٣٥٤- حَدَّثَنَا عَلِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنَ الْأَعْرَجِ يَقُولُ: أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ، إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مَسْكِينًا أَلْزَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلءِ بَطْنِي، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ يَشْغَلُهُمُ الْقِيَامُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، فَشَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَقَالَ: «مَنْ يَنْسُطُ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضَهُ، فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي». فَسَطَطْتُ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَى، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ^(٣).

قال المصنف رحمه الله: «باب الحجة على من قال: إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة».

يعني: كانت معلومة لكل أحد، هكذا زعم بعض العلماء، وقال: إن الرسول ﷺ مبلّغ، والمبلّغ لابد أن يبلغ كل من أُرسل إليه، فلا بد أن تكون أحكامه ظاهرة^(٤).

(١) الصَّفْقُ: التَّبَاجُ. النهاية لابن الأثير (ص ف ق).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٦٩٤) (٢١٥٣) (٣٣).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٩٣٩) (٢٤٩٢) (١٥٩).

(٤) سيأتي بيان ذلك في كلام الحافظ قريباً إن شاء الله.

وقوله: «ما كان يغيب بعضهم من مشاهد النبي ﷺ وأمور الإسلام». يعني: أن بعض الصحابة يغيبون عن مشاهد الرسول ﷺ ولا يحضرونها، ولو قلنا بأنها تكون ظاهرة ما غاب أحد عنها، ولأحاط بها جميع الناس.

قال ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٣ / ٣٢١):

وقوله: «باب الحجة على من قال: إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة؛ أي: للناس لا تخفى إلا على النادر.

وقوله: «وما كان يغيب بعضهم عن^(١) مشاهد النبي ﷺ وأمور الإسلام». كذا للأكثر، وفي رواية النسفي، وعليها شرح ابن بطال: «مشاهده». ولبعضهم «مشهد». بالإنفراد، ووقع في مستخرج أبي نعيم، (ما كان يُفِيدُ بعضهم بعضاً) بالفاء والدال من الإفادة، ولم أره لغيره. «وما» في قوله: «ما كان». موصولة، وجوز بعضهم أن تكون نافية، وأنها من بقية القول المذكور، وظاهر السياق ياباه.

وهذه الترجمة معقودة لبيان أن كثيراً من الأكابر من الصحابة كان يغيب عن بعض ما يقوله النبي ﷺ، أو يفعله من الأعمال التكليفية، فيستمر على ما كان اطلع عليه هو، إما على المنسوخ لعدم اطلاعه على ناسخه، وإما على البراءة الأصلية. وإذا تقرر ذلك قامت الحجة على من قدم عمل الصحابي الكبير، ولا سيما إذا كان قد ولي الحكم على رواية غيره متمسكاً بأن ذلك الكبير لو لا أن عنده ما هو أقوى من تلك الرواية لما خالفها. ويرد أنه أن في اعتماد ذلك ترك المحقق للمظنون.

وقال ابن بطال: أراد الرد على الرافضة والخوارج الذين يزعمون أن أحكام النبي ﷺ وسننه منقولة عنه نقل التواتر، وأنه لا يجوز العمل بما لم يُنقل متواتراً. قال: وقولهم مردود بما صح أن الصحابة كان يأخذ بعضهم عن بعض، ورجع بعضهم إلى ما رواه غيره، وانعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الآحاد.

قلت: وقد عقد البيهقي في المدخل: باب: الدليل على أنه قد عُرِبَ على المتقدم الصحة الواسع العلم الذي يعلمه غيره، ثم ذكر حديث أبي بكر في الجدة، وهو في «الموطأ»، وحديث عمر في الاستئذان، وهو المذكور في هذا الباب، وحديث ابن مسعود في الرجل الذي عقد على امرأة، ثم طلقها، فأراد أن

يَتَرَوَّجُ أَمَّهَا، فَقَالَ: لَا بَأْسَ، وَإِجَازَتُهُ بَيْعُ الْفُضَّةِ الْمَكْسُورَةِ بِالصَّحِيحَةِ مُتَفَاضِلًا، ثُمَّ رَجُوعُهُ عَنِ الْأَمْرَيْنِ مَعًا، لَمَّا سَمِعَ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ النَّهْيَ عَنْهُمَا، وَأَشْيَاءُ غَيْرُ ذَلِكَ، وَذَكَرَ فِيهِ حَدِيثَ الْبَرَاءِ (لَيْسَ كُلُّنَا كَانَ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ) كَانَتْ لَنَا صَنْعَةٌ وَأَشْغَالٌ، وَلَكِنْ كَانَ النَّاسُ لَا يَكْذِبُونَ، فَيُحَدِّثُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ). وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ.

كَذَا حَدِيثُ أَنَسٍ: «مَا كُلُّ مَا نُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْنَاهُ، وَلَكِنْ لَمْ يُكْذَّبْ بَعْضُنَا بَعْضًا» ثُمَّ سَرَدَ مَا رَوَاهُ صَحَابِيُّ، عَنْ صَحَابِيٍّ مِمَّا وَقَعَ فِي الصَّحَابِيِّينَ، وَقَالَ: فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى إِتْقَانِهِمْ فِي الرِّوَايَةِ، وَفِيهِ أَبْيَنُ الْحُجَّةِ، وَأَوْضَحُ الدَّلَالَةِ عَلَى تَثْبِيتِ خَبَرِ الْوَاحِدِ، وَأَنْ بَعْضُ السَّنَنِ كَانَ يَخْفَى عَنْ بَعْضِهِمْ، وَأَنْ الشَّاهِدَ مِنْهُمْ كَانَ يُبَلِّغُ الْغَائِبَ مَا شَهِدَ، وَأَنْ الْغَائِبَ كَانَ يَقْبَلُهُ مِمَّنْ حَدَّثَهُ وَيَعْتَمِدُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ.

قُلْتُ: خَبَرُ الْوَاحِدِ فِي الْأَصْطِلَاحِ خِلَافُ الْمَتَوَاتِرِ، سِوَاءَ كَانَ مِنْ رِوَايَةِ شَخْصٍ وَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرٍ، وَهُوَ الْمَرَادُ بِمَا وَقَعَ فِيهِ الْإِخْتِلَافُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ خَبَرُ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ دُخُولًا أَوَّلِيًّا، وَلَا يَرُدُّ عَلَى مَنْ عَمِلَ بِهِ مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ الْبَابِ مِنْ طَلَبِ عُمَرَ مِنْ أَبِي مُوسَى الْبَيْتَةَ عَلَى حَدِيثِ الْإِسْتِذَانِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مَعَ شَهَادَةِ أَبِي سَعِيدٍ لَهُ وَغَيْرِهِ عَنْ كَوْنِهِ خَبَرَ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا طَلَبَ عُمَرُ مِنْ أَبِي مُوسَى الْبَيْتَةَ لِلْإِحْتِيَاطِ كَمَا تَقَدَّمَ شَرْحُهُ وَاضِحًا فِي «كِتَابِ الْإِسْتِذَانِ». وَإِلَّا فَقَدْ قَبِلَ عُمَرُ حَدِيثَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فِي أَخْذِ الْجَزِيَةِ مِنَ الْمَجُوسِ، وَحَدِيثَهُ فِي الطَّاعُونَ، وَحَدِيثَ عُمَرُو بْنِ حَزْمٍ فِي التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْأَصَابِعِ فِي الدِّيَةِ، وَحَدِيثَ الضُّحَّاكِ بْنِ سَفْيَانَ فِي تَوْرِيثِ الْمَرْأَةِ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا، وَحَدِيثَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَيْنِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَتَقَدَّمَ فِي الْعِلْمِ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَتَنَاقَشُ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَيَنْزِلُ هَذَا يَوْمًا وَهَذَا يَوْمًا، وَيُخْبِرُ كُلُّ مَنَّهُمَا الْآخَرَ بِمَا غَابَ عَنْهُ، وَكَانَ غَرَضُهُ بِذَلِكَ؛ تَحْصِيلُ مَا يَقُومُ بِحَالِهِ وَحَالِ عِيَالِهِ لِيُغْنِيَهُ عَنِ الْإِحْتِيَاجِ لْغَيْرِهِ، وَلِيَتَقَوَّى عَلَى مَا هُوَ بِصَدِيدِهِ مِنَ الْجِهَادِ. أَهـ

الْحَاصِلُ: أَنَّنَا عَرَفْنَا الْآنَ أَنَّ مَنْ قَالَ بِهَذَا هُمُ الرُّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْمَعَاصِرِينَ: مِنْ أَنَّ الْحَدِيثَ الْقَوْلِيَّ إِذَا لَمْ يُؤَيِّدْ بِعَمَلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُ لَا يُؤْخَذُ بِهِ، فَهَذَا أَيْضًا غَلَطٌ؛ لِأَنَّنَا مَكْلُفُونَ بِأَنْ نَقْبَلَ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا قِيلَ هَلْ عَمِلَ بِهِ الصَّحَابَةُ؟

الْجَوَابُ: نَقُولُ: هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا، عَمِلُوا أَمْ لَمْ يَعْمَلُوا، ثُمَّ إِنْ الْأَصْلُ أَنَّهُمْ عَمِلُوا ﷺ فَلَا حَاجَةَ إِلَى النُّقْلِ.

ومثل ذلك أيضًا: الأمور العلمية، فلا حاجة إلى أن نقول: أثبت أن الصحابة قالوا عنها: هكذا وهكذا.

كان يقول قائل: إن الله قال: ﴿وَجَاءَ رَيْكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [التكوير: ٢٢]. فما هو قول الصحابة في قوله ﴿وَجَاءَ رَيْكَ﴾. هل جاء نفسه، أو جاء أمره؟

الجواب: نقول: جاء بنفسه جعله، فيقول: أثبت لنا أن أبا بكر، أو عمر، أو عثمان، أو عليًا، أو ابن مسعود قال: جاء ريك؟ أي: نفسه. فنقول: لا حاجة لإثباتها؛ لأنهم يقرأون القرآن ويعرفون معناه، ولا يعتقدون خلافه. وهكذا يقال في الاستواء، وغيره من المسائل العلمية. فأيات الأحكام، وآيات الأخبار كلها سواء، والأصل أن الصحابة عملوا بآيات الأحكام، وصدقوا بالأخبار على ظاهرها، ولو قلنا: لا بد لكل حديث عملي من ثبوت أن الصحابة عملوا به؛ لضاعف كثير من الأحكام.

وهذا أيضًا كالذي يقول: إن أحكام الرسول ﷺ لا بد أن تكون ظاهرة معلنة، وكل أحد يعرفها. فهذا أيضًا غير صحيح؛ لأن كثيرًا من أخبار الرسول لم يزوها عنه إلا واحد، فحديث: «إنما الأعمال بالنيات» ^(١) لم يزوه إلا عمر مع أنه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول. وهذا يقتضي أن يكون عليًا، ومع هذا لم يزوه إلا واحد.

وحديث الطاعون، وفيه: أن المهاجرين والأنصار وعلى رأسهم عمر بن الخطاب عليه السلام لم يعملوا به، حتى جاء عبد الرحمن بن عوف، وكان قد ذهب في حاجة له، فأخبرهم أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليها» ^(٢).

فالحاصل: أنه لا يلزم أن نقول: إن أحكام الرسول ﷺ لا بد أن تكون ظاهرة؛ لأنه مرسل إلى جميع الخلق، فيجب أن يبلغ كل واحد؛ لأنه قول باطل بلا شك.

وأما حديث عمر عليه السلام ففيه: دليل على أن الإنسان إذا استأذن فلم يؤذن له ثلاث مرات، فإنه يرجع، فإن كلمه صاحب البيت، وقال: ادخل. فليدخل، وإن قال: ارجع فليرجع.

ولما كان الرجوع صعبًا على النفوس، جعل الله تعالى الرجوع من أسباب الزكاة فقال: ﴿وَلَنْ قِيلَ لَكُمْ اَرْجِعُوا فارجعوا هو اذكى لكم﴾ [التكوير: ٢٨]؛ أي: أذكى لك من أن تُصرَّ على أن تدخل، وإن كان فيه شيء من الغضاضة.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (١٧٤٠/٤) (٢٢١٩) (٩٨).

ومثل ذلك: إذا قال لكم أحدٌ في سيركم معه: ارجعوا، فإن هذا عنده شيءٌ خاصٌ، فإذا رجعتُم فهو أركى لكم.

وفيه أيضًا: دليلٌ على ثبوتِ عمر رضي الله عنه في الأخبار، كما سبق بيانه^(١).

أما الحديثُ الثاني فقيه: أن الاتهام - أي: اتهام الشخص - قد كان حتى في صدرِ هذه الأمة. وفيه: أن أبا هريرة رضي الله عنه أكثرُ الصحابةِ روايةً عن النبي ﷺ، ولكن هل هذا هو أكثرُ الصحابةِ تحملاً؟ الجواب: لا، فلا أظنه أكثرَ تحملاً من أبي بكرٍ رضي الله عنه وعمر؛ اللذين كانا يُلازمانِ النبي ﷺ دائماً في سفره، وإقامته، وقبل أن يُسلمَ أبو هريرةَ بزمانٍ، لكنَّ أبا هريرةَ تفرَّغَ وصار يُحدثُ الناسَ، فكثُرَ تلاميذه، وكثُرَت أحاديثه رضي الله عنه.

ثم هو أيضًا: أكثرُ من غيره تحملاً ولكنها كثرةٌ نسبية؛ لأنه كان فقيراً، وكان يُبعِ النبي ﷺ على سبعِ بطنه، والصحابةُ كثيرٌ منهم يشتغلون بالتجارة، وبالصفقِ في الأسواق؛ أي: أنهم يبيعون ويشترون؛ لأنَّ عقدَ البيعِ يُسمَّى صفقاً، والأنصارُ عندهم الحرثُ والزرعُ يشتغلون فيه.

وفي هذا الحديثِ أيضًا: هذه الآيةُ العظيمةُ التي حصلتَ له، حينَ قال النبي ﷺ: «مَنْ يَبْسُطْ رِدَاءَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي، ثُمَّ يَقْبِضْهُ فَلَنْ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي». يقولُ: فبَسَطَتْ بُرْدَةٌ كَانَتْ عَلَيَّ، فوالذي بعتهُ بالحقِّ ما نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ.

وظاهرُ الحديثِ: أن الله يُعْطِيهِ حَفْظًا في هذا الحديثِ وفي غيره.

فإذا قال قائلٌ: هل نفهم من حديثِ أبي هريرة أن ملازمةَ العلماءِ لتلقِّي العلمِ منهم، أفضلُ من الصفقِ في الأسواقِ؟

الجوابُ: نعم، وذلك إذا كان عندَ الإنسانِ ما يكفيه، أو كان لديه قوَّةٌ توكلُ، فلا شكَّ أن ملازمةَ العلماءِ للأخذِ منهم أفضلُ من كونه يَنْقَى هكذا.

أما إذا لم يكنْ عندَ الإنسانِ ما يكفيه، أو كان ضعيفَ التوكلِ، فإنه يُقدِّمُ حاجتهُ وحاجةَ عياله على فاضلِ العلمِ.

ولكن هل الأفضلُ الزواجُ، أم طلبُ العلمِ وملازمةُ العلماءِ؟

الجوابُ: هذا أيضًا يرجعُ إلى حالِ الشخصِ، فبعضُ الناسِ لا يطيقُ الصبرَ عن الزواجِ، حتى لو جلسَ عندَ العلماءِ تجدهُ يُفكِّرُ في الزواجِ، فهذا نقولُ له: تزوِّجْ أولاً. وبعضُ الناسِ لا

يَهْتَمُّ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَلِكُلِّ قَضِيَّةٍ حَكْمٌ خَاصٌّ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٣- بَابُ مَنْ رَأَى تَرْكَ النِّكَيرِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حِجَّةً، لَا مِنْ غَيْرِ الرَّسُولِ.

٧٣٥٥- حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ

سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَخْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ

الصَّائِدِ الدَّجَالِ. قُلْتُ: تَخْلِفُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَخْلِفُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ،

فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ^(١).

هذه الترجمة يَقُولُ فِيهَا رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنْ تَرَكَ النِّكَيرَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حِجَّةً، وَأَمَّا مِنْ غَيْرِهِ فَلَا. وَوَجْهُ

ذَلِكَ أَنَّ إِقْرَارَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الشَّيْءِ إِنْ كَانَ تَعْبُدًا فَهُوَ سَنَةٌ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ تَعْبُدٍ فَهُوَ مُبَاحٌ؛ لِأَنَّ

النَّبِيَّ ﷺ لَا يُقَرَّرُ عَلَى خَطَأٍ، أَمَا غَيْرُهُ فَقَدْ يُقَرَّرُ الْخَطَأَ، إِمَّا ذَهُولًا وَغَفْلَةً، وَإِمَّا خَوْفًا، وَإِمَّا حَيَاءً،

وَإِمَّا عَجْزًا أَوْ لَغْوًا ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا أُنْكِرَ عَلَى شَخْصٍ فَعَلَّ مِنَ الْأَفْعَالِ ثُمَّ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ هَذَا بِحَضْرَةِ الْعَالِمِ

الْفُلَانِيِّ، فَلَمْ يُنْكِرْ عَلَى. نَقُولُ: هَذَا لَيْسَ بِحِجَّةٍ؛ لِأَنَّ هَذَا الْعَالِمَ قَدْ يَكُونُ عَاجِزًا عَنِ الْإِنْكَارِ،

وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَهُ تَرَدُّدٌ فِي الْحُكْمِ، فَلَا يُحِبُّ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ عِنْدَهُ تَرَدُّدٌ، وَقَدْ يَرَى جَوَازَ هَذَا

الشَّيْءِ وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَلَكِنْ عَدَمُ إِنْكَارِ الرَّسُولِ ﷺ حِجَّةٌ.

وَقَوْلُ الْمُؤَلِّفِ: «بَابُ مَنْ رَأَى» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ رَأْيًا آخَرَ؛ لِأَنَّ مِنَ الْعُلَمَاءِ^(٢) مَنْ يَرَى أَنَّ

تَرْكَ الْإِنْكَارِ مِنَ الْعَالِمِ الْقَادِرِ عَلَى الْإِنْكَارِ حِجَّةٌ.

لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: هُوَ حِجَّةٌ عَلَى رَأْيِهِ؛ أَي: عَلَى أَنَّهُ يَرَى أَنَّ هَذَا جَائِزٌ، لَا عَلَى الْحُكْمِ

الْشَّرْعِيِّ، وَفَرْقٌ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ: فَإِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ حِجَّةٌ عَلَى أَنَّهُ يَرَى جَوَازَهُ، فَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ

يُقَرَّرْ إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ جَائِزٌ، لِاسْتِمَاءٍ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِنْكَارِ، أَمَا إِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ

الشَّيْءِ شَرْعًا فَلَا؛ لِأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ مَخْطِئًا فِي رَأْيِهِ، فَلَا يَكُونُ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/ ٣٢٣، ٣٢٤):

قَوْلُهُ: «بَابُ مَنْ رَأَى تَرْكَ النِّكَيرِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ حِجَّةً» النَّكَيرُ بَفَتْحِ النُّونِ وَزَنْ عَظِيمٍ:

الْمُبَالَغَةُ فِي الْإِنْكَارِ. وَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ تَقْرِيرَ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا يُفَعَّلُ بِحَضْرَتِهِ، أَوْ يُقَالُ وَيَطْلَعُ عَلَيْهِ

(١) رواه مسلم (٢٢٤٣/ ٤) (٢٩٢٩) (٩٤).

(٢) سِبَاطِي ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كَلَامِ ابْنِ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيبًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

بغير إنكارٍ دالٍّ على الجواز؛ لأنَّ العصمة تنفي عنه ما يَحْتَمِلُ في حقِّ غيره، مما يَتَرْتَّبُ على الإنكارِ، فلا يُقَرَّرُ على باطلٍ، فَمِنْ ثَمَّ قال: «لَا مِنْ غَيْرِ الرِّسُولِ». فإنَّ سكوتَه لا يدلُّ على الجواز، ووقع في تنقيح الزركشي في الترجمة بدلَ قوله: لَا مِنْ غَيْرِ الرِّسُولِ «لأمرٍ يحضُّرُه الرسولُ». ولم أرَه لغيره، وأشار ابنُ التينِ إلى أنَّ الترجمة تتعلَّقُ بالإجماع السكوتيِّ، وأنَّ الناسَ اختلفوا، فقالت طائفة: لَا يُنسَبُ لساكِتٍ قولٌ؛ لأنَّه في مهلة النظرِ، وقالت طائفة: إنَّ قال المجتهدُ قولاً وانتشر لم يُخالِفْه غيره بعد الاطلاع عليه فهو حجةٌ، وقيل: لَا يَكُونُ حجةً حتى يتعدَّدَ القيلُ به، ومحلُّ هذا الخلافِ أَلَّا يُخالِفَ ذلك القولُ نصَّ كتابٍ أو سنةً، فإنَّ خالفه فالجمهورُ على تقديمِ النصِّ، واحتجَّ مَنْ منع مطلقاً؛ أنَّ الصحابةَ اختلفوا في كثيرٍ مِنَ المسائلِ الاجتهادية، فمنهم مَنْ كان يُنكِرُ على غيره إذا كان القولُ عنده ضعيفاً، وكان عنده ما هو أقوى منه من نصِّ كتابٍ أو سنةٍ، ومنهم مَنْ كان يَسْكُتُ فلا يَكُونُ سكوتُه دليلاً على الجواز، لتجويز أن يَكُونُ لم يتَّضح له الحُكْمُ، فسكَّت لتجويز أن يَكُونُ ذلك القولُ صواباً، وإن لم يظهر له وجهه. اهـ

الحاصلُ: أنَّا عرفنا أنَّه حجةٌ على أنَّ هذا القولُ هو قولُ هذا العالم، لا على أنَّ هذا هو الصوابُ.

فإذا قال قائلٌ: أَلَا يَحْتَمِلُ أنَّ هذا العالمَ غلَّ، أو أنه ليس بقادر؟

الجوابُ: قلنا: الأصلُ عدمُ الغفلة، وأما أنه ليس بقادر فقد قيَّدناه بقولنا: مع القدرة فإذا فُعل عند العالم فعلٌ، وهو قادرٌ على إنكاره ولم يُنكِره، فهو دليلٌ على أنه يَرى جوازه؛ لأنَّ هذا هو الأصلُ وأنَّ العالمَ لَا يُقَرَّرُ شيئاً يَرى أنه حرامٌ.

وفي هذا الحديث: أنَّ ابنَ الصائدِ هو الدجالُ وليس المرادُ به الدجالُ المعينَ الذي يَخْرُجُ في آخرِ الزمانِ؛ لأنَّ ابنَ الصيادِ دخلَ مكةَ والمدينةَ، والدجالُ لَا يَدْخُلُ مكةَ والمدينةَ^(١) على أنَّ بعضَ أهلِ العلمِ يَقُولُ: هذا ليس بحجةٍ؛ لأنَّه ربما يَكُونُ ممنوعاً مِنْ مكةَ والمدينةِ إذا ظهرت فتنته، أما قَبْلَ ذلك فلا.

ولهذا اختلفَ العلماءُ رَحِمَهُمُ اللهُ هل ابنُ الصيادِ هو الدجالُ الذي يُبْعَثُ في آخرِ الزمانِ، أو هو دجالٌ مِنَ الدجاجلةِ والمموهين^(٢)؟

(١) رواه مسلم (٢٢٤١/٤) (٢٩٢٧) (٨٩).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «شرحهِ على صحيح مسلم» (٢٨١/٩): قال العلماءُ: وقصته مشكلة وأمره مشتبهِ في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره؟ ولا شك في أنه دجالٌ مِنَ الدجاجلة، قال العلماءُ: وظاهر

والأقرب الثاني: لأنه ثبت في الصحيحين أن الرسول ﷺ خطب يوماً فقال: «إنه على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد»^(١) والأصل أن العام شامل لجميع أفرادِهِ، و(أحد) نكرة في سياق النفي فيكون للعموم، وقد قرّر النبي ﷺ هذه القاعدة - أن العام شامل لجميع أفرادِهِ - في قوله «السلام علينا وعلى عبادِ الله الصالحين»، فقال: «إنكم إذا قُلتُم ذلك فقد سلّمتم على كلِّ عبدٍ صالحٍ في السماء والأرض»^(٢). لأن لفظ عبادِ الله من صيغ العموم.

وعلى هذا فيكون ابن الصياد داخل في العموم من أنه لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو على وجه الأرض أحد.

ووجه مطابقة الحديث للترجمة؛ أن عمرَ كان يَخْلِفُ على ذلك عند النبي ﷺ فلم يُنكرهُ. ثم قال البخاري رحمه الله:

٢٤- باب الأحكام التي تعرف بالدلائل وكيف معنى الدلالة وتفسيرها.

وقد أخبر النبي ﷺ أمر الخيل وغيرها، ثم سُئِلَ عن الحُمُرِ فدَلَّهم على قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [ص: ٢٢١]^(٣). وسُئِلَ النبي ﷺ عن الضبِّ، فقال: لا آكلُهُ ولا أُحرِّمُهُ، وأَكَل على مائدة النبي ﷺ الضبُّ، فاستدل ابن عباس بأنه ليس بحرام^(٤).

هذا الباب المقصود به معرفة الأحكام بالاستنباط والقرائن، فالاستنباط والقرائن لا شك أنهما من طرق ثبوت الأحكام؛ لأن طرق ثبوت الأحكام متعددة:

الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أُوحي إليه بصفات الدجال وكان في ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر رضي الله عنه «إن يكن هو فلن تستطيع قتله». اهـ

وانظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١١/ ٢٨٣)، و«تحفة الأحوذى» (٦/ ٤٢٦)، و«عمدة القاري» (٨/ ١٧٢).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٨)، ومسلم (٣٠١/ ١) (٤٠٢) (٥٥).

(٣) هكذا علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسندته في حديث الباب الذي معنا.

(٤) علقه البخاري أيضًا بصيغة الجزم وأسندته في الذبائح والصيد (٥٥٣٦)، (٥٥٣٧) من طريق عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب عن أبي أمامة بن سهل، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن خالد بن الوليد، به. وبغير هذا الطريق أيضًا.

فتارة يُنصُّ على الحكم بعينه.

وتارة يؤخذ بالقرينة.

وتارة يؤخذ بالعموم إلى غير ذلك.

في هذه الترجمة أخبر النبي ﷺ عن الخيل، وقال: «إن في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

وسُئل عن الحُمُر، فقال: «لم ينزل عليَّ فيها إلا هذه الآية الشاذة الفاضة»؛ يعني: المنفردة التي تُعتبر

حكمًا فاصلاً، ثم قرأ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزال: ٧]. يعني: أن الحمر ليس فيها خيرٌ لذاتها، ولا شرٌّ، لكن إن عملت فيها خيراً أثبت، وإن عملت فيها شراً عوقبت.

وسُئل عن الضَّبِّ، فقال: «لا آكلُهُ ولا أحرِّمُهُ». وعلَّل ذلك بأنه ليس في أرض قومِه فهو

يُعافُه، لكنه لم يُحرِّمهُ لأنه أُكل على مائدته ﷺ، أكله خالد بن الوليد، فاستدلَّ ابنُ عباسٍ ﷺ بأنه ليس بحرام؛ لأنه لو كان حرامًا لم يُقرَّ النبي ﷺ خالدًا ولا غيره على أكله.

واستدلَّ ابنُ عباسٍ ﷺ أيضًا: على أن أجرَ الحجَّام حلالٌ - مع أن النبي ﷺ قال: «كسبُ الحجَّام خبيثٌ»^(١) - بأن النبي ﷺ احتجَمَ وأعطى الحجَّام أجره، ولو كان حرامًا لم يُعطه^(٢).

كذلك أيضًا: نستدلُّ على جوازِ أخذِ الأجرة على القراءة على المريض، بأن النبي ﷺ أقرَّ الصحابة على أخذِ الأجرة على القراءة على المريض^(٣). ونأخذُ كذلك جوازَ الأجرة على تعليم القرآن من هذا الحديث.

فالحاصل: أن طرق الاستدلال كثيرة، فتكون بالقرائن، وبالنص، وبالعموم، وبغير ذلك، والناس يختلفون في هذا اختلافًا كثيرًا.

فمثلاً لو قال لك قائل: هل يجوزُ للإنسان أن يُصبحَ جنبًا وهو صائمٌ؟

الجواب: قل: نعم، يجوزُ؛ لأن الله قال: ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا وَعَدُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَّبِعَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَيْسُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فإذا جاز للإنسان أن يُباشِرَ زوجته إلى طلوع الفجر، لزم من ذلك أن يُصبحَ وهو جنبٌ.

والأمثلة على هذا كثيرة؛ من أن الحكم يكون بالنص على نفس الحكم، وبالعموم، وبالاستنباط، وبالإشارة، وبغير ذلك، والناس يختلفون في هذا اختلافًا كثيرًا، فتجدُ بعضُ الناس يأخذُ من نصٍّ واحدٍ

(١) رواه مسلم (١١٩٩/٣) (١٥٦٨) (٤١).

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٩)، ومسلم (١٢٠٥/٣) (١٢٠٢) (٦٦).

(٣) رواه البخاري (٥٧٤٩)، ومسلم (١٧٢٧/٤) (٢٢٠١) (٦٥).

عدة مسائل، وآخر لا يستطيع أن يأخذ ولا نصف الذي أخذه الأول.

ويذكر أن الشافعي رحمه الله استضافه الإمام أحمد بن حنبل، وكان الإمام أحمد بن حنبل يذكره عند أهله - أي: الشافعي - بخير، فنزل عليه ضيفاً ذات يوم، فقدم إليه العشاء فأكله كله؛ ثم انصرف الإمام أحمد وبقي الإمام الشافعي في فراشه، ولم يقيم في آخر الليل ليتجهّد، ثم أذن الفجر، فقام يصلي ولم يطلب ماءً للوضوء، فلما أصبح الإمام أحمد، قال له أهله: ما هذا الشيخ، أكل الطعام كله، ونام ولم يتجهّد، وصلى الفجر بغير وضوء؟ كل هذه عدوها عيوباً - فسأل الإمام أحمد الشافعي ما هو شأنك البارحة؟

فقال: أما الطعام فملأت بطني منه؛ لأنني لا أجد طعاماً أحل من طعام الإمام أحمد، فملأت بطني من هذا الطعام الحلال، ومِلءُ البطن عادة لا بأس بها، فإن أبا هريرة رضي الله عنه لما سقاه النبي ﷺ اللبن وروي، قال: «اشرب» قال: لا أجد له مساعاً يعني: امتلاً بطنه ^(١).

وأما كوني لم أتجهّد؛ فلأن العلم أفضل من التجهّد، وكنت أفكر في استنباط الأحكام من قول الرسول ﷺ: «يا أبا عمير ما فعل النغير» ^(٢) وأقل ما قيل إنه أخذ من هذا الحديث ثنيتين مسألة. وأما كوني خرجت ولم أتوضأ؛ فلأن وضوئي لم يتنقّض؛ لأنني ما نمت - يعني: وكأنه يقول لا أحب أن أكلّفكم بأن تأتوا لي بالماء.

الشاهد: أن الناس يختلّفون في استنباط الأحكام من الأدلة، ومن أكثر ما مرّ على من الذين يستنبطون الأحكام من الأدلة ابن القيم رحمه الله، فإن له مجالاً واسعاً، ويظهر ذلك تماماً من كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد»، وكذلك شيخنا عبد الرحمن بن السعدي رحمه الله، فله قوة في استنباط الأحكام، ويظهر ذلك تماماً في كلامه على آية الوضوء في سورة المائدة، فقد استنبط منها أحكاماً كثيرة ^(٣).

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٥٦ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ

(١) رواه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (١٦٩٢/٣) (٢١٥٠) (٣٠).

(٣) ذكر الشيخ رحمه الله واحداً وخمسين حكماً، ثم قال: إنه ينبغي أن يتدبر الحكم والأسرار في شرائع الله في الطهارة وغيرها، ليزداد معرفة وعلماً، ويزداد شكراً لله ومحبة له على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة. (ص ٢١٥).

أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجَرَ، وَلِرَجُلٍ سِتْرًا، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرًا، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ الْمَرْجُ وَالرَّوْضَةُ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ آثَارُهَا وَأَزْوَانُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرَدَّ أَنْ يَسْقَى بِهِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَتَعَفُّفًا وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظَهْرِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخَرًّا وَرِيَاءً، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وَزْرٌ». وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْحُمْرِ، قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَادَةُ الْجَامِعَةَ»: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿[٧: ٨-١٠]﴾^(١).

هذا الحديث هو الذي أشار إليه في الترجمة.

وقوله: «الفادَةُ الجامعة» ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وجه الجمع فيها أن «مَنْ» فيها شرطية، و«خيرًا» و«شرًّا» نكرة في سياق الشرط، فتعم.

ولقائل أن يقول: «الأيْدُلُ قوله: ولم ينسَ حقَّ الله في رِقَابِهَا ولا ظَهْرِهَا». أن في الخيل زكاة؟ الجواب: أنه لا يَدُلُّ على وجوب الزكاة؛ لأن من ظهورها أن يستعملها في الجهاد في سبيل الله، ومن رِقَابِهَا أيضًا أن يَقُومَ عليها بما يَجِبُ، فإن دَلَّ على شيء من ذلك فإنما يكون هو المراد وهذا لم يُعَدَّ للتجارة، وإلا فقد ثَبَتَ في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة»^(٢).

ثم قال البخاري رحمته الله:

٧٣٥٧- حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ صَفِيَّةَ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ - هُوَ ابْنُ عُقْبَةَ - حَدَّثَنَا الْفَضِيلُ بْنُ سُلَيْمَانَ النُّمَيْرِيُّ الْبَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ شَيْبَةَ، حَدَّثَنِي أُمِّي، عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْحَيْضِ كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْهُ، قَالَ: «تَأْخُذِينَ فِرْصَةً مُمْسَكَةً فَتَوْضِئِينَ بِهَا». قَالَتْ: كَيْفَ أَتَوْضَأُ بِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَوْضِئِي». قَالَتْ: كَيْفَ أَتَوْضَأُ بِهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَوْضِئِينَ بِهَا». قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَرَفْتُ الَّذِي يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) رواه مسلم (٢/ ٦٨٠) (٩٨٧) (٢٤) بطوله.

(٢) تقدم تخريجه في الزكاة.

فَجَذَبْتُهَا إِلَيَّ فَعَلَّمْتُهَا^(١).

الشاهد من هذا الحديث: أن هذه المرأة كرّر عليها النبي ﷺ الإجابة ثلاث مرات ولم تفهم ذلك، والمراد أنها تنتظف بها؛ لأن الوضوء في الشرع يُطْلَقُ على النظافة والتّزهر، ولكن عائشة رضي الله عنها عرفت ما أراد النبي ﷺ فأخبرتها بذلك.

وقد يفهم من هذا أن طرق الاستنباط غير محصورة؛ لأنها تنبني على قوة فهم الإنسان.

فإذا قال قائل: لكن ما هي الوسائل التي يحصل بها الإنسان ملكة الاستنباط؟

فالجواب أن يُقال: إن الوسائل التي يحصل بها الإنسان ملكة الاستنباط هي التّكرار والتدبير؛ لأن الذكاء كما نعلم جميعاً غريزي ومكتسب:

أما الغريزي فإلله تعالى يهبه لمن يشاء، وأما المكتسب فهو ما يحصل بفعل الإنسان وممارسته، وانظر إلى قضية سليمان مع المرأتين، فإن داود حكم بأن الولد للكبرى، وأما سليمان فطلب السكين؛ ليشتق الغلام نصفين، فأبت الصغيرة، ووافقت الكبيرة؛ فاستنبط من هذا أنه ابن الصغيرة التي أدركتها رحمة الوالدة وأبت أن يشتق^(٢).

ثم قال البخاري رحمته الله:

٧٣٥٨- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ أُمَّ حَفِيدَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنٍ أَهَدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَمْنًا وَأَقْطًا وَأَضْبًا، فَدَعَا بِهِنَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَكَلْنَ عَلَى مَائِدَتِهِ، فَتَرَكَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ كَالْمُتَقَدِّرِ لَهُنَّ، وَلَوْ كُنَّ حَرَامًا مَا أَكَلْنَ عَلَى مَائِدَتِهِ، وَلَا أَمَرَ بِأَكْلِهِنَّ^(٣).

٧٣٥٩- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَاحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا، فَلْيَعْتَزِلْنَا أَوْ لْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَعْتَزِلْ فِي بَيْتِهِ». وَإِنَّهُ أُنِيَ بِبَدْرٍ- قَالَ ابْنُ وَهْبٍ- يَعْنِي طَبَقًا- فِيهِ خَضِرَاتٌ مِنْ بُقُولٍ، فَوَجَدَ لَهَا رِيحًا، فَسَأَلَ عَنْهَا- فَأَخْبَرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْبُقُولِ- فَقَالَ: قَرَّبُوهَا فَقَرَّبُوهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ كَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَأَاهُ كَرِهَ أَكْلَهَا قَالَ: «كُلْ، فَإِنِّي أَنَا حِي مِنْ لَا تَنَاجِي»^(٤).

(١) رواه مسلم (١/ ٢٦٠) (٣٣٢) (٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٢٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٤) (١٧٢٠) (٢٠).

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٥٤٤) (١٩٤٧) (٤٦).

(٤) رواه مسلم (١/ ٣٩٤) (٥٦٤) (٧٣) عن ابن وهب إلى قوله: «فإني أنا حِي من لا تناجي».

وَقَالَ ابْنُ عَفِيرٍ: عَنْ ابْنِ وَهْبٍ بِقَدْرِ فِيهِ خَضِرَاتٌ. وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّيْثُ، وَأَبُو صَفْوَانَ، عَنْ يُونُسَ قِصَّةَ الْقَدْرِ، فَلَا أَذْرَى هُوَ مِنْ قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَوْ فِي الْحَدِيثِ^(١).

الشاهد من هذا: أن الرسول ﷺ قَرَّبَهَا إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ، فَكَرِهَ هَذَا الصَّاحِبُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ: «كُلْ، فَإِنِ أَتَانِي مِنْ لَا تُنَاجِي»؛ أَي: يُنَاجِي جَبْرِيلَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُنَاجِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ، فَالْمَصْلَى يُنَاجِي رَبَّهُ، لَكِنِ الرَّسُولُ ﷺ يُنَاجِي جَبْرِيلَ وَهَذَا الصَّحَابِيُّ لَا يُنَاجِيهِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ أَكَلَ شَيْئًا لَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ، فَإِنَّهُ يَعْتَزِلُ النَّاسَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «فَلْيَعْتَزِلْنَا»، أَوْ «لْيَعْتَزِلْ مَسْجِدُنَا». هَذَا شَكٌّ، لَكِنَّ قَوْلَهُ: «وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ». يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ اعْتَزَالَ النَّاسِ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْأَذْيَةِ بِالرَّائِحَةِ، وَمِثْلُ ذَلِكَ: الرِّوَائِحُ الْآخَرَى؛ كَمَنْ فِيهِ بَخَرٌ^(٢)، وَصَنَّانٌ^(٣) وَعَرَقٌ مُؤَذٍ، فَإِنَّهُ يَعْتَزِلُ النَّاسَ؛ لئَلَّا يُؤْذِيَهُمْ.

وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْمُؤْذِي فَالَّذِي يَضُرُّ مِنْ بَابِ أُولَى، فَمَنْ كَانَ فِي حُضُورِهِ ضَرَرٌ عَلَى النَّاسِ، مِثْلَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ جُذَامٌ - وَالْجُذَامُ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمَعْدِيَةِ - فَإِنَّهُ يُنْهَى عَنِ الْإِخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ؛ وَلِهَذَا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُورِدَ مُمْرَضٌ عَلَى مُصْحٍ^(٤). وَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: يَجِبُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ أَنْ يَجْعَلَ الَّذِينَ يَأْتِيهِمُ الْجُذَامُ فِي مَكَانٍ خَاصٍّ لَا يَخْتَلِطُونَ بِالنَّاسِ، خَوْفًا مِنَ الضَّرَرِ بِالْعَدْوَى^(٥).

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ يَلْزَمُ مِنْ هَذَا تَحْرِيمُ أَكْلِ الْبَصْلِ وَالْكَرَاثِ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الْأَيْحُضَرَ الْمَسْجِدَ؟

الْجَوَابُ: قُلْنَا: لَا، إِلَّا إِذَا أَكَلَهُ مِنْ أَجْلِ الْأَيْحُضَرِ الْمَسْجِدَ، فَحِينَئِذٍ يَكُونُ حَرَامًا، وَنَظِيرُ ذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ يُسَافِرُ فِي رَمَضَانَ فَيَقْطُرُ فَيَسْتَيْحِ بِسَفَرِهِ الْأَكْلَ وَالشَّرْبَ، وَالْجِمَاعَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، فَهَلْ نَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَافِرَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُوَدِّي إِلَى اسْتِبَاحَةِ الْمُحَرَّمَ؟

(١) علق البخاري رحمه الله هذه الرويات الثلاث بصيغة الجزم عقب الحديث. فأما حديث سعيد بن عفير فتقدم الكلام عليه في الأذان، [باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث] (٨٥٥)، وكذا حديث الليث، وانظر: «الفتح» ٣٤٢/٢، وأما حديث أبي صفوان فأسنده المؤلف في الأطعمة، باب ما يكره من الثوم والبقول (٥٤٥٢) وانظر «الفتح» ٥٧٥/٩.

(٢) الْبَخَرُ: الرَّائِحَةُ الْمُتَغَيِّرَةُ مِنَ الْفَمِ. اللَّسَانُ (ب خ ر).

(٣) الصَّنَانُ: دَفَرُ الْإِيطِ، وَقَدْ أَصَنَّ الرَّجُلُ؛ أَي: صَارَ لَهُ صَنَّانٌ. مختار الصحاح (ص ن ن).

(٤) رواه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (١٧٤٣/٤) (٢٢٢١) (١٠٤).

(٥) قال شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٦٠٥/٤): وَلَا يَجُوزُ لِلْجُذَامِ مَخَالَطَةُ النَّاسِ عَمُومًا، وَلَا مَخَالَطَةُ النَّاسِ لَهُمْ، بَلْ يَسْكُونُونَ فِي مَكَانٍ مُفْرَدٍ لَهُمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ، كَمَا جَاءَتْ بِهِ سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخُلَفَائِهِ، وَكَمَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ، وَإِذَا امْتَنَعَ وَلِي الْأَمْرِ مِنْ ذَلِكَ أَوْ الْمَجْذُومُ أَثَمَ بِذَلِكَ، وَإِذَا أَصَرَ عَلَى تَرْكِ الْوَاجِبِ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ فَسَقَ. وانظر: «كشاف القناع» (١٢٦/٦).

الجواب: لا، إلا إذا قصد بأن يُسافر من أجل الفطر، فهذا يحرم الفطر ويحرم السفر. وإذا كان الدخان يُؤذي أكثر من البصل، نقول لشارب الدخان: لا تدخل المساجد، ولا تحضر الصلاة، وهذا لو طبّقناها لكان فيها حلّ للمدخنين أن يتركوا الدخان.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٦٠- حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، وَعَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ، أَنَّ أَبَاهُ جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا بِأَمْرٍ، فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَمْ أَجِدْكَ، قَالَ: «إِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَأَتِي أَبَا بَكْرٍ». زَادَ الْحُمَيْدِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ ^(١).

الشاهد من هذا: أن الرسول ﷺ أمرها بأمر أن تفعله، فخافت ألا تجد النبي ﷺ إذا رجعت إليه، فأمرها أن ترجع إلى أبي بكر، وهو إشارة منه إلى أنه الخليفة بعده، ولكن هل هذا نص على أنه الخليفة، أو توقع من الرسول ﷺ أن الصحابة يكون رأيهم على أنه يكون هو الخليفة؟

الجواب: لا شك أنه توقع من الرسول ﷺ أن يكون أبو بكر رضي الله عنه هو الخليفة بعده؛ ولهذا جاء في الحديث: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» ^(٢).

قال الحافظ في «الفتح» ٣٣٣/١٣:

قوله: «زاد لنا الحميدي، عن إبراهيم بن سعد إلخ». يريد بالسند الذي قبله والمتن كله، والمزيد هو قوله: «كأنها تعني الموت». وقد مضى في مناقب الصديق بلفظ: «حدثنا الحميدي، ومحمد بن عبد الله»، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، وساقه بتمامه وفيه الزيادة، ويستفاد منه، أنه إذا قال: زادنا، وزاد لنا، وكذا زادني، وزاد لي، ويلتحق به، قال لنا، وقال لي، وما أشبهها، فهو كقوله: حدثنا، بالنسبة إلى أنه حمل ذلك عنه سماعاً؛ لأنه لا يستجيزها في الإجازة، ومحل الرد ما يشعر به كلام القائل من التعميم، وقد وجد له في موضع: زادنا، حدثنا، وذلك لا يدفع احتمال أنه كان يستجيز في الإجازة أن يقول: قال لنا، ولا يستجيز: حدثنا.

قال ابن بطال: استدلل النبي ﷺ بظاهر قولها: «فإن لم أجدك». أنها أرادت الموت، فأمرها

(١) رواه مسلم (٤/٨٥٦) (٢٣٨٦) (١٠) وقوله: زاد لنا الحميدي. قال الحافظ في «الفتح» (٣٣٣/١٣): يريد بالسند الذي قبله والمتن كله، والمزيد قوله: كأنها تعني الموت. وقد مضى في مناقب الصديق بلفظ: حدثنا الحميدي، ومحمد بن عبد الله قال: حدثنا إبراهيم بن سعد. وساقه بتمامه وفيه الزيادة. وانظر: «تغليق التعليق» (٥/٣٢٨).

(٢) رواه مسلم (٤/١٨٥٧) (٢٣٨٧) (١١).

يَأْتِيَانِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: وَكَأَنَّهُ اقْتَرَنَ بِسُؤَالِهَا حَالَةً أَفْهَمَتْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ تَنْتَقِ بِهَا، قُلْتُ: وَإِلَى ذَلِكَ وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ فِي الطَّرِيقِ الْمَذْكُورَةِ هُنَا الَّتِي فِيهَا: «كَأَنَّهُا تَعْنِي الْمَوْتَ». لَكِنَّ قَوْلَهَا: «فَإِنْ لَمْ أَجِدْكَ». أَعْمٌ فِي النَّفْيِ مِنْ حَالِ الْحَيَاةِ وَحَالِ الْمَوْتِ؛ وَدَلَالَتُهُ لَهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ مُطَابِقٌ لِذَلِكَ الْعُمُومِ، وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ الْخَلِيفَةُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ صَحِيحٌ، لَكِنَّ بِطَرِيقِ الْإِشَارَةِ لَا التَّصْرِيحِ، وَلَا يُعَارِضُ جَزَمَ عَمْرَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَسْتَخْلِفْ؛ لِأَنِّ مَرَادَهُ نَفْيُ النَّصِّ عَلَى ذَلِكَ صَرِيحًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: مَنَاسِبَةٌ هَذَا الْحَدِيثِ لِلتَّرْجُمَةِ أَنَّهُ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَمَنَاسِبَةٌ الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْمَلَكَ يَتَأَذَّى بِالرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ.

قُلْتُ: فِي هَذَا الثَّانِي نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ: «فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ» فَهَذَا حَكْمٌ يُعْرَفُ بِالنَّصِّ، وَالتَّرْجُمَةُ حَكْمٌ يُعْرَفُ بِالِاسْتِدْلَالِ، فَالَّذِي قَالَهُ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ مُسْتَقِيمٌ بِخِلَافِ هَذَا، وَالَّذِي أَشْرَتْ إِلَيْهِ مِنْ اسْتِدْلَالِ أَبِي أَيُّوبَ عَلَى كَرَاهِيَةِ أَكْلِ الثُّومِ بِامْتِنَاعِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جِهَةِ عُمُومِ التَّأْسِي أَقْرَبُ مِمَّا قَالَهُ. أَهـ

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ ﷺ:

٢٥- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ.

٧٣٦١- وَقَالَ أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعَ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ رَهْطًا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ، وَذَكَرَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الْكَذِبَ^(١).

قَوْلُهُ: إِنْ كَانَ «إِنْ» هَذِهِ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ؛ وَلَيْسَتْ نَافِيَةً، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَمَعَ ذَلِكَ رَبِّهَا يَأْتِي بِأَشْيَاءَ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَالْكَذِبُ فِي لُغَةِ الْحِجَازِيِّينَ، لَيْسَ كَالْكَذِبِ فِي لُغَةِ عَامَّةِ الْعَرَبِ، وَهُوَ أَنْ يَتَعَمَّدَ الْإِنْسَانُ الْإِخْبَارَ بِخِلَافِ الْوَاقِعِ، بَلِ الْكَذِبُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْخَطَأُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثٍ

(١) قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (١٣/ ٣٣٤): قَوْلُهُ: قَالَ أَبُو الْيَمَانِ، كَذَا عِنْدَ الْجَمِيعِ، وَلَمْ أَرَهُ بِصِیْغَةِ حَدَّثْنَا، وَأَبُو الْيَمَانِ مِنْ شَبَوَخَةٍ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَخَذَهُ عَنْهُ مَذَاكِرَةٌ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَرَكَ التَّصْرِيحَ بِقَوْلِهِ: حَدَّثْنَا، لِكَوْنِهِ أَثَرًا مَوْقُوفًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِمَّا فَاتَهُ سَمَاعُهُ، ثُمَّ وَجَدَتْ الْإِسْمَاعِيلِيُّ أَخْرَجَهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ الطَّيَالِسِيِّ، عَنِ الْبَخَارِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ، فَذَكَرَهُ فَظَهَرَ أَنَّهُ مَسْمُوعٌ لَهُ، وَتَرْجِيحُ الْإِحْتِمَالِ الثَّانِي، ثُمَّ وَجَدْتُهُ فِي التَّارِيخِ الصَّغِيرِ لِلْبَخَارِيِّ. قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَهـ. وَانْظُرْ: «تَغْلِيْقُ التَّعْلِيْقِ» (٥/ ٣٢٨).

سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ حِينَ قَالَ لَهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعَكَكٍ: وَاللَّهِ لَا تَتَزَوَّجِينَ حَتَّى يَمُرَّ عَلَيْكَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ وَكَانَتْ قَدْ نَفَسَتْ بَعْدَ مَوْتِ زَوْجِهَا بِلِيَالٍ، فَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ أَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَ أَبُو السَّنَابِلِ، فَقَالَ: «كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ»^(١). فَكَذَبَ هُنَا؛ بِمَعْنَى: أَخْطَأَ، فَالْكَذْبُ فِي لُغَةِ الْحَجَازِيِّينَ لَيْسَ كَالْكَذْبِ فِي لُغَةِ بَاقِيَةِ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ بِمَعْنَى الْخَطَأِ، وَالْمَخْطِئُ لَا يُقَالُ إِنَّهُ كَاذِبٌ فِي عَامَةِ لُغَةِ الْعَرَبِ. ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٦٢- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى آبَائِهِمْ وَإِسْتَعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أَوْحَى مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أَوْحَى النَّبِيُّونَ مِنْ دَيْهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾» [١٣٦:٢٢].

قَوْلُهُ: «لَا تُصَدِّقُوهُمْ»؛ أَي: لَا احْتِمَالُ أَنْ يَكُونُوا كَاذِبِينَ. وَقَوْلُهُ: «وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»؛ أَي: لَا احْتِمَالُ أَنْ يَكُونُوا صَادِقِينَ. وَقَوْلُهُ: «وَلَكِنْ قُولُوا: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى...﴾». وَنَحْنُ نَوْمُنُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ التَّوْرَةِ وَنَوْمُنُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْإِنْجِيلِ. لَكِنَّا لَا نَصَدِّقُهُمْ بِمَا نَسْبُوا إِلَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَكَذَلِكَ لَا نَكْذِّبُهُمْ؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونُوا صَادِقِينَ فَتُكَذِّبُهُمْ، أَوْ أَنْ يَكُونُوا كَاذِبِينَ فَتُصَدِّقُهُمْ، فَتُصَدِّقُ بِالْبَاطِلِ، أَوْ تُكَذِّبُ بِالْحَقِّ.

وَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنْ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ: مَا شَهِدَ شَرَعْنَا بِصَدَقِهِ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَصَدِّقَهُ، وَمِثَالُهُ قَوْلُ الْخَبَرِ مِنَ الْيَهُودِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ.... إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ فَصَدَّقَ النَّبِيُّ ﷺ^(١)، فَهَذَا نَقَبْلُهُ.

وَالثَّانِي: مَا جَاءَ فِي شَرَعْنَا تَكْذِيبَهُ، فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُكَذِّبَهُ، مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُمْ: إِنَّا نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الْعَرَبِ خَاصَّةً. فَهَذَا كَذِبٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي وَصْفِهِ: ﴿الَّذِي يَخْدُوكَهُ

(١) رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الْبُخَارِيُّ (٥٣١٨)، وَمُسْلِمٌ (١٤٨٤) بِغَيْرِ قَوْلِهِ: كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ. وَهُوَ عِنْدَ أَحَدٍ فِي مَسْنَدِهِ (٤٤٧/١) (٤٢٧٣). وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ (٣/٥): رَوَاهُ أَحَدُ وَرَجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨١١)، وَمُسْلِمٌ (٢١٤٧/٤) (٢٧٨٦) (١٩).

مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحْدِلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴿١٥٧﴾. وعيسى ابنُ مريمَ بَشَّرَ قَوْمَهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

والثالثُ: ما لم يَرِدْ في شرعنا تصديقه ولا تكذيبه، فالحقُّ والعدلُ ألا نُصَدِّقَ ولا نَكْذِبَ، فلا نُكْذِبُ فيكونُ صدقًا، ويكونُ تكذيبنا ردًّا للحقِّ، ولا نُصَدِّقُ فيكونُ باطلاً، ويكونُ تصديقنا إقرارًا للباطلِ، بل نقولُ: ﴿إِنَّمَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ...﴾. وهذا هو العدلُ والفضلُ.

أما هم فقد حَرَفُوا، وبدَّلُوا، وغيرُوا، فلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ وما أُنْزِلَ إِلَيْنَا، ويدُلُّ لذلك الحديثُ الذي بعده.

ثم قال البخاريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٣٦٣- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شُهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدُثُ، تَقْرَأُوهُ وَهُوَ مُحْضًا لَمْ يُشَبَّ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَلَا يَنْهَاهُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ. هذا كلامٌ جيدٌ من ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمْ أَحَدُثُ. وأحدثُ؛ يعني: أقربُ عهدًا؛ لأنَّ التَّورَةَ قَبْلَ الْإِنْجِيلِ، وَالْإِنْجِيلُ قَبْلَ الْقُرْآنِ، فَأَحَدُثُ كِتَابٌ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﷻ هُوَ الْقُرْآنُ، فَكَيْفَ يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ تَقَدَّمَ؟! إِنَّمَا يُسْأَلُ وَيَكُونُ الْحُكْمُ بِالْأَحَدِثِ.

ويقولُ أيضًا: «تَقْرَأُونَهُ مُحْضًا لَمْ يُشَبَّ». بخلافِ الكتبِ السابقة، فإنَّها مَشُوبَةٌ، فيها تبديلٌ، وتغييرٌ، وتحريفٌ، ولهذا قال: وقد حَدَّثَكُمْ: أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٧٨].

فكيف يوثقُ بهؤلاءِ أن يُسألُوا، ثم إذا جعلنا المسألةَ مِنْ بابِ المجازاتِ، نقولُ: هل رأيتُم أحدًا منهم يَأْتِي إِلَيْنَا، وَيَسْأَلُنَا عَمَّا نَزَلَ عَلَيْنَا؟

الجوابُ: لا، ولذا أقسم، وقال: «لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ. فكيف تَذْهَبُونَ أَنْتُمْ وَتَسْأَلُونَهُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ.

فلو قال قائلٌ: إنَّ أَرَادَ الْإِنْسَانُ بِسْؤَالِهِمْ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَتَأْيِيدَ مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ، فهل هذا جائزٌ؟

الجواب: نقول: هو جائز، ولكن هم غير مأمونين. وإلا فالأصل أنه جائز أن نسألهم من أجل أن نؤيد ما عندنا من الحق، وأن نقيم الحجة عليهم، لكن نعلم علم اليقين أنهم لن ينصحو لنا، كيف وقد قال الله عنهم ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [التوبة: ١٠٩]. وهم يقولون: ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّكُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [التوبة: ١٧٢]. تخذعونهم.

وعلى هذا: فلا يجوز أن نسأل أهل الكتاب عما يتعلق بالديانات أبدًا، ولا بالأخلاق، ولا بالآداب. ولكن يجوز أن نسأل الصناع منهم عن صناعتهم؛ لتقدمهم في الصناعة، كالطب لتقدمهم في الطب، بشرط أن نثق فيهم أيضًا؛ لأنهم قد يخبروننا بشيء في الصناعة ضد ما تكون فيه المصلحة. ويبعد فيما أظن - والعلم عند الله - أن يخبروننا بشيء نجاريهم فيه من الأسلحة؛ لأن ذلك يعني أنهم يعلموننا ما نقاتلهم به، وكذلك في الأدوية، يبعد أن يعطونا ما عندهم؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لاستغنينا عنهم، وهم لا يريدوننا أن نستغني عنهم. فالحاصل: أن حكم هذه المسألة؛ أي: مسألة الصنائع والطب تخضع إلى كل قضية بعينها، فقد يكون بعضهم عنده من النصح الفطري ما لا يمكن أن يغش في مهنته، وإن كان كافرًا، وإن كان عدونا، فيُنظر إلى كل قضية بعينها.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٢٦- باب كراهية الخلاف.

٧٣٦٤- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ سَلَامِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفْتُمْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»^(١). قال أبو عبد الله: سمع عبد الرحمن سلامًا.

٧٣٦٥- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»^(٢). قال أبو عبد الله:

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ هَارُونَ الْأَعْوَرِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ، عَنْ جُنْدَبِ بْنِ النَّبِيِّ ﷺ^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٠٥٣/٤) (٢٦٦٧) (٣).

(٢) رواه مسلم (٢٠٥٤/٤) (٢٦٦٧) (٤).

(٣) هكذا رواه البخاري عقب الحديث (٧٣٦٥) وقال الحافظ في التعليل (٣٢٩/٥): لم أجده عند يزيد بن

قوله: «بابُ كراهية الخلاف»، يعني: أنه ينبغي للأمة أن تتفق، وألا تختلف. وفيه: إشارة إلى ضعف الحديث الذي يروى: «اختلاف أمتي رحمة»^(١)، فإن هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، بل الخلاف ليس برحمة، وإنما عدم الأخذ بالمخالفة رحمة إذا صار عن اجتهاد، فإن الله تعالى لا يعذب من خالف عن اجتهاد.

وقوله: «كراهية الخلاف». المراد بالخلاف خلاف القلوب، أما لو اختلفت الآراء الصادرة عن اجتهاد فهذا شيء لا بد منه، ولهذا وقع الخلاف في عهد الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبي ﷺ، والدليل على هذا قوله: «اقرأوا القرآن ما اختلفت قلوبكم». يعني: ما اختلفت عليه قلوبكم، - فإذا اختلفت فقوموا عنه.

وفيه: إشارة إلى منع الحزبية في الإسلام، وأنه لا يجوز للمسلمين أن يتفرقوا أحزاباً، لأن الحزبية تستلزم الخلاف حتماً؛ ولهذا نجد الأحزاب، ﴿فَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [النحل: ٥٢]. فالكل يقول: الحق عندي والمخالفة لي ضال، فتتفرق الأمة، وهذا أمر معلوم؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَسْتَضَمُّنَّهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وفي الحديثين، بل هما حديث واحد: أنه إذا اختلف الناس هل يقرأ القرآن أو لا يقرأ؟ فإنه لا يقرأ؛ لقوله: «إذا اختلفتم فقوموا عنه».

وأما أن تفرض على الناس أن يقرأوا، فإن هذا لا ينبغي، وقد سبق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لا ينبغي للإنسان أن يقرأ على القوم إلا إذا وافقوا واختلفوا»^(٢). حتى غير القرآن فلا ينبغي أن تفرض على أناس أن تجلس إليهم، أو أن تفرض عليهم قراءة كتاب، أو موعظة، أو ما أشبه ذلك، إلا إذا علمت أنهم يرغبون ذلك؛ لأن هذا خلاف هدي السلف الصالح.

وفي هذا الحديث: إشارة إلى أنه ينبغي لنا أن نألف على معاني القرآن، ولا نختلف فيها، فإن حصل نزاع أو جدال، فلنتفرق، فلعل الخلاف يعود وفاقاً.

هارون، إلا عن همام. قال الدارمي في مسنده [٣١٨/٢] (٣٣٦٣): ثنا يزيد بن هارون، ثنا همام، ثنا أبو عمران، عن جندب به، وقال في أثره: [٣١٨/٢] (٣٣٦٢): هكذا رواه الدارمي في مسنده قبل الحديث السابق. حدثنا أبو النعمان، ثنا هارون الأعور، ثنا أبو عمران به، وانظر: الفتح (٣٣٦/١٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٦٦- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ النَّبِيُّ ﷺ - قَالَ: وَفِي الْبَيْتِ رَجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - قَالَ: «هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ». قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلِبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْآنُ، فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قُومُوا عَنِّي». قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ إِخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ^(١).

قوله: «لَمَّا حَضَرَ»؛ يعني: احتضر النبي ﷺ في الوفاة، أو قبل وفاته، المهم أنه عليم أنه مرتحل عن الدنيا، وكان في البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، فقال: «هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ».

ومن المعلوم أن الذي لن تَضِلُّ بعده، هو كتاب الله، كما قال النبي ﷺ في خطبة عرفة: «وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تَضِلُّوا بعده، كتاب الله»^(٢). لكن المراد بالكتاب هنا أن يكتب لهم كتابا في الخلافة، وأن الخليفة من بعده فلان بن فلان. فمنهم من وافق، ومنهم من خاف أن النبي ﷺ في حال مرض قد يقول قولاً يسوؤهم، ومن هؤلاء عمر بن الخطاب رحمه الله.

فاختلف الناس، فمنهم من يقول: يكتب، ومنهم من يقول: لا يكتب، ولكن مشيئة الله تعالى وحكمته اقتضت ألا يكتب، فكان هذا اللغط سبباً في عدم كتابته، ولا شك أن عدم الكتابة هو الحكمة؛ لأن الله تعالى قدر له من الموانع ما يمنعه، وإلا فإن السبب قائم؛ لأن الرسول طلب أن يكتب، لكن هذا السبب أوجد الله له ما يمنعه وهو اختلاف الصحابة رضي الله عنهم. فلما اختلفوا، وكثر اللغط، قال: قُومُوا عَنِّي. فقاموا عنه.

وفي هذا الحديث: إشارة إلى أن الرسول ﷺ يكتب لقوله: «هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا». ولقوله: «فمنهم من يقول: قَرَّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ». وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم بعد اتفاقهم، على أن النبي ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي كان لا يكتب، ولا يقرأ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِمِصْرٍ﴾ إِذَا لَأَزْتَابَ

(١) رواه مسلم (١٢٥٩/٣) (١٦٣٧) (٢٢).

(٢) رواه مسلم (٨٨٦/٢) (١٢١٨) (١٤٧).

الْمَبْطُورُ ﴿التَّحْقِيقُ: ٤٨﴾ . فهو قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ بِالِاتِّفَاقِ ^(١) .
لكن اختلفوا فيما بعد ^(٢) ، فمنهم من قال: إنه تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ، وَالرَّسُولُ ﷺ مِنَ أَشَدِّ
النَّاسِ ذِكَاً، وَتَوَقُّدَاً، وَفُطْنَةً وَلَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ، وَالْمَحْظُورُ الَّذِي يُخْشَى مِنْهُ
إِذَا كَانَ يَكْتُبُ قَدْ زَالَ .

وَاسْتَدَلُّوا لِلذَّكَاءِ بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَبِحَدِيثِ صُلْحِ الْحَدِيبَةِ أَنَّهُ كَتَبَ ﷺ ^(٣) .
وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: بَلْ إِنْ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَكْتُبُ، وَلَكِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْكِتَابَةِ، فَأُسْنِدَتِ الْكِتَابَةُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ
يَأْمُرُ بِهَا، وَأَنَّهُ ﷺ لَا يَكْتُبُ إِلَّا اسْمَهُ فَقَطْ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ، هَلْ تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ أَوْ لَا؟ وَلَكِنْ مَهْمَا كَانَ .
وَحَتَّى لَوْ قُلْنَا: بِأَنَّهُ صَارَ يَكْتُبُ وَيَقْرَأُ . فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُ شَيْئاً؛ لِأَنَّ الرِّسَالَةَ ثَبَّتَ بِالْوَحْيِ
وَكَانَ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ .

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي التَّفَرُّقُ عِنْدَ كَثْرَةِ اللَّغَطِ، وَالِاخْتِلَافِ؛ لِأَنَّ هَذَا
يَحُلُّ الْمَشْكَلَةَ؛ إِذْ لَوْ بَقِيَ النَّاسُ فِي مَكَانِهِمْ زَادَ اللَّغَطُ، وَزَادَ الْاخْتِلَافُ، وَرَبَّمَا يُوَدِّي إِلَى
الْمُقَاتَلَةِ؛ فَلِهَذَا كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً: إِذَا قَوِيَ الْغَضَبُ مِنْ شَخْصٍ - وَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ -
وَجَلَسَ إِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَاضْطَجَعَ إِنْ كَانَ جَالِساً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَهْدَأْ غَضَبُهُ - فَإِنَّ الْأَوَّلَى أَنْ يَنْصَرِفَ
حَتَّى تَنْتَهِيَ الْمَشْكَلَةُ .

وَفِي قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: إِنْ الرِّزْيَةُ كُلُّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ
ذَلِكَ الْكِتَابَ بَيَانُ أَنَّ هَذَا مِنْ رَأْيِهِ رضي الله عنه، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ مَا حَصَلَ مِنْ سَبَبِ عَدَمِ
الْكِتَابَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَقْضِي قَضَاءً إِلَّا وَالْحِكْمَةُ فِي هَذَا الْقَضَاءِ .

لَكِنَّهُ رضي الله عنه رَأَى هَذَا الرَّأْيَ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَوْ كَتَبَ لَكَانَ غَنِيمَةً، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ ابْنَ
عَبَّاسٍ رضي الله عنه لَا يُرِيدُ بِهَذَا الْإِنْكَارَ عَلَى الْقَدْرِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْإِنْكَارَ عَلَى السَّبَبِ، فَلَا يُقَالُ: إِنْ هَذَا مِنْ
بَابِ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى قَدْرِ اللَّهِ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى السَّبَبِ؛ الَّذِي هُوَ فَعْلُ الْعَبْدِ .

(١) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي الْجَوَابِ الصَّحِيحِ (٣٣٨/٥): بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ مِنْ حَالِهِ مَا يَعْلَمُهُ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ، وَهُوَ
مَعْلُومٌ لِجَمِيعِ قَوْمِهِ الَّذِينَ شَاهَدُوهُ، وَمَتَوَاتِرٌ عِنْدَ مَنْ غَابَ عَنْهُ وَبَلَغَتْهُ أَخْبَارُهُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَنَّهُ كَانَ أَمِيئاً لَا
يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَحْفَظُ كِتَاباً مِنَ الْكُتُبِ لَا الْمَنْزِلَةَ وَلَا غَيْرَهَا، وَلَا يَقْرَأُ شَيْئاً مَكْتُوباً، وَلَا كِتَاباً مَنْزِلاً وَلَا غَيْرَهُ وَلَا
يَكْتُبُ بِيَمِينِهِ كِتَاباً، وَلَا يَنْسَخُ شَيْئاً مِنْ كُتُبِ النَّاسِ الْمَنْزِلَةَ وَلَا غَيْرَهَا . أَهـ

(٢) انْظُرْ: تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ (٢٩٨/٧)، وَابْنَ كَثِيرٍ (٤١٨/٣) .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٩٩)، وَمُسْلِمٌ (٣/ ١٤١٠) (١٧٨٣) (٩٢) .

فإذا قال قائل: ما الجمعُ بينَ هذا الحديث، وبين قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]؟

الجمعُ أن يُقال: إن بينهما فرقاً، فالحديثُ فيما لو كان جماعةً اختلفوا في القرآنِ كأن يقول بعضهم: نقرأ، وبعضهم يقول: لا نقرأ، فنقول: اقطعوا النزاعَ بتركِ القراءة.

أو إذا اختلفوا في معنى آيةٍ من كتابِ الله، وكثر جدلُهم. منهم من يقول: معناها كذا. ومنهم من يقول: معناها كذا، فنقول: تفرقوا، وقوموا حتى يهدأ نزاعُكم واختلافُكم، ثم إذا شتمت فارجعوا. وأما الآيةُ فعند اختلافنا قبل أن نقرأ، فحينئذٍ نُحكِّمُ الكتابَ والسنةَ.

وهذا الحديثُ في الواقعِ يحتجُّ به من يحتجُّ، من أن الرسولَ ﷺ أراد أن يُوصي لعليِّ بنِ أبي طالبٍ، أو أوصى لعليِّ بنِ أبي طالبٍ، وأن الصحابةَ رضِيَ اللهُ عنهم اختلفوا في ذلك، وظلموه، ولا شكَّ أن هذا ليس بصحيح، فإنه مرَّ علينا أن عليَّ بنَ أبي طالبٍ قال: لم يُوصِ إلينا النبيُّ بشيءٍ إلا ما في هذه الصحيفة^(١).

ثم قال البخاريُّ رحمه الله تعالى:

٢٧- بابُ نهي النبيِّ ﷺ عن التحريمِ إلا ما تُعرفُ بإباحته.

وكذلك أمره نحو قوله حين أحلُّوا: أصيبوا من النساء. وقال جابرٌ: ولم يعزِم عليهم، ولكن أحلَّهنَّ لهم^(٢).

وقالت أم عطية: نهينا عن اتباع الجنائزِ ولم يعزِم علينا^(٣).

٧٣٦٧- حَدَّثَنَا الْمُكَلِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فِي أَنَسٍ مَعَهُ، قَالَ أَهْلَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَجِّ خَالِصًا لَيْسَ مَعَهُ عُمَرَةُ - قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: - فَقَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ صَبَحَ رَابِعَةٍ مَضَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَحِلَّ، وَقَالَ: «أَحِلُّوا وَأَصِيبُوا مِنَ النِّسَاءِ». قَالَ عَطَاءٌ: قَالَ جَابِرٌ: وَلَمْ يَعِزْمْ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ أَحَلَّهِنَّ لَهُمْ، فَلَمَّا أَنَا نَقُولُ لِمَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ إِلَّا خَمْسٌ أَمَرْنَا أَنْ نَحِلَّ إِلَى نِسَائِنَا

(١) تقدم تخريجه.

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسند فيه رواه من الأحاديث تحت هذه الترجمة (٧٣٦٧).

(٣) علقه البخاري بصيغة الجزم، أيضاً كما في هذه الترجمة وأسند في الجنائز، باب اتباع النساء الجنائز (١٢٧٨) وانظر الفتح (١٤٤/٣).

فَنَأْتِي عَرَفَةَ تَقْطُرُ مَذَاكِرَنَا الْمَذْيَ، قَالَ: وَيَقُولُ جَابِرٌ بِيَدِهِ: هَكَذَا وَحَرَكَهَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَتَقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَصْدُقُكُمْ، وَأَبْرُكُمْ، وَلَوْ لَا هَذِي لَحَلَلْتُ كَمَا تَحِلُّونَ فَحَلُّوا، فَلَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ». فَحَلَلْنَا وَسَمِعْنَا وَأَطَعْنَا^(١).

٧٣٦٨- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ الْمُزْنِي، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ - قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ - لِمَنْ شَاءَ». كَرَاهِيَةً أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً.

يقول البخاري رحمه الله: «بَابُ نَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ التَّحْرِيمِ إِلَّا مَا تُعْرِفُ إِبَاحَتَهُ». يعني: أن الأصل في نهي النبي ﷺ التحريم، فإذا نَهَى عن شيء صار محرماً.

وقوله: «إِلَّا مَا تُعْرِفُ إِبَاحَتَهُ»، أي: فيكون النهي فيه للتنزيه، وليس للتحريم. وكذلك أمره ﷺ، الأصل فيه الإيجاب، إلا ما عُرِفَتْ إِبَاحُهُ تَرْكُهُ، فإنه يكون الأمر فيه للندب. وهذا هو المعروف عند الأصوليين^(٢): أن الأصل في النهي التحريم، والأصل في الأمر الوجوب، إلا ما دلَّ الدليل على إباحته في الأمرين، فيكون للكرهية أو للندب؛ لأن ما كان مكروهاً كراهية تنزيهية يجوز فعله، وما كان مندوباً يجوز تركه، وإذا جاز تركه، أو جاز فعله؛ فهو للإباحة.

وقال بعض العلماء: الأصل في الأمر الاستحباب والندب، والأصل في النهي الكراهية دون التحريم، وعللوا ذلك بأن الأمر دائر بين الإيجاب والندب، والأصل براءة الذمة وعدم التأثيم بالترك، وهذا هو حقيقة المندوب؛ أن يكون مأموراً به غير آثم بتركه^(٣).

وقال بعض العلماء: ما كان الغرض منه إقامة المروءة، وهو ما يتعلّق بالآداب فالأمر فيه للندب، والنهي فيه للتنزيه، وما كان تعبدًا، وهذا ما يكون بين العبد وبين ربه؛ فإن الأمر فيه يكون للوجوب، والنهي للتحريم.

وهذا قول وسط، ويتخلّص به الإنسان من نصوص كثيرة في آداب الأكل والشرب وما

(١) رواه مسلم (٨٨٣/٢) (١٢١٦) (١٤١).

(٢) قال ابن حزم في «الإحكام» (٢٩٦/٣): الباب الثاني عشر: في الأوامر والنواهي الواردة في القرآن، وكلام النبي ﷺ والأخذ بظاهرها، وحملها على الوجوب والفور، وبطلان قول من صرف شيئاً من ذلك إلى التأويل، أو التراخي، أو الندب، أو الوقف بلا برهان، ولا دليل. اهـ.

وانظر: إرشاد الفحول (١/ ١٩٢)، والتبصرة (٣١/ ١)، والمُستَضْفَى (١/ ٢٠٤)، والتمهيد (١/ ٢٩١)، والمحصل (٢/ ٦٩).

(٣) انظر: المصادر السابقة.

أشبه ذلك، أو في آداب المعاملة بين الخلق كلها أو امرؤ، وبعضها قد أجمع العلماء على أنها ليست للوجوب، وعللوا ذلك بأن المروءة أدب، لا عبادة.

وإذا كانت أدباً فالتوجيه فيه يكون للإرشاد، سواء كان نهيًا أو أمرًا.

لكن ظاهر كلام البخاري رحمه الله أن النهي للتحريم مطلقًا، وأن الأمر للوجوب مطلقًا، واستدل بقول جابر: ولم يعزم عليهم. وهذا كان في أول الأمر - أي: لم يعزم على الناس أن يحلوا من إحرامهم، ويجعلوها عمرة - ولكن في ثاني الأمر أمرهم وحتم عليهم، وغضب لما تأخروا.

ولذلك ذهب كثير من العلماء إلى أنه يجب على من لم يسق الهدي إذا أحرم بحج أن يجعلها عمرة؛ ليصير متمتعًا.

وقوله: قالت أم عطية: نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا.

وقولها: «نهينا»، تعني: النساء وأما الرجال فالأمر في اتباع الجنائز في حقهم مشروع.

وقولها: ولم يعزم علينا. هذا تفقه منها رضي الله عنها، أو أنها رأت من أسلوب الرسول ﷺ في النهي ما يدل على أنه ليس للتحريم، فقالت: ولم يعزم علينا، ومن المعلوم أن صيغة النطق، وانفعال الناطق، يعبر عن الوجوب أو التحريم، فإذا قال: افعل - بصوت مرتفع مع الجزم - فهذا يدل على الوجوب، ولهذا كان فقه الصحابة لأوامر ونواهي الرسول ﷺ أعظم من فقه من بعدهم؛ لأن من يشاهد المتكلم حين كلامه يعرف أنه قد عزم في النهي أو في الأمر، ولا يعلمه من لم يره ويشاهده.

ولهذا تقول أم عطية هنا: ولم يعزم علينا. فهل هذا تفقه مستند إلى قرينة، أو مستند إلى مجرد فهم؟

الجواب: قال بعض العلماء: إنه مستند إلى مجرد فهم، فنأخذ بالنهي ولا نأخذ بالتفقه.

وعليه يكون اتباع النساء للجنائز حرامًا، وأن قول أم عطية رضي الله عنها: «لم يعزم علينا»، هذا تفقه منها، أن نهي الرسول ﷺ للتحريم ^(١).

وقد يقال: يحتمل أنه مستنبط من القرينة؛ أي: من قرينة نهي الرسول ﷺ حين نهي، وقد سبق أن كيفية نطق الإنسان وانفعاله تدل على أمر زائد على النهي، أو على الأمر، فيكون قولها هذا. بمنزلة المرفوع استنادًا إلى القرينة الحالية التي هي مشاهدة النبي ﷺ لها.

ولكن هل هذا يدل على جواز زيارة النساء للقبور، وأن النهي ليس للتحريم؟

الجواب: لا يَدُلُّ؛ لأن هناك فرقاً بين اتباع الجنائز، وبين زيارة القبور، ففي اتباع الجنائز تمشي المرأة مع الجنازة، وحولها الرجال فلا يُخشى من النياحة، وشقَّ الجيوب، ولطم الخدود، ونتفَّ الشعور؛ لأن هذا مأمونٌ فيما إذا كانت متبعة للجنازة لكن إذا زارت المقبرة - أي: خرجت من بيتها لتزور المقبرة وهي وحدها فهذا إنشاء للزيارة لا اتباع للجنازة، ثم إنها قد تكون في المقبرة وحدها، فربما يحصل منها من الفعل المحرم، كالنياحة، وشقَّ الجيب، ولطم الخد، ونتفَّ الشعر ما لا يحصل منها باتباع الجنازة.

ولهذا من استدللَّ على جواز زيارة المرأة للقبور بهذا الحديث، فقد وضع الحديث في غير ما دلَّ عليه، واستدلَّ بما لا دليل فيه.

والصحيح أن زيارة المرأة للمقبرة، إن خرجت قصداً فإن ذلك حرام، بل هو من كبائر الذنوب، وإن لم يكن قصداً بأن مرَّت بالمقبرة ووقفت ودعت لأهل القبور بما ثبت عن النبي ﷺ، فإن هذا لا بأس به ^(١)، وبهذا يُجمع بين حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح مسلم، أن النبي ﷺ علمها ما تقول: إذا مرت بالقبور، وبين لعن زائرات القبور ^(٢).

وفي هذا الحديث: دليلٌ على مشقة تحوُّل الصحابة من الحج إلى العمرة، وأن ذلك شقٌّ عليهم كثيراً إلى حد أنهم صاروا يتكلمون من وراء النبي ﷺ، ويقولون: لمَّا لم يكن بيننا وبين عرفة إلا خمس أمراً أن نُحِلَّ إلى نسائنا، فنأتي عرفة نَقْطُرُ مذاكيرنا المني. فهذا كلام فيه شدة، لا من جهة الأثر المترتب على الحل، ولا من جهة توجيه الصحابة إلى الحل، ولكن لأن الوقت مبكرٌ والحج قريب، فكيف يأمرنا بأن نجعل الحج عمرة؟! ولكن لا شك أن قضاء الله أحق، وأن شرط الله أوثق، وأن الشرع لا يعارض بالعقل، فأَيُّ مانع يمنع من أن يتحلل الإنسان من عمرته قبل عرفة بخمس ليالٍ، أو بأربعة ليالٍ، أو بثلاث ليالٍ، أو بليتين، أو بليلة؟

وبه نعرف الفرق بين حال الصحابة رضي الله عنهم الذي تعجبوا أن يكون التحلل من العمرة قبل الحج بخمس ليالٍ، وبين قوم يأتون يوم عرفة إلى مكة ويتحللون بعمرة، فهؤلاء لم يتمتعوا بالعمرة إلى الحج، بل تمتعوا بالعمرة في الحج، والله عز وجل يقول ﴿فَنَمَتَّعَ بِالْعِمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾

(١) يشير الشيخ رحمه الله إلى حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلم (٢/ ٦٧٠) (٩٧٤) (١٠٣) وفيه: قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون».

(٢) رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢٠٤٣)، وحسنه الترمذي، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٤٨/٢٤).

[السنه: ١٩٦]. ورسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يُحْرَمُوا بالحجّ وذلك في ضُحَى اليوم الثامن، فإذا جاء اليوم الثامن فلا عمرة^(١)، إلا إذا كان التحلل منها، كأن يكون قبل الفجر، أو قبل أن تَطْلُع الشمس، أو حين طلوع الشمس قبل أن يَأْتِيَ وقت الانصراف، أو وقت الخروج إلى مني فهذا نعم، أما أن يتحلل الإنسان من العمرة والناس في الحجّ نقول: أنت لم تتمتع بالعمرة إلى الحجّ، بل تمتعت بالعمرة في الحجّ، فهذا زمن الحجّ.

وفي حديث جابر أيضاً: تقريب المعاني بالإشارة؛ لقول جابر بيده، وحركها، كأنه يُمَثِّلُ صورة تقاطر المني.

ولكن قول الصحابة هل يدلُّ على أنه لا بد من فَرْقٍ كافٍ بين التحلل من العمرة، ووقت الحجّ؟ الجواب: لا يدلُّ على هذا لكن يدلُّ على أنهم استغربوا كيف يأثمُّهم بالتحلل والزمن قريب.

وفي الحديث الثاني؛ أي: حديث عبد الله المزني: استحبَّابُ صلاة ركعتين بين أذان المغرب والصلاة؛ لقول النبي ﷺ: «صلُّوا قبل صلاة المغرب» لكن هذه ليست سنة راتبة؛ ولهذا قال: «لمن شاء» كراهية أن يتخذها الناس سنة راتبة.

وعلى هذا فنقول: الصلوات الخمس كلها لها سنة قبلها، لكن بعضها سنة راتبة، وبعضها غير راتبة، فالفجر سنته راتبة، والظهر راتبة، والعصر غير راتبة، والمغرب غير راتبة، والعشاء غير راتبة، والدليل على هذا: قوله ﷺ: «بين كل أذانين صلاة» قالها ثلاثاً، وقال في الثالثة: «لمن شاء»^(٢).

ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٢٨- باب قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ [النساء: ٣٨]، ﴿وَمَا أَوْزَعَهُمْ فِي الْأُمْرِ﴾ [التوبة: ١٠٩]،

وأن المشاورة قبل العزم والتبين؛ لقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٩]. فإذا عزم الرسول ﷺ لم يكن لبشر التقدم على الله ورسوله.

وشاور النبي ﷺ أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا له الخروج، فلما لبس لأمته، وعزم، قالوا: أقم فلم يمل إليهم بعد العزم، وقال: «لا ينبغي لنبى يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله»^(٣).

(١) رواه البخاري (١٥٧٢)، ومسلم (٨٨٤ / ٢) (١٢١٦) (١٤٣).

(٢) رواه البخاري (٦٤٢)، ومسلم (٥٧٣ / ١) (٣٠٤).

(٣) علقه البخاري بصيغة الجزم، واسندها الحاكم في المستدرک (١٢٨ / ٢) كتاب «قسم الفيء» قال: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، ثنا ابن وهب. وانظر: «تغليق التعليق» (٣٣٠ / ٥).

وشاور علياً وأسامةً فيما رمى به أهل الإفك عائشة رضي الله عنها، فسمع منها، حتى نزل القرآن، فجلد الرامين، ولم يلتفت إلى تنازعهم، ولكن حكم بما أمره الله ^(١)، وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة، لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ.

ورأى أبو بكر قتال من منع الزكاة، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوا: لا إله إلا الله. عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله». فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين ما جمع رسول الله ﷺ، ثم تابعه بعد عمر، فلم يلتفت أبو بكر إلى مشورة، إذ كان عنده حكم رسول الله ﷺ في الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة، وأرادوا تبديل الدين وأحكامه ^(٢).

وقال النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» ^(٣).

وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهلولا كانوا، أو شبانا، وكان وقفاً عند كتاب الله ﷻ ^(٤). قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَتَّبِعُهُمُ﴾ البقرة: ٢٣٨؛ أي: شأنهم، فالأمور العامة لا يتخذ الإنسان فيها قراراً عند الإشكال، إلا بعد المشاورة، فهذا يشمل الجمع الكثير، والجمع القليل. مثال ذلك: نحن الآن في الدرس إذا أشكل علينا قراراً نريد أن نتخذه، فإننا نشاوِر، لكن إذا علمنا المصلحة في شيء فإننا لا نشاوِر، وكذلك في الحكم العام، فولي الأمر، السلطان، والأمير، والوزير، وغيرهم إذا تبين لهم الأمر فلا حاجة للمشاورة، وإلا فلا بد من المشاورة؛ لأن الله أمر رسوله ﷺ، وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ التوبة: ١٥٩ وهو أسد الناس رأياً. ولأن الإنسان قد يخطئ؛ ولأنه إذا استبد بالامر كرهته الرعية، حيث يستبد فيها لا يتبين صلاحه، أما ما تبين صلاحه فالأمر فيه واضح، ولا حاجة للمشاورة.

(١) علقه البخاري أيضاً بصيغة الجزم، وأسند المؤلف في المغازي، باب حديث الإفك (٤١٤١).

وانظر «تغليق التعليق» (٣٣٢ / ٥).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم، وأسند المؤلف في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ (٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، وغيره وقد تقدم، وانظر «الفتح» (٢٥٠ / ٣)، و«تغليق التعليق» (٣٣٤ / ٥).

(٣) علقه البخاري بصيغة الجزم وأسند المؤلف في الجهاد، باب لا يعذب بعداب الله (٣٠٧) وغيره من طريق. وانظر: «الفتح» (١٤٩ / ٦)، و«تغليق التعليق» (٣٣٤ / ٥).

(٤) علقه البخاري بصيغة الخير وأسنده في تفسير سورة الأعراف باب: «خذ العفو وأمر بالعرف وأرض عن الجاهلين» (٤٦٤٢).

وانظر «الفتح» (٣٣٩ / ١٣)، و«تغليق التعليق» (٣٣٤ / ٥).

ولهذا لم يكن من هدي الرسول ﷺ أن يُشاوِرَ في كلِّ قضية، وإنما يُشاوِرُ في الأمور التي تعرّض، ولا يتبيّن له فيها شيء.

ومن هنا نأخذ أيضاً: أنه ليس من هدي الرسول ﷺ أن يُقيم مجلساً للتشاوِر؛ كمجلس الشورى وما أشبهه، فإن الرسول لم يتخذ مجلساً للشورى، لكن إذا نزلت النازلة، وأُشْكِلَ عليه الأمرُ شاوَرَ فيه.

فعلى كل حالٍ الحاصل: أن الله ﷻ يقول: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ وهذه حكاية لحال المسلمين، وأن أمرهم لا يستند به أحدهم.

وقوله ﷻ: ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ يأمر النبي ﷺ أن يُشاوِرَهم في الأمر؛ أي: في الشأن الذي يكون بينه وبينهم.

ثم قال البخاري: «وأن» وفي نسخة «وإن» المشاورة قبل العزم التبيين؛ لقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾. ومثل ذلك الاستخارة أيضاً لا تكون في كل شيء فقول النبي ﷺ: «إذا هم أحدكم بالأمر فليصل ركعتين»^(١)، مراده بالأمر الذي لا يتبين فيه وجه الصواب فإنه يستخير الله تعالى فيه، أما ما تبين فيه وجه الصواب فلا حاجة للاستخارة.

والاستخارة أيضاً تكون عند خفاء الأمر على الإنسان، هل يُقدّم أو يُخجّم؟ أما مع تبين الأمر فلا حاجة؛ ولهذا لا نقول لإنسان: يُشرع إذا أراد أن يُصلي أن يستخير، أو إذا أراد أن يصوم وغير ذلك، لكن الشيء الذي يخفى على الإنسان هو الذي يستخير الله تعالى فيه. وهل تقدّم الاستخارة أو المشورة؟

الجواب: نقول: أما الأمر العام الذي يكون بين الإنسان وبين غيره فتقدّم فيه المشورة؛ لأنه ربما يكون مع التشاوِر رأيٌ سديد لا يحتاج معه الاستخارة، وأما في المسائل الخاصة بك أنت؛ فتقدّم الاستخارة، وإذا اختار الله لك شيئاً فلا حاجة للمشاورة فيه.

فإذا قال قائل: ما هي المشورة، أو ما هي الاستشارة؟

الجواب: قلنا: الاستشارة هي تداوُلُ الرأي لِنَظَرٍ في خير الأمرين، ثم إنه سيأتينا إن شاء الله تعالى، أنه لا يستشير إلا من جمع بين أمرين: الأمانة والخبرة؛ لأنك إن استشرت من ليس بأمين فقد يخدعك، وإن استشرت من ليس عنده خبرة، فقد يضلّك بغير قصد، فلا بد من

شرطين: الأمانة، والخبرة، وسيدكُهما المؤلف إن شاء الله.

❖ وقوله: «وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأئمة من أهل العلم في الأمور المباحة؛ ليأخذوا بأسهلها؛ فإذا وضع الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ». الشاهد: قوله: «الأئمة من أهل العلم». وهذا ما أشرنا إليه؛ أي: الأمانة، والثاني: الخبرة، فإذا لم يكن أميناً فلا تستشره، وإذا لم يكن خبيراً فلا تستشره؛ لأن الأول لا يؤمن أن يخون، والثاني لا يؤمن أن يضل عن غير قصد.

ثم إن الخبرة في كل موضع بحسبه، فإذا كنت تريد أن تُسافر إلى بلد ما، فصاحب الخبرة فيها هو من عرف البلد، ولو كان من أجهل الناس بالعلم الشرعي، وإذا كنت تريد أن تستشير شخصاً في أمور شرعية، فعليك بأهل العلم في الشرع، المهم أن علم كل شيء بحسبه، لكن لا بد من الخبرة، ولا بد من الأمانة.

❖ وقوله: «وكان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أو شباناً، وكان وقافاً عند كتاب الله ﷻ».

هذا واضح وليس فيه إشكال، فعمر رضي الله عنه كان يجمع الناس ويستشيرهم في الأمر إذا نزل به، إذا لم يتبين فيه الصواب، سواء كانوا كهولاً أو شباناً، حتى كان يجمع إلى الكهول عبد الله بن عباس رضي الله عنه وهو صغير، فقال بعض الأنصار: كيف يدعو عبد الله بن عباس، ولا يدعو أبناءنا؟ فامتحنهم رضي الله عنه ذات يوم، وقال لهم: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ (٢) فسيح بحمد ربك وأستغفره إنّه كان ثواباً ﴿الفتح: ١-٣﴾.

قالوا: إن الله أمر نبيه إذا جاء النصر والفتح أن يستغفر، ويسبح بحمد ربّه. فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أقول: هذا أجل رسول الله ﷺ، يعني: أن الله أمره إذا جاء نصر الله والفتح أن يختتم حياته بالتسبيح والاستغفار؛ -لأن رسالته خُتمت بذلك- فقال: هكذا فهمتها^(١). فتأمل هذا الصغير، كيف كان أعلم بالمقاصد من هؤلاء الكبار، فحيث امتنع الأنصار الذين كانوا قد اعترضوا، وامتنعوا ورأوا أن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أهل بأن يكون في مجالس العلماء.



ثم قال البخاري رحمه الله تعالى:

٧٣٦٩- حَدَّثَنَا الْأَوْسِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ، وَابْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا، وَهُوَ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَأَمَّا عَلِيٌّ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقْ. فَقَالَ: «هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ بِرَيْبِكَ». قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَمْرًا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ؛ فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعِذِّرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغْنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا». فَذَكَرَ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ. وَقَالَ أَبُو أُسَامَةَ: عَنْ هِشَامٍ ^(١).

٧٣٧٠- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي زَكَرِيَاءَ الْغَسَّانِيُّ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «مَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ». وَعَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِالْأَمْرِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي. فَأَذِنَ لَهَا، وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلَامَ. وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ^(٢).

حديثُ الإفكِ هذا حديثٌ مشهورٌ معروفٌ، قد أنزل الله ﷻ فيه عشر آياتٍ؛ لعظمته؛ وشدة وقعِهِ على المسلمين إلى يوم القيامة، والذي تولى كِبَرُ هذا الأمرِ هو: عبد الله ابنُ أبي بن سلولٍ، فأشاعه، وأذاعه، وصار يمشي به في الناس، لا من أجل أن عائشة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - يحصلُ منها هذا الشيء، ولكن من أجل تدنيس فراشِ النبي ﷺ، فهذا هو أهمُّ شيءٍ عنده؛ وهو أن يَكُونَ هذا النبيُّ الذي اصطفاه الله ﷻ يكون - والعياذُ بالله - على الوصفِ الذي يُريده عبدُ الله بنُ أبي.

ولكن أنزل الله تعالى في ذلك عشر آياتٍ من كتابِ الله وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]. انظر؛ أي: جاءوا به من عند أنفسهم، وإلا فلا حقيقة للأمر أصلاً.

❦ وقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ﴾؛ أي: كما يتبادر للذهن، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. وصدق الله

(١) رواه مسلم (٢١٢٩/٤) (٢٧٧٠) (٥٦) وذكر قصة الإفك بتامها.

(٢) انظر: المصدر السابق.

ﷺ في أنه صارَ خيراً لعائشةَ، وللنبي ﷺ إلى أن تقوم الساعةُ.

الشاهد: أنه لما حصلَ الإفكُ المُفترى الكاذبُ، وصارَ حديثَ الناسِ - وحقَّ لهم أن يكونَ حديثهم؛ لأنه أمرٌ مفزعٌ موجهٌ مؤلمٌ - استشارَ النبي ﷺ أسامةَ بنَ زيدٍ، هل يفارقُ عائشةَ أو لا؟ وعلاقةُ أسامةَ بنِ زيدٍ بالرسولِ ﷺ أنه ابنُ مَوْلَاهُ؛ لأن أباه زيدَ بنَ حارثةَ عبدٌ، أهدته خديجةٌ للنبي ﷺ فأعتقه، وأسامةُ ابنُه، وكان النبي ﷺ يُحبُّ أسامةَ، ويُحبُّ أباه، وهو موضعُ ثقةٍ عنده.

فاستشاره، هل يفارقُ عائشةَ أو لا؟ والنبي ﷺ إنما فعلَ ذلكَ لا تهمّةَ لعائشةَ، ولكن ضاقتَ به الأرضُ من كلامِ الناسِ، فأرادَ أن يُريحَ نفسه، وإلا فإنه يَعْلَمُ أنها ﷺ أعظمُ الناسِ براءةً مما رُميتَ به، لكنَّ الإنسانَ إذا كانَ في مجتمعٍ كلُّهم يَخوضونَ في أهله - ولو كان يَعْلَمُ براءَتَهُم - فسوفَ يُريدُ أن يتخلصَ، لكن أسامةُ ﷺ أشارَ بالذي يَعْلَمُ من براءةِ أهله، وقال: إنها بريئةٌ، وأثنى عليها بما تستحقُّ.

أما عليٌّ، فلأن ما يَصيبُ النبي ﷺ من قَدحٍ يُصيبُه - لأنه ابنُ عمِّه - فعرضَ ﷺ أن يُطلقَها النبي ﷺ، وقال: لم يُضَيِّقِ اللهُ عليكِ، والنساءُ سواها كثيرٌ ومع ذلكَ أرادَ أن يَهوِّنَ الأمرَ على رسولِ اللهِ ﷺ ويُبعدَ عن الرسولِ ﷺ ما كانَ في قلبه من الضيقِ، فقال: سلِ الجاريةَ تُصدِّقُك؟ أي: بريرةً، فاسألها ماذا تَقِمُ على عائشةَ ﷺ، فسألَ النبي ﷺ الجاريةَ، فقالت: ما تَسْمَعُونَ ما رأيتُ أمراً أكثرَ مِن أنها جاريةٌ حديثةُ السنِّ - لأنه لما ماتَ الرسولُ ﷺ كانَ لها ثمانِ عشرةَ سنةً، وحديثُ الإفكِ كانَ لها حوالي أربعِ عشرةَ سنةً - تنأَمُ عن عَجينِ أهلها، فتأتي الداجنُ - أي: ما يكونُ في البيتِ من بهيمةٍ كالشاةٍ، والصغيرِ مِنَ الغنمِ، وما أشبهَ ذلكَ - فتأْكُلُ العَجينَ.

وهذا ليس فيه شيءٌ أبداً، فهذه طبيعةُ البشرِ، فبعضُ الناسِ ينامُ وكوبُ الشاي في يده وهم رجالٌ كبارٌ.

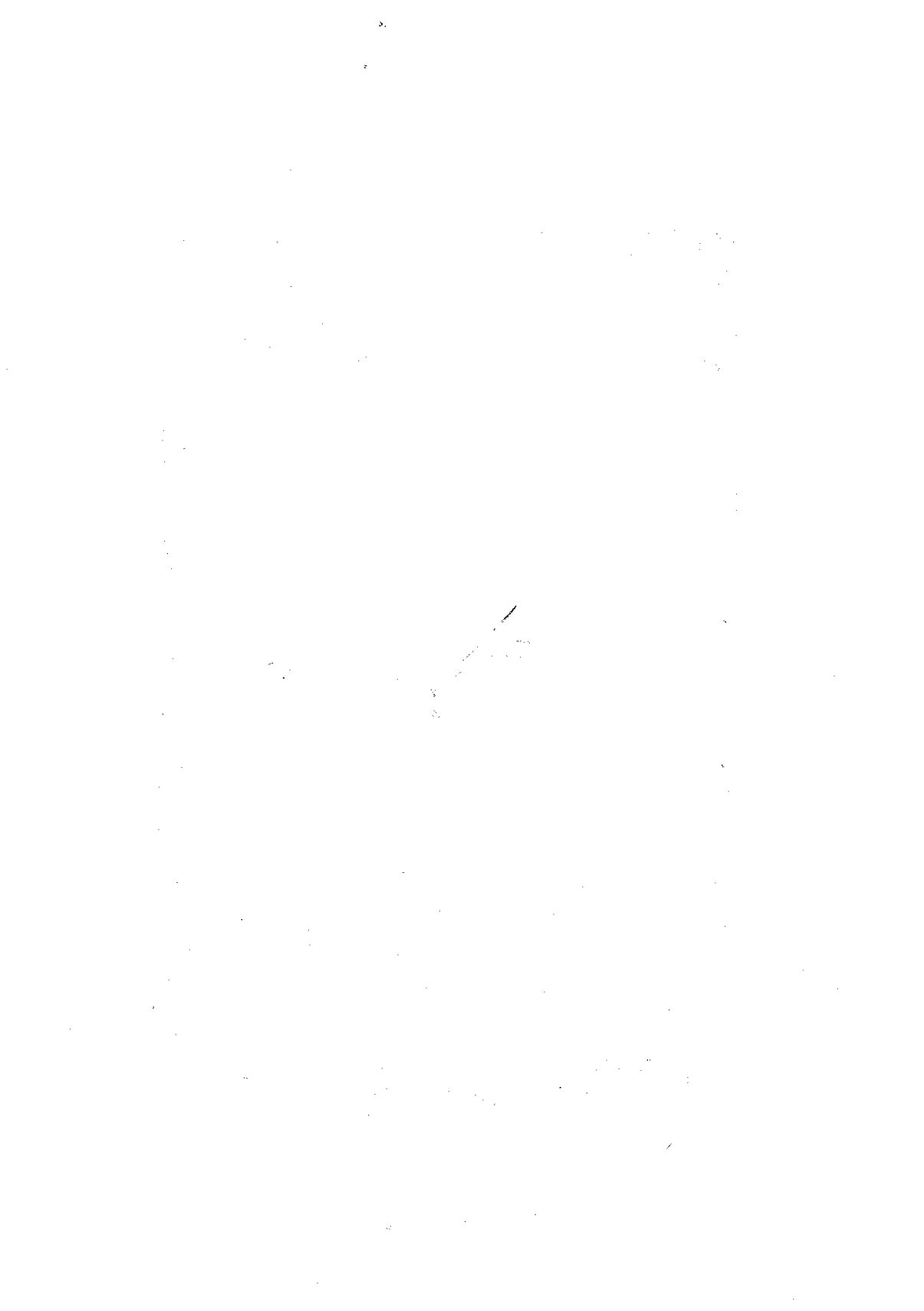
فعلى كُلِّ حالٍ: النومُ يَغلبُ على كُلِّ إنسانٍ، وليس فيه عيبٌ، ولهذا لما قالتِ الجاريةُ هذا القولَ اطمأنَّ النبي ﷺ ببعضِ الشيءِ، ثم قامَ على المنبرِ، يقولُ: «مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا؛ فذكرَ براءةَ عائشةَ والحمدُ للهِ.

فالشاهدُ من هذا: الاستشارةُ؛ أي: استشارةُ النبي ﷺ لأسامةَ بنِ زيدٍ، ولعلي بنِ أبي طالبٍ، وهكذا ينبغي للإنسانِ أن يتَّهَمَ رأيَه، وأن يَسْتَشِيرَ غيرهَ في الأمورِ التي تُشكِّلُ عليه، ولكن حَذاري من أن يَسْتَشِيرَ مَنْ ليسَ بأمينٍ، أو مَنْ ليسَ بذِي خبرةٍ، فإن ضررَ هؤلاءِ أكثرُ مِن نفعِهِم. وإلى هنا ينتهي هذا البابُ، يليه كتابُ التوحيدِ.

شَيْخ
صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

٧٥٦٣-٧٣٧١



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

هذا الكتابُ ختم المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ به «الجامع الصحيح»، كما ابتدأه بالوحي؛ لأنَّ الوحيَ به الابتداء، والتوحيدُ به الغاية، ولهذا كان مَنْ ماتَ وأخِرُ كلامِهِ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ^(١).
والتَّوْحِيدُ مصدرٌ وَحَّدَ يُوَحِّدُ؛ أي: جعلَ الشيءَ واحداً، وهذا في اللغة. ولا يَتِمُّ التَّوْحِيدُ إِلَّا إِذَا تَضَمَّنَ شَيْئَيْنِ: النفيَ والإثباتَ؛ لأنَّ النفيَ وحده تعطيلٌ وإخلاءٌ، والإثباتَ وحده لا يمنعُ المشاركةَ، فلا توحيدَ إِلَّا بإثباتٍ ونفيٍّ،
وطرقُ الإثباتِ والنفيِّ كثيرة؛ مثلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [طه: ٩٨]. ﴿وَاللَّهُ يَكْفُرُ بِالْإِلَهِ الْوَحِيدِ﴾ [الأنعام: ١٦٣].

المهمُّ: أن طرقَ التوحيدِ، أو طرقَ الإثباتِ والنفيِّ كثيرةٌ، لكنَّ التوحيدَ لا يَتِمُّ إِلَّا بأمرين: النفيِّ والإثباتِ، فإذا قلتَ: لا قائمَ في البيتِ. فهذا نفيٌّ، ومعناه انتفاءُ القيامِ عن مَنْ في البيتِ، وإذا قلتَ: زيدٌ قائمٌ. فهذا إثباتٌ، ولا يَمْنَعُ أن يكونَ غيرُهُ قائماً أيضاً، وإذا قلتَ: لا قائمَ في البيتِ إِلَّا زيدٌ. فهذا نفيٌّ وإثباتٌ يتضمَّنُ قيامَ زيدٍ وعدمَ مشاركةٍ غيره له في ذلك.
هذا الأخيرُ هو التوحيدُ، ولهذا لا بدَّ فيه من الركنينِ النفيِّ والإثباتِ، وكما تقدم أنَّ طرقَ النفيِّ والإثباتِ كثيرةٌ، ولا تختصُّ بصيغةٍ معيَّنة، وهذا في اللغةِ العربيةِ.

(١) رواه أبو داود (٣١١٦)، وأحمد (٢٣٣/٥) (٢٢٠٣٤)، والحاكم (٣٥١/١)، وابن منده في «التوحيد» (ق ٤٨/٢).
وحسنه الشيخ الألباني كما في «الإرواء» (٦٨٧)، وتعليقه على «العقيدة الطحاوية» ص ٧٨.

وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ: فَتَوْحِيدُ اللَّهِ ﷻ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يَخْتَصُّ بِهِ عِلْمًا وَعَقِيدَةً، سِوَاهُ كَانِ ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَوْ أَفْعَالِهِ، أَوْ عِبَادَتِهِ، فَالَّذِي يَخْتَصُّ بِاللَّهِ يَجِبُ إِفْرَادُ اللَّهِ بِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ مَعَهُ غَيْرُهُ.

وَقَدْ قَسَمَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ التَّوْحِيدَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَتَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ. فَأَمَّا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ: فَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِالْخَلْقِ وَالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ تُؤْمِنَ بِأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا مُدَبِّرَ إِلَّا اللَّهُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ ﷻ فِي الْمُصَوِّرِينَ: «يُقَالُ لَهُمْ: أَخْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(١). وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿الْحَقُّ: ١٧﴾.

قُلْنَا: الْخَلْقُ الثَّابِتُ لِلَّهِ غَيْرُ الْخَلْقِ الثَّابِتِ لِلْمَخْلُوقِ، فَالْخَلْقُ الثَّابِتُ لِلَّهِ هُوَ إِيجَادُ مِنْ عَدَمٍ، وَهَذَا لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ، وَالْخَلْقُ الثَّابِتُ لِلْمَخْلُوقِ تَغْيِيرٌ وَتَحْوِيلٌ، بِأَنْ يُحَوَّلَ الشَّيْءُ مِنْ شَيْءٍ إِلَى آخَرَ، أَوْ يُغَيَّرَ، فَهُوَ لَيْسَ إِيجَادًا.

مِثَالُ ذَلِكَ: الْبَابُ الَّذِي خَلَقَهُ إِيجَادًا هُوَ اللَّهُ، فَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ مِنَ الشَّجَرِ، وَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يَخْلُقَ شَجَرَةً حَتَّى يُكُونَنَّ مِنْهَا هَذَا الْبَابُ، لَكِنَّ خَلْقَ النَّجَارِ لِهَذَا الْبَابِ يُغَيَّرُ تَحْوِيلًا وَتَغْيِيرًا؛ أَي: حَوْلَ هَذَا النَّجَارِ الْخَشَبَةِ الَّتِي أَبْنَتْهَا اللَّهُ ﷻ إِلَى صُورَةٍ مُعَيَّنَةٍ، فَلَيْسَ بِخَلْقٍ.

ثُمَّ إِنْ خَلَقَ النَّجَارُ لَهَا كَانَتْ بِقُدْرَتِهِ -أَي: بِقُدْرَةِ النَّجَارِ- وَعِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَالَّذِي أَوْدَعَهُ الْعِلْمَ وَالْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ هُوَ اللَّهُ ﷻ، فَكَانَ خَلْقُ الْإِنْسَانِ أَوْ خَلْقُ النَّجَارِ لِهَذَا الْبَابِ قَرَعًا عَنْ خَلْقِ اللَّهِ ﷻ لَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ صِفَاتِ النَّجَارِ وَأَخْلَاقِهِ، وَالْإِنْسَانُ مَخْلُوقُ اللَّهِ ﷻ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَتَبَيَّنَ الْآنَ أَنَّ كُلَّ الْخَلْقِ يَدُورُ عَلَى اللَّهِ ﷻ.

كَذَلِكَ الْمُلْكُ الثَّابِتُ لِلَّهِ غَيْرُ الْمُلْكِ الثَّابِتِ لِلْإِنْسَانِ، فَإِلَّا نَسَانُ يَمْلِكُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحَهُ﴾ ﴿النَّحْل: ٦١﴾. وَ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ﴿النَّحْل: ٦٢﴾. لَكِنَّ مُلْكَ الْإِنْسَانِ لِلشَّيْءِ لَيْسَ كَمُلْكِ اللَّهِ لَهُ، فَمُلْكُ اللَّهِ لِلشَّيْءِ مُلْكٌ مُطْلَقٌ شَامِلٌ عَامٌّ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ يَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ مَا يَشَاءُ، لَكِنَّ مُلْكَ الْإِنْسَانِ لِلشَّيْءِ مُلْكٌ مُقَيَّدٌ، وَلَيْسَ تَامًّا، وَلَا شَامِلًا، فَإِلَّا نَسَانُ مِثْلًا يَمْلِكُ كِتَابَهُ، لَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ كِتَابَ غَيْرِهِ، وَاللَّهُ ﷻ يَمْلِكُ كُلَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَكَذَلِكَ فَإِلَّا نَسَانُ يَمْلِكُ الْكِتَابَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ، بَلْ تَصَرَّفُهُ فِي الْكِتَابِ تَصَرَّفٌ مُقَيَّدٌ بِحُدُودٍ شَرْعِيَّةٍ، وَلِهَذَا لَوْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِقَ هَذَا الْكِتَابَ لَغَيَّرَ سَبَبَ شَرْعِيٍّ لَمُنْعٍ مِنْهُ، وَلَوْ كَانَ مُلْكُهُ تَامًّا لَكَانَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ يَمْلِكُ الْبَعِيرَ فَهِيَ لَهُ يَرْكَبُهَا وَيَسْتَعِجُّ بِهَا، وَيَنْحَرُّهَا وَيَأْكُلُهَا، لَكِنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَنْ يُعَذِّبَهَا، فَلَوْ أَرَادَ أَنْ

يَخْفَرُ فِي ظَهْرِهَا جُرْحًا لَمْ يُمْكِنْ مِنْ ذَلِكَ، وَاللَّهُ ﷻ يَمْلِكُ هَذَا، فَيُخْرِجُ سَبْحَانَهُ غُدَّةً فِي ظَهْرِ الْبَعِيرِ تَنْجَرُحُ وَتَتَأَلَّمُ الْبَعِيرُ مِنْهَا، وَرَبِّمَا تَمُوتُ.

إِذَا: تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الْمُلْكَ الثَّابِتَ لِلخَالِقِ لَيْسَ كَالْمُلْكِ الثَّابِتِ لِلْمَخْلُوقِ.

كَذَلِكَ فِي التَّدْبِيرِ، الْإِنْسَانُ لَهُ تَدْبِيرٌ فِي مَلِكِهِ، فَهُوَ مِثْلًا يَقُولُ لَوْلِيْدِهِ: أَفْعَلْ كَذَا. وَلَوْلِيْدِهِ الْآخَرِ: أَفْعَلْ كَذَا، وَيُوجِّهُهُ، لَكِنَّ التَّدْبِيرَ الْمَطْلُوقَ يَكُونُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَاللَّهُ ﷻ يُدَبِّرُ كَمَا يَشَاءُ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ حَكْمَتُهُ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ، بِخِلَافِ الْإِنْسَانِ.

وَبِهَذَا تَبَيَّنَ انْفِرَادُ اللَّهِ ﷻ بِالْخَلْقِ وَالْمُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: وَهُوَ مِنْ تَمَامِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْحَقِيقَةِ، لَكِنَّ نَصَّ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ لَوْجُودِ الْخِلَافِ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ - أَيِ الْمُسْلِمِينَ - فَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ قِسْمًا مُسْتَقْلًا، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِذَاتِ الرَّبِّ، فَهُوَ مِنْ تَمَامِ الرُّبُوبِيَّةِ.

فَمَا هُوَ تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؟

الْجَوَابُ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ ﷻ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِحَيْثُ نُسِّبَتْهَا لَهُ إِبْتِثَاتًا بِلَا تَمَثُّلٍ، وَتَنْزِيْهًا بِلَا تَعْطِيلٍ، أَيِ: نُسِّبَتْهَا لِلَّهِ عَلَى وَجْهِ لَا يُثَابِلُ مَا لِلْمَخْلُوقِينَ مِنْ ذَلِكَ. مِثَالُ ذَلِكَ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَهُ يَدٌ، وَلِلْمَخْلُوقِ يَدٌ، لَكِنَّ يَجِبُ أَنْ تُوَحَّدَ اللَّهُ ﷻ بِإِيْدِهِ بِحَيْثُ نُسِّبْتُ لَهُ يَدًا لَا تَمِثِّلُ أَيْدِيَ الْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّكَ لَوْ جَعَلْتَ يَدَ الْمَخْلُوقِ مِثْلَ يَدِ اللَّهِ، أَوْ جَعَلْتَ يَدَ اللَّهِ مِثْلَ يَدِ الْمَخْلُوقِ كُنْتَ بِذَلِكَ مُشْرِكًا.

فَتَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِبْتِثَاتٌ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ تَمَثُّلٍ لَهَا بِمَا لِلْمَخْلُوقِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ يُسَمَّى الْإِنْسَانُ الْعَزِيزُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ أَمَرَأتُ الْعَزِيزِ﴾ [الشعراء: ٥١]. وَاللَّهُ ﷻ سَمَّى نَفْسَهُ بِالْعَزِيزِ، لَكِنَّ هَلِ الْعَزِيزُ الَّذِي سَمَّى بِهِ الْبَشَرَ كَالْعَزِيزِ الَّذِي سَمَّى بِهِ اللَّهَ؟

الْجَوَابُ: لَا، فَهِيَ يَخْتَلِفَانِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا، فَالْمَخْلُوقُ قَدْ يُسَمَّى بِالْعَزِيزِ، وَلَا عِزَّةَ لَهُ، أَمَّا الْخَالِقُ فَإِنَّهُ سَمَّى بِالْعَزِيزِ لِكَمَالِ عِزَّتِهِ.

وَقَدْ يُسَمَّى الْمَخْلُوقُ بِصَالِحٍ، وَلَيْسَ فِيهِ صِلَاحٌ، وَيُسَمَّى خَالِدًا وَهُوَ يَمُوتُ، لَكِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ ﷻ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَعَانِيهَا التَّامَّةِ.

فَبِذَلِكَ يَحْصُلُ الْفَرْقُ بَيْنَ مَا يَثْبُتُ لِلَّهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ، وَمَا يَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقِ، وَكَذَلِكَ نَقُولُ فِي الصِّفَاتِ. وَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

الْقِسْمُ الثَّلَاثُ: تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ بِأَنْ لَا يُعْبَدَ غَيْرُ اللَّهِ أَيَّا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْبُودُ، سِوَاءَ كَانَ مَلَكًا أَوْ رَسُولًا أَوْ وَلِيًّا أَوْ صَالِحًا أَوْ سُلْطَانًا أَوْ أَمَّا أَوْ أَبَا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ ذَلِكَ قِسْمًا بِرَأْسِهِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ.

فَتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يَقَعْ فِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ وَقَعَ فِيهِ

خلاف بين المسلمين والمشركون وتوحيد الأسماء والصفات وقَعَ الخلاف فيه بين المسلمين، فصارت الآن الأقسام ثلاثة من حيث اتفاق الناس عليها.

ولا يَرُدُّ على هذا التقسيم أنَّ من الناس مَنْ أنكر وجود الخالق؛ لأنَّ مَنْ أنكر وجود الخالق فقد عطلَّ تعطيلًا نهائيًا، والكلام مع مَنْ أثبت الخالق، أما مَنْ أنكر فلا كلام معه؛ لأنه لا يُثبِتُ الرَّبَّ، ولا غير الربِّ؛ وذلك مثل الشيوعية والدَّهْرِيَّة، وغيرهم كثير.

إذا: هل وقَعَ الخلاف بين المسلمين والمشركون في توحيد الربوبية؟

الجواب: لا؛ لأنَّ الله صرَّح في آيات كثيرة أنَّهم يُقرُّون بتوحيد الربوبية، فقال: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۝﴾ [الشورى: ٢٨٦-٢٨٧]؛ أي: سيقولون: الله هو ربُّ السموات السبع وربُّ العرش العظيم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ النَّفْسَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبِرُ الْأُمُورَ فَسَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۝﴾ [البقرة: ٣١]. وقال: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۝﴾ [البقرة: ٨٧]. فهُمْ يُقرُّون تمامًا بتوحيد الربوبية، لكنَّ توحيد الألوهية لا يتفق المسلمون والمشركون عليه؛ لأنَّ المشركون يُشْرِكُونَ بالله في توحيد الألوهية، فيعبدون مع الله غيره؛ مثل اللات، والعزى، ومناة، وهبل وغيرها من الأصنام المعيّنة بعينها، وغير المعيّنة.

فالمشركون لهم أصنامٌ معيّنة بعينها؛ كاللات والعزى ومناة وما أشبهها، ولهم أصنامٌ غير معيّنة، فمن سَفَهُهم أن الإنسان إذا نَزَلَ أرضًا اختار أربعة أحجار؛ ثلاثة منها يجعلها للقدَر، والأحسن منها يجعله إلهًا يعبده، وهذا سَفَهٌ عَجَبٌ!

فإذا قال قائل: ما هو الدليل على هذا التقسيم؟

قُلْنَا: الدليل على هذا التقسيم هو التَّبَعُ والاستِقْرَاءُ؛ أي: أن العلماء رَجَعُوا إِلَى اللَّهِ تَتَبَعُوا واستَقْرَعُوا ما حَصَلَ مِنْ أنواع الشِّرْكِ، فوجدوه يدور على هذه الأقسام الثلاثة.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

وفي نسخة: والرَّدُّ على الجَهْمِيَّة؛ الجَهْمِيَّةُ أتباعُ الجَهْمِ بنِ صَفْوَانَ، والجَهْمُ بنُ صَفْوَانَ ليس هو رأس الأمر في التعطيل، بل رأس الأمر في التعطيل شيخُه الجَعْدُ بنُ ذَرَّهَمٍ، لكنَّ الجَهْمَ كان قَصِيحًا بَلِيغًا نَشِيطًا، فَحَرَّكَ هذه الدعوة -دعوة التعطيل- ونَشَرَهَا وناظرَ عليها، وجادلَ فيها، فَنُسِبَ المذهبُ إليه، وإن كان المذهبُ في الأصل من الجَعْدِ بنِ ذَرَّهَمٍ.

وأول هذا المذهب الخبيث مَبْنِيٌّ عَلَى شَيْئَيْنِ: إنكار المحبة، وإنكار الكلام لله، قالوا: الله لا يحبُّ، ولا يَتَكَلَّمُ. وهذا هَذَمٌ للدين كُلِّهِ، لأنه إذا كان الله لا يحبُّ صارَ المؤمنُ والكافرُ عندَ الله سواءً وهذا تعطيل واضح، وإذا كان

لا يتكلم صارت الشرائع والخلق سواء؛ يعني: أن حكمه الكوني وحكمه الشرعي سواء وهذا تعطيل واضح، وأيضاً فإن إنكار الكلام إنكار للشرائع؛ لأن الشرع مما ثبت بالوحي، والوحي كلام فإذا أنكر الكلام أنكر الوحي، وهذا تعطيل واضح.

وعلى هذا فقول الجعد بن درهم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً هو إنكار تأويل لا إنكار جحد؛ لأنه لو كان يريد إنكار الجحد لأعلن على نفسه بالكفر؛ إذ إن من أنكر حرفاً واحداً من القرآن فهو كافر؛ لكنه أنكره إنكار تأويل، فقال: إن الله يتكلم، وإن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، لكن ليس على المعنى الذي تريدون، فهو قد اتخذ خليلاً من الخلّة بالكسرة وهي الاحتياج والفقر، وليست من الخلّة التي هي المحبة. أو أعلى أنواع المحبة.

وهو لم يكلم موسى تكليماً بمعنى الكلام الذي يُسمع، ولكن كلمه بمعنى: جرحه بمخالب الحكمة؛ لأن الكلم في اللغة بمعنى الجرح، ومنه قول النبي ﷺ: «ما من مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ في سبيلِ اللَّهِ إِلَّا جاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَلَّمُهُ يَتَعَبُ»^(١) دماً، اللون لون الدّم، والريح ريح المسك^(٢).

فمعنى كلم: جرح، وهذا على سبيل الاستعارة على كلامه، كأن الحكمة وخش لها أظفار جرح الله بها موسى^(٣).

ولا شك أن هذا كلام منكر عظيم، لكن من طبع على قلبه فإنه لا يرى الباطل باطلاً والعياد بالله.

ويقال: إنه لما خرج خالد بن عبد الله القسري ذات عيد من أعياد الأضحى، وكان قد حبس الجعد بن درهم، فخرج بالجعد بن درهم موثقاً، وخطب الناس وقال: أيها الناس، ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مّضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً. ثم نزل من المنبر، فدّبحه^(٤).

(١) قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢٩/٧): قوله ﷺ: «وجرحه يثعب». وهو بفتح الباء والعين وإسكان المثناة بينهما، ومعناه: يجري متفجراً؛ أي: كثيراً، وهو بمعنى الرواية الأخرى: يتفجر دماً.

وانظر «النهاية» لابن الأثير (ث ع ب)

(٢) رواه مسلم (١٨٧٦) (١٠٥).

(٣) قال الشيخ رحمه الله: إذا قال الله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]. فالقاعدة في اللغة العربية أن الفعل إذا أُكِّد بمصدر انتهى المجاز عنه؛ يعني: حتى القائلون بوجود المجاز في اللغة العربية يقولون: إن التأكيد ينفي احتمال المجاز، والآية مؤكدة ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فلا وجه لما ادعاه، ثم الآيات قاطعة بإثبات المحبة لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

رواه البيهقي في «سننه» (٢٠٥/١٠). والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦٤/١)، وفي «خلق أفعال العباد» (ص ١٢)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ١١٣).

(٤) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦٤/١)، وفي «خلق أفعال العباد» (ص ١٢)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ١١٣)، والبيهقي في «سننه» (٢٠٥/١٠) قال محقق كتاب «خلق أفعال العباد» الأستاذ بدر

وفي ذلك يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

ولأجل ذا ضحى بجفد خالد الـ قسري يوم ذبائح قربان
إذا قال إبراهيم ليس خليفه كلاً ولا موسى الكلبي الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة لله ذك من أخي قربان^(١)

ونحن نشكره أن ضحى بهذا الرجل الذي هو رأس هذه البدعة العظيمة.

وقول البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

«التوحيد والرّد على الجهمية». ويُفهّم من هذا الكلام أنّ الجهميّة في رأي البخاري رَحِمَهُ اللهُ ليسوا من أهل التوحيد؛ لأنه قال: التوحيد والرّد على الجهمية، وقد صرح كثير من العلماء بكفر الجهمية. وبعضهم فصل، وقال: المجتهد منهم كافر، والمقلّد العامي ليس بكافر. وبعضهم زاد قيداً في المجتهد، وقال: المجتهد الداعي إلى بدعته كافر، وغير الداعية -الذي تكون بدعته على نفسه- ليس بكافر.

وهذه المسألة -أعني: مسألة تكفير الجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة ونحوهم- تحتاج إلى نظر عميق، وفي كلّ قضية بعينها؛ لأنّ إطلاق الكفر، قد يدخل فيه من ليس بكافر، ونفي الكفر قد يخرج منه من هو كافر، والكفر حكم من أحكام الله لا يجوز لنا أن نطلقه على أحدٍ إلّا إذا علمنا أنّه يستحقّ هذا الوصف.

كما أن التحليل والتحریم من أحكام الله، فلا يجوز أن نطلق على شيء أنّه حلال أو حرام إلّا وعندنا فيه من الله برهان، بل الكفر أعظم؛ لأنّ الكفر فوق الحرام، وفوق الكبائر.

ثم قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ:

١- باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.

وقوله: «دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى».

الظاهر: أنّ «ال» في قوله: «النبي» للعهد الذّهني وليست للعموم بدليل سياق الأحاديث ويصحّ أن نجعلها للعموم؛ أي: دعاء كلّ نبيّ أمته إلى توحيد الله، وإذا جعلناها للعموم فإنّ دليل ذلك قوله تعالى:

البدر، إسناده ضعيف؛ فإنّ أبا عبد الرحمن، وهو محمد بن حبيب مجهول، كما في «الميزان» للذهبي (٣/ ٥٠٨، ٥٠٩)، و«التقريب» لابن حجر، وعبد الرحمن بن محمد قال عنه ابن حجر: مقبول؛ يعني: حيث يتابع، وإلا فلين، جده حبيب قال عنه: صدوق يخطئ. ١. هـ وانظر: «السير» (٥/ ٤٣٢).

(١) انظر: «شرح القصيدة التونية» لفضيلة الشيخ محمد خليل هراس (١/ ٣٤)

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الشورى: ٢٠٥]. فكل الرُّسُلِ جاءوا لتحقيقِ التوحيد - نسأل الله أن يحققه لنا ولكم - تحقيقُ هذا التوحيد مُهمٌّ جدًّا فعبادةُ الله وحده وإخلاصُ العبادة له أمرٌ عظيمٌ جدًّا وليس بالسهل ولا باليسير، ولهذا قال بعضُ السَّلَفِ: ما جاهدتُ نفسي على شيءٍ مُجاهدتها على الإخلاص. فالنفسُ تحتاجُ إلى جهادٍ في تحقيقِ هذا التوحيد الذي جاءت به الرُّسُلُ ونزلتْ به الكتبُ بل من أجله خُلِقَ الجنُّ والإنسُ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الدخان: ٥١]. فجميعُ الرُّسُلِ دَعَوْا أُمَّمَهُمْ إلى التوحيد، وعلى رَأْسِهِمْ خَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ فقد دَعَا إلى التوحيد في مكة وفي المدينة بالقول وبالفعل.

فمن ذلك ما قال البخاري رحمه الله:

٧٣٧١- حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ»^(١).

٧٣٧٢- وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مَعْبُدٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيَّ أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُوْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ تُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَاهِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»^(٢).

بعث معاذاً إلى اليمن كان في السنة العاشرة من الهجرة، بعث النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى الأشعري، لكنه بعث كل واحد منهما إلى ناحية، ولهذا وردت ألفاظُ حديثِ ابنِ عَبَّاسٍ في بعثِ مُعَاذٍ على وجهين:

الوجه الأول: بعث معاذاً إلى اليمن.

والوجه الثاني: بعث معاذاً نحو اليمن أي جهة اليمن.

(١) رواه البخاري (٧٣٧١)، ومسلم (١٩).

(٢) رواه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٣٤٨/١٣) قوله: لما بعث النبي ﷺ معاذاً بن جيل إلى نحو أهل اليمن. أي: جهة أهل اليمن، وهذه الرواية تقيّد الرواية المطلقة بلفظ: حين بعثه إلى اليمن فيثبت هذه الرواية أن لفظ اليمن من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أو من إطلاق العام وإرادة الخاص، أو لكون اسم الجنس يطلق على بعضه كما يطلق على كله، والراجع أنه من حمل المطلق على المقيد كما صرحت به هذه الرواية. اهـ

والثاني أقرب إلى الواقع؛ أي: نحو اليمن أقرب إلى الواقع؛ لأن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى جهة، وبعث أبا موسى إلى جهة أخرى، ولا يمتنع أن يكون اللفظ الذي فيه إلى اليمن يراؤ به الخصوص، وإن كان للعموم، ومعلوم أن معاذًا لم يتجول في كل اليمن.

والشاهد من هذا الحديث قوله: «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يؤحدوا الله» كلمة «يؤحدوا الله» مطابقة للترجمة تمامًا وفي لفظ آخر في الحديث نفسه: «إلى أن يشهدوا ألا إله إلا الله»، و«فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» فبأيها نأخذ؟

نأخذ بالثاني: لأن فيه زيادة، وهو قوله: «وأن محمدًا رسول الله»؛ لأن أهل الكتاب لا يؤمنون بأن محمدًا رسول الله إلى جميع الخلق، فيكون هذا اللفظ هو المعبر وهو المأخوذ به؛ لأنه أوفى، وأكثر فائدة، ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يبعث معاذًا إلا مرة واحدة، ولم يوصه بها أو صاه به إلا مرة واحدة، وعلى هذا فينبغي أن نختار من ألفاظ هذا الحديث أوفاه وأكثرها، وهكذا ينبغي في كل حديث اختلفت ألفاظه، ونحن نعلم أنه لم يقع إلا مرة واحدة فإنه يجب علينا أن نأخذ أوفاه وأتمها سياقًا؛ لأن الوافي التام السياق يدل على أن راويه قد ضبطه وأحاط به، وعلى كل حال فقوله: «إلى أن يؤحدوا الله» هي معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

وفي الحديث: دليل على أن أهل الكتاب لم يؤحدوا الله ﷻ وهو كذلك، فإن اليهود يقولون: عزيز ابن الله. والنصارى يقولون: المسيح ابن الله. ويقولون أيضًا: إن الله ثالث ثلاثة. فهم لم يؤحدوا الله ﷻ إلى السنة العاشرة وهم لم يؤحدوا الله وبهذا نعرف أن قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [التوبة: ٥٠]، أي حل نساء أهل الكتاب ثابت، ولو كانوا يقولون بالشرك.

وفي الحديث دليل: على رد قول من يقول: إن أول واجب على الإنسان المعرفة قبل أن يعقّد، أي أننا ندعو الناس أولًا إلى أن يعرفوا ويتعلموا ثم بعد ذلك يعقّدون، وأفسد منه قول من يقول: إن أول واجب على الإنسان الشك. أن يشك أولًا ثم ينظر في الآيات من أجل أن يدفع هذا الشك، وهذا القول من أبطل الأقوال، بل هو أبطل قول سمعته؛ لأن الذي يلقي نفسه في الطين ليتعود كيف يخرج من الطين هل يأمن أن يركس في الطين أو لا يأمن؟ لا يأمن، ربا هذا الرجل القائل: نشك أولًا. ما يستطيع أن يصل إلى اليقين فيبقى شاكًا - نسأل الله العافية من هذه الأقوال - وسبب هذه الأقوال هو انحراف الفطرة والطبيعة عند هؤلاء، فيظنون أن الناس مثلهم، والناس في الحقيقة مجبولون على الفطرة، لا يحتاج أن يقال لهم: انظروا من خلق السموات والأرض؛ لأن هذا أمر معلوم فطريًا بل نقول وحدوا من خلق السموات والأرض، واعبدوه وحده، نعم لو احتاج الإنسان إلى نظر فإننا نخبره.

مثل: أن يكون شخص نشأ في بلاد شيعية لا يعرفون ربًا ولا إلهًا، وإنما هم كالأنعام فهؤلاء قد نحتاج إلى أن نعرفهم بالله أولًا ثم ندعوهم إلى التوحيد ثانيًا، لكن مثل أهل الكتاب لا يحتاجون إلى تعريف بالله؛ لأنهم عندهم علم بالله.

فهم يعرفون الله ﷻ بل يعرفون الرسول ﷺ كما يعرفون أبناءهم، فصار أول ما ندعو الناس إلى توحيد الله ﷻ قبل المعرفة؛ لأن هذا أمر فطري إلا إذا كان إنسان منغمساً في قوم أفسدوا فطرته فحينئذ نعرفه بالله أولاً، ثم ندعوه إلى توحيد الله.

أما القول: بأن الواجب الشك أولاً ثم المعرفة ثانياً ثم العقيدة ثالثاً، فهذا قول من أبطل الأقوال بل هو أبطل قول سمعته.

وفي الحديث قوله: «فإذا عرفوا ذلك» استدلال بعض الناس أن أول شيء هو المعرفة، لقوله: «فإذا عرفوا ذلك» لكن ذكرنا لكم آفاً أن الحديث روي بالفاظ متعددة، وأوفى هذه اللفاظ هو قوله في اللفظ الثاني: «فإن أطاعوك لذلك» هذا اللفظ الذي سبق فيه الحديث سياقاً تاماً. وعلى هذا فيكون هذا اللفظ الذي ذكره المؤلف هنا منقولاً بالمعنى على أن قوله: إذا عرفوا ذلك. لا يتعين أن يكون المراد به إذا عرفوا الله، بل يكون المراد من قوله: إذا عرفوا ذلك أي عرفوا أن الله إله واحد أي عرفوا التوحيد وأقروا به وانقادوا له فأخبرهم أن الله افترض عليهم... إلى آخره، وهذا لا يحتاج إلى شرح، وهو معروف، وقد سبق.

وفي قوله في الحديث: «زكاة في أموالهم». تدل هذه اللفظة على أن الزكاة واجبة في المال، وهو كذلك، ولهذا لا يشترط لوجوبها على القول الراجح أن يكون مالك المال مكلفاً - أي: بالغاً عاقلاً - فتجب في مال الصبي وفي مال المجنون.

ولو قال قائل: إن الخطاب لا يوجه إلا للمكلف أصلاً. لكان هذا وجهاً قوياً، لكنّه لما قال: في أموالهم، وقال في الآية: ﴿حُدِّثُوا أَنْوَاعَ صَدَقَاتِهِ﴾ [١٠٣]. دل هذا على أن الزكاة مكرمة في المال.

وقوله: «من غنيهم فتد على فقيرهم». المراد بالغني هنا: من يملك نصيباً زكواً، أما من يملك العقار، ولو كثر فإنه ليس غنياً، بالنسبة لوجوب الزكاة عليه؛ لأن العقارات على القول الراجح لا تجب فيها الزكاة.

وقوله في الحديث: «على فقيرهم». دليل على أن الصدقة توزع على مستحقيها توزيع أفراد، لا توزيع جميع، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [٦٠]. لبيان جنس المستحقين، وليس المراد أن تستوعب هذه الأصناف بالزكاة.

وهذه مسألة اختلف فيها الفقهاء رحمهم الله مع وجود هذا النص، فقال بعضهم: لا بد أن نقسم الزكاة ثمانية أقسام، لكل واحد من الأصناف الثمانية قسم.

وقال آخرون زيادة على ذلك: بل ما جاء بلفظ الجمع من هذه الأصناف وجب أن تعطى ثلاثة منهم. وعلى هذا فيكون الواجب أن تعطى ثلاثة فقراء وثلاثة مساكين وثلاثة عاملين عليها وثلاثة غارمين وثلاث رقاب، وثلاثة مؤلفة قلوبهم، وأما في سبيل الله وابن السبيل فهذه مفردة تصدق بالواحد.

ولكن القولَ الراجحُ أنَّ المرادَ بيانَ المستحقين، لا وجوبُ الصرفِ في الجميع، بدليلِ قوله في هذا الحديث: «في فقراءهم».

❖ وقوله: «تؤخذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ، فتُرَدُّ على فقيرهم». أخذَ بعضُ العلماءِ من هذا الحديثِ أنَّه لا يجوزُ نقلَ الزكاةِ عن البلدِ الذي فيه الأغنياءُ إلى بلدٍ آخر؛ لأنَّ قوله: «غَنِيِّهِمْ» كما هو خاصٌّ بأغنياءِ أهلِ اليمنِ بقوله: «فقيرهم» أيضًا خاصٌّ بفقراءِ أهلِ اليمنِ.

ووجهُ ذلك أيضًا من حيثُ المعنى، وهو أنَّه إذا نُقلتِ الزكاةُ من بلدِ الغنيِّ إلى بلدٍ آخر صارَ في هذا إيغارٌ لصدورِ الفقراءِ الذين في البلدِ، وربما صارَ ذلك فتحةً للعدوانِ على الأغنياءِ، وأخذَ أموالهم، فيكونُ في هذا فتنةٌ.

وهذا هو المشهورُ من مذهبِ الإمامِ أحمدَ رحمته الله أنَّه يَحْرُمُ ^(١) نقلُ الزكاةِ إلى خارجِ البلدِ، لكنهم يَتَوَقَّعُونَ بمسافةِ القَصْرِ إلا إذا لم يكن في البلدِ مُسْتَحَقٌّ، فتُصَرَّفُ في بلدٍ آخر. والحديثُ له فوائدٌ سبق الكلامُ عليها، لكن الذي يَخْتَصُّ بهذا البابِ قوله: «إلى أن يُوَحِّدُوا اللَّهَ». ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله:

٧٣٧٣- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ وَالْأَشْعَثِ ابْنِ سُلَيْمٍ أَنَّهُمَا سَمِعَا الْأَسْوَدَ بْنَ هَلَالٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟». قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟». قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَلَا يُعَذِّبُهُمْ؟» ^(٢).

هنا الحديثُ مُخْتَصَرٌ، فالبخاريُّ رحمته الله تعالى اختَصَرَ السِّيَاقَ؛ لأنَّ المقصودَ هو الشَّاهِدُ مِنَ الْحَدِيثِ، وهو قوله لَمَّا سَأَلَ «مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟». قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا».

فذكرَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئَيْنِ: العبادة، وعدمَ الشِّرْكِ، فلا بُدَّ من عبادةٍ، ولا بُدَّ من عَمَلٍ. وكلمةُ «يَعْبُدُوهُ»؛ يَعْنِي: عبادةً تَامَةً لَا تَقْتَضِي مُخَالَفَةً يَسْتَحَقُّ عَلَيْهَا الْعِقَابَ، ولهذا قَالَ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟». قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَلَا يُعَذِّبُهُمْ؟». وهو لَا يُعَذِّبُهُمْ إِذَا عَبَدُوهُ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ لِأَنَّهُمْ قَامُوا بِحَقِّ اللَّهِ، وَاللَّهُ ﻻ أَكْرَمَ مِنْهُمْ، فَإِذَا قَامُوا بِحَقِّهِ قَامَ بِحَقِّهِمْ.

فإذا قَالَ قَائِلٌ: كيفَ يكونُ للعبادِ حقٌّ على اللَّهِ، وهم مَرْبُوبُونَ؟ فالجوابُ: أنَّ اللَّهَ هو الذي أَوْجَبَ الْحَقَّ على نَفْسِهِ، والممنوعُ أنْ تُوجِبَ نحنُ حقًّا على اللَّهِ، أمَّا إِذَا أَوْجَبَ اللَّهُ على نَفْسِهِ حقًّا لنا فهذا من فَضْلِهِ وَكَرَمِهِ، ولهذا قَالَ ابنُ القيمِ رحمته الله:

(١) انظر: «المغني» (٢/ ٢٨٣).

(٢) رواه مسلم (٣٠).

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ وَهُوَ أَوْجَبُ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

كَلًّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ إِنْ كَانَ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ

إِنْ عُدُّوا فِيْعَدْلِهِ أَوْ نَعْمُوا فِيْ فَضْلِهِ وَالْحَمْدُ لِلْمَنَّانِ (١)

فَيَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ لَنَا عَلَى رَبِّنَا حَقٌّ نُوَجِّهُهُ نَحْنُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ الْحَقَّ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. أَي: أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْدٍ ثُمَّ تَابَ بِدِينِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٥٥].

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ نَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ مَنْ قَامَ بِعِبَادَتِهِ بِلا شِرْكَ، فَإِنَّهُ لَا يُعَذِّبُهُ، وَهَذَا مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧٤- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] [الأنعام: ١٠١] بِرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

زَادَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَخِي قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (١).

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَإِنَّمَا كَانَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةٌ مَوَاضِيْعٌ: أَحْكَامٌ، وَأَخْبَارٌ عَنِ اللَّهِ، وَأَخْبَارٌ عَنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَكُلُّ الْقُرْآنِ يَدُورُ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ. فَالْأَحْكَامُ تَتَعَلَّقُ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَالْأَخْبَارُ عَنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ أَيْضًا تَتَعَلَّقُ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ عَنْهَا، وَالْأَخْبَارُ عَنِ اللَّهِ تَضَمَّنَتْهَا سُورَةُ الْإِخْلَاصِ، فَفِيهَا تَوْحِيدُ الْأَلُوْهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ. فَالْأَلُوْهِيَّةُ: فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ﴾.

وَالرُّبُوبِيَّةُ وَالْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ: فِي قَوْلِهِ: ﴿الضَّكُّدُ﴾ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾ [الأنعام: ٢-٤]. وَلِهَذَا كَانَتْ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ.

وَفِي الْحَدِيثِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ: جَوَازُ تَرْوِيدِ السُّورَةِ أَوْ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْرَأَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ، فَإِذَا كَرَّرَ الْإِنْسَانُ الْآيَةَ أَوْ السُّورَةَ فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ، وَكَثِيرًا مَا تُعْجِبُ الْإِنْسَانَ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِمَّا

(١) «شرح القصيدة النونية» (١٠٨/٢).

(٢) تقدم الكلام عليه في فضائل القرآن.

لَمَعَنَاهَا أَوْ لَلْفَظَهَا، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَيُرَدُّدُهَا.

فهذا لا بأس به حتى لو كرّر، لكن تكريرها بعددٍ مُعَيَّنٍ يَعْتَادُهُ الْإِنْسَانُ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ، فَمَثَلًا لَوْ أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَقْرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾. مائة مرة، وجعل لنفسه وزدًا يَقْرُؤُهَا كُلَّ يَوْمٍ مائة مرة فَإِنَّ ذَلِكَ بَدْعَةٌ، لكن لو كان يَقْرُؤُهَا بِدُونِ عَدَدٍ مُعَيَّنٍ، بَأَن يَكُونَ كُلَّمَا قَرَأَهَا فَهَذَا لَيْسَ بِبَدْعَةٍ، وَلَيْسَ بِحَرَامٍ، وَلَا بِمَكْرُوهٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ ابْنِ أَبِي هِلَالٍ، أَنَّ أَبَا الرَّجَالِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَهُ عَنْ أُمِّهِ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَتْ فِي حَجَرٍ عَائِشَةُ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِ فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «سَلُّوهُ لَأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأُ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»^(١).

الشاهد من هذا الحديث: قصة هذا الرجل الذي بعثه النبي ﷺ على سريّة، فكان يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ، وَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾. وقوله: فَيَخْتِمُ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾. يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يَخْتِمُ قِرَاءَةَ كُلِّ رَكْعَةٍ، أَوْ أَنَّهُ يَخْتِمُ قِرَاءَةَ الصَّلَاةِ عَمُومًا.

فعلى الاحتمال الأول: إذا كانت الصَّلَاةُ رِبَاعِيَّةً يَكُونُ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ. وعلى الاحتمال الثاني: يَكُونُ يَقْرَأُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَقَدْ اسْتَدَلَّ بِهِ الْفُقَهَاءُ عَلَى جَوَازِ جَمْعِ سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ وَاحِدَةٍ.^(٢)

وقوله: «لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ». هذا هو الشاهد، لِأَنَّهُ؛ أَيُّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ صِفَةُ الرَّحْمَنِ. وَلَا يَرِيدُ أَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ فِيهِ صِفَتُهُ؛ لِأَنَّ هَذَا الْوَصْفَ لَا يَخْتَصُّ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ بل هو شاملٌ لِلْقُرْآنِ كُلِّهِ، وَلَكِنْ مَرَادُهُ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى صِفَةِ الرَّحْمَنِ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ تَتَضَمَّنُهَا هَذِهِ السُّورَةُ، وَتَشْتَمِلُ عَلَيْهَا.

وفي هذا الحديث: إثبات الصفة لله، كما جرى على ذلك علماء السلف؛ أَنَّ لِلَّهِ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ،

(١) رواه مسلم (٢٦٣).

(٢) انظر: «المغني» (٢/ ١٦٨، ١٦٩)، و«المبدع» (١/ ٤٨٥)، و«الفروع» (١/ ٣٦٩)، و«كشف القناع»

(٣٧٤/١).

وأنكر ابن حزم الظاهري ذكر الصفة، وقال: إن ذكر الصفة ممّا أحدثه المتكلمون^(١)، ولكن قوله مردود بالقرآن وبالسنة:

أما القرآن فإن الله تعالى قال: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠: ٢١٨٠). فنفي ما وصفه به المشركون عن نفسه أو تنزيهه نفسه عمّا وصفه المشركون يدلّ على ثبوت صفة الكمال له، وهو كذلك. وأما الحديث فظاهر؛ لقوله فيه: «لأنّها صفة الرحمن»، فأثبت للرحمن صفة، ومن المعلوم أن ابن حزم لم يحتجّ لقوله إلا أن الصفة لا تقوم إلا بجسم، والجسم مُمتنع على الله.

ونحن نتكلّم عن الجسم الآن والحيز والجهة وما أشبه ذلك من العبارات التي توصّل أهل التعطيل بها - أي بنفيها - إلى نفي الصفات عن الله، فقالوا: لا نصِفُ الله بصفة؛ لأنّ هذا يقتضي أن يكون جسماً، والجسم محدث، والله عز وجل هو الأوّل الذي ليس قبله شيء.

فنقول لهم: إن كان يلزم من إثبات الصفة أن يكون الله جسماً فهذا لازم من كتاب الله وسنة رسوله، وكتاب الله وسنة رسوله حق، واللازم من الحق حق، وإن كان لا يلزم فقد حصل الانفكاك عمّا ألزمنا به.

ثمّ نقول له: ولغيره من الأشاعرة أيضاً الذين يُنكرون الصفات بناءً على هذا: ما هو الجسم الذي تريدون أن تنفوه عن الله؟ هل مرادكم بذلك الجسم المركّب الذي يفتقر بعضه إلى بعض ويتجزّأ، أم مرادكم بذلك الشيء القائم بنفسه المتّصف بالصفات، الفاعل لما يريد، الذي يجيء ويأتي، ويأخذ ويقبض ويبسط؟

إن أردتم الأوّل فنحن نوافقكم على أن الله لا يوصف بالجسم بهذا المعنى، وإن أردتم الثاني فنحن نصِفُ الله به، وسَمُوهُ ما شئتم، سَمُوهُ جسماً أو غير جسم، فنحن نصِفُ الله بأنه عز وجل قائم بنفسه مُتَّصِفُ بالصفات اللاتقية به، يجيء ويأتي وينزل ويستوي ويأخذ ويقبض ويبسط ويتكلّم، نقول بذلك، ولا يمكن أن ننكر هذا؛ لأنّ إنكار هذا هو التعطيل المخض.

ثم نقول لهم: أنتم تقولون: إنّه لا يتّصف بالصفات إلا الجسم، وهذا خطأ مخالف للواقع؛ فإنّه يوصف بالصفات ما ليس بجسم، فاللغة العربية مملوءة من وصف الأزمان بالصفات، فيقال مثلاً: هذا ليل طويل، وهذا نهار قصير. وهل الليل والنهار أجسام؟
الجواب: لا.

❖ ويقال: حرّ شديد، وبردّ شديد. والحرّ والبرد ليسا بجسم، فدعواكم أن الصفات لا تقوم إلا بجسم دعوى باطلة، تكذبها اللغة وتكذبها الحس.

(١) قال ابن حزم في «الفصل» (٢/ ٢٨٤): هذه لفظة اصطلاح عليها أهل الكلام، من المعتزلة، ومن تبعهم، ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنه اهـ
وضعف هذا الحديث، وقد أطال الكلام على هذا المعنى، واحتج بأشياء لا تدل على مراده.

وبناءً على ذلك يَتَبَيَّنُ أن نَفْيَ الْجِسْمِيَّةِ عن اللَّهِ ﷻ خطأ، وأن إثباتها كذلك خطأ، وهذا من حيث اللفظ.
وأما من حيث المَعْنَى: فإن أريد بها مَعْنَى لَا يَلِيْقُ بِاللَّهِ وَجَبَ نَفْيُهَا، وإن أريد بها مَعْنَى يَلِيْقُ بِاللَّهِ فهي حق، لكن لا تُطْلَقُ لفظاً على اللَّهِ؛ إثباتاً، ولا نَفْياً؛ لأنّه لم يَرِدْ إثباتها ولا نَفْيُهَا. والعجب أن هؤلاء القوم الذين اعتمدوا في نفي الصفات عن اللَّهِ على نفي الجسمية قالوا: إن اللَّه لا يَحْزَنُ؛ لأنّه لو حزن لكان جسماً.

إذا: الْحَزَنُ صِفَةٌ وَالصَّفَةُ، لا تقوم إلا بجسم، فانظر كيف أدّى بهم هذا الخطأ إلى هذا الخطأ الفادح، أيها أعظم أن نَصِفَ اللَّهَ بِالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْتَعَبِ وما أشبه ذلك، أو أن نَصِفَهُ بِأَنَّهُ جِسْمٌ؟

الجواب: أنّه الأول، فذهبوا يَنْفُونَ الْأَوْضَحَ في الفسادِ بِنَاءً على ما هو أَخْفَى، فعكسوا القضية؛ لأنّ القضية أن يُسْتَدَلَّ بِالْأَوْضَحِ على الْأَخْفَى، أما هؤلاء فاستدلّوا بما هو أَخْفَى على ما هو أَوْضَحُ. فنقول لهم: هذا الكلام من أبطل ما يكون:

فأولاً أنتم إذا قلتم: إننا لو أثبتنا الْحَزَنَ لِلَّهِ لَزِمَ أن يكون جسماً، فمن أثبت الحزن، له أن يقول: أنا أثبت الحزن ولا أقول: إنه جسمٌ كما قال السلف: نحن ثبت القدرة ولا نقول: إنه جسمٌ. ثم نقول: كلامكم هذا يُؤدِّي إلى أن يَكُونَ الرَّدُّ على السلفِ والرَّدُّ على المعطلة بطريق واحد، وهو إثبات الجسمية إن ثبت الحزن، أو إثبات الجسمية إن ثبت القدرة مثلاً.

وعلى كلّ حال: فهذه وجهة نظر ابن حزم في إنكار الصفة، وقال: إن اللَّه ليس له صفة، ولا يجب أن يكون له صفة؛ لأنّ ذلك يَسْتَلْزِمُ أن يكون جسماً، إذ إن الصفات أعراض، والأعراض لا تكون إلا بأجسام، ولا يخفى علينا أن هذا استعمال للقياس، وهو ينكر القياس في الأحكام العملية، وبآتي به في الأحكام العقديّة فسبحان اللَّه!

إذا: يستفاد من هذا الحديث إثبات الصفة ﷻ.

ومما يتعلّق بهذا الحديث في مسألة التوحيد أو العقيدة إثبات المحبة لله؛ لقوله: «أخبروه أن اللَّه يُحِبُّ» وهذه المحبة محبة حقيقية، فيجب أن نؤمن بأن اللَّه يُحِبُّ؛ لأنّ القرآن مملوء بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [٧: ١٥٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٣١: ١٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا﴾ [٤: ٧٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [٣: ٢٢٢]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [٥٤: ٥٤].

فالقرآن مملوء بهذا، وذكر محبة اللَّه لمن علقت محبة اللَّه به أكثر من ذكر محبتنا لله، ففي القرآن إضافة المحبة لله ﷻ أكثر من إضافاتها للمخلوق، ومع ذلك أنكرها أهل التعطيل من الأشاعرة وغيرهم، وقالوا: إن اللَّه لا يحب، ولا يجوز أن نثبت أن اللَّه يحب؛ وذلك لأنّ المحبة لا تكون إلا بين شيئين متجانسين، والخالق لا يُبَاثِلُ المخلوق.

والجواب على هذا سهل وهو: أن قولهم: إن المحبة لا تكون إلا بين شيئين متجانسين خطأ،

فالمحبة تكون بين شَيْئَيْنِ مُتَجَانِسَيْنِ؛ كمحبة الرَّجُلِ لامرأته مثلاً، فهذا واقع كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [البقرة: ٢١٧].

وتكون أيضاً بين الجهاد والإنسان، ففي الحديث الصحيح: «أُحِذِّ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»^(١) والإنسان نفسه يُحِبُّ بعض ماله أكثر من بعض، فيقول مثلاً: عندي قلمٌ ريشته سهلةٌ وليّنةٌ، لا تُشَقِّقُ الورقة، وقلمٌ آخر ريشته صعبةٌ تُشَقِّقُ الورق، مرةً تكون الكتابةُ به غليظةً، ومرةً تكون دقيقةً، فلا شكَّ أنه يُحِبُّ الأول أكثر من الثاني، مع كونه جَمَادًا.

حتى البهائم، تَرى البعير يُحِبُّ صاحبه، ويأوي إليه، ولا يُحِبُّ الآخرين، ونرى أيضاً أن الإنسان يُحِبُّ هذه البعير بعينها، ولا يُحِبُّ الأخرى؛ لأن الأخرى صعبةٌ، وهذه سهلةٌ ذلولٌ. فإذا: انتَقَضَ كلامهم وقياسهم بأن المحبة لا تكون إلا بين شَيْئَيْنِ مُتَجَانِسَيْنِ.

وهنا سؤالٌ، وهو: هل هم يُنْكِرُونَ المحبة إنكارَ جُحُودٍ أو إنكارَ تَأْوِيلٍ؟ والجواب: أنهم يُنْكِرُونَهَا إنكارَ تَأْوِيلٍ؛ لأنهم لو أنكَرُوا إنكارَ جُحُودٍ لكفروا، فلو قالوا: الله لا يُحِبُّ. فهذا كفرٌ، لكنهم يَقُولُونَ: هو يُحِبُّ، ومعنى المحبة كذا وكذا.

فما معنى المحبة عندهم؟ يَقُولُونَ: المحبة إما الثواب وإما إرادة الثواب، فأما على التَأْوِيلِ الأول فالثواب مَخْلُوقٌ مُتَفَصِّلٌ بَائِنٌ عَنِ اللَّهِ، مَخْلُوقٌ ولا أَحَدٌ يُنْكِرُهُ، فالكلُّ يَقُولُ: المخلوقاتُ الثابتةُ، الله هو الذي خَلَقَهَا.

وأما على التَأْوِيلِ الثاني -وهو إرادة الثواب- فالإرادةُ صفةٌ، والأشاعرَةُ يَقْرَءُونَ بإثباتِ الإرادةِ لله ﷻ، والإرادةُ وإن كانت صفةً للمريد، لكن هم يَنْتِثُونَ صفةَ الإرادة؛ لأنَّ العقلَ عندهم دَلٌّ عليها، وكيف دَلَّ العقلُ على ثبوتِ الإرادةِ عندهم؟

الجواب: قالوا: تَخْصِيصُ المخلوقاتِ بِهَا تَخْتَصُّ بِهِ يَدُلُّ على الإرادة؛ يعني: جَعَلَ السَّمَاءَ سَمَاءً، والأَرْضَ أَرْضًا، والبعيرَ بعيراً والشاةَ شاةً، كُلُّ هذا يَدُلُّ على الإرادة.

فَاللَّهُ ﷻ أَرَادَ أَنْ تَكُونَ السَّمَاءُ سَمَاءً على هذا الوجه، فصارت كذلك، وكذلك الأرضُ، وكذلك البعيرُ، وكذلك الشاةُ.

ونحن نُوَافِقُهُمْ على أن الإرادة دَلٌّ عليها الشَّرْعُ والعقلُ، فلا تَرُدُّ الحقَّ، بل نَقْبَلُهُ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ، لكن كَوْنَنَا نجعلُ المحبةَ بناءً على الإرادة فهذا خطأ؛ إذ إنَّ المحبةَ أَعْلَى وَأَعْظَمُ مِنَ الإرادة.

وتجدُ الفَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَقُولَ لشخصٍ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّكَ. أو تقولَ لشخصٍ: أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يُبَيِّتَكَ. فأيُّهما أَعْظَمُ؟

الأولى أَعْظَمُ وَأَشْرَحُ لِلصِّدْرِ، وَأَطْمَنُ لِلْقَلْبِ وَأَرْضَى لِلنَّفْسِ، فكيف تُنْكِرُ المحبةَ، وتُنْثِثُ الإرادةَ؟!.

على كلِّ حالٍ: فهذا الحديثُ يدلُّ على إثباتِ المحبةِ لله ﷻ؛ لقوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ». وهذا قد جاء في الكتاب والسنة.
ومَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى تَعَلَّقُ أحيانًا بالأشخاص، وأحيانًا بالأعمالِ، وأحيانًا بالأماكنِ، وأحيانًا بالأزمانِ والأوقاتِ.

فأما تَعَلُّقُهَا بالأشخاصِ فمثلُ هذا الحديثِ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ».
وأما تَعَلُّقُهَا بالأعمالِ فكقولُ النبي ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا»^(١).
وأما تَعَلُّقُهَا بالأوصافِ، فكقولُه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).
وأما تَعَلُّقُهَا بالأماكنِ فمثلُ قولِ الرسول ﷺ: «أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»^(٣). وقال الرسول ﷺ عن مكة: «إِنَّكَ لَأَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللَّهِ»^(٤).
وأما الأزمانُ، فربما يُسْتَدَلُّ لذلك بقولِ النبي ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ»^(٥)؛ يعني: عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ.

وقد يُقالُ: إن هذا من بابِ تعليقِ المحبةِ بالعملِ في هذا الزمنِ، فلا يَتِمُّ الاستِدْلَالُ.
وإذا قيل: هل هناك تلازمٌ بين الإرادة والمحبة؟
فالجوابُ: لا تلازمٌ بينهما، فقد يُريدُ الله ما لا يُحِبُّ وَقَدْ يُحِبُّ ما لا يُريدُ، فليس كلُّ ما أَحَبَّهُ الله يُريدُهُ، ولا كلُّ ما أَرَادَهُ الله يُحِبُّهُ.

فإذا قال قائلٌ: قولكم: ليس كلُّ ما أَرَادَ الله يُحِبُّهُ فيه إشكالٌ؛ إذ كيف يُريدُ ما لا يُحِبُّ؟
فالجوابُ أن نقولَ: إن الله قد يُريدُ ما لا يُحِبُّ للحكمة والمصلحة التي تَقْتَضِيهَا، فالمعاصي لا يُحِبُّها الله ولكنها يُريدُها، لذا وَقَعَتْ بِإِرَادَتِهِ الْكَوْنِيَّةِ لكنه لا يُحِبُّها، كيف يُريدُها وهو لا يُحِبُّها؟ نقولُ للمصلحة، ألم تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ ﷻ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عِبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ، وَلَا بَدْلَ لَهُ مِنْهُ»^(٦).

فهنا أَرَادَ ﷻ ما يَكْرَهُ، لكنَّ الْمَصْلَحَةَ لَا بُدَّ مِنْهَا.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٦٧١)، ورواه البيهقي في «السنن» (٦٥/٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٧٦/٤)، (١٥٩٩)، والحاكم في «المستدرک» (١٦٧/١)، وحسنه الشيخ الألباني كما في «الجامع الصغير» (٣٢٧١)، و«صحيح الترغيب» (٣٢٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣٠٥/٤) (١٨٧١٥-١٨٧١٨)، والترمذي (٣٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣١٠٨)، من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء بلفظ: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله».

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

ونظير ذلك في المحسوس أن الإنسان يأتي بآئنه إلى الطيب، فيقرّر الطيب أنه لا بد من كيه بالنار، فيحمي الحديد حتى تكون جمرّة، ثم يكوّي بها ابن الرجل، وهل الرجل يحب أن يخرق ابنه بالنار؟

الجواب: لا، فهو يكره ذلك بلا شك، لكن أحب إخرقه بالنار من أجل مصلحة أعظم من ذلك، وهي شفاء ولده، فالله ﷻ قد يريد ما يكرهه لحكمة تقتضيه وقد يحب ما لا يريد. فيحب منا أن نكون مؤمنين به قائمين بأمره، ولكن قد لا يريد ذلك لمصلحة أيضاً، فإن الله تعالى قسم العباد إلى قسمين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفِّسُكُمْ فِيكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٠]. ولو جاء الناس على ما يحبّه الله ﷻ لم ينقسموا إلا إلى قسم واحد، ولبطلت الحكمة من خلق النار والجنة، ولبطل الجهاد في سبيل الله، وبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبطل الامتحان الذي يمتحن به العباد، فقد قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الصافات: ٢١].

فتبين بهذا أنه لا ارتباط بين المحبة والإرادة، فقد يجتمعان في شيء، وقد يفترقان، فطاعة المطيع اجتمع فيها الإرادة والمحبة، ومعصية العاصي فيها الإرادة دون المحبة.

قال البخاري رحمه الله:

٢- باب قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

[الأنعام: ١٨٠].

٧٣٧٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ وَأَبِي ظَبْيَانَ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَرْحُمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحُمُ النَّاسَ»^(١).

يقول البخاري رحمه الله باب قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. ذكر أن سبب نزول هذه الآية أن قرئنا سمعوا النبي ﷺ لا: «يا الله يا رحمن». فقالوا: هذا الرجل يقول: إن الإله واحد، وينهانا عن أن نجعل له شريكاً، وهو يدعو إلهين: «يا الله يا رحمن». فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾^(٢)؛ أي: ادعوا ربكم باسم الله أو باسم الرحمن.

فادعوا الله أو ادعوا الرحمن ليس معناها أن هناك من يُسمى بالله ومن يُسمى بالرحمن، ولكن المعنى ادعوا الله باسم الله أو باسم الرحمن، فقولوا: يا الله. وقولوا: يا رحمن هذا هو معنى الآية.

(١) رواه ومسلم (٢٣١٩).

(٢) رواه ابن جرير في «التفسير» (١٥/١٨٢)، من طريق عبد الله بن واقد، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف، فيه عبد الله بن واقد، وهو ضعيف ليس بشيء، كما في «اللسان» ٣/٣٧٤.

وَأَمَّا إِعْرَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فـ «أَيُّمَا» اسْمٌ شَرْطٌ جَازِمٌ، مَفْعُولٌ بِهِ مُقَدَّمٌ لِتَدْعُوا، وَجُمْلَةُ «فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» هِيَ جَوَابُ الشَّرْطِ؛ يَعْنِي: أَيُّ اسْمٍ تَدْعُوا اللَّهَ بِهِ، فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى؛ يَعْنِي: فَاسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى تَصِحُّ أَنْ تَكُونَ وَسِيلَةً لِلدُّعَاءِ بِهَا. وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْبَابِ: هُوَ إِثْبَاتُ اسْمِ الرَّحْمَنِ، وَإِثْبَاتُ اسْمِ اللَّهِ، وَإِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى عُمُومًا. أَمَّا اسْمُ اللَّهِ وَاسْمُ الرَّحْمَنِ فَهُوَ نَصٌّ وَتَعْيِينٌ، وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَهِيَ عَامَّةٌ. وَفِي هَذَا الْبَابِ بَحْثٌ:

أَوَّلًا: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَدُلُّ الْاسْمُ؟
نَقُولُ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى شَيْئَيْنِ؛ عَلَى الذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ، وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي اشْتَقَّ مِنْهَا^(١)، فَكَلِمَةُ «اللَّهُ» تَدُلُّ عَلَى ذَاتِ الرَّبِّ ﷻ، وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي اشْتَقَّ مِنْهَا، وَهِيَ الْأُلُوْهِيَّةُ. وَالرَّحْمَنُ تَدُلُّ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ ﷻ، وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي اشْتَقَّ مِنْهَا، وَهِيَ الرَّحْمَةُ. وَهَذِهِ هِيَ قَاعِدَةُ كُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى شَيْئَيْنِ:
أَوَّلًا: الذَّاتُ. وَالثَّانِي: الصِّفَةُ، وَإِنْ شُئْتَ فَقُلْ: الْوَصْفُ الَّذِي اشْتَقَّ مِنْهُ هَذَا الْاسْمُ. وَهَلْ يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ ذَلِكَ؟
الْجَوَابُ: نَعَمْ، فَرُبَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ صِفَةٍ بِالزُّومِ لَا بِالتَّصَمُّنِ. مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ [الْمُلْكُ: ٢٤]. دَلَّتْ صِفَةُ الْخَالِقِ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ، وَعَلَى وَصْفِهِ بِالْخَلْقِ، وَدَلَّتْ عَلَى عِلْمِهِ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ، وَلَكِنْ كَيْفَ دَلَّتْ عَلَى عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَهِيَ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ وَلَا قُدْرَةٌ؟
الْجَوَابُ نَقُولُ: إِنَّ مِنْ لَازِمِ الْخَلْقِ الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ؛ إِذْ مَعَ الْجَهْلِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْلُقَ، وَمَعَ الْعَجْزِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْلُقَ. فَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ يَتَّصِفُ بِشَيْئَيْنِ:
أَوَّلًا: الذَّاتُ.

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «السَّنَنِ» (١٣٢/٩)، (١٨١٣٠).

سَتَلِ الشَّيْخُ الشَّارِحَ كَقَوْلِهِ: هَلْ كُلُّ اسْمٍ مُتَّصِفٌ لَصِفَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِلنَّاسِ؟ فَأَجَابَ كَقَوْلِهِ: لَا، فَقَدْ يَكُونُ الْاسْمُ ضِدَّ الصِّفَةِ فَخَالِدٌ مِثْلًا هَذَا ضِدَّ الصِّفَةِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّهِمْ قَبْلَكَ الْخَلْدَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٢٤]. فَهَذَا ضِدُّ الصِّفَةِ، رُبَّمَا تَسْمِي فُلَانٌ سَهْلًا، وَيَكُونُ مِنْ أَصْعَبِ عِبَادِ اللَّهِ، وَرُبَّمَا تَسْمِي عَبْدَ اللَّهِ وَهُوَ كَافِرٌ، صَالِحًا وَهُوَ غَيْرُ صَالِحٍ وَلِهَذَا أَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ اسْمَ حَكِيمٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يُرَادُّ بِهَا مِلَاحِظَةُ الصِّفَةِ الَّتِي هِيَ الْحِكْمَةُ، وَمَنْعَ التَّكْنِي بِأَبِي الْحَكَمِ، وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ» مَنْعَ التَّكْنِي بِأَبِي الْحَكَمِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُوْهَمُ بِأَنَّ اللَّهَ أَبَا، وَاللَّهُ ﷻ لَيْسَ لَهُ أَبٌ، أَبُو الْحَكَمِ وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْحَكَمَ هُوَ اللَّهُ فَيُوْهَمُ التَّسْمِي بِأَبِي الْحَكَمِ وَهَذَا الْمَعْنَى الْفَاسِدُ، وَلِهَذَا مَنْعَ التَّكْنِي بِأَبِي الْحَكَمِ.

والثاني: الوصفُ الذي اشتقَّ منه هذا الاسمُ.

١ ثم قد يدلُّ على صِفَةٍ أُخرى وثانية وثالثة ورابعة عن طريق اللزوم.

فلا اسمٌ يدلُّ على الذاتِ والصفة، وكلُّ اسمٍ من أسماءِ الله يدلُّ على ذاتٍ وصفة، ودلالته على الأمرين تُسمَّى دَلَالَةً مُطَابِقَةً، ودلالته على واحدٍ منهما تُسمَّى دَلَالَةً تَضْمُنِي؛ يَعْنِي: أَنَّ هَذَا اللفظَ تَضْمَنَ هذا، وليس هو مَعْنَاهُ الكامل.

ودَلَالَةُ الالتزامِ تدلُّ على أمرٍ لا يدلُّ عليه اللفظُ من حيثِ المادة، لكن يدلُّ عليه المعنى من حيثِ أَنَّهُ يلزَمُ منه كذا وكذا.

وَنُمَثِّلُ بمعقُولٍ ومَحْسُوسٍ، فَمِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْخَالِقُ، فَالْخَالِقُ دَلٌّ عَلَى ذَاتِ الرَّبِّ ﷻ، وَعَلَى صِفَةِ الْخَلْقِ، فَدَلٌّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ خَالِقًا، وَهَنَاكَ خَلْقًا، كَمَا إِذَا قُلْتَ: قَائِمٌ. فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ شَخْصًا قَائِمًا، وَعَلَى قِيَامِ، فَالْخَالِقُ تَدُلُّ عَلَى ذَاتِ الرَّبِّ ﷻ وَعَلَى صِفَةِ الْخَلْقِ، وَدَلَالَتُهُ عَلَى الذَّاتِ وَالصِّفَةِ دَلَالَةٌ مُطَابِقَةٌ؛ لِأَنَّ اللفظَ طَابَقَ الْمَعْنَى، وَصَارَ مُسَاوِيًا لَهُ.

وَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ خَلْقٌ بِلَا عِلْمٍ وَلَا قُدْرَةٍ؟

الْجَوَابُ: لَا، فَالْخَالِقُ يَدُلُّ عَلَى صِفَتَيْ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ عَنْ طَرِيقِ اللَّزْمِ، فَمِنْ لَازِمِ الْخَالِقِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا قَادِرًا؛ إِذَا الْجَاهِلُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْلُقَ وَالْعَاجِزُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْلُقَ. وَهَذَا مِثَالٌ مَعْقُولٌ.

وَأَمَّا الْمِثَالُ الْمَحْسُوسُ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: هَذَا قَصْرٌ فَلَانَ. فَكَلِمَةُ قَصْرٍ تَشْتَمِلُ عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْبَنَانَةِ بِمَا فِيهَا مِنْ عُرْفٍ وَحُجْرٍ وَسَاحَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَتَدُلُّ عَلَى هَذَا بِالمُطَابَقَةِ، وَتَدُلُّ عَلَى عُرْفَةٍ مِنْهُ، أَوْ حِجْرَةٍ مِنْهُ، أَوْ سَاحَةٍ مِنْهُ بِالتَّضْمِينِ؛ يَعْنِي: أَنَّ مِنْ ضَمَنِ هَذَا الْقَصْرِ عُرْفَةٌ، وَمِنْ ضَمَنِ حِجْرَةٍ، وَمِنْ ضَمَنِ سَاحَةٍ.

وَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ بَنَانًا بَنَى هَذَا الْقَصْرَ بِاللَّزْمِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ لَازِمِ الْقَصْرِ الْمَبْنِيِّ الْقَائِمِ أَنْ يَكُونَ لَهُ بَانٌ.

وَدَلَالَةُ الْمُطَابَقَةِ وَالتَّضْمِينِ غَالِبُ النَّاسِ يَفْهَمُهَا، وَلَا تُشَكِّلُ عَلَيْهِ، لَكِنَّ دَلَالَةَ اللَّزْمِ هِيَ الَّتِي يَخْتَلِفُ فِيهَا الْعُلَمَاءُ اخْتِلَافًا كَبِيرًا بِحَسَبِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْفَهْمِ؛ لِأَنَّ كَوْنَكَ تَعْرِفُ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ كَذَا كَذَا وَكَذَا، هَذَا لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا الْجَهَابُذَةُ.

ولهذا نقول: كُلُّ اسمٍ من أسماءِ الله يدلُّ على ذاتٍ وصفة، وقد يدلُّ على أكثر من صفة عن طريق اللزوم.

ثَانِيًا: كُلُّ أَسْمَاءِ اللَّهِ حُسْنَى، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَالِهَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [١١٠]. وَالْحُسْنَى اسْمٌ تَفْضِيلٌ يُقَابَلُهُ فِي الْمَذَكِّرِ «أَحْسَنُ»، وَيُقَالُ: رَجُلٌ أَحْسَنُ، وَأَمْرَةٌ حُسْنَى. وَهَذَا قَالَ: ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. فَجَعَلَ الْوَصْفَ وَصَفَ مُؤَنَّثٍ؛ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ جَمْعٌ، وَالْجَمْعُ يُوصَفُ بِالْمُؤَنَّثِ إِلَّا جَمْعَ الْعَاقِلِ، فَيُوصَفُ بِحَسَبِ مَا يَنْتَضِيهِ الْمَعْنَى، إِنْ كَانَ لِلذَّكُورِ فَجَمْعُ مُذَكَّرٍ سَالِمٍ، وَإِنْ كَانَ لِلإِنَاثِ فَجَمْعُ مُؤَنَّثٍ سَالِمٍ، أَمَّا غَيْرُ الْعَاقِلِ فَإِنَّهُ يُجْمَعُ وَصْفُهُ عَلَى جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ.

إِذَا: أَسَاءَ اللَّهُ تَعَالَى كُلُّهَا حُسْنَى، وَالْحُسْنَى هِيَ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ الْحُسْنِ، فَهِيَ حُسْنَى لَيْسَ فِيهَا نَقْصٌ بِأَيِّ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

فَيَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فِي أَسَاءِ اللَّهِ اسْمٌ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ: مَعْنَى حَسَنًا وَمَعْنَى غَيْرَ حَسَنٍ.

وَاتَّبَعُوا هَذَا: فَكُلُّ أَسَاءِ اللَّهِ لَا يَدَّ أَنْ تَكُونَ حُسْنَى؛ أَيْ: بِالغَةِ الْكَمَالِ فِي الْحُسْنِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَسَاءِ اللَّهِ الْمُتَكَلِّمُ، وَلَا مِنْ أَسَائِهِ الْمُرِيدُ، مَعَ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ، وَمُرِيدٌ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ مَنْ قَامَ بِهِ الْكَلَامُ، وَالْكَلَامُ قَدْ يَكُونُ حَسَنًا، وَقَدْ يَكُونُ سَيِّئًا، وَكَذَلِكَ الْإِرَادَةُ، وَلِهَذَا لَا يَصِحُّ أَنْ يُسَمَّى اللَّهُ بِالْمُتَكَلِّمِ، وَلَا أَنْ يُسَمَّى بِالْمُرِيدِ، لَكِنْ يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَأَنَّهُ مُرِيدٌ؛ لِأَنَّ بَابَ الْإِخْبَارِ أَوْسَعُ مِنْ بَابِ التَّسْمِيَةِ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ إِنِشَاءً فَتَنْشِئُ اسْمًا لِلْمُسَمَّى الَّذِي تَرِيدُ أَنْ تُسَمِّيَهُ.

لَكِنَّ الْإِخْبَارَ مَجْرَدُ خَبَرٍ لَيْسَ بِإِنِشَاءٍ، وَلِذَلِكَ قَالُوا: الْإِخْبَارُ أَوْسَعُ مِنَ الْإِنِشَاءِ، فَقَدْ يُخْبَرُ عَنِ الشَّيْءِ بِشَيْءٍ، وَلَا يُسَمَّى بِهِ؛ مِثْلُ الْمُتَكَلِّمِ، وَحِينَئِذٍ يُمَكِّنُ أَنْ تُقَسِّمَ مَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ ﷻ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: مَا تَضَمَّنَ كِمَالِ الْحُسْنِ، فَهَذَا يَكُونُ مِنْ أَسَائِهِ.

وَالثَّانِي: مَا كَانَ حَسَنًا مِنْ وَجْهِ دُونَ وَجْهِهِ، فَهَذَا يُخْبَرُ بِهِ عَنْهُ، وَلَا يُسَمَّى بِهِ.

وَالثَّالِثُ: مَا كَانَ مَحْمُودًا فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ، فَهَذَا يُوصَفُ بِهِ فِي الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا مَحْمُودًا، وَلَا يُسَمَّى بِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ مِثْلُ الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالْكِدِّ، فَهَذِهِ أَوْصَافٌ إِنْ ذُكِرَتْ فِي مُقَابِلِ مَنْ يُعَامِلُ بِهِذِهِ الْأَوْصَافِ، صَارَتْ أَوْصَافًا مَحْمُودَةً، وَوُصِفَ اللَّهُ ﷻ بِهَا، وَالْأَوَّلُ.

فَمَثَلًا: الْمَكْرُ وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يَمْكُرُ، لَكِنَّهُ وَصَفَ مُقِيدٌ بِمَنْ يَمْكُرُ بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيرِينَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ٣٠]. فَلَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ مَاكِرٌ.

وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِنَا: إِنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ، لَكِنْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ مَاكِرٌ. إِلَّا إِذَا قَيَّدْتَهُ فَقُلْتَ: مَاكِرٌ بِمَنْ يَمْكُرُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْمَكْرَ لَا يَكُونُ مَذْحًا إِلَّا حَيْثُ كَانَ فِي مُقَابِلِ مَكْرٍ آخَرَ، لِيَتَبَيَّنَ بِهِ أَنَّ قُوَّةَ اللَّهِ ﷻ أَقْوَى مِنْ مَكْرِ هَذَا الْهَائِكِرِ.

فَكَذَلِكَ نَقُولُ فِي الْخِدَاعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٤٢]. فَلَا يَصِحُّ أَنْ تُصِفَ اللَّهُ بِأَنَّهُ خَادِعٌ أَوْ مُخَادِعٌ عَلَى وَجْهِ الْإِطْلَاقِ، لَكِنْ قُلْ: خَادِعٌ مَنْ يُخَادِعُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾.

فَكَذَلِكَ الْمُسْتَهْزِئُ لَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ مُسْتَهْزِئٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ، بَلْ نَقُولُ: مُسْتَهْزِئٌ بِمَنْ يَسْتَهْزِئُ بِهِ.

وَكَذَلِكَ الْكِيدُ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَكِيدُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا مَنْ كَادَ عَلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [١٥] وَكَأَيْدٍ

والرابع: ما لا يَصِحُّ أَنْ يُنسَبَ لِلَّهِ إِطْلَاقًا، وهو ما تَصَمَّنْ نَقْصًا مُطْلَقًا، فهذا لا يَصِحُّ أَنْ يُضَافَ إِلَى اللَّهِ إِطْلَاقًا؛ مِثْلُ الْخَائِنِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُصِفَ اللَّهُ بِهِ مُطْلَقًا.
 ﴿وَقَوْلُ الْعَامَّةِ: خَانَ اللَّهُ مَنْ يَخُونُ. خَطَأً فَادِحٌ وَغَلَطٌ، وَلِهَذَا لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ خِيَانَةَ أَعْدَائِهِ لَمْ يَذْكُرْ خِيَانَتَهُ لَهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَلِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَاؤُا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧١]. وَلَمْ يَقُلْ فَخَانَهُمْ. لَكِنْ فِي الْخِدَاعِ قَالَ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٢].

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْخِدَاعِ؟
 قلنا: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ظَاهِرٌ، فَالْخِيَانَةُ أَنْ تُخُونَ الْأَمَانَةَ فَيَمُنَّ ائْتِمَانُكَ، وَالْخِدَاعُ أَنْ تُخَادِعَ مَنْ خَادَعَكَ، فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ يَظْهَرُ بِالْمَثَالِ، فَيُقَالُ: إِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ، وَالْحِرَابَةُ فِي مُقَابَلَةِ عَدُوٍّ يُرِيدُ أَنْ يَخْدَعَكَ، فَإِذَا خَدَعْتَهُ، كَانَ هَذَا مَذْحًا.

أَمَّا الْخِيَانَةُ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تُخُونَ مَنْ ائْتَمَنَكَ، فَإِذَا خُنْتَهُ فَأَنْتِ مَا يَقْدَحُ فِيكَ؛ لِأَنَّ الَّذِي ائْتَمَنَكَ لَا يُرِيدُ بِكَ سُوءًا، بِخِلَافِ الْمَحَارِبِ، وَلِهَذَا إِذَا اسْتَأْمَنَّا أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَحْرُمُ عَلَيْنَا أَنْ نُخُونَ أَمَانَتَهُ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا حِمَايَتُهُ.

وَيُذَكَّرُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَرَادَ أَنْ يُبَارِزَهُ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ، وَالْمُبَارَزَةُ كَانَتْ إِذَا تَقَى الصَّفَانِ فِي الْحَرْبِ طَلَبَ الشَّجْعَانَ فِي هَوَاءٍ وَهَوَاءٍ أَنْ يَبْرَزَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَفَائِدَةُ الْمُبَارَزَةِ أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ صَارَ فِي هَذَا قُوَّةٌ وَتَشْجِيعٌ لِأَصْحَابِ الْقَاتِلِ، وَانْهَازًا لِأَصْحَابِ الْمَقْتُولِ، فَلِهَذَا كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا فِي الْحَرْبِ.

وَلَمَّا خَرَجَ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، صَاحَ بِهِ عَلِيٌّ، وَقَالَ: مَا خَرَجْتُ لِأُبَارِزَ رَجُلَيْنِ. وَهَذَا صَحِيحٌ، فَهُوَ لَمْ يَخْرُجْ لِإِبَارِزِ رَجُلَيْنِ، فَظَنَّ عَمْرُو بْنُ وَدٍّ أَنَّهُ لِحِقِّهِ رَجُلٌ آخَرُ، فَالْتَفَتَ فَضَرَبَهُ عَلِيٌّ حَتَّى أَبَانَ رَأْسَهُ عَنْ جَسَدِهِ ^(١).

فَهَذَا خِدَاعٌ لَكِنَّهُ خِدَاعٌ جَائِزٌ؛ لِأَنَّ عَمْرُو بْنَ وَدٍّ خَرَجَ لِيَقْتَلَ عَلِيًّا فَخَدَعَهُ، فَهَذَا الْخِدَاعُ يُعْتَبَرُ مَذْحًا وَنِسَاءً، فَهَؤُلَاءِ الْمَنَافِقُونَ الَّذِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ خَدَعَهُمُ اللَّهُ عز وجل، فَيُعْتَبَرُ هَذَا الْخِدَاعُ مَذْحًا.

لَكِنَّ الْخِيَانَةَ لَيْسَتْ بِمَذْحٍ؛ لِأَنَّ الْخِيَانَةَ خَدِيعَةٌ فِي مَحَلِّ الْأَمَانَةِ، وَهَذَا ذَنْبٌ، فَلَا تَجُوزُ عَلَى اللَّهِ عز وجل.

فَصَارَ مَا يُنسَبُ وَيُضَافُ إِلَى اللَّهِ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

الأولُ: أَسْمَاءٌ وَهَذِهِ مُتَضَمِّنَةٌ لِأَحْسَنِ الْكِمَالَاتِ.

والثاني: أَوْصَافٌ يُخْبِرُ بِهَا عَنْهُ، وَلَا يُسَمَّى بِهَا.

والثالثُ: أَوْصَافٌ يُوصَفُ بِهَا مُقَيَّدَةٌ.

والرابعُ: أَوْصَافٌ لَا يُوصَفُ بِهَا مُطْلَقًا، فَإِنْ وَصِفَ بِهَا كَانَ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَظُلْمًا، فَالْيَهُودُ قَالُوا: إِنَّ

الله فقيرٌ، وقالوا: يدُ الله مغلولة؛ أي: أنه بخيلٌ، وهذا لا يُمكن أن يُوصَفَ به؛ لأنَّه نَقَصٌ بكلِّ حالٍ. ومما يتعلَّقُ بالأسماءِ تعليقًا على ما سَبَقَ من قولنا: إنَّ أسماءَ الله حُسْنَى. أن تُطبَّقَ ما جاء في الحديث الصحيح من قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «يُؤذِنِي ابنُ آدمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأنا الدَّهْرُ، بِيَدَيِ الْأَمْرِ أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(١). قال الله ﷻ: «وَأَنَا الدَّهْرُ» فهل الدهرُ من أسماءِ الله؟ نقول: إنَّ الله قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأنعام: ١٨٠]. فخصَّ أسماءَها بأنَّها حُسْنَى، والدَّهْرُ ليس من أسمائه الحُسْنَى.

ثم إنَّ الله قال: «يُؤذِنِي ابنُ آدمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ». والذين يَسُبُّونَ الدَّهْرَ ليسوا يَسُبُّونَ الله، بل يَسُبُّونَ الوقتَ، فيَسُبُّونَ السَّنةَ، وَيَسُبُّونَ الزَّمنَ، وَلَيْسُوا يَسُبُّونَ الله. وعلى هذا فيكون مَعْنَى قوله: «وَأَنَا الدَّهْرُ». يعني: أَنَا المُدَبِّرُ أو المُتَصَرِّفُ في الدَّهْرِ؛ بدليلِ قوله: «بِيَدَيِ الْأَمْرِ، أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

وهذا أمرٌ واضحٌ أنَّ الدَّهْرَ هنا هو الوقتُ، وليس اسمًا من أسماءِ الله ﷻ بناءً على القاعدة التي دَلَّ عليها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. ولأنَّ سياقَ الحديثِ يَأْبَى أن يكون المراد إثبات اسمِ الدَّهْرِ كاسم من أسماءِ الله تعالى.

ونذكُرُ أيضًا إتمامًا للفائدة من قواعدِ الأسماءِ أنَّ أسماءَ الله ﷻ متباينةٌ مترادفةٌ باعتبارين:

فما هو المُتَبَايِنُ، وما هو المُتَرَادِفُ؟

المتباين: هو أن يكونَ كُلُّ شيءٍ غيرَ الآخرِ، والمترادف: هو أن يكونَ الشيءُ هو الشيءَ الآخرَ.

وأسماءُ الله تعالى نقول: هي متباينةٌ مترادفةٌ:

فباعتبارِ دلالتها، على الذاتِ فقط مترادفةٌ؛ لأنَّ السميعَ العليمَ العزيزَ الحكيمَ كُلُّها أسماءٌ لمُسمًى واحدٍ.

وباعتبارِ دلالةِ كُلِّ منها على معناه الخاصِّ متباينةٌ؛ لأنَّ السميعَ غيرَ البصيرِ، والعزيزَ غيرَ الحكيمِ.

يعني: مَعْنَى العزيزِ غيرُ مَعْنَى الحكيمِ، ومَعْنَى السميعِ غيرُ مَعْنَى البصيرِ.

وبهذا يَتَبَيَّنُ بطلانُ مَذْهَبِ المعتزلةِ الذين يقولون: إنَّ أسماءَ الله مترادفةٌ، فالعليمُ والسميعُ

والبصيرُ كُلُّها عندهم واحدٌ، فلا يَدُلُّ السميعُ على مَعْنَى غيرِ ما يَدُلُّ عليه البصيرُ، ولا البصيرُ على

مَعْنَى غيرِ ما يَدُلُّ عليه السميعُ، وهذا القولُ تُكْذِّبُهُ كُلُّ لُغَةٍ في العالمِ؛ إذ إنَّ المُشْتَقَّ مِنَ البَصْرِ ليس هو

المُشْتَقُّ مِنَ السَّمْعِ مثلاً.

فإِذَا: أسماءُ الله متباينةٌ مُتَرَادِفَةٌ.

ومما يتعلَّقُ بالأسماءِ أيضًا: هل أسماءُ الله ﷻ محصورةٌ في عددٍ مُعَيَّنٍ، أم أنها لا حَصْرَ لها؟^(٢)

(١) رواه البخاري (٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦)

(٢) انظر تفصيل ذلك في: «الفصل في الملل والنحل» (١٢٦/٢)، و«شفاء العليل» (٢٧٧/١)، و«المحلي»

قال بعض أهل العلم: إنها محصورة بتسعة وتسعين اسماً؛ لأن الله وتر، ولأن النبي ﷺ قال: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة». ^(١) فقال: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً من أحصى هذه التسعة والتسعين دخل الجنة».

وقال بعض العلماء: إنَّ أسماء الله ليست محصورة بعدد، واستدل هؤلاء بالحديث الصحيح، عن ابن مسعود -حديث الهمم والغم- أن الإنسان إن أصابه حزن أو هم أو غم دعا به، وفيه: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هو لك سَمَّيتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علمِ الغيبِ عندك» ^(٢).

الشاهد من هذا الحديث: قوله: «أو استأثرت به في علمِ الغيبِ عندك». لأنَّ ما استأثرت الله به في علمِ الغيبِ لا يُمكن إدراكه، فلو أمكن إدراكه لم يكن الله مُستأثراً به، وإذا لم يُمكن إدراكه فإنَّه لا يُخصر بتسعة وتسعين.

وهذا القول هو الراجح، وهو أنَّ أسماء الله غير محصورة، وليست كلها معلومة لنا؛ لأنَّ الرسول يقول: «أو استأثرت به في علمِ الغيبِ عندك».

تبقى الحاجة إلى الجواب عن قوله: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً، من أحصاها دخل الجنة». فنقول: الجواب أنَّ هذا الحديث جُملة واحدة: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً» موصوفة بأنَّ من أحصاها دخل الجنة؛ يعني: وهناك أسماء أخرى لا علاقة لها بهذا الحكم.

ونظير ذلك أن تقول: عِنْدِي مائَةٌ فَرَسٍ أعددتُها للجهاد في سبيلِ الله. فهل يعني ذلك أنَّه ليس لك سوى هذه المائة، إذا علمنا أن لك ألف فرس؟

الجواب: لا، فالحديث نظير هذا المثال الذي ذكرت، فالمعنى: أن من أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة، وحيثُ تكونُ الأسماء غير محصورة.

ولكن هل هذه التسعة والتسعون يمكن الإحاطة بها علمًا؟

الجواب: نعم؛ لأنَّه لو كان لا يُمكن، لكان كلامُ النبي ﷺ لغواً، وحاشاه.

(١/٣٠)، و«مجموع الفتاوى» (٦/٣٨١، ٣٨٢).

(١) رواه البخاري (٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) رواه الإمام أحمد (٣٩١/١) (٣٧١٢)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٣٦، ١٨٦، ١٨٧)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبخاري، وإلا أنه قال: وذهب غمي مكان همي، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان.

وأورده الدارقطني الحديث في «العلل» (٥/٢٠٠، ٢٠١)، فذكر طريق أبي سلمة الجهني وطريق عبد الرحمن بن إسحاق، كلاهما عن القاسم، عن أبيه، عن ابن مسعود، وطريق علي بن مُسهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم، عن ابن مسعود مرسلًا، ثم قال: وإسناده ليس بالقوي. ١. هـ

إِذَا: يُمَكِّنُ إِحْصَاؤَهَا؛ فَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِسَرْدِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ ^(١)، لَكِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: إِنَّ سَرْدَهَا مُذَرِّجٌ، وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَا يُحْتَجُّ بِهِ ^(٢).

وَوَجَّهَ قَوْلَهُ بِأَنْ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ مَا لَمْ يُوجَدْ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمَسْرُودَةِ مِثْلَ الرَّبِّ، فَالرَّبُّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَلَا يُوجَدْ فِي الْأَسْمَاءِ الْمَسْرُودَةِ، وَالِدَلِيلُ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ: لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «السَّوَاءُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ» ^(٣)، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «أَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظَمُوا فِيهِ الرَّبَّ» ^(٤).

وكَذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ: الشَّافِي، وَلَمْ يُذَكَّرْ فِي الْأَسْمَاءِ الْمَسْرُودَةِ، وَدَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ كَانَ مِنْ رُفِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْمَرِيضِ أَنَّهُ يَقُولُ: «وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي» ^(٥).

إِذَنْ مَا هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى حَضَرِهَا؟

الْجَوَابُ: الطَّرِيقُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَبْنَمَهَا عَنَّا، كَمَا أَبْنَمَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَكَمَا أَبْنَمَ سَاعَةَ الْإِجَابَةِ فِي الْجُمُعَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكُونَ لَنَا عَمَلٌ فِي تَتَبُعِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَحَضَرِهَا؛ لِيَتَبَيَّنَ الْحَرِيصُ عَلَى حَضَرِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ حَتَّى يَنَالَ أَجْرَهَا مِنْ غَيْرِ الْحَرِيصِ.

فَنَقُولُ: هَذَا هُوَ الْقُرْآنُ وَهَذِهِ سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ، فَتَتَبَعَ الْقُرْآنَ، وَتَتَبَعَ السُّنَّةَ، وَخُذْ مِنْهَا تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، وَأَحْصِهَا، وَحِينَئِذٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

وَلَكِنْ يَبْقَى النَّظَرُ فِي مَعْنَى إِحْصَائِهَا، هَلْ هُوَ إِحْصَاؤُهَا عَدًّا، أَوْ أَنَّ الْإِحْصَاءَ شَيْءٌ وَرَاءَ ذَلِكَ؟

نَقُولُ: إِذَا أُرِدَتْ أَنْ تَعْرِفَ الْمَرَادَ، فَاعْرِفِ الْعَوَضَ، فَمَا هُوَ الْعَوَضُ؟

الْجَوَابُ: أَنَّهُ دُخُولُ الْجَنَّةِ، وَمُجَرَّدُ الْعَدِّ لَا يَكُونُ عَوَضًا لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَالْمَرَادُ بِالْإِحْصَاءِ إِذَنْ هُوَ مَعْرِفَتُهَا لَفْظًا وَمَعْرِفَتُهَا مَعْنًى، وَالتَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَدَعَاؤُهُ بِهَا، فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ.

فَمَثَلًا إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ غَفُورٌ، فَلَا يَكْفِي فِي إِحْصَاءِ هَذَا الْاسْمِ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْغَفُورَ، وَأَنَّ الْغَفُورَ مَعْنَاهُ السَّائِرُ لِلذَّنْبِ الْعَافِي عَنْهُ، لَا يَكْفِي هَذَا، حَتَّى تَدْعُو اللَّهَ بِهِ، فَتَقُولَ: يَا غَفُورُ، اغْفِرْ لِي. وَحَتَّى تَتَعَبَّدَ لِلَّهِ بِمُقْتَضَاهُ، بِأَنْ تَتَعَرَّضَ لِمَغْفِرَةِ اللَّهِ بِكَثْرَةِ الْاسْتِغْفَارِ، وَكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، الَّتِي تُوجِبُ الْمَغْفِرَةَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

(١) يَشِيرُ الشَّيْخُ الشَّارِحُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٠٧)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٨٦١)، وَقَالَ: الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَلْخِصِ الْحَبِيرِ» (٣١٨/٤): لَهُ طَرَقٌ، رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ الْوَلِيدِ، عَنْ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسَرَدَ الْأَسْمَاءَ، وَذَكَرَ آدَمَ بْنَ أَبِي إِيَّاسٍ هَذَا الْحَدِيثَ بِإِسْنَادٍ آخَرَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَذَكَرَ فِيهِ الْأَسْمَاءَ، وَلَيْسَ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ.

(٢) انْظُرْ: «مَجْمُوعُ فَنَاوِي» شَيْخُ الْإِسْلَامِ (٤٨٢/٢٢).

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٧٣/١)، وَالنَّسَائِيُّ (٥)، وَابْنُ مَاجَةَ (٢٨٩).

وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا فِي «الْمَشْكَاة» (٣٨١)، وَالْإِرَوَاءُ (٦٥).

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٤٧٩)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) تَقْدِمُ تَخْرِيجَهُ.

ومما يتعلق بأسماء الله ﷻ: هل أسماء الله تَوْفِيقِيَّةٌ يُقْتَصَرُ فيها على ما جاء به النص، أو هي عَقْلِيَّةٌ فُيَسَّمَّى الله ﷻ بها يُقْتَضِيهِ العقل؟

الجواب: هي تَوْفِيقِيَّةٌ؛ لأننا لا نعلم الاسم الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى الله به، فعقولنا تَقْصُرُ عن ذلك، ولذلك يُعْتَمَدُ في هذا على النص، ولا نُسَمِّي الله بما لم يُسَمَّ به نفسه.

وإذا كان لا يُمَكِّنُ أَنْ تُسَمَّى الشخص من بني آدم بما لم يُسَمَّ به نفسه -أي: بما لا نَعْلَمُ أَنَّهُ اسْمُهُ-، فكَيْفَ بالرَّبِّ ﷻ؟! يَعْني: إذا كان لا يُمَكِّنُ أَنْ تَقُولَ لشخص لا نَعْلَمُ اسْمَهُ: يا عبد الله مثلاً، يا علي، يا خالد، يا بكر. فالرَّبُّ ﷻ أَوْلَى أَلَّا تُسَمِّيَهُ باسم لا نَعْلَمُ أَنَّهُ سَمَّى به نفسه؛ لأنَّ جانبَ الربوبية أعظمُ احتِراماً من جانبِ البشرية.

وعلى هذا فالأسماء تَوْفِيقِيَّةٌ، فلا يجوزُ أَنْ تُسَمَّى الله بما لم يُسَمَّ به نفسه، ولهذا عَدَّ العلماءُ تَسْمِيَةَ الله بما لم يُسَمَّ به نفسه مِنَ الإلحادِ في أسماء الله.

وَيَكُونُ يَتَعَلَّقُ بِالأسماءِ والصفاتِ أيضاً: أَنَّ الصفةَ أَوْسَعُ مِنَ الاسمِ، وكيف ذلك؟

الجواب: أَنَّ كُلَّ اسمٍ مُتَضَمِّنٌ لصفةٍ -كما تقدم- وبهذه القاعدة الكلية تَسَاوَى الأسماءُ والصفاتُ، لكن ليس كُلُّ صفةٍ يُشْتَقُّ منها اسمٌ، وبهذا تكونُ الصفاتُ أَوْسَعُ مِنَ الأسماءِ، ولهذا مِنَ صفاتِ الله أَنَّهُ متَكَلِّمٌ ومُرِيدٌ وصانعٌ وجاءَ ونازِلٌ، وما أَشَبَهَ ذلكَ مِنَ الصفاتِ الكثيرةِ التي لا تُحْصَى، لكن لا يُسَمَّى الله تعالى بشيءٍ دَلَّتْ عليه هذه الصفةُ.

فكانت الصفاتُ أَوْسَعُ مِنَ الأسماءِ لهذا السبب. فقوله: ﴿لَهُ هُوَيْدٌ وَمُعِيدٌ﴾ (الزمر: ١٧). لا يُمَكِّنُ أَنْ تَشْتَقَّ مِنْهُ اسماً، فنقول: هو المَبْدِئُ المُعِيدُ. لكن لا بَأْسَ أَنْ تُخْبِرَ، فنقول: الله مُبْدِئٌ وَمُعِيدٌ.

كذلك القابضُ الباسطُ: لولا الحديثُ لَقُلْنَا جَزْماً: إِنَّها ليسا مِنَ أسماءِ الله؛ لأنَّها لم يَأْتِيا في القرآنِ إلا بلفظِ الفعل، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسِطُ﴾ لكن جاءَ في الحديثِ: «إِنَّ اللهَ هو القابضُ الباسطُ». ^(١) فهل نقولُ: إِنَّ القابضَ الباسطَ مِنَ أسماءِ الله؛ لقوله: «إِنَّ اللهَ هو القابضُ الباسطُ». أو نقولُ: إِنَّ الحديثَ وَرَدَ على قضيةٍ معينةٍ، وهي التَّسْعِيرُ، لَمَّا طَلَبَ الصحابةُ مِنَ النبي ﷺ أَنْ يُسَعِّرَ حينَ غَلَا السَّعْرُ قال: «إِنَّ اللهَ هو القابضُ الباسطُ المُسَعِّرُ» فيكونُ القابضُ الباسطُ في الرِّزْقِ، فهو الذي يَقْبِضُهُ وَيَبْسِطُهُ، وهو الذي يُقَدِّرُ الغَلَاءَ والرُّخْصَ، فيكونُ هذا مِنْ بابِ الصِّفَةِ، لا مِنْ بابِ الاسمِ ^(٢).

(١) رواه أبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، وابن ماجه (٢٢٠٠).

وصححه الشيخ الألباني، كما في «غاية المرام» (٣٢٣)، و«الروض النضير» (٤٠٥)، و«التعليق على السنن».

(٢) قال الشيخ رحمه الله في إجابة على سؤال وجه له أثناء الشرح: والقابض الباسط الأولى جمعها، ويكون هذا من الأسماء المزدوجة، التي لا يَتِمُّ الكمالُ إلا باجتماعها، وإن كان الباسط لو أُفِرِدَ لكانَ لا بَأْسَ، به أمَّا القابضُ فمجردُ القبضِ ليس صفةً كمالاً، لكن إذا قُلْنَا: القابضُ الباسطُ. صارَ مَعْنَاهَا كمالُ التَّصَرُّفِ في حقِّ الله ﷻ

والأمرُ مُخْتَمِلٌ، لكنَّ القاعدةَ التي تُهْمُنَا الآنَ، أن الصفاتِ أَوْسَعُ مِنَ الأَسْمَاءِ، وَوَجْهُهُ أَنْ كُلَّ اسْمٍ مُتَضَمِّنٌ لصفَةٍ، وليس كلُّ صفةٍ مُتَضَمِّنَةٌ لاسمٍ، أو ليس كلُّ صفةٍ يُمكنُ أَنْ يُشْتَقَّ منها اسمٌ ولو قال قائلٌ: هل يُوصَفُ اللهُ بأنَّه عارفٌ؟

نقول: لا يُوصَفُ بأنَّه عارفٌ لسببين:

السببُ الأولُ: أنَّ المعرفةَ تَشْمَلُ العِلْمَ والظَّنَّ، ولهذا قال العلماءُ في تعريفِ الفقيه: معرفةُ الأحكامِ الشرعيةِ علماً أو ظناً، والظَّنُّ في جانبِ الله مُنْتَبِخٌ.

السببُ الثاني: أنَّ المعرفةَ انكشافٌ بعدَ كَيْسٍ، فتكونُ المعرفةُ واردةً على جَهْلٍ، وهذا غيرُ لائقٍ بالله ﷻ، ولهذا قال صاحبُ «مُخْتَصَرِ التحرير»: ولا يُوصَفُ اللهُ بأنَّه عارفٌ. فإن قال قائلٌ: ما الجوابُ عن قولِ النبي ﷺ: «تَعَرَّفَ إِلَى اللهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ»^(١).

قلنا: المعرفةُ هنا ليستِ المعرفةُ التي هي العلمُ؛ لأنَّ الله عالمٌ بالإنسانِ في حالِ الشَّدَةِ، وفي حالِ الرِّخَاءِ، لكنَّ المرادَ بذلكَ لَازِمُهَا، وهو أَنَّكَ إِذَا تَعَرَّفْتَ إِلَى اللهِ فِي الرِّخَاءِ، فَإِنَّ اللهَ يَرَأُفُ بِكَ فِي حالِ الشَّدَةِ، وَكَمْ مِنْ إنسانٍ لم يُنْقِذْهُ مِنْ شِدَّتِهِ إِلَّا مَعْرِفَتُهُ لربِّه تعالى في الرِّخَاءِ.

وَحَدَّثَنَا مَنْ ثَبَقَ بِهِ أَنَّهُ فِي زَمَنِ نَقْلِ البَصَائِعِ عَلَى الإِبْلِ قَبْلَ وجودِ السَّيَّاراتِ انْقَطَعَ بِهِ السَّفَرُ فِي الدَّهْنَاءِ، والدَّهْنَاءُ ما فيها ماءٌ في ذلكَ الوقتِ، وَأَنَّهُ نَامَ عَلَى عطشٍ شديدٍ وجوعٍ، فرأى في المنامِ أَنَّ رجلاً جاءَ إِلَيْهِ بِقَدَحٍ مِنْ لبنٍ، فشرِبَته فقامَ نَشِيطاً شَبَعانَ رِيَّانَ، وقال: إِنَّ القَدَحَ الَّذِي جِيءَ بِهِ إِلَيَّ فِي المنامِ مِثْلُ القَدَحِ الَّذِي كُنْتُ أَشْقِي بِهِ عَجُوزًا لَنَا مِنْ جيراننا... فسبحانَ الله!

وهذا مصداقُ الحديثِ: «تَعَرَّفَ إِلَى اللهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ».

فالحاصلُ: أنَّ المعرفةَ في الحديثِ ليستِ هي المعرفةُ التي هي معرفةُ العلمِ، بل إنَّ المرادَ لَازِمُهَا، وهو أَنَّ اللهَ ﷻ يَرَأُفُ بِهِ، وَيَذْكُرُهُ حَتَّى يُزِيلَ شِدَّتَهُ.

وَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: لو أَوْرَدَ عَلَيْنَا مُورِدٌ بَأَنَّا إِذَا قُلْنَا: المرادُ بقوله: «يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ»؛ أي: الرِّحْمَةُ وَالْحَنَانُ وَالْعَطْفُ وما أَشَبَهُ ذَلِكَ، وقال: هذا صرفٌ للفظٍ عن ظاهِرِهِ، وأنتم تُشَنِّعُونَ عَلَيْنَا إِذَا صَرَفْنَا اللفظَ عن ظاهِرِهِ فها الجوابُ؟

فالجوابُ: أَنَّ صَرَفَ اللفظِ عن ظاهِرِهِ إِذَا كَانَ لِلدَّلِيلِ، فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، ولهذا نقولُ: إِنَّ قَوْلَهُ تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَوِذْ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٨]، مَعْنَاهُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقْرَأَ. وَهَذَا الْمَعْنَى مُتَعَيِّنٌ مَعَ أَنَّهُ خِلَافُ ظَاهِرِ اللفظِ، وَذَلِكَ عَلَيْهِ

قَبْضًا وَبَسْطًا، وَلَوْ قُلْنَا: الباسطُ فقط، لكانَ مَعْنَاهَا الموسعَ وهو صفةٌ كمالٍ على كُلِّ حالٍ. فالقابضُ لا يُذكرُ وحده، وَأَمَّا الباسطُ فلا بَأْسَ.

(١) مختصر التحرير (ص ١٥).

رواه أحمد في «مسنده» (٣٠٧/١) (٢٨٠٣) وقال الشيخ شعيب في تحقيق المسند: حديث صحيح.

دليل، هو أن الرسول كان يتعوذ عند إرادة القراءة^(١).

والدليل الصارف في مسألتنا أن الله يعرف الإنسان في الشدة، وفي حال السعة. هذا من وجه. والوجه الثاني: أن الله لا يوصف بالمعرفة؛ لأن المعرفة معناها اللغوي انكشاف بعد لبس؛ أي: بعد خفاء، والله سُبْحَانَهُ لا يخفي عليه شيء. وأيضا المعرفة في اللغة تشمل العلم والظن، والظن، في حق الله غير وارد، ولا يليق به، وإنما يكون الظن منا ممن تخفى عليهم الأمور.

ولو قيل: هل المحسن والمتق من أسماء الله؟

فالجواب: أما المحسن فقد ورد فيه حديث أن الله تعالى محسن^(٢)، وبعض العلماء يقول: إنه ليس اسما من أسماء الله، ولكنه خبر؛ لأنه لم يرد معرفاً بـ «ال»، فيكون خبراً، لكن شيخ الإسلام رحمه الله من الأسماء، وقال: إن المحسن من أسماء الله.

ولهذا أقره العلماء، فكان من أجدادنا من يسمى بعبد المحسن، فرأى رحمه الله أنه من الأسماء، وذكر أن الناس ما زالوا يقولون: عبد المحسن، عبد الباري، عبد الخالق فالاسم ما كان لازماً له، والصفة ما كان من أفعاله.

أما المتق فليس من أسماء الله، وهو مع كونه موجوداً في الأسماء المسروقة، فهو ليس من أسماء الله، بل هو من وصف الله المقيد أيضاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِطُونَ﴾^(٣) [البقرة: ٢٢].

ومما يتعلق بالأسماء أيضاً: أن جمع الاسم إلى الآخر يكون منه كمال آخر فوق ذكر كل اسم وحده، فالجمع بين العزة والحكمة يفيد معنى أكثر مما لو ذكرت العزة وحدها أو الحكمة وحدها؛ لأن العزيز إذا لم تكن عزته بحكمة، فربما يكون التصرف تصرفاً غير حكيم، فإذا كانت العزة بالحكمة صار لها معنى أكثر.

وكذلك العفو القدير أيضاً، فقوله تعالى: ﴿إِنَ اللَّهُ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾^(٤) [البقرة: ١٤٩]. مثلها ففي اجتماع العفو مع القدرة يتم الكمال؛ لأن العفو مع العجز نقص.

(١) رواه أحمد (٤/ ٨٠، ٨٣، ٨٥) (١٦٣٩، ١٦٧٦٠، ١٦٧٨٤)، وأبو داود (٧٦٤)، وابن ماجه (٨٠٧). وقال أحمد رحمه الله: لا يصح هذا الحديث. وانظر التلخيص الحبير (٤١٦/١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٨٦٠٣)، وعنه الطبراني في الكبير (٧١٢١).

عند ابن أبي عاصم في الدييات (ص ٥٦)، وابن عدي في الكامل (٣٢٨/٢)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١١٣/٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

وعند ابن عدي في الكامل بلفظ: «إن الله تعالى محسن فأحسنوا» صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٨١٩).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٩٦/٨): واسم المتق ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي ﷺ، وإنما جاء في القرآن مقيداً؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِطُونَ﴾^(٤) [البقرة: ٢٢].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾^(٥) [البقرة: ٤٧]. ١. هـ.

وإذا قال قائل: هل يُسَمَّى الله ﷻ بالسيد؟

فالجواب: نعم، يُسَمَّى السيد، جاء ذلك في الحديث عن النبي ﷺ^(١).

وقوله في الحديث: «لا يَرْحَمُ الله مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ». مناسبتُهُ للترجمة ظاهرة في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ [البقرة: ١١٠].

فيستفاد من هذا الحديث: أَنَّ الرَّحْمَنَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وله حُكْمٌ يَتَعَلَّقُ بِهِ، وهو ما يُطْلَقُ عليه بعضُ العلماءِ الأثر، وذلك أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ ﷻ قِسْمَانِ: لازِمٌ ومُتَعَدٌّ.

فاللَّازِمُ يَدُلُّ على الاسمِ والصفةِ فَقَطْ؛ مثلُ الحيِّ، فالحيُّ ليس له متعلِّقٌ بائنٌ عن الله ﷻ بل هو صِفَةٌ لازِمَةٌ فالحيُّ معناه ذو الحياة، وكذلك العظيمُ معناه ذو العظمة، والجليلُ معناه ذو الجلال، وما أشبهها؛ فهذه أَسْمَاءٌ لازِمَةٌ يَتِمُّ الإيَّانُ بها بإثباتِ الاسمِ وإثباتِ الصفةِ.

وهناك أَسْمَاءٌ متعديَّةٌ يَعْنِي -لها تَعَلُّقٌ بالمخلوقِ- وهذه لا بَدَّ للإيَّانِ بها مِنَ الإيَّانِ بالاسمِ والصفةِ والحُكْمِ المُتَرَتِّبِ على هذا الاسمِ، أو على هذه الصفةِ، وبعضُهم يقول: الأثر.

مثال ذلك: اسمُ الرحمن، فالرحمنُ يَدُلُّ على الاسمِ والصفةِ، وهي الرحمةُ، ويَدُلُّ على الحُكْمِ وهو أَنَّهُ يَرْحَمُ، كما في الحديث: «لا يَرْحَمُ الله مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ». وكما في القرآن الكريم: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ

يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وكذلك السميعُ له حُكْمٌ؛ بدليلِ قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ

يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا﴾ [البقرة: ٢٢٠].

﴿والحكيمُ﴾ نقول: إمَّا مِنَ الْحِكْمَةِ فهو غيرُ مُتَعَدٍّ، وإمَّا مِنَ الْحُكْمِ فهو مُتَعَدٌّ، قال الله تعالى:

﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ يَنْتَكُمُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

والبخاري رحمه الله أتى بهذا الحديث -والله أعلم- للإشارة إلى أَنَّ الرحمنَ اسمٌ مُتَعَدٍّ يَتَعَلَّقُ بالمخلوقين.

وفي الحديثِ الحثُّ على الرحمة، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا بِالْخَلْقِ، حتَّى بالبهايم، فالإنسانُ الذي يَجِدُ مِنْ قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلنَّاسِ وللبهايمِ فليُسِّرْ بِالْخَيْرِ أَنَّهُ مِمَّنْ يَرْحَمُهُمُ اللهُ ﷻ.

فالجَنَّةُ رَحْمَةُ اللهِ، وأهلُها الرِّهَاءُ، وفي الحديث: «ازْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ»^(٢) مَنْ فِي السَّاءِ^(٣) وإذا وَجَدْتَ مِنْ قَلْبِكَ غِلْظَةً على مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ، فَيَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُعَالِجَ هذه الغِلْظَةَ،

(١) رواه أحمد (٢٤/ ٢٥) (١٦٣٠٧)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٦)، وصححه

الشيخ الألباني، كما في المشكاة (٤٩٠١)، و«إصلاح المساجد» (١٠٣)، و«التعليق على سنن أبي داود».

(٢) قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ١١٩): روى «يرحمكم» مرفوعاً على الاستئناف البيان، ويجوز جزمه؛ لوقوعه في جواب الأمر، لكن ذكر في الإسعاف أن الرواية بالرفع، وكذا نقله البيلوني عن العمادي على أن الجملة دعائية فاعرفه. اهـ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٦٠) (٦٤٩٤) وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وقال: حديث حسن

وَأَنْ تُحَوَّلَهَا إِلَى رَحْمَةٍ.

وَأَسْبَابُ الرَّحْمَةِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا الْفَقْرُ، وَمِنْهَا الصَّغَرُ، وَمِنْهَا الْمَرَضُ، وَمِنْهَا الْقَرَابَةُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ.

فَكُونُكَ تَرْحَمُ هَذَا؛ لِأَنَّهُ صَبِيٌّ صَغِيرٌ، أَوْ لِأَنَّهُ يَتِيمٌ، وَتَرْحَمُ هَذَا الرَّجُلَ؛ لِأَنَّهُ فَقِيرٌ، أَوْ لِأَنَّهُ مَرِيضٌ... إلخ، فَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ رَحْمَةً لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ مُوَفَّقٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧٧- حَدَّثَنَا أَبُو الثَّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ الْأَخْوَلِ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَمُرْهَا فَلْتَضْمِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَهَا فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّْ فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ»^(١).

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ»، فَهَذِهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ، مِنْ آثَارِ الْأَسْمِ الَّذِي هُوَ الرَّحْمَنُ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هَلِ الرَّحْمَةُ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ لَزِمَةٌ لِلَّهِ، أَوْ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّهَا فِي أَصْلِهَا ذَاتِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا صِفَةٌ كَمَالٍ، لَكِنْ فِي أَفْرَادِهَا وَآحَادِهَا فِعْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِالْمَشِيئَةِ فَهُوَ صِفَةٌ فِعْلِيَّةٌ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: رَحْمَةُ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ دُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ، وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ.

❦ وَقَوْلُهُ: «وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ»؛ يَعْنِي: لَهَا صَوْتُ قَعْقَعَةٍ.

❦ وَقَوْلُهُ: «كَأَنَّهَا فِي شَنٍّْ». وَالشَّنُّ هُوَ الْقُرْبَةُ الْبَالِيَةُ، وَالْقُرْبَةُ الْبَالِيَةُ لَوْ صَارَ فِيهَا شَيْءٌ يَتَحَرَّكُ تَسْمَعُ لَهَا قَعْقَعَةً، وَهَذِهِ حَشَرَجَةُ النَّفْسِ فِي صَدْرِ هَذَا الصَّبِيِّ وَقَوْلُهُ: فَقَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَحْمَةً بِهِ، فَقَالَ سَعْدُ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَكَأَنَّهُ اسْتَعْرَبَ أَنْ يَبْكِيَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذَا الصَّبِيِّ.

صحيح من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الحاكم في المستدرک ١٥٩/٤ بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة، ووافقه الذهبي، وانظر «كشف الخفاء» (١/١١٩).

(١) رواه مسلم (٩٢٣).

❦ وقوله ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». في هذه الكلمات النيرة من رسول الله ﷺ أكبر تغزية، وهي قوله: «إن الله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى» سبحانه الله! كلمات النبوة لها نور، إيجاز مع عظم المعنى وسعته، فإذا كان الشيء لله فله ما أخذ وله ما أعطى، فينبغي أن يكون موقفنا نحن مما أخذ الله من بين أيدينا التسليم بأن الأمر لله، له ما أخذ وله ما أعطى ﷻ، كل شيء عنده بأجل مسمى.

فالشيء المقدر لا يمكن أن يتقدم أو يتأخر؛ لأنه بأجل مسمى؛ أي: معين في تلك الساعة المعينة يكون هذا الشيء، ولا يمكن أن يتقدم أو يتأخر.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾ [الأنعام: ٨]. فهذا الحديث عائد للمدة وذاك عائد للكم، كل شيء بمقدار، ويمكن أن نجعل قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾. عائداً حتى على الزمن، وهذا دليل على كمال عناية الرب ﷻ بخلقه، وأنه ﷻ يقدر كل شيء في أجل لا يتعداه، ولا يقصر عنه.

إذا: من أسماء الله «الرحمن» وهو يدل على وصف الرحمة، وعلى فعل الرحمة، وفي البسملة: بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرحيم، هل اسما الرحمن والرحيم مترادفان أو متباينان باعتبار دلالتها على الذات، وباعتبار معناهما؟

الجواب: أما باعتبار دلالتها على الذات فهذا مترادفان، وأما باعتبار معناهما فمتباينان، لكن كيف يكونان متباينين، وهما من الرحمة، فالرحمن من الرحمة، والرحيم من الرحمة؟

أجاب العلماء عن ذلك بما يقتضي أن يكون جوازيين:

الجواب الأول: أن الرحمن صفة عامة، والرحيم صفة خاصة، فالرحمن عامة لكل أحد، والرحيم خاصة بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝١٧﴾ [الأنعام: ١٧].

الجواب الثاني: أن الرحمن باعتبار الوصف، والرحيم باعتبار الفعل، فوصفه الرحمة، ولهذا جاءت على صيغة فعلان الذي يدل على السعة والامتلاء، فغضبان مثلاً للممتلي غضباً، وسكران للممتلي سكرًا، وريان لمن امتلأ بطنه ماءً، فلما أريد الوصف جاءت على وزن فعلان، أما حين أريد الفعل فجاءت على اسم رحيم.

وهذا الثاني أقرب، وهو أن الرحمن باعتبار الوصف، والرحيم باعتبار الفعل، الذي هو إيصال

الرحمة إلى المرحوم.

ذكر صاحب الفتح في تفسير الرحمة أنها إرادة الإنعام، أو إرادة الإحسان، أو الإنعام نفسه، أو الإحسان نفسه، وهذا تحريف للرحمة عن معناها الحقيقي؛ لأن الرحمة صفة تتعلق بالراحم. لكن الأشاعرة وأشباههم لا يثبتون من الصفات إلا ما دلت عليه عقولهم، ويذكرون من الصفات ما لم تدل عليه عقولهم، وإن كان العقل يدل على أنها ثابتة لله ﷻ.

فَالرَّحْمَةُ يُنْكِرُونَ أَنْ يُوصَفُ اللَّهُ بِهَا، يَقُولُونَ: لِأَنَّ الرَّحْمَةَ رَقَّةٌ وَلَيْنٌ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٥٨: ١٠). وَحَيْثُ تَقْسُرُ الرَّحْمَةُ بِأَنَّهَا إِرَادَةُ الْإِنْعَامِ أَوْ الْإِنْعَامُ نَفْسُهُ.

فَأَمَّا تَفْسِيرُهَا بِالْإِنْعَامِ عَنْدهُمْ فَظَاهِرٌ؛ لِأَنَّ الْإِنْعَامَ نِعْمَةٌ مُتَفَصِّلَةٌ بَاطِنَةٌ عَنِ اللَّهِ، وَالْإِرَادَةُ ثَابِتَةٌ عَنْدهُمْ لَا يُنْكِرُونَهَا، وَلَكِنَّا نَقُولُ: هَذَا تَحْرِيفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ لِأَنَّ إِرَادَةَ الْإِنْعَامِ أَوْ الْإِنْعَامَ إِنَّمَا تَكُونُ بَعْدَ الرَّحْمَةِ، فَالْإِرَادَةُ مُرْتَبَةٌ عَلَى الرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّ الرَّحِيمَ هُوَ الَّذِي يَرِيدُ الْإِنْعَامَ وَالْإِحْسَانَ.

فَتَفْسِيرُ الرَّحْمَةِ بِمَا كَانَ مِنْ أَثَارِهَا تَحْرِيفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلِهَذَا نَقُولُ: نَحْنُ نَثْبِتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَحْمَةٌ يَرْحَمُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ هَذِهِ الرَّحْمَةُ إِذَا كَانَتْ رَقَّةً فِي الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ كَذَلِكَ فِي الْخَالِقِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١: ٤١).

عَلَى أَنَّنَا لَا نُسَلِّمُ لَهُمْ أَنَّ الرَّحْمَةَ رَقَّةٌ، فَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الشَّجَاعُ، أَوِ السُّلْطَانُ الْقَوِيُّ النَّافِذُ أَمْرُهُ، قَدْ يَكُونُ رَحِيمًا، وَلَا يَقْتَضِي ذَلِكَ شَيْئًا يَنْقُصُ مِنْ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ. وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»، سِوَاءَ كَانَ ذَاكِرًا، أَوْ آثَرًا، أَوْ مَقْرَأًا، فَعَلَى كُلِّ حَالٍ مَعْرُوفٌ أَنَّ مَذْهَبَ الْأَشَاعِرَةِ هُوَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ رَحْمَةٌ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى الْإِرَادَةِ هُوَ التَّخْصِصُ.

ثُمَّ لَا يَسْتَدِلُّونَ عَقْلًا عَلَى الرَّحْمَةِ بِمَا يُنْعِمُ اللَّهُ بِهِ عَلَى الْعِبَادِ، مِنَ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَالصَّحَّةِ وَالْأَمَنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَثَارِ الرَّحْمَةِ.

وَكُونُهُ مِنْ أَثَارِ الرَّحْمَةِ يُذَكِّرُهُ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى الْعَامَّةُ، فَالْعَامِيُّ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، وَرَأَى الْمَطَرَ قَالَ: هَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ. لَكِنِ الْعَامِيُّ لَا يَذْكُرُ أَنَّ الْإِسَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ وَالْمَخْلُوقَاتِ أَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الْإِرَادَةِ، وَهَذَا مِنَ الْغَرَائِبِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اعْتَمَدَ عَلَى عَقْلِهِ ضَلَّ.

وَالْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» نَقَلَ عَنْهُمْ، فَإِذَا لَمْ يَرِدْ فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ مُقَرَّرٌ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا نَقُولُ: إِنَّهُ أَشْعَرِيٌّ خَالِصٌ؛ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ لَيْسُوا يَخَالِفُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي الصِّفَاتِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا يَخَالِفُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ - كَمَا قَالَ الشَّيْخُ سَفَرُ الْحَوَالِي - فِي أَكْثَرِ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةِ مَسْأَلَةٍ فِي الْعَقِيدَةِ،^(١) فَإِذَا رَأَيْنَا رَجُلًا أَوَّلَ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ وَالصِّفَاتِ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ أَشْعَرِيٌّ حَتَّى نَذْكُرَ حَالَهُ وَنَنْظُرَ فِيهِ، فَنَقُولَ: هُوَ مُخَالَفٌ لِرَأْيِ السَّلَفِ إِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ أَوَّلَ هُوَ بِنَفْسِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٥٨: ١٠).

٧٣٧٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَضْبَرَ عَلَى أَدَى سَمْعِهِ مِنَ اللَّهِ يَدْعُو لَهُ

(١) لِلدُّكُورِ سَفَرُ الْحَوَالِي رَحِمَهُ اللَّهُ رِسَالَةً صَغِيرَةً بَيِّنَ فِيهَا «مَنْهَجُ الْإِشَاعِرَةِ فِي الْعَقِيدَةِ»، وَهِيَ مَطْبُوعَةٌ فِي مَكْتَبَةِ الْعِلْمِ.

الْوَلَدُ ثُمَّ يَعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»^(١).

الرِّزْقُ صِيغَةُ مُبَالِغَةٍ مِنَ الرِّزْقِ، وَهُوَ الْعَطَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ [النِّسَاءُ: ٨]. أَيْ: أَعْطُوهُمْ مِنْهُ. وَجَاءَتْ بِصِيغَةِ الْمُبَالِغَةِ لِأَحَدِ وَجْهَيْنِ:

إِمَّا لِأَنَّهَا مِنْ بَابِ النَّسْبَةِ، وَأَنَّ الرِّزْقَ وَصَفٌ لَازِمٌ لِلَّهِ.

وإِمَّا لِلْمُبَالِغَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْكَثَرَةِ، وَذَلِكَ لِكَثَرَةِ مَنْ يَرْزُقُهُ اللَّهُ ﷻ، وَلِكَثَرَةِ رِزْقِهِ ﷻ.

فَالرِّزْقُ إِذْنٌ عَلَى وَزْنِ فَعَالٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلنَّسْبَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلْمُبَالِغَةِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ فَعَالٌ تَكُونُ لِلنَّسْبَةِ كَالنَّجَارِ وَالْحَدَّادِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَتَكُونُ لِلْمُبَالِغَةِ.

فَإِذَا كَانَتْ لِلنَّسْبَةِ، فَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِهَذِهِ الصِّفَةِ.

وَإِذَا كَانَتْ لِلْمُبَالِغَةِ، فَالْمَعْنَى كَثَرَةُ مَنْ يَرْزُقُهُمُ اللَّهُ ﷻ، وَكَثَرَةُ الرِّزْقِ الَّذِي يُعْطِيهِ.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الرِّزْقُ﴾ [النِّسَاءُ: ٥٨]. هُوَ ضَمِيرُ فَصْلٍ، يَدُلُّ عَلَى الْحَصْرِ، وَ«الرِّزْقُ» بِصِيغَةِ الْمُبَالِغَةِ

لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ.

أَمَّا الرَّاظِقُ أَوْ رَزَقَ يَرْزُقُ فَتَكُونُ لِلَّهِ وَلِلْمَخْلُوقِ.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾. ذُو بِمَعْنَى صَاحِبٍ، وَالْقُوَّةُ هِيَ الْفِعْلُ بِلا ضَعْفٍ، وَلَيْسَتْ هِيَ الْقُدْرَةُ؛ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ الْفِعْلُ بِلا عَجَزٍ، وَالْقُوَّةُ الْفِعْلُ بِلا ضَعْفٍ، وَالِدَلِيلِ: قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [النِّسَاءُ: ٥٤]. لَمْ يَقُلْ: ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُدْرَةً.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [طه: ٤٤].

فَقَالَ: ﴿لِيُعْجِزَهُ﴾. ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾. وَلَمْ يَقُلْ: كَانَ عَلِيمًا قَوِيًّا؛ لِأَنَّ الْعَجْزَ ضِدُّهُ الْقُدْرَةُ، وَالضَّعْفَ ضِدُّهُ الْقُوَّةُ.

فَإِذَا قِيلَ: أَيُّهَا أَكْمَلُ: الْقُدْرَةُ أَوْ الْقُوَّةُ؟

قُلْنَا: الْقُوَّةُ أَكْمَلُ، وَيُظْهَرُ ذَلِكَ بِالْمَثَالِ، فَلَوْ قِيلَ لَكَ: أَخِمْ لَ هَذَا الْحَجَرَ. فَأَرَدْتَ أَنْ تَحْمِلَهُ، فَعَجَزْتَ أَنْ تُقِلَّهُ عَنِ الْأَرْضِ، فَأَنْتَ الْآنَ غَيْرُ قَادِرٍ.

وَلَوْ قِيلَ لَكَ: أَخِمْ لَ هَذَا الْحَجَرَ. فَحَمَلْتَهُ، وَلَكِنْ بِمَشَقَّةٍ، فَأَنْتَ الْآنَ قَادِرٌ غَيْرُ قَوِيٍّ.

وَلَوْ قِيلَ: أَخِمْ لَ هَذَا الْحَجَرَ فَحَمَلْتَهُ بِسَهُولَةٍ حَتَّى رَفَعْتَهُ إِلَى فَوْقِ فَأَنْتَ الْآنَ قَوِيٌّ.

إِذَا: الْقُوَّةُ أَكْمَلُ مِنَ الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّ كُلَّ قَوِيٍّ قَادِرٌ، وَلَيْسَ كُلُّ قَادِرٍ قَوِيًّا. وَيَقَابِلُ الْقُوَّةَ الضَّعْفُ، وَلِهَذَا تَقُولُ: فَلَانَ قَوِيًّا، غَيْرُ ضَعِيفٍ، وَلَا تَقُولُ: فَلَانَ قَوِيًّا غَيْرُ عَاجِزٍ، وَتَقُولُ: فَلَانَ قَادِرًا غَيْرُ

عَاجِزٍ.

فَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْقُدْرَةِ وَالْقُوَّةِ.

فرق آخر، وهو أن القوة تكون في الحيوان والجاء، والقدرة تكون في الحيوان فقط، فتقول: هذا الحديد قوي، ولا تقول: هذا حديد قادر.

إذا: لا يوصف بالقدرة إلا ما كان ذا روح، فيمكن أن تقول: الفيل قوي وقادر، والإنسان قوي وقادر.

❖ وقوله ﷺ: «الْمَتِين». أي: الشديد القوة.

ففي هذه الآية من أسماء الله ثلاثة: الله، والرزاق، والمتين.

وفيها من صفات الله أربعة: الألوهية والرزق والقوة والمتانة.

ثم ساق المؤلف حديث أبي موسى الأشعري: قال: قال النبي ﷺ: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله». إذا قلنا: ما أحد أصبر^(١). فهذه لغة تميم، وإذا قلنا: ما أحد أصبر^(٢). فهذه لغة قريش؛ لأن قريشاً يجعلون ما النافية تعمل عمل «ليس» بشروط معروفة، والتميميون يرونها لا تعمل^(٣)، وقد قال الشاعر:

وَمُهَفَّهٍ الْأَعْطَافِ قُلْتُ لَهُ انْتَسِبَ فَأَجَابَ مَا قَتَلَ الْمَحَبَّ حَرَامٌ^(٤)

فالشاعر هنا تميمي؛ لأنه لم يقل: ما قتل المحب حراماً. ولو قال: ما قتل المحب حراماً. صار قريشياً.

❖ قوله: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله». أصبر على أذى في هذا وصف الله تعالى بالصبر والتحمل من عباده.

وفيه إثبات الأذية لله ﷻ وأن الله ﷻ يتأذى، ولكن هل الصبر صفة عيب أو صفة كمال؟

الجواب: لا شك أنه صفة كمال، وأن الإنسان يثنى عليه بالصبر، فكذلك الرب ﷻ يثنى عليه بالصبر.

ولكن هل التأذي بما يؤذي صفة نقص؟

الجواب: لا، ليس صفة نقص؛ لأنه لا يلزم من الأذى الضرر، ولهذا نقول: إن الله ﷻ يتأذى، ولكنه لا يتضرر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]. وهذا في القرآن.

وفي الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يسب الذَّهْرَ وأنا الذَّهْرُ»^(٥) لكنه قال في القرآن: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسُبُّونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٧٦].

وقال في الحديث القدسي: «يا عبادي، إنكم لن تبغوا ضري فتضروني، ولن تبغوا نفعي

(١) بالرفع.

(٢) بالنصب.

(٣) انظر: «شرح قطر الندى» (ص ١٤٢ - ١٤٤)، وشرح ابن عقيل (١/ ٣٠١)، وأوضح المسالك (١/ ٢٤٥)،

والنحو الوافي (١/ ٥٩٣) والقواعد الأساسية للهاشمي (ص ١٥٦).

(٤) انظر: «ريحانة؟» (ص ٢٦٤)، و«الإفادات والإنشاءات» للشاطبي (ص ٥٦)، و«نفع الطيب» (٥/ ٢٢٧).

(٥) تقدم تخريجه.

فَتَقْعُونِي»^(١). وَالْأَدَى لَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ الْمُتَأَدِّي؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَتَأَدَّى بِالرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ، وَلَكِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِ، بَلْ قَدْ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِهِ، إِذَا تَأَدَّى بِهَا يُؤْذِي حَقِيقَةً.

❖ وَقَوْلُهُ: «يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ، وَيَرْزُقُهُمْ»؛ أَي: يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ وَلَدًا، وَذَلِكَ كَمَا قَالَتْ الْيَهُودُ: عَزِيرُ ابْنِ اللَّهِ. وَكَمَا قَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. وَكَمَا قَالَ الْمُشْرِكُونَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ. ❖ وَقَوْلُهُ: «وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»، هَذِهِ هِيَ نَتِيجَةُ الصَّبْرِ، أَنَّهُ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ، مَعَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ.

وَدَعَا الْوَلَدَ لِلَّهِ ﷻ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

الشَّيْءُ الْأَوَّلُ: تَكْذِيبُ اللَّهِ ﷻ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، بَلْ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ؛ ﴿سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١٧١].

الشَّيْءُ الثَّانِي: وَصَفُ اللَّهِ بِالنَّقْصِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْوَلَدِ إِلَّا مَنْ كَانَ نَاقِصًا، فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى الْوَلَدِ لِيُعِينَهُ فِي مُهِمَّاتِهِ، وَلِيُنْقِىَ نَسْلُهُ بَعْدَهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ بَلَ نَسْلٍ نُسِي، وَلَمْ يَأْتِ لَهُ ذَكَرٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا مِنْ عِلْمٍ، أَوْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ: فَهَؤُلَاءِ آدَوَا اللَّهَ ﷻ بِدَعَايِ الْوَلَدِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ، وَلَوْ لَا صَبْرُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا هَلَكَ لَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَنْبٍ﴾ [الزُّمَرُ: ٤٥].

وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ». أَي: يُعَافِيهِمْ فِي أَبْدَانِهِمْ مِنَ الْأَمْرَاضِ، وَيُعَافِيهِمْ فِي أَعْرَاضِهِمْ مِنْ أَنْ تُنْتَهَكَ، وَيَرْزُقُهُمْ أَيْضًا. وَفِي هَذَا: الْحَدِيثِ مِنَ الصِّفَاتِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الصَّبْرِ؛ لِقَوْلِهِ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ».

وَهَلْ هُوَ حَقِيقِيٌّ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ، هُوَ حَقِيقِيٌّ، وَلَكِنَّهُ لَا يُشْبِهُ صَبْرَ الْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ قَدْ يَصْبِرُ، لَكِنْ مَعَ تَضَجُّرٍ وَتَمَلُّلٍ، وَأَمَّا الرَّبُّ ﷻ فَلَا. لَا يَلْحَقُهُ مِنْ صَبْرِهِ شَيْءٌ كَمَا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقُ مِنْ صَبْرِهِ.

وَفِيهِ: إِثْبَاتُ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ وَيُعَافِي؛ لِقَوْلِهِ: «وَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».

وَهَلْ نَشْتَقُ مِنْ «يَرْزُقُهُمْ» اسْمًا؟

الْجَوَابُ: لَا، لَكِنْ جَاءَ الْاسْمُ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٥٨].

وَهَلْ نَشْتَقُ مِنْ «يُعَافِي» اسْمًا؟

الْجَوَابُ: لَا، وَلِهَذَا لَا يُسَمَّى اللَّهُ بِالْمُعَافِي، وَلَكِنْ يُخْبِرُ عَنْهُ بِأَنَّهُ يُعَافِي مِنَ الْأَمْرَاضِ الْقَلْبِيَّةِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٧)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والبدنية، قال ﷺ: «وَأَشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ»^(١).

والفرق بَيْنَ الْجَلْمِ وَالصَّبْرِ، أَنَّ الْجَلْمَ لَا يَعَجَلُ بِالْعُقُوبَةِ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ لَا يَصْبِرُ، لَكِنْ فِي الصَّبْرِ يَتَحَمَّلُ، وَنَحْنُ نَقُولُهَا بِالنِّسْبَةِ لَنَا يَتَحَمَّلُ الْإِنْسَانُ وَلَا يَفْكُرُ بِالْعُقُوبَةِ، وَالْحَلِيمُ يَفْكُرُ بِالْعُقُوبَةِ لَكِنَّهُ لَا يُعَجَلُ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(٢) ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٤) ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾^(٥) ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾^(٦).

قَالَ يَحْيَى الظَّاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَالْبَاطِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا
هَذِهِ التَّرْجُمَةُ أَتَى بِهَا الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ لِإثْبَاتِ صِفَةِ الْعِلْمِ لِلَّهِ ﷻ، وَالْعِلْمُ لِلَّهِ ﷻ ثَابِتٌ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ عَلَى وَجْهِهِ مُتَعَدِّدٌ، وَالْعِلْمُ هُوَ إِدْرَاكُ الْمَعْلُومِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

فَقَوْلُنَا: إِدْرَاكٌ. خَرَجَ بِهِ الْجَهْلُ الْبَسِيطُ.

وَقَوْلُنَا: عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. خَرَجَ بِهِ الْجَهْلُ الْمَرْكَبُ؛ لِأَنَّ الْجَهْلَ عِنْدَهُمْ تَوْعَانَ:

جَهْلٌ بَسِيطٌ: وَهُوَ عَدَمُ الْعِلْمِ.

وَجَهْلٌ مَرْكَبٌ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ جَاهِلًا، وَيَجْهَلُ أَنَّهُ جَاهِلٌ، وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ جَهْلَيْنِ؛ الْجَهْلُ بِالْوَقَاعِ، وَالْجَهْلُ بِحَالِهِ.

وَأَضْرَبَ لِهَذَا مَثَلًا يَتَبَيَّنُ بِهِ ذَلِكَ: سَأَلْنَا رَجُلًا: مَتَى كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: كَانَتْ غَزْوَةً بِدْرِ فِي رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ. بِإِذَا تَصِفُ هَذَا الْمَجِيبُ؟ تَصِفُهُ بِأَنَّهُ عَالِمٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

وَلَوْ سَأَلْنَا رَجُلًا آخَرَ فَقُلْنَا لَهُ: مَتَى كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ؟ قَالَ: كَانَتْ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ. فَهَذَا جَاهِلٌ جَهْلًا مُرَكَّبًا.

وَلَوْ سَأَلْنَا الثَّالِثَ، فَقُلْنَا لَهُ: مَتَى كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: لَا أَدْرِي. فَهَذَا جَهْلٌ بَسِيطٌ. فَالْجَهْلُ بَسِيطٌ عَالِمٌ؛ أَيُّ: مُذَرِّكٌ لِلْمَعْلُومَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ﷻ:

أَوْ لَا: أَرَلِّي أَبَدِيَّ.

ثَانِيًا: عَامٌّ شَامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ جَمْلَةً وَتَفْصِيلًا، حَتَّى دَبِيبُ النَّمْلِ فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنْ أَوْقَاتِ الدُّنْيَا يَعْلَمُهُ تَفْصِيلًا، وَيَعْلَمُ أَيْنَ تَضَعُ النَّمْلَةُ خُطْوَهَا تَفْصِيلًا: فَكُلُّ شَيْءٍ يَعْلَمُهُ جَمْلَةً وَتَفْصِيلًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَالْخَالِقُ لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٧) ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾^(٨).

ثالثاً: علم الله لم يُسَبِّحْ بجهل، ولا يُلْحَقُهُ نسيانٌ، كما قال موسى: ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿٥٥﴾ [طه: ٥٠].

إذا: علم الله واسعٌ شاملٌ أَرَلِّي أَيْدِيَّ لم يُسَبِّحْ بجهل، ولا يُلْحَقُهُ نسيانٌ.

ولكن ما هي الفائدة من معرفتنا بهذه الصفة العظيمة؟

الفائدة: أَنَّ الإنسان إذا عَلِمَ أَنَّ الله واسع العلم، وأنه محيطٌ بكلِّ شيءٍ علماً، فلا بدَّ أَنْ يَحْمِلَهُ هذا الاعتقادُ على الاستقامة على أمر الله، وهذه مسألةٌ تغيبُ عن كثيرٍ من الذين يتكلمون عن صفاتِ الله، فتجدُهم لا يتكلَّمُون عما يُثْمِرُهُ الاعتقادُ بالنسبة لهذه الصفةِ مِنَ الأحوال السلوكية، وهذه مهمةٌ يَعْنِي: أنت إذا علمتَ أَنَّ الله يعلمُ كلَّ شيءٍ فهل تُضْمِرُ في قلبك ما يخالفُ الاستقامة؟
الجواب: لا.

وهل تفعلُ ما يخالفُ الاستقامة؟ وهل تقولُ ما يخالفُ الاستقامة؟

الجواب: لا، وهذه مسألةٌ ينبغي للإنسان أن يجعلها على باله، أَنَّهُ ليس المقصودُ أن نعلمَ ما يتعلقُ بالعقيدة فقط من أسماءٍ وصفاتٍ، بل المقصودُ مع ذلك ما يترتبُ على هذا الاعتقادِ مِنَ تصحيحِ المسلكِ والاستقامة على الأمرِ.

أما حكمُ مَنْ أنكرَ أن يكونَ الله عالماً، فإنه كافرٌ، ولهذا قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ بالنسبةِ للقدريَّة قال: جَادِلُوهم بالعلم، فإن أَقَرُّوا به خُصِمُوا، وإن أنكروه كَفَرُوا^(١).

لأن القدريَّة يَقُولُون: إِنَّ الله ﷻ لم يَقْدِرْ عملَ العبد، ولم يَشَأْه، وليس له علاقةٌ به. فقال: جَادِلُوهم بالعلم أي: اسألوهم، هل الله عالمٌ بأعمالِ العبادِ أو لا؟

وإن قالوا: لا. فهم كفارٌ، وإن قالوا: نعم. فقد خُصِمُوا، وذلك بأن يقال: هل وَقَعَتْ هذه على خلافِ مَعْلُومِهِ أو على وَفْقِهِ؟ فإن قالوا: على خلافِ المعلومِ، فهذا هو إنكارُ العلم، وإن قالوا: على وَفْقِهِ. فهذا يُلْزِمُهُمْ أن يَقُولُوا بأنَّها وَقَعَتْ بمشيئته.

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ آيات، فقال: «بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾»، ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ الغيبُ ما غَابَ عن الخلقِ، والغيبُ ينقسمُ إلى قِسْمَيْنِ: غَيْبٌ مُطْلَقٌ لا يعلمُهُ الخلقُ.

وغَيْبٌ مُقَيَّدٌ يعلمُهُ بعضُ الناسِ دونَ بعضٍ.

فمثلاً الذين في مكة الآن غائبون عَنَّا، لكنهم هم في مكة ليست أحوالهم بغيبٍ.

إذا: هذا غيبٌ نسبيٌّ.

فلو أن أحداً قال: إِنَّ مكانَ المسروقِ الذي سُرِقَ منك كذا وكذا. يَعْنِي: عَيْنَ مكانِ المسروقِ

الذي سَرَقَهُ السَّارِقُ وَدَفَنَهُ فِيهِ، فَهَلْ نَقُولُ: هَذَا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ؟

الجواب: بالنسبة لنا غَيْبٌ، لكن بالنسبة لمن شَهِدَ السَّارِقَ، وَهُوَ يَدْفِنُهُ لَا يَكُونُ غَيْبًا.

أَمَّا الْغَيْبُ الْمَطْلُوقُ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَخْتَصُّ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَغِيبُ عَنْ كُلِّ النَّاسِ؛ وَذَلِكَ مِثْلُ الْعِلْمِ بِالْمُسْتَقْبَلِ فَهَذَا غَيْبٌ، فَمَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا سَيَكُونُ غَدًا فَقَدْ ادَّعَى عِلْمَ الْغَيْبِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَقْبَلٌ، وَالْمُسْتَقْبَلُ مَجْهُولٌ لِكُلِّ النَّاسِ.

❦ يَقُولُهُ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝﴾. وَلَيْتَ الْمُؤَلِّفَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَتَى بِآخِرِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ آخَرُهَا لِأَبَدٍ أَنْ يُذَكَّرَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَخْتَفِي ۚ وَمَنْ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ فَيُلْهِمْهُ شَيْئًا مِنْ شَيْءٍ فَلَا يُغْنِي عَنْهُ كُفْرُهُ وَلَهُ إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ عَلَى غَيْبِهِ مَنْ أَظْهَرَ مِنَ الرِّسْلِ، فَالِنَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَنَا عَنْ أُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَمِنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ، فَلَيْتَ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَ هَذَا الْإِسْتِنَاءَ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ.

❦ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ «عِلْمُ غَيْبِ السَّاعَةِ عِنْدَ اللَّهِ، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ جِبْرِيلُ عَنْهَا، فَقَالَ لَهُ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»^(١). فَأَفْضَلُ الرِّسْلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَعْلَمُهَا، وَأَفْضَلُ الرِّسْلِ مِنَ الْإِنْسَانِ لَا يَعْلَمُهَا، وَمَنْ دُوْنَهُمْ مِنْ بَابِ أَوَّلَى، فَمَنْ ادَّعَى عِلْمَ السَّاعَةِ، وَقَالَ: السَّاعَةُ سَتَقُومُ فِي السَّنَةِ الْفُلَانِيَّةِ. أَوْ فِي الشَّهْرِ الْفُلَانِيِّ فَإِنَّهُ مُكْذِبٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ، مُدَّعٍ دَعْوَى بَاطِلَةٍ، وَيَكُونُ كَافِرًا.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُؤَلِّفَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَشَارَ إِلَى بَقِيَةِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾. فَهَذِهِ الْخَمْسَةُ هِيَ مِفْتَاحُ الْغَيْبِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ وَكَانَتْ هَذِهِ الْخَمْسَةُ مِفْتَاحُ الْغَيْبِ؛ لِأَنَّ ﴿السَّاعَةَ﴾ مِفْتَاحُ الْآخِرَةِ، وَتَنْزِيلُ الْغَيْثِ مِفْتَاحُ النَّبَاتِ، وَعِلْمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِفْتَاحُ الْجَنِينِ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الرَّحِمِ؛ يَعْنِي: مِفْتَاحَ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا. وَ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ مِفْتَاحُ الْعَمَلِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ مِفْتَاحُ الْآخِرَةِ بِالنَّسْبَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ.

فَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِفْتَاحَ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ». وَذَكَرَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...﴾^(٢).

وَقَالَ: ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ لِقَائِلِ أَنْ يَقُولَ كَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَنْزِيلَ الْغَيْثِ - وَهُوَ فِعْلٌ - وَفِي ظِلِّ الْمَعْلُومَاتِ الْغَيْبِيَّةِ؟ لَمْ يَقُلْ: وَيَعْلَمُ مَنْ يَنْزِلُ الْغَيْثُ

الجواب: أَنْ نَقُولَ: لِأَنَّ الْخَالِقَ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْمَخْلُوقِ، فَإِذَا كَانَ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ وَحْدَهُ، فَلَا أَحَدٌ يَعْلَمُ مَتَى يَنْزِلُ الْغَيْثُ؛ لِأَنَّ عِلْمَ نَزُولِ الْغَيْثِ عِنْدَ مَنْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ. لَكِنْ جَاءَتْ الْآيَةُ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

هكذا؛ لأنَّ إنزال المطر، الذي به الغيثُ، لا يكونُ أبدًا إلا من الله ﷻ.
 فإن قال قائلٌ: ماذا نقولُ عن مَنْ يتكلمون الآن في الطقس، من أنه: سيكونُ غداً مطرٌ في الأرضِ
 الفلانية بعد الظهر أو في أولِ النهار، أو ما أشبه هذا؟
 فالجوابُ عن ذلك من وجهين:
 الوجه الأول: أنَّ هذا مَبْنِيٌّ على أمرٍ محسوسٍ؛ فإنَّ الجوَّ يتغيَّرُ، ويتكيَّفُ على وجهٍ يُعَلِّمُ بالآلاتِ
 الدقيقةِ أنَّه مهيبٌ للمطرِ، أو غيرُ مهيبٍ، وإذا كان كذلك فليس من أمور الغيبِ.
 الوجهُ ثاني: أنَّ هذا الذي يقولونه قد يُخْطِئُ كثيراً، ولو كان عِلْمٌ غيبٍ ما أخطأ؛ لأنَّ العلمَ ليس
 فيه خطأ.

الثالثُ قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾. أي: أرحامَ آدميين وغيرهم، فهو الذي يَعْلَمُهَا ﷻ.
 فإذا قال قائلٌ: وما هو مُتَعَلِّقُ العلمِ هل هو الذكورةُ، أو الأنوثةُ، أو أحوالُ هذا الجنينِ من كل وجهٍ؟
 الجوابُ: الثاني؛ لأنَّ أحوالَ الذكورةِ والأنوثةِ يَعْلَمُهَا غيرُ الله ﷻ.
 فالملكُ الذي يُوكِّلُ بالجنينِ يَعْلَمُ هذا؛ لأنَّه يقولُ: ياربُّ أذكرُ أم أنثى؟ فيَقْضِي اللهُ ما شاء ^(١).
 إذا: فالملكُ يَعْلَمُ بأنَّ ما في الرحمِ ذكرٌ أو أنثى قبل أن يَخْرُجَ، ثمَّ إنَّ الأجهزةَ الحديثةَ في عَصْرِنَا
 يُمكنُ أن يُعَلِّمَ بها الجنينُ أذكرُ هو أم أنثى؟
 فنقولُ: إذن مُتَعَلِّقُ العلمِ بالجنينِ ليس هو الذكورةُ والأنوثةُ؛ لأنَّ الذكورةَ والأنوثةَ إذا خُلِقَ
 الجنينُ فصار ذكراً أمكنَ العلمُ به، وكذلك إذا صار أنثى، ولكنَّ الجنينَ له متعلقاته الأخرى؛ مثلُ:
 هل هذا الجنينُ سيخرجُ حياً أو ميتاً؟ هل ستطولُ حياته إذا خرجَ حياً أو تقصُرُ؟ وهل سيكونُ غنياً
 أو فقيراً؟ وهل سيكونُ عالماً أو جاهلاً، سيكونُ أميراً أو مأموراً؟ فمُتَعَلِّقاتُ العلمِ بالنسبةِ للجنينِ
 كثيرةٌ، فإذا قُدِّرَ أنَّ الناسَ عِلِمُوا أنَّه ذكرٌ أو أنثى، فإنَّهم لا يَعْلَمُونَ بقيَّةَ مُتَعَلِّقاتِ العلمِ الكثيرةِ التي لا
 يَعْلَمُهَا إلا اللهُ ﷻ.

وقوله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾. تعبيرُ القرآنِ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ولم
 يَقُلْ: ماذا تَعْمَلُ؛ لأنَّ الإنسانَ يُقَدِّرُ ماذا يعملُ، يقولُ: سأسافرُ غداً، وسأذهبُ إلى الكليةِ، وسأختَبِرُ.
 وما أشبه ذلك، لكن هل يَدْرِي أن هذا يتحقَّقُ، ويكونُ كسباً له؟
 الجوابُ: لا، فربَّما يكونُ هناك موانعُ تمنعُ من تحقيقِ ما أرادَ، فربَّما يفعلُ، لكن لا يكسبُ بفعله
 شيئاً، فالكسبُ غداً لا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ ﷻ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ حتَّى لو أنَّ الإنسانَ قرَّرَ أنَّه لن يَخْرُجَ من بلده، وكان
 اللهُ تعالى قد قَدَّرَ أن يموتَ في بلدٍ آخرَ، فلا بدَّ أن يُقَدِّرَ اللهُ تعالى سبباً يَتَقَبَّلُ به إلى البلدِ الآخرِ، وإذا

كان لا يَعْلَمُ بأيِّ أرضٍ يَمُوتُ مع أَنَّهُ يُمكنُهُ التَّنَقُّلُ فهو لا يَعْلَمُ في أَيِّ وقتٍ يَمُوتُ من بابٍ أَوْلى. وبالنسبة لتوقعات خبراء الأَرْضِ صَادِة الجَوِيَّة عن حالِ الجَوِّ، فلا يُعَدُّ ذلك من الرَّجْمِ بالغَيْبِ؛ فإنهم كثيرًا ما يُصَيِّونَ، وهم يَعْتَمِدُونَ لا على الغَيْبِ والتَّخْرُصِ، بل يَعْتَمِدُونَ على تَكَيُّفِ الجَوِّ بواسطة آلاتٍ دَقِيقَةٍ يَعْرِفُونَ بها، ولهذا لا تَجِدُهُمْ يَقُولُونَ مثلاً: بعدَ سنةٍ سَيَكُونُ مَطَرٌ. أو بعدَ شَهْرٍ. أو بعدَ أُسْبُوعٍ. بل هو مُحَدَّدٌ في الوقتِ الَّذِي يَعْرِفُونَ به تَكَيُّفَ الجَوِّ، كما أَنَّا نَحْنُ الآنَ بلا آلاتٍ إِذا وَجَدْنَا أَنَّ السَّمَاءَ مُلَبَّدَةٌ بِالْغُيُومِ والرَّعْدِ والْبَرَقِ تَتَوَقَّعُ أَنَّهُ يَنْزِلُ المَطَرُ.

❖ وقوله: ﴿وَأَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ...﴾ الآية، والواو: من كلام المؤلِّفِ، فهي حرفُ عَطْفٍ، والتقديرُ: وقوله: ﴿وَأَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾. وهذه الآيةُ جُمْلَةٌ، وهذه الجُمْلَةُ جُمْلَةٌ من آيَةٍ، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَاللَّهُ لَشَهِيدٌ عَلِيمٌ﴾. فَسَيِّئَ اللَّهُ بِكَ أَنْ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ، وَعِلْمُهُ هُنَا يَخْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى اسْمِ المَفْعُولِ؛ أَي: أَنْزَلَهُ بِمَعْلُومِهِ؛ أَي: بِمَا يَعْلَمُهُ ﷺ من أخبارٍ، وما يَحْكُمُ بِهِ مِنْ أَحْكَامٍ. وَيَخْتَمِلُ أَنَّهُ مُصَدِّرٌ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ، وَهُوَ عَالِمٌ بِهِ جَمْعًا، فَالْقُرْآنُ لَا شَكَّ أَنَّهُ نَزَلَ بِمَعْلُومَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ نَزَلَ عَنْ عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ ﷻ.

❖ وقوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾. «مَا» هُنَا نَافِيَةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هُنَا شَرْطِيَّةً؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ بَعْدَهَا مَرْفُوعٌ، وَلَوْ كَانَتْ شَرْطِيَّةً لَجُزِمَ، وَهِيَ نَافِيَةٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ بَعْدَهَا ﴿إِلَّا﴾.

إِذَا: فَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾. يَغْنِي: ابْتِدَاءَ الْحَمْلِ، وَخُلُوقَ الْوَقْتِ، كُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ بِعِلْمِ اللَّهِ ﷻ.

وهذه الآيةُ مِمَّا يُفْرَأُ به لِلْمَرْأَةِ إِذَا تَعَسَّرَتْ وَلادَتْهَا، وَهِيَ مُفِيدَةٌ جَدًّا، فَإِذَا قَرَأَ الْإِنْسَانُ بِمَاءٍ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَرَأَ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ﴾ [الزلزال: ١-٢]. وَقَرَأَ: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾. فَإِنَّهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْفَعُ، وَهِيَ تَشْرِبُهَا الْمَرْأَةُ وَيُمَسِّحُ بِهَا عَلَى بَطْنِهَا، فَتَضَعُ بِسَهُولَةٍ.

❖ وقوله: ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾. يَغْنِي: إِلَّا كَانَ ذَلِكَ صَادِرًا عَنْ عِلْمِ اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّ حَمْلَهَا وَوَضْعَهَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾. فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، لَا إِلَى غَيْرِهِ، ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾. وَهَذَا شَيْءٌ مَعْلُومٌ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ أَنَّهُ لَا أَحَدٌ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ.

❖ وقوله: «وقال يحيى هو القراء: الظاهرُ على كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، والباطنُ على كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا». يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَسْمَاءٍ اسْتَوْعَبَتِ الْأَزْمِنَةَ وَالْأَمْكِنَةَ.

فقوله: ﴿الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ هذا بالنسبة للزمان، فهو:

الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء.

وقوله: ﴿وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾. فهو الظاهر العالي على كل شيء، فإنَّ الظُّهُورَ هنا بِمَعْنَى الْعُلُوِّ،

ومنه قوله تعالى: ﴿لِنُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة: ١٢٣]. أي: لِيُعْلِيَهُ.

وقول الفراء: إنَّ المراد به العلم. نقول: نعم هو ظاهر؛ أي: عالٍ، ومع ذلك فهو عالم بكل شيء، والباطن هو المحيط بكل شيء؛ الذي يعلم بواطن الأمور، فهو مع علوه محيط بكل شيء.

وليس المعنى أنَّه في كل شيء؛ لأنَّ هذا مذهب الحُلُولِيَّةِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وغيرهم، بل المعنى: الذي لا يخفى عليه ما بطن وما خفي.

فهذه الآيات كما ترَوْن فيها إثبات علم الله ﷻ.

وقول النبي ﷺ: «وأنت الباطن فليس دونك شيء»^(١). يعني: لا يحول دونك شيء، فكل شيء عليه سلطانك وعلمك وقدرتك، فمع علوك لا يخفى عليك شيء، فأنت باطن؛ أي: عالم بواطن الأمور لا يحول دونك شيء.

أما البشر فيحول دونهم الجدار، ويحول دونهم الشجر، ويحول دونهم الغبار، فهناك موانع لا يُدركون بها ما وراءها، والرب ﷻ لا يحول دونه شيء.

ومن بعض ما يتعلق بصفة العلم:

أولاً: من حيث العموم: فالله عليم بكل شيء جُمْلَةً وتفصيلاً، ومن ذلك علمه بما يتعلَّق بأعمال العبد.

ثانياً: علم الله ﷻ أزلي أبدي، ومعنى قولنا: أزلي. سابق؛ يعني: يَعْلَمُ كل شيء سبق، والأبدي في المستقبل.

كذلك فعلم الله ﷻ لم يسبق جهل، ولا يعتره نسيان؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [التكوير: ٢٠]. ولم يُنكَر أحدٌ - فيما نعلم - أنَّ الله تعالى يعلم كل شيء إلا غلاة القدرية؛ فإنهم أنكروا علم الله ﷻ بما يفعله الخلق، وقالوا: إنَّ الله لا يعلم ما يفعله الخلق إلا بعد وقوعه، فلا يعلمها علم غيب، وإنَّا يعلمها علم مشاهدة، فإذا وقع علم الله ﷻ به، أمَّا قبل ذلك فلا يعلمه، ولكنَّ شيخ الإسلام رحمه الله قال: إنَّ هذا قول غلاة القدرية قديماً ومُنكروه اليوم قليل؛^(٢) - أي: في زمنه رحمه الله - فمُنكرو درجة العلم والكتابة في زمن شيخ الإسلام كانوا قليلين.

وشبهة القدرية أنهم يقولون: إنَّ الإنسان مُستقل بعَمَلِهِ استقلالاً تاماً، ولهذا يُسمَّون مجوس هذه الأمة^(٣)، حيث جعلوا للحوادث خالقين، فالحوادث التي هي من فعل الله ﷻ خلقها الله، والتي هي من

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة

(٢) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢٠/١٠٤، ١١١).

وانظر: بحث المسألة بالتفصيل في «تحقيق مسألة علم الله ﷻ» لشيخ الإسلام (١/١٧٨).

(٣) وردت تسميتهم بهذا في حديث مرفوع، رواه أحمد (٨٦/٢) (٥٥٨٤)، وأبو داود (٤٦٩١)، وابن ماجه (٩٢)

فعل العبد، خَلَقَهَا العبدُ فيقولون: إِنْ تَعَلَّقَ عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى بفعل العبدِ كَتَعَلَّقَ عِلْمُ زَيْدٍ بفعل عمرو. وكلُّ ما ثبت في القرآن أو صحيح السنة إذا أَنْكَرَهُ الإنسانُ إِنْكَارَ جُحُودٍ فهو كافرٌ، والعلةُ في ذلك التَّكْذِيبُ لَهَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٧٩- حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَيْدِ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ».

وقد سبق الكلام على هذا الحديث.

❦ قوله: «وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ» ❦. فَمَعْنَاهُ: تَنْقُصُ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «وَمَا تَزْدَادُ» ❦ وقد مرَّ علينا في قواعد التفسير أنه قد يُعْرَفُ تَفْسِيرُ الْكَلِمَةِ بِذِكْرِ مَا يُقَابَلُهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا» ❦ [النِّسَاءُ: ٧١]، فَقَوْلُهُ: «ثُبَاتٍ» ❦. مَعْنَاهُ فُرَادَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَابَلَهَا بِقَوْلِهِ: «جَمِيعًا» ❦. وَقَوْلُهُ: «وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ» ❦ تَغِيضُ: تَنْقُصُ، وَتَزْدَادُ: تَزِيدُ.

وَتَغِيضُ الْأَرْحَامِ هُنَا هَلِ الْمَرَادُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ عَنِ الْمَدَّةِ الْمَعْلُومَةِ عَادَةً، بِحَيْثُ يُوَلَّدُ الْجَنِينُ قَبْلَ تِمَامِ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ الَّتِي هِيَ غَالِبُ مَدَّةِ الْحَمْلِ، وَمَا تَزْدَادُ عَنْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ، أَوِ الْمَرَادُ مَا تَزْدَادُ عَدَدًا أَوْ تَنْقُصُ عَدَدًا، بِحَيْثُ يَكُونُ وَاحِدًا فِي الْبَطْنِ، أَوْ اثْنَانِ، أَوْ ثَلَاثَةٌ، أَوْ يَكُونُ الْمَرَادُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا؟ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا؛ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا؛ لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُ مَتَى احْتَمَلَتِ الْآيَةُ مَعْنَيْنِ فَأَكْثَرُ، وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْجَمِيعِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» ❦ [الْأَنْعَامُ: ١٠٣]. وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» ❦ [الْأَنْعَامُ: ١٦٥]. «لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» ❦. الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «وَهُوَ يَقُولُ: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» ❦^(١).

=

وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: حَسَنٌ (١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٧٧).

أما الحديث فتقول عائشة رضي الله عنها المسروقة: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ - أَي: اللَّهُ ﷻ -: ﴿لَا تُذَرِكُهُ إِلَّا نَصْرُ﴾.

ولا شك أَنَّ عائشة رضي الله عنها في هذا الاستدلال لم تُصِبْ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى قال: ﴿لَا تُذَرِكُهُ إِلَّا نَصْرُ﴾. ولم يَقُلْ: لا تراه الأبصار، ولهذا جعل علماء أهل السُّنَّةِ هذه الآية من الأدلة على ثبوت رؤية اللَّه.

ووجه ذلك: أن نفي الأخص يدل على وجود الأعم، فلما قال: ﴿لَا تُذَرِكُهُ﴾ عَلِمْنَا أَنَّهَا تَرَاهُ، ولكن لا تُذَرِكُهُ، ولو كان المراد نفي الرؤية لقال: لا تراه الأبصار.

ولكن هي رضي الله عنها لو استدلَّت بقول الرسول ﷺ: «واعلموا أنَّكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» ^(١) - كما جاء ذلك في حديث الدَّجَالِ، حيث يدَّعي الدَّجَالُ أنه الربُّ - لكان هذا أصحَّ من استدلالها بالآية. وهذه المسألة اختلف فيها العلماء: هل النبي ﷺ رأى رَبَّهُ - يعني: في الدُّنْيَا - أم لم يره؟ فقيل: إنَّه رآه. وممن قال ذلك: ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه في المشهور عنه ^(٢) أن النبي ﷺ رأى ربه. أمَّا عائشة فكانت تُنكِرُ ذلك، كما مرَّ.

وهذا في اليقظة، أمَّا في المنام فقد رأى رَبَّهُ، كما في حديث اختِصَامِ المَلَأِ الأعلى ^(٣)، وهو حديث مشهورٌ شَرَّحَهُ زَيْنُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَجَبٍ رحمته الله ^(٤).

والصحيح: أنه لم يَرِ رَبَّهُ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَفْسُهُ سُئِلَ: هل رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فقال: «رَأَيْتُ نُورًا» ^(٥). وفي رواية: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» ^(٦). يعني: بيني وبينه نورٌ، فكيف أراه؟! وهذا كلام النبي ﷺ. ولكن إذا قال قائل: كيف نجتمع بين هذا الحديث الذي حدَّث به النبي ﷺ عن نفسه، وبين قول ابن عَبَّاسٍ؟

فالجواب عن شيخ الإسلام ابن تيمية، قال رحمته الله: إنَّ ابنَ عَبَّاسٍ لم يُصَرِّحْ بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ رأى

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣٢٤ / ٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٢٨)، والبزار في «مسنده» (٢٦٨١)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٦٤)، والأجري في «الشرعية»، (ص ٣٧٥)، من طرق، عن بقية بن الوليد، وهو كثير التدليس عن «الضعفاء»، كما في «التقريب» (٧٣٤).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٢٠١). وقال الشيخ الألباني في «تعليقه على العقيدة الطحاوية» (ص ١٩٧): ضعيف، أخرجه ابن خزيمة في التوحيد بالفاظ مضطربة عنه موقوفًا.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٦٨ / ١)، (٣٣٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣)، وصححه الشيخ الألباني، كما في تعليقه على «سنن الترمذي».

(٤) شرحه رحمته الله في رسالة مستقلة بعنوان: «اختيار الأولى في شرح حديث اختِصَامِ المَلَأِ الأعلى»، وهي مطبوعة ضمن مجموعة من الرسائل له رحمته الله، طبعتها دار الفاروق في مصر في أربعة مجلدات.

(٥) رواه مسلم (١٧٨).

(٦) انظر التعليق السابق.

رَبِّهِ ^(١) بَعَيْنَيَّ رَأْسِهِ، بَلْ قَالَ: رَأَى رَبَّهُ. لَكِنْ مَا قَالَ: بَعِينَهُ فَتُحْمَلُ الرُّوْيَا الَّتِي فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ رُؤْيَا الْيَقِينِ.

وهذا وإن كان خلاف الظاهر، لكن لِئَلَّا يُظَنَّ بِابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ يُخَالِفُ مَا حَدَّثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَفْسِهِ، مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَرَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ.

ومعلومٌ أَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الدُّنْيَا لَا تُمَكِّنُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، وَلَا يَقْوَى عَلَى هَذِهِ الرُّؤْيَا أَبَدًا، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي ﴿يعني: لا يمكن أن تراني﴾ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي ﴿فعلَّقَ رُؤْيَاهُ بِشَيْءٍ مُسْتَحِيلٍ، وَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا، فَبِمَجْرَدِ مَا تَجَلَّى اللَّهُ لِلْجَبَلِ، انْدَكَ وَلَمْ يَسْتَقِرَّ مَكَانَهُ.

فَرَأَى مُوسَى مَنْظَرًا أَفْرَعَهُ، فَخَرَّ مُوسَى صَبِقًا ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فَمُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ رُؤْيَاهُ شَكًّا فِي الْأَمْرِ، لَكِنْ تَلَذُّدًا بِرُؤْيَا اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقُوَّةِ مَحَبَّتِهِ اللَّهُ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُرِيهَ نَفْسَهُ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾. فَلَمَّا كَانَتِ الرُّؤْيَا مُتَعَدِّرَةً إِلَى هَذَا الْحَدِّ وَصَبِقَ وَأَفَاقَ قَالَ: ﴿سُبْحَنَكَ﴾. أَي: تَنْزِيهًا لَكَ أَنْ تُدْرِكَكَ الْأَبْصَارُ، أَوْ أَنْ تَرَكَ الْأَبْصَارُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

﴿ثَبَّتُ إِلَيْكَ﴾ ثَبَّتُ إِلَيْكَ؛ أَي: مِنْ سَوَالِ الرُّؤْيَا؛ لِأَنَّهُ سَأَلَ مَا لَا يُمَكِّنُ فِي الدُّنْيَا. ﴿سُبْحَنَكَ ثَبَّتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ يَعْنِي: أَنِّي لَمْ أَسْأَلْ شَكًّا، بَلْ أَنَا مُؤْمِنٌ، فَهُوَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرَاهُ تَلَذُّدًا بِرُؤْيَاهُ؛ لِأَنَّ نَعَمَ شَيْءٍ أَكْبَرَ نَعِيمٍ وَأَكْبَرَ فَوْزٍ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ هُوَ أَنْ يَرَوْا اللَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبالمناسبة يقولون: إِنَّ الزَّمْخَشَرِيَّ صَاحِبَ التفسير المشهور الجيد الذي كان مَنْ بَعْدَهُ عِيَالًا عَلَيْهِ - وَهُوَ مِنَ الْمَعْتَزَلَةِ - وَيَقُولُ عَنْهُ الْبَلْقِينِيُّ: إِنِّي اسْتَخْرَجْتُ مِنْ هَذَا التفسيرِ اعْتِزَالِيَّاتٍ بِالْمُنَاقِشِ ^(١)، وَالَّذِي يُؤْخَذُ بِالْمُنَاقِشِ خَفِيٌّ جَدًّا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَمَنْ يُخْرِجْ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ الطَّبَا: ١٨٥. قَالَ: أَيُّ فَوْزٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؛ أَنْ يُخْرِجَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ.

وهذا الكلام إذا قرأه الإنسان يقول: صحيح، أَيُّ فَوْزٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُخْرِجَ الْإِنْسَانَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ. لَكِنَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْيَ رُؤْيَا اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْجَنَّةِ أَشَدُّ فَوْزًا مِنْ أَنْ يُخْرِجَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ.

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ يَتَكَلَّمُ هَؤُلَاءِ الْأَذْكِيَاءُ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَ مَذْهَبَهُ وَعَقِيدَتَهُ، وَأَنَا لَوْ قَرَأْتُ هَذَا الْكَلَامَ فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ مِثْلًا، فَإِنِّي لَا أَطْنُ، بِهِ هَذَا الظَّنَّ بَلْ أَقُولُ: إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فَمَنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ أَنْ يَرَى اللَّهَ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يُنَكِّرُ الرُّؤْيَا لِلَّهِ فِي الْآخِرَةِ، صَارَ هَذَا

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢/ ٢٣٠).

(٢) انظر: «الاتقان» (٢/ ٥٠١)، و«كشف الظنون» (١/ ٤٣١)، و«أبجد العلوم» (٢/ ١٨٢).

الكلام إشارة إلى أنه لا رؤية.

فالحاصل أننا نقول:

أولاً: إن عائشة رضي الله عنها استدلَّت على نفي رؤية النبي ﷺ بالآية، وهذا الاستللال غير صحيح؛ لأن هذه الآية استدلَّت بها السلف على أن الله يرى في الآخرة.

ثانياً: تقول: «ومن حدَّثك أنه يعلم الغيب فقد كَذَبَ». وهذا صحيح؛ لأنَّ الله يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢٥٥]. فليست على هذا اللفظ، ولكنها ذكرت جزءاً من الآية يدلُّ على بعضها.

فالحاصل: أن الذي يُحدِّثك أنه يعلم الغيب، فإنه كاذب، ولا يكفي أن تقول: إنه كاذب، بل نقول: إنه كافر. ولهذا قال النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ^(١)».

❦ وقولها: «وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله». يَحْتَمِلُ أن المراد بقولها: وهو أي: الله أو الرسول، لكن على كلِّ حال، هي ذكرَتْ هذا بالمعنى.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥- باب قول الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٣].

نحن إذا نظرنا إلى صنيع البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد وجدنا أنه يُصدِّرُ غالباً الأبوابَ بآيات من القرآن؛ وذلك لأنَّ من المبتدعة مَنْ يقول: لا تقبل من أدلة الصفات إلا ما كان متواتراً، ولا تقبل أخبار الآحاد.

فأراد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يُعزِّزَ أخبار الآحاد.

التي يسوقها في الكتاب بآيات من القرآن؛ لِئَلَّا يَنْقَى عُدْرُ لِمَنْ رَدَّ هذه الأسماء أو الصفات، وهذا من فقهه رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنَّ المبتدعة الذين يُحكِّمون العقل، ويَتَلَقَّونَ عَقِيدَتَهُمْ في الله من عقولهم، يَقُولُونَ: لا تقبل أخبار الآحاد في باب الصفات؛ لأن خبر الآحاد لا يُفيد إلا الظنَّ، والعقيدة يجب أن تكون مبنية على اليقين.

وقد ردَّ ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ هذه القاعدة الباطلة بوجوه كثيرة في «الصواعق المرسلة» على غزو الجهمية والمعتلة^(٢)، وهي جديرة بأن تكون مرْدُودَةً.

(١) رواه أحمد (٤٢٩/٢) (٩٥٣٦)، والحاكم (٨/١) وصححه العراقي في أماليه «الفيض» (٢٣/٦)، والحافظ في «الفتح» (٢١٧/١٠).

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة» ص ٥٤٤.

والعجب أن هؤلاء يَقْبَلُونَ ما يُؤَلِّفُهُ مشايخهم، ويصل إليهم من طريقه على وجه الأحاد، ويعتقدون ما قاله شيوخهم، مع أنها جاءت عن غير معصوم وبخبر أحادي، وهذا مما يدل على أنهم متناقضون.

❦ قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾». السلام من أسماء الله، والمؤمن كذلك من أسماء الله، والسلام في الأصل اسم مصدر «سَلِمَ»، والمصدر تسليم، واسم المصدر عند علماء النحو هو ما كان بمعنى المصدر، ولم يتضمن حروف المصدر، مثل: كلام: اسم مصدر كَلَّمَ، وسلام: اسم مصدر سَلَّمَ.

فما معنى السلام الذي هو اسم من أسماء الله؟

❦ قوله: «السلام»: قلنا: إنه اسم مصدر، فيكون الوصف به من باب المبالغة، أن الله ﷻ سلام؛ أي: سالم من كل عيب ونقص فحياته ليس فيها نقص، ولا عيب، وعلمه ليس فيه نقص ولا عيب، وقدرته ليس فيها نقص ولا عيب، وسمعه ليس فيه نقص ولا عيب، وبصره ليس فيه نقص ولا عيب، وهلم جرا.

كل أسمائه وصفاته ليس فيها نقص ولا عيب.

أما المؤمن فهو مشتق من الإيمان ومن الأمن؛ أي: أن الفعل آمَنَ أو آمِن، ومعنى المؤمن: المصدق برسوله بما جاءوا به، قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ بِعِلْمِهِ﴾ [النحل: ١٦٦]. وهذا تصديق لما جاء به الرسول ﷺ، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ومنها: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [النحل: ١١٥]. ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [النحل: ١١٩]. ﴿يَتَأَهَّلَ النَّبِيُّ إِذَا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [النحل: ٤٥]. والآيات في هذا كثيرة.

فهو ﷺ مصدق برسوله، ومؤمن أيضا بمعنى مؤمن؛ أي: يؤمن من يستحق الأمان، وهو المؤمن، فالمؤمن له الأمان من الله، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [النحل: ٨٢].

إذا: فالمؤمن لها معنيان؛ وهما: مؤمن بمعنى مصدق لرسوله، ومؤمن بمعنى من يستحق الأمان.

وقولنا: إنه مصدق لرسوله، وكذلك مصدق لغير الرسل ممن شهد الله لهم بالصدق، حين قال الله تبارك وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [النحل: ١٧٧].

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٨١- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ حَدَّثَنَا شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كُنَّا نُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَوْلُ السَّلَامِ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيَّاتُ السَّلَامَ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ^(١).

من حُسْنِ تَعْلِيمِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْمَمْنُوعَ ذَكَرَ الْمَشْرُوعَ، فَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ. وَهِيَ تَحِيَّةٌ، فَيَسْأَلُونَ عَلَى اللَّهِ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا تُقَالُ لِمَنْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَلْحَقَهُ نَقْصٌ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ إِنَّمَا يُدْعَى بِهِ لِمَنْ يَلْحَقُهُ النَّقْصُ.

أَمَّا مَنْ هُوَ مُتَنَزِّهٌ عَنْ ذَلِكَ ﷻ فَإِنَّهُ لَا يُقَالُ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ. وَلِهَذَا أَبَدَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ غَيْرَهَا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ. بِذَلِكَ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ كَامِلٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُدْعَى لَهُ بِالسَّلَامِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ». فَبَدَأَ بِالتَّعْلِيلِ قَبْلَ الْحُكْمِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرِدَ الْحُكْمُ عَلَى النَّفْسِ، وَهِيَ مُطْمَئِنَّةٌ بِمَا ذُكِرَ لَهَا مِنَ الْعِلَّةِ. ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَقُولُونَ هُوَ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ»، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

❖ قَوْلُهُ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ». اللَّامُ هُنَا لِلَاخْتِصَاصِ وَالِاسْتِحْقَاقِ، وَالتَّحِيَّاتُ جَمْعُ تَحِيَّةٍ، وَهِيَ كُلُّ لَفْظٍ يَدُلُّ عَلَى التَّعْظِيمِ، وَجُمِعَتْ بِاعْتِبَارِ أَنْوَاعِهَا وَأَجْنَاسِهَا؛ أَي: كُلِّ جِنْسٍ وَنَوْعٍ يَدُلُّ عَلَى التَّعْظِيمِ، فَإِنَّهُ خَاصٌّ بِاللَّهِ، وَمُسْتَحَقٌّ لِلَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُعَظَّمَ ﷻ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَالصَّلَوَاتُ». يَعْنِي: الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ.

❖ قَوْلُهُ: «وَالطَّيِّبَاتُ» يَعْنِي: الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ.

وَالصَّلَوَاتُ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ هِيَ الْعِبَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ، وَقِيلَ: الدُّعَاءُ. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ مَحْمُولًا عَلَى الصَّلَاةِ لُغَةً، وَالصَّلَاةُ شَرْعًا، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ يَعُمُّ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ الدُّعَاءُ، وَالصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ الْعِبَادَةُ الْمَعْرُوفَةُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَعَمُّ.

❖ وَقَوْلُهُ: «الطَّيِّبَاتُ». يَعْنِي: الْأَوْصَافُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، وَالْأَعْمَالُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، فَاللَّهُ ﷻ طَيِّبٌ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَكُلُّ طَيِّبٍ مِنَ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ، وَكُلُّ حَيِّثٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُهُ، وَكُلُّ وَضْفٍ طَيِّبٍ فَهُوَ لِلَّهِ ﷻ.

إِذَا: «الطَّيِّبَاتُ» هُنَا وَضْفٌ لِأَوْصَافِ اللَّهِ، وَوَضْفٌ لِلْأَعْمَالِ الَّتِي تُفَعَّلُ لِلَّهِ، فَكُونُهَا وَضْفًا لِأَوْصَافِ اللَّهِ؛ يَعْنِي: لَهُ كُلُّ صِفَةٍ طَيِّبَةٍ، وَكُونُهَا وَضْفًا لِلْأَعْمَالِ الَّتِي تُفَعَّلُ لِلَّهِ، فَهُوَ لَا يَقْبَلُ سُبْحَانَهُ إِلَّا الطَّيِّبَ. وَلِهَذَا اسْتَحْضَرَ عِنْدَمَا تَقْرَأُ هَذَا فِي الصَّلَاةِ، أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: الطَّيِّبَاتُ. يَعْنِي: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذُو الْأَوْصَافِ الطَّيِّبَاتِ، وَأَنَّهُ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا الطَّيِّبَاتِ.

(١) رواه مسلم (٤٠٢).

المسلسل هو ما يتابع رجال إسناده على صفة أو حالة للرواية تارة وللرواية تارة أخرى «تدريب الراوي» (١٨٧/٢).

وَلَمَّا بَدَأَ بِحَقِّ اللَّهِ وَوَصَفَ اللَّهُ بِمَا يَسْتَحِقُّ، ثَنَّى بِحَقِّ الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ». لِأَنَّهُ ﷺ مُخْتَانٌ إِلَى أَنْ يُسَلِّمَهُ اللَّهُ، وَلِهَذَا كَانَ دُعَاءُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الصَّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «اللَّهُمَّ سَلِّمْ اللَّهُمَّ سَلِّمْ»^(١). فَالْأَنْبِيَاءُ مُخْتَانُونَ لِأَنْ يُسَلِّمَهُمُ اللَّهُ ﷻ.

وقوله: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ». يَرُدُّ عَلَيْهِ إِشْكَالًا، وَهُوَ كَافُ الْخُطَابِ فِي قَوْلِهِ: «عَلَيْكَ». فَإِنْ كَافَ الْخُطَابِ فِي الْجُمْلَةِ تَحَوَّلَهَا إِلَى مُخَاطَبَةِ آدَمِيِّينَ. فَإِذَا لَقِيتَ أَخَاكَ قُلْتَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ. تُخَاطَبُهُ بِكَافِ الْخُطَابِ.

فَكَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ»؟^(٢)

الْجَوَابُ عَنْ هَذَا مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذَا مُسْتَثْنَى، فَيَكُونُ الْعَمُومُ فِي قَوْلِهِ: «مِنْ كَلَامِ النَّاسِ». مَخْصُوصًا بِهَذَا، فَيَقَالُ تَبْطُلُ الصَّلَاةُ بِكَافِ الْخُطَابِ إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ أَوْ لِرَسُولِهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَا تَبْطُلُ: «إِنَّا كَتَبْنَا». أَوْ مَا كَانَ لِرَسُولِهِ، كَقَوْلِكَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ».

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يُقَالَ هَذَا الْخُطَابُ لَا يُرَادُ حَقِيقَتُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ لِقْوَةُ اسْتَحْضَارِ الْمُصَلِّي صَارَ كَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُوَاجِهًا لَهُ، يُخَاطَبُهُ.

وَعَلَى هَذَا فَلَا يُرَادُ بِالْخُطَابِ حَقِيقَتُهُ، وَالدَّلِيلُ لِدَلَالَةِ أَنَّ الْمُصَلِّيَ يَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ بِصَوْتٍ خَفِيِّ، لَا يَسْمَعُهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَوْ كَانَ خُطَابًا حَقِيقِيًّا لَكَانَ هَذَا نَوْعًا مِنَ السُّخْرِيَةِ أَوْ الْاسْتِهْزَاءِ؛ لِأَنِّي لَوْ قُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ فِي نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ لَكَ: لَمْ تَرُدَّ عَلَى السَّلَامِ؟ فَقُولُ: مَا سَلَّمْتُ.

إِذَا: فَلَا يُرَادُ بِالْخُطَابِ حَقِيقَتُهُ هُنَا وَالِدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أُمُور:

أَوَّلًا: أَنَّ الْمُصَلِّيَ يُسِرُّ بِهَذَا الْخُطَابِ.

ثَانِيًا: أَنَّ الْمُصَلِّيَ يَقُولُ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ فِي الشَّرْقِ وَالرَّسُولُ ﷺ فِي الْغَرْبِ.

وَلِهَذَا يُقَالُ حَتَّى بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ. لِأَنَّهُ لَا يُرَادُ بِذَلِكَ حَقِيقَةُ الْخُطَابِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ «اِقْتِضَاءِ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ»: الْمُرَادُ قُوَّةُ الْاسْتِحْضَارِ، كَأَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْكَ تُخَاطَبُهُ، فَيَقَالُ هَذَا حَتَّى بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ^(٣).

وَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ. فَلَمَّا مَاتَ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ^(٤). فَهَذَا مِنْ اجْتِهَادِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَكِنَّهُ اجْتِهَادٌ مُجَانِبٌ لِلصَّوَابِ.

وَالصَّوَابُ: أَنْ نَقُولَ مَا أَمَرَنَا بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَقَدْ قَالَ: «قُولُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ». وَلَمْ يَقُلْ:

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٣) انظر «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٣٦٦، ٤١٦).

(٤) رواه البخاري (٦٢٦٥).

إِلَّا إِذَا مِتْ. فَلَمْ يَسْتَنْ.

ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ النَّاسَ، يُعَلِّمُهُمُ التَّشَهُّدَ فَقَالَ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»^(١). فَخَطَبَ ﷺ بِذَلِكَ فِي خِلَافَتِهِ بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ ﷺ، وَعُمَرُ ﷺ أَعْلَمُ مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، وَقَالَ هَذَا بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَمْ يُنْكَزْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَبِهَذَا يَكُونُ قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: كُنَّا نَقُولُ: مِنْ بَابِ الاجْتِهَادِ وَلَكِنَّ الصَّوَابَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، وَمَا تَحَدَّثَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ.

❖ وَقَوْلُهُ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ». هُنَا أَطْلَقَ كَلِمَةَ «النَّبِيُّ» وَأَرَادَ بِهَا النَّبِيَّ الرَّسُولَ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَبِيٌّ رَسُولٌ. وَعَرَفْنَا أَنَّهُ نَبِيٌّ رَسُولٌ مِنْ أَدْلَةٍ أُخْرَى وَاضِحَةٍ. وَلِهَذَا نَرَى اللَّهَ ﷻ يُطْلِقُ فِي الْقُرْآنِ وَصَفَ النَّبِيِّ عَلَى مَنْ هُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [٥١: ٥٦]. وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [٥١: ٥٦]. وَالْأَمْثَلَةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ الَّذِي عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ، مَا يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فَرَاشِهِ، وَفِيهِ: «وَبَنِيكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». فَقَالَ الْبَرَاءُ لَمَّا أَعَادَهَا عَلَى الرَّسُولِ، قَالَ: وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَبَنِيكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»؟^(٢)

فَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ دَلَالََةَ الرِّسَالَةِ عَلَى الثَّبُوتِ دَلَالَةٌ التَّزَامُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا حَتَّى يَكُونَ نَبِيًّا، وَجَمْعُ الثَّبُوتِ مَعَ الرِّسَالَةِ دَلَالَةٌ مُطَابَقَةٍ؛ لِأَنَّهُ وَصَفَهُ بِالْوَصْفَيْنِ النَّبِيِّ وَالَّذِي أَرْسَلْتَ؛ أَيِ: وَصَفَهُ بِالنَّبُوتِ وَالرِّسَالَةِ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّهُ لَا يُخْرِجُ بِذَلِكَ الرَّسُولَ الْمَلَكِيَّ مِثْلَ جَبْرِيلَ؛ فَإِنَّ جَبْرِيلَ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ، لَكِنْ إِذَا قَالَ: بِبَنِيكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. خَرَجَ الرَّسُولُ الْمَلَكِيُّ؛ وَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالرَّسُولِ الرَّسُولُ الْبَشَرِيُّ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

❖ وَفِي قَوْلِهِ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ». ثَلَاثُ هَدَايَا لِلرَّسُولِ ﷺ وَهِيَ لَنَا أَيْضًا وَلِلْجَمِيعِ، فَقَدْ دَعَوْنَا لَهُ ﷺ بِالسَّلَامِ وَبِالرَّحْمَةِ وَبِالْبَرَكَةِ.

الرَّحْمَةُ مَا يَخْصُلُ بِهَا الْمَطْلُوبُ، فَرَحْمَةُ اللَّهِ يَخْصُلُ بِهَا الْمَطْلُوبُ، وَالْبَرَكَةُ يَتَشَبَّهُ بِهَا الْمَطْلُوبُ

(١) رواه مالك في «الموطأ»، كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة (٥٣)، والشافعي في «الرسالة» ص ٧٣٨ بتحقيق العلامة أحمد محمد شاكر، وقال عنه في الحاشية: قال الزيلعي في «نصب الراية» ٤٢٢/١: وهذا إسناد صحيح.

(٢) تقدم تخرجه.

والخير، والبركة تشمل البركة عليه وعلى آثاره وسنته ﷺ، وهذا هو الواقع؛ يعني: قد أجاب الله الدعاء، ولكن ندعو بذلك تحقيقاً للمستقبل، فإن رسالة النبي ﷺ أترك الرسلات وأعمها وأشملها، فملايين الملايين من البشر، كلهم انتفعوا بها، وبركاتها كثيرة معروفة لمن تتبع التاريخ.

❖ وأما قوله: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». فيه حقنا نحن، فحق الله مقدم على حقنا، وحق الرسول مقدم على حقنا، ثم يأتي حقنا بعد ذلك.

إذا: فحق رسول الله علينا أعظم من حق أنفسنا علينا، وحق الله فوق ذلك.

❖ وقوله: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». فيه من حسن التعليم: أنه لما جاء الدعاء العام غير الخاص بالرسول ﷺ أمرنا أن نبدأ بأنفسنا، فقال: «علينا وعلى عباد الله الصالحين»، فقال: «علينا بالجمع، ومقام الدعاء مقام ذل وخضوع، و (نا) تدل على التعظيم، فكيف جاءت بصيغة التعظيم؟

نقول: جاءت بصيغة التعظيم؛ لأن المراد بها (علينا)؛ أي: معشر أمة محمد، لقريته قوله: السلام عليك أيها النبي، وهو مرسل للأمة، فيكون معنى السلام علينا؛ أي: معشر هذه الأمة المتبعة للنبي ﷺ، فضمير الجمع هنا ليس للتعظيم، ولكنه يراد به حقيقة الجمع.

وقيل: المراد السلام علينا؛ أي: معشر المصلين، وهذا يصح إذا كنا في جماعة، لكن إذا لم تكن في جماعة لا يصح، وعلى هذا فالمعنى الأول أصح.

❖ قوله: «وعلى عباد الله الصالحين». المراد بالعباد هنا: عبودية الذل والخضوع الشرعي؛ لأن عبوديتنا لله ﷻ على قسنان:

أ- عبودية تتضمن الذل والخضوع الكوني: وهذه عامة للإنسان والحيوان، وكل شيء، حتى الكافر عبد الله، قال تعالى: ﴿إِنْ كُلٌّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (١٣) ﴿وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَ رَبِّهِ يَكُونُ لَهُ عِشْرُونَ مِائَةً أَوْ أَلْفَ مِائَةٍ أَوْ كَثْرَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْحُكْمِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٤).

ب- عبودية ذل وخضوع شرعي: وهذه خاصة بالمؤمنين، ولهذا قيدت بقوله: «وعلى عباد الله الصالحين».

والصالح هو الذي صلح أمره، ولم يعتره فساد، بأن كان عمله خالصاً لله متبعاً فيه رسول الله ﷺ، ويتضمن هذا أن يقوم هذا العبد بحق الله وحق عباده، ولهذا فسر بعضهم الصالحين بأنهم الذين قاموا بحق الله وحق عباده.

وعباد الله جمع مضاف يُفيد العموم، والذي وضح لنا هذه القاعدة، -وهي أن الجمع المضاف للعموم- رسول الله ﷺ؛ لأنه قال: «فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض»^(١).

إذا: فالعموم صيغ، ولكن بعض الأصوليين قال: لا صيغة للعموم. وهذا غلط، فالعموم له

صَيْغٌ، وَلَا شَكَّ.

❖ وقوله: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». الشَّهَادَةُ تَكُونُ بِالرُّؤْيَةِ الْحِسِّيَّةِ؛ يَعْنِي: بِمَا يُدْرِكُ بِالْحِسِّ، تَقُولُ: أَشْهَدُ عَلَى فُلَانٍ أَنَّهُ فَعَلَ كَذَا. وَهَذَا الْمُرَادُ بِالشَّهَادَةِ الْيَقِينُ التَّامُّ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ يَقِينًا تَامًّا صَارَ كَأَنَّهُ مَشْهُودًا.

❖ وقوله: «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». إِلَهٌ بِمَعْنَى مَالُوهُ؛ أَي: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ، فَالْمَعْنَى أَشْهَدُ إِلَّا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّنَا لَوْ أَخَذْنَا بِهَذَا الظَّاهِرِ لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْكُفْرِ؛ لِأَنَّ الْأَصْنَامَ تُعْبَدُ، وَتُسَمَّى آلِهَةً، فَإِذَا قُلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. صَارَ كُلُّ مَا يُعْبَدُ هُوَ اللَّهُ.

ولهذا يَتَعَيَّنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ خَيْرَ «لَا» النَّافِيَةِ مَحْذُوفٌ، وَتَقْدِيرُهُ: لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ، وَبِذَلِكَ يَزُولُ الْإِشْكَالُ؛ لِأَنَّ الْأَلِهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ بَاطِلَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَآتَىكَ مَا كُنْتَ تُعْتَبِرُ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الزُّمَرُ: ٢٥].

وَقَدْ قَدَّرَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِقَوْلِهِمْ: لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ إِلَّا اللَّهُ. وَهَذَا غَلَطٌ، وَيَرِدُ عَلَيْهِ الْإِشْكَالُ الَّذِي سَبَقَ، وَلِهَذَا نَقُولُ: هَذَا التَّقْدِيرُ خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ: لَا إِلَهَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: لِمَاذَا لَمْ تَجْعَلُوا لَفْظَ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» هُوَ خَيْرَ «لَا»، وَلَأَن الْأَصْلَ عَدَمُ التَّقْدِيرِ؟ قُلْنَا: هَذَا لَا يَصِحُّ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى:

أَمَّا كَوْنُهُ لَا يَصِحُّ لَفْظًا؛ فَلِأَنَّ «لَا» النَّافِيَةَ لَا تَعْمَلُ إِلَّا فِي النِّكَرَاتِ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ: عَمَلٌ إِنْ أَجْعَلَ لـ «لَا» فِي نَكْرَةٍ (١).

وَلَوْ قُلْنَا:

إِنَّ لَفْظَ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» هُوَ الْخَيْرُ لِأَعْمَلْنَاهَا فِي الْمَعَارِفِ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ. وَأَمَّا كَوْنُهُ لَا يَصِحُّ مَعْنَى فَلِأَنَّنَا إِذَا قُلْنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَرَدَّ عَلَيْنَا الْإِشْكَالُ الَّذِي ذَكَرْنَا أَوَّلًا، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْأَصْنَامُ الْمَعْبُودَةُ، وَالَّتِي تُدْعَى آلِهَةً، هِيَ اللَّهُ، وَهَذَا لَا يَسْتَقِيمُ.

❖ وقوله: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». كَلِمَةُ «مُحَمَّدًا» هُنَا عَلَمٌ عَلَى مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ ﷺ.

❖ وقوله: «عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ». هَذِهِ الْعِبُودِيَّةُ أَخْصُ الْعِبُودِيَّاتِ؛ يَعْنِي: عِبُودِيَّةَ شَرْعِيَّةٍ خَاصَّةٍ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ، لَكِنْ لَيْسَتْ عِبُودِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ كَعِبُودِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ عِبُودِيَّةَ الْأَنْبِيَاءِ عِبُودِيَّةٌ خَاصَّةٌ، وَهِيَ أَخْصُ الْعِبُودِيَّاتِ.

❖ وقوله: «وَرَسُولُهُ». رَسُولُهُ بِمَعْنَى مُرْسَلُهُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ: الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا هُوَ ذَلِيلُكَ عَلَى مَا شَهِدْتَ بِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟

(١) أَلْفِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ، بَابُ «لَا» الَّتِي لَفِي الْجِنْسِ، الْبَيْتُ رَقْمُ (١٩٧).

قلنا: أمّا الأولُ فدلّيلي على ذلك: الفِطْرَةُ والقرآنُ والحِسُّ:
 أمّا القرآنُ: فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٨].
 وأمّا الفِطْرَةُ: فالإنسانُ الذي لم يُقَيِّضْ له شَيْطَانٌ، ولا بَيْتَةٌ فَاسِدَةٌ يَشْهَدُ بِفِطْرَتِهِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لقول
 النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»^(١).
 أمّا الحِسُّ والواقع: فقد قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾. فإنَّ أولي العلمِ
 يَعْلَمُونَ بما يُحْسِنُونَهُ وَيَعْقِلُونَهُ مِنْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.
 وَمَا دَلِيلُكَ عَلَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟
 نقول: الدَّلِيلُ هو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ [الحجرات: ٢٥]. وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٩].
 ﴿وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾﴾ [البقرة: ١٤٤].
 وأمّا كونه عبداً فقد قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [البقرة: ١٨]. وقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ

فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

إِذَا: نحنُ نَشْهَدُ هَذِهِ الشَّهَادَةَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ». فَيَكُونُ مُطَابِقًا لِلآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ [البقرة: ٢٣].

وَأما قولُ القائل: اللهم صلِّ على سيدنا محمد. فلا يَصِحُّ ولا يَسْتَقِيمُ، ولا يَنْبَغِي، بل هو إلى
 البدعة أقربُ مِنْهُ إلى السنة، وهو اسْتِذْرَاكٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وعلى الصحابة؛ فإنهم لما قالوا: كيف نُصَلِّي
 عليك؟ قال: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ». ولم نَعْلَمْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ قال: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا
 محمد. فليسَ لنا أن نَزِيدَ على ما عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ لأنَّ فِيهِ الْكُفَايَةَ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٦- باب قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. فيه ابنُ عمرَ عن النبي ﷺ^(١).
 قال الحافظُ في «الفتح» (٣٦٧/١٣):

(١) تقدم تخريجه.

(٢) قال الحافظُ في «الفتح» (٣٦٧/١٣) قوله: فيه ابن عمر عن النبي ﷺ؛ أي: يدخل في هذا الباب حديث ابن عمر، ومراده حديثه الآتي بعد اثني عشر باباً في ترجمة قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَّصْتُ يَدَيَّ﴾ [البقرة: ٢٥]. وسيأتي شرحه هناك إن شاء الله تعالى. اهـ.
 وانظر: «الفتح» (٣٩٢/١٣).

قوله: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾» قال البيهقي: الملك والمالك هو الخاصُّ الملك، ومعناه في حقِّ الله تعالى: القادرُ على الإيجاد، وهي صفةٌ يستحقُّها لذاته. وقال الراغب: الملكُ المُتَّصِفُ بالأمر والنهي، وذلك يختصُّ بالناطقين، ولهذا قال: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. ولم يقل: مَلِكِ الأشياء.

قال: وأما قوله: ﴿تِلْكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [التكوير: ٤]. فتقديره الملك في يوم الدين؛ لقوله ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [التكوير: ١٦]. انتهى.

ويَحْتَمِلُ أن يكونَ خَصَّ النَّاسَ بالذكر في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾؛ لأنَّ المخلوقاتِ جَمَادٌ ونام، والنامي صامِتٌ وناطِقٌ، والناطِقُ مُتَكَلِّمٌ وغيرُ مُتَكَلِّمٍ، فأشرفَ الجميعِ المُتَكَلِّمُ، وهم ثلاثُ: الإنسانُ والجنُّ والملائكةُ.

وكلُّ من عذاهم جائزٌ دُخُولُهُ تحتَ قَبْضَتِهِمْ وَتَصَرُّفِهِمْ، وإذا كان المرادُ بالناسِ في الآيةِ المُتَكَلِّمُ فَمَنْ مَلَكَهُ فِي مِلْكٍ مِنْ مَلِكِهِمْ، فكانَ في حكمِ ما لو قال: مَلِكُ كُلِّ شَيْءٍ، مع التَّنْوِيهِ بِذِكْرِ الْأَشْرَفِ، وهو المُتَكَلِّمُ. اهـ

قلتُ: القولُ بأنَّ المُتَكَلِّمَةَ ثلاثةٌ: الإنسانُ والجنُّ والملائكةُ غَلَطٌ، فالكلامُ يكونُ مِنْ غيرِ هؤلاء الثلاثة، قال تعالى: ﴿عَلَّمَنَا مَطَاقَ الطَّيْرِ﴾ [التكوير: ١٦]. وقال أيضًا: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [التكوير: ٨٢].

ولهذا يَنْبَغِي الحَذَرُ مِنَ الحَصْرِ، فَالْحَصْرُ دَائِمًا يُكْذِبُهُ الْوَاقِعُ، فلا تَحْصُرْ؛ لأنَّ عِلْمَكَ قاصِرٌ، ولكن قُلْ: لا أَعْلَمُ إِلَّا كَذَا وكذا. فهذا لا بأسَ به، وأنت إذا قُلْتَ ذلك وتَبَيَّنَ خِلَافُ ما قُلْتَ صِرْتَ جَاهِلًا بَسِيطًا، ولكن إذا حَصَرْتَ وتَبَيَّنَ خِلَافُ قولِكَ صِرْتَ جَاهِلًا مُرَكَّبًا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٢- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الْمُسَيْبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»^(١).

وقال شُعَيْبٌ وَالرَّبِيدِيُّ وَابْنُ مُسَافِرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ. في هذه الترجمة إثباتُ الْمَلِكِ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَقَدْ وَرَدَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ -فِيهَا أَعْلَمُ-: أولاً: مُضَافًا إِلَى النَّاسِ. ثانياً: وَمُضَافًا إِلَى الدِّينِ.

ثالثاً: ومطلقاً.

فالمطلق كقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

والمضاف إلى يوم الدين؛ كقوله تعالى: ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ على إحدَى القراءَتَيْنِ.

والمضاف إلى الناس؛ كقوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾.

وبهذا نعرف أن الملكية المطلقة في الدنيا والآخرة لله ﷻ، فملك الناس هو ملكهم في الدنيا والآخرة، وملك يوم الدين هو الملك الذي تظهر، ملكيته أو ملكوته في يوم الدين حين لا يوجد ملك في ذلك الوقت، ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿لَمَنَ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾. فيجيب نفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

والملك والمالك إذا جمع بينهما، فإنه يظهر منهما كمال لا اجتماعهما، زائد على الكمال الذي يكون بانفرادهما؛ لأن في قوله: «مالك» تمام السلطة، وفي قوله: «مالك» تمام التصرف والتدبير.

ولنضرب لذلك مثلاً في المخلوق، فقد يكون الإنسان مالِكًا ولا يكون مَلِكًا، فكلنا الآن مالِكون، والكتاب معك مَلِكٌ لك وأنتم أيضاً ملوك على بيوتكم رعاة.

وقد يكون الإنسان مَلِكًا ولا يكون مالِكًا؛ يعني: يكون مَلِكًا لا سلطة له، وهذا موجود، كملكة بريطانيا أو غيرها ممن يكون مَلِكًا صورة، فيُسَلَّبُ المَلِكُ بِرِلْمَانٍ وانتخابات، وما أشبه ذلك. فإذا اجتمع مَلِكٌ ومَالِكٌ صار بذلك تمام السلطة والسيطرة، وتام التصرف والتدبير، ولهذا جاءت القراءتان تبين هذا المعنى و﴿تِلْكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ و﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١).

إذن المَلِكُ مَنْ له تمام السلطة والسيطرة، والمَالِكُ مَنْ له تمام التصرف والتدبير، وكلا الوصفين من خصائص رب العالمين ﷻ، وهو مُتَّصِفٌ بها حقيقة، فهو مَلِكٌ، وهو مَالِكٌ، فلا أحد يتصرف في ملكه إلا بإِذْنِ الله ﷻ، ولا أحد يشفع عنده إلا بإِذْنِهِ.

فملوك الدنيا مهما بلغوا من القوة والسيطرة يُشْفَعُ عندهم بلا إِذْنِ، فالزوجة مثلاً تستطيع أن تقول له: يا فلان، أشفع فلان عندك. بدون أن تستأذن منه، وبعض الناس يكون لوزير أو صديقه قوة يستطيع بها أن يشفع بلا إِذْنِ عنده، لكن الرب ﷻ لقوة سلطانه لا يشفع أحد عنده إلا بإِذْنِهِ ولو كان أقرب الناس إليه عبادة وخضوعاً.

فالنبي ﷺ لا يشفع إلا بإِذْنِ الله، وهو أقرب الناس إلى الله، وأتمهم عبودية، ومع ذلك لا يستطيع أن يشفع عند الله إلا بإِذْنِ الله، وذلك لكمال سلطانه ﷻ.

وهو أيضاً مالك له تمام التصرف والتدبير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ولا أحد يضاد الله في تدبيره أبداً، حتى أكفر الكافرين لا يمكنه أن يضاد الله ﷻ في

(١) قرأ عاصم والكيصاني: «مالك» بآلف، وقرأ الباقون بغير آلف. وانظر: «حجة القراءات» (١/ ٧٧-٧٩)، و«الحجة في

القراءات السبع» (١/ ٦٢)، و«الأحرف السبعة» (١/ ٤٨)، و«تفسير الطبري» (١/ ٦٥).

التَّذْيِيرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)﴾ [التَّوْحِيدُ: ٨٣-٨٧]. وَهَذَا تَحَدُّ: أَوَّلًا: هَلْ يُمَكِّنُ لِأَكْثَرِ النَّاسِ سُلْطَةً فِي الْعَالَمِ أَنْ يَرْجِعَهَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ، فَيَرْدُّهَا إِلَى أَسْفَلِ؟

الجواب: لا يمكن.

إِذَا: تَامَ السُّلْطَةُ وَالتَّذْيِيرُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﷻ، فَهُوَ إِذَنْ تَامَ الْمُلْكُ، وَتَامَ التَّذْيِيرُ وَالتَّصَرُّفُ.

وَهَذَا قَالَ: ﴿مَلَايَ النَّاسِ﴾. وَلَمْ يَقُلْ: ﴿سَيَكُنْ يَوْمَ الْقِيَامِ﴾. لِأَنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا، فَالسُّورَتَانِ؛ الْفَلَقُ وَالنَّاسُ نَزَلَتَا لِنُصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ السَّحَرِ، وَمَنْ الَّذِي سَحَرَهُ؟

الْجَوَابُ: إِنَّهُ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَتِ الْمُنَاسَبَةُ أَنْ يَقَالَ: ﴿مَلَايَ النَّاسِ﴾ الَّذِي بِيَدِهِ السُّلْطَةُ وَالسَّيْطَرَةُ عَلَى النَّاسِ، وَمِنْهُمْ الَّذِينَ سَحَرُوا النَّبِيَّ ﷺ، وَلِهَذَا كَرَّرَ ﴿مَلَايَ النَّاسِ﴾ (١) إِلَهُ النَّاسِ ﴿[التَّوْحِيدُ: ٢-٣]﴾. لِهَذَا، فَهُوَ الْمَلِكُ، وَهُوَ الْإِلَهُ الْمَالُوهُ لِلنَّاسِ ﷻ، فَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَهَذَا مِنْ بِلَاغَةِ الْقُرْآنِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سُحْرَ وَرُقِيَ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ، وَمَا تَعَوَّدَ مُتَعَوِّذٌ، بِمِثْلِهِمَا، وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُمَا لِرَفْعِ السَّحَرِ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ صِدْقٌ مِنْ قَارِيهِمَا، وَقَابِلِهِمَا؛ أَيْ: الْمَقْرُوءَ عَلَيْهِ.

فَإِنْ كَانَ فِي الْقَارِي شَكٌّ، أَوْ فِي الْمَقْرُوءِ عَلَيْهِ شَكٌّ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ، لَكِنْ إِذَا كَانَ هُنَاكَ قُوَّةٌ وَيَقِينٌ، فَإِنَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ يَنْفَعُ وَلَا أَنْفَعُ مِنْهُ، وَهَذَا شَيْءٌ مُجَرَّبٌ لِمَنْ وُقِّقَ لِلْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَصَارَ الْمَحَلُّ قَابِلًا، وَهُوَ الْمَقْرُوءُ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمَحَلُّ غَيْرَ قَابِلٍ فَلَا يَنْفَعُ، فَلَوْ جَاءَ رَجُلٌ شُجَاعٌ قَوِيٌّ، وَمَعَهُ سَيْفٌ بَتَّارٌ، وَأَتَى عَلَى حَدِيدٍ صُلْبٍ لَا يَنْشِي وَلَا يَلِينُ، فَتَحَمَّسَ عَلَيْهِ، وَنَادَى: أَنَا أَبُو فُلَانٍ. أَنَا أَبُو فُلَانٍ ثُمَّ قَامَ، وَضَرَبَ بِالسَّيْفِ عَلَى هَذَا الْحَدِيدِ الصُّلْبِ، فَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ السَّيْفُ؛ لِأَنَّ الْمَحَلَّ غَيْرَ قَابِلٍ، فَلَا يَتَأَثَّرُ بِهِ، مَعَ أَنَّ الرَّجُلَ شُجَاعٌ، وَالسَّيْفَ بَتَّارٌ وَلَكِنْ لَا يَنْتَفِعُ لِأَنَّ الْمَحَلَّ غَيْرَ قَابِلٍ.

لَكِنْ لَوْ جَاءَ هَذَا الشُّجَاعُ بِسَيْفٍ بَتَّارٍ عَلَى رَقِيَّةٍ مُجْرِمٍ مُسْتَحِقٍّ لِلْقَتْلِ ثُمَّ ضَرَبَهُ بَعْدَ أَنْ انْفَعَلَ؛ لِتَكُونَ الضَّرْبَةُ حِينِيذٍ قَوِيَّةً فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَتَأَثَّرُ وَتَنْقَطِعُ رَقِيَّتُهُ؛ لِأَنَّ الْمَحَلَّ قَابِلٌ، فَرُبَّمَا تَقَرَّرَ عَلَى إِنْسَانٍ يَشْكُ فِي الرَقِيَّةِ هَلْ تَنْفَعُ أَمْ لَا؟ فَمِثْلُ هَذَا لَا تَنْفَعُهُ الرَقِيَّةُ.

إِذَا: فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِثْبَاتُ الْمُلْكِ لِلَّهِ وَأَنَّهُ عَامٌّ، وَسَبَقَ أَنْ مُلِكَ اللَّهُ ﷻ لَا يُسَابِهُهُ مُلْكُ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّ مُلْكَ الْمَخْلُوقِينَ مَحْدُودٌ وَمُقَيَّدٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». الْأَرْضُ كُلُّهَا يَقْبِضُهَا اللَّهُ يَوْمَ

(١) رَوَاهُ عَبْدُ بَنِ حَمِيدٍ فِي «مُسْنَدِهِ» (١/١١٥، ٢٧١).

وَعَزَاهُ صَاحِبُ «الدَّرِّ الْمَشْهُورِ» إِلَى ابْنِ مَرْدَوَيْهِ، وَابْيَهَقِي فِي «الدَّلَائِلِ»، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، وَأَصْلُهُ فِي «الصَّحِيحِينَ» الْبُخَارِيِّ (٥٧٦٣)، وَمُسْلِمٍ (٢١٨٩) بِغَيْرِ ذِكْرِ الْمَعْدُودِينَ.

القيامة، وشاهد هذا في القرآن: قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]. ويطوي الله السماء بيمينه؛ لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾. وهذا الطي حقيقي، وليس المراد قوة السيطرة على السماء، أو قوة السيطرة على الأرض بل هو قبض حقيقي للأرض، وطي حقيقي للسماء. وجعل الله الطي للسموات لا القبض؛ لأن السماء أوسع من الأرض وأشد وأعظم، وطياها أبلغ في القدرة، وقد شبه الله هذا الطي بقوله: ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. فلا إله إلا الله، فهذه السموات العظيمة يطويها بيمينه كطي السجل للكتب، ثم يقول: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟». الله أكبر، أين ملوك الأرض، وهل أحد منهم يرفع أضبعه؟
الجواب: لا؛ لأنه لا يوجد ملك يوم القيامة، فالناس سواء؛ أصغر الخدم وأقوى الملوك، فكلهم حفاة، وكلهم عراة، وكلهم غزل، فالملك لله عز وجل، لذا يقول: «أنا الملك، أين ملوك الأرض؟».

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ شُعَيْبٌ، وَالزُّبَيْدِيُّ، وَابْنُ مُسَافِرٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ. وَحَدِيثُ الْبَابِ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٣٦٧):

❖ قوله: «فيه ابنُ عمرَ عن النبي ﷺ»؛ أي: يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ، وَمُرَادُهُ حَدِيثُهُ الْآتِي بَعْدَ اثْنَيْ عَشَرَ بَابًا فِي تَرْجُمَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [الشع: ٧٥]. وسيأتي شَرْحُهُ هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ: «يَقْبُضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيطوي السماء بيمينه، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ». أَخْرَجَهُ مِنْ رِوَايَةِ يُونُسَ -وهو ابنُ يَزِيدَ- عَنْ ابْنِ شِهَابٍ بِسَنَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ شُعَيْبٌ وَالزُّبَيْدِيُّ وَابْنُ مُسَافِرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ مِثْلَهُ.

كَذَا وَقَعَ لِأَبِي ذَرٍّ، وَسَقَطَ لغيره لَفْظُ «مِثْلَهُ»، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ أَرْسَلَهُ، بَلْ مَرَادُهُ أَنَّهُ اخْتَلَفَ عَلَى ابْنِ شِهَابٍ، وَهُوَ الزُّهْرِيُّ، فِي شَيْخِهِ، فَقَالَ يُونُسُ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ. وَقَالَ الْبَاقُونَ: أَبُو سَلَمَةَ، وَكُلُّ مَنِهَا يَرْوِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:

فَأَمَّا رِوَايَةُ شُعَيْبٍ -وهو ابنُ أَبِي حَمْزَةَ الْحِمَصِيِّ- فَسَتَأْتِي فِي الْبَابِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ الْمُعْلَقِ آتِفًا، فَإِنَّهُ قَالَ هُنَاكَ: وَقَالَ أَبُو الْيَمَانِ أَنْبَأَنَا شُعَيْبٌ ... فَذَكَرَ طَرَفًا مِنَ الْمَتَنِ، وَقَدْ وَصَلَهُ الدَّارِمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، وَهُوَ أَبُو الْيَمَانِ، فَذَكَرَهُ، وَفِيهِ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ يَقُولُ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ.

وَكَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ خُرَيْمَةَ فِي كِتَابِ «التَّوْحِيدِ» مِنْ «صَحِيحِهِ»، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الدُّهْلِيِّ، عَنْ أَبِي الْيَمَانِ.

وَأَمَّا رِوَايَةُ الزُّبَيْدِيِّ - بِضَمِّ الرَّايِ، بَعْدَهَا مُوَحَّدَةٌ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْحُمْصِيُّ - فَوَصَّلَهَا ابْنُ خَزِيمَةَ أَيْضًا، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ عَنْهُ، عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَأَمَّا طَرِيقُ ابْنِ مُسَافِرٍ، وَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ مُسَافِرٍ الْفَهْمِيُّ أَمِيرُ مِصْرَ، نُسِبَ لَجَدِّهِ، فَتَقَدَّمَ مَوْصُولَةٌ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الزَّمَرِ، مِنْ طَرِيقِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنْهُ كَذَلِكَ.

وَأَمَّا رِوَايَةُ إِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى، وَهُوَ الْكَلْبِيُّ، فَوَصَّلَهَا الذَّهَلِيُّ فِي الزُّهْرِيَّاتِ، قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: وَافَقَ الْجَمَاعَةُ عِبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ الرَّصَافِيَّ فِي أَبِي سَلَمَةَ.

قُلْتُ: وَأُخْرِجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ طَرِيقِ الصَّدْفِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ كَذَلِكَ، وَنَقَلَ ابْنُ خَزِيمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذَّهَلِيِّ أَنَّ الطَّرِيقَيْنِ مَحْفُوظَانِ. انْتَهَى.

وَصَنَعَ الْبُخَارِيُّ يَقْتَضِي ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي تَقْتَضِيهِ الْقَوَاعِدُ تَرْجِيحَ رِوَايَةِ شُعَيْبٍ لِكثَرَةِ مَنْ تَابَعَهُ، لَكِنْ يُؤْنَسُ كَانَ مِنْ خَوَاصِّ الزَّهْرِيِّ الْمَلَازِمِينَ لَهُ. اهـ.

الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا قَالَ الْحَافِظُ - صَنِعُهُ يَقْتَضِي أَنَّ الطَّرِيقَيْنِ صَحِيحَانِ، وَهَذَا مِنْ فَقْهِ الْبُخَارِيِّ؛ لِأَنَّ الطَّرِيقَ الْأَوَّلَ - طَرِيقَ يُؤْنَسَ - يَتَرَجَّحُ لِمُلَازِمَتِهِ لِابْنِ شِهَابٍ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُلَازِمَ أَعْلَمُ مِنْ غَيْرِ الْمُلَازِمِ؛ يَعْنِي: أَنَّ مَنْ صَحَبَكَ لَا يُمَاطِلُهُ مَنْ لَا قَاكَ مَرَّةً مِنَ الْمَرَّاتِ.

لَكِنَّ الطَّرِيقَ الْأُخْرَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رَوَاهَا أَرْبَعَةً: شُعَيْبٌ وَالزُّبَيْدِيُّ، وَابْنُ مُسَافِرٍ، وَإِسْحَاقُ، فَتَرَجَّحَتْ بِهِذِهِ الْكثَرَةُ وَالْمَتَابَعَاتِ، وَهَذِهِ تَرَجَّحَتْ بِكثَرَةِ الْمَلَازِمَةِ، وَعَلَى هَذَا فَنَقُولُ: الطَّرِيقَانِ صَحِيحَانِ.

❖ قَوْلُهُ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». هَذَا الْقَبْضُ قَبْضٌ حَقِيقِيٌّ، فَهُوَ يَقْبِضُهَا بِإِصْبَعِهِ.

❖ قَوْلُهُ: «وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِبَيْمِينِهِ»؛ أَي: بِبِيَدِهِ الْيُمْنَى، وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ثُبُوتِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ ﷻ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ:

فَفِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْنِي﴾. فَأَضَافَ الْخَلْقَ إِلَيْهِ وَجَعَلَهُ بِالْيَدِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمَرَادُ بِالْيَدِ الْذَاتُ، وَإِنَّمَا الْمَرَادُ بِهَا الْيَدُ الْحَقِيقِيَّةُ.

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْشُوطَتَانِ﴾

[البقرة: ٦٤].

وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [البقرة: ١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا

عَمِلَتْ أَيْدِيئُهُمْ أَنْعَامًا﴾ [البقرة: ٧١].

(١) قَالَ سَاحَةُ الشَّيْخِ ابْنِ عَثِمِينَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» (١/ ٣٠٢): إِنَّ الْمَرَادَ بِالْيَدِ هُنَا نَفْسُ الْذَاتِ الَّتِي لَهَا يَدٌ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [البقرة: ٤١]. أَي: بِمَا كَسَبُوا سِوَاهُ كَانَ مِنْ كَسْبِ الْيَدِ أَوِ الرَّجُلِ أَوِ اللِّسَانِ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ لَكِنْ يَعْبُرُ بِمَثَلِ هَذَا التَّعْبِيرِ عَنِ الْفَاعِلِ نَفْسِهِ وَلِهَذَا نَقُولُ: إِنَّ الْأَنْعَامَ الَّتِي

فهذه الآيات كلها تدلُّ على ثبوت اليد لله ﷻ، ولكنّها يدٌ لا تُماثلُها أيدي المخلوقين؛ لأنّها يدٌ عَظِيمَةٌ، كما جاء في هذا الحديث، أن الله يَقْبِضُ بها الأرضَ وَيَطْوِي بها السماءَ. وقد جاء عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنّه قال: «ما السمواتُ السبعُ والأرضون السبعُ في كفِّ الله إلا كَحَرْدَلَةٍ في كفِّ أحدكم»^(١). وهذا يدلُّ على عظمة هذه اليد، وأنّه لا يُمكن أن يتصوّر الإنسان عَظَمَتَهَا، وَقَدَرَهَا.

والبَحْثُ فيها -أي: في اليد- من وجوه:

الوجه الأول: هل هي حقيقةٌ أو مجازٌ عن القدرة أو القوة؟

الجواب: أنّ مذهب السلف -كما هو قاعدة أصيلة- أنّها حقيقة؛ لأنّ الأصل فيها أضافه الله إلى نفسه أنّه حقيقة، ولكنّها حقيقةٌ مُنزَّهةٌ عن التمثيل، وعن التكييف؛ أي أنها لا تُمثلُ بأيدي المخلوقين، ولا تُكيّف بحيث يتصوّر الإنسان لها كَيْفِيَّةً. وأمّا من قال: إنّ المراد بها القُدرة أو القُوّة. فقولُه باطلٌ من عِدَّةِ أوجه:

الوجه الأول: إجماع السلف على خلاف هذا القول.

فإن قال قائل: أين إجماع السلف؟

قلنا: إنّ الصّحابة يتلون كتاب الله، ويؤمنون به بمقتضى اللغة العربية، فإذا لم يرد عنهم نقلٌ في مخالفةٍ مُقتضى اللغة العربية، علّمنا علم اليقين أنّهم أجزوا النصّ على ظاهره؛ إذ لا يُمكن أن تأتي عن كلّ صاحبٍ أنّه قال: المراد باليد: اليد الحقيقية.

لكن إذا كانوا يتلون الكتاب، واليد في الكتاب بمقتضى اللسان العربي الذي نزل به القرآن هي اليد الحقيقية، ولم يرد عنهم حرفٌ واحدٌ يدلُّ على نقلها إلى المعنى الآخر علّمنا أنّهم مُتفقون على ذلك، وهذا يجري في اليد، وفي غيرها من الصفات.

الوجه الثاني من الردّ على القول بأنّها القدرة أو القوة أو النعمة:

أنّ القُدرة أو النعمة أو القوة لا يصحّ أن تُثنى بالنسبة لله ﷻ، إذ ما هما القُدرتان؟! وما هما القوتان؟! وما هما النعمتان؟!.

فقوة الله ﷻ صفةٌ واحدةٌ لا تتجزأ، ولا تتعدّد، وكذلك قُدْرَتُهُ، أمّا نِعْمَتُهُ فقد قال الله عنها: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [البقرة: ٢٤٨]. فلا تنحصرُ في نِعْمَتَيْنِ.

الوجه الثالث: أنّه لو كان المراد باليد القوة ما صحّ أن يحتجّ إبليسُ بها احتجّ به لما أمر أن يسجدَ

هي الإبل لم يخلقها الله تعالى بيده و فرق بين قوله: ﴿وَمَا عَلِمْتَ﴾ [البقرة: ٧١]. ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِدَنِّي﴾ [البقرة: ٧٥]. فما عملت أيدينا

كأنه قال «ما علمنا» لأن المراد باليد ذات الله التي لها يد، والمراد ﴿بِدَنِّي﴾ اليدان دون الذات. اهـ

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره»، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما (٢٥/٢٤)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٠٩٠)، والطبراني في «التفسير» (٥٤/٢٤).

لَا دَمَ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۖ﴾ (٧٥-٧٦). قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٨) ﴿٧٩﴾ [٧٥-٧٦-٧٩].

لأنه لو صَحَّ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالْيَدِ الْقُدْرَةُ أَوْ الْقُوَّةُ، لَقَالَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ فَضْلٍ لَهُ عَلَيَّ، وَقَدْ خَلَقْتَنِي أَيْضًا بِقُدْرَتِكَ وَقُدْرَتِكَ؟! فَيَكُونُ حُجَّةً لِإِبْلِيسَ أَنْ يَقُولَ: يَا رَبِّ، أَيُّ مَرِيَّةٍ لَادَمَ، فَإِنَّهُ خُلِقَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَنَا أَيْضًا خُلِقْتُ بِقُدْرَتِكَ؟! وَلَمْ يَأْتِ بَعْلَةٌ أُخْرَى قَدْ تَقَبَّلُ وَقَدْ لَا تَقَبَّلُ، وَهِيَ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ.

الْوَجْهَ الرَّابِعُ: أَنَّ هَذِهِ الْيَدَ جَاءَتْ عَلَى وَجْهِ مُتَعَدِّدَةٍ فَقَدْ جَاءَتْ بِلَفْظِ الْكَفِّ، وَجَاءَتْ بِذِكْرِ الْأَصَابِعِ، وَجَاءَتْ بِلَفْظِ الْيَمِينِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَكُنَّا بِيَدَيْهِ يَمِينٍ»^(١). فَيَمْتَنِعُ مَعَ هَذَا التَّنَوُّعِ فِيهَا جَاءَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهَا الْقُوَّةُ أَوْ الْقُدْرَةُ.

الْوَجْهَ الْخَامِسُ: أَنْ نَقُولَ لَهُمْ: لِمَاذَا قَرَرْتُمْ عَنْ تَفْسِيرِهَا بِالْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ؟ فَإِذَا قَالُوا: لِأَنَّ الْيَدَ جَارِحَةٌ، وَاللَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الْجَوَارِحِ.

نَقُولُ: فَصَلُّوا لَنَا الْجَارِحَةَ هَذِهِ، فَالْجَارِحَةُ لَمْ يَرِدْ تَفْهِيمُهَا، وَلَا إِثْبَاتُهَا بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ ﷻ، فَمَاذَا تُرِيدُونَ بِالْجَارِحَةِ الَّتِي تَوَصَّلْتُمْ بِتَفْهِيمِهَا إِلَى نَفْيِ مَا أَثْبَتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ؟ أَتُرِيدُونَ بِالْجَارِحَةِ أَنَّهُ ﷻ يَكْتُبُ بِهَا، وَيَعْمَلُ بِهَا لِيَكْسِبَ؟ أَمْ تُرِيدُونَ بِالْجَارِحَةِ أَنَّهُ يَأْخُذُ بِهَا؟

إِنْ أَرَادُوا الْأَوَّلَ، هُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ أَرَادُوا الثَّانِي فَهُوَ حَقٌّ، وَكَوْنُهُمْ يَتَوَصَّلُونَ إِلَى نَفْيِ هَذَا الْحَقِّ بِنَفْيِ الْجَارِحَةِ هَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِلا عِلْمٍ.

وَإِنْ قَالُوا: تَنْفِي عَنْهُ الْيَدَ؛ لِأَنَّا لَوْ أَثْبَتْنَا لَهُ الْيَدَ الْحَقِيقِيَّةَ شَبَّهْنَاهُ بِالْمَخْلُوقِ الَّذِي لَهُ يَدٌ حَقِيقِيَّةٌ، فَقُولُوا: أَنْتُمْ صَرَفْتُمْ الْمَعْنَى إِلَى الْقُوَّةِ، وَلِلْمَخْلُوقِ قُوَّةٌ، فَوَقَعْتُمْ فِي مِثْلِ مَا قَرَرْتُمْ بِهِ، وَزِدْتُمْ أَنْكُمْ حَرْفَتُمْ النَّصَّ عَنْ ظَاهِرِهِ، فَجَنَّبْتُمْ جَنَابَتَيْنِ، وَلَمْ تَتَخَلَّصُوا مِنَ التَّشْبِيهِ عَلَى قَاعِدَتِكُمْ.

وَإِنْ قُلْتُمْ: الْمَرَادُ بِهَا الْقُدْرَةُ. قُلْنَا: لِلْمَخْلُوقِ: قُدْرَةٌ أَيْضًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمِمَّا كَسَبُوا﴾ [٢٦٤:٢٦٤]. وَبِهِ تَكُونُونَ قَدْ وَقَعْتُمْ فِي نَظِيرِ مَا قَرَرْتُمْ مِنْهُ.

وَإِنْ قُلْتُمْ: الْمَرَادُ بِهَا النِّعْمَةُ. قُلْنَا: وَلِلْمَخْلُوقِ نِعْمَةٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ نَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [٢٧:٢٧].

إِذَا: فَمَهْمَا قَرُّوا، فَهُمْ مُذَرِّكُونَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ بَاطِلٌ.

الْبَحْثُ الثَّانِي: الْيَدُ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ؛ الْإِفْرَادُ وَالتَّشْبِيهُ وَالْجَمْعُ، وَقَدْ يَنْدُو لِلْإِنْسَانِ أَنَّ هَذَا تَنَاقُضٌ، وَلَكِنْ لَا تَنَاقُضَ فِي ذَلِكَ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوجَدَ تَنَاقُضٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، وَلَا بَيْنَ كِتَابِ اللَّهِ وَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَبَدًا، وَلَا بَيْنَ كِتَابِ اللَّهِ وَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ مَا يَقْتَضِيهِ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ.

فهذه ثلاثة أشياء، ونَعْنِي بالعقل الصَّرِيح: السَّالِمُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ عَقْلٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْعِلْمِ، فَلَيْسَ عِنْدَهُ شُبْهَةٌ، وَمَبْنِيٌّ عَلَى حُسْنِ الْقَصْدِ، وَإِرَادَةِ الْحَقِّ، فَلَيْسَ عِنْدَهُ شَهْوَةٌ أَوْ إِرَادَةٌ غَيْرَ الْحَقِّ، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَا تَنَاقُضَ بَيْنَ الْإِفْرَادِ وَالْتَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْيَدِ، وَلَكِنْ كَيْفَ الْجَمْعُ؟

نَقُولُ: أَمَّا الْمُفْرَدُ، فَإِنَّهُ مُضَافٌ، وَالْمُفْرَدُ الْمُضَافُ صَالِحٌ لِلوَاحِدِ وَالْمُتَعَدِّدِ، أَلَمْ تَرَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾. «فَنِعْمَةٌ» مُفْرَدٌ مُضَافٌ، يَشْمَلُ مِنَ النِّعَمِ مَا لَا نُحْصِيهِ، وَعَلَيْهِ فَالْمُفْرَدُ الْمُضَافُ فِي الْيَدِ لَا يُنَافِي التَّعَدُّدَ.

إِذَا: أَسْقَطَ عَنَّا ظَنُّ التَّنَاقُضِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُفْرَدِ وَالتَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ. وَبَقِيَ عِنْدَنَا التَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ، فَنَقُولُ: أَمَّا التَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ، فَإِنْ قُلْنَا بِأَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ اثْنَانِ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ النُّحَاةِ، وَكَمَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي آيَاتِ الْمَوَارِيثِ، فَإِنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ فِي آيَاتِ الْمَوَارِيثِ اثْنَانِ، وَكَذَلِكَ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَحْصُلُ بِاثْنَيْنِ، إِنْ قُلْنَا: أَقْلُ الْجَمْعِ اثْنَانِ. فَلَا إِشْكَالَ؛ لِأَنَّهُ يُحْمَلُ الْجَمْعُ عَلَى أَقْلِهِ، فَيَكُونُ اثْنَيْنِ، فَيُطَابِقُ الْمُشْتَى، وَلَا إِشْكَالَ فِي هَذَا. وَإِنْ قُلْنَا بِالْمَشْهُورِ، وَهُوَ أَنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ ثَلَاثَةٌ، فَحَيْثُذْ يَكُونُ عِنْدَنَا عِدَدَانِ؛ اثْنَانِ وَثَلَاثَةٌ، نَحْتَاجُ إِلَى جَمْعٍ بَيْنَهُمَا، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ صِبْغَةَ الْجَمْعِ لَا يُرَادُ بِهَا مَعْنَى الْجَمْعِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِهَا التَّعْظِيمُ، مُوَافَقَةً لِمُصْمِرِ الْجَمْعِ، وَهُوَ أَيْدِينَا فَإِنَّ «نَا» ضَمِيرُ جَمْعٍ وَلَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِإِضَافَتِهَا إِلَى اللَّهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَا جَمْعُ التَّعَدُّدِ.

فَإِذَا كَانَتْ «نَا» الدَّالَّةُ عَلَى الْجَمْعِ لِلتَّعْظِيمِ كَانِ الْأَنْسَبُ لَفْظًا وَمَعْنَى أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ إِلَيْهَا بِصِبْغَةِ الْجَمْعِ مِنْ أَجْلِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ.

وَيُبَيِّنُ لَكَ هَذَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ ﴿وَمَا عَمِلْتَ أَيْدِيًا أَنْعَمًا﴾، لَوَجَدْتَ هُنَاكَ تَنَاقُضًا بَيْنَ «يَدَا» الْمُشْتَى وَالضَّمِيرِ، فَلِهَذَا كَانَ الْمُنَاسِبُ لَفْظًا وَمَعْنَى أَنْ تُصَاغَ الْيَدُ بِصِبْغَةِ الْجَمْعِ.

وَبِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ مَجِيءِ الْيَدِ بِصِبْغَةِ التَّثْنِيَةِ، وَصِبْغَةِ الْجَمْعِ، وَصِبْغَةِ الْإِفْرَادِ.

الْبَحْثُ الثَّلَاثُ: هَذِهِ الْيَدُ لَا يَلْزَمُ، بَلْ لَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ كَيْدَ الْمَخْلُوقِ، وَلَكِنْ مَا وَرَدَ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَنِ فِي وَصْفِهَا بِمَا تُوصَفُ بِهِ يَدُ الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ إِثْبَاتُهُ، فَهَذِهِ الْيَدُ وَصِفَتْ بِالْيَمِينِ، كَمَا فِي الْآيَةِ: ﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتَاتٍ بِيَمِينِهِ﴾. فَهَلْ تُوصَفُ بِالشَّامِلِ، كَمَا أَنَّ الْمَخْلُوقَ لَهُ يَدٌ يَمِينٌ وَشَمَالٌ؟ الْجَوَابُ: فِي هَذَا خِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ.

فَوْنَهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ تُوصَفَ بِالشَّامِلِ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي «الصَّحِيحِ»^(١).

(١) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ (٢٧٨٨) وَقَدْ ضَعَّفَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ نَاحِيَةِ الْإِسْنَادِ، فَقَالَ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ»

(٣٢٤/١): ذَكَرَ الشَّامِلُ فِيهِ تَفَرُّدٌ بِهِ عُمَرُ بْنُ حَزْمَةَ عَنْ سَالِمٍ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ نَافِعٌ وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ مِقْسَمٍ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ،

وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ الشَّامِلُ. أَهـ وَضَعْنَاهَا أَيْضًا مِنْ نَاحِيَةِ الْمَتْنِ، فَقَالَ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» (٣٢٤/١) وَكَيْفَ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَقَدْ

صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمَّى كُلْتَا يَدَيْهِ يَمِينًا؟!

ومنهم مَنْ قَالَ: لَا تُوصَفُ بِالشَّالِ، وَمَا جَاءَ فِي «الصَّحِيحِ» فَإِنَّهُ شَادٌّ، أَوْ وَهُمْ مِنَ الرَّائِي، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»^(١).

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ، أَوْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ لَا تَمْنَعُ مِنْ إِبْثَابِ الشَّالِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الشَّالَ، وَقَالَ: «وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» إِنَّمَا قَالَهُ لِدَفْعِ تَوْهُمِ نَقْصِ فِي الشَّالِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ أَنَّ الْيَدَ الشَّالَ فِيهَا نَقْصٌ عَنِ الْيَدِ الْيَمِينِ.

فَإِذَا أُثْبِتَ الشَّالَ فَقَدْ يَتَوَهَّمُ وَاهِمٌ أَنَّهَا أَنْقَضُ مِنَ الْيَمِينِ، فَقَالَ: «وَكِلْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ». أَيْ: أَنَّهَا لَا يَخْتَلِفَانِ فِي الْكَمَالِ، فَكِلَاهُمَا كَامِلَةٌ.

وَيَنْبَغِي عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَوْ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ سَوْأَلٌ، وَهُوَ هَلْ تُوصَفُ بِالْكَفِّ، وَهَلْ لَهُ أَصَابِعُ، وَهَلْ لَهُ أُنَامِلُ؟

الْجَوَابُ: لَا يَلْزَمُ مِنْ إِبْثَابِ الْيَدِ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَفٌّ أَوْ أُنَامِلُ أَوْ أَصَابِعُ، لَكِنْ إِذَا وَرَدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَفٌّ، وَأَنْ لَهُ أُنَامِلُ، وَأَنْ لَهُ أَصَابِعُ، فَالْوَاجِبُ إِبْثَابُهَا بِدَلَالَةِ اللَّزُومِ، وَأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ إِبْثَابِ الْيَدِ إِبْثَابُ الْكَفِّ وَالْأُنَامِلِ وَالْأَصَابِعِ، أَوْ بِدَلَالَةِ التَّضَمُّنِ أَوْ الْمِطَابَقَةِ؛ أَيْ: بِدَلَالَةِ مُسْتَقْلَلَةٍ عَنْ دَلَالَةِ اللَّزُومِ بِالْيَدِ؟

الْجَوَابُ: الثَّانِي هُوَ الْمُتَعَيَّنُ، وَهُوَ أَنْ نَقُولَ: لَوْلَا أَنَّ النُّصُوصَ جَاءَتْ بِثُبُوتِ الْكَفِّ، وَثُبُوتِ الْأَصَابِعِ، وَثُبُوتِ الْأُنَامِلِ مَا أَثْبَتْنَاهَا مِنْ أَجْلِ ثُبُوتِ الْيَدِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ صِفَاتُ لَيْدِ الْمَخْلُوقِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِهَا فِي يَدِ الْمَخْلُوقِ أَنْ تُثْبِتَ اللَّهُ، لَكِنْ إِذَا جَاءَتْ بِهَا السُّنَّةُ وَجَبَ عَلَيْنَا قَبُولُهَا.

وَهَلْ إِذَا أُثْبِتَ الْأَصَابِعُ يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ خَمْسَةً فِي كُلِّ يَدٍ وَلَا أَنْ تَكُونَ أَقَلَّ، أَوْ أَكْثَرَ؟
الْجَوَابُ: لَا يَلْزَمُ، لَكِنْ الَّذِي بَلَّغْنَا أَنَّهَا خَمْسَةُ أَصَابِعٍ، وَذَلِكَ جِئْنَا تَحَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ...» فَذَكَرَ خَمْسَةً^(٢).

لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ ذِكْرِ الْخَمْسَةِ إِلَّا تَزِيدُ، فَلِهَذَا نَقُولُ: تُثْبِتُ مِنْ عَدَدِ الْأَصَابِعِ مَا ثَبَتَ اللَّهُ، وَالبَاقِي نَسَكُتُ عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، أَنَّ مَا لَمْ يَرِدْ فَاسْكُتْ عَنْهُ، وَمَا وَرَدَ فَاتَّبِعْهُ، وَهَذَا هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَةِ الْيَدِ.

وَالْمُهْمُّ: أَنْ نُوَظِّنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدًا حَقِيقِيَّةً يَأْخُذُ بِهَا وَيَقْبِضُ، وَأَنَّهَا لَا تُمَاتِلُ أَيْدِيَ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُكَيِّفَهَا.

فَأَمَّا نَفْيُ التَّمَثِيلِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٣). وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ.

وَأَمَّا نَفْيُ التَّكْيِيفِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»^(٤). وَلِقَوْلِهِ: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَفِيٌّ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٧٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٦).

أَلْفَوْحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٠﴾. هذه هي عقيدتنا فيما يتعلق بيد الله ﷻ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٤٤]. ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٨٠]. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٨]. وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ. وَقَالَ أَنَسٌ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَقُولُ حَقُّهُمْ: قَطُّ قَطُّ»^(١) وَعِزَّتِكَ.

وقال أبو هريرة، عن النبي ﷺ: «يَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فيقول: رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا».

قال أبو سعيد: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قال الله ﷻ: لك ذلك وعشرة أمثاله».

وقال أيوب بن عبد الله بن مَرْثَدَةَ: «وعِزَّتِكَ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ»^(٢).

هذا الباب تَضَمَّنَ اسْمَيْنِ مِنْ أَسَاءِ اللَّهِ؛ أَوَّلُهُمَا: الْعَزِيزُ، وَالثَّانِي: الْحَكِيمُ. فَأَمَّا الْعَزِيزُ فَلَهُ اسْتِثْقَاتٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ عَزَّ؛ أَي: امْتَنَعَ، وَمِنْ عَزَّ؛ أَي: قَلَّ، وَمِنْ عَزَّ؛ أَي: قَوِيَ:

﴿فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]. أَي: بِمُمْتَنِعٍ.

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿وَعَزَّيْ فِي الْخُطَابِ﴾ [البقرة: ٢٣]. أَي: غَلَبَنِي. وَقَوْلُهُمْ: هَذِهِ أَرْضُ عَزَّازٍ؛ أَي: صُلْبَةٍ. فَالْعَزِيزُ يَدُلُّ عَلَى الْعِزَّةِ،

قال العلماء: وَعِزَّةُ اللَّهِ ﷻ تَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ؛ عِزَّةُ الْقَدْرِ، وَعِزَّةُ الْقَهْرِ، وَعِزَّةُ الْاِمْتِنَاعِ.

فِعِزَّةُ الْقَدْرِ، مَعْنَاهَا: أَنَّ اللَّهَ ﷻ ذُو قَدَرٍ عَزِيزٍ، لَا نَظِيرَ لَهُ.

وعِزَّةُ الْقَهْرِ هِيَ عِزَّةُ الْغَلَبَةِ؛ فَإِنَّهُ ﷻ هُوَ الْغَالِبُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، حَتَّى الْجَاهِلِيُّونَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ يَقُولُ قَائِلُهُمْ^(٣):

أَيِّنَ الْمَفْرُ وَالْإِلَهِ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ^(٤)

يُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذُو الْعِزَّةِ الْغَالِيَةِ.

(١) انظر «الفتح» (٨/ ٥٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٩٣)، وأحمد (٢/ ٣١٤).

(٣) القائل هو نفيل بن حبيب، قاله حين رأى ما أنزل الله ﷻ بجيش أبرهة وانظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ١٧٢)، و«تاريخ الطبري» (١/ ٤٤٣).

(٤) البيت من الرجز، وهو موجود في: «المنتظم» (٢/ ١٢٦)، و«الكامل في التاريخ» (١/ ٣٤٥)، و«سمط العوالي» (١/ ٢٧٥)، و«معني اللبيب» (١/ ٣٩٠)، و«معجم الهوامع» (١/ ٤٢٤)، (٣/ ٢١٧).

وعِزَّةُ الامْتِنَاعِ؛ مَعْنَاهَا: أَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَنَالَه نَقْصٌ فِي أَيِّ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، امْتِنَاعُ النَّقْصِ عَلَى اللَّهِ ﷻ
هذا معناه غِزَاةُ الامْتِنَاعِ.

هل العَزِيزُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَعَدِّيةِ أَوْ اللَّازِمَةِ؟

نَقُولُ: هُوَ فِي أَحَدِ مَعَانِيهِ مِنَ الْمُتَعَدِّيةِ، فَالْعَزِيزُ بِمَعْنَى الْغَالِبِ مُتَعَدِّ؛ لِأَنَّهُ غَالِبٌ وَلَيْسَ بِمَغْلُوبٍ،
وَأَمَّا الْعَزِيزُ عِزَّةُ الْقَدْرِ وَعِزَّةُ الْاِمْتِنَاعِ، فَهَذِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ اللَّازِمَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ كَيْفَ الْإِيْيَانُ بِالْأَسْمَاءِ
الْمُتَعَدِّيةِ وَالْأَسْمَاءِ اللَّازِمَةِ^(١).

أَمَّا الْحَكِيمُ فَلِإِنَّهَا فَعِيلٌ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحُكْمِ، وَمِنَ الْحِكْمَةِ؛ لِأَنَّ فَعِيلًا بِمَعْنَى فَاعِلٍ، أَوْ بِمَعْنَى
مُفْعِلٍ، فَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْحِكْمَةِ -أَي: أَحْكَمَ- فَهِيَ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ حَكَمٍ فَحَكِيمٌ بِمَعْنَى
فَاعِلٍ.

وَوُزُوْدُ فَعِيلٍ بِمَعْنَى فَاعِلٍ لَا غَرَابَةَ فِيهِ، فَفَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ كَثِيرٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِثَالُهُ: رَحِيمٌ
بِمَعْنَى رَاحِمٍ.

وَكَذَلِكَ وَرَدَتْ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ؛ أَيْ: حَكِيمٌ بِمَعْنَى مُحْكِمٍ لِلْأَشْيَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَمِنْ رِيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ^(٢)

فَالسَّمِيعُ، بِمَعْنَى السَّمِيعِ، وَلِهَذَا قَالَ: يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ. فَصَحَّ أَنَّ فَعِيلًا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
تَأْتِي بِمَعْنَى مُفْعِلٍ، أَمَّا إِتْيَانُهَا بِمَعْنَى فَاعِلٍ فَكَثِيرٌ.

إِذَا: الْحَكِيمُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحِكْمَةِ وَمُشْتَقَّةٌ مِنَ الْحُكْمِ، وَالْحُكْمُ -أَي: حُكْمُ اللَّهِ ﷻ- يَنْقَسِمُ إِلَى
قِسْمَيْنِ؛ حُكْمٍ كَوْنِيٍّ وَحُكْمٍ شَرْعِيٍّ.

مِثَالُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمُتَجَنِّدَةِ: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بِكُمْ يَبْلُغُكُمُ الْبَلَاءُ﴾^(٣).
وَمِثَالُ الْحُكْمِ الْكَوْنِيِّ: قَوْلُهُ: ﴿فَلَنْ أَتْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَيْ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٤)
[تَبَارَكَ: ٨٠]. يَعْنِي: يُقَدَّرُ لِي.

وَالْحِكْمَةُ تَكُونُ فِي الْحُكْمِ الْكَوْنِيِّ وَفِي الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، فَمَا مِنْ حُكْمٍ كَوْنِيٍّ إِلَّا وَلَهُ حِكْمَةٌ، وَمَا
مِنْ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ إِلَّا وَلَهُ حِكْمَةٌ؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ الشَّرْعِيَّ أَوْ الْحُكْمَ الْكَوْنِيَّ بَدُونِ حِكْمَةٍ سَفَهٌ، وَاللَّهُ
تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ السَّفَهِ، أَوْ لَعُوٍّ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ اللَّعْوِ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البيت من الوافر التام، وهو لعمر بن مَعْدِيكَرِبَ الزَيْدِي، وهو موجود في ديوانه، و«معاهد التنصيص» (٢/ ٢٣٦)،

«الأغاني» (١٥/ ١٩٩، ٢١٦، ٢١٧) و«العقد الفريد» (١/ ١٣١)، (٣/ ٣٧١) و«الكامل في الأدب» (١/ ١٠٥)، و

«خزانة الأدب للبغداد» (٨/ ١٨٩، ١٨١)، (١١/ ١٢٤)، و«لسان العرب» (٨/ ١٦٤)، و«المحكم لابن سيده»

(١٢/ ٥١٢)، و«الأصمعيات» (١/ ١٧٢).

انظر: «شرح الكفاية الشافية» (٢/ ١٠٣٤)، و«الخزانة» (٣/ ٣٦٠).

إِذَا: مَا مِنْ حُكْمٍ كَوْنِيٍّ أَوْ شَرْعِيٍّ إِلَّا وَلَهُ حِكْمَةٌ، وَلَكِنْ هَلْ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ ذَا حِكْمَةٍ أَنْ تَكُونَ الْحِكْمَةُ مَعْلُومَةً لَنَا؟

الْجَوَابُ: لَا، فَمَا أَكْثَرَ الْأَحْكَامَ الْكَوْنِيَّةَ وَالْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي تَخْفَى عَلَيْنَا حِكْمَتُهَا، إِمَّا خَفَاءَ نَسِيًّا بَأَن تَخْفَى عَلَى بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، أَوْ خَفَاءَ حَقِيقًا بَأَن تَخْفَى عَلَى كُلِّ أَحَدٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَقْلَنَا قَاصِرَةٌ.

وَالْحِكْمَةُ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

١- حِكْمَةُ حَالِيَّةٍ. ٢- وَحِكْمَةُ غَائِيَّةٍ.

* فَالْحِكْمَةُ الْحَالِيَّةُ بِمَعْنَى كَوْنِ الشَّيْءِ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ حِكْمَةٌ.

* وَالْحِكْمَةُ الْغَائِيَّةُ بَأَن يَكُونَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ حِكْمَةٌ بِالْغَاةِ وَثَمَرَاتٍ جَلِيلَةٍ.

إِذَا: فَالْحِكْمَةُ الْآنَ صَارَتْ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

حِكْمَةُ حَالِيَّةٍ، يَعْنِي: أَنَّ الْحَالَ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الشَّيْءُ يَكُونُ مُطَابِقًا لِلْحِكْمَةِ.

وَحِكْمَةُ غَائِيَّةٍ بَأَن يُرَادَ بِهِ غَايَةٌ حَمِيدَةٌ.

وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْحُكْمُ الْكَوْنِيُّ فِيهِ حِكْمَةٌ بَوْجْهِيَّهَا، وَالْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فِيهِ حِكْمَةٌ بَوْجْهِيَّهَا.

فَالْحُكْمُ الْكَوْنِيُّ الَّذِي يَحْكُمُ اللَّهُ فِيهِ عَلَى الْعِبَادِ لَهُ حِكْمَةٌ، وَكَوْنُهُ عَلَى هَذَا الرَّجْوِ هَذَا حِكْمَةٌ، وَكَوْنُهُ لَهُ غَايَةٌ حَمِيدَةٌ هَذَا لَهُ حِكْمَةٌ أُخْرَى، وَالْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ مِثْلُ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ وَقِلَّةِ الْمِيَاهِ وَالْحَرُّ الشَّدِيدُ الْمَهْلِكُ لِلشَّيْءِ، وَالْبَرْدُ، وَالْبَرْدُ هَذَا فَسَادٌ، لَكِنْ يَكُونُ إِيقَاعُهُ حِكْمَةٌ قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ٤١].

إِذَا: هَذَا الْفَسَادُ الَّذِي سَبَبُهُ مَا كَسَبَتْ أَيْدِينَا لَهُ غَايَةٌ حَمِيدَةٌ، مَا هِيَ: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١).

إِذَا: فَكُلُّ مَا قَضَى اللَّهُ ﷻ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ مِحْنٍ، وَمَصَائِبٍ، وَقِتَالٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ؛ فَإِنْ غَايَتُهُ حَمِيدَةٌ، حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِ الْهَلَاكُ وَالْدَّمَارُ، فَإِنَّ الْغَايَةَ فِيهِ حَمِيدَةٌ؛ لِأَنَّ الْمُصَابِينَ بِهَذَا لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِالإِضَافَةِ إِلَى تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ وَرَفْعَةِ الدَّرَجَاتِ وَزِيَادَةِ الْحَسَنَاتِ مَعَ الصَّبْرِ وَالْإِحْسَابِ، وَالَّذِينَ لَمْ يُصَابُوا يَتَخَذُونَ مِنْ ذَلِكَ عِبْرَةً، فَيَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ ﷻ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا بِالنِّسْبَةِ لِلْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، فَلَهُ حِكْمَةٌ حَالِيَّةٌ بِمَعْنَى: أَنَّ وَضْعَهُ عَلَى هَذَا الرَّجْوِ لَهُ حِكْمَةٌ، وَلَهُ حِكْمَةٌ غَائِيَّةٌ بِمَعْنَى: أَنَّ الْغَايَةَ مِنْهُ حَمِيدَةٌ، يُحْمَدُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَإِذَا نَظَرْتَ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ تَجِدُهَا هَكَذَا.

فَمِثْلًا: الْوُضُوءُ بَغَسَلٍ وَتَطْهِيرِ الْأَعْضَاءِ الْأَرْبَعَةِ، لَا شَكَّ أَنَّ شَرْعِيَّتَهُ عَلَى هَذَا الرَّجْوِ حِكْمَةٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ هِيَ أَعْضَاءُ الْجَسَدِ؛ الْوَجْهُ وَالْيَدَانِ وَالرَّأْسُ وَالرِّجْلَانِ.

وَفِي كَوْنِهِ غَسْلًا فِي ثَلَاثَةِ أَعْضَاءٍ، وَمَسْحًا فِي غُضُوٍّ وَاحِدٍ أَيْضًا: حِكْمَةٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَوْ قَرَضَ عَلَيْنَا

غَسَلَ الرَّؤُوسَ وَلَا سِيَّامًا فِي زَمَنِ كَانَ النَّاسُ يَتَّخِذُونَ الشَّعْرَ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ أَلْزَمْنَا بِغَسْلِ الرَّأْسِ كَمَا نَلْزِمُ بِغَسْلِ الْوَجْهِ، فَإِنَّهُ سَوْفَ يَحْصُلُ مِنَ الْمَشَقَّةِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ وَلَا سِيَّامًا فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ، وَلِهَذَا كَانَتْ طَهَارَتُهُ بِالْمَسْحِ، وَطَهَارَةُ الْأَعْضَاءِ الثَّلَاثَةِ بِالْغَسْلِ.

إِذَا: هَذَا مُطَابِقٌ لِلْحِكْمَةِ، وَطَبَّقَ هَذَا عَلَى جَمِيعِ الشَّرَائِعِ تَجِدُ أَنَّ كَوْنَهَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ حِكْمَةٌ.

ثُمَّ الْغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ أَيْضًا، فَفِي الْوَضوءِ الْغَايَةُ مِنْهُ: التَّطَهِيرُ الْمَعْنَوِيُّ وَهَذَا أَهَمُّ شَيْءٍ، فَإِنَّ خَطَايَا هَذِهِ الْأَعْضَاءِ تَزُولُ مَعَ آخِرِ قَطْرَةٍ مِنْ قَطْرَاتِ الْمَاءِ.

وَهَذَا التَّطَهِيرُ الْمَعْنَوِيُّ هُوَ الْمُهِمُّ بِالإِضَافَةِ إِلَى التَّطَهِيرِ الْحِسِّيِّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ فِي الْغَالِبِ بَارِزَةٌ، وَإِذَا كَانَتْ بَارِزَةً؛ فَإِنَّهَا تَتَعَرَّضُ لِلْغُبَارِ، وَتَتَعَرَّضُ لِلْأَوْسَاحِ، فَلِهَذَا أُمِرَ بِغَسْلِهَا.

وَالْخِلَاصَةُ: أَنَّ الْحِكْمَةَ حَالِيَّةٌ وَغَايَةٌ فِي الشَّرْعِ وَفِي الْقَدْرِ، فَتَكُونُ أَرْبَعَةً: حِكْمَةٌ حَالِيَّةٌ فِي الْقَدْرِ، وَحِكْمَةٌ غَايَةٌ فِي الشَّرْعِ.

وَفِي جَمْعِ اللَّهِ ﷻ بَيْنَ الْعَزِيزِ وَالْحَكِيمِ زِيَادَةٌ كَمَالٌ؛ لِأَنَّ الْعَزِيزَ الَّذِي هُوَ الْغَالِبُ قَدْ تَحَمَّلَهُ عِزَّتُهُ عَلَى سُوءِ التَّصْرِيفِ، كَمَا يُوجَدُ فِي الْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ عَنْدهُ عِزَّةٌ وَعِلْبَةٌ وَسُلْطَانٌ فَقَدْ يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا أَهَقَ، فَقَرَنَ اللَّهُ ﷻ الْعِزَّةَ بِالْحِكْمَةِ؛ لِيَتَبَيَّنَ أَنَّ عِزَّتَهُ ﷻ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْحِكْمَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَالْمَخْلُوقِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ عَنْدهُ مِنَ الْعِزَّةِ الَّتِي قَدْ تَحَمَّلَهُ عَلَى التَّهْوِيرِ وَعَدَمِ إِحْسَانِ التَّصْرِيفِ.

قَوْلُهُ: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ [الْمَائِدَةُ: ١٨٠].

كَلِمَةٌ: ﴿سُبْحَنَ﴾. يَقُولُ أَهْلُ اللُّغَةِ: إِنَّهَا اسْمٌ مُصَدَّرٌ سَبَّحَ، وَالْمُصَدَّرُ تَسْبِيحٌ، وَيَقُولُونَ أَيْضًا: إِنَّهَا مُلَازِمَةٌ لِلنَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ، وَلَمْ تَخْرُجْ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا نَادِرًا. وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا مُلَازِمَةٌ لِلإِضَافَةِ، وَلَا تَأْتِي إِلَّا مُضَافَةً إِمَّا لِاسْمٍ ظَاهِرٍ، أَوْ لِاسْمٍ مُضْمَرٍ، وَرُبَّمَا تَفْرُدُ قَلِيلًا عَنِ الإِضَافَةِ ^(١).

وَمَعْنَى التَّسْبِيحِ: التَّنْزِيهُ، وَمَا الَّذِي يُنَزَّهُ اللَّهُ عَنْهُ؟

الْجَوَابُ: يُنَزَّهُ اللَّهُ ﷻ عَنْ مُمَائِلَةِ الْمَخْلُوقِ، وَعَنِ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» ^(٢). وَقَالَ تَعَالَى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ». وَقَالَ تَعَالَى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَا مِنْ لُغُوبٍ» [الشُّرَا: ٣٨].

وَالنُّصُوصُ فِي نَفْيِ الْعَيْبِ عَنِ اللَّهِ كَثِيرَةٌ، وَكَذَلِكَ فِي نَفْيِ الْمُمَائِلَةِ عَنِ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ﴾. أَضَافَ الرُّبُوبِيَّةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَنَّهَا رُبُوبِيَّةٌ خَاصَّةٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّهُ، قَدْ رَبَّاهُ عَلَى أَكْمَلِ الْأَخْلَاقِ، وَلِذَلِكَ نَقُولُ: الرُّبُوبِيَّةُ تَنْقَسِمُ إِلَى عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ.

(١) ومثلها تمامًا كلمة «معاذ».

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩).

فالعامة: هي الشاملة لجميع الخلق؛ وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ①
 ﴿الْقُلُوبُ: ٢٤﴾. ومثل قوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ﴿الْقُلُوبُ: ٢٤﴾.

والخاصة: هي التي تختص بمن تعبد الله ﷻ، وتستلزم النصرة والتأييد والتربية الخاصة، وأخص هذا النوع. -يعني الربوبية الخاصة- ما أضيفت إلى الرسل -عليهم الصلوات والسلام-؛ لأن ربوبية الله لهم هي أخص ربوبية.

❦ وقوله: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾. معنى ﴿رَبِّ﴾ هنا صاحب؛ أي: صاحب العزة، وليس معناها «خالق»؛ «فرب» في ﴿رَبِّكَ﴾ غير «رب» في ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾؛ لأن رب العزة يتعين أن تكون بمعنى صاحب، ولا يجوز أن نجعلها بمعنى خالق؛ وذلك لأن العزة صفة من صفات الله، وصفات الله تعالى غير مخلوقة.

فيتعين أن نحمل قوله: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ على صاحب العزة؛ أي: ذي العزة. وإنما أضاف ﷻ هنا نفسه إلى العزة؛ لأن المقام يقتضيه، فإن هؤلاء يصفون الله تعالى بما هو مبرأ منه، كما قال: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. فيظنون أنهم بذلك غاليون، ولكنهم مغلوبون في الحقيقة؛ لأن صاحب العزة على الكمال هو الله ﷻ، وهم وإن أمهلوا، لكنهم لا يهتملون.

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. الشاهد من هذا قوله: ﴿الْعِزَّةِ﴾. فإنها تطابق العزيز؛ لأن العزيز مأخوذ من العزة، كما سبق.

❦ وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾. وهذا في جواب المنافقين لما قالوا: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ﴾ قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، إذن فليسوا هم أعز من رسول الله ﷺ والمؤمنين، بل هم أذل، فكان في الآية تسلية لما قالوا؛ أي: أنه يخرج الأعز الأذل، لكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وفي تقديم الخبر في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾. دليل على أن العزة المطلقة لا تكون إلا لله وحده، وأما العزة التي قد تشاب بدل فهذه تكون للمخلوق، حتى للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِتَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ﴿الْقُلُوبُ: ٢٣﴾. فأذلة جمع ذليل.

لكن في النهاية تكون العزة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، والمنافقون يتوعدون بهذا الوعد: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ﴾؛ كقول بعضهم: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ ﴿الْقُلُوبُ: ٢٧﴾. و«حتى» هنا ليست للغاية، وإنما هي للتعليل؛ لأن المعنى: لا تنفقوا لأجل أن ينفضوا، وليس المعنى: لا تنفقوا حتى ينفضوا، فإذا انفضوا فانفقوا، المعنى: لا تنفقوا من أجل أن ينفضوا قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُخْرِجُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

خزائن السموات ليست عندكم أيها المنافقون، فلو منعتم الإنفاق فعند الله ما ليس عندكم، فهو سبحانه عنده خزائن السموات والأرض، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْنَهُونَ﴾ ②.

وَالشَّاهِدُ لَتَرْجَمَهُ هَذَا الْبَابُ: قَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. وَأَتَى فِيهَا بِوَاوِ الْعَطْفِ وَهَذَا قَدْ يُشْكِلُ جَمْعُ الْعِزَّةِ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِالْوَاوِ، مَعَ أَنَّ عِزَّةَ الرَّسُولِ وَعِزَّةَ الْمُؤْمِنِينَ، تَابِعَةٌ لِعِزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ إِنَّ عِزَّةَ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ لَيْسَتْ الْعِزَّةُ الْمُطْلَقَةُ الثَّابِتَةُ لِلَّهِ، فَمَا هُوَ الْجَوَابُ؟ الْجَوَابُ أَنَّ نَقُولَ: الْعِزَّةُ بِالذِّينِ مِنْ عِزَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ لَا يُعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يُعِزُّ النَّبِيَّ إِلَّا لِإِعْزَازِ دِينِهِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿إِنْ تَصَرُّوا أَنَّهُ بَصُرْتُكُمْ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٧]، هَذَا وَجْهُ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ جُمْلَةَ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ جُمْلَةٌ مُسْتَقْلَةٌ تَمَّتْ، وَقَوْلُهُ ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾. وَهُوَ عَطْفُ جُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَلِرَسُولِهِ الْعِزَّةُ أَوْ لِرَسُولِهِ عِزَّةٌ، فَهَذَا مُمْكِنٌ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْأُولَى تَمَّتْ، لَكِنْ لَوْ كَانَ لَفْظُ الْآيَةِ (وَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ الْعِزَّةُ)، لَكَانَ هَذَا جَمْعًا بَيْنَ الْعِزَّةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، لَكِنْ لَمَّا جَاءَتْ الْجُمْلَةُ الْأُولَى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ مُسْتَقْلَةً وَجَاءَتْ هَذِهِ تَابِعَةً زَالَ الْإِشْكَالُ، فَلَمْ يُفَرِّقْ سَبْحَانَهُ بَيْنَ عِزَّةِ اللَّهِ وَعِزَّةِ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْوَاوِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّسْوِيَةِ. قَوْلُهُ: «وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ»؛ يَعْنِي: «وَبَابُ مَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ»؛ يَعْنِي: هَلْ نَحْلِفُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَبِصِفَاتِهِ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ، بِدَلِيلِ مَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَنَحْلِفُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَنَقُولُ: وَعِزَّةُ اللَّهِ لِأَعْلَيْنَ عَدُوِّي، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وقوله: «وَصِفَاتِهِ»؛ أَي: وَبَقِيَّةِ الصِّفَاتِ، فَأَيُّ صِفَةٍ مِنَ صِفَاتِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَحْلِفَ بِهَا، فَتَقُولَ: وَتُذَرِّةَ اللَّهِ لِأَحْمَلَنَّ هَذَا الْحَجَرَ، أَوْ تَقُولَ: وَسُلْطَانَ اللَّهِ لِأَسْتَحْوِذَنَّ عَلَى أَهْلِ بَيْتِي. فَالْحَلْفُ بِصِفَاتِ اللَّهِ جَائِزٌ.

وَكَذَلِكَ الْحَلْفُ بِالْقُرْآنِ جَائِزٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ صِفَةٌ مِنَ صِفَاتِ اللَّهِ. وَأَمَّا الْحَلْفُ بِالْمُصْحَفِ فَفِيهِ تَفْصِيلٌ: إِنْ أَرَادَ الْمُصْحَفَ الَّذِي هُوَ الْأَوْرَاقُ وَالْجِلْدُ وَالْمِدَادُ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ هَذَا مَخْلُوقٌ، وَإِنْ أَرَادَ بِالْمُصْحَفِ الْقُرْآنَ فَهَذَا جَائِزٌ. الْحَلْفُ بِآيَاتِ اللَّهِ فِيهِ تَفْصِيلٌ: فَإِنْ أَرَادَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةَ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ الْكُونِيَّةَ مَخْلُوقَةٌ، وَإِنْ أَرَادَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةَ؛ أَي: الْوَحْيِ، فَهَذَا جَائِزٌ. وَالَّذِينَ يَخْلِفُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ الْآنَ مِنَ عَامَّةِ النَّاسِ، الظَّاهِرُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهَا الْآيَاتِ الشَّرْعِيَّةَ، فَلَوْ سَأَلْتُ أَيَّ عَامِّي: هَلْ أَنْتَ تُرِيدُ بِقَوْلِكَ: وَآيَاتِ اللَّهِ. أَنْ تَحْلِفَ بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مِثْلًا؟ لَقَالَ: لَا، بَلْ أَنَا أُرِيدُ الْقُرْآنَ، فَيَكُونُ بِذَلِكَ حَالِفًا بِصِفَةٍ مِنَ صِفَاتِ اللَّهِ.

قَالَ: وَقَالَ أَنَسُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَقُولُ جَهَنَّمَ قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ»^(١). قَوْلُهُ: «قَطُّ». بِمَعْنَى حَسْبُ، وَفِيهَا لُغَاتٌ، «قَطُّ قَطُّ»: وَتَكُونُ فِيهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى السُّكُونِ.

(١) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، وأسنده في الأيمان والنذور، حديث رقم (٦٦٦١).

«قَطُّ قَطُّ»: وتكون فيها مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكَسْرِ مَثَوْنَةٌ^(١).

❖ وقوله ﷺ: «تَقُولُ جَهَنَّمُ: قَطُّ قَطُّ». إِذَا وَضَعَ الرَّبُّ ﷻ عَلَيْهَا قَدَمَهُ، أَنْزَلَهَا إِلَى بَعْضِ لَأَنِّهَا لَا تَزَالُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. حَتَّى يَضَعَ الرَّبُّ ﷻ عَلَيْهَا قَدَمَهُ، وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، لَكِنَّ هَذَا اللَّفْظَ الَّذِي عَلَّقَهُ الْمُؤَلِّفُ: «قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ» وَهُوَ قَسَمٌ، فَقَدْ أَقْسَمَتِ النَّارُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَحَكَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهَا مُقَرَّرًا لَهُ.

وقال أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَنْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا»^(٢).

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «لَا وَعِزَّتِكَ». فَأَقْسَمَ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَحَكَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مُقَرَّرًا لَهُ.

❖ وقوله: «لَا وَعِزَّتِكَ»: «لَا» هُنَا، لَيْسَتْ لِلنَّفْسِ؛ لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ لِلنَّفْسِ لَكَانَ نَفْيُ الْيَمِينِ، فَهِيَ هُنَا لِلتَّكْثِيرِ وَالتَّنْبِيهِ، وَنُظِيرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ»^[الْبَلَدِ: ١]، وَ: «لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ»^[الْقِيَمَةِ: ١]، وَ: «فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ»^[الْقِيَمَةِ: ٣٨]. فَ«لَا» هُنَا لَيْسَتْ نَافِيَةً، وَلَكِنهَا لِلتَّنْبِيهِ وَالتَّكْثِيرِ.

❖ قوله: قال أَبُو سَعِيدٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ»^(٣).

«وَقَالَ أَيُّوبُ: وَعِزَّتِكَ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ».

الشَّاهِدُ: قَوْلُهُ: «وَعِزَّتِكَ». فَأَقْسَمَ أَيُّوبُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى جَوَازِ الْقَسَمِ بِأَيِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ.

وَلَكِنْ يَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ الصِّفَةُ الَّتِي تُقْسِمُ بِهَا مُنَاسِبَةً لِلْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُقْسِمَ عَلَى عَلَيْهِ فَيُنَاسِبُ ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ: وَعِزَّتِكَ. وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ يُعْرِفُ رَبَّهُ ﷻ، وَيَعْرِفُ قُدْرَهُ، لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُخْبِرَ اللَّهَ ﷻ بِأَنَّهُ سَوْفَ يُغْوِي الْعِبَادَ، وَإِعْوَاءَ الْعِبَادِ يَخْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ إِلَى سُلْطَةٍ، قَالَ: «فِعِزَّتِكَ لَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»^[الْبَقَرَةِ: ٨٢]. فَأَقْسَمَ الشَّيْطَانُ بِعِزَّةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهَا تَنَاسِبُ الْمَقَامَ، وَالتَّنَاسُبُ بَيْنَ الْمُقْسَمِ بِهِ وَالمُقْسَمِ عَلَيْهِ هُوَ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ، وَلِهَذَا لَا تَجِدُ قَسَمًا فِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَبَيْنَ الْقَسَمِ وَالمُقْسَمِ عَلَيْهِ مُنَاسِبَةً، لَكِنَّهَا قَدْ تَكُونُ بَعِيدَةً، وَقَدْ تَكُونُ قَرِيبَةً مَعْرُوفَةً لِكُلِّ أَحَدٍ.

قال الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/ ٣٦٩):

❖ قَوْلُهُ: «وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ». كَذَا لِلْأَكْثَرِ، وَفِي رِوَايَةِ الْمُسْتَمْلِيِّ: «وَسُلْطَانِهِ» بِدَلِّ «وَصِفَاتِهِ»، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّوَدُّرِ بَابُ الْحَلْفِ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَصِفَاتِهِ، وَكَلَامِهِ. وَتَقَدَّمَ تَوْجِيهُهُ هُنَاكَ.

قال ابْنُ بَطَّالٍ: الْعَزِيزُ يَتَّصَمُنُ الْعِزَّةَ، وَالْعِزَّةُ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ صِفَةً ذَاتِ بِمعْنَى الْقُدْرَةِ وَالْعِظَمَةِ، وَأَنْ تَكُونَ

(١) انظر «الفتح» (٨/ ٥٩٥).

(٢) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، وأسنده المؤلف في «الرفاق»، باب: الصراط جسر جهنم، حديث رقم (٦٥٧٣، ٦٥٧٤).

وانظر: «تغليق التعليق» (٥/ ١٩٩).

(٣) المصدر السابق.

صِفَةً فَعِلَ بِمَعْنَى فَهَرِهَ لِمَخْلُوقَاتِهِ، وَالغَلَبَةُ لَهُمْ، وَلِذَلِكَ صَحَّحْتُ إِضَافَةَ اسْمِهِ إِلَيْهَا.

قَالَ: وَيُظْهِرُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْحَالِفِ بِعِزَّةِ اللَّهِ، الَّتِي هِيَ صِفَةُ ذَاتِهِ، وَالْحَالِفِ بِعِزَّةِ اللَّهِ، الَّتِي هِيَ صِفَةُ، فِعْلِهِ بِأَنَّهُ يَخْتَضُّ فِي الْأَوَّلَى دُونَ الثَّانِيَةِ، بَلْ هُوَ مَنَّهُيٌّ عَنِ الْحَلِفِ بِهَا، كَمَا نُهَى عَنِ الْحَلِفِ بِحَقِّ السَّمَاءِ وَحَقِّ زَيْدٍ.

قُلْتُ: وَإِذَا أَطْلَقَ الْحَالِفُ انْصَرَفَ إِلَى صِفَةِ الذَّاتِ، وَانْعَقَدَتِ الْيَمِينُ إِلَّا إِنْ قَصَدَ خِلَافَ ذَلِكَ بِدَلِيلِ أَحَادِيثِ الْبَابِ. اهـ

وَلَوْ قِيلَ: إِنَّ أَحَادِيثَ الْبَابِ تَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ، وَلَا تُحْمَلُ عَلَى وَجْهِ وَاحِدٍ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا فَرْقَ فِيمَا يَظْهَرُ بَيْنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَةِ وَالْفِعْلِيَّةِ، فَلَوْ قُلْتُ: وَاسْتَوَاءُ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ، لِأَعْلُونَ عَلَى فُلَانٍ، فَهُوَ جَائِزٌ؛ لِأَنَّ الْإِسْتَوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ.

وَالْمُهِمُّ: هُوَ أَنْ تَأْتِيَ بِصِفَةٍ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ، وَالصِّفَةُ الْفِعْلِيَّةُ مُشْتَرَكَةٌ، وَلِذَا فَإِنَّا قَدْ نَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَنْعَقِدُ بِهَا الْيَمِينُ؛ لِأَنَّهَا مُشْتَرَكَةٌ، مِثْلَ النُّزُولِ فَهُوَ مُشْتَرَكٌ لَكِنْ لَوْ قُلْتُ: وَنُزُولِ اللَّهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. لَمْ تَكُنْ مُشْتَرَكَةً؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلْمَخْلُوقِ، كَمَا قَالُوا أَيْضًا فِي الْأَسْمَاءِ: الْأِسْمُ الْخَاصُّ بِاللَّهِ تَنْعَقِدُ بِهِ الْيَمِينُ، وَالْمُشْتَرَكُ لَا تَنْعَقِدُ بِهِ الْيَمِينُ إِلَّا بِنِيَّةٍ.

وَلَوْ أَقْسَمَ بِصِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ فَهَذَا جَائِزٌ، إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ الْخَبَرِيَّةُ تُطْلَقُ عَلَى الذَّاتِ؛ مِثْلَ وَجْهِ اللَّهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُطْلَقُ عَلَى الذَّاتِ مِثْلَ يَدِ اللَّهِ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ، فَلَا يَقُولُ وَيَدُ اللَّهِ لَا فَعَلَنَ. أَوْ وَقَدَّمَ اللَّهُ لَا فَعَلَنَ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ظَاهِرٌ أَنَّهُ إِذَا قَصِدَ بِالْوَجْهِ الذَّاتُ فَهُوَ قَسَمٌ بِاللَّهِ نَفْسِهِ، بِخِلَافِ الْيَدِ وَالْعَيْنِ وَالْقَدَمِ وَالسَّاقِ فَلَا تُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٣- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْمُعَلِّمِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَرِيدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّتِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّتِي لَا يَمُوتُ وَالْحَيُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ»^(١).

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ». فَأَثْبَتَ اللَّهُ الْعِزَّةَ، وَقَدْ سَبَقَ مَعْنَى الْعِزَّةِ. وَقَوْلُهُ ﷺ: (أَعُوذُ)، أَي: أَعْتَصِمُ، وَهَذَا قَالَ: أَعُوذُ. وَهَذَا قَالَ: أَلُوذُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ اللَّيَازَ يَكُونُ فِي طَلَبِ الْمَحْبُوبِ، وَالْعِيَاذَ يَكُونُ فِي الْإِلْتِجَاءِ مِنَ الْمَرْهُوبِ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ، وَهُوَ قَوْلٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ.

يَا مَنْ أَلُوذِي بِهِ فِيمَا أُوْمَلُّهُ وَمَنْ أَعُوذِي بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ^(١)

الشَّاهِدُ: قَوْلُهُ:

«يَا مَنْ أَلُوذِي بِهِ فِيمَا أُوْمَلُّهُ وَمَنْ أَعُوذِي بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ»

وهذا يَقُولُهُ فِي مَدْوَحٍ لَهُ، لَكِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ هَذَا.

وَإِذَا قِيلَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِسْتِعَاذَةِ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، وَبَيْنَ الدُّعَاءِ بِنَفْسِ الصِّفَةِ؟

فَالْجَوَابُ: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الَّذِي يَسْتَعِيدُ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ جَعَلَ هَذِهِ الصِّفَةَ وَسِيلَةً، وَالْمَقْصُودُ الْإِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ نَفْسِهِ.

وَأَمَّا مَنْ دَعَا يَقُولُ: يَا عِزَّةَ اللَّهِ، أَعِزَّنِي. أَوْ: يَا مَغْفِرَةَ اللَّهِ، اغْفِرْ لِي. وَيُوجِّهُ الدُّعَاءُ لَهَا وَحْدَهَا فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ. وَهَذَا بِخِلَافِ الدُّعَاءِ بِمِثْلِ: أَسْأَلُكَ بِمَغْفِرَتِكَ، أَنْ تَغْفِرَ لِي.

وَمِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»، وَقَوْلُهُ ﷺ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»^(٢) فَهَذَا الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ أَنَّهُ لِكَوْنِكَ رَاحِمًا، أَسْتَغِيثُ بِكَ، فَجَعَلَ الرَّحْمَةَ وَسِيلَةً، وَهَذَا لَا يُشْعِرُ بِأَنَّ الرَّحْمَةَ شَيْءٌ مُسْتَقِلٌّ عَنِ اللَّهِ يُسْتَعَاثُ بِهِ.

❖ وَأَمَّا لَوْ قَالَ: «يَا رَحْمَةَ اللَّهِ، أَغِيثْنِي». فَإِنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّكَ الْآنَ جَعَلْتَ الرَّحْمَةَ مُسْتَقِلَّةً تُدْعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ دُعَاءَ الصِّفَةِ كُفْرٌ بِالْإِتِّفَاقِ؛ لِأَنَّهُ يَنْتَظِمُنُ أَنَّكَ جَعَلْتَ الصِّفَةَ شَيْئًا مُسْتَقِلًّا قَائِمًا بِنَفْسِهِ، وَهَذَا هُوَ الشُّرْكُ^(٣).

❖ وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَالْحِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ». قَدْ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَمُوتُونَ، وَلَكِنْ هَذَا لَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ، فَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ وَعَمْرٌو قَائِمَانِ. فَإِنَّكَ لَا تَنْفِي أَنَّ ذَلِكَ لَا يَأْتِي عَلَى غَيْرِهِمْ، فَهَذَا مِنْ مَفْهُومِ اللَّقَبِ، وَهُوَ مَا عَلَّقَ فِيهِ الْحُكْمُ عَلَى الْعَيْنِ فَقَطْ، فَإِذَا قُلْتَ: مُحَمَّدٌ قَائِمٌ. فَلَيْسَ مَفْهُومُهُ أَنَّ غَيْرَهُ غَيْرُ قَائِمٍ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٤- حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُلْقَى فِي النَّارِ». ح. وَقَالَ لِي حَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ

(١) البَيَانُ لِلْمُتَنَبِّئِي، وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي: خُلَاصَةُ الْأَثَرِ (٣/ ٣٣)، وَ«الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (١١/ ٢٥٨)، وَمَحَاضِرَاتُ الْأَدْبَاءِ (٢/ ١٦٣).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٨٦).

(٣) انْظُرْ: الرَّدُّ عَلَى الْبَكْرِيِّ (١/ ١٨١).

ح. وعن مُعْتَمِرِ سَمْعَتُ أَبِي، عن قتادة، عن أنسٍ عن النبي ﷺ قال: «لا يزال يُلقَى فيها، وتقول: هل من مزيد؟ حتى يَصْعَ فيها ربُّ العالمين قدمه، فيَنزوي بعضها إلى بعض، ثم تقول: قد قد، بعزتك وكرمك. ولا تزال الجنة تَفْضَلُ حتى يُنْشَى اللهُ لها خلقاً فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ^(١)»
 قوله في السند: «عن قتادة» ومن المعروف أنَّ قتادة من المُدَلِّسِينَ، وكيف يكون من المُدَلِّسِينَ وهو في البخاري ومسلم؟

الجواب: أنَّه مَحْمُولٌ على السماع لكثرة مُلازمة قتادة لأنسٍ فيَعُدُّ جدًّا أن يُرْسِلَ عنه، هذا هو السبب^(٢)، وعلى هذا فالقول بإطلاق رَدِّ عَنْتَةِ المُدَلِّسِ ليس بوجيه، بل يقال: إن عَنْتَةَ المُدَلِّسِ يُنْظَرُ فيها إلى القرائن التي تَحْتَفُّ بها، والتي قد تُوجِبُ أن تكون عَنْتَتُهُ محمولةً على الاتصال، ولهذا قَبِلَ العلماء عَنْتَةَ قَتَادَةَ في «الصحيحين»، وقالوا: إنَّ السندَ فيها مُتَّصِلٌ^(٣).

قوله: «لا يزال يُلقَى فيها»؛ أي: في جَهَنَّمَ وقوله تقول: «هل من مزيد». قوله: «هل» استفهام، وقوله: «من مزيد». مُبْتَدَأٌ، و«من» زائدة لفظاً زائدة معنًى. وهذا الاستفهام، هل هو للطلب أو للنفى؟

الجواب: في هذا قولان للعلماء:

منهم من قال: إنه للنفى، وأنَّ المعنى لا مزيد على ما عندي؛ يعني: أنها قد امتلأت. ومنهم من قال: إنه للطلب؛ يعني هاتِ وزِدْ، وهذا القول الثاني هو المُتَعَيِّنُ؛ لأنَّ الحديث يدلُّ عليه؛ فإنَّ قوله: حَتَّى يَصْعَ فيها ربُّ العالمين قدمه، فيَنزوي بعضها إلى بعض... إلى آخره. يدلُّ على أنَّها تَطْلُبُ المزيد؛ لأنَّ الله تعالى قد وَعَدَهَا، وهو أَصْدَقُ الواعدين وأَوْفَاهُمْ، وَعَدَهَا بأنَّ يَمْلَأَهَا، فإذا سئِلَتْ: هل امتلأت؟ قالت: هل من مزيد؟ يعني: أعطوني وزيدوا عليَّ، فيَصْعُ فيها ربُّ العالمين قدمه، فيَنزوي بعضها إلى بعض، ثُمَّ تَقُولُ:

قد قد. وفي رواية: قَطُّ قَطُّ^(٤). وهما لغتان معروفتان في هذه الكلمة، وَمَعْنَاهَا حَسْبُ؛ أي: يكفي.

وقوله: «بعزتك وكرمك». تَوَسَّلُ إلى الله بعزته وكرمه، أن لا يَصْعَ عليها قدمه أَكْثَرَ مما وَصَّعَ؛ لأنَّه يَنزوي بَعْضُهَا إلى بَعْضٍ، وتَنْضَمُّ وتَضَيِّقُ، فَوْضِعُ رَبِّ الْعِزَّةِ عليها قدمه ليس بالأمر الهين. تَوَسَّلَتِ النَّارُ بِالْعِزَّةِ التي هي القهر، وبالكَرَمِ الذي هو الفضل أن لا يَصْعَ قدمه سبحانه عليها.

(١) رواه مسلم (٢٨٤٨).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٥٤٦/١١): لكن شعبة ما كان يأخذ من شيوخه الذين ذكر عنهم التدليس إلا ما صرحوا فيه

بالتحديث أ.هـ.

وقال أيضاً (٣٨/٤): شعبة لا يروي عن شيوخه المدلسين إلا ما هو مسموع لهم. أ.هـ.

(٣) ينظر: «تدريب الراوي» (١/٢٣٠).

(٤) تقدم تخريجه.

وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُ النَّارِ: «بِعِزَّتِكَ». وَحَدَّثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مُقَرَّرًا لَهُ.

وَفِيهِ أَيْضًا: شَاهِدٌ آخَرُ لَصِفَةِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْخَيْرِيَّةِ، وَهِيَ: الْقَدَمُ، وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ: «رِجْلُهُ»^(١) وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَعِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِنَاءٌ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْمَشْهُورَةِ تُحْمَلُ الرَّجُلُ وَالْقَدَمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بِمَا يَلِيقُ بِاللَّهِ ﷻ كَالْيَدِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّهُ يَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ مِنْ شِدَّةِ مَا وُضِعَ عَلَيْهَا وَعَظَمَتِهِ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَلَكِنْ هَلْ هَذِهِ الرَّجُلُ تُمَائِلُ أَرْجُلِ الْمَخْلُوقِينَ؟

الْجَوَابُ: لَا تُمَائِلُهَا، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي تُعْتَبَرُ قَاعِدَةً فِي كُلِّ صِفَةٍ، وَهِيَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢). وَالْعَقْلُ يَذُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّهُ لَا تُمَائِلُ؛ إِذْ لَا تُمَائِلَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ لَا مِثْلَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، فَلَا مِثْلَ لَهُ فِي صِفَاتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: الْكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ، فَكَمَا أَنَّ الذَّاتَ لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ، فَالْصِّفَاتُ كَذَلِكَ لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ.

وَلَوْ سُئِلْنَا: هَلْ لِهَذِهِ الْيَدِ أَصَابِعُ؟ فَالْجَوَابُ أَنْ نَقُولَ لِلسَّائِلِ: أَنْتَ مُبْتَدِعٌ. فَعَلَيْكَ أَخِي الْمُسْلِمَ أَنْ تَضُمَّ إِحْدَى الشَّعَتَيْنِ إِلَى الْأُخْرَى، وَلَا تَسْأَلْ؛ لِأَنَّ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْكَ وَأَعْلَمُ مِنْكَ وَأَخْشَى مِنْكَ وَأَتَقَى مِنْكَ وَأَحَبُّ مِنْكَ لِلْعِلْمِ وَأَشَدُّ تَعْظِيمًا لِلَّهِ كَمْ يَسْأَلُوا رَسُولَهُمْ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِيهِ الْوَحْيُ: هَلْ لِرِجْلِهِ أَصَابِعُ أَوْ لَا؟

وَأَنْتَ لِمَ سَأَلْتَ عَنْ ذَلِكَ: أَحَبُّا لِلَّهِ، أَوْ أَحَبُّا لِمَعْرِفَةِ صِفَاتِ اللَّهِ، أَوْ أَطَمَعًا فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، أَمْ مَاذَا؟

إِنْ قُلْتَ: نَعَمْ. قُلْنَا: لَسْتَ أَوَّلَى بِهَذَا مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ، وَإِنْ قُلْتَ: نَعْتًا وَتَعَمَّقًا وَتَنْطَعًا. قُلْنَا: هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ^(٣). فَاسْكُتْ عَنْ هَذَا. وَلَيْسَعُكَ مَا وَسِعَ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

وَبِهَذَا نَسْتَرِيحُ مِنْ إِبْرَادَاتٍ كَثِيرَةٍ يُورِدُهَا الشَّيْطَانُ عَلَى قُلُوبِنَا، أَوْ يُورِدُهَا بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَأَيُّ كَيْفِيَّةٍ، وَأَيُّ صِفَةٍ، وَأَيُّ شَيْءٍ تَسْأَلُ عَنْهُ، وَهُوَ لَمْ يَرِدْ فِي الْكِتَابِ، وَلَا فِي السُّنَّةِ، وَلَا فِي كَلَامِ الصَّحَابَةِ فَأَعْرِضْ عَنْهُ وَجُوبًا، وَلَا تُورِذْهُ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُورِذْهُ عَلَى غَيْرِكَ حَتَّى تَسْلُكَ سَبِيلَ السَّلَفِ، وَحَتَّى تَسْتَرِيحَ وَتَسْلَمَ، وَلِذَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمِنْ قَبْلِهِ شَيْخُهُ رَبِيعَةُ، قَالَا: السُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعَةٌ^(٤).

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) هذا لفظ حديث رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) أما أثر ربيعة فقد أخرجه اللالكائي في «السنن» (٩٢/١)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» ص ٨٠: رواه الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات، وانظر «تعليق العلامة الألباني على مختصر العلو» (ص ١٣٢) وكذلك انظر «أثر مالك في مختصر العلو» (ص ١٤١) وهو عند الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٣٣)، واللالكائي (١/٩٢).

أما أثر مالك فقد رواه اللالكائي في شرح السنن (٩٢/١) (٦٦٤)، والبيهقي في الأساء والصفات (٨٦٧)، وقال الحافظ في

يَعْنِي: إِنَّهُ عَنْ هَذَا.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الَّذِي صَرَّ أَهْلُ الْكَلَامِ هُوَ هَذَا التَّنَطُّعُ، وَهَذَا التَّعَمُّقُ.

وَالْأَفْهَمُ لَوْ أَخَذُوا الدِّينَ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَعَلَى طَلَاوِثِهِ وَحَلَاوِثِهِ وَسُهُولَاتِهِ وَيُسْرِهِ مَا تَوَلَّدَتْ عَنْدهُمْ هَذِهِ الاسْتِفْهَامَاتُ، وَهَذِهِ التَّقْدِيرَاتُ.

إِذَا: أَيُّ وَاحِدٍ يَسْأَلُنَا: هَلْ لِلْقَدَمِ أَصَابِعُ؟ نَقُولُ: هَذَا بِذَعَةٍ، وَكُفَّ لِسَانَكَ عَنْهُ، فَمَا سَأَلَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِهَذَا مِنَ الدِّينِ لَمْ يُهْمَلْهُ اللَّهُ ﷻ، وَلَوْ كَانَ هَذَا مِنَ الدِّينِ لَبَيَّنَهُ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ أَوْ فِي سُنَنِ رَسُولِهِ ﷺ أَيْتِدَاءً، أَوْ جَوَابًا عَلَى سُؤَالٍ، أَوْ إِقْرَارًا مِنْ قَائِلٍ.

وَلِهَذَا فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَتَكَلَّمِ الرَّسُولُ ﷺ بِإِلَّاهِ ﷻ بَشِيءَ قَدَرِ اللَّهِ، أَوْ يَسَّرَ أَعْرَابِيًّا يَأْتِي مِنَ الْبَادِيَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْأَلَ الرَّسُولَ ﷺ عَنْ هَذَا الشَّيْءِ، وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَقْرَحُونَ إِذَا أَتَى أَعْرَابِيٌّ مِنَ الْبَادِيَةِ لِيَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ^(١).

إِذَا: فَمَا بَالُنَا نَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ، أَلَا يَسْعَانَا مَا وَسِعَ الْأَوَّلِينَ؟ وَهُمْ وَاللَّهُ أَفْقَهُ مِنَّا بِاللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَّا بِاللَّهِ، وَأَشَدُّ مِنَّا أَدْبًا مَعَ اللَّهِ، وَأَنْتَ إِذَا سَأَلْتَ: هَلْ لِلَّهِ أَصَابِعُ فِي الرَّجُلِ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُكَ؟

وَلَوْ أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا رَأَيْتَهُ يُغْطِي قَدَمَهُ، فَهَلْ يَلِيْقُ بِكَ أَنْ تَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقُولَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ، هَلْ لَكَ أَصَابِعُ بِالرَّجُلِ؟ لَا شَكَّ أَنَّكَ لَنْ تَسْأَلَ هَذَا السُّؤَالَ؛ لِأَنَّكَ تَرَى أَنَّ هَذَا خِلَافُ الْأَدَبِ، فَكَيْفَ مَعَ اللَّهِ لَا تَتَأَدَّبُ؟!

فَلِهَذَا فَانَا أَنْصَحُ نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ أَلَّا تُقَدِّرُوا شَيْئًا وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ مَا تَتَصَوَّرُونَ، وَفَوْقَ مَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٢) [١١٠: ٤١]. فَلِمَاذَا تُقَدِّرُ؟!

وَأَنَا أَتَعَجَّبُ أَنْ يُورِدَ عَلَيَّ شَابٌّ أَوْ طَالِبٌ عِلْمٍ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ مِثْلًا: كَيْفَ يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فِي كُلِّ الدُّنْيَا؟ فَهَلْ هَذَا أَدَبٌ؟ وَهَلْ تُرِيدُ أَنْ تُكَذِّبَ الرَّسُولَ؟ وَهَلْ تُرِيدُ أَنْ تُنْفِي عَنِ اللَّهِ هَذِهِ الصِّفَةَ؟ وَهَلْ تُرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ هَذِهِ الصِّفَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَاللَّهُ حَدَّدَهَا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ؟

فَكُلُّ هَذَا لَا يَرِدُ، وَلَا يُورِدُهُ إِلَّا إِنْسَانٌ جَاهِلٌ أَوْ ضَعِيفٌ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ أُمُورٌ لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهَا تَدْخُلُ إِطْلَاقًا، وَلَمْ يَصُرِّ الْمُتَكَلِّمِينَ هَذَا الضَّرَرُ الْعَظِيمُ حَتَّى نَقُوا صِفَاتِ اللَّهِ أَوْ أَكْثَرَهَا إِلَّا هَذِهِ التَّقْدِيرَاتُ، قَالُوا: هَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَهَذَا لَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ: وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ قَدَمٌ، فَمُسَمَّاهُ بَعْضُ

==

«الفتح» (٤٠٧/١٣) إسناده جيد ورواه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٥١/٧)، والذهبي

في «مختصر العلو» (ص ١٤١)، وقال رحمه الله: هذا ثابت عن مالك وربيعة هو ابن عبد الرحمن قُروخ، الإمام، مفتي المدينة، وعالم الوقت، أبو عثمان، كان يقال له: ربيعة الرأي توفي سنة ست وثلاثين ومائة بالمدينة وانظر: «السير» (٨٩/٦-٩٦).

(١) رواه مسلم (١٢).

لأَجْسَامِنَا؛ يَعْنِي: مُسَمَّى الْقَدَمِ عِنْدَنَا بَعْضُ الْجِسْمِ.
نَقُولُ فِي الْجَوَابِ عَلَى هَؤُلَاءِ: مُسَمَّى الْقَدَمِ عِنْدَ اللَّهِ كَيْفَ نَقُولُ: إِنَّهُ بَعْضُ اللَّهِ؟! نَتَأَدَّبُ مَعَ اللَّهِ ﷻ
وَنَقُولُ: قَدَمُهُ حَقِيقَةٌ، وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ الْخَبَرِيَّةِ، الَّتِي لَا مَدْخَلَ لِلْعَقْلِ فِيهَا، وَلَيْسَتْ مَعْنَوِيَّةٌ حَتَّى
يُدْرِكَهَا الْعَقْلُ إِجْمَالًا، فَهِيَ مُجَرَّدُ خَبَرٍ آمَنَّا بِهَا لِمُجَرَّدِ الْخَبَرِ.
وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ قَدَمٌ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، وَالْقَائِلُ بِأَنَّ لِلَّهِ قَدَمًا مُجَسِّمٌ كَافِرٌ، فَكُلُّ
مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لِلَّهِ جِسْمًا كَافِرٌ، وَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لِلَّهِ قَدَمًا حَقِيقَةً فَقَدْ جَسَّم، فَيَكُونُ كَافِرًا، وَلِذَلِكَ يُطْلَقُونَ
عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ الْمُشَبِّهَةَ، وَمَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

وَنَحْنُ نَقُولُ: هَذَا الرَّسُولُ ﷺ قَالَ: «حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزِي بِبَعْضِهَا إِلَى
بَعْضٍ». وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَيُخَاطَبُ أَفْصَحَ الْعَرَبِ فِي زَمَانِهِمْ وَبَعْدَ زَمَانِهِمْ، وَهُمْ
الصَّحَابَةُ الَّذِينَ عَلِمُوا اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ سُرْعًا وَوَضْعًا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُنْكَزْ أَحَدٌ مِنْهُمْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ، وَلَمْ
يُحَرِّفْهَا عَنْ مَعْنَاهَا، بَلْ قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَصَدَّقْنَا وَآمَنَّا.

لَكِنِ الْمُتَكَلِّمَةُ يُنْكَرُونَ هَذَا بِعُقُولِهِمُ الْفَاسِدَةِ، وَذَلِكَ لِبُعْدِهِمْ عَنْ حَقِيقَةِ الْإِسْتِسْلَامِ النَّامِ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ
حَقِيقَةَ الْإِسْتِسْلَامِ النَّامِ لِلَّهِ: تَصْدِيقُ الْخَبَرِ، وَإِنْ اسْتَبْعَدَ الْعَقْلُ، وَامْتَثَلَ الْأَمْرَ وَإِنْ جَهَلَ حِكْمَتَهُ
الْعَقْلُ، فَهَذَا هُوَ الْإِسْتِسْلَامُ الْحَقِيقِيُّ، يُقَالُ: قَدَمٌ، يَعْنِي مُقَدَّمَتَهُ مِنَ الْخَلْقِ؛ يَعْنِي: الَّذِينَ قَدَّمَهُمُ لِلنَّارِ.
وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا قَدَمَهُ»؛ يَعْنِي: حَتَّى يُضَيَّفَ إِلَيْهَا أَنْسَاءَ آخَرِينَ،
فَيَنْزِي بِبَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا شَكَّ هَذَا تَحْرِيفٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا ضَمَّ إِلَيْهَا آخَرُونَ لَمْ يَنْزَوْ بِبَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، بَلْ كَانَ النَّاسُ
يَتَرَاكُمُ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ. لَكِنَّ النَّارَ تَبْقَى عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

فَالظَّاهِرُ: أَنَّ الَّذِي يَنْزُو هُوَ النَّارُ، تَنْضَمُّ هِيَ بِنَفْسِهَا، ثُمَّ مَا الَّذِي جَعَلْنَا نُقَدِّرُ هَذَا التَّقْدِيرَ؟!
فَهَؤُلَاءِ إِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ يُحْتَجْ أَنْ يُقَالَ لِلنَّارِ: هَلْ امْتَلَأَتْ أَمْ لَا؟ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ
فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ مِنْ أَجْلِ مَلَأِ النَّارِ.

وَأَمَّا اللَّفْظُ الْآخَرُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «يَضَعُ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ»^(١). فَإِنَّهُمْ قَدْ قَالُوا
رِجْلُ اللَّهِ؟! هَذَا تَجْسِيدٌ وَكُفْرٌ. وَلِذَلِكَ قَالُوا: إِنْ مَعْنَى الرَّجُلِ: الطَّائِفَةُ، لِأَنَّهُ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ أُتُوبَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ رِجْلَ جَرَادٍ^(٢)؛ أَيْ: طَائِفَةً مِنَ الْجَرَادِ، وَالنَّاسُ إِذَا سُئِلُوا: هَلِ الْجَرَادُ كَثِيرٌ فِي
هَذَا الْمَكَانِ؟ قَالُوا: لَا وَاللَّهِ رِجْلٌ. يَعْنُونَ: طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ.

وَعَلَيْهِ فَإِنْ مَعْنَى «رِجْلَهُ»؛ أَيْ: طَائِفَتُهُ. وَسَبْحَانَ اللَّهِ، أَطَائِفَةُ تُضَافُ إِلَى النَّارِ فَيَنْزُو بِبَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ.

ثُمَّ مَنْ هِيَ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الَّتِي تَسْتَحِقُّ أَنْ تُضَافَ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةً خَاصَّةً؟ لِأَنَّ الْخَبِيثَ لَا يُضَافُ إِلَى

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٣٣٩١)، (٧٤٩٣) وانظر: «النهاية» لابن الأثير (ج ٢ د).

الله إضافة خاصة - وهذه مسألة مفيدة - فقد خلق الله العالمين كلهم، ويدخل فيهم كل شيء، الطيب والخبيث، لكن لا يليق أدباً أن أقول: إن الله خلق الكلب. إلا في مقابلة من ينبغي أن الله خلق الكلب، وأما أن تُضيف خلق الله إلى شيء خبيث، فهذا ممنوع، ولا يليق، وإن كان داخلاً في العموم؛ لأن هناك فرقاً بين العموم وبين الخصوص، حتى عند العامة لو قلت مثلاً للملك: أنت تأكل الطعام. يعني: أن كل ما أكل يدخل في هذا، لكن أن تقول له: أنت تأكل القرص المخترق. فهذا سوء أدب، ففرق بين التعمين والعموم، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالنسبة للخلق. إذاً: قوله ﷺ: «حتى يضع رب العالمين فيها قدمه» القدم هنا قدم حقيقة تليق بالله، ولا تتجاوز أيها المسلم ذلك، فلا تقل: ولها أصابع، أو ليس لها أصابع، أو ما أشبه ذلك، بل اقتصر على ما سمعت، ولا تتعرض لما لم يُنقل إلينا.

وأما بقية الحديث ففيه بيان أن الله ﷻ، كما ذكر عن نفسه في الحديث القدسي: «رَحِمْتُهُ سَبَقَتْ غَضَبُهُ»^(١). فإنه لما كان ينبغي في الجنة فضل عن من دخلها، والذي يدخلها من بني آدم واحد من ألف^(٢)، لكن هذا الواحد له ملك طويل عريض، فهو مسيرة ألفي عام، ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أذناه^(٣).

إلا أن هذه الجنة عرضها السموات والأرض، ومن يدرك عرض السموات والأرض إلا الله، فهي واسعة سعة عظيمة يدخلها أهلها ويبقى فيها فضل، وقد وعدّها الله ﷻ أن يملأها^(٤)، وهو أوفى من وعد، ومن أوفى بعهده من الله؟! فيبقى فيها فضل، يقول: حتى يُنشئ^(٥) الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة في ذلك الوقت يخلق الله أقواماً جُددًا ويدخلهم الجنة بلا عمل، بل بفضله ورحمته، وأهل النار في النار لا يخرج أحد ممن استحقّ الخلود في النار حتى يسكنه بقية الجنة، فالتأثر أغلقت على أهلها، والعياذ بالله، لكن يُنشئ الله للجنة أقواماً لأجل أن يملئوا هذا الفضل، ولا يقول للجنة: يُقربُ بعضك من بعض. حتى تمتلئ بمن فيها، وهذا مصداق قوله سبحانه: «إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»^(٦). ولو لا حلم الله ما بقي على ظهر البسيطة أحد.

(١) رواه البخاري (٣١٩٤) بلفظ «غلبت غضي»، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) انظر في ذلك: ما رواه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢).

(٣) روى أحمد رحمه الله في «مسند» (١٣/٢) (٤٦٢٣)، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة يُنظر في ملك ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أذناه...» الحديث. وقال الهيثمي في «المجمع» (٤٠١/١٠) رواه أبو

يعلى والطبراني، وفي أسانيدهم تواتر بن أبي فاختة، وهو مجمع على ضعفه.

(٤) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) هذا هو جواب الشرط لحرف الشرط «لما».

(٦) تقدم تخريجه.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٨- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣].

❖ قوله جلالاً: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣]. الباءُ للمُلابَسَةِ والغَايَةِ، يعني: أنه سبحانه هو الذي خلقها حقاً، فلم يخلقها أحدٌ سواه.

❖ وقوله سبحانه ﴿بِالْحَقِّ﴾، أي: الغاية منها الحقُّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعبَثٍ﴾ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿[الشعراء: ٢٨-٢٩].

وَخَلَقَ بِمَعْنَى أَوْجَدَ مِنْ عَدَمٍ، فَالسَّمَوَاتُ كَانَتْ عَدَمًا، وَالْأَرْضُ وَنَ (١) كَانَتْ عَدَمًا، فَخَلَقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، بَيَّنَ ذَلِكَ إِجْمَالًا، وَبَيَّنَّه تَفْصِيلًا، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ التَّعْلِيمِ، فَمِنْ تَعْلِيمِ اللَّهِ أَنَّهُ يَذْكُرُ الشَّيْءَ إِجْمَالًا؛ ثُمَّ يَذْكُرُهُ تَفْصِيلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا نُوحًا إِيَّاكَ، ثُمَّ قُضِيَ﴾ [الأنعام: ١١].

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِجْمَالَ يُوجِبُ قَرَارَ هَذَا الشَّيْءِ فِي النَّفْسِ، ثُمَّ تَشَوُّفَ النَّفْسِ إِلَى التَّفْصِيلِ، فَيَرُدُّ عَلَيْهَا التَّفْصِيلُ، وَهِيَ مُتَهَيِّئَةٌ لِقَبُولِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهَا.

وَهَذِهِ الْأَيَّامُ السَّتَّةُ قَدْ فَصَّلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ فَصَّلَتْ وَلِهَذَا سُمِّيَتْ فَصَّلَتْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) ﴿[الحاقة: ٩]. فَهُوَ سَبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ.

❖ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [الحاقة: ١٠]. فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ، فِي ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أَي: بِالْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ، يَعْنِي بِمَعْنَى الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ وَالْيَوْمَيْنِ اللَّذَيْنِ فِي الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سَوَاءٌ لِلْإِسْرَائِيلِيِّينَ﴾ يَعْنِي: أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ لَا تَزِيدُ، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾. وَلَمْ يَقُلْ: فِي وَسْطِهَا، أَوْ مِنْ تَحْتِهَا؛ لِأَنَّ هَذِهِ الرُّوَاسِيَ الَّتِي جُعِلَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ لَهَا مَصْلَحَةٌ عَظِيمَةٌ وَهِيَ أَنَّ ذَلِكَ أَضْبَطُ لِلتَّوَازُنِ، وَلَمَّا يَخْضَلُ مِنْ هَذِهِ الْجِبَالِ الْعَظِيمَةِ مِنْ كُھُوفِهَا وَمَغَارَاتِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَظِيمَةِ، وَالشَّعَابِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَمْلَأُ الْأَرْضَ؛ لِأَنَّ الرِّيَاضَ تَأْتِي مِنَ الْجِبَالِ؛ الْمُتَنَبِّسَةُ لَا تَأْتِي مِنْهَا الْأَوْدِيَّةُ.

وَلِذَلِكَ تَجَدُّ الْأَوْدِيَّةُ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي فِيهَا الْجِبَالُ الشَّامِخَةُ أَقْوَى ائْتِدَاعًا وَأَعْظَمَ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا هَذِهِ الْجِبَالُ الْعَظِيمَةُ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ تَصُدُّ الرِّيَّاحَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي تَأْتِي مِنْ هُنَا وَهُنَا، فَفِيهَا مَصَالِحٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُ الْجُغَرَفِيَّةِ.

حَيْثُ قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا﴾. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا الْبَرَكَهَ، وَلِهَذَا هِيَ تَحْمِلُ بَنِي آدَمَ، وَأَنْعَامَ بَنِي آدَمَ، وَأَرْزَاقَ بَنِي آدَمَ، عَلَى كَثَرَةٍ مَنْ يُؤَلَّدُ وَيَمُوتُ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، فَهِيَ

(١) يفتح الراء، ويموز تسكينها في ضرورة الشعر، وانظر: شرح قطر الندى (ص ٤٤).

مباركة.

حيث قال سبحانه: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾؛ أي: جعل في كل إقليم قوته الذي يحتاج إليه، وجعل هذه الأقوات توجد في إقليم دون إقليم وفي بلد دون بلد، ليتبادل الناس التجارة، فيما بينهم، فينتقل هؤلاء إلى هؤلاء، وهؤلاء إلى هؤلاء، ولهذا قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾. وقبلها قال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾. لأن الأقوات مقدرة بحسب الحاجة، وبحسب المصلحة التي تقوم بين بني آدم؟

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [فصل: ١١]. بعد أن خلق الأرض وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام استوى إلى السماء، ﴿وَهُوَ دُخَانٌ﴾؛ أي: كالدخان.

قال بعض العلماء: إن هذا بخار الماء؛ لأن الأرض والسماء كانت ماء، لما قال تعالى: ﴿وَكُنَّ عَرِشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [فصل: ٧].

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصل: ١١] ففَضَّهْنِ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴿[فصل: ١١-١٢]. انظر الحكمة العظيمة، السموات ما فصل فيها كما فصل في الأرض، ولا مدد خلقها كما مدد خلق الأرض، مع أنها أعظم من الأرض بأضعاف مضاعفة، لكن ليتبين للناس عناية الله ﷻ بمصالحهم، ثم ليتبين لك أن كون الله خلق الأرض في أربعة أيام، والسموات في يومين ليس عجزاً منه أن يخلق الأرض في لحظة، ولذلك خلق السموات وهي أعظم منها في يومين وهي نصف مدة الأرض، فإذا تنديد الله خلق الأرض إلى أربعة أيام ليس لعجز أو ضعف، لكن لحكمة، بدليل أنه خلق السماء وهي أعظم منها بمدة أقصر من خلق الأرض، ومن ذلك أنه قال لها وللأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾. هذا يَحْتَمِلُ أنه للتهديد أو للتخيير، لينظر ﷻ كيف انقياد السموات والأرض إليه، فماذا قالتا؟ ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. وهنا قال: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ مع أن السماء والأرض جهاد، والجماذ لا يجمع جمع مُذَكَّرٍ سَالِمٍ؛ لأن من شروط جمع المُذَكَّرِ السالم أن يكون اسماً أو صفةً لمُذَكَّرٍ عَاقِلٍ، فكيف قال: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾؟

قال بعض المفسرين قولاً عجيباً، قال: قالتا: أتينا بمن فينا من الإنس والجن والملائكة طائعين، فغلب العاقل على غير العاقل، والصواب خلاف ذلك؛ لأن الناس لم يخلقوا بعد، حين خلق السموات والأرض، لكن المعنى أنها لما كانا يُخَاطَبَانِ وَيُخَاطَبَانِ، صارا بمنزلة العاقل، فقالتا: أتينا طائعين، وهذا أمر لا شك فيه.

الخلاصة: أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام، ذكر ذلك مجملاً وذكره مفصلاً، ولو شاء لخلقهما في لحظة كن فيكون، فقد قال للقلَم: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، والقلَم جمادٍ ومع ذلك كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ لأن أمر الله لا يرد، ولو قال للسماء والأرض كوناً أرضاً أو كوناً سماءً كانا في لحظة، لكن قال العلماء: إن الله ﷻ مدد الخلق إلى ستة أيام تعليةً للعباد إذا فعلوا أن يفعلوا على وجه الجودة والتأني، وإتقان الشيء، دون التسرع والتعجل، هذا من جهة، ومن جهة

أُخْرَى: أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ، فَالْخَلْقُ يَخْتَاجُ إِلَى تَدْرُجٍ، فَكَانَتْ الْحِكْمَةُ تَقْتَضِي أَنْ يَخْلُقَهَا بِالتَّدْرُجِ حَتَّى يَصِلَا إِلَى الْكَمَالِ، كَمَا أَنَّ النَّبَاتَ يَبْدَأُ بِذُرَّةٍ ثُمَّ يَنْمُو شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْكَمَالِ، وَأَيًّا مَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّعْلِيلِ هَذَا أَوْ هَذَا فَمَا هُوَ إِلَّا تَعْلِيلٌ ظَنِّيٌّ وَلَا فَلَلِهِ مِنَ الْحِكْمِ وَالْأَسْرَارِ مِمَّا وَرَاءَ عُقُولِنَا فَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى خَلْقِهَا فِي لَحْظَةٍ لِأَمْرٍ لَا نَعْلَمُهُ، وَنَكُونُ بِذَلِكَ صَادِقِينَ، فَحَنَ عَاجِزُونَ عَنِ إِذْرَاكِ الْحِكْمَةِ، لَكِنْ قَادِرُونَ عَلَى الْجَوَابِ، فَنَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ.
فَإِنْ اسْتَبْطَنَّا حِكْمَةَ، وَكَانَتْ هِيَ الْمَوَافَقَةُ، فَهَذَا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِنَا وَفَضْلِهِ عَلَيْنَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ عَنَّا خَطَايَا.

وهذه الأيام، كأيام الدنيا؛ لأن النبي ﷺ يَبَيِّنُ أَنَّ أَوَّلَهَا يَوْمُ الْأَحَدِ وَآخِرُهَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ.
سؤال في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشورى: ٢٢]. ثُمَّ قَالَ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾. وَهَذَا مَقْتَضَاهُ أَنَّ خَلْقَ السَّمَوَاتِ بَعْدَ خَلْقِ الْأَرْضِ، وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ: ﴿مَنْتُمْ أَشَدَّ خَلْقًا أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٧-٢٨]. وَرَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿الْقَارِعَةُ: ٢٧-٢٨﴾. فَجَعَلَ خَلْقَ الْأَرْضِ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ مَعْنَى الدَّخْوِ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [الْقَارِعَةُ: ٢٩]. فَيَكُونُ خَلْقُ الْأَرْضِ وَجَعْلُ الرِّوَاسِي فِيهَا قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ، أَمَّا الدَّخْوُ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ مُهَيَّأَةً لِكُلِّ الْمَنَافِعِ فِيهَا، وَإِخْرَاجُ مَائِهَا وَمَرْعَاهَا فَهَذَا بَعْدَ ذَلِكَ.

وقوله: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ [الْقَارِعَةُ: ٣٢]. جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ، يَعْنِي: وَأَرْسَاهَا لِلْجِبَالِ.
وهنا مَسْأَلَةٌ دَائِمًا تُكَرَّرُهَا وَهُوَ أَنَّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَنْظُرَ وَيَتَأَمَّلَ حَتَّى يَعْرِفَ الْفَرْقَ الَّذِي بِهِ يَزُولُ التَّعَارُضُ، وَلَوْ قَالَ: وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ خَلَقَهَا، لَكَانَ فِيهِ تَعَارُضٌ، لَكِنْ قَالَ دَحَاهَا، فَتَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الدَّخْوَ غَيْرُ الْخَلْقِ، وَلِأَنَّهُ ذَكَرَ فِي آيَاتٍ أُخْرَى أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٧٣].
٧٣٨٥- حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سَلِيْمَانَ، عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْعَرُ مِنَ اللَّيْلِ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نَوْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ

وبك أمنتُ وعليك توكلتُ وإليك أنبتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فأغفر ما قدمتُ وأخرتُ وأسرتُ وأغلنتُ، وأنت إلهي لا إله لي غيرك» حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بِهَذَا وَقَالَ: «أنت الحقُّ وقولك الحقُّ»^(١).

ثم ذكر المؤلف رحمه الله حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ، وَذَلِكَ إِذَا قَامَ لَصَلَاةِ اللَّيْلِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». فَبَدَأَ بِحَمْدِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِذْ رُبُّوِيَّتُهُ ﷻ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْحَمْدِ، وَالْحَمْدُ هُوَ وَصْفُ الْمَحْمُودِ بِالْكَامِلِ مَعَ الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ، فَإِنْ كُرِّرَ وَصْفُ الْكَامِلِ سُمِّيَ ثَنَاءً، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» قَالَ اللَّهُ: «حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. قَالَ: أَتُنِي عَلَى عَبْدِي»^(٢).

وقوله: «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». سَبَقَ أَنْ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ يَدُورُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءٍ: عَلَى الْخَلْقِ، وَالْمَلِكِ، وَالتَّدْبِيرِ، فَهُوَ خَالِقُهُمَا وَمَالِكُهُمَا وَالْمُدَبِّرُ لِهَمَا، وَجَمَعَ السَّمَاوَاتِ بِاعْتِبَارِ الْعَدَدِ، وَأَفْرَادِ الْأَرْضِ بِاعْتِبَارِ الْجِنْسِ، وَ السَّمَاوَاتِ سَبْعٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنعام: ٨١]. وَأَمَّا الْأَرْضُ فَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّهَا سَبْعٌ لَكِنْ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الأنعام: ١٢]. وَالْمُمَثَّلَةُ هُنَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَأْتِيَ إِلَّا فِي الْعَدَدِ، إِذْ إِنِ الْكَيْفِيَّةَ، وَالْحُجْمَ وَالْعِظَمَةَ لَا تَمَازِلُ بَيْنَ السَّيِّئِ وَالْأَرْضِ فِيهَا، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾. أَي: فِي الْعَدَدِ، وَالسَّيِّئَةُ صَرِيحَةٌ فِي ذَلِكَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ مِنَ الْأَرْضِ شِبْرًا، طَوَّفَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٣).

وقوله: «لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». أَي: بِكَ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَأَنْتَ الْقَيُّومُ عَلَيْهِنَ، فَهوَ ﷻ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَلَا غِنَى لِّلْسَمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةً عَيْنٍ، وَهُوَ الْقَيِّمُ عَلَيْهِمَا أَيْضًا، وَالْقِيَوْمِيَّةُ هُنَا تَتَضَمَّنُ الْإِبْجَادَ، وَالْإِعْدَادَ، وَالْقِيَامَةَ عَلَى الشَّيْءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]. أَي: يَقُومُونَ عَلَى النِّسَاءِ، وَيَتَوَلَّوْنَ أُمُورَهُنَّ، فَاللَّهُ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ؛ أَي: بِهِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَهُوَ الَّذِي يَقُومُ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَتَوَلَّى أَمْرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الأنعام: ٢٥]. هَذَا أَحَدُ الْمَعْنَيْنِ، أَمَّا الْمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّهُ يَقُومُ عَلَيْهِمَا وَيَتَوَلَّاهُمَا «قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ».

«لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نَوْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». أَي: بِكَ اسْتَنَارَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَوْرًا لَمْ يَكُنْ فِيهِمَا نَوْرٌ، أَوْ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُ النُّورِ، وَقَالَ: إِنَّهُ نَوْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَوْفِ السَّمَاءِ أَوْ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [الأنعام: ١٦]. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَمَرَ لَيْسَ نُيُوتَرُ

(١) رواه مسلم (٧٦٩) (١٩٩) بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٢٤٥٢)، ومسلم (١٦١٠) (١٣٧).

السَّمَوَاتِ، وَأَنَا يُبَيِّرُ الْأَرْضَ.

❖ وقوله: «قَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ». يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: قَوْلُكَ، وَوَعْدُكَ، وَلِقَاؤُكَ، وَالْجَنَّةُ، وَالنَّارُ، وَالسَّاعَةُ. ست، يمكن أن يقول الإنسان هذه الأشياء الستة ويُخبر عنها بكلمة واحدة فيقول: حَقٌّ. ولكنَّ مَقَامَ النَّاءِ مَقَامُ بَسْطٍ وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَال.

❖ وقوله: «قَوْلُكَ الْحَقُّ». الْحَقُّ مِنْ وَجْهَيْنِ؛ لِأَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِمَّا طَلَبٌ، وَإِمَّا خَبَرٌ، فَإِنْ كَانَ طَلَبًا فَهُوَ عَدْلٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْمَصَالِحِ، وَإِنْ كَانَ خَبَرًا فَهُوَ صِدْقٌ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَمَّمْتَ كَلِمَتَكَ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

❖ وقوله: «وَعْدُكَ الْحَقُّ». وَعْدُكَ سَوَاءٌ كَانَ وَعْدًا بِمَثُوبَةٍ، أَوْ وَعْدًا بِعُقُوبَةٍ، فَإِنَّهُ حَقٌّ، وَلَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، إِلَّا أَنْ الْوَعْدَ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ الْإِثْمُ شَرْكًَا فَصَاحِبُهُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الأنعام: ١١٦].

❖ وقوله: «وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ». لِقَاءُ اللَّهِ ﷻ حَقٌّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا مَلْفَقِيهِ﴾ [الأنعام: ٦]. فَلَا بُدَّ أَنْ تُلَاقِيَ رَبَّكَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَخْلُوَ رَبُّكَ بِكَ، لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَسْأَلَكَ وَيُقَرِّرَكَ بِذُنُوبِكَ، وَيَقُولَ: فَعَلْتَ كَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا. لَكِنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، ثُمَّ إِذَا أَقْرَرْتَ وَاعْتَرَفْتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. هَكَذَا يَحَاسِبُ اللَّهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أما الكفار فإنهم لا يُقَرَّرُونَ هذا التقرير، وَلَكِنْ يُخَزَّوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُنَادَى عَلَيْهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٨].

❖ وقوله: «وَالْجَنَّةُ حَقٌّ» أَي: صِدْقٌ، وَكَذَلِكَ النَّارُ كِلَاهُمَا حَقٌّ، وَهُمَا الْآنَ مَوْجُودَتَانِ، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لِلْأَبَدِ، أَي مُؤَبَّدَتَانِ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ السَّنَةِ^(١).

إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ خِلَافًا بَيِّنًا فِي أَبَدِيَةِ النَّارِ، وَلَكِنَّ الْقَوْلَ بِعَدَمِ أَبَدِيَّتِهَا ضَعِيفٌ لِلْغَايَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَبَدِيَّتِهَا فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ: الْآيَةُ الْأُولَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ طَرِيقًا﴾ [٣٨] إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا [الأنعام: ١٦٨-١٦٩] وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [١١] خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا [الأنعام: ٦٤-٦٥]. وَالْآيَةُ الثَّالِثَةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [٢٣] وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ صِدْقٌ، وَإِذَا كَانُوا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَزِمَ أَنْ يُؤَيَّدَ الْمَكَانَ الَّذِي خُلِدُوا فِيهِ.

(١) انظر «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص ١٧٣)، و«الإقناع في مسائل الإجماع» لابن القطان (١/ ٥٢)، (١٤٩)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٤٨٠).

❦ وقوله: «والساعة حق»، الساعة؛ يعني: ساعة القيامة حق، أي: لا بد أن تقع؛ لأن الله أخبر بها وما أخبر الله به فهو حق.

❦ وقوله: «اللهم لك أسلمت». الجائر والمجرور في قوله: «لك أسلمت» معمولٌ مُقَدَّمٌ لإفادة الحصر «لك أسلمت»؛ أي: انقذت انقيادًا تامًّا لشريعك.

❦ وقوله: «وبك أمنت». والإيمان محلُّ القلب، فذكر النبي ﷺ الدين الظاهر، والدين الباطن، فالدين الظاهر هو الإسلام، والباطن هو الإيمان.

❦ وقوله: «وبك أمنت». معنى الإيمان بالله الإقرار به، الْمُتَضَمَّنُ لِلْقَبُولِ والإذعان، هذا هو الإيمان بالله فامَّا الإقرار الذي لا يَتَضَمَّنُ ذلك فليس بإيمان، بل لا بد من قبول للخير، وإذعان للطلب.

ولهذا قال أهل السنة: إن الإيمان قولٌ باللسان وعملٌ بالأركان واعتقادٌ بالجنان.

❦ وقوله: «وعليك توكلت». أي: اعتمدت اعتمادًا تامًّا مُعْتَرِفًا بِتَقْصِيرِي، مُفَوِّضًا أَمْرِي إِلَيْكَ، وهذا هو الفرق بين التوكل على إنسان، والتوكل على الله، فتوكلِّي على الإنسان ليس توكلًّ افْتِقَارً وتَفْوِضً، وتوكلِّي على الله توكلُّ افْتِقَارٍ وتَفْوِضٍ، فلو وَكَلْتُ شَخْصًا يَشْتَرِي لَكَ شَيْئًا فَقَدْ تَوَكَّلْتَ عَلَيْهِ، واعتمدت عليه في شراء هذا الشيء، لكن هل هذا اعتمادٌ افْتِقَارٍ وتَفْوِضٍ مُطْلَقٌ؟

الجواب: لا، فلو شئت لعزَّته، ولو خالف ما وَكَلْتَهُ فِيهِ لَضَمَّتَهُ، لكن تَوَكَّلْكَ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلٌ افْتِقَارٍ وتَفْوِضٍ، فنَفَوْضُ الْأَمْرَ إِلَيْهِ وَتُسْنِدُهُ إِلَيْهِ، وهذا هو الفرق بين التوكل الذي لا يَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ، والتوكل الذي يَصِحُّ للمخلوق.

❦ وقوله: «واليك أنبت». الإنابة بِمَعْنَى الرَّجُوعِ؛ أي: إليك رَجَعْتُ فِي أُمُورِي كُلِّهَا، رَجَعْتُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَرَجَعْتُ إِلَيْكَ فِي تَسْهِيلِ أُمُورِي، وَفِي رِزْقِي، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ، أَنْبَتُ إِلَيْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

❦ وقوله: «وبك خاصمت». أي: خَاصَمْتُ كُلَّ مَنْ يُخَاصِمُنِي فِيكَ بِكَ، والبَاءُ هُنَا لَيْسَتْ لِلظَّرْفِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا لِلْإِسْتِعَانَةِ، يَعْنِي: أَنْكَ تَعِينُنِي عَلَى خُصُومَتِي مَعَ مَنْ أَخَاصِمُ، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ وَيَكُونُ الْمَعْنَى: فِيكَ خَاصَمْتُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يُخَاصِمُ فِي اللَّهِ كَمَا خُوصِمَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فعلى هذا نقول: «الباء» يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ ظَرْفِيَّةً بِمَعْنَى «فِي»، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ لِلْإِسْتِعَانَةِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ وَاضِحٌ، فَإِذَا كَانَتْ الْبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ صَارَ الْمَعْنَى أَنِّي أَخَاصِمُ فِيكَ، فَإِذَا خَاصَمَنِي مُخَاصِمٌ، وَجَادَلَنِي مُجَادِلٌ فِي ذَاتِكَ، أَوْ أَسْمَائِكَ، أَوْ صِفَاتِكَ، خَاصَمْتُهُ، وَإِنْ كَانَتْ لِلْإِسْتِعَانَةِ فَالْمَعْنَى أَنِّي أَسْتَعِينُ بِكَ فِي خُصُومَتِي لِعَيْرِي، وَكِلَا الْمَعْنَيْنِ صَحِيحٌ، فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ تَأْتِي الْبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ؟

قُلْنَا: نَعَمْ، فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ﴿وَلَا تَكُ لِمَنْ يَكْفُرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ عَلَى سِمَةٍ عَلَيْهِمْ مَثِيلًا﴾ (٣٧) وَبِالْبَيْتِ أَفَلَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

[الْقَائِلُ: ١٣٧-١٣٨]. أي: وفي الليل.

❦ وقوله: «وإليك حَاكَمْتُ» أي: حُكُمْتِي تَنْتَهِي إليك، ولا أَحَاكِمُ إلى غيرك، فَشَرَعُكَ هو الْحَكَمُ، فَأَنَا أَحَاكِمُ إليك، ولا أَعْدَى حُكْمَكَ، وهذا تَقْوِيضُ تَأَمُّ لَلَّهِ كَوْنًا وَقَدَرًا. وكل هذه الكلمات والجُمَل التي تَتَضَمَّنُ هذا التَّنَاءَ العَظِيمَ عَلَى اللَّهِ كُلِّهَا وَسِيْلَةً لَهَا سَيِّئِي، وهو قوله: فَاغْفِرْ لِي.

❦ قوله «فاغفر لي». الفَاءُ هُنَا تُسَمَّى الفَاءُ الْفَصِيحَةَ، وَيجوزُ أَنْ تَكُونَ لِلْسَّبِيَةِ؛ أي: فَيَسَبِّبُ ذَلِكَ اغْفِرْ لِي.

وَالْمَغْفِرَةُ سِتْرُ الذَّنْبِ وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُ، وَلَيْسَتْ السَّتْرُ فَقَطْ وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْمَغْفَرِ، وَهُوَ مَا يُلبَسُ عَلَى الرَّأْسِ أَثْنَاءَ الْقِتَالِ لِحِمَايَةِ الرَّأْسِ مِنَ السَّهَامِ، فَالْمَغْفَرُ يَحْصُلُ بِهِ سِتْرٌ وَوَقَايَةٌ، فَإِذَا سَأَلَتْ رَبَّكَ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ، فَانْتَ تَسْأَلُهُ لِأَمْرَيْنِ: السَّتْرِ، وَالتَّجَاوُزِ عَنْ عُقُوبَةِ هَذَا الذَّنْبِ. وقوله: فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ.

و«مَا» فِي قَوْلِهِ: «مَا قَدَّمْتُ» مَوْصُولَةٌ، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: «مَا أَخَّرْتُ»، وَقَوْلُهُ: «وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ» مَعْطُوفَةٌ عَلَى الصَّلَاةِ، وَالْمَعْطُوفُ عَلَى الصَّلَاةِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى الْمَوْصُولِ أَيْضًا، وَالْمَعْنَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ وَأَسَرَّ وَأَعْلَنَ، وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بَسْطُ ظَاهِرٍ؛ لِأَنَّهُ يُغْنِي عَنْهَا أَنْ يَقُولَ: اغْفِرْ لِي ذَنْبِي؛ لِأَنَّ «ذَنْبًا» مُفْرَدٌ مُضَافٌ، فَيَشْمَلُ كُلَّ الذُّنُوبِ؛ مَا أَسَرَّ وَأَعْلَنَ، وَقَدَّمَ وَأَخَّرَ، لَكِنَّ مَقَامَ الدَّعَاءِ يَقْتَضِي الْبَسْطَ، وَذَلِكَ لِأُمُورٍ:

الأول: وَهُوَ أَهْمُهَا، لِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ مِنَ التَّلَذُّذِ بِمَنَاجَاةِ اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا لَوْ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ مَحْبُوبٌ إِلَيْهِ، أَفَلَا يُحِبُّ أَنْ يَسْطُرَ مَعَهُ الْقَوْلَ وَيُكَثِّرَ مَعَهُ مِنْهُ؟ بَلَى، لَا شَكَّ. تَحَدُّهُ إِذَا جَلَسَ إِلَى صَدِيقِهِ الَّذِي يُحِبُّهُ، وَقَامَا يَتَحَدَّثَانِ تَمْضِي السَّاعَاتِ الطَوِيلَةَ وَكَأَنَّهَا دَقَائِقُ، حَتَّى إِنْ بَعْضُ الْأَصْدِقَاءِ يُشِيعُ صَدِيقَهُ إِلَى بَيْتِهِ -أي: يَتَحَدَّثَانِ وَيَمْشِيَانِ رُويْدًا رُويْدًا- فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَيْتِهِ انْقَلَبَ فَشِيعَهُ الْآخَرُ، وَهَكَذَا دَوَّالِيكَ، رَبِّمَا يَطْلُعُ الْفَجْرُ، إِنْ كَانَ فِي اللَّيْلِ، وَهِيَ عَلَى هَذَا الْحَالِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُشَاهَدٌ وَمَعْرُوفٌ؛ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُحِبُّ أَنْ يَسْطُرَ الْقَوْلَ مَعَ مَنْ يُحِبُّ.

الثاني: أَنَّ الدَّعَاءَ عِبَادَةٌ، وَكَلِمًا كَرَّرْتَ ازْدَدْتَ اللَّهُ تَعَبُّدًا، فَيَزْدَادُ أَجْرُكَ بِازْدِيَادِ جُمْلِ الدَّعَاءِ.

الثالث: أَنَّ الْبَسْطَ وَالتَّفْصِيلَ يُوجِبُ تَذَكُّرَ الْإِنْسَانِ كُلِّ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الَّتِي بَسَطَهَا وَفَصَّلَهَا، وَبَيَّنَّهَا، وَاسْتِحْضَارَ الْإِنْسَانِ لَذُنُوبِهِ تَفْصِيلًا أَكْمَلَ فِي التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ الْمَجْمَلَةَ لَا تَسْتَوْعِبُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ اسْتِحْضَارًا، وَإِنْ كَانَتْ تَسْتَوْعِبُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ لَفْظًا وَمَذَلُولًا.

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّكَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ. وَأَنْتَ فَعَلْتَ ذُنُوبًا قَدْ تَكُونُ أَكْبَرَ مَا تَتَصَوَّرُهُ الْآنَ لَكِنْ غَابَتْ عَنْ بَالِكَ، فَإِذَا ذَكَرْتَ وَفَصَّلْتَ كَانَ هَذَا أَبْلَغَ فِي التَّوْبَةِ؛ لِأَنَّ الدَّلَالَهَ عَلَى تَعْيِينِ الْأَفْرَادِ أَقْوَى مِنَ الدَّلَالَهَ عَلَى الْعُمُومِ.

فهذه ثلاث فوائد في البسط.

وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: عَلُوُّ مَرْتَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعِبَادَةِ، حَيْثُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ هَذَا الشَّانَ الْعَظِيمَ بِهَذَا التَّفْصِيلِ الْعَظِيمِ، مَعَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ: أَنَّ لِلرَّسُولِ ﷺ ذُنُوبًا؛ لِقَوْلِهِ: «اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ» وَأَصْرَحَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۚ وَيُضْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝﴾ (التوبة: ١-٢٣). وَأَصْرَحَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ﴾ (التوبة: ١١٩). وَبِهَذَا يَبْطُلُ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اسْتِغْفَارَ النَّبِيِّ ﷺ لَذَنْبِهِ اسْتِغْفَارٌ لَذُنُوبِ أُمَّتِهِ، وَلَيْسَ اسْتِغْفَارًا لَذَنْبِهِ، فنقول: سُبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ أَنْتَ أَعْلَمُ مِنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

الْجَوَابُ: لَا، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةَ وَجْهِهِ، عَلَانِيَتِهِ وَسِرِّهِ، وَأَوَّلَهُ وَأَخْرَهُ»^(١).

ثُمَّ نَقُولُ: كَيْفَ يَسْتَقِيمُ هَذَا الْقَوْلُ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۚ وَيُضْرِكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝﴾ (التوبة: ٢-٢٣). الْأَوْصَافُ هَذِهِ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ، فَهَلْ هَذِهِ أَوْصَافُ الْأُمَّةِ!؟

ثُمَّ كَيْفَ يَسْتَقِيمُ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَلَكِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالْأُمَّةِ مِنْ حَيْثُ الذَّنْبُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُقَرُّ عَلَى الذَّنْبِ، وَالْأُمَّةُ تُقَرُّ عَلَيْهِ، وَمَعْنَى تُقَرُّ؛ يَعْنِي: قَدَرًا لَا شَرْعًا، أَمَا شَرْعًا فَلَا أَحَدٌ يُقَرُّ عَلَى الذَّنْبِ، لَكِنْ قَدَرًا الْأُمَّةُ تُقَرُّ عَلَى الذَّنْبِ، لَكِنْ الرَّسُولُ لَا يُقَرُّ؛ لِأَنَّهُ ﷺ لَا بُدَّ أَنْ يُنَبِّهَ أَوْ يُنَبِّهَ فَيَسْتَغْفِرَ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا اسْتَغْفَرَ مِنَ الذَّنْبِ فَقَدْ تَكُونُ حَالُهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَكْمَلَ مِنْ حَالِهِ قَبْلَ فِعْلِ الذَّنْبِ.

وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبَ مِنْكَ ۝﴾ (التوبة: ٤٣). فَبَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ ذِكْرِ الْمَخَالَفَةِ فَقَالَ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ۚ﴾. وَلَا عَفْوَ إِلَّا عَنْ خَطِيئَةٍ، وَقَالَ: ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبَ مِنْكَ ۝﴾ (١٣). سُبْحَانَ اللَّهِ هَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، يُعَلِّمُ نَبِيَّهُ، وَهُوَ تَعْلِيمٌ لَنَا أَلَّا نَتَعَجَّلَ فِي الْحُكْمِ عَلَى الشَّيْءِ حَتَّى نَتَبَيَّنَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبَ مِنْكَ ۝﴾ (١٣). ﴿حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۚ وَهَذَا يَنْطَبِقُ تَامًا عَلَى ضِدِّ حَالِنَا الْيَوْمَ فَنَحْنُ الْآنَ نَسْمَعُ الْكَلِمَةَ ثُمَّ نَطِيرُ بِهَا فِي الْآفَاقِ دُونَ أَنْ نَتَبَيَّنَ، وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ لِرَسُولِهِ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكَذِبَ مِنْكَ ۝﴾ (١٣).

(١) أخرجه مسلم (٤٨٣) من حديث أبي هريرة.

ويقول: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخَفِّفْ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ (٢٧) [الاحزاب: ٢٧]. هذه كلمات عظيمة جداً، ويقول ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرَاتَ أَرْوَجِكَ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٨) [البقرة: ٢٨]. وكما قلت قد يكون الإنسان بعد الذنب والتوبة خيراً من قبل ذلك.

وانظر متى حصل الاجتناء لآدم؟

الجواب: بعد أن أذنب وتاب، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهداه، وانظر ذلك أيضاً في نفسك إذا أذنبت ذنباً حصل في قلبك من الانكسار والخجل من الله ﷻ والخوف ما لم يحصل لو استمررت فيما أنت عليه من الطاعة، بل إن الإنسان رباً إذا كان على طاعة، ينشأ في قلبه مرض السرطان المعنوي العجيب، العجب بالنفس والإذلال على الله ﷻ بالعمل، نسأل الله أن يعيدنا وإياكم من ذلك، لكن إذا فعل الخطيئة انكسر، وخجل أمام الله، واستخيا من الله، ورجع إلى الله ﷻ.

ثم إن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لا يجوز في حقهم شيء واحد، وهو ما يُخِلُّ بالرسالة فهذا ممنوع في حقهم، منعهم الله منه كالخيانة والكذب ممنوع حتى إن الرسول ﷺ ممنوع من الإشارة بالعين^(١)، فلا يُشير بالعين، لأنه لا بد أن يكون قوله صريحاً وواضحاً بدون أي خداع، أو أي خيانة، فهذا الذي يُمنع منه الرسل عليهم الصلوات والسلام، وهو ما يُخِلُّ بالرسالة من الكذب والخيانة وما أشبهها.

كذلك ما يُخِلُّ بالشرف والمروءة؛ فإنهم ممنوعون منه، مثل سفاسف الأخلاق؛ لأن هذا تنفير منه النفوس والطباع، لكن المعاصي الأخرى قد يفعلونها، فموسى ﷺ قتل نفساً بغير حق، وإن كان هذا قبل أن يُنبأ، لكنه ﷺ جعل ذلك مانعاً له من الشفاعة للخلق، حيث إنه إذا أتى إليه ليشفع اعتذر بذلك؛ لأن قتل النفس لا يحول عليه سوء الخلق أو ما يُخِلُّ بالصدق والأمانة، لكن تحمّل عليه الغيرة، ولا سيما أن فرعون قد سام بني إسرائيل سوء العذاب، حتى كان يقتل أبناءهم، ويستحي نساءهم.

وكذلك الرسل إذا وقعت منهم الذنوب فإنهم لا يُقرّون عليها قدراً بمعنى: أن الله يُنبههم عليها أو يُتبهون، أما شرعاً فنحن والأنبياء ممنوعون من الإقرار عليها شرعاً، والله ﷻ يهيئ لهم أسباب التوبة فيتوبون فوراً أو بعد حين، لكن لا بد أن يتوبوا، لكن نحن ممنوعون منها شرعاً، لكن قدراً ربياً نستمر في معاصينا ونصير عليها.

قوله: «ما قدمت وأخرت». يَحْتَمِلُ مَعْنَى قَوْلِهِ: «أخرت» أي: في المستقبل، أي: ما سأفعله

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥١)، وأبو داود (٣١٩٤) من حديث أنس بلفظ: «ليس لنبي أن يومض» والإيضاح: الرمز بالعين والإيماء بها. «عن المعبود» (٨/ ٣٤٠) وأخرجه أبو داود (٣٥٩)، (٢٦٨٣) من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خاتمة الأعين» وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

في المستقبل، وهذا خاصٌّ بالرسول ﷺ، وَيَحْتَمِلُ «مَا أَخْرُتُ» باعتبارِ الماضي؛ لأنَّ الماضي منه مُتَقَدِّمٌ ومنه متأخِّرٌ، وهذا هو ظاهرُ اللفظ، أي: ما قَدَّمْتُ ففَعَلْتُهُ قَدِيمًا، وما أَخْرُتُ: ففَعَلْتُهُ آخِرًا.
 ﴿قَوْلُهُ: «أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ». خَتَمَهَا بِالْأُلُوهِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي أُرْسِلَتْ مِنْ أَجْلِهَا الرِّسْلُ وَأُنْزِلَتْ الْكُتُبُ، «أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ». أَي: لَا مَعْبُودَ حَقٌّ لِي غَيْرُكَ يَا اللَّهُ.
 ﴿قَوْلُهُ: حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ هَذَا، وَقَالَ: «أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ» يَغْنِي بَعْدَ قَوْلِهِ: «وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ».

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٩- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النحل: ١٧٤].
 وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ تَمِيمٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [النحل: ١٧٤].
 ﴿قَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النحل: ١٧٤]. هَذَانِ اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَيَقْرُنُ اللَّهُ ﷻ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا؛ أَي: بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ؛ لِأَنَّ السَّمْعَ إِدْرَاكُ الْأَصْوَاتِ وَبِالْبَصَرِ إِدْرَاكُ الْأَفْعَالِ، فَلَا قَوْلَ مُتَعَلِّقَهَا السَّمْعُ، وَالْأَفْعَالُ مُتَعَلِّقُهَا الْبَصَرُ، وَلِهَذَا يَقْرُنُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمَا كَثِيرًا.
 وَالسَّمِيعُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَهُ مَعْنِيَانِ:

المعنى الأول: إدراك المسموع.

والمعنى الثاني: استجابة المسموع.

فَمِنْ الْأَوَّلِ مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [النحل: ١٧٤]. وَمِنْ الثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿إِنْ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [النحل: ٢٢٩]. أَي: لَمْجُوبِهِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ ﴿لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾؛ أَي: لِمَدْرِكِهِ وَسَامِعُهُ؛ لِأَنَّ مَجْرَدَ السَّمْعِ لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ قَوْلِ الدَّاعِي: ﴿إِنْ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [النحل: ٢٢٩]. وَإِنَّا الَّذِي يَتَنَاسَبُ مَعَ دَعَائِهِ هُوَ اسْتِجَابَةُ الدَّعَاءِ.
 ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ السَّمْعَ بِالْمَعْنَى الْأَوَّلِ: - أَي: بِمَعْنَى إِدْرَاكِ الْمَسْمُوعِ - يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ؛ عَامٌّ، وَلِلتَّائِيدِ، وَلِلتَّهْدِيدِ.

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ الْعَامُّ مِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. هَذَا عَامٌّ يَشْمَلُ كُلَّ مَا يُسْمَعُ، فَسَمِعَ اللَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِهِ، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ بَنِي آدَمَ، وَمَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَأَصْوَاتَ الْبَهَائِمِ، وَأَصْوَاتَ الْحَشَرَاتِ، حَتَّى دَبِيبَ النَّمْلِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ يَسْمَعُهَا ﷻ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَهَذَا هُوَ السَّمْعُ بِالْمَعْنَى الْعَامَّةِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: وَهُوَ يُرَادُّ بِهِ التَّهْدِيدُ، مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [النحل: ١٨٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ

يَكْتُبُونَ ﴿٨﴾ [البقرة: ٨٠]. فهذا المرادُ به التهديدُ.

والقسمُ الثالثُ: وهو الذي يُرادُ به التأييدُ، مثلُ قوله تعالى لمُوسى وهارونَ لَمَّا قَالَا: ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ﴿١٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿١٦﴾ [طه: ٤٥-٤٦]. فالمرادُ بالسمع هنا سَمْعُ التأييدِ، والنصر، والمُدافعة.

فهذه أقسامُ السمع الذي بِمَعْنَى إدراكِ المسموع.

أما السمعُ الذي بِمَعْنَى إجابةِ الدَّاعي، فمثلُه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿٣١﴾. وقولُ الْمُصَلِّي: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فسمع هنا بِمَعْنَى استِجَابِ مَنْ حَمده وليس المراد بذلك مجرد سماع صوت الحامد بل المراد بذلك استجابته.

فإذا قَالَ قائلٌ: هل السمعُ يَأْتِي بِمَعْنَى الاستجابة؟

قُلْنَا: نَعَمْ يَأْتِي بِمَعْنَى الاستجابة، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [الأنعام: ٢١]. مَعْنَى ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾. أي: لَا يَسْتَجِيبُونَ، وإلا فهم يَسْمَعُونَ الذِّكْرَ يُتْلَى عليهم، يَسْمَعُونَهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ.

ثم اعلَمْ أَنَّ سَمْعَ اللَّهِ وبصره حقيقةٌ وليست راجعة إلى العلم، خلافاً للمعتزلة الذين يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ - والعياذُ بِاللَّهِ - وَأَنَّ مَعْنَى السمعِ والبصرِ هو العلمُ بدونِ رؤيةٍ مَفْعُولٍ أو سماعٍ مَفْعُولٍ.

ولكن نقولُ: أخطأتم خطأً كبيراً، بل السمعُ غيرُ العلم؛ لأنَّ عِلْمَ اللَّهِ تعالى مُتَعَلِّقٌ بالشَّيءِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مَسْمُوعاً، وَقَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُبْصَراً، فهو يَعْلَمُ ما كان وما سيكونُ.

ثم ذَكَرَ حديثَ عائشة، قَالَتْ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى على النَّبِيِّ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. فهذه امرأةٌ جَاءَتْ تَشْتَكِي إلى النَّبِيِّ ﷺ زَوْجَهَا، وَكَانَ زَوْجُهَا قد ظَاهَرَ مِنْهَا؛ أي: قَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي. وَكَانُوا يَعُدُّونَ الظَّهَارَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ طَلَاقاً بَاطِئاً، فَجَاءَتْ تَشْتَكِي إلى الرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّهَا كَبِرَتْ، وَأَنَّ لَهَا أَوْلَاداً مِنْ زَوْجِهَا وَأَنَّ زَوْجَهَا ظَاهَرَ مِنْهَا، وَتَشْتَكِي إلى اللَّهِ ﷻ، وَالنَّبِيِّ ﷺ يُحَاوِرُهَا وَيُسِّرُ عَلَيْهَا الْأَمْرَ، وَلَكِنَّهَا أَبَتْ وَأَصْرَتْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. أي: فِي شَأْنِهِ ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾. قَالَتْ عائشةُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ» إني لفي الحجرة وإنَّه لِيَخْفِي عَلَيَّ بَعْضُ حَدِيثِهَا^(١).

سبحانَ اللَّهِ! واللَّهُ ﷻ فوقَ عَرْشِهِ يَسْمَعُ كَلَامَهَا، وَيَسْمَعُ مُحَاوَرَتَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ ومُحَاوَرَتَهُ لَهَا،

(١) تقدم تخريجه، غير قولها: «إني لفي الحجرة.....» الحديث. فهو عند ابن ماجه (١٨٨) (٢٠٦٣)، وصححها الشيخ الألباني، كما في تعليقه على «السنن».

وتأمل كيف جاءت الآية بلفظ الماضي ولفظ المضارع ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾.

كما جاءت هذه المادة سَمِعَ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ، مثل قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مائدة: ٣٨]. أَسْمِعْ بِهِمْ؛ يعني: ما أَسْمَعَهُمْ وما أَبْصَرَهُمْ.

ففي هذا الحديث: أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْمَعُ سَمَاعًا حَقِيقِيًّا؛ لَأَنَّهُ قَالَ ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾.. ولو كَانَ المرادُ بذلك العلمَ ما صَحَّ؛ لِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ سَابِقًا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سَمْعَهُ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ حَالًا، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ﴾. وَيَسْمَعُ هَذِهِ فِعْلٌ مُضَارِعٌ تَدُلُّ عَلَى الْحَالِ.

❖ وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ كَالْتَعْلِيلِ لَهَا قَبْلَهَا، وَمِنْ هُنَا أَخَذَ أَهْلُ السَّنَةِ أَنَّ الْاسْمَ إِذَا كَانَ مُتَعَدِّيًّا، فَإِنَّهُ لَا يَتِمُّ الْإِيْيَانُ بِهِ إِلَّا بِإِثْبَاتِهِ وَإِثْبَاتِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ، وَإِثْبَاتِ الْحُكْمِ.

فَهُنَا قَالَ: ﴿اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ هَذَا هُوَ الْاسْمُ، وَالصِّفَةُ هِيَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ، وَالْحُكْمُ سَمِعَ وَيَسْمَعُ، ثُمَّ إِنَّمَا إِذَا آمَنَّا بِذَلِكَ -وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ- فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ لَنَا الْأَنْتِسِمَاعَ رَبَّنَا مَا يُغْضِبُهُ عَلَيْنَا، فَإِذَا كُنْتَ تَوْمِنُ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كُلَّ قَوْلٍ تَقُولُهُ، فَإِنَّ هَذَا يُوجِبُ أَلَّا تَقُولَ قَوْلًا لَا يُرِضِي اللَّهَ؛ لَأَنَّهُ -وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى- إِذَا كَانَ أَبُوكَ لَا يَرْضَى أَنْ يَسْمَعَ مِنْكَ مَا لَا يَرْضَاهُ، وَتُحَاوِلُ أَلَّا يَسْمَعَ مِنْكَ مَا لَا يَرْضَاهُ، فَرُبُّكَ أَوْلَى وَأَعْظَمُ أَنْ لَا تُسْمِعَهُ مَا لَا يَرْضَاهُ مِنْكَ.

وَإِذَا قِيلَ: هَلْ سَمِعَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ أَوْ مِنْ صِفَاتِهِ الْفَعْلِيَّةِ؟

الْجَوَابُ: مِنْ صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ، وَالَّذِي يَخْدُثُ إِنَّمَا هُوَ الْمَسْمُوعُ، أَمَا السَّمْعُ فَلَمْ يَزَلْ مُتَصِفًا بِهِ، لَكِنَّ الْمَسْمُوعَ هُوَ الَّذِي يَخْدُثُ، مِثْلَ الْعِلْمِ فَلَعَلَّ اللَّهَ ﷻ صِفَةً أَزَلِيَّةً أَبَدِيَّةً مِنْ صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةِ، لَكِنَّ الَّذِي يَخْدُثُ هُوَ الْمَعْلُومُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ﴾ [مائدة: ٣١]. فَهَذَا عِلْمٌ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَعْلُومِ، وَالْمَعْلُومُ مُخْدَثٌ، أَمَّا الْعِلْمُ الْأَزَلِيُّ الَّذِي هُوَ وَصْفُ اللَّهِ فَهُوَ سَابِقٌ، فَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَنْ يُجَاهِدُ وَمَنْ لَا يُجَاهِدُ، وَمَنْ يَصْبِرُ وَمَنْ لَا يَصْبِرُ، عَالِمٌ مِنْ قَبْلُ، لَكِنَّ هَذَا عِلْمٌ لِلشَّيْءِ بَعْدَ وَجُودِهِ فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَعْلُومِ حِينَ حَدُوثِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٦- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي عُمَرَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا فَقَالَ ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِيًّا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لِي يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ أَوْ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ بِهِ»^(١).

هذا الحديث: يَقُولُ فِيهِ أَبُو مُوسَى - وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ - كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَلَّمَهُمْ إِذَا عَلَوْا كَبَّرُوا وَإِذَا هَبَطُوا وَادِيَا سَبَّحُوا، وَالْمُنَاسِبَةُ فِي هَذَا ظَاهِرَةٌ؛ لِأَنَّ الْعُلُوَّ ارْتِفَاعٌ، فَإِذَا ارْتَفَعَ الْإِنْسَانُ فَقَدْ بَرَى فِي نَفْسِهِ الْكِبْرِيَاءَ فَيَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، إِذَا نَزَلَ، فَالنُّزُولُ سُفْلٌ، وَالسُّفْلُ نَقْصٌ، فَكَانَ مِنَ الْمُنَاسِبِ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهُ ﷻ.

فَإِذَا نَزَلَتْ وَادِيَا فَقُلْ: ﷻ، وَإِذَا عَلَوْتَ، فَقُلْ: اللَّهُ أَكْبَرُ. وَمِثْلُ ذَلِكَ فِيمَا يَظْهَرُ، الطَّائِرَةُ عِنْدَ صُعُودِهَا، تَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَعِنْدَ نَزُولِهَا تَقُولُ: ﷻ، لِأَنَّ هَذَا النُّزُولُ إِلَى أَسْفَلَ.

وَفِي الْحَدِيثِ: كَانَ الصَّحَابَةُ يُكَبِّرُونَ، وَلَكِنَّهُمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ، وَيُسْقِطُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ». يَعْنِي: هَوِّنُوا عَلَيْهَا، لَا تَشْقُوا عَلَيْهَا، «فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا». وَهَنَا قَالَ: «لَا تَدْعُونَ». وَلَمْ يَقُلْ: لَا تُكَبِّرُونَ لِأَصَمٍّ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الذِّكْرَ يَتَضَمَّنُ الدَّعَاءَ، فَإِنَّ الذَّاكِرَ إِنَّمَا يَذْكُرُ اللَّهَ لِيُشَبِّهَ عَلَى ذَلِكَ، فَهُوَ دَعَاءٌ بِلِسَانِ الْحَالِ، فَلَوْ سَأَلْتَ الذَّاكِرَ لِمَ تَذْكُرُ اللَّهَ؟ لَقَالَ: لِيُشَبِّهَنِي. فَلِهَذَا قَالَ: «لَا تَدْعُونَ». وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ يُكَبِّرُونَ وَيَدْعُونَ فَحُذِفَ الدَّعَاءُ مِنَ التَّكْبِيرِ وَذُكِرَ التَّكْبِيرُ، وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ أَقْرَبُ: أَنَّ الذِّكْرَ دَعَاءٌ؛ لِأَنَّ الذَّاكِرَ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِلِسَانِ حَالِهِ.

❖ قَوْلُهُ: «لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ». يَعْنِي: لَا يَسْمَعُ حَتَّى تَرَفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ لَهُ، «وَلَا غَائِبًا» يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُكُمْ، «إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا»، فَقَوْلُهُ: «سَمِيعًا» ضِدُّ أَصَمٍّ، وَ «بَصِيرًا» ضِدُّ أَعْمَى، وَهَنَا لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلأَوَّلِ بِالْعَمَى، لَكِنْ ذَكَرَهُ فِي الثَّانِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَائِمًا يَقْرُنُ بَيْنَ اسْمَيْ السَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ؛ لِأَنَّ فِي السَّمْعِ إِدْرَاكَ الْمَسْمُوعَاتِ، وَفِي الْبَصَرِ إِدْرَاكَ الْمَرْتَبَاتِ. وَقَوْلُهُ «قَرِيبًا» ضِدُّ قَوْلِهِ: «غَائِبًا».

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: مَا فِي التَّرْجَمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: بَابُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

❖ وَقَوْلُهُ: «تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا». وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(١). وَهُمْ عَلَى رَوَاحِلٍ فَهُوَ ﷻ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ عُنُقِ الرَّاحِلَةِ.

❖ وَقَوْلُهُ: «بَصِيرًا» الْبَصِيرُ هُوَ الَّذِي يُدْرِكُ الْمُبْصِرَاتِ، فَهُوَ جَلٌّ وَعَلَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ بَلْ يَدْرِكُهُ.

❖ وَقَوْلُهُ «قَرِيبًا» هَلِ الْمُرَادُ الْقَرَبُ بِالذَّاتِ أَوِ الْمُرَادُ الْقَرَبُ بِالْعِلْمِ؟

الْجَوَابُ: أَنَّهُ إِذَا أَجْرَيْنَا اللَّفْظَ عَلَى ظَاهِرِهِ، قُلْنَا: إِنَّهُ قَرِيبٌ بِذَاتِهِ، وَقَدْ نَصَّ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ «الصَّوَاغِقِ الْمَرْسَلَةِ» عَلَى أَنَّ قَرَبَهُ ذَاتِيٌّ^(٢). أَيْ قَرِيبٌ بِذَاتِهِ.

وَلَكِنْ يُشْكِلُ عَلَيْنَا إِذَا كَانَ قَرِيبًا بِذَاتِهِ، أَلَيْسَ هُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ؛ إِذَنْ كَيْفَ يُمَكِّنُ الْجَمْعُ؟

نَقُولُ: إِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ لَا تُشَبِّهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلِهَذَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»: إِنَّ اللَّهَ

(١) رواه مسلم (٢٧٠٤).

(٢) انظر: «الصَّوَاغِقِ الْمَرْسَلَةِ» (٢/٤٥٤).

قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ، عَلَيَّ فِي دُنُوِّهِ ^(١). فَهُوَ عَيْنُ جَامِعٍ بَيْنَ الْعُلُوِّ وَبَيْنَ الْقَرَبِ وَهُوَ قَرَبٌ حَقِيقِيٌّ. وَالْأَصْلُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُضَافُ إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ يُضَافُ إِلَى ذَاتِهِ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، لَكِنْ يَكُونُ مِنْ لَوَازِمِهِ أَشْيَاءٌ، فَمِثْلًا قُرْبُهُ يَلْزَمُ مِنْهُ عِلْمُهُ، وَسَمْعُهُ، وَبَصَرُهُ، وَتَدْبِيرُهُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَقَرَبُ اللَّهِ عَيْنُ قَسَمِهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى قِسْمَيْنِ: قَرَبٌ عَامٌّ، وَقَرَبٌ خَاصٌّ. فَالْقَرَبُ الْعَامُّ: هُوَ قُرْبُ الْإِحَاطَةِ، وَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَاسْتَدَلَّ هَؤُلَاءِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ^(٢)﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْبَيْنِ وَعَنِ الشَّامِلِ قَعِيدٌ ^(٣)﴾ ^(٤) [١٦٦-١٦٧]. قَالُوا: إِنَّ هَذَا عَامٌّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾. وَالْقَرَبُ الْخَاصُّ: مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ^(٥)﴾ [١٨٦]. يَعْنِي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ إِذَا دَعَوْنِي ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فَيَكُونُ هَذَا الْقَرَبُ خَاصًّا بِمَنْ يَدْعُوهُ، وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ» ^(٦). وَهَذَا قَرَبُ الْعَابِدِ، فَالْقَرَبُ الْخَاصُّ قَرَبُ الدَّاعِي وَقَرَبُ الْعَابِدِ، وَالْعَامُّ الشَّامِلُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

وَلَكِنْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَبَى ذَلِكَ ^(٧) وَقَالَ: إِنَّ الْقَرَبَ لَا يَنْقَسِمُ، فَالْقَرَبُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْقَرَبَ وَهُوَ الدَّاعِي وَالْعَابِدُ. قَالَ: الدَّاعِي مَعَ اللَّهِ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَالْعَابِدُ كَذَلِكَ يُنَاجِي رَبَّهُ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَرِيبًا مِنْهُ، أَمَا غَيْرُ ذَلِكَ فَلَا، وَأَجَابَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ^(٨)﴾. فَقَالَ: إِنَّ هَذَا قَرَبُ الْكُتُبَةِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾. فَإِنَّ «إِذَا» ظَرْفٌ لَا يَدُلُّ عَلَى مِثْلِ، وَلَا مُتَعَلِّقٌ لَهُ فِيهَا تَعَلُّمٌ إِلَّا كَلِمَةُ أَقْرَبُ الَّتِي سَبَقَتْهُ، يَعْنِي: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ حِينَ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ. فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْقَرَبِ هُنَا قَرَبُ الْمَلَائِكَةِ. قَالَ: وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْمُحْتَضَرِ: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ^(٩) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ^(١٠)﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ^(١١)﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ^(١٢) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(١٣)﴾ [٨٧-٨٨]. قَالَ: وَلَمْ يَرِدْ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ الْقَرَبُ الْعَامُّ لِكُلِّ أَحَدٍ، بِخِلَافِ الْمَعِيَةِ، فَالْمَعِيَةُ وَرَدَتْ عَامَّةً وَخَاصَّةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاْعِيَهُمْ وَلَا خُفْيَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ رَأْيَانٍ مَا كَانُوا ^(١٤)﴾ [١٧].

وَوَرَدَتْ خَاصَّةً مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ^(١٥)﴾ [١٧٨]. لِأَنَّ الْمَعِيَةَ أَوْسَعُ مِنَ الْقَرَبِ، فَالْقَرَبُ دُنُوٌّ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ انْتِفَاءُ الْعُلُوِّ، وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا؛ لِأَنَّ

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/١٤٣) «العقيدة الواسطية».

(٢) رواه مسلم (٤٨٢).

(٣) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٥/١٧).

الإنسان ما يُتَصَوَّرُ كيف تكون هذه الصفات لله ﷻ، فهي أعظم من أن يُدركها العقل، فإذا كان الله ﷻ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات والأرض، والكرسي موضع القدمين، فكيف بالعرش؟!^(١). فكيف بالرب ﷻ؟ شيء لا يمكن تصوُّره يَعْنِي لا يُمكن الإحاطة به.

إذا: القرب يُنْقَسِمُ عند بعض العلماء إلى قسمين، والراجح أنه لا يُنْقَسِمُ، وأنه خاص بالعايد والداعي فقط. **قوله:** «ثم أتى علي، وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله». **قوله:** «في نفسي». يَعْنِي: لا أَنْطِقُ به بلساني.

قوله: «لا حول». جملة مركبة من «لا» النافية للجنس واسمها، وخبرها محذوف؛ أي: لا حول كائن ولا قوة كائنة إلا بالله، ومعنى الحَوْل: التَّحَوُّلُ من حالٍ إلى حالٍ، فلا تَحَوَّلَ لنا من حالٍ إلى حالٍ إلا بالله. **وقوله:** «ولا قوة». القوة معروفة، وهي ضد الضعف، ولا قوة لنا أيضًا إلا بالله، والباء هنا للسياحة أو للإعانة، والمعنى لا نَسْتَطِيعُ أن نَتَحَوَّلَ ولا نَقْوَى على ذلك إلا بالله ﷻ.

وهذه الكلمة كلمة استعانة، وليست كلمة استرجاع، خلافاً لاستعمال العامة لها؛ فإن العامة يَسْتَعْمِلُونَهَا للاسترجاع، فإذا أُصِيبُوا بالمصيبة قالوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

والصواب: أنك إذا أُصِبتَ بمصيبة تقول: إنا لله، وإنا إليه راجعون. لكن لاستعمالهم إيَّاه وجه، وهو: كأنهم يَسْتَعِينُونَ بها على تحمُّلِ الصبر وتلقِّي المصيبة، لكن ما وَرَدَ -وهو الاسترجاع- أفضل وأحسن. **وقوله:** «فقال لي: يا عبد الله بن قيس». عبد الله بن قيس هو أبو موسى.

قوله: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة -أو قال- ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة». فينبغي للإنسان كلما أصابه أمرٌ مهمٌ أن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. لأنها كلمة استعانة، ولهذا نقول في إجابة المؤذن إذا قال: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح. نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٧، ٧٣٨٨ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ

(١) روى ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٧١، ٧٢)، والدارمي في «الرد على المريسي» (ص ٧١، ٧٣)، وأبو جعفر ابن أبي شيبة في «العرش» (٦١)، وعبد الله بن أحمد في «السنن» (ص ٧١) والحاكم في «المستدرک» (٢/ ٢٨٢)، والطبراني في «الکبیر» (١٢٢٠٤) عن سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره وقال الحاكم في «المستدرک» (٢/ ٢٨٢) صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٢٣/ ٦): رجاله رجال الصحيح. وقال الذهبي في «مختصر العلو» (ص ١٠٢): رواه ثقات، وقال الشيخ الألباني في «تعليقه على مختصر العلو» (ص ١٠٢) وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات. وقد روى هذا الحديث مرفوعاً ولا يصح، راجع لذلك «التهذيب» (٤/ ٣١٣) والعلل لابن الجوزي و«شرح الطحاوية» (٢/ ٣٦٩).

فِي صَلَاتِي قَالَ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفُزْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَغْفِرَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(١).

هذا أبو بكر رضي الله عنه أحب الناس إلى الرسول ﷺ حتى إنه قال: «لو كنتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَأَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ»^(٢). سأل النبي ﷺ وهو أنصح الخلق للخلق، ولأسيبًا لأبي بكر الذي هو أحب الناس إليه في أشرف عبادة يتعبَّد بها الإنسان لرَبِّه، وهي الصلاة، فهذا الدعاء الذي علَّمه الرسول ﷺ لأبي بكر يَبَيِّنُ لك عِظَمَهُ؛ أَنَّهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَبِتَوْجِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي أَشْرَفِ الْأَعْمَالِ، وَهِيَ الصَّلَاةُ، إِذْ هُوَ دَعَاءٌ عَظِيمٌ.

❖ وقوله: «في صلاتي». لم يُبَيِّنْ موضعه مِنَ الصَّلَاةِ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي السُّجُودِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ بِالدَّعَاءِ»^(٣) وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الشَّهَادَةِ الْآخِرَةِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: لَمَّا ذَكَرَ الشَّهَادَةَ: «ثُمَّ لِيَتَخَيَّرَ مِنَ الدَّعَاءِ أَعْجَبَهُ»^(٤). وَلَعَلَّ هَذَا أَوَّلَى، - أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الشَّهَادَةِ الْآخِرَةِ، يَغْنِي عِنْدَ السَّلَامِ - لِأَنَّ الشَّهَادَةَ الْآخِرَةَ فِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَصَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى وَجْهِ مَشْرُوعٍ لِلتَّعْيِينِ، فَإِنَّا مَأْمُورُونَ فِي الشَّهَادَةِ الْآخِرَةِ بِالتَّحِيَّاتِ لِلَّهِ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ وَالتَّبَرُّكِ عَلَى رَسُولِهِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مُقَدِّمَةُ الدَّعَاءِ مَأْمُورًا بِهَا، فَيَكُونُ أَوَّلَى مَا يُذَكَّرُ هَذَا الدَّعَاءُ عِنْدَ السَّلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَةِ الْآخِرَةِ.

وَفِي هَذَا الدَّعَاءِ جَمْعٌ لَجَمِيعِ أَنْوَاعِ الدَّعَاءِ؛ لِأَنَّ الدَّعَاءَ يَشْمَلُ إِمَّا الثَّنَاءَ عَلَى الْمَدْعُوِّ أَوْ الْاعْتِرَافَ بِالذَّنْبِ وَذِكْرَ الْحَالِ، أَوْ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا، وَهَذَا الْحَدِيثُ جَمَعَ بَيْنَ هَذَا كُلِّهِ.

❖ فقوله: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا». هذه ذِكْرُ حَالِ الدَّاعِي، وَذِكْرُ حَالِ الدَّاعِي وَسِيلَةٌ مِنْ وَسَائِلِ إِجَابَةِ الدَّعَاءِ، كَمَا قَالَ مُوسَى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٥) ﴿الزُّمَرُ: ٢٤﴾. فَمَا ذَكَرَ إِلَّا حَالَهُ فَقَطْ وَهُوَ أَنَّهُ فَقِيرٌ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ.

فَفِي هَذَا الدَّعَاءِ ذِكْرُ الْحَالِ؛ أَيِ: حَالِ الدَّاعِي، وَاعْتِرَافُهُ بِالْحَالِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَبِمَاذَا يَكُونُ ظَلَمٌ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ؟

الْجَوَابُ: أَنَّهُ يَكُونُ إِمَّا بِتَرْكِ الْوَاجِبِ أَوْ بِفَعْلِ الْمَحْرَمِ.

❖ وقوله: «ظلمًا كثيرًا». وَرَدَّتْ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ «كَبِيرًا»^(٦)، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: وَالْأَفْضَلُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا فَيَقُولُ: ظَلَمًا كَثِيرًا كَبِيرًا. وَلَكِنْ هَذَا ضَعِيفٌ، أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٥) بنحوه.

(٢) تقدم تخرجه.

(٣) تقدم تخرجه.

(٤) تقدم تخرجه.

(٥) رواه مسلم (٢٧٠٥).

والصواب: أن نقول بأرجحهما، وأرجحها «كثيراً» فيقتصر عليها.

❖ وقوله: «ولا يغفر الذنوب إلا أنت» هذا ثناء على الله، فذكر حال نفسه، وذكر الثناء على ربه، المراد بالذنوب هنا، الذنوب التي بين العبد وبين ربه، فإنه لا يغفرها إلا الله. أما الذنوب التي بينه وبين غيره من الخلق فإن الإنسان يغفرها لغيره، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَدِهِمْ عُدْوَالَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا تَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩]. إذا: فالذنوب التي بين الإنسان وبين الناس يغفرها الناس، والذنوب التي بينك وبين الله لا يغفرها إلا الله ﷻ.

❖ وقوله: «ولا يغفر الذنوب إلا أنت» الذنوب هي المعاصي والآثام التي تكون على الإنسان.

❖ وقوله: «فاغفر لي». هذا الدعاء، لكن هذا الدعاء سبقه ثناء واعتراف.

❖ وقوله: «من عندك مغفرة». أضافها إلى الله، فقال: من عندك لأن العطاء يكون على حسب المُعْطِي، فإذا كانت من عند الله فلا بد أن تكون مغفرة عظيمة لا تغادر ذنباً.

❖ وقوله: «إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». هذا ثناء أيضاً على الله تعالى وتوسل إليه باسمه الغفور الرحيم.

هل في هذا الحديث ذكر للسمع والبصر، لأن الترجمة: بَابُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾؟

قال ابن حجر رحمه الله: في «الفتح»:

وقد تقدم في أواخر صفة الصلاة وفي الدعوات مع شرحه وبيان، وبيان من جعله من رواية عبد الله بن عمرو عن أبي بكر الصديق فجعله من مسند أبي بكر، وأشار ابن بطال إلى أن مناسبتة للترجمة أن دعاء أبي بكر لما علمه النبي ﷺ يقتضي أن الله سميع لدعائه ومجازيه عليه.

وقال غيره: حديث أبي بكر ليس مطابقاً للترجمة إذ ليس فيه ذكر صفتي السمع والبصر، لكنه ذكر لازمهما من جهة أن فائدة الدعاء إجابة الداعي لمطلوبه، فلولا أن سمعه سبحانه يتعلق بالسراً كما يتعلق بالجهراً لما حصلت فائدة الدعاء أو كان يقيد به بمن يجهر بدعائه. انتهى من كلام ابن المنير ملخصاً. وقال الكزمازي: لما كان بعض الذنوب مما يُسمعُ وبعضها مما يُبصرُ لم تقع مغفرته إلا بعد الإسماع والإبصار.

تنبيه: المشهور في الروايات «ظلماً كثيراً» بالمثلثة، ووقع هنا للقائسي بالموحدة. انتهى^(١).

على كل حال: هذه المناسبات التي ذكروها والوازم فيها نظر؛ لأننا لو أخذنا بالوازم لوجدنا أساء كثيرة تدخل في ضمن الترجمة، ولكن الذي يظهر - والله أعلم - أن البخاري رحمه الله جعله في هذا الباب في هذه الترجمة؛ لأنه تضمن المغفرة والرحمة، ولكن حتى لو قلنا بهذا ما أستطيع أن أقول: إن

هناك مناسبة بينة، وأما كونه من لازم إجابة الدعاء أن يكون قد سَمِعَ وأَبْصَرَ، فهذا لا يكفي في المناسبة والله أعلم.

المهم: أننا نقول بالنسبة للدعاء، تارة يكون بذكر حال الداعي فقط؛ مثل قول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(١). فهذا ذكر لحاله.

وتارة يكون بالدعاء المباشر بأن يقول الإنسان: رَبِّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي. كما في الجلسة بين السجدين^(٢).
وتارة يكون بالشأن على الله المجرد كقول النبي ﷺ: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»^(٣). إلى آخره.

وتارة يكون بالجمع بينهما، بين اثنين أو بين الثلاثة، وهذا الحديث تَصَمَّنَ الجمع بين الثلاثة.

قَالَ الْقَسْطَلَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول: والمقصود من الحديث في هذا الباب أن المدعو لابد أن يكون سميعاً؛ يَسْمَعُ دعوة الداعي إذا دَعَاهُ، بصيراً بحاله، فيوصل إليه ما طَلَبَ بقدرته، وإلا تكون دعوته ضلالاً وشُدَى، ففي الدعاء واستجابة الله تعالى لعبده الداعي برهان على أنه سميعٌ بصيرٌ قادرٌ حيٌّ عليمٌ، وقد قال الله تعالى فيمن يَدْعُو مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الاحقاف: ٥٠]. الآية.

وقال تعالى عن خليله إبراهيم في دعوته لأبيه: ﴿يَتَأْتِيَ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البقرة: ٤٧]. الآية. وقد قال ابن عقيل^(٤): قد نَدَبَ الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معان:

أحدها: الوجود، فإنَّ مَنْ لَيْسَ بموجودٍ لا يُدْعَى.

الثاني: الغنى، فإنَّ الْفَقِيرَ لا يُدْعَى.

الثالث: السمع، فإنَّ الْأَصَمَّ لا يُدْعَى.

الرابع: الكرم، فإنَّ الْبَخِيلَ لا يُدْعَى.

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة: باب «الدعاء بين السجدين» (رقم ٨٥٠)، والترمذي في الصلاة: باب ما يقول بين السجدين (رقم ٢٨٤)، وابن ماجه في إقامة الصلاة: باب ما يقول بين السجدين (رقم ٨٩٨)، والحاكم (٢٧١/١)، والبيهقي (١٢٢/٢)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٨٥)، والبيهقي في «سننه الكبرى» (٢٨٤/٤)، (١١٧/٥)، وقال: هذا مرسل، وقد روى عن مالك بإسناد آخر موصولاً، ووصله ضعيف.

ورواه البيهقي أيضاً في «شعب الإيثار» (٤٦٢/٣) بلفظ: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل قولي وقول الأنبياء قبلي: لا إله إلا الله...» الحديث، وزاد بعد: «وله الحمد» يحيى ويميت، بيده الخير.

قال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢٥٤/٢): في إسناده حماد بن أبي حميد، وهو ضعيف.

(٣) كلامه في «الطحاوية» (٤٥٨/١).

الخامس: الرحمة، فَإِنَّ الْقَاسِي لَا يُدْعَى.

السادس: القدرة، فَإِنَّ الْعَاجِزَ لَا يُدْعَى.

وَمَنْ يَقُولُ بِالطَّبَاعِ يَعْلَمُ أَنَّ النَّارَ لَا يَقَالُ لَهَا كَفَى. وَلَا النِّجْمُ يَقَالُ لَهُ: أَصْلَحْ مِرَاجِي؛ لِأَنَّ هَذِهِ عِنْدَهُمْ مَوْثَرَةٌ طَبْعًا لَا اخْتِيَارًا، فَسَرَعَ الدُّعَاءُ وَصَلَاةُ الْاسْتِسْقَاءِ؛ لِيُبَيِّنَ كَذِبَ هَذِهِ الطَّبَاعِ.

وَفَعَلَ السَّمْعُ يَرَادُ بِهِ أَرْبَعَةٌ مَعَانٍ: أَحَدُهَا: سَمْعُ إِدْرَاكِ وَمُتَعَلِّقُ الْأَصْوَاتِ.

وَالثَّانِي: سَمْعُ فَهْمٍ وَعَقْلٍ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَعَانِي.

وَالثَّالِثُ: سَمْعُ إِجَابَةٍ، وَإِعْطَاءُ مَا سُئِلَ.

الرَّابِعُ: سَمْعُ قَبُولٍ وَانْقِيَادٍ.

* فَمِنْ الْأَوَّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَدِّثُكَ فِي زَوْجِهَا﴾. ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي قَالَوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكَ﴾.

* وَمِنْ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَعَيْنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [التوبة: ١٠٤]. أَي سَمِعَ فَهْمٍ وَعَقْلٍ وَاسْتِجَابَةٍ.

* وَمِنْ الثَّالِثِ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ».

* وَمِنْ الرَّابِعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ﴾ [التوبة: ٤٢]. أَي قَابِلُونَ لَهُ وَمُتَقَادُّونَ. وَهَذَا الْأَوَّلُ يَعْنِي ذَكَرُوا أَنَّ الْمُنَاسِبَةَ فِيهِ الْمُلَازِمَةُ.

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٨٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ جِبْرِيلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَادَانِي قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ»^(١).

الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ». فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَعَلُّقِ سَمْعِ اللَّهِ تَعَالَى بِكُلِّ مَا يُسْمَعُ.

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٠- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾.

إِنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ الْقَادِرَ، وَالْقَدِيرَ، وَالْمُقْتَدِرَ، لَكِنَّ الْقَادِرَ جَاءَتْ مُقِيدَةً، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِمَّنْ فَوْقَكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

أَمَّا الْقَدِيرُ وَالْمَقْدَرُ فَجَاءَتْ مُطْلَقَةً، مِثْلُ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٥٤]. وَجَاءَتْ مُقْبِدَةً، لَكِنُّهَا بِالْعُمُومِ ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١٠٩]. وَالْمَقْدَرُ جَاءَتْ مُطْلَقَةً كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْدِرٍ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٥٥].

وَهَذِهِ كُلُّهَا تَعُودُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ الْقُدْرَةُ، وَالْقُدْرَةُ هِيَ: فِعْلُ الْفَاعِلِ بَدُونِ عَجْزٍ، فَالَّذِي يُقَابِلُ الْقُدْرَةَ هُوَ الْعَجْزُ، وَالِدَلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعُجْزِهِ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [التَّوْحِيدُ: ٤٤]. قَالَ: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعُجْزِهِ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٤٤]. وَعَلَّلَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلِيمٌ وَقَدِيرٌ، وَالْعِلْمُ ضِدُّ الْجَاهِلِ، وَالْقَدِيرُ ضِدُّ الْعَاجِزِ، وَالْجَاهِلُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ يُعْجِزُهُ الشَّيْءُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ قَادِرًا غَيْرَ عَاجِزٍ، لَكِنْ لِحِجْلِهِ بِالشَّيْءِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَالِمًا، لَكِنَّهُ عَاجِزٌ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ. ثُمَّ الْقُدْرَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، عَامَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [التَّوْحِيدُ: ١١٣]. فَلَمْ تُعْلَقِ الْقُدْرَةُ بِالْمَشِيئَةِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ وَمَا لَا يَشَاءُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٢٩]. فَالْتَّعْلُقُ بِالْمَشِيئَةِ هُنَا لَا يَعُودُ عَلَى الْقُدْرَةِ، بَلْ يَعُودُ عَلَى الْجَمْعِ؛ يَعْني: إِذَا شَاءَ جَمْعُهُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنْهُ، بَلْ هُوَ قَدِيرٌ عَلَيْهِ.

وَمِنْ هُنَا نَعْرِفُ أَنَّ قَوْلَ بَعْضِ النَّاسِ: إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. خَطَأٌ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. خَصَّصُوا الْقُدْرَةَ بِمَا يَشَاءُ، فَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الَّذِي لَا يَشَاءُهُ، ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْنَا مِثْلُ الْمَعْتَزَلَةِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ حَيْثُ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَشَاءُ أَفْعَالَ الْعِبَادِ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ اللَّهُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى أَفْعَالِ الْعِبَادِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَشَاءُهَا، فَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ تُنْبِئَ الْقَائِلُونَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ آخِرِ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةِ حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: «إِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»^(١). فَهَذَا مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلٍ خَاصٍّ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِفِعْلٍ خَاصٍّ يُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَيْهِ إِذَا شَاءَ، وَلِهَذَا قَالَ: «عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ». وَلَمْ يَقُلْ: قَدِيرٌ. لِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلٍ خَاصٍّ، فَمَثَلًا لَوْ رَأَيْنَا أَمْرًا اسْتَعْرَبْنَاهُ، إِمَّا لَا اسْتِعْبَادَهُ، أَوْ لِعَظَمَتِهِ، فَإِنَّا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ. يَعْني فَلِمَا شَاءَ هَذَا الشَّيْءُ كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ.

أَمَّا إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَأْتِيَ بِالْإِسْمِ وَالْوَصْفِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَإِنَّا لَا نَقُولُ: عَلَى مَا يَشَاءُ. خَوْفًا مِنْ أَنْ يُتَوَهَّمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَا لَا يَشَاءُهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ عَلَى مَا يَشَاءُ وَمَا لَمْ يَشَأْ، لَكِنْ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

وَيَذَكِّرُ أَنَّ جُنُودَ الشَّيْطَانِ قَالُوا لَهُ: تَرَاكَ تَفْرَحُ إِذَا مَاتَ الْعَالِمُ أَكْثَرَ مِمَّا تَفْرَحُ إِذَا مَاتَ الْعَابِدُ - لِأَنَّ الْعَالَمَ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ الْعَابِدِ - فَقَالَ: نَعَمْ: إِنِّي أَفْرَحُ بِمَوْتِ عَالِمٍ أَكْثَرَ مِمَّا أَفْرَحُ بِمَوْتِ أَلْفِ عَابِدٍ،

وَسَأَخْبِرُ الْعَالِمَ وَالْعَابِدَ. فَأَرْسَلَ جُنُودَهُ إِلَى الْعَابِدِ فَقَالُوا لَهُ: هَلْ يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي جَوْفِ بَيْضَةٍ؟ فَأَجَابَ الْعَابِدُ عَلَى طَبِيعَتِهِ فَقَالَ: لَا يَقْدِرُ أَنْ يَجْعَلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي جَوْفِ بَيْضَةٍ. فَرَجَعَ الْجُنُودُ إِلَى زَعِيمِهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّهُ قَالَ: لَا يَقْدِرُ، قَالَ: إِذَنْ نَفَى قُدْرَةَ اللَّهِ. ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى الْعَالِمِ، فَقَالُوا لَهُ: هَلْ يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي جَوْفِ بَيْضَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢١) ﴿يَسِّرْ﴾ [٢١: ٤٢]. فَإِذَا أَمَرَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَكُونَا فِي الْبَيْضَةِ صَارَتْ فِيهَا إِمَّا أَنْ تَصْغُرَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَإِمَّا أَنْ تَكْبُرَ الْبَيْضَةُ^(١).

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ الْقُدْرَةَ تَتَعَلَّقُ بِكُلِّ شَيْءٍ؛ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٠). لَكِنْ ذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْقُدْرَةَ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَحِيلِ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَحِيلَ مُسْتَحِيلٌ وَجُودُهُ. مِثَالُ ذَلِكَ: هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُتَحَرِّكُ سَاكِنًا فِي حَالٍ تَحَرُّكِهِ؟ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْمُحَرِّكُ سَاكِنًا فِي حَالٍ تَحَرُّكِهِ، قَالُوا: فَلَوْ قِيلَ: هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ الْمُتَحَرِّكُ سَاكِنًا فِي آتٍ وَاحِدٍ؟ لَا يُمَكِّنُ؛ لِأَنَّهُ إِنْ تَحَرَّكَ لَمْ يَسْكُنْ، وَإِنْ سَكَنَ لَمْ يَتَحَرَّكْ، أَمَّا اللَّهُ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمُتَحَرِّكُ سَاكِنًا، يَغْنِي بِثَبُوتِهِ إِلَى أَنْ يَكُونَ سَاكِنًا، وَالسَّاكِنُ إِلَى أَنْ يَكُونَ مُتَحَرِّكًا. وَلِهَذَا قَالَ السِّفَارِينِيُّ فِي عَقِيدَتِهِ: وَاقْتَدَرَ بِقُدْرَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمُمْكِنٍ^(٢).

لِأَنَّ الْمُسْتَحِيلَ عَدَمٌ، لَيْسَ بِشَيْءٍ، لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ قَدْ يَحْتَوِي مِثْلَ هَذَا التَّفْصِيلِ؛ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّ الْمُسْتَحِيلَ عَلَى اسْمِهِ، لَكِنَّ الْعَامِّيَّ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُفَصِّلَ لَهُ هَذَا التَّفْصِيلَ؛ لِأَنَّ عَقْلَهُ لَا يُدْرِكُ هَذَا الشَّيْءَ، فَيُقَالُ لِلْعَامِّيِّ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فَقَطْ.

وَقَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ الْجَلَالَيْنِ فِي سُورَةِ الْهَادَةِ تَعْلِيْقًا عَلَى قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٨٩) ﴿الْقُلُوبُ﴾ [١٨٩: ١٨٩]. قَالَ: وَخَصَّ الْعَقْلُ ذَاتَهُ^(٣). أَيْ ذَاتَ اللَّهِ، فَلَيْسَ عَلَيْهَا بِقَادِرٍ. وَمَا هُوَ الْعَقْلُ الَّذِي خَصَّهَا، وَعَقْلٌ مَنْ؟ إِنَّهُ عَقْلٌ مَنْ لَمْ يَقْدِرِ اللَّهُ حَقَّ قُدْرِهِ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ: خَصَّ الْعَقْلُ ذَاتَهُ، فَلَيْسَ عَلَيْهَا بِقَادِرٍ؟ إِنْ أُرِدْتَ، فَلَيْسَ عَلَيْهَا بِقَادِرٍ أَيْ: عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُ، فَتَقُولُ: هَذَا لَمْ تَتَعَلَّقْ بِهِ الْقُدْرَةُ أَصْلًا. أَوْ لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُهْلِكَ نَفْسَهُ، فَهَذَا لَمْ تَتَعَلَّقْ بِهِ الْقُدْرَةُ أَصْلًا، أَمْ تُرِيدُ أَنْ تَنْفِي الْأَفْعَالَ الْاِخْتِيَارِيَّةَ كَمَا هُوَ مُرَادُهُ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ، وَلَا عَلَى أَنْ يَسْتَوِيَ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَا عَلَى أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا عَلَى أَنْ يَضْحَكَ، وَلَا عَلَى أَنْ يَغْضَبَ، فَإِنَّا لَا نَوَافِقُكَ عَلَى هَذَا.

(١) «مكائد الشيطان» لابن أبي الدنيا ص ٥٠ (٣٠).

(٢) انظر «الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية» (ص ٥٢). (البيت ٣٧).

(٣) انظر «تفسير الجلالين» (١/ ١٦١).

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْأَشَاعِرَةَ وَكَثِيرًا مِمَّنْ وَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقُومَ الْأَفْعَالُ الْاِخْتِيَارِيَّةُ فِي اللَّهِ ﷻ، يَعْنِي: مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَ فَعَلًا يَخْتَارُهُ أَبَدًا مِثْلَ النُّزُولِ وَالْاِسْتَوَاءِ وَالْمَجِيءِ وَالضَّحِكِ وَالْغَضَبِ، وَهَذَا أَصْلٌ مِنْ أَصُولِهِمْ، أَنَّ الْأَفْعَالَ الْاِخْتِيَارِيَّةَ لَا تَقُومُ بِذَاتِ اللَّهِ، فَلِهَذَا قَالَ بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ الْفَاسِدَةِ، قَالَ: خَصَّ الْعَقْلُ ذَاتَهُ، فَلَيْسَ عَلَيْهَا بِقَادِرٍ، وَقَدْ عَرَفْتُمُ التَّفْصِيلَ فِي هَذَا، فَقُلْنَا، إِنَّ أَرَادَ بِذَلِكَ مَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللَّهِ، فَهَذَا حَقٌّ لَنْ يَكُونَ، لَكِنَّا لَا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَيْهِ. بَلْ نَقُولُ: إِنَّ الْقُدْرَةَ لَا تَتَعَلَّقُ بِهِ أَصْلًا، وَإِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَفْعَالُ اللَّهِ الْاِخْتِيَارِيَّةَ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ، أَوْ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ، أَوْ يَسْتَوِيَ إِلَى السَّاءِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِنَّا لَا نَقْرَهُ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ [١٨: ١٨]. وَقَالَ: ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾ ﴿١٩﴾ [١٩: ١٩]. وَقَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾ ﴿١٧﴾ [١٧: ١٧]. ﴿[١٧: ١٧]﴾

ولهذا ينبغي لطالب العلم إذا أتى لمثل هذه الكلمات الخطيرة أن يُعَلِّقَ عَلَى الْكِتَابِ إِذَا كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ يَدْفَعُ بِهِ هَذَا الْخَطَأَ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ رَبُّهَا يُقْرَأُ مِنْ بَعْدِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٠- حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْمَوَالِي قَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلْمِيُّ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الْاِسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ - ثُمَّ تَسْمِيهِ بِعَيْنِهِ - خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ قَالَ أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ» سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ﷻ الْقَدِيرِ وَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْقُدْرَةِ، وَأَنَّ الْقَدِيرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْعَامَةِ، وَأَنَّ الْقُدْرَةَ صِفَةُ ذَاتِيَّةٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُصِيفًا بِهَا، وَأَنَّ حَدُوثَ الْمَقْلُوبِ عَلَيْهِ لَا يَقْتَضِي حَدُوثَ الْقُدْرَةِ؛ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ لَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُصِيفًا بِهَا. كَمَا أَنَّ حَدُوثَ الْمَعْلُومِ لَا يُلْزِمُ مِنْهُ حَدُوثَ الْعِلْمِ، وَحَدُوثُ الْمَسْمُوعِ لَا يُلْزِمُ مِنْهُ حَدُوثَ السَّمْعِ، فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ وَلَا يَزَالُ سَمِيعًا، وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ وَلَا يَزَالْ عَالِمًا، لَكِنَّا الَّذِي يَحْدُثُ هُوَ الْمَسْمُوعُ أَوْ الْمَعْلُومُ أَوْ الْمَقْدُورُ عَلَيْهِ بِخِلَافِ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ، فَإِنَّ الصِّفَةَ نَفْسَهَا تَحْدُثُ كَالنُّزُولِ إِلَى السَّاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَهَذَا فَعْلٌ، حَدَثَ لَمَّا بَقِيَ ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ انْتَهَى النَّزُولُ، وَ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى﴾ [٢٢: ٥]. فَحَدَّثَ الْاِسْتَوَاءَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [٢٤: ١٢]. حَدَّثَ الْكَلَامَ، بَعْدَ مَجِيءِ مُوسَى.

فالصفات الفعلية تَجَدُّدُ أفرادها وآحادها، أمّا أصلها فهو قديم، لم يزل ولا يزال الله تعالى فعلاً لكنّ آحاد هذه الأفعال هي التي تحدث.

ولو قلنا بأنّه لا يمكن أن يحدث من الله فعل لزم أن يكون معطلاً عن الأفعال، وهذا نقص عظيم.

أما الصفات الذاتية فإنّها لا تحدث، فلم يزل ولا يزال متّصفاً بها، مثل العلم والقدرة والسمع والبصر، لكنّ الذي يحدث هو المخلوق المعلوم المسموع المُبْصَرُ المقدور عليه، ما أشبه ذلك، وهذا لا يعني أنّ القدرة تتجدد أو العلم أو السمع أو البصر.

فإن قال قائل: ما تقول في قوله تعالى: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

نقول: الجواب على هذا: أنّ العلم علمان؛ علم سابق: فيعلم ﷻ بأنّ هذا الشيء سيحدث، وعلم لاحق: فيعلم سبحانه أنّه حدث، وهذا العلم هو الذي يترتب عليه الجزاء؛ الثواب أو العقوبة، وحيث إنّ يكون التجدد ليس للعلم، ولكن للمعلوم، ويختلف تعلق العلم بالمعلوم قبل وجوده وبعد وجوده. ولهذا قال بعض العلماء: حتّى نعلم علم ظهور، وهذا معنى ما قلنا. وبعضهم قال: حتّى نعلم علماً يترتب عليه الثواب والعقاب. وهذا أيضاً معنى ما قلت.

ثم ذكر حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وفي سنده نكتة، يعني: قد تكون نادرة الوجود، وهي حديث الإنسان بحديث يحدث به غيره، يعني: لا يوجّه إلقاء الحديث إليه، بل يوجّه إلى غيره فيحدث به هو، وذلك في قوله: سمعتُ محمد بن المنكدر، يحدث عبد الله بن الحسن، يقول: أخبرنا جابر.

فهذا محمد بن المنكدر يحدث عبد الله بن الحسن، وابن أبي الموالى نقله عن محمد بن المنكدر مع أنّه ينقل الحديث إلى عبد الله بن الحسن، وهذا نادر؛ لأنّ الغالب أنّ الراوي يروي الحديث عن ألقاه إليه، ولكن لا حرج أنّ الإنسان إذا سمع شخصاً يحدث آخر أن ينقله عنه، وإن لم يوجّه الخطاب إليه، خصوصاً في الأمور الشرعية.

الشاهد من هذا الحديث: قوله: «أستقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ». فالبخاري رحمه الله عنده فهم عميق أتى بحديث الاستخارة ليبيّن أنّ أسماء الله سبحانه متضمنة لما تدلّ عليه من المعاني والصفات؛ لأنّ الباب هو باب: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ﴾ [الأنعام: ٦٥]. والقادر اسم فاعل، وحديث الاستخارة فيه: «بِقُدْرَتِكَ». فيبين أنّ أسماء الله متضمنة للصفات، وليست أسماء جامدة، لا تحمل معنى، بل هي أسماء مشتقة، تحمل المعنى الذي اشتقت منه، وهي القدرة.

وقوله: «يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الاسْتِخَارَةَ». يعني: طلب خير الأمرين، فاستخرت: طلبت منك خير الأمرين.

وقوله: «فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا». هذا عام يُراد به الخاص، والمراد به الأمور التي يُشكّل على

الإنسان وَجْهها، أمّا ما لا يُشكّل فلا حاجة للاستخارة فيه؛ لأنّ الإنسان عازمٌ، فلا يحتاج أن يستخير، ولهذا لو أراد الإنسان أن يسافر لزيارة قريب أو لتجارة، أو ما أشبه ذلك وهو عازمٌ، فإنّه لا حاجة للاستخارة، وإلا قلّنا: إنّ الإنسان يُصلي دائماً صلاة الاستخارة؛ لأنّ الإنسان حارثٌ وهَمّامٌ، دائماً يهَمُّ في الأمور، لكنّ المراد بذلك الأمور التي لا يتيسّر للإنسان وَجْهها، فيتحيّرُ وحيثُ لا ملجأ له إلّا الله ﷻ.

❖ وقوله: «كما يُعلّمُ السورة من القرآن». يدلُّ على الاهتمام بهذه الاستخارة كما علّمهم التشهد في الصلاة، وكما يُعلّمهم السورة من القرآن، وهذا الدعاء والثناء على الله ﷻ جَعَلَهُ اللهُ تعالى بديلاً لما كان يُضنّع في الجاهلية، فقد كانوا يَسْتَقْسِمُونَ بالأزلام؛ يعني: يطلبون ما يُقسّم لهم بواسطة الأزلام، وهي أقداخ تُجعل في كيس، أو ما أشبه ذلك، مكتوباً على واحدٍ منها: افعل، وعلى الثاني: لا تفعل، والثالث: ما ليس فيه كتابة، ثم يعمّلون فيها عملاً، ثم يُخرج الإنسان واحداً منها، إن خرجَ افعل فَعَلْ، وإن خرجَ لا تفعل: لم يفعل، وإن خرجَ الذي ليس فيه شيءٌ، يكون متوقفاً، ثم إمّا أن يُعيد الاستقسام مرة أخرى، أو يدع الأمر مع الشك، فأبدل الله تعالى الناس بهذا الدعاء.

❖ قوله: «فليركع ركعتين من غير الفريضة». يعني: النافلة، وهل يكفي عن هاتين الركعتين الراتبه مثلاً أو سنة الضحى؟ يَحْتَمِلُ أن تكون مجزئة؛ لقوله: «من غير الفريضة». ويَحْتَمِلُ أنه لا بد من صلاة مستقلة - وهو الأحوط -.

❖ قوله: «ثم ليقل». ظاهر الحديث أن هذا الدعاء يكون بعد السلام؛ لأنّه لا يصدّق عليه أنّه صَلَّى ركعتين حتّى يفرغَ منها.

❖ يقول: «اللهم إني أَسْتَخِيرُكَ بعلمك». يعني أطلبُ خيرَ الأمرين، حَسَبَ ما تَعَلَّمه، «وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ». أي: أطلبُ منك القدرة بِقُدْرَتِكَ، فهو توسّل بالقدرة، على أن يقدّر على الأمر، «وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»؛ لأنّ الإنسان قد يقدّر على الشيء ويحصل له الشيء لكن لا يناله من الله فضلٌ به ولا بركة، فيسأل الله من فضله، «فإنّك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب». في هذه الجملة لفٌ ونشْرٌ غير مرتب؛ لأنّه قدّم العلم في الجملة الأولى على القدرة، وفي الجملة الثانية قدّم القدرة على العلم، ولو كان اللف والنشْر مُرتباً لبدأ بالعلم قبل القدرة.

❖ قوله: «اللهم إن كنت تعلم هذا الأمر». أي: الذي يريد أن يستخير الله فيه ثم يُسمّيه بعينه.

❖ وقوله: «خبراً لي». مفعول ثانٍ لتعلم هذا الأمر. «في عاجلٍ أمّري وأجله». قال: «أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فأقدّر لي ويسّر لي، ثمّ بارك لي فيه». هذه «أو». شكٌ من الراوي، هل قال: «في عاجلٍ أمّري وأجله»، أو قال: «في ديني ومعاشي وعاقبة أمري». رجّح بعض العلماء الأول لعمومه، ورجّح بعضهم الثاني؛ لأنّ العاجل السابق، وقد انقضى، ولكن ليس هذا الوجه الأخير بمُرَجّح؛ لأنّ المراد بعاجلٍ أمري ليس الذي قد انقضى بلا شك، إنّما المراد بعاجلٍ أمري ما يأتي بعد الاستخارة مباشرة.

ولو قال قائل: لو أن الإنسان جَمَعَ بين هذه الجُمَل في عاجل أمري وأجله، ودينني ومَعاشي وعاقبة أمري، فلا حَرَج؛ لأنَّ الدعاءَ يَنْبَغِي فيه البسطُ، أو نقول: إنَّ شكَّ الراوي يَقْتَضِي أنَّ الذي ثَبَتَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ واحِدٌ مِنَ الْأَمْرَيْنِ، وَحَيْثُ يُرْجَحُ الْإِنْسَانُ مَا يَرَى أَنَّهُ رَاجِحٌ فيقولُه.

قُلْنَا: تَرْجِيحُ الْجُمْلَةِ الْأُولَى «فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَأَجَلِهِ» لِلْعُمُومِ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ أَمْرِي؛ تَعْنِي: شَأْنِي، وَهُوَ عَامٌّ؛ لِكَوْنِهِ مَفْرَدًا مَضَافًا، وَالثَّانِيَةُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ التَّفْصِيلِ، «دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةُ أَمْرِي». فِيهَا شَيْءٌ مِنَ التَّفْصِيلِ وَالتَّخْصِيصِ، فَلَيْسَ فِيهَا عُمُومٌ، لَكِنَّ التَّفْصِيلَ قَدْ يَكُونُ أَحْسَنَ فِي بَابِ الدَّعَاءِ.

قَوْلُهُ: «فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ». ثَلَاثُ جُمَلٍ «اقْدُرْهُ»؛ يَعْْنِي: بِعِلْمِكَ وَمَشِيئَتِكَ، «وَيَسِّرْهُ» بِحَيْثُ لَا يَكُونُ فِيهِ مَوَانِعٌ «لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ». أَي: اجْعَلْ لِي فِيهِ بَرَكَةً، وَالْبَرَكَةُ هِيَ: الْخَيْرُ الْوَاسِعُ الثَّابِتُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْبَرَكَةِ، وَالْبَرَكَةُ مَجْمَعُ الْبَاءِ، وَهِيَ وَاسِعَةٌ وَكَبِيرَةٌ، وَالْهَاءُ يَمَكُثُ فِيهَا وَيَبْقَى.

قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَأَجَلِهِ، فَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ» وَفِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ: «اصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ»، ثُمَّ اقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ» يَعْْنِي: اجْعَلْنِي رَاضِيًا بِهِ.

فَهَذَا الدَّعَاءُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِذَا هَمَّ بِالْأَمْرِ، وَأَشْكَلَ عَلَيْهِ وَجْهُ الصَّوَابِ فِيهِ أَنْ يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ، وَيَسْتَخِيرَ اللَّهَ، فَإِنْ بَانَ لَهُ الْأَمْرُ، فَذَلِكَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَبَيِّنْ أَعَادَ الاسْتِخَارَةَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنْ لَمْ يَبَيِّنْ اسْتِشَارَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالصَّلَاحِ وَالْخَبْرَةِ، ثُمَّ إِمَّا أَنْ يُقَوِّوَهُ عَلَى هَذَا، أَوْ عَلَى هَذَا، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ يُقَدَّمُ الْمَشُورَةُ.

وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ يُقَدَّمُ الاسْتِخَارَةُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ». فَيُقَدَّمُ الاسْتِخَارَةُ ثُمَّ إِنْ بَدَأَ لَهُ وَجْهُ الصَّوَابِ، فَذَلِكَ الْمَطْلُوبُ، وَإِلَّا أَعَادَ الاسْتِخَارَةَ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَاسْتِشَارَ ذَوِي الْخَبْرَةِ وَالصَّلَاحِ وَالْأَمَانَةِ.

وَيَبَيِّنُ لَهُ وَجْهَ الْأَمْرِ بِأُمُورٍ:

أَوَّلًا: اطْمِئْنَانُهُ إِلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ؛ يَعْْنِي: يَرَى أَنَّهُ رَضِي وَاطْمَأَنَّ.

ثَانِيًا: أَنَّهُ رُبَّمَا يَرَى فِي الْمَنَامِ مَا يَقْوِي أَحَدَ الْاِخْتِمَالَيْنِ، مِمَّا يَعْنِيهِ، وَيَشْجَعُهُ عَلَى الْإِقْدَامِ.

ثَالِثًا: أَنَّهُ رُبَّمَا يَسْمَعُ كَلَامًا يَتَفَاءَلُ بِهِ عَلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ.

رَابِعًا: أَنَّهُ يَتَيَسَّرُ لَهُ الْوُصُولُ إِلَى أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ، وَيَتَعَسَّرُ الْأَمْرُ الثَّانِي، وَهَذَا التَّيَسُّرُ هُوَ مَضْمُونُ

الدَّعَاءِ «اقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي».

وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْوَاجِبِ فَلَا يَسْتَخِيرُ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ، هَلْ يُقَدَّمُ هَذَا أَوْ هَذَا؛ يَعْْنِي: أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ لِلْحَجِّ مَعَ وَجُوبِهِ عَلَيْهِ فَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ يَسْتَخِيرَ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَفْعَلَ، وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَخِيرَ هَلْ يُصَلِّي الظُّهَرَ مَثَلًا، يَعْْنِي شَكُّهُ فِي الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ هَذَا؟ لَا يَسْتَخِيرُ فِيهِ، بَلْ يَطَالُعُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَحْصُلَ بِهِ

العلم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ قُرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النِّسْبَةُ: ٥٩].
ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١١- بَابُ مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [النِّسْبَةُ: ١١٠].

مقلِّبُ القلوب هذا وصفٌ لا يَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ ﷻ، فهو الذي يقلبُ القلوب؛ لأنَّ الإنسانَ مهما كان لا يمكنُ أن يُقَلِّبَ أَحَدٌ قَلْبَهُ، والمرادُ بتقليبِ القلوبِ ليسَ التقليبُ الحسيُّ بأن يجعلَ أَعْلَى القَلْبِ أَسْفَلَهُ أو الجَانِبَ الأَيْسَرَ في الأَيْمَنِ، لكن المرادُ بتقليبِ القلوبِ تقليبُ وجهاتِ النظرِ؛ يعني: يَهْمُ الإنسانُ بالشَّيْءِ، ثم يقلبُ اللَّهُ هَمَّهُ إلى شَيْءٍ آخَرَ، يَهْمُ بالسَّيِّئَةِ، ثم يقلبُ اللَّهُ قَلْبَهُ إلى حَسَنَةٍ، أو بالعكس.

وَيُذَكِّرُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قِيلَ لَهُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِصَرْفِ الْهَمِّ. يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ الْهَمَّ، فَالْإِنْسَانُ يَهْمُ بِالشَّيْءِ، وَيَجْزُمُ بِهِ، فَإِذَا بِهِ تَنَصَّرَفُ هِمَّتُهُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ بَدُونِ سَبَبٍ ظَاهِرٍ، مَنِ الَّذِي صَرَفَ ذَلِكَ؟ هُوَ اللَّهُ ﷻ، فَلِذَلِكَ مَقَلِّبُ الْقُلُوبِ هُوَ اللَّهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ﴾ [النِّسْبَةُ: ١٨٦]، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ [النِّسْبَةُ: ١٧٨]. فَلَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقَلِّبَ قَلْبَ أَحَدٍ، فَمَقَلِّبُ الْقُلُوبِ هُوَ اللَّهُ، فَهَذَا وَصْفٌ لَا يَصِحُّ إِلَّا لِلَّهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ يَهْمُ بِالشَّيْءِ، فَيَأْتِيهِ شَخْصٌ، وَيَشِيرُ عَلَيْهِ، وَيَبِينُ لَهُ الْوَجْهَةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي يَرَاهَا، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى رَأْيِهِ؟ نَقُولُ: بَلَى، لَكِنْ مِنَ الَّذِي جَعَلَهُ يَتَحَوَّلُ؟ اللَّهُ ﷻ، وَرَبِّهَا يَشَارُ عَلَيْهِ كَثِيرًا، وَلَكِنْ لَا يَتَحَوَّلُ، فَالْأَمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللَّهِ.

ثُمَّ اسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [النِّسْبَةُ: ١١٠]. أَفْتَدَتْهُمْ؛ أَي: قَلْبَهُمْ، وَأَبْصَارَهُمْ، يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ بَصِيرَةٍ، وَإِنْ كَانَ هَذَا خِلَافَ الْمَعْرُوفِ؛ لِأَنَّ بَصِيرَةً جَمْعُهَا بَصَائِرٌ، وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ بَصَرٍ، كَسَبَبٍ وَأَسَابٍ، وَلَكِنْ كَيْفَ تَقْلِبُ الْبَصَرَ؟ تَقْلِبُ الْبَصَرَ أَنْ يُصَرَّفَ الْبَصَرُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الطَّاعَاتِ إِلَى النَّظَرِ إِلَى الْمَعَاصِي، هَذَا مِنْ تَقْلِبِ الْأَبْصَارِ وَالْعِبَادِ بِاللَّهِ، فَاللَّهُ ﷻ هُوَ الَّذِي يَقْلِبُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ كَمَا لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ. وَلَيْتَ الْبُخَارِيُّ أَتَى بِتَكْمِلَةِ الْآيَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿كَمَا لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [النِّسْبَةُ: ١١٠]. وَالْكَافَ هُنَا لِلتَّعْلِيلِ؛ أَي: لِكُونِهِمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النِّسْبَةُ: ١١٠]. وَهَذَا تَهْدِيدٌ عَظِيمٌ لِلْإِنْسَانِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْحَقَّ أَوَّلَ مَا يَرُدُّ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا لَمْ يَقْبَلِ الْحَقَّ أَوَّلَ مَا يَرُدُّ إِلَيْهِ يُخْشَى أَنْ يُتَكَلَّى بِهَذِهِ الْبَلْوَى؛ وَهِيَ أَنْ يَقْلِبَ قَلْبَهُ وَلَا يَهْتَدِيَ لِلْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ رَدَّهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

إِذَا: يَبَيَّنُ اللَّهُ ﷻ أَنَّهُ يَقْلِبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ، وَأَنَّ لِهَذَا التَّقْلِيلِ سَبَبٌ، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَيَدُلُّ لِهَذَا أَيْضًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيعٍ﴾ [النِّسْبَةُ: ٥٠]. أَي: يَخْتَلِطُ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، ثُمَّ لَا يَتَبَيَّنُ لَهُمْ وَجْهُ الصَّوَابِ، وَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ حِينِ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ أَنْ يَقْبَلَهُ، وَيَأْخُذَ بِهِ، حَتَّى يُهْدَى لِحَقِّ آخَرَ، أَمَّا إِذَا رَدَّهُ، أَوْ تَرَدَّدَ فِيهِ، فَإِنَّهُ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ؛ أَنْ يُتَكَلَّى بِهَذِهِ الْبَلْوَى - نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ السَّلَامَةَ - وَمَا الدُّرُجَةُ الْإِنْسَانِ إِلَى الْحَقِّ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا رَجَعَ

إلى الحق، وإن كان خلاف ما يقوله أولاً، يجد في هذا لذة عظيمة؛ لأنه فتح الله على قلبه حيث آمن بالحق أولاً ما جاء به.

بعض الناس -نسأل الله لنا ولكم الهداية- يحاول ويجادل لقوله الذي قاله أولاً حتى لا يهزم -في نظره- والحقيقة أنه مهزوم في نظره إذا أصر على الانتصار لقوله لا للحق، لكن لو عاد للحق وانقاد، لكان هو الذي انتصر؛ انتصر على نفسه أولاً ثم يُنصر؛ لأن الحق معه حيث وافق الحق ﴿وَقَلْبُ أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَرُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/١٧٧):

وتقليب الله القلوب والبصائر، صرّفها من رأي إلى رأي، وقال الكزّمانى ما معناه: كان يحتمل أن يكون المعنى بقوله: «مقلّب» أنه يجعل القلب قلباً لكنّ مظان استعماله تنشأ عنه.

ويستفاد منه: أن إعراض القلب كالإرادة وغيرها بخلق الله تعالى وهي من الصفات الفعلية ومرجعها إلى القدرة^(١). اهـ.

كأنه يميل إلى أن المراد بها البصائر، لكن لفظها يدل على أن المراد بها البصر الذي يجمع على أبصار، وكما قلنا لكم: إن تقليب البصر ألا يهتدي إلى رؤية ما فيه رضا الله، بل ينظر إلى معاصي الله عز وجل.



ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٣٩١- حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ: «لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ». سبق في الأياد أن الرسول ﷺ يحلف بهذا كثيراً، ويحلف بقوله: «والذي نفسي بيده» كثيراً^(٢).

المراد بعبد الله هنا: ابن عمر، والدليل على ذلك أن الراوي عنه سالم، وهذا مما يستدل به على المبهمة فالمبهم من الرواية يمكن أن تستدل على تعيينه بتلاميذه أو مشايخه.

قوله: «لا ومقلّب القلوب» «لا» هذه للتوكيد، ومرّ علينا ذلك قريباً، وصرّنا لهذا أمثلة، ف«لا» النافية تدخل على القسم، والمراد به الإثبات، مثل قوله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(١) ﴿الْبَلَدِ﴾^(٢)، و«لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٣)، فالصحيح أنها للتنبيه والتوكيد، خلافاً لمن قال في قول الله تعالى: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٤): إنها للنفي. والمعنى: لا صحة لما تزعمون من إنكار البعث، أو ﴿لَا أَقِيمُ﴾؛ لأن الأمر لا يحتاج إلى قسم، لكن الصحيح ما قرّزناه أولاً: أنها للتوكيد والتنبيه.

(١) انظر: «الفتح» (١٣/٣٧٧).

(٢) تقدم تحريجه.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢- بَابُ إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذُو الْجَلَالِ الْعَظَمَةِ الْبَرُّ اللَّطِيفُ.

قَوْلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا». ظَاهِرُ كَلَامِهِ حَضَرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ ﷻ فِي هَذِهِ التَّسْعَةِ وَالتَّسْعِينَ، وَهَذَا أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْعَظِيمَةِ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ محصورةٌ بتسعةٍ وتسعين، ولكن سبق لنا أَنَّ الْقَوْلَ الرَّاجِحَ أَنَّهَا غَيْرُ محصورةٍ وَاسْتَدَلَّنَا لَذَلِكَ بِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي دَعَاءِ الْهَمِّ وَالْحُزَنِ وَفِيهِ: «أَوْ اسْتَثْنَيْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»^(١) فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ مَا اسْتَثْنَى اللَّهُ بَعْلِمِهِ، وَمَا اسْتَثْنَى اللَّهُ بَعْلِمِهِ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخَاطَبَ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَلِذَلِكَ لَوْ تَأَمَّلْتَ أَسْمَاءَ اللَّهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ لَوَجَدْتَهَا تَزِيدُ عَلَى تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ اسْمًا.

وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ مَا أَفْهَمَهُ ظَاهِرُ كَلَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَكُونُ مَرْجُوحًا.

قَوْلُهُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذُو الْجَلَالِ؛ أَي: ذُو الْعَظَمَةِ. وَهَذَا صَحِيحٌ، فَالْجَلَالُ هُوَ كِمَالُ الْعَظَمَةِ، يَشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَ يَدَيْهِ رِجْمَةُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [التكوير: ٢٧]. وَلَكِنْ كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿بَرَكَةُ أَسْمِ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [التكوير: ٢٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَبَيْنَ يَدَيْهِ رِجْمَةُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾؟ وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَبَيْنَ يَدَيْهِ رِجْمَةُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ صِفَةٌ لِلْوَجْهِ، وَأَمَّا ﴿بَرَكَةُ أَسْمِ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فَهِيَ صِفَةٌ لِلرَّبِّ وَلَيْسَتْ صِفَةً لِاسْمٍ، فَهِيَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى صِفَةٌ لِلْمُضَافِ، وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ صِفَةٌ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ: «الْبَرُّ اللَّطِيفُ» الصَّوَابُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْبَرِّ وَاسِعُ الْخَيْرَاتِ وَكَثِيرُ الْعَطَاءِ؛ لِأَنَّهُ مَتَّقٌ فِي الْإِسْتِقَاقِ مَعَ الْبَرِّ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْبَحْرِ، فَالْبَرُّ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْبَحْرِ وَاسِعٌ، وَمِنْهُ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ؛ أَي: كَثْرَةُ عَطَائِهَا وَتَفَعُّلُهَا وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ تَفْسِيرَ الْبَرِّ بِاللَّطِيفِ لَيْسَ مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» (٣٧٨/١٣):

هُوَ تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ وَيَبَانُ مِنْ وَصَلِهِ عَنْهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الطُّورِ^(٢).

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا فَائِدَةُ الْحَصْرِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا». مَعَ أَنَّهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ نَحْصَلُ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ؟ فَالْجَوَابُ: إِنْ فَائِدَةُ الْحَصْرِ هِيَ أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَحْصِيَتْ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ، يَعْنِي لَا يَلْزَمُ إِحْصَاؤُهَا كُلِّهَا، إِذَا أَحْصِيَتْ مِنْهَا تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ، لَكِنَّ هَذِهِ التَّسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ مَبْهَمَةٌ فِي جَمَلَةِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي تَزِيدُ عَلَى تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، وَلَوْ كَانَ الَّذِي فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ محصورًا لَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ لَكُمْ تِسْعَةَ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) فتح الباري (٣٧٨/١٣).

وَتَسْعِينَ اسْمًا مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ. فَلَمَّا قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْأَسْمَاءَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَنْتَ اخْتَرْتَ مِنْهَا تِسْعَةً وَتَسْعِينَ وَأَحْصَاهَا، وَقَدْ اخْتَارُ أَنَا مِثْلًا اسْمًا، وَأَنْتَ لَا تَخْتَارُهُ، وَتَأْتِي بِشَيْءٍ بَدَلَهُ، وَكَذَلِكَ الْعَكْسُ.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/٣٧٧):

❦ قوله: «بَابُ إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا» ذَكَرَ فِيهِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي كِتَابِ «الدَّعَوَاتِ» وَبَيَانُ مَنْ رَوَاهُ بِاللَّفْظِ الْمَذْكُورِ فِي هَذِهِ التَّرْجُمَةِ، وَوَقَعَ هُنَا فِي رِوَايَةِ الْكُشْمِينِيِّ: «مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا». بِالتَّذْكِيرِ، وَ «مِائَةٌ» فِي الْحَدِيثِ بَدَلٌ مِّنْ قَوْلِهِ «تِسْعَةٌ وَتَسْعِينَ». فَعَدَلَ فِي التَّرْجُمَةِ مِنَ الْبَدَلِ إِلَى الْمَبْدَلِ، وَهُوَ فَصِيحٌ. وَتُسْتَفَادُ مِنْهُ: زِيَادَةُ تَوْضِيحٍ؛ وَلأنَّ ذَكَرَ الْعَقْدَ أَعْلَى مِنْ ذِكْرِ الْكُسُورِ، وَأَوَّلَ الْعُقُودِ الْعَشْرَاتُ، وَثَانِيهَا الْمِائَةُ، فَلَمَّا قَارَبَتِ الْعِدَّةُ أُعْطِيتْ حُكْمُهَا وَجُبِرَ الْكَسْرُ بِقَوْلِهِ: «مِائَةٌ» ثُمَّ أُريدَ التَّحَقُّقُ فِي الْعِدَدِ فَاسْتَنْتَى وَلَوْ لَمْ يَسْتَنْ لَكَانَ اسْتِعْمَالًا قَرِيبًا سَائِغًا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٢- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ اسْمًا مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١). (أَحْصَيْنَاهُ): حَفِظْنَاهُ.

وَمَعْنَى الْإِحْصَاءِ: هُوَ مَعْرِفَتُهَا لَفْظًا وَمَعْنَى، وَالتَّعَبُّدُ وَسُؤَالُ اللَّهِ بِهَا، وَالتَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِمُقْتَضَاهَا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٣- بَابُ السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا.

السُّؤَالُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وَسَبَقَ لَنَا أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ يَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

الأول: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ بِكُلِّ بِمُقْتَضَىٰ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، فَيَكُونُ الدَّعَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ.

الثاني: أَنْ تَجْعَلَهَا وَسِيلَةً لَكَ فِي الدَّعَاءِ، بِأَنْ تَذْكُرَهَا بَيْنَ يَدَيِ الدَّعَاءِ أَوْ تَخْتِمَ الدَّعَاءَ بِهَا، فَتَقُولُ: يَا غَفُورُ اغْفِرْ لِي وَيَا سَمِيعُ اجْعَلْنِي سَامِعًا. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ مَعْنِيَانِ:

الْمَعْنَى الْأَوَّلُ: التَّعَبُّدُ لِلَّهِ بِمُقْتَضَاهَا؛ لِأَنَّ الدَّعَاءَ يَأْتِي بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ

الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَٰلِذِينَ ﴿٦٠﴾ ﴿٦٠﴾

والثاني: سؤال الله بها؛ أي: تجعلها وسيلة لك في الدعاء، سواء جعلتها بين يدي الدعاء، أو ختمت الدعاء بها.

أما الاستعاذه بها فظاهر، تقول: اللهم إني أعوذ باسمك الأعظم، أعوذ بكلمات الله التامات. يعني: تتعوذ بصفات وأسماء الله.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشُهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصِنْفَةٍ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلَتْهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(١).

تابعه يحيى، وبشر بن المفضل عن عبيد الله، عن سعيد، عن أبي هريرة ض عن النبي ﷺ. وزاد زهير وأبو ضمرة وإسماعيل بن زكريا، عن عبيد الله، عن سعيد، عن أبيه، عن أبي هريرة ض عن النبي ﷺ.

ورواه ابن عجلان، عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

تابعه محمد بن عبد الرحمن، والدراوردي وأسماء بن حفص.

❖ قوله: «وزاد زهير». هذا لا يضرب؛ يعني: كونه يحذف أحد الرجال في السند لا يضرب؛ لأنه يجوز أن يكون الراوي رواه عن شيخه أو شيخ شيخه، فلا يكون هذا من باب المزيد في متصل الأسانيد^(٢)، فالإنسان ربما يزوي عن زيد وهو شيخه عن عمرو، وزيد يزوي عن عمرو، ثم يأتي الأول فيروي عن عمرو مباشرة، هذا واقع وعلى هذا فليس في السند من طعن، وليس من باب المزيد في متصل الأسانيد.

❖ قوله: «فَلْيَنْفُضْهُ بِصِنْفَةٍ ثَوْبِهِ».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣٨٠ / ١٣):

الصِّنْفَةُ بفتح المهملة، وكسر النون، بعدها فاء، طُرْتُه، وقيل: طَرَفُهُ وقيل: جَانِبُهُ، وقيل حَاشِيَتُهُ التي فيها هُدْبَةٌ، وَقَالَ فِي «النهاية» طَرَفُهُ الَّذِي يَلِي طَرْتَهُ.

قلت: وتقدم في الدعوات بلفظ «دَاخِلَةً إِزَارِهِ». وتقدم هناك معناها، فالأولى هنا أن يقال: المراد

(١) رواه مسلم (٢٧١٤).

(٢) انظر: «تدريب الراوي» (٢٠٣ / ٢).

طَرَفُهُ الَّذِي مِنَ الدَّخَلِ جَمْعًا بَيْنَ الرَّوَابِتِينَ ^(١) اهـ

وهذا هو القولُ الصحيحُ أنَّ المرادُ به طرفه من الداخل، والحكمة من ذلك أنَّ الطرفَ في الغالبِ هو مُلْتَقَى الأوساخ، فإذا تَوَسَّخَ مِنَ الفَرَّاشِ لم يَكُنْ في هذا غَضَاضَةً على لابسِ الثوبِ، ولهذا قال: إِنَّكَ تَمَسُّحُهُ بِدَاخِلَةِ الثوبِ أَيْضًا لِأَجْلِ إِنْ كَانَ هُنَاكَ وَسَخٌ يَكُونُ فِي دَاخِلِ الثوبِ، وهذا من حَسَنِ تَوْجِيهِ الرَّسُولِ ﷺ وَإِرْشَادِهِ، وَتَرْبِيَّتِهِ؛ يَعْني: حَتَّى كَيْفَ تَنْفُضُ فَرَاشَكَ بِثَوْبِكَ، أَنْفُضْهُ بِدَاخِلِهِ مِنْ أَسْفَلِهِ؛ لِأَنَّكَ إِنْ نَفَضْتَهُ مِنْ أَعْلَاهُ رُبَّمَا يَكُونُ فِيهِ أَدَى فَيَتَلَطَّخُ الثوبُ مِنْ فَوْقٍ، وَيُظْهِرُ لِلنَّاسِ، وَكَذَلِكَ لَوْ أَنَّكَ نَفَضْتَهُ مِنْ ظَاهِرِ الثوبِ الْأَسْفَلِ رُبَّمَا يَكُونُ فِيهِ أَدَى فَيُشَاهِدُهُ النَّاسُ.

وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَلَاحِظَ ثِيَابَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهَا أَدَى فَتَنْقَمَعَ أَعْيُنُ النَّاسِ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَيَقَالُ: هَذَا رَجُلٌ مَهْمَلٌ، لَا يُبَالِي بِنَفْسِهِ.

وَالإِنْسَانُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَظْهَرَ بِمُظْهِرٍ يَتَقَرَّرُ النَّاسُ مِنْهُ، وَلِهَذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبَاشِرَ أَهْلَهُ، وَهِيَ حَائِضٌ بِأَمْرُهَا أَنْ تَتَرَدَّدَ لِئَلَّا يَشَاهِدَ مِنْهَا فِي مَجْلِ الْفَرْجِ مَا تَتَقَرَّرُ مِنْهُ النَّفْسُ مِنَ الدَّمِ، فَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يُبَالِي بِهَا، تَجِدُهُ يَأْكُلُ مِثْلًا رَمَانَةً، فَتَنْقَطُ نَقْطَةً عَلَى ثَوْبِهِ، فَيَكُونُ الثوبُ أَحْمَرَ، فَيَتَرَكُهُ، رُبَّمَا يَرْعُفُ أَنْفَهُ، فَتَنْقَطُ نَقْطَةً عَلَى ثَوْبِهِ، فَهَذِهِ تَتَقَرَّرُ مِنْهَا النَّفُوسُ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عَلِمَ أَمْتَهُ حَتَّى هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي قَدْ لَا تَخْطُرُ عَلَى بَالِ الإِنْسَانِ، وَغَالِبُ النَّاسِ يَكُونُ لَهُ ثَوْبٌ عِنْدَ الْمَنَامِ فَيَأْخُذُ ثَوْبَ الْمَنَامِ أَوْ الثوبَ الَّذِي يَلْبِسُهُ وَيَمْسُحُ بِهِ، فَإِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ ذَلِكَ فَلْيَمْسَحْ بِالْعُتْرَةِ بِدَاخِلِهَا.

يَنْفُضُهُ؛ أَي: فَرَاشَهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، وَقَدْ وَرَدَ التَّعْلِيلُ لِهَذَا، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَفَهُ عَلَى فَرَاشِهِ، فَلِذَلِكَ سُنُّ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ، فَيَنْفُضُهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ بِثَوْبِهِ، فَإِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ فَبِعُتْرَتِهِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَطْوِي فَرَاشَهُ وَلَا يَنْشُرُهُ إِلَّا عِنْدَ نَوْمِهِ، فَالْأَوَّلَى أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ أَيْضًا حَتَّى فِي هَذِهِ الْحَالِ، أَمَّا إِذَا بَقِيَ الْفَرَّاشُ مَنْشُورًا مِنَ الْأَصْلِ فَهَذَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَنَامُ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ أَوْ الشَّيَاطِينُ أَوْ الْجِنُّ إِذَا لَمْ تَنْشُرْهُ إِلَّا عِنْدَ مَنَامِكَ فَالْأَحْسَنُ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا.

❦ قَوْلُهُ: «وَلْيَقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ». وَهَذَا إِذَا نَامَ وَاضْطَجَعَ يَقُولُهُ، وَلِهَذَا إِذَا وَضَعَ جَنْبَهُ يَقُولُ: بِاسْمِ اللَّهِ. فَيُضَعُّ جَنْبَهُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ ﷻ.

ثُمَّ قَالَ: «إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاعْزِمِي لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ». لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يُمَسِّكُ نَفْسَ النَّائِمِ فَيَمُوتُ، وَهَذَا أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [٢٢: ٥٢]، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ وَيَتَوَفَّى الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيَمَسِّكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا النَّوْمَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٤- حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ، عَنْ رَبِيعٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَخِيَا وَأَمُوتُ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

هذا الحديث: ذكره البخاري في باب السؤال بأسماء الله والاستعاذة بها، أما السؤال بأسماء الله فقد تقدّم الكلام عليها وأن الله أمرنا بها فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾. وأما الاستعاذة بها فكذلك تستعيذ باسم الله، فتقول: أعوذ بالله، أعوذ بالرحمن، أعوذ بالعزیز، وما أشبه ذلك، وسبق أيضًا بيان معنى الاستعاذة^(١) وهي الاعتصام من المكروه، واللجأ هو الفرار لحصول المطلوب، فالاستعاذة تكون في المكروه واللجأ يكون في حصول المطلوب.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٥- حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ رَبِيعٍ بْنِ جَرَّاشٍ، عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحَرْثِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «بِاسْمِكَ تَمُوتُ وَنَحْيَا، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

وقوله في هذا الحديث: «إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ» قيده بالمضجع من الليل، فيكون هذا الذكر من الأذكار الخاصة بنوم الليل، بدليل قوله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»؛ لأن النشور يكون في أول الأمر، كما يُنشَرُ الناس يوم القيامة في أول يوم القيامة.

وقوله: «بعد ما أَمَاتَنَا» فالمراد به النوم، ونوم الرسول ﷺ الذي هو فقد الإحساس الظاهر ثابت له، والدليل على هذا حديث أبي قتادة في انتظارهم للفجر، فإن الفجر طلع والنبي ﷺ معهم ولم يعلم به^(٢)؛ لأن النوم الذي هو فقد الإحساس الظاهر يثبت له ولغيره.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٦- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ فَقَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْنَا. فَإِنَّهُ إِنْ يَقْتَرِبَ بَيْنَهُمَا وَلَدَى ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»^(٣).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه باب الأذان بعد ذهاب الوقت.

(٣) رواه مسلم (١٤٣٤).

هذا من الاستعاذة باسم الله وقوله: «إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ». هذا كناية عن الجماع. «فَقَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا. فَإِنَّهُ إِنْ يَقْدَرُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ». سواء ذكر أو أنثى، في ذلك؛ أي: في ذلك الجماع الذي قال فيه هذا الذكر «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا».

واختلف العلماء في قوله: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» فقيل: المعنى أنه لم يضره ضرراً بدنياً؛ لأن الشيطان إذا سقط الطفل من بطن أمه لكرهه وربما يقضي عليه بهذه اللكزة، ولذلك يصرخ الجنين إذا نزل من بطن أمه على إثر هذه اللكزة. وقيل: بل المراد لم يضره ضرراً حسيّاً ولا ضرراً قلياً، وأن هذا من الأسباب التي تمنع من ضرر الشيطان لهذا الحمل الذي نشأ بعد هذا الذكر.

والسبب قد يوجد له مانع يمنع من النفوذ ومن حصول المسبب، وهذا القول أصح، وهو أنه عام، فالمعنى لم يضره لا في بدنه ولا في قلبه، لكن هذا من باب الأسباب، والأسباب قد يوجد لها موانع، كما أن أسباب الإرث مثلاً توجد في الشخص كأن يكون قريباً أو زوجاً أو مولى ثم توجد موانع تمنع نفوذ هذه الأسباب.

والقاعدة العامة أن الأشياء لا تتم إلا باستكمال أسبابها وشروطها وانتفاء موانعها، فإذا طبقنا هذه القاعدة على هذا الحديث وشبهه، قلنا: هذا من رسول الله ﷺ لبيان السبب ثم قد يوجد موانع تمنع من نفوذ هذا السبب، ومن ذلك أن يعيش هذا الطفل بعد خروجه في بيئة سيئة، فقد تصرفه عن الاستقامة لقول النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجْسِنَانِهِ»^(١). وفي هذا الحث، على أن يقول الإنسان هذا الذكر عند الجماع؛ أي: عند جماع أهله؛ لأنه يكتسب به هذه الفائدة العظيمة التي لو اشتراها الإنسان بالملايين لكانت رخيصة.

فإذا قال قائل: إذا أتى الإنسان أهله، وهي حامل، هل يقول هذا الذكر؟ أو لا يقوله؛ لأنه قد نشأ الولد؟

الجواب: نقول: الأفضل أن يقوله؛ لأن الإمام أحمد رحمه الله قال: إن الجماع يزيد في الحمل في سمعه وبصره وقوته. ولهذا قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَسْقِ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ»^(٢). وهذا الحديث يشير إلى أن الجنين ينتفع بالجماع، وعلى هذا فيقول هذا الذكر.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٣٩٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ، حَدَّثَنَا فُضَيْلٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَامٍ، عَنْ عَدِيِّ

(١) رواه البخاري (١٣٥٨)، (١٣٥٩)، (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) رواه أبو داود (٢١٥٨)، والترمذي (١١٣١)، والدارمي (٢/٢٩٨)، (٢٤٧٧)، وحسنه الشيخ الألباني كما في «تعليقه على سنن أبي داود».

بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أُرْسِلُ كِلَابِي الْمُعَلَّمَةَ. قَالَ: «إِذَا أُرْسَلَتْ كِلَابُكَ الْمُعَلَّمَةَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَأَمْسَكَنْ فَكُلْ، وَإِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ فَخَزَقْ فَكُلْ»^(١).

في هذا الحديث: سَأَلَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ يُرْسِلُ كِلَابَهُ الْمُعَلَّمَةَ فَتَأْتِيهِ بِالصَّيْدِ قَدْ قَتَلَتْهُ هَلْ يَحِلُّ أَوْ لَا؟ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَحِلُّ لَكِنْ بِشَرَطٍ أَنْ يُسَمِّيَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا نَبَحْتُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَحْثًا فَقْهِيًّا.

أَوَّلًا: قَوْلُهُ: «إِذَا أُرْسَلَتْ». هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْكِلَابِ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُهَا، فَإِنْ اسْتَرْسَلَ الْكَلْبُ بِنَفْسِهِ -لَمَّا رَأَى الصَّيْدَ انْطَلَقَ عَلَيْهِ- فَهَلْ يَحِلُّ الصَّيْدُ أَوْ لَا يَحِلُّ؟

الْجَوَابُ: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أُرْسَلَتْ». لَكِنْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنْ رَجَرَهُ فَاشْتَدَّ فِي عَدْوِهِ وَفِي طَلْبِهِ، فَإِنَّهُ يَحِلُّ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ هَذَا الرَّجْرَ صَارَ سَبَبًا فِي إِسْرَاعِهِ، فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ وَلَمْ يُمَسِّكْ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّ انْطِلَاقَهُ أَوَّلَ مَا رَأَى الصَّيْدَ بَدُونِ أَنْ تُرْسِلَهُ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَصِيدَ لِنَفْسِهِ، فَإِذَا رَجَرَتْهُ فَاشْتَدَّ فِي عَدْوِهِ لَطْلِبِهِ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ أَمْسَكَ لَكَ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٤].

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَّةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّهُ قَالَ: «الْمُعَلَّمَةَ». وَهِيَ الَّتِي عُلِّمَتْ الصَّيْدَ، وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالتَّعْلِيمُ هُوَ: أَنَّهُ يَسْتَرْسِلُ إِذَا أُرْسِلَ، وَيَنْزَجِرُ إِذَا رُجِرَ، يَعْغِي: يَرْتَدِعُ إِذَا طُلِبَ مِنْهُ الْوُقُوفُ، وَإِذَا أَمْسَكَ لَمْ يَأْكُلْ، فَالتَّعْلِيمُ يَحْصُلُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: أَنَّهُ يَسْتَرْسِلُ إِذَا أُرْسِلَ وَيَنْزَجِرُ إِذَا رُجِرَ وَإِذَا أَمْسَكَ لَمْ يَأْكُلْ، فَإِنْ كَانَ لَا يَسْتَرْسِلُ إِذَا أُرْسِلَ، فَهَذَا لَمْ يَتَعَلَّمْ، كَذَلِكَ إِذَا أُرْسَلَتْهُ وَانْطَلَقَ عَلَى الصَّيْدِ وَرَجَرَتْهُ لِيَقِفَ لَمْ يَتَقَفْ، فَهَذَا لَمْ يَتَعَلَّمْ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُؤَدَّبٍ، وَإِذَا كَانَ يَسْتَرْسِلُ إِذَا أُرْسِلَ، وَيَنْزَجِرُ إِذَا رُجِرَ، لَكِنْ إِذَا أَمْسَكَ لَمْ يَأْتِ لَكَ إِلَّا بِنَصْفِ الصَّيْدِ، فَهَذَا أَيْضًا لَا يُوَكِّلُ مِنْ صَيْدِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أَكَلَ مِنْهُ دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ أَمْسَكَ لِنَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يَأْتِي بِبَقِيَّةِ الصَّيْدِ إِمَّا لِأَنَّهُ شَبِعَ، أَوْ لِأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ شَرِيكًا لَكَ، لَكَ نَصْفُهُ وَلَهُ نَصْفُهُ، فَلَا يَحِلُّ.

الْفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ». مَتَى تَذَكَّرُ اسْمَ اللَّهِ؟ تَذَكَّرُهُ إِذَا أُرْسَلَتْهُ؛ أَيْ: حِينَ إِرْسَالِهِ، لَا إِذَا رَأَيْتَهُ قَابِضًا عَلَى الصَّيْدِ -الْأَمْرُ وَاسِعٌ- إِذَا سَمِعْتَ عَلَيْهِ إِذَا أُرْسَلَتْهُ، فَإِنَّهُ إِذَا صَادَ أَوْ أَمْسَكَ عَلَيْكَ حَلَّ، وَفُهِمَ مِنْهُ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُسَمِّ اللَّهَ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ، سِوَاءَ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ نِسْيَانًا، أَوْ جَهْلًا، أَوْ عَالِمًا ذَاكِرًا، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ الشَّرْطَ لَا يَسْقُطُ سَهْوًا وَلَا جَهْلًا، فَإِذَا أُرْسَلَهُ وَلَمْ يَسَمِّ اللَّهَ، وَآتَى بِالصَّيْدِ فَإِنَّ الصَّيْدَ حَرَامٌ يَجِبُ تَرْكُهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَطَ التَّسْمِيَةَ، وَالشَّرْطُ لَا يَسْقُطُ سَهْوًا وَلَا جَهْلًا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ الْحَالُ يَكْثُرُ فِيهَا النِّسْيَانُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى الصَّيْدَ ارْتَبَكَ، وَأُرْسَلَ الْكَلْبُ بِسُرْعَةٍ؛ لثَلَا يَفُوتَهُ الصَّيْدُ، فَيَنْسَى كَثِيرًا.

قُلْنَا: ولو كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يُعْذَرُ بِتَرْكِ هَذَا الشَّرْطِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ قَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وهذه قاعدة عظيمة في الشريعة الإسلامية؟

قُلْنَا: نقولُ بِمُوجِبِ هذه القاعدة، وَأَنَّ هذا الرجلَ الذي تَرَكَ التَّسْمِيَةَ نِسْيَانًا، لَا مُوَاخَذَةَ عَلَيْهِ، لَكِنْ لَوْ تَرَكَهَا عَمْدًا صَارَ مُوَاخَذًا، فنقولُ: بالنسبة لهذا الذي أُرْسِلَ الصَّيْدَ وَنَسِيَ التَّسْمِيَةَ لَا مُوَاخَذَةَ عَلَيْهِ، وَلَا نُؤْمُهُ، لَكِنْ بِالنَّسْبَةِ لِمَنْ يَأْكُلُ هُوَ الَّذِي نَمْنَعُهُ أَنْ يَأْكُلَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [البقرة: ١٧١]. لَكِنْ لَوْ أَكَلَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذَا الصَّيْدِ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ عَلَيْهِ، نَاسِيًا أَوْ جَاهِلًا، هَلْ يَأْتُمُّ أَوْ لَا يَأْتُمُّ؟

الْجَوَابُ: لَا يَأْتُمُّ، فَحِينَئِذٍ تَنْطَبِقُ الْقَاعِدَةُ، فنقولُ: هذا الصَّيْدُ مِنْ شَرْطِ حِلِّهِ التَّسْمِيَةُ، فَإِذَا فُقِدَ الشَّرْطُ فُقِدَ الْمَشْرُوطُ، كَمَا أَنَّ الْكَلْبَ لَوْ اسْتَرْسَلَ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ، كَذَلِكَ لَوْ اسْتَرْسَلَ بِإِرْسَالِ صَاحِبِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعْ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ، وَلَا فَرْقَ فِي هَذَا، وَمِثْلُهُ أَيْضًا الْمَذْبُوحُ، إِذَا ذُبِحَتْ وَنَسِيَتْ أَنْ تُسَمَّى اللَّهُ، فَإِنَّ الذَّبِيحَةَ حَرَامٌ، وَلَا تَحِلُّ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ شَرْطٌ لِلْحِلِّ، وَالشَّرْطُ لَا يَسْقُطُ بِالسَّهْوِ وَالْجَهْلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا وَمِمَّا ذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٨]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوا»^(١). فَاشْتَرَطَ شَرْطَيْنِ: إِنْهَارَ الدَّمِ، وَذَكَرَ اسْمِ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا ذَبَحَ بِدُونِ إِنْهَارِ الدَّمِ جَاهِلًا، فَخَنَقَ الذَّبِيحَةَ وَمَاتَتْ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهَ عَلَيْهَا فَلَا تَحِلُّ، وَلَوْ كَانَ جَاهِلًا؛ لِأَنَّ هَذَا شَرْطٌ، وَلَوْ أَنَّهُ نَسِيَ وَذَبَحَ بِخَنَقٍ ثُمَّ مَاتَتْ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ؛ لِأَنَّ إِنْهَارَ الدَّمِ شَرْطٌ فَالتَّسْمِيَةُ كَذَلِكَ مِثْلُ إِنْهَارِ الدَّمِ؛ لَا بَدَلَ مِنْهَا.

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ التَّسْمِيَةَ عَلَى الذَّبِيحَةِ وَالصَّيْدِ سُنَّةٌ وَلَيْسَتْ بِشَرْطٍ. وَهَذَا قَوْلٌ ضَعِيفٌ جَدًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا شَرْطٌ فِي الذَّبِيحَةِ وَفِي الصَّيْدِ، لَكِنَّهَا تَسْقُطُ بِالنَّسْيَانِ فِي الذَّبِيحَةِ، وَلَا تَسْقُطُ بِالنَّسْيَانِ فِي الصَّيْدِ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ الْحَنَابِلَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ. وَاسْتَدَلُّوا بِعَدَمِ السَّقُوطِ فِي الصَّيْدِ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَأَرْسَلْتُ كَلَابِكَ، وَذَكَرْتُ اسْمَ اللَّهِ». فَجَعَلَ التَّسْمِيَةَ شَرْطًا، وَأَمَّا الذَّبِيحَةُ، فَالتَّسْمِيَةُ عَلَيْهَا وَاجِبَةٌ وَلَيْسَتْ بِشَرْطٍ، فَتَسْقُطُ بِالنَّسْيَانِ وَالْجَهْلِ، وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: لَا تَسْقُطُ التَّسْمِيَةُ لَا فِي الصَّيْدِ وَلَا فِي الذَّبِيحَةِ، وَأَنَّهُ إِذَا نَسِيَ التَّسْمِيَةَ فِي الصَّيْدِ أَوْ فِي الذَّبِيحَةِ فَالصَّيْدُ وَالْمَذْبُوحُ حَرَامٌ^(٢) وَقَوْلُهُ أَصَحُّ وَأَقْعَدُ. وَأَمَّا التَّفْرِيقُ بَيْنَ الصَّيْدِ وَالدَّبِيحَةِ، فَكَانَ مُقْتَضًى النَّظَرِ أَنَّ تَسْقُطَ التَّسْمِيَةِ فِي الصَّيْدِ دُونَ الذَّبِيحَةِ، لِأَنَّ الذَّبِيحَةَ يَذْبَحُهَا الْإِنْسَانُ وَهُوَ مُطْمَئِنٌّ هَادِيٌ النَّفْسِ، بِخِلَافِ الصَّيْدِ.

(١) رواه البخاري (٢٤٨٨)، ومسلم (١٩٦٨).

(٢) انظر «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣٥/٢٣٩، ٢٤٠).

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّ الرِّسُولَ ﷺ اشْتَرَطَ ذِكْرَ اسْمِ اللَّهِ فِي الصَّيْدِ، فنقول: وكذلك أيضًا في الذبيحة، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَكُلُوهُ، إِلَّا السِّنُّ وَالظُّفْرُ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمُدَى الْحَبَشَةِ».

ثانيًا: في الحديث، قال: «إِذَا رَمَيْتَ بِالْمِعْرَاضِ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَأَصَابَ، فَخَزَقَ فَكُلْ»، وَإِنْ أَصَابَ بَعْرَضِهِ فَلَا تَأْكُلِ الْمِعْرَاضُ: مثال العَصَا، فإذا رَمَيْتَ بالعَصَا، وكان رأسه مُدْبِيًا فَأَصَابَ الصَّيْدَ بِرَأْسِهِ فَخَزَقَهُ حَتَّى أَنْهَرَ الدَّمَ، فإنه يؤكَلُ، وأما إذا صَدَمَ الصَّيْدَ، وضربَ الصَّيْدَ بعرضه، وماتَ الصَّيْدُ، فإنه لا يؤكَلُ؛ لأنَّه داخلٌ في قوله تعالى: ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ [البقرة: ٢٣]. والموقوذة: هي التي تُضْرَبُ بعَصَا أو شبهه حتى تموت.

فإن رمى الصَّيْدَ بِحَجَرٍ، وقتل الحجرُ الصَّيْدَ يثقله لا يحده، فإنه لا يحلُّ؛ لأنَّه كالمعرَضِ تمامًا، والصَّيْدُ بالبندقية المعروفة التي تُقَذَّفُ بالسطن، وهو الحبات الصغيرة، فهل يحلُّ؟
الجواب: نعم يحلُّ؛ لأنَّه لا يقتل يثقله، وإنما يقتل بنفوذه، فهو كرأس السهم، وقد اضطرب العلماء أوَّلَ ما خَرَجَ هذا النوعُ مِنَ السهام، هل يحلُّ أو لا؟ ولكنَّهم أجمعوا بعد ذلك على الحلِّ، وقالوا: كُلُّ إنسانٍ يعرف أنَّ السُّطْنَةَ هذه لو ضَرَبَتْ الصَّيْدَ لَمْ يَمُتْ، وأنها إنما تقتله بنفوذه، فيكون حلالًا.

ولو أنَّ الكلبَ خَنَقَ الصَّيْدَ وجاء به، فهل يحلُّ أو لا؟

الجواب: فيه خلافٌ، والمشهورُ مِنَ المذهب أَنَّهُ لا بدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ جُرْحٌ، لقوله ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ». والقول الثاني: أَنَّهُ لا يَشْتَرُطُ، لعموم قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾. والاحتياطُ أَلَّا يَأْكُلَ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٨- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ، قَالَ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هُنَا أَقْوَامًا حَدِيثًا عَهْدُهُمْ بِشِرْكِ، يَأْتُونَا بِلُحْمَانٍ لَا نَدْرِي يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَمْ لَا. قَالَ: «اذْكُرُوا أَنْتُمْ اسْمَ اللَّهِ وَكُلُوا». تَابَعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَالدَّرَاوَزِيُّ، وَأَسَامَةُ بْنُ حَفْصٍ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح»:

قوله فيه: «تابعه محمد بن عبد الرحمن». هو الطفاوي، وعبد العزيز بن محمد، هو: الدَّرَاوَزِيُّ، وَأَسَامَةُ بْنُ حَفْصٍ هو: المدني، وتقدم في الذبائح بيان مَنْ وَصَلَهَا، وطريق الدَّرَاوَزِيُّ وَصَلَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَمْرِو الْعَدَنِيِّ في «مسنده». عنه، وتقدم القول في هذا السند بأشبع من هذا هناك.^(١)
قوله: «لَا نَدْرِي يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَمْ لَا. قَالَ: اذْكُرُوا أَنْتُمْ اسْمَ اللَّهِ وَكُلُوا».

في هذا من الفوائد الفقهية:

أَنَّ الْفِعْلَ إِذَا وَقَعَ مِنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّ الْأَصْلَ فِيهِ السَّلَامَةُ، فَالْبَيْعُ إِذَا وَقَعَ مِنْ جَائِزِ التَّصَرُّفِ، فَلَا أَصْلَ فِيهِ السَّلَامَةُ، وَأَنَّهُ مِلْكُ الْبَائِعِ، وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ نَقُولَ: أَثْبَتَ، وَكَذَلِكَ الْهَبَةُ وَجَمِيعُ الْعُقُودِ وَالْأَفْعَالِ أَيْضًا، إِذَا صَدَرَتْ مِنْ أَهْلِهَا، فَإِنَّ الْأَصْلَ فِيهَا السَّلَامَةُ.

وفيه أيضًا: أَنَّ الذَّابِحَ إِذَا كَانَ أَهْلًا لِلذَّبْحِ وَشَكَّكُنَا هَلْ سَمَّى أَمْ لَا؟ فَإِنَّا لَا نَلْتَفِتُ إِلَى هَذَا الشَّكِّ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ: السَّلَامَةُ، وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَبَائِحِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ حَدِيثُوا عَهْدَ بَشْرِكٍ، وَالْغَالِبُ أَنَّ حَدِيثَ الْعَهْدِ بِالْشَّرِكِ لَا يَعْرِفُ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ، وَمَعَ ذَلِكَ، قَالَ: «سَمُّوْا أَنْتُمْ وَكُلُّوْا». أَي: اذْكُرُوا أَنْتُمْ اسْمَ اللَّهِ وَكُلُّوْا، فَذَلِكَ عَلَى أَنَّ الذَّبِيحَةَ إِذَا ذَبَحَهَا مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِلذَّبْحِ، لَا تَسْأَلُ هَلْ سَمَّى أَمْ لَا؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَنَّ ذَبِيحَتَهُ حَلَالٌ، وَكَذَلِكَ لَا تَسْأَلُ كَيْفَ ذَبَحَ، هَلْ ذَبَحَ بِالسَّكِينِ، أَوْ بِخَنْقٍ، أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ لَا نَسْأَلُ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ شَرْطٌ، وَإِنْ هَارَ الدَّمُ شَرْطٌ، وَإِذَا كُنَّا لَا نَسْأَلُ عَنِ التَّسْمِيَةِ، فَإِنَّا لَا نَسْأَلُ عَنِ إِنْهَارِ الدَّمِ، وَلَا فَرْقٍ، فَإِذَا أَطْعَمْنَا يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا لَحْمًا، فَهَلْ نَأْكُلُ، أَوْ نَقُولُ: كَيْفَ ذَبَحْتَ؟ وَهَلْ سَمَّيْتَ؟ لَا نَقُولُ هَذَا، وَإِنَّا نَأْكُلُ، وَلَكِنْ نُسَمِّي.

وَيُشْعِرُ هَذَا الْحَدِيثُ بِفَحْوَاهُ، بِإِتْفَاءِ السُّوَالِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ: «سَمُّوْا أَنْتُمْ وَكُلُّوْا». لَيْسَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْحَثُوا عَنْ فِعْلٍ غَيْرِكُمْ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ التَّعَمُّقِ وَمِنَ التَّنَطُّعِ، وَلَكِنْ أَنْتُمْ سَمُّوْا عَلَى فِعْلِكُمْ، وَلَا تَبْحَثُوا عَنْ فِعْلٍ غَيْرِكُمْ، وَهَذَا هُوَ الْمَوَافِقُ لِلشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَنَطَّعَ وَيَتَعَمَّقَ مَا دَامَ الْفِعْلُ صَدَرَ مِنْ أَهْلِهِ فَلَا يَبْحَثُ.

❦ وَقَوْلُهُ: «سَمُّوْا أَنْتُمْ وَكُلُّوْا». هَلْ مُرَّادُهُ التَّسْمِيَةُ عَلَى الذَّبْحِ الَّذِي هُوَ فِعْلٌ غَيْرُهُمْ، أَوْ عَلَى الْأَكْلِ الَّذِي هُوَ فِعْلُهُمْ؟

الْجَوَابُ: الْمُرَادُ هُوَ الثَّانِي؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ وَالذَّبْحَ لَا فَائِدَةَ مِنْهَا، فَقَدْ انْتَهَى الذَّبْحُ، فَالتَّسْمِيَةُ هُنَا عَلَى الْأَكْلِ الَّذِي هُوَ فِعْلُنَا، وَفِي هَذَا مِنْ يُسِّرِ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةَ وَسَهَوَلَتِهَا مَا فِيهِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُكَلِّفُ أَنْ يَبْحَثَ، وَلَوْ أَنَّنَا كَلَّفْنَا أَنْ تَبْحَثَ لَصَاقَتْ عَلَيْنَا الْأُمُورُ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: مَنْ ذَبَحَ هَذَا؟ إِنَّهُ فَلَانٌ، ابْحَثُوا هَلْ هُوَ يُصَلِّي أَوْ لَا يُصَلِّي، وَابْحَثُوا أَيْضًا هَلْ هُوَ قَدْ تَمَلَّكَ هَذِهِ الذَّبِيحَةَ عَلَى وَجْهِ شَرْعِيٍّ أَوْ لَا؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، اشْتَرَاهَا مِنْ فَلَانٍ، نَقُولُ: كَيْفَ جَاءَتْ؟ فَإِنْ قَالُوا: اشْتَوَّهَبَهَا مِنْ فَلَانٍ، فنَقُولُ لِلْوَاهِبِ: كَيْفَ جَاءَتْ، قَالَ مَثَلًا: عَوْضُ خُلْعٍ مِنْ امْرَأَتِي. فنَقُولُ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ الْمَرَأَةُ. وَبَقِينَا تَتَسَلَّلُ، إِلَى مَا لَا نِهَآيَةَ لَهُ. لَكِنْ مِنْ لَطْفِ اللَّهِ ﷻ أَنَّنَا لَا نَتَعَمَّقُ هَذَا التَّعَمُّقَ، فَلَا أَصْلَ فِي التَّصَرُّفِ الْوَاقِعِ مِنْ جَائِزِ التَّصَرُّفِ السَّلَامَةُ وَالصَّحَّةُ، إِلَّا أَنْ تَتَيَقَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُسَمُّوْا أَوْ لَمْ يُنْهَرُوا الدَّمُ، فَلَا نَأْكُلُ، وَلَكِنْ إِذَا شَكَّكُنَا هَلِ الذَّابِحُ يَمْنُ تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ أَوْ لَا؟

الْجَوَابُ: نَقُولُ: إِنْ كَانَ هُنَاكَ أَصْلٌ نَبْنِي عَلَيْهِ، بَنَيْنَا عَلَى الْأَصْلِ، مِثْلَ أَنْ نَشْكَّ فِي رَجُلٍ مُسْلِمٍ هَلْ هُوَ يُصَلِّي أَوْ لَا يُصَلِّي، فَلَا أَصْلَ الصَّلَاةِ، أَمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا أَصْلٌ مِثْلَ أَنْ شَكَّكُنَا فِي الْقَائِمِينَ عَلَى

الْمَجْزِرِ هَلْ هُمْ مُسْلِمُونَ أَوْ مُشْرِكُونَ، أَوْ شُيُوعِيُونَ، أَوْ مَجُوسِيُونَ، فَهَلْ نَآكُلُ أَوْ لَا نَآكُلُ؟
الجواب: لَا نَآكُلُ؛ لِأَنَّا الْآنَ شَكَكْنَا فِي أَهْلِيَةِ الذَّابِحِ، لَا فِي الشَّرْطِ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى ذَبْحِهِ،
فَحَيْثُ لَا نَآكُلُهَا.

وَالْمَجُوسِيُّ، لَا تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ، وَقَدْ قِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ: إِنَّ أَبَا ثَوْرٍ يَرَى أَنَّ الْمَجُوسِيَّ تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ.
فَقَالَ: أَبُو ثَوْرٍ كَاسِمُهُ ^(١)، نَعَمْ شَدَّدَ فِي هَذَا؛ لِأَنَّ مَا قَالَهُ خِلَافُ الْإِجْمَاعِ، فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، إِنَّ
الْمَجُوسَ تُنْكَحُ نِسَاؤُهُمْ، أَوْ تَحِلُّ ذَبَائِحُهُمْ، وَلِهَذَا نَقُولُ: إِنَّهُ لَا تَحِلُّ ذَبِيحَةُ الْمَجُوسِيِّ، وَلَا تُنْكَحُ
نِسَاؤُهُمْ، وَإِنْ كَانَ تَوَخَّذَ مِنْهُمْ الْجَزِيَّةُ؛ لِأَنَّ الْجَزِيَّةَ عَلَى الْقَوْلِ الرَّاجِحِ تَوَخَّذَ مِنْ كُلِّ كَافِرٍ، مِنْ
الْمَجُوسِيِّ، وَالْيَهُودِيِّ، وَالنَّصْرَانِيِّ، وَالشُّعُوبِيِّ وَغَيْرِهِمْ. وَلَوْ أَنَّ الْكِتَابِيَّ أَوْ الْمُسْلِمَ أَعَانَ مُشْرِكًا عَلَى
الذَّبْحِ، هَلْ تَحِلُّ الذَّبِيحَةُ؟

الجواب: نَقُولُ: الْمَعُونَةُ إِنْ كَانَتْ عَلَى الذَّبْحِ نَفْسِهِ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ؛ لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ فِي هَذَا الْفِعْلِ مُبَيِّحٌ
وَحَاطِظٌ، بِمَعْنَى: أَنَّ الْاِثْنَيْنِ أُمْسَكَا بِالسَّكِينِ وَذَبَّحَاهُ، فَهَذَا لَا تَحِلُّ الذَّبِيحَةُ، أَمَّا لَوْ نَاوَلَ مَنْ لَا تَحِلُّ
ذَبِيحَتُهُ السَّكِينِ، مَنْ تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ فَذَبَّحَ، فَإِنَّهَا تَحِلُّ، وَكَذَلِكَ لَوْ ذَبَّحَ فَأَنْهَرَ الدَّمَ ثُمَّ كَمَّلَ الذَّبْحَ مَنْ لَا
تَحِلُّ ذَبِيحَتُهُ، فَهَذَا حَلَالٌ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٣٩٩- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ
بِكَبْشَيْنِ، يُسَمَّى وَيَكْبَرُ ^(١).

وَالشَّاهِدُ قَوْلُهُ: يُسَمَّى وَيَكْبَرُ. فَذَبَّحَ بِاسْمِ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٠- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ جُنْدَبٍ، أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ ﷺ
يَوْمَ النَّحْرِ صَلَّى ثُمَّ خَطَبَ: فَقَالَ، «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ
فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ» ^(٢).

الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ». وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشَّرْطَ لَا يَسْقُطُ بِالْجَهْلِ؛ لِقَوْلِهِ: «مَنْ
ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى». فَإِنَّ عَمُومَهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ جَاهِلًا، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ أَبُو
بُرَّةَ بْنُ نِيَّارٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَطْعَمَ أَهْلِي وَيَأْكُلُوا. يَعْنِي

(١) انظر «المغني» لابن قدامة (١٣/٢٩٦).

(٢) رواه مسلم (١٩٦٦).

(٢) رواه مسلم (١٩٦٠).

مُبَكِّرِينَ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَذْبَحَ بِذِكْلِهَا، وَقَالَ لَهُ: «إِنْ شَأَتَكَ شَأَةٌ لَحْمٍ»^(١). مع أَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا، لَكِنِ الشَّرْطُ لَا يَسْقُطُ بِالْجَهْلِ، كَمَا ذَكَرْنَا قَبْلَ ذَلِكَ.

قَالَ: «وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ». اسْتَنْبَطَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ». أَنَّ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ فِي الْبَسْمَلَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقَهُ فِعْلًا مُنَاسِبًا لِلْعَمَلِ الَّذِي ابْتَدَأَتْهُ بِالتَّسْمِيَةِ، فَمِثْلًا إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ يَتَوَضَّأُ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ. فَمُتَعَلِّقُ الْبَسْمَلَةِ: اتَّوَضَّأُ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ أَدْخُلُ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠١- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، وَمَنْ كَانَ خَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ»^(٢).

قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ». إِنَّمَا خَصَّ الْأَبَاءَ؛ لِأَنَّهُ الْغَالِبُ، فَقَدْ كَانُوا يَخْلِفُونَ بِآبَائِهِمْ، ثُمَّ أَرَشَدَ لَمَّا نَهَى عَنِ الْحَلْفِ بِالْأَبَاءِ، أَرَشَدَ إِلَى ذِكْرِ مَنْ يُحْلِفُ بِهِ، وَهُوَ اللَّهُ، وَقَالَ: «وَمَنْ كَانَ خَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ». فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَحْرِيمِ الْحَلْفِ بِالْأَبَاءِ، وَمِثْلُهُ الْحَلْفُ بِأَيِّ مَخْلُوقٍ كَانَ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(٣). حَتَّى بِالرَّسُولِ ﷺ لَا يَجُوزُ الْحَلْفُ بِهِ، حَتَّى بِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى بِالْعَرْشِ، أَوْ أَيِّ مَخْلُوقٍ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ الْحَلْفُ بِهِ، فَمَنْ حَلَفَ بِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ»:

حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ: «لَا تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ». تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي الْأَيَّانِ وَالنَّذِيرِ، قَالَ: نَعِيمُ بْنُ حَمَادٍ، فِي «فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ». ذَلَّتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ -يَعْنِي الْوَارِدَةَ فِي الْإِسْتِعَاذَةِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَالسُّؤَالِ بِهَا، مِثْلَ حَدِيثِ الْبَابِ وَحَدِيثِ عَائِشَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» وَكِلَاهُمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَفِي الْبَابِ، عَنْ عُبَادَةَ، وَمِيمُونَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ عِنْدَ النَّسَائِيِّ، وَغَيْرِهِ بِأَسَانِيدٍ جَيِّدَةٍ- عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، إِذْ لَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لَمْ يُسْتَعِذْ بِهَا، إِذْ لَا يُسْتَعَاذُ بِمَخْلُوقٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٢٠٠]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَإِذَا اسْتَعِذْتَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ». وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي كِتَابِ «السَّنَةِ». قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ لِمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ بِأَسْمَاءِهِ وَصِفَاتِهِ، قُلْتُمْ بِقَوْلِ النَّصَّارَى حَتَّى جَعَلُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، فَأُجَابُوا بِأَنَّا نَقُولُ: إِنَّهُ وَاحِدٌ بِأَسْمَاءِهِ وَصِفَاتِهِ... إِلَى آخِرِهِ^(٤).

يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ فِي مُطَابَقَتِهِ لِلتَّرْجُمَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ وَجْهِ بَعِيدٍ أَنْ يُقَالَ: الْحَلْفُ بِاللَّهِ تَعْظِيمٌ لَهُ فَيَكُونُ فِي هَذَا تَعْظِيمٌ

(١) رواه مسلم (٦٩١) (٤).

(٢) رواه مسلم (٤٦٤٦) (٣).

(٣) رواه الترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٣٤/٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، وصححه الشيخ الألباني في تعليقه على «سنن أبي داود».

(٤) انظر «فتح الباري» (٣٨١/١٣).

له أسماء الله، وإذا عظمتم أسماء الله صارت محلاً للاستعاذة. من هذا الوجه ممكن، لكن فيه شيء من البعد، ثم إن قوله: إن الاستعاذة لا تكون للمخلوق، ليس هذا على إطلاقه، بل الاستعاذة بالمخلوق فيها قدر عليه جائرة، وفي ذلك أحاديث منها: فعادت المخزومية بأُم سلمة^(١)، ويعوذ عائذ بالبيت^(٢)، من كان متعوذاً^(٣)، فمن وجد فيها ملجأ أو معاذاً^(٤).

فإن قال قائل: كيف نجمع بين نهى الرسول ﷺ عن الحلف بالآباء مع أنه حلف ﷺ، فقال: «أفلق وأبيه إن صدق». في قصة الرجل الذي سأل عن الإسلام، فقال: والله، لا أزيد على هذا، ولا أنقص. فقال الرسول ﷺ: «أفلق وأبيه، إن صدق».

الجواب: وقد اختلفت أجوبة العلماء في هذا: فقال بعضهم: إن في هذا تصحيحاً، وأن الأصل أفلق والله، لكن لما كان بالأول لا ينفقون الكلمات، ولا يصنعون عليها حركات، صارت والله. «أفلق والله إن صدق». قريباً من أبيه. ولا شك أن هذا خطأ؛ لأن الأحاديث رويت بالنقل بالقول، والنقل بالكتابة، والذين رَوَوْها رَوَوْها: «أفلق وأبيه».

قال بعضهم: هذا قبل النهي عن الحلف بالآباء، وهذا القول يحتاج إلى شاهد، هو التاريخ. وقال بعض العلماء: إن هذا مما يجري على اللسان بلا قصد، فهو كقوله: «نكلك أمك يا معاذ»^(٥).

هذه ثلاثة أقوال، وقال بعض العلماء:

إن النبي ﷺ يستحيل أن يكون في قلبه من تعظيم المحلوف به، مثل ما يكون في قلب غيره، وعلى هذا فيكون مستثنى.

وهذه أربعة أقوال ورشحوا هذا القول يعني قوّه بأن النبي ﷺ لم يحلف بأبيه، بل حلف بأبي غيره، فلا يكون في قلبه من التعظيم ما يكون في قلب من حلف بأبيه؛ لأن من حلف بأبيه يحلف بشخص هو عنده في قمة العظمة والعزة والافتخار به، بخلاف من حلف بأبي غيره، فإنه لا يكون في قلبه له مثل ما يكون في قلبه لأبيه.

ويحتمل أن نقول: هذا من المتشابه، وعندنا ما هو محكم، والواجب عند الاشتباه أن نرجع إلى المحكم ونقول: الله أعلم، فقد يكون هذا من خصائص الرسول أو نسياناً أو قبل التحريم، أو مما يجري على اللسان بلا قصد، كل هذا مُحْتَمِلٌ، فما دام مُحْتَمِلًا وعندنا شيء واضح مُحْكَمٌ، فالواجب الرجوع إلى المحكم.

(١) مسلم (١٦٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٩٤). وابن ماجه (٣٩٧٣).

ومن قال: إِنَّ الرِّسُولَ قَصْدُ رَبِّ أَبِيهِ فَهَذَا بَعِيدٌ، فَالْأَصْلُ عَدَمُ هَذَا التَّقْدِيرِ.
وقد وقعت روايةٌ بحذفها وحيثُ فلا إشكالٌ ويُنظرُ أيُّها أوثقُ، مَنْ أثبتَّها، أَوْ مَنْ حَذَفَهَا، فإذا
كَانَ مَنْ أثبتَّها أَوْثَقَ، فَلابدٌ مِنَ الإِجَابَةِ عَلَى الإِشْكَالِ، وَإِذَا كَانَ مَنْ حَذَفَهَا أَوْثَقَ، صَارَ هَذَا شَاذًّا،
وَأَرَى أَنَّ الرَّاجِحَ أَنَّهُ مُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤ - بَابُ مَا يُذَكَّرُ فِي الذَّاتِ وَالنُّعُوتِ وَأَسَامِي اللَّهِ.

وقال: خُبَيْبٌ: وذلك في ذات الإله. فذكر الذات باسمه تعالى.

يَعْنِي: هل تُطْلَقُ الذَّاتُ عَلَى اللَّهِ ﷻ؟ وهل الرَّبُّ ﷻ ذَاتُهُ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الصِّفَاتِ؟ لا، ولهذا قال
البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الذَّاتِ وَالنُّعُوتِ، وَالنُّعُوتُ هِيَ الْأَوْصَافُ، قَالَ: وَأَسَامِي اللَّهِ، فَهَذَا ذَاتٌ، وَاسْمٌ،
وَصِفَةٌ فَكُلُّهَا ثَابِتَةٌ لِلَّهِ، فَإِذَا قُلْتَ اللَّهُ الْخَالِقُ، فَالْخَالِقُ تَذَلُّ عَلَى ذَاتٍ وَهِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَيَذَلُّ
عَلَى صِفَةٍ، وَلِهَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الصِّفَاتِ، كَمَا قَالَ مَنْ يَقُولُهُ مِنْ غُلَاةِ
الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تُنْبِتَ صِفَاتٍ بَلْ هُوَ ذَاتٌ فَقَطْ؛ لِأَنَّ إِبْثَاتِ الصِّفَاتِ
الْقَدِيمَةِ - عَلَى حَدِّ قَوْلِهِمْ - يَفْتَضِي إِبْثَاتَ قَدَمَاءِ مُتَعَدِّدِينَ، وَإِبْثَاتُ قَدَمَاءِ مُتَعَدِّدِينَ شَرَكٌ، مِثَالُ ذَلِكَ:
إِذَا قُلْتَ: أَنَا أَثْبِتُ لِلَّهِ ذَاتًا وَأَثْبِتُ الْعِزَّةَ لَهُ، عِزَّةٌ قَدِيمَةٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ عَزِيزًا، وَأَثْبِتُ الْقُدْرَةَ لَهُ، وَأَثْبِتُ
الْعِلْمَ، وَأَثْبِتُ السَّمْعَ، وَأَثْبِتُ الْبَصَرَ، وَكُلُّهَا قَدِيمَةٌ. يَقُولُونَ: هَذَا شَرَكٌ، النَّصَارَى أَشْرَكُوا بِأَتْنَيْنِ،
وَأَنْتَ أَشْرَكْتَ بَعْدَهُ كَثِيرٌ.

إِذَنْ لَا يَجُوزُ أَنْ تُنْبِتَ لِلَّهِ صِفَةً هِيَ قَدِيمَةٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تُنْبِتَ لَهُ صِفَةً حَادِثَةً، أَيْضًا؛ لِأَنَّا لَوْ أَثْبِتْنَا
صِفَةً حَادِثَةً لَزِمَ قِيَامُ الْحَوَادِثِ بِهِ، وَمَا قَامَتْ بِهِ الْحَوَادِثُ فَهُوَ حَادِثٌ، قَالُوا: وَتَرْتَبَ عَلَى اعْتِقَادِهِمْ
هَذَا أَنْ قَالُوا: لَيْسَ لِلَّهِ صِفَاتٌ، وَإِنَّمَا هُوَ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الصِّفَاتِ.

وَالْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَيَّنَّ أَنَّ هُنَاكَ ذَاتًا، وَهُنَاكَ نُّعُوتًا، وَهِيَ الصِّفَاتُ، وَهُنَاكَ أَسَامِي، كُلُّهَا ثَابِتَةٌ لِلَّهِ ﷻ،
الذَّاتُ وَالْأَسْمُ وَالصِّفَةُ، وَمُسْتَحِيلٌ أَنْ تُوجَدَ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الصِّفَاتِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ صِفَاتِهَا إِلَّا صِفَةُ
الْوُجُوبِ لَكَانَ كَافِيًّا؛ لِأَنَّ كُلَّ عَيْنٍ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا؛ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ لَهَا صِفَةٌ، فَإِنْ قُلْتَ: لَا أَصِفُهُ بِالْوُجُودِ.
قُلْنَا: مَا ضِدُّ الْوُجُودِ؟

الْجَوَابُ: الْعَدَمُ، إِذَنْ فَانْتَ وَصَفْتَهُ بِالْعَدَمِ، فَإِنْ قَالَ: أَنْفِي الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ.

قُلْنَا: هَذَا مُسْتَحِيلٌ؛ لِأَنَّ الْوُجُودَ وَالْعَدَمَ نَقِضَانِ، وَالنَّقِضَانِ لَا يَتَفَقَّانِ أَبَدًا، لَا بَدَأَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ
وُجُودٍ أَوْ عَدَمٍ، أَمَّا أَنْ نَقُولَ: لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ، وَلَا نَصِفُهُ بِالْوُجُودِ وَلَا بِالْعَدَمِ. فَهَذَا شَيْءٌ
مُسْتَحِيلٌ، وَالْعَجَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - يُسَبِّهُونَهُ بِالشَّيْءِ الْمَمْتَنِعِ الَّذِي لَا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ؛
لَأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: لَا نَصِفُهُ بِالْوُجُودِ وَلَا بِالْعَدَمِ. سَبِّهُوه بِالْمَمْتَنَعَاتِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ سَلَكُوا مَسْلَكَ السَّلَفِ،

وقالوا: آمَنَّا بالله، وصدَّقنا بكل ما وصف الله به نفسه، لو جَدُّوا الراحةَ القلبيةَ ولأصابوا الحقَّ، وهو سهلٌ ويسيرٌ، ولهذا لا تجدُ هذا التعمقَ وهذا التنطعَ عند الصحابةِ رضي الله عنهم، فما حصل التعمقُ والتنطعُ والإيراداتُ والإشكالاتُ إلا بعد أن خاض الإنسانُ فيما لا يعنيه.

❦ وقولُ خُبيبٍ: «وذلك في ذاتِ الإله»: فذكر الذاتَ باسمه تعالى. فأثبتَ الله الذاتَ، وذلك في ذاتِ الإله، فأثبتَ الذاتَ والاسمَ، وهذه المسألةُ سيأتي -إن شاء الله- الكلامُ عليها مبسوطاً؛ لأنَّ من الناسِ مَنْ أنكر أن نقولَ: إنَّ اللهَ ذاتاً. بناءً على أنَّ الأصلَ أنَّ الذاتَ في اللغةِ العربيةِ لا تأتي بمعنى العين، وإنَّما تأتي بمعنى الصاحب، فنقولُ: ذاتُ الشيء. أي: صاحبه الشيء، ونقولُ: امرأةُ ذاتُ جمالٍ، والدارُ ذاتُ الاتساعِ، وما أشبه ذلك، فهي بمعنى صاحبةٍ ولا تأتي بمعنى الشيء القائم بنفسه، ولكنَّ هذا القولُ المردودُ بمثل ما قال البخاريُّ رحمته الله في قولِ خُبيبٍ: وذلك في ذاتِ الإله. وعارضوا بأنَّ المرادَ بالذاتِ الجهةُ، فذاتُ الإلهِ، يعني: الجهةُ، وسيأتي -إن شاء الله- الكلامُ على هذا مبسوطاً.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله:

٧٤٠٢- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ أَبِي سَيْدٍ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِيِّ، حَلِيفُ لَيْثِ زُهْرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ مِنْهُمْ خُبَيْبَ الْأَنْصَارِيِّ، فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَّاضٍ أَنَّ ابْنَةَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَجِدُّ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ قَالَ خُبَيْبُ الْأَنْصَارِيُّ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَقْتُلُ مُسْلِمًا عَلَى أَى شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُخْرَعٍ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ يَوْمَ أَصِيبُوا.

ترجمة الباب اشتملت على كلمات ثلاث: الذات، والنعوت، والأسامي.

* أمَّا النعوتُ فهي الأوصافُ، فأوصافُ الله تعالى تُسمَّى نَعُوتًا، كما تُسمَّى أوصافًا. فنقولُ

مثلاً: نعتُ الله نفسه بكذا وكذا، أي: وصف.

* وأمَّا الأسامي؛ أسامي الله، فأمرها معلومٌ، فقد سمَّى الله نفسه بأسماء كثيرة، وجعل منها تسعة

وترسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة.

* أمَّا الذاتُ، فالذاتُ كلمةٌ اختلفَ علماءُ اللغةِ هل هي فصيحةٌ من العربيةِ، أو هي مولدةٌ

وليسَتْ بعربيةٍ؟ من جهة استعمالها بمعنى النفس، وأكثرُ المحققين على أنَّها مؤلدةٌ، وليسَتْ من

العربيةِ في شيء، وإنَّما هي من مصطلح أهل الكلام، جعلوها بدلاً عن كلمة النفس، فنقولُ مثلاً: جاءَ

زيدٌ نفسه، أو: جاءَ زيدٌ ذاته. يجعلونها بدلاً عنها، ولكنها ليست من كلام العربِ العرباءِ، كما قالَ

وَتُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى «التي» عِنْدَ طِيءٍ فَيَجْعَلُونَ «ذات» بِمَعْنَى «التي» كَمَا يَجْعَلُونَ «ذو» بِمَعْنَى «الذي» وَعَلَيْهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَإِنَّ السَّمَاءَ مَاءٌ أَبِي وَجَدِّي وَبُنْيَرِي ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوِيْتُ^(١)
أَيُّ: بَنِي الَّذِي حَفَرْتُ وَالَّذِي طَوَيْتُ. وَيُقَالُ: جَاءَتْ ذَاتُ أَرْضَ صَعْتٍ وَلَكَّاهَا. أَيُّ: الَّتِي أَرْضَعَتْ وَلَكَّاهَا.

وَتَأْتِي بِمَعْنَى «جهة» وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الزَّحَرَاتُ: ٤١٨]. أَيُّ: جِهَةُ الْيَمِينِ وَجِهَةُ الشِّمَالِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهَا قَوْلُ خُبَيْبٍ رحمته: «وذلك في ذاتِ الإله». وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِبْرَاهِيمَ: «كَذَبَ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ فِي ذَاتِ اللَّهِ». أَيُّ: فِي جِهَتِهِ^(٢) وَالْمَرَادُ: فِي سَبِيلِهِ وَطَاعَتِهِ.

وَتَأْتِي زَائِدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ؛ تَوْكِيدَ التَّنْكِيرِ. مَثَلُ: قَدِمْنَا مَكَّةَ ذَاتَ يَوْمٍ فَوَجَدْنَا الْحَرَمَ خَفِيفًا فَقَوْلُهُ: ذَاتَ يَوْمٍ. هَذِهِ زَائِدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ التَّنْكِيرِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: قَدِمْنَا مَكَّةَ يَوْمًا وَهَذَا يَوْجَدُ كَثِيرًا فِي الْحَدِيثِ، خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَمَا أَشْبَهَهُ، فَهِيَ زَائِدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ التَّنْكِيرِ. هَذِهِ أَرْبَعَةُ مَعَانٍ لِلذَاتِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

أَمَّا «ذات» بِمَعْنَى: نَفْسِ الشَّيْءِ وَحَقِيقَةُ الشَّيْءِ، فَهَذِهِ اخْتَلَفَ فِيهَا عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ اسْتِعْمَالَهَا فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَهَا، وَقَالَ: لَا بَأْسَ بِهَا. وَظَاهِرُ صَنِيعِ الْبَخَارِيِّ رحمته جَوَازُ اسْتِعْمَالِهَا بِمَعْنَى النَّفْسِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْعِلَاقَةُ بَيْنَ هَذَا الْاسْتِعْمَالِ، وَبَيْنَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؟ قُلْنَا: الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَنْ تَأْتِيَ بِمَعْنَى صَاحِبَةٍ، فَهَمَّ يَقُولُونَ: ذَاتَ عِلْمٍ. أَيُّ: صَاحِبَةُ عِلْمٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى ذُو عِلْمٍ. فَأَصْلُهَا مُضَافَةٌ، لَكِنْ حُذِفَ الْمُضَافُ ثُمَّ بَقِيََتْ نَكْرَةً فَعُرِفَتْ بِ«ال»، وَلِهَذَا مَنَعَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَقُولُوا: ذَاتَ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ. قَالُوا: لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولُوا: ذَاتَ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ النَّاءَ لِلتَّأْنِيثِ، وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ الْكَلِمَةِ الْمُؤَنَّثَةِ بِالنَّاءِ - وَلَوْ لِلْمُبَالَغَةِ - بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ ﷻ وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ عَلَّامَةٌ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولُوا: هَذَا الرَّجُلُ عَلَّامَةٌ. أَمَّا اللَّهُ فَتَقُولُوا: عَلَّامُ الْغُيُوبِ. فَانْتِ إِذَا أَتَيْتَ بِذَاتٍ تَرِيدُ بِهَا الرَّبَّ ﷻ، فَإِنَّ هَذَا يَعْنِي تَأْنِيثَ مَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ، خِلَافَ اسْتِعْمَالِ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ.

وَالْخِلَاصَةُ: أَنَّ الذَّاتَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَسْتَعْمَلُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ.

أَمَّا فِي الْإِصْطِلَاحِ - وَلَا مُشَاحَّةَ فِي الْإِصْطِلَاحِ - وَهُوَ الْمَعْنَى الْجَدِيدُ لَهَا، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى

(١) انظر: «خزانة الأدب» (٦/ ٣٤، ٣٥)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص ٥٩١)، «لسان العرب» (١٥/ ٤٦٠). (ذوا)، «شرح التصريح» (١/ ١٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١).

نفس، فيقال: ذات وصفات. ذات الله؛ أي: نفس الله، وجاء زيد ذاته؛ أي: نفسه، فتكون مضافة، كذات الله، وتكون مقطوعة عن الإضافة، مُعَرَّفَةٌ بِأَلٍ مِثْلِ الذَّاتِ، وهذا هو ما ذهب إليه البخاري رحمه الله.

فإن قال قائل: استدلال البخاري رحمه الله بقول حبيب: «وذلك في ذات الإله». هل يطابق ما ترجم به؟ لأن البخاري ترجم على أن الذات بمعنى النفس؛ وحبيب ما أراد ذلك؛ لأنه لا يريد ذات الإله التي هي نفسه، وإنما يريد ذات الإله؛ أي: في سبيل الله، أو في طاعة الله، أو في مرضاة الله، أو ما أشبه ذلك، لكن كأن البخاري يقول: يكفي في هذا أن استعملت الذات مضافة إلى الله، فأخذ من جواز استعمال ذات مضافة إلى الله، أن يوصف بها الله عز وجل. وتقدم في صحيح البخاري تفصيل قصة حبيب.

قال العيني في «عمدة القاري»:

وهي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ - جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ - فَاَنْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَاةِ وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هَذِلٍ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ، فَتَفَرَّوْا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتِي رَجُلٍ، كُلُّهُمْ زَامٍ، فَاقْتَصَّوْا أَثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا: هَذَا تَمْرٌ يَنْبَغُ. فَاقْتَصَّوْا أَثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجُّوا إِلَى فَذَقِدٍ، وَأَحَاطَ بِهِمْ الْقَوْمُ فَقَالُوا لَهُمْ: انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ، وَلَا نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا. قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَا أَنْزِلُ الْيَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ. فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ رَهْطٍ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، مِنْهُمْ حُبَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ وَابْنُ دَيْنَةَ وَرَجُلٌ آخَرٌ، فَلَمَّا اسْتَمَكُّوْا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْتَقَوْهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ، إِنْ لِي فِي هَؤُلَاءِ لَأُسُوءَ. يُرِيدُ الْقَتْلَ، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَأَبَى، فَقَتَلُوهُ، فَاَنْطَلَقُوا بِحُبَيْبٍ وَابْنِ دَيْنَةَ حَتَّى بَاعَوْهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَاتَّبَعَ حُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ حُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنِ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ حُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيَّاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَجِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، فَأَخَذَ ابْنَا لِي وَأَنَا غَافِلَةً حَتَّى آتَاهُ قَوْجَدْتُهُ مُجْلِسُهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعْتُ فَرَعَةً عَرَفَهَا حُبَيْبٌ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ: تَخْشَيْنِ أَنْ أَقْتُلَهُ، مَا كُنْتُ لَأَفْعَلَ ذَلِكَ. وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ حُبَيْبٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوتِقٌ فِي الْحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ حُبَيْبًا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ؛ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ، قَالَ لَهُمْ حُبَيْبٌ: ذَرُونِي أَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ. فَتَرَكُوهُ، فَكَرَعَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنْ تَنْظُنَّوْا أَنَّ مَآيِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَىِّ شَيْءٍ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شُلُوِّ مُخْرَجِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ ، فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ
لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصَيْبٍ ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبْرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا ، وَبَعَثَ نَاسًا مِنْ كُفَّارِ
قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حَدَّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ
بَدْرٍ ، فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبَرِ ، فَحَمَتُهُ مِنْ رَسُولِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعُوا مِنْ
لَحْمِهِ شَيْئًا . اهـ

هَاتَانِ كَرَامَتَانِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ : حَمَاةُ عَاصِمٍ ، وَهَذَا الرِّزْقُ الَّذِي يَأْتِي بِهِ اللَّهُ ﷻ إِلَى خُبَيْبٍ ، وَأَنَا
أَرَى مِثْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَظِيمَةِ أَنْ تُسَجَّلَ وَتُنَشَرَ بَيْنَ النَّاسِ ، لِمَا فِيهَا مِنْ تَثْبِيَةِ الْإِيمَانِ وَالْأَسْوَةِ الْحَسَنَةِ
بِهَوْلَاءِ الَّذِينَ هُمْ مَفْخَرَةُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؛ لِأَنَّ هَذَا مِمَّا يَشْجَعُ الْإِنْسَانَ وَيَزِيدُ فِي إِيْمَانِهِ ، وَيَزِيدُ فِي صَبْرِهِ ،
انْظُرْ إِلَى عَاصِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ مَعَهُ قَالَ : لَا يُمَكِّنُ أَنْ أَنْزَلَ عَلَى ذِمَّةِ كَافِرٍ . وَمَنْ يَتَّقِ الْكَافِرَ ، وَمَاذَا فَعَلُوا
بذِمَّتِهِمْ ، الَّذِينَ نَزَلُوا عَلَى ذِمَّتِهِمْ يَبِيعُوا فِي مَكَّةَ كَمَا يَبِاعُ الْغَنَمُ .
الْحَاصِلُ : أَنَّ هَذِهِ لَوْ تَقَيَّدُ وَتُجْعَلُ فِي دَفْتَرٍ يُقَيَّدُ فِيهِ مِثْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَمُرُّ بِنَا لَا سِيَّمَا مَا وَقَعَ
مِنْهَا فِي الصَّحِيحِ ؛ لِأَنَّهَا نَبْرَاسٌ يُقْتَدَى وَيُؤْخَذُ بِهِ .

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥ - بَابُ: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٣٠]. وقوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿تَعَلَّمُوا مَا

فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١١٦].

من صفاتِ اللَّهِ ﷻ أيضًا: النفسُ، والبخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ فَهْمِهِ أَنَّهُ أَتَى بِهَذَا الْبَابِ بَعْدَ ذِكْرِ الْبَابِ الَّذِي فِيهِ الذَّاتُ؛ لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ الذَّاتَ بِمَعْنَى النَّفْسِ، وَنَفْسُ الشَّيْءِ هُوَ الشَّيْءُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٣٠] أَيْ: يُحَذِّرُكُمْ إِيَّاهُ، وَلَيْسَتْ النَّفْسُ شَيْئًا، وَاللَّهُ شَيْئًا آخَرُضَ، فَاللَّهُ هُوَ النَّفْسُ.

وَكَذَلِكَ ﴿تَعَلَّمُوا مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١١٦]؛ أَيْ: تَعَلَّمُوا مَا عِنْدِي أَنَا فِي نَفْسِي، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، فَلَيْسَتْ النَّفْسُ صِفَةً زَائِدَةً عَلَى الذَّاتِ بَلْ هِيَ الذَّاتُ نَفْسُهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٨]. هَلِ الْمَرَادُ ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ بِأَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ آخَرُ غَيْرُ ذَوَاتِهِمْ؟ الْجَوَابُ: لَا، هِيَ ذَوَاتُهُمْ، وَعَلَى هَذَا؛ فَالنَّفْسُ بِمَعْنَى الذَّاتِ، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ يَعْني يُحَذِّرُكُمْ إِيَّاهُ، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِئَنِّي فَأَرْجُونَ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٤٠] ﴿وَلِئَنِّي فَأَقْتُونَ﴾ [التَّوْحِيدُ: ٤١]. وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يُحَذَرَ مِنَ اللَّهِ ﷻ لَا يُحَذَرُ مِنْهُ ظَاهِرًا فَقَطْ، بَلْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فِيمَا يَقُولُ وَفِيمَا يَفْعَلُ وَفِيمَا يُضْمِرُ عَلَنًا أَوْ سِرًّا؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١٦]. رَزَقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ الْيَقِينَ.

إِذَا: عَلِمَ الْإِنْسَانُ هَذَا وَأَيَقَنَ؛ فَإِنَّهُ سَوْفَ يَخْشَى رَبَّهُ ﷻ، وَيَخَافُ أَنْ يَقَعَ فِي مُحَارِمِهِ، وَيُحَذَرُ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾.

وَقَالَ: ﴿تَعَلَّمُوا مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ الْقَائِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُخِي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾. تَنْزِيهَا لَكَ أَنْ أَقُولَ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ تَعَلَّمُوا مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ ﴿٣٦﴾ وَلَمَّا نَفَى أَنْ يَكُونَ قَالَهُ بَيْنَ مَاذَا قَالَ لَهُمْ، فَقَالَ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [التَّوْحِيدُ: ١١٧]. وَاتَّبَاعُ عِيسَى النَّصَارَى الْيَوْمَ - الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ اتَّبَاعُ عِيسَى وَهُمْ كَاذِبُونَ - يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَعِيسَى قَدْ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾. لَكِنْ هُمْ يَعْبُدُونَ الْآنَ عِيسَى، وَأَمَّهُ، وَالرَّبَّ؛ ثَلَاثَةً أَقَانِيْمَ عِنْدَهُمْ، بَلْ بَعْضُهُمْ يَعْبُدُ الصَّلِيبَ، وَهَذَا مِنْ سَفَهِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، فَالصَّلِيبُ فِي الْأَصْلِ خَشَبَةٌ مُصْلُوبٌ عَلَيْهَا - عَلَى مَا رَزَعُوا - عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْعَقْلُ يَقْتَضِي أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ الَّذِي يَتَّبِعُ عِيسَى وَيَحِبُّ عِيسَى إِذَا رَأَى الصَّلِيبَ كَسَرَهُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ يُحِبُّ عِيسَى، هَلْ يَحِبُّ الصَّلِيبَ الَّذِي صُلِبَ عَلَيْهِ؟

الجواب: لا، بل يَكْرَهُهُ، فَمُقْتَضَى الْعَقْلِ أَنَّهُ يَكْسِرُ الصَّلِيبَ؛ لِأَنَّهُ عَلَى زَعْمِهِمْ صَلِبَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ، وَنَحْنُ نُبْرِئُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، نُبْرِئُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَلِيبَ، وَاللَّهُ تَعَالَى نَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ، وَلَمَّا هَمُّوا بِقَتْلِهِ وَصَلَبِهِ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٥٧]. وَسَبَّحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ! إِنَّ أَصْلَ ضَلَالِهِمْ مَبْنِيٌّ عَلَى شُبْهَةٍ، وَالضَّلَالُ كُلُّهُ شُبْهَةٌ، فَقَدْ شُبِّهَ لَهُمْ رَجُلٌ عَلَى أَنَّهُ عِيسَى فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَقَالُوا: هَذَا عِيسَى، وَلَيْسَ الَّذِي قَتَلَهُ أَيْضًا النَّصَارَى، الَّذِي قَتَلَهُ الْيَهُودُ، وَالَّذِي صَلَبَهُ الْيَهُودُ - عَلَى زَعْمِهِمْ - وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٥١]. وَانْظُرْ كَيْفَ كَانُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَهُمْ أَعْدَاءُ فِي الْوَاقِعِ، لَكِنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ ضِدَّ عَدُوِّ ثَالِثٍ وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ، وَالْمُسْلِمُونَ أَعْدَاءُ لَهُمْ مِنْذُ بَرَزَ صَدْرُ الْإِسْلَامِ إِلَى الْيَوْمِ، وَإِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَسَوْفَ يُقْتَلُ الْيَهُودُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى يَدِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَخْتَبِئُوا بِالشَّجَرِ: فَيَقُولُ الشَّجَرُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ. فَالْحَاصِلُ: أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ إِخْوَانُهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [١٧٧]. وَمَعْنَى تَوَفَّيْتَنِي؛ أَيُّ: قَبَضْتَنِي إِلَيْكَ وَرَفَعْتَنِي.

* * *

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٣ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ. وَمَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ».^(١)

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: إثبات الغيرة لله ﷻ. والغيرةُ لا تُحَدُّ بِأَوْضَحٍ مِنْ لَفْظِهَا، الْغِيرَةُ هِيَ الْغِيرَةُ، وَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَغَارُ وَلَكِنْ لِلْغِيرَةِ آثَارٌ مِنْهَا الْغَضَبُ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ ﷻ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَقَدْ ثَبِتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي قِصَّةِ صَلَاةِ الْكَسُوفِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أُمَّتُهُ»^(٢)، يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ يَغَارُ غِيرَةً شَدِيدَةً لَا يَوْجِدُ لَهَا نَظِيرًا إِذَا زَنَى عَبْدُهُ أَوْ زَنَتْ أُمَّتُهُ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى عَظَمِ الزَّنَا عِنْدَ اللَّهِ ﷻ وَأَنَّهُ يَغَارُ مِنْهُ ﷻ غِيرَةً شَدِيدَةً.

قَوْلُهُ: «وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ». فَاللَّهُ ﷻ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ وَأَنْ يَمْدَحُوهُ؛ لِأَنَّهُ أَهْلٌ لِلذِّكْرِ ﷻ، أَهْلٌ لِأَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ وَأَنْ يُمَدَّحَ، فَلِذَلِكَ يُحِبُّ هَذَا، وَهَذَا مِنْ كَمَالِهِ ﷻ أَنْ يُحِبُّ أَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، مَعَ أَنَّنَا لَا نُخْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، ثُمَّ هَذَا الثَّنَاءُ مَصْلَحَتُهُ تَعَوُّدُ لَنَا فَهُوَ

(١) رواه مسلم (٢٧٦٠).

(٢) رواه مسلم (٩٠١).

يُحِبُّ هَذَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَنْفَعُ الْعَبْدَ، وَيُحِبُّ هَذَا؛ لِأَنَّهُ أَهْلٌ لِأَن يُمَدَّحَ.

هَذَا اللَّفْظُ الَّذِي مَعْنَاهُ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ النَّفْسِ، فَمَا وَجْهُ التَّرْجَمَةِ؟

الْجَوَابُ: لَعَلَّ لَهُ طَرِيقًا آخَرَ ذَكَرَ فِيهِ النَّفْسَ، وَالْبُخَارِيُّ هُنَا اخْتَصَرَهُ، وَهَذِهِ مِنْ عَادَةِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهِيَ عَادَةٌ غَرِيبَةٌ يَذْكُرُ التَّرْجَمَةَ ثُمَّ يَأْتِي بِالْحَدِيثِ بِلَفْظٍ آخَرَ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ التَّرْجَمَةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْتَثَّ الطَّالِبَ عَلَى طَلَبِ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّرْجَمَةِ مَوْجُودًا فِي الْحَدِيثِ، لَكَانَ طَعَامًا بَارِدًا يَأْكُلُهُ الْإِنْسَانُ بِكُلِّ سَهُولَةٍ، لَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ جَعَلَ يَحْتَثُّ وَيُعْمَلُ فَكَّرَهُ. فَلِذَا كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَاسِعٌ فِي الْحَدِيثِ عَرَفَ أَنَّ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَشَارَ إِلَى لَفْظٍ آخَرَ فِي الْحَدِيثِ فِيهِ ذِكْرُ النَّفْسِ، وَهُوَ يَسْتَعْمِلُهُ كَثِيرًا رَحِمَهُ اللَّهُ.

لَكِنْ أحيانًا يَشِيرُ إِلَى لَفْظٍ يَنَاسِبُ التَّرْجَمَةَ وَلَكِنْ لَا يَكُونُ الْحَدِيثُ عَلَى شَرْطِهِ؛ لِأَنَّ شَرْطَهُ فِي الصَّحِيحِ قَوِيٌّ وَشَدِيدٌ فَلَا يَكُونُ عَلَى شَرْطِهِ، وَلَكِنْ لَوْ سُئِلْنَا: هَلْ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْطِهِ هَلْ فِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ عَلَى صِحَّتِهِ مِنَ الْبُخَارِيِّ؟.

الْجَوَابُ: الظَّاهِرُ، نَعَمْ أَنَّ فِي ذَلِكَ إِشَارَةً مِنَ الْبُخَارِيِّ إِلَى صِحَّتِهِ، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ حَدِيثٍ صَحِيحٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ يَكُونُ عَلَى شَرْطِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ يَكُونُ فِي نَفْسِ الصَّحِيحِ، قَدْ يَكُونُ مَا يَنَاسِبُ التَّرْجَمَةَ مَذْكُورًا فِي نَفْسِ الصَّحِيحِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَبْحَثَ.

قَالَ الْقُسْطَلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَا يَدُلُّ عَلَى مِطَابَقَتِهِ لِلتَّرْجَمَةِ صَرِيحًا فِي رِوَايَةِ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ زِيَادَةُ قَوْلِهِ: «وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ»، وَسَاقَهُ هُنَا عَلَى الْإِخْتِصَارِ دُونَ هَذِهِ الزِّيَادَةِ، تَشْجِيذًا لِلْأَذْهَانِ عَلَى عَادَتِهِ وَلَمَّا لَمْ يَسْتَحْضِرِ الْكِرْمَانِيُّ هَذِهِ الزِّيَادَةَ عِنْدَ شَرْحِهِ ذَلِكَ قَالَ: لَعَلَّهُ أَقَامَ اسْتِعْمَالَ أَحَدِ مَقَامِ النَّفْسِ لِتَلَازِمِهَا صِحَّةِ اسْتِعْمَالِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَقَامَ الْآخَرِ اهـ.

كَلَامُ الْكِرْمَانِيِّ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّهُ يَرِيدُ، يَعْنِي: مَا مِنْ أَحَدٍ، يَعْنِي: مَا مِنْ نَفْسٍ، هَذَا بَعِيدٌ جَدًّا، لَكِنْ النِّكْتَةُ هِيَ مَا ذَكَرْنَا وَمَا ذَكَرَهُ الشَّارِحُ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٤ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ - وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ وَضَعُ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ - إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»^(١).

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي سِيَاقِهِ قَلْبٌ، وَفِي جُمْلَتِهِ قَلْبٌ وَقَدْ رَوِيَ بِسِيَاقٍ أَتَمٍّ وَأَحْسَنَ مِنْ هَذَا، وَالشَّاهِدُ مِنْهُ:

قوله: «يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ» وقد جاء في القرآن ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].
والشاهد: إثبات النفس لله ﷻ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٠٥- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(١).

[الحديث: ٧٤٠٥- طرفاه في: ٧٥٠٥، ٧٥٣٧]

❦ قوله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» يعني كما جاء في حديث آخر «إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ بِي سَوْءًا فَلَهُ»^(٢) ولكن متى يَحْسُنُ أَنْ يَظُنَّ الْإِنْسَانُ بَرَّهُ خَيْرًا؟ يَحْسُنُ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا يَسْتَحِقُّ بِهِ الْخَيْرَ فحينئذ يَظُنُّ بَرَّهُ خَيْرًا، مثاله: عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَيَظُنُّ بَرَّهُ أَنْ يَقْبَلَهُ، تَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَنْبٍ فَعَلَهُ فَيَظُنُّ بَرَّهُ أَنْ يَقْبَلَهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى عَمَلِهِ وَإِلَى حَالِهِ فَيُسِيءُ الظَّنَّ بِنَاءً عَلَى مَا عِنْدَهُ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ﷻ فَيُحْسِنُ الظَّنَّ، أَمَّا مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مَا يَكُونُ بِهِ إِحْسَانُ الظَّنِّ، فَإِنْ إِحْسَانَ الظَّنِّ إِفْلَاسٌ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»^(٣) فَحَسَنُ الظَّنِّ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلٍّ قَابِلٍ، بَأَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا فَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ ﷻ أَنَّهُ يَقْبَلُهُ، أَمَّا الْمُصِرُّ عَلَى مَعْصِيَةٍ، وَيَقُولُ: أَنَا مُحْسِنُ الظَّنِّ وَيَغْفِرُ اللَّهُ لِي، يَزْنِي صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ صَبَاحًا وَمَسَاءً وَيَقُولُ: أَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ، يَا مُسْكِينُ، كَيْفَ تَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ، تُسَبِّحُ إِلَى اللَّهِ وَأُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَكَ.

إِذَا: إِحْسَانُ الظَّنِّ بِاللَّهِ مَتَى يَكُونُ؟ إِذَا كَانَ فِي مَحَلٍّ قَابِلٍ، عِنْدَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ أَوْ التَّوْبَةِ مِنَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ فَيُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَأَنْ يَقْبَلَ عِلْمَهُ.

❦ قَالَ: «وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي» الْمَعِيَةُ هُنَا مَعِيَةٌ خَاصَّةٌ تَقْتَضِي التَّشْيِيتَ وَالتَّائِيدَ وَالنَّصَرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ هَذِهِ الْمَعِيَةِ الْخَاصَّةِ، فَكَلَّمَا ذَكَرْتَ اللَّهَ، فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ سِوَاءَ ذَكَرْتَهُ بِقَلْبِكَ أَوْ بِلِسَانِكَ أَوْ بِجَوَارِحِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُ رَفَقَةً

(١) رواه مسلم (٢٦٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٩١/٢)، (٩٠٧٦) وابن حبان (٦٣٩) في «صحيحه».

وصحح الحديث الشيخ شعيب كما في «التعليق على المسند» (٣٦/١٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٢٤/٤)، (١٧١٦٤)، والترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجه (٤٢٦٠)، وضعفه الشيخ الألباني كما في

«المشكاة»، (٥٢٨٩) و«السلسلة الضعيفة» (٥٣١٩)، وتعليقه على السنن.

فَاتَّبِعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٤٥﴾. لماذا؟ ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾. حَتَّى تَسْأَلُوا الْفَلَاحَ؛
بالثبات وذكر الله.

ولهذا إذا ذكر الإنسان ربّه من قلبه نسي كل شيء، ولست أقول: نسي كل شيء كما ينسى
الصوفية الذين يقنون عن شهود الصور، إذا قام أحدهم يتعبّد نسي كل شيء، فغفل على زعمهم
بالمعبود عن العبادة وبالمذكور عن الذكر، وبواجب الوجود عن ممكن الوجود، نسي كل شيء،
حتى يصل بعضهم إلى حد الجنون يُخبط ويقول: أنا خيمتي على جهنم، ويقول: سبحاني سبحاني،
ويقول: ما في الحجة إلا الله. يعني نفسه، فيصلون إلى حد الشطح والجنون والهذيان، فأنت كلما
ذكرت ربك فإن الله ﷻ معك بالنصر والتأييد والتثبيت وزوال الوحشة حتى إذا استوحشت بالليل،
فأردت أن تزول الوحشة عنك فاذكر الله ﷻ؛ لأنك بذكرك الله يهون عنك كل شيء ويتصاغر
وعندك كل شيء.

والمعينة تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول: معية عامة: يراد بها بيان الإحاطة، مثل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا
هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ ﴿١٨٨﴾. هذه عامة،
ومثل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا
يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ﴿٤٤﴾. وهذه المعية تشمل المؤمن
والكافر والبر والفاجر.

القسم الثاني: معية خاصة للتهديد، هي خاصة لكنها للتهديد، مثل قوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا
يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ ﴿١٨٨﴾ ﴿١٨٨﴾. هذه
خاصة معهم، أي: هؤلاء الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله، وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى
من القول في الليل، والمقصود بها التهديد.

القسم الثالث: معية خاصة لقوم معينين بأوصافهم للتأييد والتثبيت، مثل قوله تبارك وتعالى:
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾ ﴿١٧٨﴾. وأمثالها كثير.

القسم الرابع: معية مخصوصة بقوم معينين للتأييد، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ
وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾. هذه وإن كانت خاصة في المخاطبين في ذلك الوقت، فهي خاصة،
وإلا فهي عامة خاصة بالمجاهدين، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾. بالنصر والتأييد والتثبيت.

القسم الخامس: معية خاصة بأشخاص معينين للتأييد والنصر والدفاع: مثل قوله تبارك وتعالى
عن موسى وهارون، لما قال موسى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَتَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ﴿١٥﴾ قَالَ لَا تَخَافْ إِنِّي مَعَكُمَا
أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿١٥﴾ ﴿٤٦-٤٥﴾. المعية هنا خاصة بشخص، للتأييد والتقوية والتثبيت، ومن ذلك قوله
تعالى في حق نبينا ﷺ حين قال له أبو بكر وهما في غار ثور: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى قدميه

لأَبْصَرْنَا، يَعْنِي بِذَلِكَ: قَرِيبًا الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الرَّسُولَ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَقَفُّوا عَلَى الْغَارِ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ حَائِلٌ، لَا عَشُّ حَامٍ وَلَا شَجَرَةٌ عَلَيْهَا حَمَامَةٌ وَلَا شَيْءٌ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، مَا ظَنُّكَ بَاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا»^(١) أَخْبَرَ وَبَيْنَ الْحُكْمِ «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، مَا ظَنُّكَ بَاثْنَيْنِ» هَذَا التَّثْبِيتُ وَالتَّأْيِيدُ وَالدِّفَاعُ، مَا ظَنُّكَ بَاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا، أَبُو بَكْرٍ ﷺ مَاذَا يَظُنُّ بَاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا، أَنَّهُ لَنْ يَضُرَّهُمَا أَحَدٌ، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَعْتُرَّ عَلَيْهِمَا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَقَعَ وَقَفُّوا عَلَى الْغَارِ، وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا، أَعْمَى اللَّهُ أَبْصَارَهُمْ وَانْصَرَفُوا.

وَهَذِهِ الْمَعِيَةُ مِنَ اللَّهِ ﷻ لِلرَّسُولِ وَأَبِي بَكْرٍ كَالْمَعِيَةِ الَّتِي كَانَتْ لِمُوسَى وَهَارُونَ، وَلِهَذَا كَانَتْ أَقْوَى مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ فِي غُرُورَةِ تَبُوكَ، وَكَأَنَّ عَلِيًّا صَارَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ، كَيْفَ تُخَلِّفُنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٢) بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فِي كَوْنِكَ خَلِيفَةً لِي عَلَى أَهْلِي، كَمَا خَلَفَ مُوسَى هَارُونَ عَلَى قَوْمِهِ «اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ»^(٣) لَكِنْ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» كَمَعِيَةِ اللَّهِ لِمُوسَى وَهَارُونَ، فَكَانَ هَذَا أُلْبَغُ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»، كَمَا قَالَ اللَّهُ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٤) فَهَذِهِ الْمَعِيَةُ خَاصَّةٌ بِالشَّخْصِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ هَذِهِ الْمَعِيَةُ حَقِيقَةٌ أَوْ الْمَرَادُ بِهَا لَوَازِمُهَا؟

نَقُولُ: هِيَ حَقِيقَةٌ وَالدَّافِعُ تَابِعَةً لِلْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ كَسَائِرِ الْمَعَانِي، الدَّافِعُ كَالْعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالدِّفَاعِ وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ، تَابِعَةً لِلْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي يَدُلُّ عَلَى اللَّفْظِ بِالمطابقة.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ تَجْعَلُونَهَا حَقِيقَةً، وَأَنْتُمْ تُتَكَبِّرُونَ عَلَى الْحُلُولِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا حَقًّا بِذَاتِهِ؟

نَقُولُ: نَعَمْ، نَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فِي نَفْسِ الْمَكَانِ. فَيَكُونُ اللَّهُ مَعَ الرَّسُولِ وَأَبِي بَكْرٍ فِي نَفْسِ الْغَارِ، مَعَ الْمُحْسِنِينَ فِي نَفْسِ الْأَمَاكِنِ، وَالْمَعِيَةُ الْعَامَّةُ مَعَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فِي أَيِّ مَكَانٍ، وَنَحْنُ نَتَكَبَّرُ هَذَا أَشَدَّ الْإِنْكَارِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تُثَبِّتُوا مَعِيَةَ حَقِيقَةً مَعَ اعْتِقَادِكُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ، فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ هَذَا تَنَاقُضٌ؟

فَالْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ جَمَعَ فِيهَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ الْمَعِيَةِ وَالْعُلُوِّ، فَقَالَ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾^(٥). وَقَالَ:

(١) رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

﴿وَهُوَ أَعْلَى الْعَرْشِ عَظِيمٌ﴾ [٢٥٠: ٢٥٠]. بل في نفس آية الحديد ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [٢٥٤: ٢٥٤]. هذا علو، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [٢٥٤: ٢٥٤]. فليس استواؤه على العرش بمانع من كونه معنًا، فإذا كان كذلك - إذا كان الله جمع فيها وصف فيه نفسه بين العلو والمعية - فإننا نعلم علم اليقين أنه لا تناقض بينهما؛ لأنه لو كان بينهما تناقض للزم أن يكون أحد الخبرين كذبًا، وهذا مستحيل.

الوجه الثاني: أنه لا تناقض بين العلو والمعية، وذلك لأن المعية معناها الأصلي مطلق المصاحبة والمقارنة، وهذا المطلق يختلف باختلاف المضاف إليه، وباختلاف القرائن، فمثلاً الرجل يقول: زَوْجَتِي مَعِي، وهو في المسجد، والمرأة في البيت، والكلام هذا صحيح، ففيه مطلق مقارنة ومصاحبة لكن ليس معناه أنها تكون معه في نفس المسجد، وكذا الجنود في الميدان في القتال، يَقُولُونَ: الْقَائِدُ مَعَنَا؛ لِأَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى تَوَجُّهِاتِهِ، هذه المعية أو المقارنة أو المصاحبة لها مَعْنَى، الْقَائِدُ فِي غُرَّةِ الْعَمَلِيَّاتِ وَهُمْ فِي مِيدَانِ الْقِتَالِ، وَيَقُولُونَ: الْقَائِدُ مَعَنَا.

إِذَا: تَغَيَّرَ الْمَعْنَى بِحَسَبِ السِّيَاقِ، الْعَرَبُ يَقُولُونَ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ وَالْقَمَرُ مَعَنَا، وَالْقَمَرُ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ وَلَا عَلَى رِوَاحِلِهِمْ، بَلْ فِي السَّمَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُونَ بِاللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الْفَصِيحِ الْمُبِينِ: إِنَّ الْقَمَرَ مَعَنَا. وَلَا يَنْكُرُ عَلَيْهِمْ، أَوْ يَقُولُونَ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ وَالْقُطْبُ مَعَنَا. أَوِ الْجَدْيُ مَعَنَا، وَكُلُّ هَذَا كَلَامٌ عَرَبِيٌّ فَصِيحٌ صَحِيحٌ، فَهَلْ هُنَاكَ مَنَافَاةٌ الْآنَ بَيْنَ عُلُوِّ الْقَمَرِ فِي السَّمَاءِ أَوِ الْقُطْبِ أَوِ الْجَدْيِ وَبَيْنَ كَوْنِهِ مَعَنَا؟ الْجَوَابُ: لَا، فَإِذَا كَانَ هَذَا مُمْكِنًا فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ فَفِي حَقِّ الْخَالِقِ أَوَّلَى وَأَوْلَى.

ولهذا قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»: «بَلِ الْقَمَرُ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ مَعَ الْمَسَافِرِ وَغَيْرِهِ أَيْنَمَا كَانَ»^(١)، مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِ الْمَخْلُوقَاتِ مَعَ ذَلِكَ هُوَ مَعَ الْمَسَافِرِ وَغَيْرِهِ أَيْنَمَا كَانَ فَكَيْفَ بَمَنْ هُوَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، كَيْفَ بَمَنْ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّهِ كَخِرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِنَا، أَلَا يَبْصَحُ أَنْ نَقُولَ: هُوَ مَعَنَا وَهُوَ فِي السَّمَاءِ؟ يَبْصَحُ.

الوجه الثالث: أَنْ نَقُولَ: هَبْ أَنْ بَيْنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّ لِلْمَعِيَةِ وَالْعُلُوِّ الذَّائِقِ تَنَاقُضًا فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّ مَا يَلْزَمُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ لَا يَلْزَمُ فِي حَقِّ الْخَالِقِ، وَمَا اسْتِحَالٌ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ قَدْ يَكُونُ جَائِزًا أَوْ وَاجِبًا فِي حَقِّ الْخَالِقِ، وَهَذَا يَزُولُ الْإِشْكَالُ، وَأَهْمُ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْوَجْهَ الْأَوَّلُ: وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْمَعَ فِيهَا وَصْفٌ بِهِ نَفْسُهُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ، لَكِنْ يَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى فُتْنَةٍ، وَإِلَى ذِكَاةٍ حَتَّى يَتِمَّكَنَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ مَا ظَاهَرَهُ التَّعَارُضُ وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

وَالْمَعِيَةُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْمَعِيَةِ الْخَاصَّةِ فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِذِكْرِ اللَّهِ دَائِمًا، اذْكُرِ اللَّهَ دَائِمًا حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ مَعَكَ دَائِمًا؛ لِقَوْلِهِ: «فَإِنْ ذَكَرْنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي».

والشاهد من الحديث قوله: «ذكرته في نفسي».

وقوله: «وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم» ملا يعني: جماعة و«ذكرته في ملا خير منهم» وهم الملائكة المقرَّبون الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته، ويسبحونه وله يسجدون، يذكره في ملا خير منه، وبإله من فخر عظيم إذا جلست في مجلس، ما أسهل أن تذكر الناس بالله ﷻ لو لم تقل إلا: لا إله إلا الله. ما أعظم الله! كيف استطاع بنو آدم أن يكونوا هذا النور من مسمار يضغط، هذا من ذكر الله فإذا ذكرت الله في هذا الملا ذكرك الله في ملا خير منه، وهم الملائكة المقرَّبون عند الله.

استدل بعض العلماء بهذا الحديث: على أن الملائكة خير من البشر ومن الجن، لأنه قال: «ذكرته في ملا خير منهم» فهل هذا الاستدلال صحيح؟

الجواب: لا؛ لأنه لا يلزم من الخيرية الخاصة، الخيرية المطلقة. فمثلاً أنا عندي جماعة أهل استقامة ودين ويوجد ناس خير منهم، أعلى منهم درجة، وملاً ثالث أعلى من الوسط، وخير منهم، فأنا أقول للملا الثاني: هم خير من الملا الذين عندي. لكن لا يلزم أن يكونوا خيراً من الملا الذين فوقهم، فإذا كان الملائكة الذين عند الله حين الشاء وحين الذكر خيراً من الملا الذين عندي، لا يلزم أن يكونوا خيراً من كل بني آدم؛ لأن الذين عندي ليسوا خيراً الناس.

وهذه المسألة أخذت نقاشاً طويلاً بين العلماء، أيماً أفضل الملائكة أو بنو آدم؟ ولا داعي أن أطيل بذكره.

عندي أن الخلاف والنقاش في هذا ليس بذات أهمية؛ لأن الملائكة من جنس آخر، وعبادتهم من جنس آخر، والتكاليف التي أمرهم الله بها من جنس آخر، فلا حاجة للمقارنة، وكون الله ﷻ يأمر الملائكة أن يسجدوا لأبينا آدم، لا يدل على فضلنا عليهم، وكونهم مسخرين لنا يكتبون أعمالنا، ويحفظون أرواحنا، لا يدل أيضاً على أننا أفضل منهم، وكونهم يدخلون علينا في الجنة من كل باب، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، يقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾، لا يدل على أننا أفضل منهم؛ لأنه يأتينا خصلة واحدة من خصالهم ربما تقضى على كل هذا، وهو أنهم ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ٥١ ﴿يَسْجُدُونَ لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ٥٢. [الأمثلة: ١٩-٢٠]. فإين نحن من هذا؟!

لكن الذين قالوا: البشر أفضل. قالوا: إن البشر ركب فيهم شهوة، فاتباعهم للحق يكون صعباً، ومعاناة الشيء مع الصعوبة أفضل من معاناته مع السهولة؛ لأن الملائكة ألهموا التسبيح وصار عليهم سهلاً، وصار امتثالهم ليس له معارض، وليس له موانع، لكن البشر ابتلوا، وصار هناك موانع من تحقيق العبادة أو الاستمرار فيها فصارت معاناتهم للعبادة تقابل استمرار الملائكة؛ لأن العبادة

مع المشقة تكون أفضل من العبادة بدون مشقة؛ لقول النبي ﷺ لعائشة: «أجرك على قدر نصيبك»^(١). وأنا أقول: لو سلكَ سالك، مسلِكَ شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: إن الملائكة أفضل باعتبار البداية، والبشر أفضل باعتبار النهاية^(٢) أما الأعمال التي كلفوا بها فهؤلاء أطاعوا وهؤلاء حصل منهم عصيان، فهذا شيء آخر، لو سلكَ سالك هذا المسلك لكان مسلِكًا جيدًا؛ لأن الملائكة باعتبار البداية خلُقوا من نور، والنور أفضل من الطين، وباعتبار النهاية البشري والسعادة والفوز للبشر، حتى الملائكة يدخلون على البشر من كل باب يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [التكوير: ٢٤]. فهم أفضل باعتبار النهاية؛ لأن الله أعد لهم دار كرامته ودار رحمته، أما الأعمال التي كلفوا بها فكل من منهم ما يناسبه والله ﷻ حكيم.

وليس معنى قولنا: كلما كانت العبادة أشق، فهي أفضل. أنه يعتمد الإنسان المشقة في العبادة، لا، بل ربما ولو تعمَّد المشقة في العبادة لأثم؛ لأن الله يحب أن تؤتى رخصه، ويريد بنا اليسر، ولما رأى النبي ﷺ رجلًا واقفًا في الشمس وسأل عنه، فقالوا: إنه نذر أن يقف في الشمس، فأمره أن يدع الوقوف، وقال كلمة معناها: أن الله غني عن تعذيب هذا لنفسه^(٣) فلو قال قائل: أنا أريد أن يشق عليّ الوضوء، ففي الصيف أسخن الماء من أجل أن أتوضأ بياء ساخن، وفي الشتاء أبرد الماء من أجل أن أتوضأ بياء بارد. نقول له: أخطأت، هذا خلاف هدي النبي ﷺ وخلاف ما يريد الله بنا من اليسر. فإن قال: تسخين الماء في الشتاء، وتبريده في الصيف للوضوء، هل يمنع فضل الوضوء؟ الجواب: لا، بل هذا من حسن رعاية الإنسان لنفسه، ورعاية الإنسان لنفسه بدون إخلال بالطاعات، لا شك أنه مطلوب، إن لنفسك عليك حقًا.

قوله: «وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» في هذه الجمل الثلاث بيان فضل الله ﷻ، وأنه يعطي أكثر مما فعل من أجله؛ أي: يعطي العامل أكثر مما عمل، وهذه هي القاعدة في ثواب الله ﷻ أنه يعطي أكثر، كما جاء في القرآن الكريم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَكْبَتَتْ سِتْعَ سَكَابِلَ﴾ [التكوير: ٢٦]. فهذه الجمل الثلاث تدل على هذا المعنى العظيم، وأن عطاء الله وثنائه أكثر من عمل العبد، وكذلك.

يقول رحمه الله: «إن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعًا» الشبر مسافة ما بين طرف الخنصر إلى طرف الإبهام عند مد اليد. والذراع مسافة ما بين طرف الأصبع الوسطى إلى عظم المرفق، وهذا هو

(١) أخرجه البخاري (١٧٨٧) ومسلم (١٢١١) بنحوه وينظر «فتح الباري» (٣/ ٦١١).

(٢) انظر: تمام البحث لشيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٤٣).

(٣) روى البخاري (٦٧٠١)، ومسلم (١٦٤٢) نحو هذا الحديث فيمن نذر أن يمشي إلى الكعبة، قال النبي ﷺ: «إن الله عن

تعذيب هذا لنفسه لغني»

الذي كان يُقدَّرُ به سابقاً الشُّبْرُ والذراعُ والباغُ وما أشبه ذلك.

❖ وقوله: «وإنَّ تَقَرَّبَ إليَّ بشبرٍ تقربتُ إليه ذراعاً» اختلف العلماءُ في معنى هذه الجملة وما بعدها فقيل: إنَّ هذا على حقيقته، وأنَّ الإنسانَ إذا تَقَرَّبَ إلى الله شَبْرًا تَقَرَّبَ إليه ذِراعاً. وعلى هذا فيكونُ هذا القولُ في العباداتِ التي تحتاجُ إلى مَشْيٍ كالسَّعي إلى المساجدِ والسَّعي إلى الحجِّ وما أشبه ذلك وتَخْرُجُ العباداتُ التي لا يكونُ بها مَشْيٌ ولكنها كالتي تحتاجُ إلى مَشْيٍ أي أنَّ الله يُعْطِي العاملَ أكثرَ ممَّا عَمِلَ.

وقيل: إنَّ هذا على سبيل المثال، وأنَّ الإنسانَ إذا تَقَرَّبَ إلى الله بقلبه تَقَرَّبَ الله إليه على كيفية لا نعلمها، نحن لأنفسنا نعلمُ كيفَ نتَقَرَّبُ إلى الله، لكنَّ تَقَرَّبَ الله إلينا لا نعلمه، فالمعنى: إذا تَقَرَّبَ الإنسانُ بقلبه إلى الله، فإنَّ الله تعالى يتَقَرَّبُ إليه على كيفية لا تُعْلَمُ، وذلك أنَّ الإنسانَ يشعرُ بتقربه إلى الله بالقلب، أحياناً يكونُ قلبه ذاكرةً لله ﷻ، فيشعرُ بأنَّه قريبٌ مِنَ الله ﷻ، وأحياناً يكونُ غافلاً، فالمعنى إذا تَقَرَّبَ الإنسانُ إلى ربِّه بالقلب، ومن المعلوم أنَّ العباداتِ تكونُ سبباً لتَقَرُّبِ القلبِ إلى الله ﷻ، كما قال النبي ﷺ: «أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ»^(١) ولهذا تشعرُ وأنت ساجدٌ بأنَّك قريبٌ من الله مع أنَّ الله في السماء، فيكونُ الحديثُ على هذا القولِ من بابِ ضربِ المثل، وليس على الحقيقة، وهذا القولُ أحسنُ من الأول؛ لأنَّه يشملُ بدلالةِ المطابقةِ جميعَ العباداتِ، والأولُ يختصُّ بالعباداتِ ذاتِ السَّعي والمَشْيِ، وكذلك أيضاً يقالُ في قوله: «مَنْ تَقَرَّبَ إليَّ ذِراعاً تقربتُ إليه باعاً».

❖ أما قوله: «وإنَّ آتاني يَمْشِي أتيتُهُ هرولةً» فهذا أيضاً اختلفَ فيه العلماءُ، هل هو على حقيقته أو لا؟ فقيل: إنَّه على حقيقته ونحنُ إذا مَشِينَا نَعْرِفُ كيفَ نَمْشِي، أمَّا الله ﷻ فإنَّنا لا نعرفُ كيفيةَ مَشْيِهِ، ولا مانعَ من أنَّ الله يَمْشِي مُقَابِلَ الْمُتَجِّهِ إليه فيقابله إذا آتاه يَمْشِي يُقَابِلُهُ هرولةً، ويقالُ: إنَّ الذي يَأْتِي سَيِّئَاتِي على صفةٍ ما ولا بدَّ، فإذا كانَ الله يَأْتِي حقيقةً، فإنَّه لا بدَّ أن يَأْتِي على صفةٍ ما، الهرولةُ أو غيرها، فإذا قالَ عن نفسه: «أتيتُهُ هرولةً» قلنا: ما الذي يَمْنَعُ أن يكونَ إتيانه هرولةً؟ إذا كُنَّا نؤمنُ بأنَّه يأتي حقيقةً، ونحنُ نؤمنُ بأنَّه يَأْتِي حقيقةً، فإذا كانَ يَأْتِي حقيقةً فلا بدَّ أن يكونَ إتيانه على صفةٍ من الصفاتِ فإذا أخبرنا بأنَّه يَأْتِي هرولةً، قلنا: أمناً بالله، لكن كيفَ هذه الهرولة؟ لا يجوزُ أن نُكَيِّفَها ولا يمكنُ أن نتصورها فهي فوق ما نتصورُ وفوق ما نتكلِّمُ به، ولكنَّ هذا قولٌ يخصُّ هذا الحكمَ بالعباداتِ التي يَأْتِي إليها الإنسانُ مشياً، وتَبْقَى العباداتُ الأخرى التي يفعلها الإنسانُ وهو قائمٌ في مكانه غيرَ مذكورةٍ في هذا الحديثِ، لكنها بمَعْنَاهَا.

وعلى القولِ الثاني نقولُ: هذا من بابِ التمثيلِ، أي مَنْ أَسْرَعَ إلى رِضَايَ وإلى عِبَادَتِي أَسْرَعْتُ إلى

ثوابه سرعة أكثر من سرعة عمله، وهذا القول يشمل جميع العبادات؛ لأنَّ الإنسان يسرع إلى العبادة إسراراً بالبدن وأحياناً يسرع بالقلب فقط وهو ثابت في مكانه.

فالمهم: أنَّ للعلماء -علماء السلف- في هذه المسألة قولين: هل تبقىها على ظاهرها، وإن كان سيخرج عنا بعض العبادات إلا أنها تثبت بالقياس؟ أو نقول: إنَّ هذا كناية عن أنَّ فضل الله تعالى أكثر من عمل العامل؟

وكان شيخ الإسلام رحمه الله يميل إلى هذا الرأي الآخر: أنَّه من باب ضرب المثال، ويؤيد هذا بأنَّه ليست جميع العبادات تحتاج إلى سعي ومشى، وإبقاء للحديث على عموميه المعنوي في جميع العبادات، أولى من كوننا نخصه في بعض العبادات التي لا تصل إلى عشر العبادات الأخرى، يعني أنَّ العبادات التي تحتاج إلى مشى قليلة بالنسبة للعبادات الأخرى، وما زال الناس يضربون المثل في هذا، يقول: أنا إذا رأيتك تقبل عليَّ سوف أعطيك الخطوة خطوتين، أو: إذا أقبلت مشياً أقبل إليك مسرعاً: إذا مشيت إليَّ بالأقدام أمشي إليك بالجفون.

فهذا أسلوب عربي معروف، ولا زال إلى يومنا هذا، وبهذا يزول الإشكال في الحديث. إنَّ حملناه على الحقيقة لم يفتنا على هذا الحمل إلا شيء واحد، وهو العبادات التي لا تحتاج إلى مشى ولا إلى مسافة، وإن حملناه على ضرب المثل عم جميع العبادات وهذا المثل معروف في أساليب اللغة العربية.

واعلم أنَّ السلف ليسوا يحملون كل شيء على ظاهره، وإن دلَّ الدليل على خلاف الظاهر، ولهذا لا يكثر السلف كل تأويل، السلف ينكرون كل تأويل لا يدلُّ عليه دليل، فإذا دلَّ عليه دليل، قالوا: إنَّ المراد ما دلَّ عليه هذا الدليل.

قال القسطلاني رحمه الله:

قوله: «إنَّ تقرب إليَّ بتشديد الياء، «بشبر» ولأبي زُرعة عن الكشيمهني «شبرا»، بإسقاط الخافض والنصب؛ أي: مقدار شبر، «تقربت إليه ذراعاً، وإنَّ تقرب إلى ذراعاً» بكسر الذال المعجمة، أي بقدر ذراع، «تقربت إليه»، ولأبي زرع، عن الحموي «منه باعاً»؛ أي بقدر باع وهو طول ذراع الإنسان وعُضديه وعرض صدره، ولأبي زرع عن الحموي والمستملي، «ومن أتاني يمشي أتته هرولة».

[الباع: الخطوة. وهو المعروف عندنا الآن عند العامة، الباع الخطوة هو ما بين الخطوتين] (١).

قوله: «أتاني يمشي أتته هرولة» إسراراً، يعني: من تقرب إليَّ بطاعة قليلة جازيته بمثوبة كثيرة، وكلما زاد في الطاعة زدت في ثوابه، وإن كان كيفية إتيانه بالطاعة على التاني، فإتياني بالثواب له

(١) ما بين المعكوفين من كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

على السرعة والتقرب، والهولة مجازٌ على سبيل المشاكلة أو الاستعارة أو قصد إرادة لازمها وإلا فهذه الإطلاقات وأشبهها لا يجوز إطلاقها على الله تعالى إلا على المجاز، واستحالتها عليه تعالى وفي الحديث جواز إطلاق النفس على الذات. اهـ
كل هذه وأشكالها لا تكون على الحقيقة، إنما تحمل على المجاز.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٦- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

٧٤٠٦- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». فَقَالَ ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجَلِكُمْ﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». قَالَ ﴿أَوْ يَلْسَكُمْ شَيْعًا﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا أَيْسَرُ».

❖ قوله: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾». أي زائل إلا وجه الله، والمراد بالهالك قبوله للهلاك وإن لم يهلك، ولهذا من المخلوقات ما لا يهلك ولا يفتن كالجنة والنار، والروح وما شاء الله ﷻ، فالمراد بالهالك هنا أنه: إمَّا هالك حقيقة أو قابل للهلاك إلا وجه الله، واختلف المفسرون في قوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فقيل: إلا ما أريد به وجهه، وعلى هذا فمعنى الآية كل شيء يقوم به الإنسان ويفعله فإنه لا فائدة منه إلا ما أريد به وجه الله. وهؤلاء آيدوا قولهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [التكوير: ٢٨]. هذا هو الأمر بالإخلاص، فيكون المراد بقوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: إلا ما أريد به وجهه؛ أي: إلا ما كان خالصا. وهذا لاشك أن له وجهه من حيث سياق الآية، وقيل: المراد كل شيء هالك؛ أي: فإن وزائل إلا وجه الله ﷻ، فعلى الأول يكون الهلاك معنويا، وعلى الثاني يكون الهلاك حسيًا، إلا وجه الله ﷻ.

والمراد بوجهه هنا: ذاته، بمعنى أنه عبَّر بالوجه عن الذات، وليس كما قال أهل الضلال أن الرب ﷻ يفتن إلا وجهه، أعوذ بالله فهذا منكر من القول، والله يعبر عن وجهه في مقام الشاء كما قال الله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا قَانٍ ۖ وَبَعَثَ فِيهِ رَجُلًا ذُو الْأَلْمَلِ وَالْإِكْرَامِ ۖ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٨]. فهي بإزاء قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [التكوير: ٢٨].

والتعبير بالوجه عن الذات لا يعني أننا خرجنا عن المعنى المراد إذ أن التعبير بالوجه عن الذات يدل على أن الله وجهًا، وهذا هو المطلوب، فالله ﷻ له وجه موصوف بالجلال والإكرام؛ أي: بالعظمة والإحسان إلى الخلق، وإكرام من يستحق الإكرام، وهذا الوجه حقيقي لكنه غير معلوم الكيفية؛ لأن الله أخبرنا عن وجهه ولم يخبرنا عن كيفية وجهه، وكما أنه لا كيفية لذاته نعلمها، فكذلك لا نعلم كيفية صفاته؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، ولهذا قال بعض العلماء: إذا

قال لك الجهمي: أنت أثبتت لله وجهًا، فكيف وجهه، وأثبت لله يداً فكيف يده؟ فقل له: أنت تثبت لله ذاتاً فكيف ذاته، فإذا قلت هذا فسوف ينقطع؛ لأنه لا يمكن أن يُكَيَّفَ ذاته، فنقول له: إذا كنت لا تكيف ذاته فإننا لا نكيف صفاته؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، وقال بعض العلماء على حديث النزول: إذا قال لك المعطل: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا: كيف ينزل فقل له: إن الله أخبرنا أنه ينزل، ولم يُخبرنا كيف ينزل.

وكل هذه الجوابات مفحمة واضحة لا تحتاج إلى تكلف، فالوجه لله حقيقة، ثابت موصوف بالجلال والإكرام، لكن كيفيته غير معلومة لنا؛ لأنه أعظم من أن تحيط به عقولنا وأفهامنا، وأهل السنة والجماعة على طريقتهم وعلى جادتهم يقولون: إنه وجه حقيقي يليق بالله ﷻ ولا تعلم كيفيته. وهذا النوع من الصفات يُسمى: الصفات الخبرية؛ لأن إثباتها بمجرد الخبر، فالعقل لا يَهْتَدِي إليها، لكن السمع والبصر صفات معنوية يَهْتَدِي إليها العقل، فيعلم أنه لا يصح أن يكون رباً إلا مَنْ كان سميعاً بصيراً، ولهذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿يَأْتِيكَمْ تَعْبُدُوا مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ [١١٤]. لكن الوجه واليد وما أشبهها لا يمكن أن يُثَبِّتَ العقل فهي موقوفة على السمع والخبر، ولهذا سَمَّوها صفاتٍ خبرية، وضابطها أن تُسَمَّاها بالنسبة إلينا أبعاداً وأجزاء وليست معاني كالوجه واليد، والعين، والساق، والقدم، والإصبع، كل هذه تُسَمَّاها صفاتٍ خبرية.

أهل التحريف الذين يُسَمُّون أنفسهم أهل التأويل يقولون: إن الله ليس له وجه؛ لأن إثبات وجهه حقيقي يستلزم التجسيم، والمُجَسِّمَةُ كُفْرٌ، والتجسيم كفرٌ عندهم.

فلا نقول: إن لله وجهاً حقيقياً، إذن ما المراد بالوجه عندهم؟ قالوا: المراد بالوجه الجهة، أو المراد بالوجه: الثواب، وليس المراد الوجه الحقيقي.

فيقال: إن هذا تحريف، وأي معنى للجهة في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾؟ فلو صحَّ إثبات الوجه بمعنى الجهة لم يستقم في مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قالوا: إذن نقول: المراد الثواب، يعني في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [١١٥]. قلنا: لو صحَّ إثبات الوجه، بمعنى: الثواب؛ لأن ثوابه لا يَهْلِكُ، فالجنة مؤبدة أبد الأبد. ولكن كل هذا انحراف عن الصراط المستقيم سببه الرجوع إلى العقل، ولو أن الإنسان تَأَدَّبَ مع ربه ومع نبيه، ولم يُحَكِّمْ عقله فيما جاء عن الله ورسوله لَسَلِمَ من هذه المشاكل، فما الذي يَضِرُّه إذا قال: لله وجه حقيقي، لكنه لا يشبه الأوجه، ولا يماثل أوجه المخلوقين، ولا نعلم كيفيته أي شيء يضره.

فالصواب: المقطوع به المتعين عقيدة أن ثبت لله وجهاً حقيقياً موصوفاً بالجلال والإكرام ﴿وَيَسْتَعِزُّ بِرَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [٧] ولكننا لا نكفيه ولا نمثله بخلق.

ثم ساق المؤلف حديثاً فيه ذكر الوجه، وهو قول الرسول ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». قالها عند قوله

تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]. من فوقكم؛ يعني حاصلاً من السماء، كالصواعق وغيرها مما يهلك الناس، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الخسف والزلازل، قال النبي ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ سُيُوفًا مِّنْ بَيْنِ يَدَيْكَ بِمَضْرِبَاتٍ مِّنْ بَعْضِ﴾ قال النبي ﷺ: «هَذِهِ أَيْسَرُ» أو قال: «أَهْوَنُ» أي بالنسبة لغيرها؛ لأن الأول لا يمكن مدافعتة، والثاني لا يمكن مدافعتة، والثالث يُمكن أن يُدافع بالإصلاح بين الناس.

وَيُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: كُلَّمَا جَاءَ وَجْهُ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ الْوَجْهُ الْحَقِيقِيُّ. لكن اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْاْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. فقيل: المراد بالوجه هنا الجهة، يعني: أي شيء تُولُونَه في صلاتكم فهي جهةٌ صحيحة.

ولكن الرجح في قوله تعالى: ﴿ثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. أنه الوجه الحقيقي ويُؤيد هذا قول النبي ﷺ في المصلي: أَنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ^(١)، فهذا يدل على أَنَّ الإنسان إذا اتَّجَهَ في الصلاة، فإنَّما يتَّجَهُ إلى وجهه الله.

ماذا نقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ فُجْرَةَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٩]. هل المراد به الوجه الحقيقي؟

الجواب: نعم المراد به الوجه الحقيقي، وهذا كما لو قالوا: إِنَّمَا تُطْعَمُكُمْ اللَّهُ. لكن عَبَّرُوا بِالْوَجْهِ عن الذاتِ مثل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فالقاعدة كلما جاءت صفة وجه مضافة إلى الله تعالى في القرآن فهي الوجه الحقيقي إلا هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْاْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ففيها قولان للسلف.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٧- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيُضْعَعِ عَلَى عَيْنَيْكَ﴾ [طه: ٣٩] تُغْذَى. وقوله -جَلَّ ذِكْرُهُ-

﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ [الأنعام: ١١٤].

٧٤٠٧- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَّةُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرُ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَانَ عَيْنُهُ عِنَبَةً طَافِيَةً»^(١).

٧٤٠٨- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَخْبَرَنَا قَتَادَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرُ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ»^(٢).

(١) رواه البخاري (٤٠٥)، ومسلم (٥٤٧).

(٢) رواه مسلم (١٦٩)، (١٧١).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٣).

هذا البابُ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ فِيهِ صِفَةَ الْعَيْنِ، وَالْعَيْنِ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبْرِيَّةِ، فَذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ آيَتِينَ مِنْ كِتَابِ اللهِ.

الآيَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ تَعَالَى لِمُوسَى: ﴿وَلْيُصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ وَاللَّامُ هَذِهِ لِلتَّعْلِيلِ وَتُصْنَعُ بِمَعْنَى تُرَبَّى وَتُعَدَّى، وَالتَّغْذِيَةُ صِنَاعَةٌ، وَالتَّرْبِيَةُ أَيْضًا صِنَاعَةٌ، فَالتَّغْذِيَةُ صِنَاعَةٌ لِلْبَدَنِ، وَالتَّرْبِيَةُ صِنَاعَةٌ لِلْعَمَلِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يُرَبَّى عَلَى الْأَخْلَاقِ، فَيَقَالُ: صُنِعَ عَلَيْهَا، وَيُعَدَّى فَيَزِدَادُ نُمُوهُ وَيَنْشِطُ فَيَكُونُ مُصْنُوعًا بِالْغِذَاءِ. وَابْخَارِي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: «تُعَدَّى» فَذَكَرَ أَحَدَ تَوْعِي الصِّنَاعَةِ، وَهِيَ التَّغْذِيَةُ، وَالتَّرْبِيَةُ صِنَاعَةٌ؛ لِأَنَّكَ تُكَيِّفُ وَلَدَكَ مِثْلًا عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي تَرِيدُهَا مِنَ التَّرْبِيَةِ، فَيَكُونُ هَذَا صِنَاعَةً.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيُصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ أي: على مَرَأَى مِنِّي فَأَرَاكَ بَعِينِي، وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يُصْنَعُ عَلَى عَيْنِ اللهِ ﷻ حَيْثُ يَكُونُ عَلَيْهَا نَفْسُهَا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَرَادُ، وَلَيْسَ هُوَ غَايَةُ اللَّفْظِ، وَلَكِنَّ الْمَعْنَى عَلَى مَرَأَى مِنِّي بِالْعَيْنِ، يَعْنِي أَرَاكَ بَعِينِي وَلِهَذَا فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ - عَلَاءُ السَّلَفِ - الْآيَةَ بِقَوْلِهِمْ: عَلَى مَرَأَى مِنِّي، كَمَا فَسَّرُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ^[الأنعام: ١١٤] أي: بِمَرَأَى مِنِّي وَمَرَادُهُمْ بِذَلِكَ أَنَّهُ يُصْنَعُ عَلَى عَيْنِ اللهِ؛ أي: بِمَرَأَى مِنَ اللهِ بَعِينَهُ.

ففيه: إثبات العين، والعين كما تَرَوْنِ فِي الْآيَةِ مُفْرَدَةٌ «عَيْنِي». فَهَلِ الْمَرَادُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ، أَوِ الْمَرَادُ مَا ثَبَتَ اللهُ مِنْ عَيْنٍ؟ الْمَرَادُ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْمَفْرَدَ إِذَا أُضِيفَ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا يَحْتَمِلُهُ الْمَعْنَى مِنَ الْعُمُومِ، أَوْ كُلَّ مَا تَحْتَمِلُهُ الْإِضَافَةُ مِنَ الْعُمُومِ، فَهُوَ يَشْمَلُ مَا اللهُ مِنَ الْعَيْنِ.

وقوله - جَلَّ ذِكْرُهُ -: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ فَكَلِمَةُ «تَجْرِي» الضَّمِيرُ فِيهَا يَعُودُ عَلَى السَّفِينَةِ؛ سَفِينَةُ نُوحٍ وَحَمَلَتْهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ ^[١٣] تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ^[١٤] ^[الأنعام: ١٣-١٤] أي: تَجْرِي بِمَرَأَى مِنَّا، فَنَحْنُ نَكَلُّوْهَا وَنَحْفَظُهَا وَنَرَاقِبُهَا بِأَعْيُنِنَا أَيْمَدْنَاهَا لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ مَرَاقِبَةٌ بِالْعَيْنِ، هِيَ مَرَاقِبَةٌ خَاصَّةٌ، فَاللهُ ﷻ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ وَيَبْصُرُ كُلَّ شَيْءٍ، لَكِنْ هَذَا نَظَرٌ خَاصٌّ لِهَذِهِ السَّفِينَةِ وَعِنَايَةٌ وَرِعَايَةٌ تَخْتَصُّ بِهَا.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَبِأَعْيُنِنَا﴾ أَنَّهَا فِي نَفْسِ أَعْيُنِ اللهِ ﷻ، هَذَا مُسْتَحِيلٌ فَلَا يَحْتَاجُ بِذَلِكَ عَلَيْنَا أَهْلَ التَّحْرِيفِ يَقُولُونَ أَنْتُمْ تُتَكَبَّرُونَ عَلَيْنَا الْمَشْيَ عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ، وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ. نَقُولُ لَهُمْ: مَا مَشِينَا عَلَى خِلَافِ الظَّاهِرِ، بَلْ مَشِينَا عَلَى وَفْقِ الظَّاهِرِ، أَيْنَ كَانَتِ السَّفِينَةُ، فِي السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ؟

الجواب: فِي الْأَرْضِ، وَكَانَتْ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَتْبَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ «تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا» أي: فِي نَفْسِ عَيْنِ اللهِ ﷻ، وَحَاشَا وَكَلَّا وَاللهُ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ وَهَذِهِ فِي الْأَرْضِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَةَ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ إِذَا قَالَ: امْشِ بَعْنِي. الْمَعْنَى أَنِّي أَكَلُّوكَ بَعْنِي وَأَحْمِيكَ بَعْنِي وَأَرْبُكَ بَعْنِي، هَذَا الْمَعْنَى، أَوْ نَقُولُ لِشَخْصٍ: يَا فُلَانُ، هَاتِ لِي كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: عَلَى عَيْنِي، الْمَعْنَى أَنِّي أَحْفَظُ لَكَ مَا آتَى لَكَ بِهِ بَعْنِي.

فقوله: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بَمَرَأَى مِنَّا بِالْعَيْنِ، وليسَ هذا من بابِ التحريفِ، بل هذا من بابِ تفسيرِ الكلامِ بما يُقَطَّعُ أَنَّهُ مرادُ الله ﷻ.

وهنا قال: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ وفي الآية التي قبل قال: ﴿عَلَى عَيْنِي﴾. بالافراد، فهل بينهما تعارض؟

الجواب: لا، ليسَ بينهما تعارضٌ، وهنا يجبُ أنْ نَعْلَمَ أنْ ما جاء في كتابِ الله أو في صحيحِ السنة لا يمكنُ أنْ يناقُضَ بعضُه بعضًا، ولا صحيحُ السنة يناقُضُ بعضُه بعضًا، ولا القرآنُ مع صحيحِ السنة يناقُضُ بعضُه بعضًا، لا يمكنُ؛ لأنَّ كلاً من عندِ الله، ولا يمكنُ أنْ يكونَ فيه اختلافٌ، ولكن قد يقصُرُ الفهمُ عن المَعْنَى المرادِ فيظنونُ في ذلك تناقضًا، ويشتبهُ عليهم الأمرُ، ولكن مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ تعالى فهمًا عَرَفَ كيفَ يتخلصُ ممَّا ظاهرُه التعارضُ، وأنا أدلِّكم على شيءٍ يُعِينُكم على هذا، ألا تَنْظُرُوا للآياتِ أو النصوصِ التي ظاهرُها التعارضُ لا تَنْظُرُوا إليها على سبيلِ أنها متعارضةٌ، وأنظروا إليها على سبيلِ أنها متأكفةٌ، ثم حاولوا أنْ تصلُّوا إلى كيفيةِ هذا التاكفِ، أمَّا أنْ تَنْظُرَ إليها على أنها متعارضةٌ فإنَّك قد تحرَّم الوصولَ إلى التأليفِ بينها؛ لأنَّك سوفَ تُورِدُ بعضها على بعضٍ على وجهٍ متناقضٍ، وحينئذٍ تحرَّم الوصولَ إلى المرادِ، لكن انظرْ إليها على أنها متأكفةٌ، وحاول أنْ تعرفَ كيفَ التاكفُ، هذا هو الذي يجبُ أنْ تعتقدهُ في النصوصِ التي ظاهرُها التعارضُ حتى تهتدي، أمَّا إذا نَظَرْتَ إليها النظرةَ التعارضِ؛ فاعلم أَنَّهُ سوفَ يغلُقُ عنك البابُ ولا تعرفُ كيفَ توفِّقُ بينها؛ لأنَّك إنما نظرتَ إليها على أنها متعارضةٌ متنافرةٌ، لكن كيفَ التاكفُ بين هاتين الآيتين، ﴿وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾؟

الجوابُ أولاً: لا نقولُ هناك تعارضٌ بينهما أصلاً، بل نقولُ بينها تاكفٌ؛ لأنَّ العينَ مفردةٌ مضافةٌ، فتشملُ كلَّ ما ثبتَ لله من عينٍ مهما كثُرت، انظرْ إلى قولِ الله تعالى: ﴿وَأَن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [البقرة: ٢١٨]. ﴿نِعْمَةٌ﴾ مفردٌ مضافٌ، والمرادُ بها: ما لا يُحصي مِنَ النعمِ وكذلك قوله: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي أَتَّفَقْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. كذلك قوله: ﴿عَيْنِي﴾، نقولُ: يشملُ كلَّ ما ثبتَ لله من عينٍ، بقي القولُ في الجمعِ هل نقولُ بظاهرِ الجمعِ أو لا؟

الجوابُ: ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أننا نقولُ بظاهرِ الجمعِ، ونقولُ: ﴿لِلَّهِ أَعْيُنٌ كَثِيرَةٌ﴾، لكنَّها غيرُ محصورةٍ؛ لأنَّ ﴿عَيْنِي﴾ جمعٌ، و﴿عينٌ﴾ مفردٌ مضافٌ، فيشملُ كلَّ ما ثبت ولو كان آلافَ الآلافِ، وحينئذٍ نقولُ: ﴿لِلَّهِ أَعْيُنٌ كَثِيرَةٌ﴾ غيرُ محصورةٍ ولا معلومةِ العددِ. وحجةُ هؤلاء أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لم يأت في القرآنِ ولا في السنة تقييدُ العينِ بالثنائيةِ، كما جاء في اليدِ، فاليدُ جاءتْ بالثنائيةِ كقوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾، و﴿يَدَايَ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [البقرة: ٦٤]. لكنَّ العينَ ما جاءتْ هكذا، وإن كانَ فيها حديثٌ فيه مقالٌ إذا قام أحدُكم يصلي فإنه بين عيني الرحمن، ولكن هذا الحديثُ فيه مقالٌ، وهو ضعيفٌ فظنُّوا أنَّ الله أَعْيُنًا كثيرةً.

ولكنَّ البخاريَّ رحمه الله لدقَّةِ فهمِهِ ساقَ حديثَ الدَّجَالِ ليبينَ أنَّ المرادَ بالأعين عيناينِ اثنتينِ فقط

لا تزيد، وهو ما قال عن الدجال: ذُكِرَ الدَّجَالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» وأشار بيده إلى عَيْنِهِ، المشيرُ هو الرسول ﷺ وبهذا يسقط ويبطل قولُ مَنْ قال: إِنَّ المرادُ بِالْعَوْرِ هنا العيب؛ لِأَنَّ بعضَ الْمُحَرِّفِينَ الَّذِينَ أَصَرُّوا عَلَى أَنَّ تَكُونَ أَعْيُنُ اللَّهِ كَثِيرَةً، قَالُوا: المرادُ بِالْعَوْرِ العيبُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الدَّجَالَ أَعْوَرُ؛ أَيْ: مُعَيَّبٌ وَلَيْسَ المرادُ عَوْرَ الْعَيْنِ، وَلَكِنَّا نَدْمَعُهُمْ دَمْعًا يَزْهَقُ بِهِ الْبَاطِلُ، حِينَ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى عَيْنِهِ، وَالرَّسُولُ أَعْلَمُ مِنَّا بِاللَّهِ، أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ، وَقَالَ: «وَلِإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرَ الْعَيْنِ» وَهَذَا أَيْضًا يَمْنَعُ مَنْعًا بَاطِلًا أَنْ يَكُونَ المرادُ بِالْعَوْرِ الْعَيْنَ.

❦ قال: «أَعْوَرَ الْعَيْنَ» وَخَصَّ الْيُمْنَى وَمَثَلَهَا فَقَالَ: «كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ أَوْ طَافِيَةٌ» رَوَيْتَانِ. إِذَا كَانَ كَذَلِكَ عُلِمَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ إِلَّا عَيْنَانِ اثْنَتَانِ.

ووجهُ الدَّلَالَةِ: أَنَّهُ لَوْ زَادَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ، لَكَانَ الزَّائِدُ كَمَا لَا، وَلَكَانَ هَذَا الْكَمَالُ يَحْصُلُ بِهِ الْفَرْقُ بَيْنَ عَيْنَيْ الدَّجَالِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا اثْنَتَانِ، وَبَيْنَ الْأَعْيُنِ الزَّائِدَةِ عَلَى اثْنَتَيْنِ إِذَا أُثْبِتْنَا ذَلِكَ لِلَّهِ ﷻ، وَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَدْعَ النَّبِيُّ ﷺ الْعَلَامَةَ الَّتِي فِيهَا الْكَمَالُ إِلَى عِلَامَةِ انْتِفَاءِ الْعَيْبِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي ذَلِكَ إِخْفَاءُ كَمَالِ اللَّهِ ﷻ. بِعَدَمِ ذِكْرِ مَا زَادَ عَلَى اثْنَتَيْنِ، فَلَوْ كَانَ الْأَعْيُنُ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتَيْنِ لَكَانَ الزَّائِدُ كَمَا لَا يَحْصُلُ بِهِ الْفَرْقُ بَيْنَ الدَّجَالِ وَالرَّبِّ ﷻ، فَلَمَّا لَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ الَّذِي هُوَ الْكَمَالُ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ نَفْيَ الْعَيْبِ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، عُلِمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَيْسَ لَهُ إِلَّا عَيْنَانِ اثْنَتَانِ فَقَطْ، وَهَذَا هُوَ مَا ذَكَرَهُ الْأَشْعَرِيُّ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ يَذْكُرُونَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ عَيْنَيْنِ اثْنَتَيْنِ. وَهَذَا هُوَ الْمُتَعَيَّنُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَعْتَقِدَهُ فِي رَبِّهِ ﷻ أَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ اثْنَتَيْنِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِشْكَالٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ كَيْفَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ جَعَلَ الْعَلَامَةَ الْفَارِقَةَ فِي الْعَيْنِ مَعَ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ عَقْلِيٌّ لَا حَسِّيٌّ، يَعْني: لَيْسَ الْفَرْقُ مُجَرَّدٌ أَنَّ هَذَا أَعْوَرُ، وَالرَّبَّ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ بَلْ هُنَاكَ فُرُوقٌ كَثِيرَةٌ فَلِمَذَا؟

قُلْنَا: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ ذَكَرَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ الْحَسِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ مَا هِيَ هِينَةٌ؛ لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ الدَّجَالُ ائْتَدَتْ رُجُلُهُ وَضَاعَتِ الْعُقُولُ، فَالْعَلَامَةُ الْحَسِيَّةُ أُسْرِعَ إِلَى الْإِدْرَاكِ مِنَ الْعَلَامَةِ الْعَقْلِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْعَلَامَةَ الْعَقْلِيَّةَ تَحْتَاجُ إِلَى مَقْدَمَاتٍ وَرُبَّمَا يَغْفُلُ عَنْهَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، أَمَّا الْعَلَامَةُ الْحَسِيَّةُ فَوَاضِحَةٌ، وَهِيَ كَالْعَلَامَةِ الْأُخْرَى الَّتِي سَتَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْحَدِيثِ الَّذِي بَعْدَهُ، وَهِيَ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ فَهَذَا أَيْضًا عِلَامَةٌ حَسِيَّةٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ - أَفْصَحَ الْخَلْقِ، وَأَنْصَحُهُمْ ذَكَرَ الْعَلَامَةَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى مَقْدَمَاتٍ، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ بِمُجَرَّدِ مَا يَرَى الرَّجُلُ هَذَا الْخَبِيثَ الدَّجَالَ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ بِرَبِّ فَهَذَا هُوَ وَجْهُ كَوْنِ الرَّسُولِ ﷺ ذَكَرَ هَذِهِ الْعَلَامَةَ الْحَسِيَّةَ دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ عِلَامَاتٌ عَقْلِيَّةٌ، وَإِلَّا مِنَ الْمَعْلُومِ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [الْقُلُوبُ: ١٧]. عَلَى أَنَّ هَذَا الدَّجَالَ يُوْهِمُ النَّاسَ أَنَّهُ يَخْلُقُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتَمْطُرُ، وَالْأَرْضَ فَتَنْبُتُ، وَيَقْتُلُ الرَّجُلَ وَيُخَيِّهِ، فَيَحْصُلُ فِي هَذَا الْبَسْ، لَكِنْ - وَاللَّهُ الْحَمْدُ - هَذِهِ الْعَلَامَةُ حَسِيَّةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَأَمُّلٍ وَلَا تَفَكِيرٍ.

وفي حديث أنس: دليل على عظم فتنة الدجال؛ لأن النبي ﷺ أخبر أنه ما من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، كل الأنبياء من نوح إلى محمد، يُنذرون أقوامهم الأعور الكذاب. وقد يقال: الأعور الكذاب من علامات الساعة، فكيف يُنذَرُ به أول الرسل، والساعة لم تأت بعد؟ والجواب أن هذا له أوجه:

الوجه الأول: أن يقال: أنذرت به الرسل لعظم خطره، فَيُنَوِّه عنه حتى في الصحف الأولى وحتى في الرسالات الأولى، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَلْبَسْنَا بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۖ أَلَمْ نُزَيِّنْ لَهُمْ آيَاتِهِ ۖ وَزَلْزَلْنَاهُ ۖ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ﴾ [الجن: ٣٢-٣٩]. وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ﴾ [ان هذا الذي في الصحف الأولى ۖ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۖ] [الأنعام: ١٦٠-١٦٩]. فلعظم خطر هذا الرجل أنذرت به الرسل، وإن كان لن يخرج إلا في آخر الزمان.

الوجه الثاني: أنه يحتمل أن الرسل لم يبلِّغهم أنه سيخرج في آخر الزمان، وإنما بلغهم أنه سيخرج رجل له فتنة عظيمة ولم يوح إليهم أنه سيخرج في آخر الزمان.

الوجه الثالث: لكنه ضعيف، أن المراد ما يُشابهُ فتنته من دعاة الضلال، لكن هذا الوجه يمنعه قوله: «إلا أنذر قومه الأعور الكذاب» فإن هذا يدل على تعيين هذا الدجال وأنه هو الذي أنذر به الرسل أقوامهم.

وعلى كل حال: فإن رسول الله ﷺ أنذَرنا بهذا الأعور الدجال إنذاراً لم يُنذَره أحد من الأنبياء قبله، وفصله تفصيلاً تاماً.

والدجال قد كُتِبَ بين عينيه كافرٌ، وجاءت بعض الروايات بتفريق حروف كافرٍ، يعني مكتوباً (ك، ف، ر) وفي بعض الروايات كافرٌ، فيحتمل هذا أو هذا، ولكن من يقرأ هذه الكلمة؟ يقرأها المؤمن سواء كان كاتباً أو غير كاتب ولا يستطيع الكافر أن يقرأها ولو كان من أعلم الناس بالكتابة ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ٩٤]. والمؤمن يقرأها ولو كان أمياً، وهذا من آيات الله ﷻ، وهي من العلامات الحسية.

يبقى السؤال كيف نجمع بين التثنية وبين الجمع؟

الجواب على ذلك: أن يقال: إن قلنا: أقل الجمع اثنان، فليس هناك تعارض، وإن قلنا: أقل الجمع ثلاث: فالجمع هنا إنما هو للتعظيم والتناسب بين المضاف والمضاف إليه؛ لأن الجمع يُراد به التعظيم، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحاقة: ١] و ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ١٢]. وما أشبه ذلك، والتناسب هنا هو: التناسب بين المضاف والمضاف إليه، يعني أن المضاف إليه ضمير جمع، فكان التناسب بين المضاف والمضاف إليه، أو مراعاة التناسب بين المضاف والمضاف إليه أولى.

وقد سبق هذا في ذكر اليد أمّا شبهة الذين يُنكرون العين واليد والرجل والوجه وما أشبه ذلك؛

فإنهم يدعون بعقولهم أن إثبات هذا يستلزم التجسيم، وأن الله جسم؛ لأننا لا نعقل شيئاً له وجه ويد وما أشبه ذلك إلا جسماً.

ونحن نقول لهم في الجواب على ذلك: ومن قال لكم: إن الجسم متب عن الله، من قال هذا؟ هل عندكم دليل على أنه متب فإن كان يلزم من إثبات هذه الصفات أن يكون الله جسماً فهو حق، ولكنه لا يشبه الأجسام، وإن كان لا يلزم، فإن الزامكم إيانا بما لا يلزم هو عين الجور والظلم.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٨ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمَصُورُ﴾ [المائدة: ٢٤].

٧٤٠٩ - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وَهْبٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى، - هُوَ ابْنُ عُقْبَةَ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنْ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُضْطَلِّقِ أَنَّهُمْ أَصَابُوا سَبَايَا فَأَرَادُوا أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِهِمْ وَلَا يَحْمِلُنَ فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْعَزْلِ فَقَالَ: «مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ مَنْ هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).
وَقَالَ مُجَاهِدٌ عَنْ قُرْعَةَ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا»^(٢).

قوله بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمَصُورُ﴾ هذه ثلاثة أَسْمَاءٍ فِي ضَمَنِ أَسْمَاءٍ مُتَعَدِّدَةٍ، ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ^(٤) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمَصُورُ [المائدة: ٢٢-٢٤].
وَالْخَلِيقُ: الْخَالِقُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَوَرَدَ الْخَلْقُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾^(٥) [المائدة: ٨٦].

وَالْخَالِقُ: هُوَ الْمُوجِدُ لِلشَّيْءِ عَلَى وَجْهِ مُقَدَّرٍ مُحْكَمٍ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْخَلْقُ بِمَعْنَى التَّقْدِيرِ، كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

(١) رواه مسلم (١٤٢٨).

(٢) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٣٩١/١٣)، وأسنده مسلم في صحيحه (١٠٦٣/٣)، كتاب النكاح، باب: حكم العزل (٢٢)، وأبو داود (٢١٧٠)، والترمذي (١١٣٨).

وَلَأَنْتَ تَفَرِّي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ النَّاسِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفَرِّي^(١)

تَفَرِّي مَا خَلَقْتَ يَعْنِي: تَفَعَّلَ مَا قَدَّرْتَ، فَالْخَلْقُ هُوَ الْإِبْجَادُ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ ﷻ يَخْلُقُ الشَّيْءَ بِتَقْدِيرِ مُحْكَمٍ بِالْغِ عَلَى حَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ.

﴿الْبَارِئُ﴾ بِمَعْنَى: الْمُنْشِئُ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الْخَالِقِ، لَكِنْ لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَذْكُرُ كَلِمَتَيْنِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي الْكَلَامِ، أَنْ يُحْمَلَ عَلَى التَّأْسِيسِ لَا عَلَى التَّوَكِيدِ، وَمَعْنَى عَلَى التَّأْسِيسِ أَي: أَنْ كُلَّ لِقْطَةٍ فِيهَا لَهَا مَعْنَى مُسْتَقِلَّةٌ لَا عَلَى التَّوَكِيدِ؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: هُوَ لِلتَّوَكِيدِ صَارَتْ اللَّفْظَةُ الثَّانِيَةُ بِمَعْنَى اللَّفْظَةِ الْأُولَى، وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِذَا دَارَ الْكَلَامُ بَيْنَ التَّأْسِيسِ وَالتَّوَكِيدِ فَحَمَلُهَا عَلَى التَّأْسِيسِ مُتَعَيِّنٌ، فَلَا بَدَأَ أَنْ بَيْنَهُمَا فَرْقًا لَطِيفًا.

وَأَمَّا ﴿الْمُصَوِّرُ﴾: فَوَاضِحُ الْفَرْقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَالِقِ، يَعْنِي أَنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ عَلَى صُورَةٍ مُعَيَّنَةٍ يَخْتَارُهَا ﷻ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٦﴾. وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنْ خَصَائِصِ الرَّبِّ ﷻ فَالْخَالِقُ مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ، لَا أَحَدٌ يَخْلُقُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٧﴾. وَسَبَقَ لَنَا الْجَوَابُ عَمَّا يُقَالُ: فَلَانِ خَلَقَ كَذَا. أَيُّ صَنْعَهُ، بَأَنَ هَذَا الْخَلْقُ الَّذِي يَحْصُلُ مِنَ الْآدَمِيِّ، لَيْسَ هُوَ الْخَلْقُ الَّذِي يَكُونُ لِلَّهِ؛ الْخَلْقُ الَّذِي يَكُونُ لِلَّهِ إِبْجَادٌ مِنْ عَدَمٍ، وَالْخَلْقُ الَّذِي يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ تَكْوِينٌ وَتَغْيِيرٌ لَشَيْءٍ مَخْلُوقٍ، لَكِنْ يَصْنَعُهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ ﷻ فَيَعُودُ فِعْلُ الْعَبْدِ خَلْقًا لِلَّهِ؛ لِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ صَادِرٌ مِنْ إِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَتَصَوُّرِهِ، وَاللَّهُ ﷻ هُوَ الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَيَكُونُ الْخَلْقُ كُلُّهُ لِلَّهِ سِوَاءَ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ وَاسْتَقَلَّ بِهِ أَوْ خَلَقَهُ الْآدَمِيُّ.

وَالْبَارِئُ أَيْضًا، لَا أَحَدٌ يَرَى النِّسْمَةَ وَيُحْيِيهَا وَيُنْشِئُهَا إِلَّا اللَّهُ ﷻ مِمَّا كَانَ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ قُدْرَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَبْرَأُوا النِّسْمَةَ، وَقَدْ تَحَدَّى اللَّهُ ﷻ الْخَلْقَ أَنْ يَخْلُقُوا مَا هُوَ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ، وَأَهْوَنَهَا، وَهُوَ الذَّبَابُ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لِلَّهِ﴾ ﴿١٧٣﴾. أَمَرْنَا اللَّهَ ﷻ أَنْ نَسْتَمِعَ وَأَنْ نُنْصِتَ لِهَذَا الْمَثَلِ؛ لِأَنَّهُ مَثَلٌ عَظِيمٌ ﴿إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾. كُلُّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ فِي نَظَرِ الْخَلْقِ فَوْقَ رَبِّهِ الْخَلْقِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا لِلْأَعْلَى لَوْ اجْتَمَعُوا لَمْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا فَمِنْ دُونِهِمْ مِنَ الْعِبَادِ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ بَابِ أُولَى لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، ثُمَّ أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ، ﴿وَلَنْ يَسْلُتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ﴾. يَعْنِي: لَوْ أَخَذَ الذَّبَابُ مِنْهُمْ شَيْئًا مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ، كَيْفَ لَذَبَابٌ يَأْخُذُ مِنْهُمْ شَيْئًا؟ صَوَّرَهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَافَ يُجْعَلُ عَلَيْهَا أَشْيَاءٌ مِنَ الطِّينِ وَغَيْرِهِ فَيَأْتِي

(١) انظر معنى البيت في «السان العرب» مادة «خل ق».

الذباب فيقع على هذا الطين فيعلق بأرجل الذباب، ولا يستطيع هؤلاء أن يستنقذوا ما يتعلق بالذباب.

إذا: الخلق والبرء خاص بالله ﷻ. والمصور كذلك، والتصوير خاص بالله ﷻ، ولهذا أنكر الله ﷻ على من يصور ويخلق كخلقه فقال: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ بِخَلْقِ كَخَلْقِي»^(١) مَنْ أَظْلَمُ يَعْنِي: لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ؛ لِأَنَّهُ يُتَازَعُنِي فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَالَّذِي يَصُورُ كَمَا يَصُورُ اللَّهُ يَنَازِعُ اللَّهَ تَعَالَى فِي الرُّبُوبِيَّةِ، كَأَنَّمَا يَقُولُ بِلِسَانِ حَالِهِ: أَنَا أَقْدَرُ عَلَى أَنْ أَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ، وَأَصُورُ كَمَا صَوَّرَ، وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ التَّصْوِيرَ خَاصٌّ بِاللَّهِ ﷻ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْخَلْقُ أَنْ يُغَيِّرُوا صُورَةَ صَوَّرَهَا اللَّهُ ﷻ إِلَى أَحْسَنَ وَلَا إِلَى أَسْوَأَ أَبَدًا، وَإِنَّمَا يَكُونُ هُنَاكَ قَطْعٌ غَيْرُ إِذَا احتاج بعض الصور إلى تكميل لعب أو شبهه يمكن، فالأنف إذا انقطع مثلاً يمكن للبشر أن يجمع من بقية أجزاء البدن ما يصور فيه هذا الأنف أو ما أشبه ذلك، لكن تصوير كامل لا يمكن أبداً، لا يمكن لأحد أن يغير صورة صَوَّرَهَا اللَّهُ ﷻ إلى حُسنٍ أو إلى قبح، ربما إلى قبيح، فقد يكون يُجْنَى على هذا الرجل جنابة تُغَيِّرُ مَلامَحَ وَجْهِهِ مثلاً، لكن على أنه تصوير لا يمكن. وهنا يُحَسَّنُ أَنْ تَتَكَلَّمَ عَنِ التَّصْوِيرِ وَحُكْمِهِ، التَّصْوِيرُ الْمَجَسَّمُ إِذَا كَانَ لِحَيَوَانٍ إِنْسِيٍّ أَوْ بَيْمَةٍ فَإِنَّهُ حَرَامٌ وَأُظُنُّ ذَلِكَ مُتَّفَقًا عَلَيْهِ، يَعْنِي لَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَصُورَ شَيْئًا شَاخِصًا عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ أَوْ صُورَةِ بَيْمَةٍ وَهَذَا بِالْإِتِّفَاقِ وَسِوَاءَ صُورِهِ بِيَدِهِ أَوْ صَنَعَ آلَةً تَكُونُ مَجُوفَةً وَمَخْطُطَةً بَحِثْ إِذَا وَضَعَ فِيهَا عَجِينًا أَوْ شَبْهَهُ انْطَبَعَ حَتَّى يَكُونَ صُورَةً، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ حَرَامٌ وَلَا يَجُوزُ.

أمَّا إِذَا كَانَ التَّصْوِيرُ بِالتَّلْوِينِ يَعْنِي لَيْسَ جَسْمًا يُلَمَّسُ، وَإِنَّمَا هُوَ لَوْنٌ فَقَدْ اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا حَتَّى وَإِنْ صَوَّرَ بِالْيَدِ، فَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَجَارَ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّ الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَحْرِيمِ التَّصْوِيرِ قَالَ فِيهِ: «إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ»^(٢) وَالْأَصْلُ أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مُتَّصِلٌ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: «إِلَّا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ». مُسْتَثْنَى مِنَ الصُّورِ الْمَحْرَمَةِ، فَيَكُونُ التَّصْوِيرُ بِالتَّلْوِينِ لَا بِأَسْ بِهِ وَالْكَلَامُ عَلَى التَّصْوِيرِ بِالْيَدِ وَالْآنَ وَصَلْنَا إِلَى التَّصْوِيرِ بِالْآلَةِ فَيَكُونُ حَلَالًا وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ.

وقال بعض العلماء: إِنَّ التَّصْوِيرَ الْمَحْرَمَ هُوَ التَّصْوِيرُ الَّذِي يُخَافُ مِنْهُ التَّوَصُّلُ إِلَى عِبَادَةِ الصُّورَةِ، وَمَا لَا يُخْشَى مِنْهُ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِهِ بِأَسْ، وَاسْتَدَلُّوا لِذَلِكَ بِقِصَّةِ الرِّجَالِ الَّذِينَ كَانُوا صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوْحٍ لَمَّا مَاتُوا صُنِعَ لَهُمْ صُورٌ ثُمَّ عُيِدُوا^(٣)، لَكِنَّ الصَّحِيحَ: أَنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ عِلَّةٌ لَا شَكَّ، وَلَكِنَّ الْعِلَّةَ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا الْحَدِيثُ «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ بِخَلْقِ كَخَلْقِي» تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ صَوَّرَ سِوَاءَ هَذَا

(١) تقدم تحريجه.

(٢) رواه البخاري (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦).

(٣) رواه البخاري (٤٩٢٠) هذا يومه أنه مرفوع مع أنه موقوف - والله أعلم -.

الغرض أو غيره، فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ.

إذا: ما كان له جسم فهو حرام، وما لم يكن له جسم فَمَحَلٌّ خلاف بين العلماء ولكن الجمهور على منعه، وحملوا قوله: «إِلَّا لَا رَقْمًا فِي ثَوْبٍ» على أنه استثناء منقطع وأن المراد بالرقم في الثوب ما لم يكن صورة ذي روح، واستدل هؤلاء الذين قالوا بذلك، وهم الجمهور، بحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين بعث أبا الهيثم الأسدي، وقال له: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَّا تَدْعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» قال: صورة إلا طَمَسْتَهَا وفي لفظ: تَمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ^(١)، ومعلوم أن الطمس يكون للملوك في الغالب، وإن كان قد يكون في المجسم بحيث يوضع على الوجه مثلاً طين أو شبهه يطمس معالم الوجه، على كل حال هذا الدليل. واستدلوا أيضاً بحديث التمرقة حين جاء النبي ﷺ إلى بيته بيت عائشة، فإذا فيه تمرقة وفيها صور فلم يدخل عليه السلام وعرفت الكراهية في وجهه، فقالت عائشة أتوب إلى الله ورسوله، ماذا أذنبت؟ فقال: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ بِقَالَ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٢) وهذا القول الذي عليه الجمهور هو الصحيح، أن الصور ولو كانت رقماً حراماً، وأنها من كبائر الذنوب، وإن كانت المضاهاة فيها بالنسبة لخلق الله ليست كاملة، يعني أن خلق الله مجسم، وهذه ملونة ليس فيها شيء ناتئ على أنه الأنف، أو ناتئ على أنه حاجب العين أو ما أشبه ذلك، لكن ظاهر النصوص العموم، وأنه يشمل حتى ما كان بالتلوين.

ويبقى النظر في غير ذي الروح أو جزء من ذوات الأرواح، يعني لو صور رأساً فقط أو يداً فقط أو رجلاً فقط فهل يدخل في التحريم أو لا يدخل؟

نقول: لا يدخل في التحريم؛ لأن الحديث فيه: «كُلَّفَ أَنْ يُنْفَخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»^(٣) ومثل هذه الأجزاء لا تُنْفَخُ فيها الروح أصلاً وليست جسماً يمكن أن تُنْفَخَ فيها الروح، ثم إن النبي ﷺ ذكر في قصة التمثال الذي قال له فيه جبريل: مُرْ بِرَأْسِ التَّمْثَالِ فَلْيَقْطَعْ حَتَّى يَكُونَ -أَيُّ التَّمْثَالِ- كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ^(٤) يعني إذا قطع رأسه سَبَقَ أَعْضَاءُهُ حَتَّى تَكُونَ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ، ولم يقل في الحديث: وَكَسَّرَ الرَّأْسَ. فدل ذلك على أن الجزء الذي لا تحل الحياة لا يدخل في التحريم، ولهذا جاء في الحديث وإن كان فيه مقال: «الصُّورَةُ الرَّأْسِ، فَإِذَا قُطِعَ الرَّأْسُ فَلَا صُورَةَ»^(٥) والمعنى أن الصورة لا

(١) رواه مسلم (٩٦٩).

(٢) رواه البخاري (٢٤٧٩)، ومسلم (٢١٠٨).

(٣) رواه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).

(٤) رواه الإمام أحمد (٣٠٥/٢)، وأبو داود (٤١٥٨)، والترمذي (٢٨٠٦)، وابن حبان (٥٨٥٤)، وصححه

الشيخ الألباني كما في تعليقه على السنن.

(٥) أخرجه الإسماعيلي في «معجمه» (٦٦٢/٢) (٢٩١) من حديث ابن عباس مرفوعاً. وأخرجه الطحاوي في «شرح

تكون صورة إلا مع الرأس، فإذا قُطِع فلا صورة وليس المعنى أن الصورة هي الرأس، بل يعني أن الرأس نفسه يكون صورة مستقلة، والدليل حديث التمثال «مُر برأس التمثال فليقطع حتى يكون كهيئة الشجرة» ثم إنه يتضاعف الإثم إن صور العلماء من الملوك أو الوزراء أو العلماء أو العباد. فإن هذا يتضاعف، وتضاعف ذلك في العلماء والعباد أشد من تضاعفه في الملوك والوزراء والرؤساء، وذلك؛ لأن عاطفة الناس لتعظيم العلماء والعباد أشد من عاطفتهم لتعظيم الملوك والرؤساء؛ لأن تعظيم الملوك والرؤساء في الغالب إنما يكون عن خوف ورهبة، وأما العباد والعلماء فهو عن تعظيم وتوقير في النفس، فلذلك كان خطر صور العلماء والعباد أشد من صور الملوك والرؤساء، فلهذا يجب علينا إذا رأينا صورة شخص عالم صوّرت، ويتناولها الناس بالأيدي تعظيمًا لها يجب علينا حماية لجانب التوحيد أن نُمزقها، أما ما يوجد من صور العلماء في الصحف والمجلات، فهذه لا يؤنبه لها، لكن يوجد صور بعض العلماء مصورة مبروزة يتناولها الناس، وهذه خطيرة جدًا، فالواجب أن نُمزق ولا يجوز إقرارها؛ لأنه يخشى في يوم من الدهر أن يُعظم هؤلاء كما عظم القوم الصالحون في قوم نوح.

ويتعاضد أيضًا الأمر، أمر الصور فيما إذا كانت الصورة صورة امرأة جميلة، فإن هذه فتنة لا من حيث العبادة ولكن من حيث الخلق، فإن الإنسان ربما يقتنئ بهذه الصورة حتى يكون دائمًا يطالعها صباحًا ومساءً للتلذذ والتمتع بها، وسواء كان التمتع تمتع شهوة؛ يعني: شهوة غريزية، أو تمتع انشراح صدر أو ما أشبه ذلك، فليس كل تمتع للشهوة، فنحن نتمتع مثلاً برؤية السيارة الجميلة والساعة الجميلة، وغير ذلك لكن ليس هذا تمتع شهوة فهذه الصور بعض الناس ربما يقتنئها ليمتع بها، وهذا يتضاعف له الإثم فيها.

فالحاصل: أن الصور نفسها محرمة، فإذا انضاف إلى ذلك خوف فتنة بها من عبادتها أو التلذذ برؤيتها أو التمتع بذلك، فإنه يزداد إثمها، وذلك لأن المعاصي تزداد بحسب ما يقترب بها من الفساد. أما الصور الفوتوغرافية الآن، فهذه صارت محل جدل بين العلماء المعاصرين بعد أن ظهرت هذه الآلة، فمن العلماء من منعها سدا للذريعة وأخذًا بظاهر العموم، وقالوا: إن حركة الإنسان بهذه الآلة أو تحريكه هذه الآلة هذا هو التصوير.

ومن العلماء من أجازها وقال: هذه ليست تصويرًا، والإنسان المصور لا يشعر بأنه حاذق وأنه جيد، ولهذا لا يمدح الرجل الذي يطلق آلة التصوير حتى تصوّر، ويقال: ما أحذقه وما أجوده! لكن لو يأتي الإنسان يُخطّط صورة حتى تكون كالمصور، فقالوا: ما أحذقه وما أمهره!

أما هذه فليست في حقّه كالتصوير، لكنّها التقاط صورة صَوَّرَهَا اللهُ ﷻ، والأصل لا شك أنّه تصويرُ اللهِ ﷻ، والتقاطُ هذه الصورة كما تكون الصورة في المرأة، إلا أنها في المرأة لا تثبت، وهذه تثبت بسبب ما يكون فيها من المواد الكياوية.

وهذه المسألة تجاذبها أصلان: أصل الحلّ، والأيمنع الناس من شيء إلا إذا تيقنا أنّه حرام أو غلب على ظننا أنّه حرام، وأصل التحريم وهو عموم المصورين ولكنك إذا تأملت تأملاً عميقاً تبين لك أنّ الإنسان ليس مُصَوِّراً فيما إذا التَقَطَ الصورة بالآلة ولا يقال مصوّر، ولهذا يلتقطها الأعمى، ويلتقطها الإنسان في ظلمة، وتظهر كما هي، ولو كانت تصويراً من الإنسان نفسه، لكان يختلف في الحكم بين الماهر وغير الماهر، والأعمى والبصير وما أشبه ذلك^(١)، لكن من تركها تنزّها، لا ينبغي أن يوصف بأنه مُشَدَّدٌ أو أنّه متعمّق أو متنطع أو ما أشبه ذلك، بل يقال: الحمد لله، هذه يسوغ فيها الاجتهاد، من أذاه الاجتهاد إلى التحريم والمنع فإنه لا يُلام، ومن أذاه اجتهاده إلى الحلّ - وقال الأصل الحلّ حتى يتبين له دخولها في التحريم - فإنه لا يُلام، وإذا كنّا: لا نلوم من يقول: إنّ أكل لحم الإبل لا يَنْقُضُ الوضوء، فيقوم المصلّي أمامنا ونحن نشهد باعتقادنا أنّ صلاته باطلة، ومع ذلك لا نلومه؛ لأنّه مجتهد، فلا ينبغي أن نلوم من يرى أنّ التصوير الفوتوغرافي ليس حراماً؛ لأنّ صلاته بلا وضوء أعظم من التصوير، فالصلاة ركن من أركان الإسلام، لكن نظراً إلى أنّ هذه المسائل اجتهادية فإنّا أرى أنّه لا ينبغي أن يُشَدَّدَ فيها النكير على من خالفنا فيها، فهي مسائل لا تتعلق بالعقيدة إنما هي مسائل اجتهادية.

وأقوى دليل رأيته لمن قالوا بالحلّ قولهم: أنت إذا أخذت صحيح البخاري ثم أدخلته الآلة التي تُصَوِّرُ وَخَرَجَتْ الصورة من الآلة هل يقال: هذا كتابك كتبه أنت؟.

الجواب: لا، إذن لست مُصَوِّراً وما كتبه أنت، وهذا واضح لمن تأمل. لكنّ النظر بالنسبة لاقتناء الصور أن اقتناء الصور، الأصل فيه التحريم؛ لأنّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، وهذه صورة لا شك حتّى إذا كنت أمام امرأة ورأيت وجهك، فهو صورة لا شك، ويجب أن تعلم أنّ العلماء رحمهم الله فرّقوا بين التصوير واقتناء التصوير، وأكثر الناس لا يعرفون هذا الفرق، لكنّه فرقٌ معتبرٌ، فقال في متني «زاد

(١) سؤال: ذكرتم أنّ التلوين باليد لا يجوز على الراجح عندهم، كما أنّ التصوير بالآلة الفوتوغرافية لا بأس بها، لكن أحسن الله إليك. إذا كانت الصورة تتضمّن الأمرين بمعنى التصوير الفوتوغرافي والمعالجة باليد؛ لأنّ الصور في بعض الكاميرات الفوتوغرافية من حين تضغط تطلع الصورة كاملة، لكن في بعضها وهذا الأكثر أنّك إذا صوّرت الصورة لا بد من تحميص ومعالجة بالألوان حتّى تخرج هذه الصورة؟

الجواب: الذي يظهر لي أنّ الاحتياط في هذا أن يمنع؛ لأنّ الصورة التي تأتي على الفيلم إذا رأيته وجدتها مشوهة أحياناً لا تعرف لمن هي، فإذا كانت تدخل عليها التحسينات، فالظاهر أنّها للتحريم أقرب.

المستقنع^(١) وهو مختصر من كتب الفقه قال: يَحْرُمُ التصويرُ واستعماله. ففَرَّقَ بَيْنَ التصويرِ وَبَيْنَ استعماله، وقالوا: يجوزُ استعمالُ الصورِ فيما يُمْتَنُّ كَالْفُرَشِ وَالْمَخْدَاتِ وما أشبه ذلك، والخلافُ في هذا أيضًا معروفٌ، فبعضُ العلماءِ يقولُ: لا يجوزُ حتَّى فيما يُمْتَنُّ، بل يجبُ أن يُقَطَّعَ الرَّأْسُ حتَّى تكونَ بلا رأسٍ. إذا: الخلاصةُ أولاً: التصويرُ لما له جسمٌ حرامٌ لا شكَّ عندنا فيه، وهو محلُّ اتفاقٍ فيما نعلمُ.

ثانياً: التصويرُ باليدِ أيضًا حرامٌ؛ لأنَّ المصورَ يريدُ أن يُضاهِيَ خَلْقَ اللَّهِ في هيئةِ الصورةِ، وإنَّ كانَ التصويرُ باليدِ ليسَ حقيقةً كخَلْقِ اللَّهِ، لكن الصورةَ والوجهَ والعينَ والشفتينَ والأنفَ وما أشبه ذلك كخَلْقِ اللَّهِ، هذا أيضًا حرامٌ، وتزداد حرمةُ إذا كانَ لِمُعْظَمٍ مِن ملوكٍ أو علماءٍ أو عبادٍ، وتزداد حرمةُ إذا كانَ مِن أجلِ التمتعِ بالصورةِ تمتعَ شهوةٍ أو تمتعًا بلا شهوةٍ.

أما إذا كانَ بالآلةِ فقد عرفتُمُ الخلافَ في هذا، ولكن الذي نودُّ ألا يكونَ هذا الشغلُ الشاغلَ لطلبةِ العلمِ، بل نقولُ: هذه مسألةٌ مما ساءَ فيه الخلافُ، والعلماءُ مختلفون فيها وإدخالها في التحريمِ فيه نظرٌ، بل أرى أنَّه لا يدخلُ في التحريمِ، فإذا كانتِ المسألةُ فيها شيءٌ من الاجتهادِ فلا ينبغي التشديدُ فيها، نعم نشددُ على من اقتنى صورةَ عالمٍ أو صورةَ مَلِكٍ أو صورةَ وزيرٍ أو صورةَ عابدٍ لتعظيمِها، فإنَّ ذلك لا يجوزُ، وهذا هو أصلُ منعِ التصويرِ.

أمَّا تصويرُ ما لا رُوحَ فيه مثل: نخل، ورمالٍ، وبرتقالٍ، فجمهورُ العلماءِ على أنَّه جائزٌ، وقال مجاهدٌ -وهو إمامٌ من أئمةِ التابعين- إنَّه لا يجوزُ أن تُصَوَّرَ الشجرةُ وما أشبهها؛ لأنَّ اللَّهَ قال في الحديثِ القدسي: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فليُخْلَقَ حَبًّا أَوْ لِيُخْلَقَ شَعِيرًا»^(٢) ومعلومٌ أنَّ الشجرَ الناميَ ينفردُ اللَّهُ به بِحَالِهِ الذي خلقه ﴿إِنَّ اللَّهَ قَالِقُ الْحَيِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]. فمن صَوَّرَهُ فقد صَوَّرَ كما صَوَّرَ اللَّهُ، خلَقَ كما يَخْلُقُ اللَّهُ.

لكنَّ الصحيحَ أنَّه جائزٌ، وهو الذي عليه الجمهورُ وهو الذي أَرَشَدَ إِلَيْهِ ابنُ عباسٍ رضي الله عنه، المصورُ حينَ رآه يصوِّرُ الأكدميينَ فنَّها وقال: إِنْ كُنْتَ فاعلاً -يعني فصورَ الشجرَ وما أشبهه^(٣).

وأمَّا تصويرُ السياراتِ والطياراتِ والقصورِ فيجوزُ؛ لأنَّ هذا صنعُ الآدميِّ، وفالآدميُّ هو الذي يصنعه بيده، فإذا جازَ الأصلُ جازَ الفرعُ، وأمَّا تصويرُ الأنهارِ لو أنَّ إنسانًا أرادَ أن يصوِّرَ بيده قارةً من القاراتِ ويصوِّرَ أنهارَها وجبالَها فهذا يجوزُ؛ لأنَّها ليستَ ناميةً، والإنسانُ يجوزُ أن يخفِرَ في الأرضِ جُدولًا يجري فيه الماءُ، ولا يقالُ إِنَّكَ خَلَقْتَ نَهْرًا.

أمَّا الدِّرَاهِمُ التي تسمى الدراهمَ الفرنسيةَ، وهذه فيها صورةُ إنسانٍ كافرٍ وتلمسُ؛ لأنَّها ناتئةٌ،

(١) (زاد المستقنع) (ص ٣٨).

(٢) كلام مجاهد عن ابن أبي شيبة (٢٠٨/٥)، (٢٥٢٩٣)، والحديث القدسي رواه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٣) رواه البخاري في البيوع باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح، ومسلم (٣/ ١٦٧٠) (٢١١٠).

وكان العلماء قد أباحوها للناس من قديم الزمان، والجنية الذهب يُسميه الناس: الجنية الإفرنجي فيه صورتان، صورة من أحد الوجهين لملك الإنجليز، والصورة الثانية فارس على فرس تشاهده وتلمسه باليد، وكان الناس يتناقلون هذه الجنيهات والعلماء قد أباحوا ذلك لهم، ووجه الإباحة هو الضرورة؛ لأنَّ الناس لا يمكن أن يتركوا هذه النقود، ولا يمكن أن يتخلَّى عنها الإنسان لكن رأيت بعض الناس إذا قام يصلي -الآن- أخرج الدراهم التي معه التي فيها صورة ملوك وجعلها أمامه، يعني بدلًا من أن تكون مُخفأة، وصار يصلي إليها وهذا أعظم، ولكن لو جاء أحد من الناس والتقطها، هل يجوز أن يقطع صلاته ليلاحقه؟

الجواب: نعم. لأنه أراد أن يأخذ ماله.

وأما كاميرات الفيديو ما فيها بأس، وأنا أنقل لكم ما عرض على مجلس هيئة كبار العلماء، وصار أكثرهم يقول: لا بأس بها. حتَّى إنَّهم أرادوا أن يُصدِّروا فتوى بأن تصوِّر المحاضرات في المساجد، لكن رَأَوْا أنَّ من المصلحة عدم ذلك، وعدم إدخالها المساجد؛ لأنَّ العامة يُخشى أن يكون منهم ثورة فتركوها، فإذا صُوِّر بها أشياء فيها مصلحة فلا حرج.

لكن في المناسبات والأفراح أنا أرى منعها، حتَّى وإن كانت حلالاً أرى منعها؛ لأنَّ هذه خطيرة، فقد يتلاعب به السفهاء، أمَّا إذا كانت مثلاً محاضرات أو إنسان يشرح مثلاً موادَّ علمية وما أشبه ذلك فهذه ما فيها بأس.

هذا سؤال وجيه يقول: إذا كانت الصورة المجسمة لأطفال فهل يُسامح فيها؟

الجواب: إنَّ بعض الناس يقول: إنَّه يُسامح فيها. بناءً على ما ثبت في الصحيح من أن عائشة رضي الله عنها كان لها بنات تلعب بها، قالوا: وهذا يدلُّ على أنَّ هذه البنات التي للصغار يلعبن بها لا بأس بها، لكن ما ندرى هل الصور التي في ذلك العهد مثل الصور التي في عهدنا أو أنها مجرد هيكل، لكن الحمد لله بدأ في الآونة الأخيرة الآن يظهر لعب بنات من العهن القطني أو شبيهه وليس فيها عيون ولا أنف وهذا طيب، فالحمد لله أنه هدى الناس لهذا، وصار له رواج عند الناس، والصبيان قد يُسامح لهم ما لا يُسامح لغيرهم ولهذا يُسامح لهم في اللعب التي تخزُّم على الكبار، والبنات الصغيرة إذا صار لها بنت تلعب بها ترى أنها بنتها حقيقة تهزُّها تنوِّمها تجعلها كأنها بنت تاما، فلذلك رُخص فيها لتوسع صدرها وتتعود على التربية؛ تربية الأولاد في المستقبل، وأنا لا أشددُ حتَّى في هذه المصورات ما أشددُ فيها تشديدًا كاملاً لكن من الممكن أن تُعَفَّص الوجه حتَّى تزول ملامح الوجه.

أما الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في غزوة بني المصطلق أنهم أصابوا سبائًا، وسبائًا؛ يعني: نساء، والمسلمون إذا غزوا الكفار ثم غلبوهم، ووقع في أيديهم أحد من المشركين، فإنَّ النساء والذرية الصغار يكونون سبيًا، سبيًا: يعني ملكًا للمسلمين أرقاء وأما المقاتلون فإنه يُخيَّر الإمام أو قائد الجيش فيهم، بين القتل وبين المن بدون شيء، فيُطلقه هكذا، وبين الفداء بالمال أو

الفداء بأسير، واختلف العلماء في الرق هل يدخل في هذا فيسترقهم أو لا؟ فهذه والله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿وَإِذَا أَخْتَمْتُمْهُمْ فَشَدُّوا الْوُثَاكَ فَمَا مَتَّعُوا وَمَا فَدَاكَ﴾ [٤: ٤٠]. وثبت أن النبي ﷺ قتل الأسرى^(١)، فهذا ثلاثة أشياء، والقتل، والمن بدون شيء، والفداء إمَّا بهالٍ أو بأسير أو بمنفعة، مثال الهال أن يُقال للأسير: أعطنا مثلاً كذا وكذا من الهال ثم نُطْلَقْكَ، والفداء بأسير أن يكون عند الكفار أسرى للمسلمين فيتبادلون الأسرى، بمنفعة مثل أن يُقال للأسير: أنت تعرف صناعة الذرة، عَلَّمْنَا صناعة الذرة نطلقك، مثل ما علَّم أسرى بدر الكتابة للصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أو قتلهم.

ولكن هل هذا التخيير تخييرٌ مصلحي، أو تخييرٌ تشهي يعنى: يعود لما يشتهي الإنسان، القاعدة في هذا في التخييرات كلها أن ما كان للغير فهو تخييرٌ مصلحي وما كان للتيسير فهو تخييرٌ تشهي، فإذا كنت تتصرف لغيرك فالتخيير تخييرٌ مصلحي، ومن ذلك وليُّ اليتيم إذا خبير بين شيئين في التصرف في ماله يجب عليه أن يختار ما هو أصلح، وكذلك الوكيل وغير ذلك، المهم أنه إن تصرف لغيره فإن تخييره يكون تخييرٌ مصلحي، وما كان مقصوداً منه التسهيل على المكلف فهو تخييرٌ تشهي، فيقال اختر ما تشاء، ونقول: إذا غمنا من الكفار نساءً أو ذريةً يكونون سبائاً أرقاء بمجرد السبي. أمَّا الْمُقَاتِلُونَ فَإِنَّ الْإِمَامَ يَخِيرُ فِيهِمْ كَمَا ذَكَرْنَا.

يقول: ﴿فَارَادُوا أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِهِنَّ وَلَا يَحْمِلْنَ﴾، أراد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يستمتعوا بهؤلاء النساء بالجماع بدون حمل، فسألوا النبي ﷺ عن العزل، والعزل: أن يجامع الإنسان امرأته أو مملوكته، فإذا قارب الإنزال نزع، حتى يكون الإنزال خارج الفرج، فقال ﷺ: «مَا عَلَيْكُمْ أَلَّا تَفْعَلُوا» يعنى: ما عليكم، إن شئتم فافعلوا وإن شئتم فلا، «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ مَا هُوَ خَالِقٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» بمعنى: أنكم لو فعلتم وأنزلتم، فإنه لا يلزم من الإنزال أن يُخلَقَ منه ولد؛ لأنَّ اللَّهَ ﷻ كتب من هو خالق إلى يوم القيامة، فأنتم إذا لم تفعلوا، يعنى: لم تعزلوا، فإنه قد يُخلَقُ الولد من هذا الباء وقد لا يُخلَقُ. الشاهد من هذا الحديث قوله: «مَنْ هُوَ خَالِقٌ»؛ لأنَّ الترجمة بباب قوله تعالى: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ﴾.

ثم قال النبي ﷺ: «لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا» أي نفس مخلوقة فאלله تعالى هو الذي خلقها، وهذا من باب التوكيد بالجملة السابقة. يَنْقَى مَسْأَلَةُ الْعَزْلِ.

فهل يجوز للإنسان أن يعزل أو لا يجوز؟

نقول: إذا دعت الحاجة إلى العزل، فإنه يجوز بشرط أن توافق الزوجة، فإن لم توافق فإن ذلك حرام؛ لأنَّ العزل يَفُوتُ به أمرانِ مقصودان للمرأة. الأمر الأول: تمام اللذة، فإنَّ اللذة لا تتم إلا بالإنزال.

(١) انظر ما رواه البخاري (٣٠٤٣)، (٣٠٤٤) ومسلم (١٧٦٨)، (١٣٥٧).

وَالثَّانِي: الْوَلَدُ، وَلَهَا حَقٌّ فِي الْوَلَدِ، فَلَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْزَلَ عَنْ زَوْجَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهَا وَمُوَافَقَتِهَا.

أَمَّا إِذَا وَافَقَتْ الزَّوْجَةُ فَهَلِ الْأَوَّلَى الْعَزْلُ أَوْ لَا؟

نَقُولُ: الْأَوَّلَى عَدَمُ الْعَزْلِ، وَالْأَوَّلَى الْإِكْثَارُ مِنَ الْأَوْلَادِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مَكَاثِرٌ بِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(١) وَكَثْرَةُ الْأَوْلَادِ عِزٌّ لِلْأُمَةِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَضْيِيقٌ لِلرِّزْقِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي قُرْآنِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [٦٥: ٦٥]. وَكَلِمَا كَثُرَتْ الْأُمَةُ فَتَحَ اللَّهُ لَهَا أَبْوَابًا مِنَ الرِّزْقِ بِشَرَطٍ أَنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ فِي التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، أَمَّا هَؤُلَاءِ الْأُمَمُ الْكَثِيرَةُ الَّذِينَ يَمُوتُونَ مِنَ الْجُوعِ، فَهَؤُلَاءِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ صَدَقٌ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَإِلَّا فَلَوْ صَدَّقُوا، لَهَيَّا اللَّهُ لَهُمُ الرِّزْقَ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ - أَوْ حَقَّ التَّوَكُّلِ - لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُوا خِمَاصًا وَتَرَوْحَ بَطَانًا» ^(٢).

فَالطَّيْرُ تَغْدُوا مِنْ أَوَّارِهَا خِمَاصًا؛ أَيُّ: جَائِعَةً، لَيْسَ فِي بَطُونِهَا شَيْءٌ، تَذْهَبُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَتَرَوْحُ فِي آخِرِ النَّهَارِ بَطَانًا؛ أَيُّ: مَمْلُوءَةٌ الْبَطُونِ.

فَكثْرَةُ الْأُمَةِ لَا شَكَّ أَنَّهُ عِزٌّ وَقُوَّةٌ لِلْأُمَةِ، وَلِهَذَا نَجِدُ أَنَّ الْأُمَمَ الْكَثِيرَةَ لَهَا هَيْبَةٌ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَأَخِّرَةً فِي الصَّنَاعَةِ، مِنْ أَجْلِ كَثَرَتِهَا، وَمَا يَحَاوِلُهُ أَعْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ مِنْ تَقْلِيلِ النِّسْلِ لِلْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَطَأٌ خَبِيثَةٌ مَكْرَةٌ، فَهَمَّ يَرِيدُونَ أَنْ يَقْضُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ؛ إِمَّا بِمَوْتِ الْمَوْجُودِ، أَوْ الْحِيلُولَةِ دُونَ الْمَعْدُومِ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَثُرَتْ الْأُمَةُ؛ لَكَانَ هَذَا فِي الزَّرَاعَةِ، وَهَذَا فِي الصَّنَاعَةِ، وَهَذَا فِي التَّعْلِيمِ... إلخ يَعْنِي: كُلُّ وَاحِدٍ قَامَ بِعَمَلٍ، وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ، وَرِزْقُ اللَّهِ لَا نَفَادَ لَهُ ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [٩٦: ٩٦]. فَكَثْرَةُ الْأَوْلَادِ لَا شَكَّ أَنَّهُ مَحْبُوبٌ فِي الشَّرْعِ، مَطْلُوبٌ فِي الْعَقْلِ.

وَأَمَّا مَا يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ الْآنَ: إِذَا كَثُرَ الْأَوْلَادُ كَثُرَتْ طَلِبَاتُهُمْ، هَذَا يَقُولُ: هَاتِ قَمِيصًا وَهَذَا: هَاتِ سُرْوَالًا، نَقُولُ: رَزَقَكَ وَرَزَقَهُمْ عَلَى اللَّهِ ﴿تَحْنُ رَزَقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [١٥١: ١٥١]. ﴿تَحْنُ رَزَقُهُمْ وَإِيَّاكَ﴾ [٣١: ٣١]. حَدَّثَنِي رَجُلٌ أَنَّهُ كَانَ قَلِيلَ ذَاتِ الْيَدِ فَتَزَوَّجَ؛ يَقُولُ: فَرَأَيْتُ قَنَاءَ مِنَ الرِّزْقِ بَدَأَتْ تَصُبُّ عَلَيَّ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً أَوْ لَا فَوُلِدَ لَهُ وَلَدٌ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ؛ مَعْرُوفٌ عِنْدِي، يَقُولُ: فَلَمَّا وُلِدَ، يَقُولُ: زَادَ الرِّزْقُ يَقْسَمُ عَلَى ذَلِكَ؛ وَمَا هَذَا إِلَّا مِثَالٌ، وَمَصْدَقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [٦٥: ٦٥] وَقَوْلُهُ: ﴿تَحْنُ رَزَقُهُمْ وَإِيَّاكَ﴾ [٣١: ٣١]. وَقَوْلُهُ: ﴿تَحْنُ رَزَقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فَكَثْرَةُ الْوَلَدِ أَمْرٌ مَحْمُودٌ شَرْعًا، وَكَذَلِكَ عَقْلًا وَانْظَرُوا إِلَى شَعِيبٍ، مَاذَا قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ [٨٦: ٨٦]. فَجَعَلَهَا نِعْمَةً يُذَكِّرُ بِهَا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِبَنِي

(١) رواه الإمام أحمد (١٥٨/٣)، وابن حبان (١٢٢٨) والموارد، والبيهقي (٨١/٧)، وصححه الشيخ الألباني كما في «الإرواء» (١٧٨٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، والحاكم في المستدرک (٦١/١)، وصححه الشيخ الألباني كما في السلسلة الصحيحة (٣١٠) وتعليقه على السنن.

إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۖ﴾ [١٦: ٩٦]. وهذا فيه الإشارة إلى الكثرة والإشارة إلى تعلم أساليب الحرب؛ لأنه لن ينفر في الحرب إلا من كان عنده خبرة.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٩ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [٧٥: ٥٦].

هذا الباب أتى به المؤلف لإثبات اليد لا لإثبات الخلق؛ لأن إثبات الخلق في الباب الذي سبق، وهذا من حسن ترتيب المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، أن الباب الأول في الخلق عمومًا، وهذا الباب في الخلق خصوصًا، ويده أيضًا.

❖ يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [٧٥: ٥٦]. وهذه جملة من آية، فإن الله تعالى أمر الملائكة لما خلق آدم أن تسجد له، وكان من بينهم وليس منهم إبليس فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يسجد، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ﴾ [١٥: ٥٠].

لأن الجن الأصل فيهم المعصية لا الطاعة والملائكة لا يعصون الله، فسجد الملائكة إلا إبليس أبى، فقال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾. أي شيء منعه؟ ماذا قال؟ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۝﴾ [١٥: ٣٢]. فصار المنع له من السجود هو الاستكبار والعلو، وكان في علم الله تعالى كافرًا، وهو في اللوح المحفوظ مكتوب أنه كافر، فاستكبر وأبى: ﴿قَالَ مَا سَجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝﴾ [١٥: ٦١]. يعني: خلقت من الطين، فلم يسجد - والعياذ بالله - فقال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ وهنا قال: ﴿لَمَّا﴾ ولم يقل: «لمن» مع أن آدم عاقل من عداد العقلاء؛ لأنه إذا أريد الوصف عبر عن العاقل بـ«ما»، وإذا أريد الشخص عبر عن العاقل بـ«بمن»، أريت قول تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [٢: ٢٣]. فقال: «ما طاب» ولم يقل: «من طاب» مراعاة للوصف، والوصف غير عاقل، فهنا هذا المخلوق آدم عَلَيْهِ السَّلَام أمره عظيم، فاعتبار الوصف فيه أولى من اعتبار الشخص، ومراعاة الوصف أن الله تعالى خلقه بيده، ولهذا انظر جواب إبليس، الذي جعله في مقام الشخصية، فقال: ﴿مَا سَجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ﴾ والله رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ﴾ لأن الله رَحِمَهُ اللَّهُ أراد تعظيم آدم، وإبليس أراد تهوينه وضعته، فقال: «لما».

❖ وقوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ الشاهد من هذه الجملة: قوله تعالى: ﴿يَدَيَّ﴾؛ يديّ التثنية وغير آدم لم يخلق باليدين، بل خلق بالكلمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝﴾ [١٨: ٢٥]. فالملائكة والشياطين وغيرهم كلهم خلقوا بكلمة،

فإذا قال قائل: ما دليلك على أنهم خلقوا بالكلمة؟

قلنا: دليلنا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝﴾ [١٨: ٢٥]. فلما أراد أن يخلق الملائكة قال: كُونُوا فكانوا، وكذلك غيرهم، لكن آدم خلقه الله بيده، وجعل صورته على صورته،

جَعَلَ اللَّهُ صُورَةَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّبِّ ﷻ وَهَذَا تَكْرِيمٌ آخَرُ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى صُورَةِ الرَّبِّ، وَلَكِنْ لَا يَلْزُمُ مِنْ كَوْنِهِ عَلَى صُورَةِ الرَّبِّ أَنْ يَكُونَ مِثَالًا لِلرَّبِّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وَأَوَّلُ زَمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ^(١) وَلَيْسُوا مِثَالِينَ لِلْقَمَرِ، فَلَا يَلْزُمُ مِنَ الصُّورَةِ الْمِثَالَةُ.

❖ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدَيَّ﴾ الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَدَيَّ﴾ لِلتَّعْدِيَةِ؛ يَعْنِي: أَنَّ الْخَلْقَ حَصَلَ بِالْيَدِ، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ أَحَدًا بِيَدِهِ إِلَّا آدَمَ، إِلَّا مَا وَرَدَ أَنَّهُ ﷻ غَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ^(٢)، فَإِذَا صَحَّ هَذَا الْأَثَرُ فَإِنَّهُ يُضَافُ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ، وَأَمَّا مَا كَتَبَهُ بِيَدِهِ فَهُوَ التَّوْرَةُ كَتَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِيَدِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدِهِ وَخَلَقَ غَيْرَهُ بِالْكَلِمَةِ «كُنْ» فَيَكُونُ حَتَّى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خَلَقَهُ اللَّهُ ﷻ بِكَلِمَةٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [المائدة: ١٧١]. فَإِنَّهُ خَلَقَهُ، وَقَالَ لَهُ: كُنْ. فَكَانَ، لَكِنْ بِنَاءً عَلَى سَبَبِ فَاغْرَسَ اللَّهُ جَبْرِيْلُ فَنَفَخَ فِي فَرْجِهَا هَذِهِ الرُّوحَ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ ﷻ فَنَشَأَ الْوَلَدُ.

وَالْيَدُ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ هِيَ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبْرِيَّةِ، وَلَيْسَتْ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ خِلَافًا لِأَهْلِ التَّحْرِيفِ الَّذِينَ جَعَلُوهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَفَسَّرُوهَا بِالْقُدْرَةِ أَوْ بِالنِّعْمَةِ يَعْنِي: بِالْإِنْعَامِ؛ أَيْ: بِشَيْءٍ مُنْفَصِلٍ عَنِ اللَّهِ ﷻ، بَلْ نَقُولُ: هِيَ صِفَةُ اللَّهِ ﷻ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبْرِيَّةِ الَّتِي مُسَمَّاهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا أَعْضَاءُ وَأَجْزَاءُ وَهِيَ يَدٌ حَقِيقَةٌ يَقْبُضُ بِهَا وَيَأْخُذُ بِهَا، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]. وَثَبَتَ أَنَّهُ ﷻ يَأْخُذُ الصَّدَقَةَ إِذَا كَانَتْ مِنْ كَسْبِ طَيْبٍ يَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرِيهَا كَمَا يُرِي أَعْدَانًا فَلَوْهَ يَعْنِي: مُهَرَّهَ الصَّغِيرِ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ^(٣) وَهَذِهِ الْيَدُ لَا تُشَبِّهُهَا يَدٌ لَا فِي الْحَقِيقَةِ وَلَا فِي الصِّفَةِ، وَلَا فِي الْكَيْفِيَّةِ.

أَمَّا الْحَقِيقَةُ: فَإِنَّ حَقِيقَتَهَا تَابِعَةٌ لِلذَّاتِ فَكَمَا أَنَّ ذَاتَ اللَّهِ ﷻ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْمَوَادِّ الْمَخْلُوقَةِ كُلِّهَا بَلْ هِيَ ذَاتٌ لَا يَمِثُلُهَا ذَاتٌ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا فِي الْكَيْفِيَّةِ لَيْسَتْ كَأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ قِطْعًا؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وَهَذَا يَنْسَجِبُ عَلَى جَمِيعِ الصِّفَاتِ.

الْبَحْثُ الثَّالِثُ: قَدْ وَرَدَتْ صِفَةُ «الْيَدِ» بِلَفْظِ الْيَدِ وَلَفْظِ «الْكَفِّ»، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ، وَالْيَدُ وَالْكَفُّ فِي اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ، لَا يَخْتَلِفُ، فَإِنَّ الْيَدَ إِذَا أُطْلِقَتْ فِي اللِّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَهِيَ الْكَفُّ،

(١) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (٣٣٢٧)، وَمُسْلِمٌ (١٦٢٥).

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤٢٦/٢، ٣٤٨٠) وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٩٩/٤)، (٣٧٠١)، وَاللَّكَاثِيُّ فِي «اعْتِقَادِ أَهْلِ السَّنَةِ» (٧٣٠)، وَقَالَ فِي «جَمْعِ الزَّوَائِدِ»: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» وَ«الْكَبِيرِ» وَأَحَدُ إِسْنَادِي الطَّبْرَانِيِّ جَيِّدٌ. وَعَنْدَ مُسْلِمٍ (١٨٩): غَرَسَتْ كَرَامَتَهُمُ بِيَدِي؛ يَعْنِي: أَنَّهُ غَرَسَ جَنَّتَهُمْ بِيَدِهِ ﷻ.

(٣) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ (١٤١٠)، وَمُسْلِمٌ (١٠١٤).

وإن قُيِّدَتْ تَقَيَّدَتْ بما قُيِّدَتْ به، ولهذا لَمَّا أَطْلَقَ اللَّهُ الْيَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي التَّيْمِمِ: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٦٦]. لم يتعدَّ التيممُ موضعَ الكفِّ، وَلَمَّا أَطْلَقَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]. لم يتعدَّ القَطْعُ موضعَ الكفِّ، ولما أُريدَ الزيادةُ على ذلك قُيِّدَتْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آيَةِ الْوُضُوءِ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [البقرة: ٦٦].
إِذَا: الْيَدُ وَالْكَفُّ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ لَوْلَا وُرُودُ الْكَفِّ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ^(١)، لَقُلْنَا: نَتَبَّهَ لِلَّهِ يَدًا، وَ لَا نَقُولُ كَفًّا لِأَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ يَجِبُ التَّحَرُّزُ مِنْهَا تَحَرُّزًا كَامِلًا؛ لِأَنَّهَا فَوْقَ مَا يَدْرِكُهُ الْعَقْلُ.

البحث الرابع: اليدُ التي أثبتَّها الله لنفسه وردَّتْ في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه: الإفراد والشبهة والجمع.
فالإفراد: في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ٨٨]. و ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي يَدُوهُ الْمَلَكُوتُ﴾ [البقرة: ١٠]. وما أشبه ذلك.
والشبهة مثل: هذه الآية. ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾. وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِفُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٦٤].

ووردت بلفظ الجمع: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا أَنْعَمًا﴾ [البقرة: ٧١].
وهذه الوجوه الثلاثة قد يظنُّ ظانٌّ أَنَّهَا متعارضة، ولكن ليس في القرآن -والله الحمد- ما يتعارض متعارضًا كليًا بحيث يكذبُ بعضُه بعضًا، والجمعُ بين هذه الوجوه الثلاثة سبقَ نظيره في الجمع بين ورود هذه الوجوه الثلاثة في صفة العين لله ﷻ، وقُلْنَا في الجمع -بينها-: أمَّا الإفراد فإنه لا يعارضُ الشبهة ولا الجمع؛ لأن المفرد المضافَ يعمُّ فلا يُنافي التعدد، وعليه فيكونُ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، و ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ لا يتعارضان؛ لأنَّ قولَه: ﴿قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعمُّ كلَّ ما لله من يَدٍ.

وكذلك أيضًا لا يعارضُ المفردُ الجمعُ في قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا أَنْعَمًا﴾.

بقي النظرُ في: الجمع بين المثني والجمع.
فنقول: إذا قُلْنَا: بأنَّ أقلَّ الجمع اثنان، فلا منافاة؛ لأنَّا نحملُ الجمعَ على أَنَّهُ مُثْنِي، وإن قُلْنَا: بأنَّ أقلَّ الجمع ثلاثة، كما هو معروفٌ، فإنَّ الجمعَ بين الشبهة والجمع هو أنَّ المجموعَ لا يَرادُ به مَعْنَى: الجمع، وإنَّما جُمِعَ للتعظيمِ والمناسبةِ بين المضافِ والمضافِ إليه، المضافُ أيدي والمضافُ إليه «نا» الدالةُ على الجمع، فلو حُظِّفَ فِيهِ الْمَعْنَى وَاللَفْظُ، فَالْمَعْنَى: هو التعظيمُ، واللفظُ هو التناسبُ بين المضافِ والمضافِ إليه.

إِذَا: الَّذِي نَعْتَقِدُ بِالنِّسْبَةِ لِيَدِ اللَّهِ ﷻ أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَهُ يَدَانِ اثْنَتَانِ، وَعَلَى ذَلِكَ أَجْمَعَ السَّلَفُ أَنَّ اللَّهَ

يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لِمَاذَا لَا نَأْخُذُ بِالْجَمْعِ لِأَنَّهُ أَزِيدُ، فَإِنْ مَنَ أَخَذَ بِالْجَمْعِ، فَقَدْ أَخَذَ بِالْمُثْنَى؟
قُلْنَا: هَذَا لَا يَسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ جَاءَتْ رَدًّا عَلَى قَوْلِ الْيَهُودِ:
﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. فَجَاءَتْ بَيَانُ الصِّفَةِ الْكَامِلَةِ لِلَّهِ ﷻ بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الصِّفَةِ، وَلَوْ كَانَ هُنَاكَ يَدٌ زَائِدَةٌ
عَلَى اثْنَتَيْنِ لَذُكِرَتْ؛ لِأَنَّهُ كَلَّمَ كَثُرَتِ الْأَيْدِي كَثُرَ الْعَطَاءُ، فَلَوْ كَانَتْ هُنَاكَ يَدٌ زَائِدَةٌ عَلَى اثْنَتَيْنِ لَذُكِرَتْ
اللَّهُ تَعَالَى لِمَا فِيهَا مِنْ إِفْحَامٍ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ، فَتَعَيَّنَ أَنْ تَكُونَ الْيَدُ اثْنَتَيْنِ لَا أَكْثَرَ وَجَاءَتْ
الْأَحَادِيثُ أَيْضًا ظَاهِرَةً فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ أَنَّ الْيَدَ اثْنَتَانِ فَقَطْ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَعْتَقِدُهُ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ ﷻ.

الْبَحْثُ الْخَامِسُ: وَإِذَا قِيلَ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِهِ ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ حَيْثُ قُلْنَا: إِنَّ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ
بِيَدِهِ؛ وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا سَالِكُونَ﴾؟

قُلْنَا: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ وَجَعَلَ الْيَدَ بِمَنْزِلَةِ الْآلَةِ
الَّتِي يَصْنَعُ بِهَا.

أَمَّ فِي قَوْلِهِ ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ فَاسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَيْدِي نَفْسِهَا.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ بِصِيغَةِ التَّنْيِيزِ وَقَالَ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ:
﴿بِأَيْدِينَا﴾ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ فَلَا يَدُّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ فَرْقٌ، وَالْفَرْقُ أَنَّ الْمَرَادَ بِ﴿بِأَيْدِينَا﴾ النَّفْسُ فَهُوَ
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾. أَيْ: بِهَا كَسَبْتُمْ، فَمَعْنَى الْآيَةِ: مِمَّا عَمِلْنَا.

الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي خَلْقِ آدَمَ ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ فَقَالَ: ﴿خَلَقْتُ﴾ وَهَذَا قَالَ: ﴿أَوَلَمْ
يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ فَجَعَلَهُ عَمَلًا وَالْعَمَلُ يَكُونُ بِالْكَلِمَةِ، وَكَذَلِكَ الْخَلْقُ يَكُونُ بِالْكَلِمَةِ،
لَكِنْ لَمَّا غَايَرَ بَيْنَهُمَا عِلْمَ أَنَّهُمَا لَيْسَا سَوَاءً، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَلِهَذَا أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْأَنْعَامَ مِنَ الْإِبِلِ
وَالْخَيْلِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْكَلُ وَيُرْكَبُ لَمْ يَخْلُقْهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَإِنَّمَا خَلَقَهَا بِالْكَلِمَةِ ﷻ، وَعَلَى هَذَا
فَتَكُونُ الْأَنْعَامُ غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ بِالْيَدِ، بَلْ مَخْلُوقَةٌ بِالْكَلِمَةِ لَا بِالْيَدِ.

الْمَبْحَثُ السَّادِسُ: وَقَدْ زَعَمَ أَهْلُ التَّعْطِيلِ أَنَّ إِبْثَابَ الْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلَّهِ ﷻ مُنْكَرٌ وَمَحَالٌّ عَلَى اللَّهِ، وَوَصَفُ اللَّهِ
بِمَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَقِدَ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: مَنْ أَطْلَقَ ذَلِكَ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ
يَقْتَضِي أَوْ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جَسَمًا، وَمَنْ أَثَبَّتَ أَنَّ اللَّهَ جَسَمٌ فَهُوَ كَافِرٌ عَلَى زَعْمِهِمْ، لَذَا قَالُوا: مَعْنَى الْيَدِ يَعُودُ إِلَى
الْقُدْرَةِ. وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ الْقُدْرَةَ مِنْ جَمَلَةِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ، فَيُحِيلُونَ كُلَّ صِفَةٍ فَعْلِيَّةٍ إِلَى مَعْنَى الْقُدْرَةِ، فَيَكُونُ
مَعْنَى الْيَدِ: الْقُدْرَةُ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: الْيَدُ النِّعْمَةُ؛ لِأَنَّهُ تَأْتِي فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِمَعْنَى النِّعْمَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَكَمْ لَظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تَوَّيْدُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ^(١)

أي تخبر أن المانوية، والمانوية تكذب. يعني يقول: أن لك خيرات كثيرة في الليل تبين وتُخبر أن المانوية، والمانوية طائفة من المجوس يقولون: إن الظلمة لا تخلق خيراً أبداً، ولن يكون خيراً في ظلمة. وهذه الخيرات التي يُسديها الممدوح تشهد بأن المانوية كاذبة. الشاهد قوله: «من يد» أي: من نعمة ومنه قول أبي بكر رضي الله عنه - أظنه لبديل بن برقع - لولا يدك عندي لم أجزها. أو كلمة غيرها، وأنا نسيْتُ القصة لكنه قال: لولا يدك عندي. يعني: نعمة.

فيقال: الأصل في اليد أنها اليد الحقيقية، فإذا وجدت قرينة تمنع أن يكون المراد بها اليد الحقيقية فحينئذ يجب أن نأخذ بما دلت القرينة عليه، ثم نقول: يمنع هذا التحريف التثنية في قوله: ﴿يَدَيَّ﴾ و﴿يَدَاهُ﴾ فهل تقولون: إنه ليس لله قدرة إلا اثنتان. وما معني هذا القول؟ أو تقولون: ليس لله نعمة إلا نعمتان. وهذا يكذبه الواقع، ولا شك، وعلى هذا: فنقول: كل من حرّفها فإنه مخطئ، مجانب للصواب، مخالف لما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان.

فإن قال قائل: أثبتنا لبديل واحد أو نص واحد عن الصحابة أنهم قالوا: المراد باليد: اليد الحقيقية. نقول: لا تأتي لكم بشيء بل هو المتواتر عنهم حيث يتلون كتاب الله وما جاء من سنة الرسول ﷺ، ومع ذلك لم يُنقل عنهم حرف واحد يبينون أن المراد بها خلاف ظاهرها، وعلى هذا فهم يؤمنون بها على ظاهرها، وهم عرب خلص يعرفون المعنى، وإذا لم يرد عنهم شيء يخالف الظاهر، فإننا نجزم بأنهم يقولون بالظاهر إذ كيف يتلون كتاب الله أثناء الليل وأطراف النهار، ولا يتجاوزون عشر آيات إلا تعلموها وما فيها من العلم والعمل، ثم لا يرد عنهم حرف واحد يدل على أنهم يخرجون الكلام عن ظاهره، ولا حاجة إلى أن ننقل لكل صفة بعينها نصاً من الصحابة أو التابعين؛ لأن الأصل أنهم يقولون بما دل عليه ظاهر القرآن أن المراد اليد الحقيقية والعين الحقيقية، وكذلك بقية الصفات.

فإن قال قائل: إن قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ لم يبين فيها أن الله يد أي يُمْنى وله يد أي شئلاً فماذا تقولون: هل تقولون إن الله ليس له إلا يدان وتسكتون. أو تقولون: له يد يُمْنى وشئلاً. أم ماذا تقولون؟

قلنا: نقول كما قال النبي ﷺ: «كلنا يديه يمين»^(٢) فكلنا يديه يمين بالنسبة إلى عدم اختلاف كل

(١) انظر: «الذخيرة» (١/٣٦٤)، (٣/٣٤٧)، «محاضرات الأدباء» (٢/١٢١).

(٢) رواه الإمام مسلم (١٨٢٧).

يد عن الأخرى، لكن ورد التصريح بالشمال من حديث ابن عمر، أخرجه مسلم في صحيحه^(١). وذكره الشيخ رحمه الله محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد^(٢) واستخرج مسائل من الدلائل وقال: من جملة المسائل التصريح بالشمال لله عز وجل.

وعلى هذا فالجمع بين هذه الرواية، وبين قوله: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» أن نقول: هما يَدَانِ؛ يَمِينٌ وشمال، ولكن لا تَخْتَلِفَانِ كما تَخْتَلِفُ أيدي المخلوقين بالنسبة لليُمْنَى والشمال بل كِلْتَاهُمَا يَمِينٌ مباركة، وكِلْتَاهُمَا فِيهَا الْخَيْرُ، وفيها العطاء، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَدُهُ مَلَأَى، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ بِهَا فِي يَمِينِهِ»^(٣). ﷻ لكثرة خيراته وبركاته وجوده وإحسانه.

ونذكر هنا قاعدة وهي أن أهل الكلام أدخلوا في العقائد كلمات كان لابد من أن نحوّص الميدان معهم، فهم قالوا: إن اليد مجاز عن كذا، فكان لابد أن نقول: بل هي حقيقة. ولا يعني ذلك أن باقي القرآن فيه مجاز، كذلك تكلموا في أشياء أخرى؛ في مسألة الجسم ومسألة الحيّ فاضطرّ أهل السنة أن يتكلموا، وكذلك مسألة زيادة «بذاته» في الاستواء، والنزول والمجيء كل هذا دفعاً لِمَا يَرُوجُهُ هؤلاء المُحَرِّفُونَ بين العامة ويقولون: المراد كناية عن كذا، مجاز عن كذا وما أشبه ذلك.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٤١- حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ فَضَالَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ؟ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ وَعَلَمَكَ أَسْمَاءُ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكَ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ- وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكَ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ- وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا- وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدَ اللَّهِ التَّوْرَةَ وَكَلِمَتُهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ -وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا- وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَتُهُ رُوحُهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ

(١) رواه مسلم (٢٧٨٨). وقد تقدم بحث هذا الحديث وكلام البيهقي عليه وانظر: «الاسماء والصفات للبيهقي» (١/٣٢٤).

(٢) انظر: «كتاب التوحيد»، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ يَوْمَ الْأَرْضِ جَمِيعًا بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ [الأنعام: ٦٠].

(٣) رواه البخاري (٧٤١١)، ومسلم (٩٩٣).

اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يُقَالَ لِي اارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ. فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ عِلْمَنِهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعَنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يُقَالَ اارْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ عِلْمَنِهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدْعَنِي، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعَنِي ثُمَّ يُقَالَ اارْفَعْ مُحَمَّدٌ، قُلْ يُسْمَعُ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدِ عِلْمَنِهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحْدُ لِي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ، يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً»^(١).

اللفظ: «يجمعُ الله المؤمنين». ولكنَّ الجمعَ يومَ القيامةِ للمؤمنين وغيرهم، والمشقة تكونُ على المؤمنين وغيرهم، ويقولُ في هذا الحديث: «يأتون آدم فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس؟» يعني: على ما هم عليه من الغمِّ والكربِ الذي لا يُطاق، فالفِعْلُ الثَّانِي محذوفٌ دلَّ عليه السياقُ، والمعنى: أما ترى الناسَ قد أصابهم ما أصابهم من الغمِّ والهَمِّ والكربِ.

❖ قوله: «خلقك الله بيده» هذا هو الشاهد من الحديث، المطابق للترجمة تمامًا.

❖ وقوله: «وأسجد لك ملائكته» أي: أمرهم أن يسجدوا لك، فسجدوا.

وهنا يَقَعُ سؤال: كيفَ جاز للملائكة أن يسجدوا لغير الله؟ وهل سجدوهم هذا عبادة؟

الجواب: جاز لهم أن يسجدوا لغير الله، لأنَّ الله أمرهم به، وسجدوهم لآدم عبادة، ولهذا كان تركُ إبليس السجودَ لآدم كفرًا قال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢). كما أن قتلَ النفسِ من كبائر الذنوبِ ولا سِيَّما الأقاربِ، وكان قتلُ النفسِ للأقاربِ منقبةً عظيمةً لإبراهيمَ الخليل، حيث أمره الله أن يقتل ولده فاستسلم هو والولد، ولَمَّا أَحْضَرَهُ لِلذَّبْحِ، وتَلَّهَ لِلجِبِينِ تَلَّهُ بِشِدَّةٍ لئَلَّا تَأْخُذَهُ الرَّحْمَةُ، وجعلَ جبينه مما يلي الأرضَ، لئَلَّا يَعْجِزَ عن تنفيذِ ما أمرَ الله به، أن يَرَى وَجْهَ وَلَدِهِ والسَّكِينِ أَمَامَهُ، أو أنَّ الولدَ أيضًا يحصلُ له ما يحصلُ حينَ يَرَى السَّكِينِ فوقَ رأسِهِ، لكن جاءَ الفرجُ من عند الله ورفعَ عنه هذا التكليفَ العظيمَ، وقالَ له: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾^(٣). وَكُتِبَ لَكَ أَجْرُ مَنْ ذَبَحَ وَلَدَهُ الذي بَلَغَ معه السَّعْيُ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ ﷻ، فصَارَ هذا القتلُ للابنِ قربةً إلى الله ﷻ.

والله تعالى له أن يفعل ما يشاء إذا كَلَّفْنَا بِأَمْرِ فَإِنْ امْتِثَلْنَا لِهَذَا الْأَمْرِ عِبَادَةٌ مِمَّا كَانَ.

❖ قوله: «وعلمك أسماء كل شيء» لو أَخَذَتْ بظاهرها لكانَ الله علمه كلَّ شيءٍ، حتَّى ما يكونُ إلى يومِ القيامةِ، ولكنَّ المرادَ بذلكَ أسماءَ كلِّ شيءٍ يحتاجُ إليه، أو إلى معرفةِ اسمِهِ في ذلكَ الوقتِ،

ولا غرابة أن تأتي هذه اللفظة «كل شيء» ويُرادُ بها شيءٌ مخصوصٌ ألم تروا إلى قوله تعالى عن ربح عاد: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الحقعة: ٢٥]. ولكن لم تُدْمِرِ المساكنَ ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ إِلَّا مُسَكِّنَهُمْ﴾ [الحقعة: ٢٥]. لكن علمه أسماء كل شيء يحتاج إليه وإلى معرفته، ولهذا قيل للملائكة ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١]. شيءٌ مُعَيَّنٌ عندهم ﴿بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]. ولكن هل علمه كل ما يتعلق بهذه المسميات؟ يروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: علمه القصعة والقصيعة والفسوة والفسيلة^(١). يعني: مكبرات الأسماء ومُصغراتها، وكل ما يحتاج إليه وفي هذا البحث اختلف العلماء، هل اللغات توقيفية أو كسبية؟ والصحيح: أن بعضها توقيفي وبعضها كسبي؛ أي: أن بعضها ممَّا علمه الله وبعضها أخذه الإنسان بالتجارب، ووضع لكل معنى اسمًا حسب تجاربه، ولهذا نرى أن اللغات تتطور وتزيد أحيانًا وتنقص أحيانًا فتوجد كلمات من اللغات هُجرت ولا تستعمل أبدًا وتوجد كلمات تجدد لها معانٍ، فاستعمل لها اللفظ المناسب لهذه المعاني الجديدة.

قوله: «لست هناك». ويدكر خطيئته التي أصاب. هذا اعتذارٌ وبيانٌ حجة، فالاعتذار قوله: «لست هناك» وبيان الحجة الخطيئة التي أصاب، وذلك أن الشافع لابد أن يكون له قدرٌ عند مَنْ شفعَ إليه، وإذا لم يكن له قدرٌ أو كان حصل منه مخالفة، فإنه هو يحتاج إلى مَنْ يشفعَ له ويخجل أن يقوم شافعًا لغيره مع أنه حصل منه ما حصل، وهذا شيءٌ فطريٌّ، فأدُم اعتذر، وذكر سبب الاعتذار وهو أنه أكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها فقد أمره الله أن يأكل من كل ما طاب في الجنة، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]. فجاءهما الشيطانُ وسوسَ لهما، ودَلَّاهما بغيرِ رورٍ، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ﴾، وقال: ﴿هَلْ أَذُكَّ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [البقرة: ١٢]. والإنسان بشرٌ ضعيفٌ، فانتقادٌ وأكلٌ من الشجرة فبدت العورة، العورة الحسية والعورة المعنوية، والعورة المعنوية بالمعصية، والحسية تساقط ما ستر الله به عورتها، وجعلًا يَخْصِفَانِ عليهما من ورق الجنة، وفي هذا دليلٌ على كذب الرواية التي تُروى عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنِي صَاحِبًا صَلَاحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [البقرة: ١٨٩-١٩٠]. فقد روي أن حواء حملت، فجاءهما الشيطان فقال: سَمِيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مِيتًا، ثم حملت فجاءهما وقال: لَطِيعَانٌ أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قُرْنِي إِيْلٍ فيخرجُ من بطنك فيشقُّه، فأذركهما حبَّ الولدِ فسمياهُ عَبْدَ الْحَارِثِ^(٢)، فإن هذه

(١) رواه ابن جرير «بسند»، عن ابن عباس (١/٢١٥).

(٢) رواه أحمد (١١/٥)، والترمذي (٣٠٧٧)، وضعفه ابن حزم في «الفصل» (٤/٥)، والذهبي في «الميزان» (٣/١٧٩) وابن

كذب لا شك فيه، والعجيب أن في بعض سياقاتها أنه قال لهما: أن صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة؛ سبحانه الله! يتوسل إليهما بقبول خبره بأنه أخرجهما من الجنة، وهذه القصة ذكرنا في شرح التوحيد^(١) أكثر من ثمانية أوجه تدل على كذبها ومنها هذا الحديث؛ لأنها لو وقعت من ابن آدم لكان أكبر من أكل الشجرة؛ لأن فيها إخلالاً بالتوحيد، ووقوعاً في الشرك، وهو أعظم من المعصية.

فإن قال قائل: إذا تبين بطلان كون الآية الكريمة في آدم وحواء، فبماذا تُجيبون عن قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ قلنا: الجواب على هذا سهل، فالمراد بقوله: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: من جنس واحد وجعل منها زوجها كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. وليس المراد بالنفس الواحدة آدم بل المراد نفوس بني آدم والمعنى أنا خلقنا من جنس واحد وحصل ما حصل من الشرك بالله عز وجل، وهذا يقع من بني آدم، وليس من آدم، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الشورى: ١٧] وأيضاً قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. ولم يقل: فتعالى الله عما يشركان. ولو كانت خاصة بآدم وحواء لقال: عما يشركان، ثم إن آدم وحواء لم يشركا ما لا يخلق شيئاً، وإنما حصل الشرك - لو صححت القصة - بتسمية الولد عبد الحارث.

على كل حال: هذه القصة غير صحيحة، ولهذا نبهنا عليها.

قال: ﴿ولكن اتنوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض﴾ في هذه الجملة يقول: «اتنوا نوحاً». ونوح هو الأب الثاني للبشرية؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هَرَبًا بَاقِينَ﴾ [يونس: ٦٧] ونوح عليه السلام في الآخرة ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧٧-٧٩]. فهو الأب الثاني للبشرية، والأول آدم.

وقوله: «أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض» صريح أن آدم ليس برَسُولٍ، وأن أول رسولٍ نوح، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الشورى: ١٦٣]. ولو كان قبل نوح رسول لقال: كما أَوْحَيْنَا إِلَى فلان والنبيين من بعده. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ [الأنعام: ٨٦]. - يعني نوحاً وإبراهيم - «النبوة والكتب» [الأنعام: ٨٧]. وبهذا نعرف أيضاً كذب من قال من المؤرخين: إن إدريس وشيثا رسولان قبل نوح فشيث لم يذكر في القرآن، ولكن نأخذ الذي ذكر في القرآن، وهو إدريس، فإن بعض المؤرخين يقول: إن إدريس قبل نوح، وهذا لا شك أنه كذب، ولا يجوز تصديقه؛ لأنه ليس أحد من الرسل قبل نوح أبداً، والظاهر أن إدريس من أنبياء بني إسرائيل؛ لأنه يُذكر في سياق أنبياء بني إسرائيل، فالظاهر أنه منهم، فإن قال قائل: لماذا لم يُرسل أحد من قبل نوح؟

=

فالجواب: ما ذكره الله في قوله: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [٢١٣: ٢١٣]. يغني: على الحق، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾. فكان الناس على الحق، لكن لما كثروا، وانتشروا في الأرض اختلَفُوا، فحيث احتاجوا إلى الرسل؛ ليحكموا بينهم بالحق، وفيه إشارة إلى أن آدم نبي، وقد جاء ذلك عن النبي ﷺ فيما رواه ابن جبان^(١) بإسناد صحيح أن آدم نبي مكلَّم أوحى الله إليه بشرع يناسب الوقت الذي هو فيه، فتعبَّد به، وأولاده في ذلك الوقت قليلون على فطرتهم فكانوا يأخذون بما كان عليه أبوهم، ويتعبَّدون لله به، حتى كثروا فاختلَفُوا، وهذا مما يرجح قول جمهور العلماء في الفرق بين النبي والرسول، وهو أن النبي من أوحى إليه بشرع، ولم يكلف بإبلاغه ولم يلزم به، بل قيل له: تعبَّد به. فتكون فائدته - إن كان قبله رسول - إحياء الرسالة التي نسيها كثير من الناس. وإن لم يكن قبله رسول كآدم فهو شرع جديد، وهذا الذي عليه جمهور العلماء في الفرق بين النبي والرسول.

فإذا قال قائل: كيف يوحى الله إليه ولم يأمره بالتبليغ؟

قلنا هنا شيان: تعبَّد خاص، وتعبَّد عام يلزم بإبلاغه، فالنبوة هي التعبَّد الخاص، وفائدته أنه إذا عمل بالشرع وهو عند الناس معتبر - والنبوة لابد أن تكون فيمن هو أهل لها - فإن الناس سوف يقتدون به، ولهذا نرى العلماء في هذه الأمة يُحْيُونَ ما مات من سنة الرسول، إذا رآهم الناس اقتدوا بهم وتعلَّموا منهم، فيكون فائدة النبي الذي أوحى له بالشرع، وتعبَّد لله به، هو إحياء ما مات من سنة الرسول قبله، إن كان قبله رسول، أو إنشاء شرع جديد يتعبَّد لله به، ولا أعلم مثالا لهذا الأخير إلا آدم، فإنه لم يُرسل قبله أحد، ولكنه نبي ﷺ، فكان يتعبَّد بمقتضى هذا الوحي حتى كبر أولاده، وانتشروا واختلَفُوا فبعثت الرسل.

﴿وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾﴾ [٥٢: ٥٢]. فالمعنى: ولا نبأنا من نبي، ومثل هذا جارٍ في اللغة العربية ومنه قول الشاعر عن ناقته:^(٢)

* علفتها تبنًا وماء باردًا *

والماء البارد لا يعلف، فالتقدير: علفتها تبنًا وسقيتها ماء باردًا، وحذف الفعل للدلالة عليه بقرينة سائغ في اللغة العربية، والقرينة ما علم أن النبي مأخوذ من النبوة وهي الرفعة، أو من النبأ وهو الخبر، والرسول من الرسالة؛ لأنه أمر أن يبلغ، فالرسول مأثور بالتبليغ، فلو أرسلت شخصًا إلى جماعة فقد أمرته بأن يبلغ، لكن لو نبأته، أي: أخبرته بشيء ولم أقل له بلغ صار منبأ غير مرسل.

قوله: ﴿فَيَأْتُونَ نَوْحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ. وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنْ اتَّبَعُوا إِبْرَاهِيمَ

خَلِيلَ الرَّحْمَنِ

(١) أخرجه ابن جبان (٦١٩٠).

(٢) البيت الذي الرمة وصدره: لما خططت الرجل عنها واراذا.

نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَهِيَ سُؤَالُهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، فَإِنَّهُ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِ وَادٍ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٥) قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَنْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (١٦) ﴿٤٥: ٤٦-٤٧﴾. تَأَمَّلْ كَلَامَ الرَّبِّ ﷻ لِأَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ بِهِذِهِ الْقُوَّةَ وَالشَّدَّةَ ﴿فَلَا تَنْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٦) وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ آخِرُ الرُّسُلِ. ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ (الاحزاب: ١٧). ﴿وَتَخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ كَيْفَ يَقُولُ اللَّهُ هَذَا الْكَلَامَ لِلرُّسُلِ، لِأُولَى الْعِزِّ، وَنَحْنُ - نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْصِمَنَا بِعَفْوِهِ - نَبَارِزُ اللَّهِ بِالْمَعْصِيَةِ الْقَوْلِيَةِ وَالْفِعْلِيَةِ وَالْعَقْدِيَةِ إِلَّا مِنْ رَحْمِ اللَّهِ، وَكَأَنَّا وَاثِقُونَ بِأَنَّا نَاجُونَ؟ نَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةً عَيْنٍ.

قَوْلُهُ: «اتَّبُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ» إِذَا قَالَ قَاتِلٌ مِنْ أَيْنَ عِلْمُ نوحٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ؟
فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ عِلْمٌ ذَلِكَ بِالرُّوحِيِّ قَطْعًا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَكِنْ هَلْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نوحٍ فِي وَقْتِ وَجُودِهِ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ سَيَبْعُثُ إِبْرَاهِيمَ، وَيَتَّخِذُهُ خَلِيلًا أَوْ أَنَّ نوحًا عِلْمٌ بَعْدَ ذَلِكَ، وَيَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ تُعَرِّضُ عَلَيْهِمْ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا؟
هَذَا مَحَلُّ نَظَرٍ وَمَرَاجَعَةٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ، وَإِنْ أَخَذْنَا هَذَا بِالتَّسْلِيمِ، وَقُلْنَا: نَقُولُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، أَمَّا كَيْفَ عِلْمُ أَنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ؟ فَهَذَا لَيْسَ إِلَيْنَا. إِذَا قُلْنَا بِهَذَا فَقَدْ أَخَذْنَا بِمَا فِيهِ الرَّاحَةُ وَالسَّلَامَةُ.

وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَعْظَمَ وَصْفٍ يَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ، أَنْ يَتَّخِذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا فَقَالَ: «خَلِيلَ الرَّحْمَنِ» وَلَمْ يَقُلْ رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ؛ لِأَنَّ الْخَلَّةَ دَرَجَةٌ عَظِيمَةٌ وَلَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا نَالَهَا مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا رَجُلَيْنِ هُمَا إِبْرَاهِيمُ وَمُحَمَّدٌ - عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» (١) وَبِهِ نَعْرِفُ أَنَّ مَنْ قَالُوا: إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ، وَمُحَمَّدٌ حَبِيبُ اللَّهِ نَقَّصُوهُ؛ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ أَذْنَى مِنَ الْخَلَّةِ، وَالْخَلَّةُ ثَابِتَةٌ لِلرُّسُولِ، الْمَحَبَّةُ تَكُونُ حَتَّى لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِعَامَّةِ الْمُحْسِنِينَ وَلِعَامَّةِ التَّوَّابِينَ وَلِعَامَّةِ الْمُتَطَهِّرِينَ، يَعْنِي: لَيْسَتْ خَاصَّةً بِالْأَنْبِيَاءِ، فَضْلًا عَنْ أُولَى الْعِزِّ، وَالْخَلَّةُ لَا نَعْلَمُ أَنَّهَا كَانَتْ إِلَّا لِهَذَيْنِ الرُّسُولَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ فَالَّذِي نَجَدُهُ فِي بَعْضِ الْأَدْعِيَةِ أَوْ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْوَعِظِ أَوْ مَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ وَمُحَمَّدًا الْحَبِيبَ، نَقُولُ: هَذَا خَطَأٌ وَتَنْقُصٌ فِي حَقِّ الرُّسُولِ ﷺ، فَإِذَا قَالَ: أَنَا أَرِيدُ مُحَمَّدًا الْحَبِيبَ لِي، قُلْنَا: أَيْضًا نَقَّصْتَهُ، فَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: حَدَّثَنِي خَلِيلِي، أَوْ صَانِي خَلِيلِي؛ لِأَنَّهُ اتَّخَذَ النَّبِيُّ خَلِيلًا وَهُوَ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَتَّخِذَهُ حَبِيبًا، فَهَلْ تَتَّخِذُ صَدِيقَكَ خَلِيلًا؟.

الْجَوَابُ: أَنَّهُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يَخَالِلُ» (٢) وَالْمَنْنُوعُ أَنَّ الرُّسُولَ يَتَّخِذُ خَلِيلًا، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا مَمْنُوعِينَ أَنْ نَتَّخِذَ الرُّسُولَ خَلِيلًا، أَوْ أَنْ نَتَّخِذَ مَنْ يَسْتَحِقُّ

(١) تقدم.

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٠٣) وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) وحسنه الألباني.

المحبة والخلة خليلاً.

لكن الشيء الذي يجب أن يتحررَ الناس منه، ما وُجِدَ عند بعض الشباب والشابات من المحبة مع الله، والتي تكون أول ما تكون محبة في الله ثم تنمو حتى تكون محبة مع الله، فتزاحم محبة الله، إن لم تتغلب على محبة الله ولا يكون في قلبه إلا محبة هذا الشخص.

وهذه المسألة خطيرة يجب أن ينتبه الإنسان لها بنفسه، ويجب أن ينبّه لها غيره، ألا تكون المحبة في الله محبة مع الله، فإنها تكون نوعاً من الشرك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

❖ قوله: «فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا» المعروف أن هذه الخطايا: هي أنه قال: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [البقرة: ٦٣]. وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [البقرة: ٨٩]. وقال لمليك مصر: «هذه أختي» والروايات في هذه مختلفة، ولكن مع هذا فإنها ليست خطايا، لكن مثل خليل الرحمن عليه السلام يخشى أن تكون خطايا، وإلا فلن إبراهيم عليه السلام كان متأولاً بما قال، والتأويل وإن كان ظاهره عند المخاطب أنه كذب، فإنه ليس بكذب.

قال ابن حجر في «الفتح» (١١/٤٣٤):

❖ «لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ» زاد مسلم: «التي أصاب، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا» وفي حديث أبي بكر: «لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي» وفي رواية همام: «إِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ» زاد شيان في روايته.

❖ قوله: «إِنِّي سَقِيمٌ» وقوله: «فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا» وقوله لامرأته: «أَخْبِرِيهِ أَنِّي أَخُوكَ» وفي رواية أبي نضرة عن أبي سعيد: «فَيَقُولُ إِنِّي كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ». قال رسول الله ﷺ: «ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله» و«ما حل» بمهمله؛ بمعنى: جادل. وزنه ومعناه، ووقع في رواية حذيفة مقرونة: «لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءٍ»، وضبط بفتح الهمزة وبضمها، واختلف الترجيح فيها، قال النووي. أشهرهما الفتح بلا تنوين، ويجوز بناءهما على الضم. وصوبه أبو البقاء والكندي، وصوبه ابن دحية، وصوب ابن دحية الفتح على أن الكلمة مركبة مثل «شذر مذر» وإن ورد منصوباً متوناً جاز، ومعناه لم أكن في التقريب والإدلال بمنزلة الحبيب، قال صاحب التحرير: كلمة تُقَالُ على سبيل التواضع؛ أي: لَسْتُ في تلك الدرجة، قال: وقد وقع لي فيه معنى مليح، وهو أن الفضل الذي أُعْطِيَتْهُ كان بسفارة جبريل، ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرّر «وراء» إشارة إلى نبينا ﷺ؛ لأنه حصَلَتْ له الرؤية والسماع بلا واسطة فكأنه قال: أَنَا مِنْ وَرَاءَ مُوسَى الذي هو مِنْ وَرَاءَ مُحَمَّدٍ. قال البيضاوي: الحق أن الكلمات الثلاث إنما كانت من معارضي الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق منها استصغارا لنفسه عن الشفاعة مع وقوعها؛ لأن من كان أعرف بالله وأقرب إليه منزلة كان أعظم خوفاً. اهـ

إذا: ليست خطايا في الواقع لكن نظراً لمقام الشفاعة وأنه أمر عظيم خاف أن يكون مثل هذا

مانعاً له من أن يكون أهلاً؛ لأن يشفع للناس، والأمر لا شك أنه مراد أن الله ساق الشفاعة إلى محمد ﷺ من وراء الأنبياء كلهم كما سيأتي إن شاء الله.

❖ قوله: «ولكن اتنوا موسى عبداً أثناء الله التوراة وكلّمه تكليماً. فيأتون موسى، فيقول: لسئ هناكم. ويذكرهم خطيئته التي أصاب»

خطيئته التي أصاب هي أنه قتل القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي من بني إسرائيل، ولهذا قال ﷺ اعترف بأنه ظلم نفسه مع أن قتله إياه كان قبل أن يُنبأ وقبل أن يذهب إلى مدين، لكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقامهم مقام الخوف والأدب مع الله والتعظيم فهو يرى نفسه أنه ليس أهلاً لأن يشفع، وقد صدر منهم قتل نفس بغير حق.

❖ قوله: «ولكن اتنوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه. فيأتون عيسى، فيقول: لسئ هناكم، ولكن اتنوا محمداً ﷺ»

وعيسى لم يذكر خطيئته؛ ليكمل الشرف لرسول الله ﷺ بحيث يكون الأنبياء الذين سبقوه منهم من اعتذر لخطيئته، ومنهم من اعتذر لاعترافه بأن محمداً أكمل بدون خطيئة لكن الكمال لمحمد ﷺ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء أن يتنقل طلب الشفاعة من أبي البشر إلى أربعة من أولي العزم ولا تحصل الشفاعة إلا من محمد ﷺ، منهم من يرى أنه عمل أشياء تحول بينه وبين أهلية الشفاعة وهم ثلاثة نوح وإبراهيم وموسى، والرابع لا يذكر شيئاً، لكن يرى أن هناك من هو أحق منهم أن يشفع وأكمل منه، وهو محمد ﷺ.

❖ قوله: «فيقول: لسئ هناكم، ولكن اتنوا محمداً ﷺ عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنطلق فاستأذن على ربي، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول لي ارفع محمد، وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع. فأحد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع، فيُحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني»

❖ قوله: «فاستأذن على ربي» يعني: طلب من الله أن يأذن له فيشفع، هنا طوي ذكر سبب طلب الشفاعة، لأن سبب طلب الشفاعة وهو أن يريحهم الله من الموقف، وهنا طوي ذكره لكنها ذكرت في أحاديث أخرى أن الرسول يشفع حتى يأتي الله ﷻ للقضاء بين عبادِهِ.

قال أهل العلم: وإنما كان الرواة يطؤون ذكر هذه الشفاعة؛ لأن هذه الشفاعة لا يُنكرها أحد من فرق الأمة، فكل الأمة لا تنكر الشفاعة العظمى التي للقضاء بين العباد، فلهذا اقتصر الرواة على ذكر الشفاعة التي فيها الخلاف بين فرق الأمة، وهي الشفاعة فيمن دخل النار.

فإن الخوارج والمعتزلة يرون أن من دخل النار، فإنه لا يخرج منها بشفاعة ولا غيرها حتى وإن كان من المؤمنين؛ لأن الخوارج يرون أن فاعل الكبيرة كافر مخلد في النار، وأن السارق، من سرق

ربيع دينار كمن سجد لصنم كلاهما كافراً، مخلدٌ في النار.

والمعتزلة يرون أن فاعل الكبيرة خارج من الإيمان غير داخل في الكفر، فهو في منزلة بين منزلتين، لا يُعطى اسم الإيمان، ولا يُعطى اسم الكفر، لكنه في حكم الآخرة مخلدٌ في النار، فلا فرق بينهم وبين الخوارج في حكم الآخرة، كلهم يرون أن فاعل الكبيرة مخلدٌ في النار، فهذا كان الرواة؛ رواية حديث الشفاعة كانوا يذكرون ما يتعلّق بالخلاف بين أهل السنة وبين أهل البدعة، وهو الشفاعة فيمن دخل النار بذنب لكنه ليس بكافر.

❦ قوله: «ثم أرجع، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجداً، فبدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد، وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأحد ربّي بمحمد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجداً، فبدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال ارفع محمد، قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع. فأحد ربّي بمحمد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود» ❦ فقال النبي ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة»

وهذه الشفاعة لأهل الكبائر من هذه الأمة لقوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»^(١) وإذا شفع لهم الرسول ﷺ أو الأنبياء الآخرون أو الملائكة أو الصالحون أخرج الله ﷻ من النار من في قلبه مثقال ذرة من الخير.

والشاهد من هذا الحديث كله هو قوله في آدم: «خلقك الله بيده» فيه إثبات اليد لله ﷻ وسبق الكلام عليها وبيان الوجوه التي وردت عليها بالكتاب والسنة.

ومعنى قوله ﷺ: «ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن» أي: الكفار وهم الذين حبسهم القرآن أنهم لا يخرجون منها قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ﴾ (١٨) [التكوير: ٤٨]. ولهذا قال: «ووجب عليه الخلود».

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١١- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُدُّ اللَّهُ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَتَفَقُّ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) وصححه الألباني.

الْأُخْرَى الْمِيْزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ^(١).

﴿قَوْلُهُ: «يُدُّ إِلَهُ مَلَأَى، لَا يَغِيْضُهَا نَفَقَةً» يَعْنِي، لَا يَنْقُصُهَا، وَ«سَحَاءٌ» يَعْنِي: كَثِيرَةُ الْعَطَاءِ، «الَلِيلِ وَالنَّهَارِ» يَعْنِي: فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَقَوْلُهُ: «سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» يَعْنِي: أَنَّهَا كَثِيرَةُ الْعَطَاءِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَوْسَعُ مِنْ قَوْلِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قِيلَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. فَإِنَّ «فِي» الظَّرْفِيَّةُ تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ فِي جَمِيعِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَوْ أَنْ تَكُونَ فِي جِزْءٍ مِنْهُ أَمَّا إِذَا قَالَ: «الَلِيلِ وَالنَّهَارِ» فَالْمَعْنَى دَائِمًا.

﴿وَقَوْلُهُ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» يَعْنِي: أَخْبِرُونِي مَاذَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مَنْ يَسْتَطِيعُ إِحْصَاءَهُ؟ الْجَوَابُ: لَا أَحَدٌ قَوْلُهُ: «فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيْضْ مَا فِي يَدِهِ» لَمْ يَغِيْضْ يَعْنِي: لَمْ يَنْقُصْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَغِيْضَ الْمَاءِ﴾ يَعْنِي: نَقَصَ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَغِيْضُ مَا فِي يَدِهِ، لِأَنَّهُ يُنْفِقُ مِمَّا فِي يَدِهِ عَلَى مَا فِي مَلِكِهِ، فَالْكُلُّ لَنْ يَخْرُجَ عَنْ مَلِكِهِ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ النَقْصُ؟

قُلْنَا: هَذَا مِثْلُ: وَالْمَرَادُ لَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ يَنْفِقُ خَارِجَ مَلِكِهِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ نَاقِصًا مِمَّا عِنْدَهُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ الطَّوِيلِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَرَوَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْ سَكَمَ وَجَنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا غُمِسَ فِي الْبَحْرِ»^(٢) إِذَا غَمَسْتَ الْمَخِيطَ فِي الْبَحْرِ ثُمَّ نَزَعْتَهُ مَاذَا يَنْقُصُ مِنَ الْبَحْرِ؟ لَا شَيْءٌ؛ يَعْنِي: لَا يَنْقُصُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ أَنَّنِيْ أَعْطَيْتُ مَنْ هُمْ خَارِجُ مَلِكِهِ، أَمَّا وَهُمْ فِي مَلِكِهِ فَهُمْ فِي مَلِكِهِ، سَوَاءٌ أَعْطَاهُمْ أَوْ مَا أَعْطَاهُمْ، فَهُمْ فِي مَلِكِهِ، فَهَذَا مِنْ بَابِ التَّمْثِيلِ.

﴿قَوْلُهُ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» هَذَا مَاءٌ غَيْرُ الْمَاءِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [٧: ٥٥] وَلَكِنْ هَذَا مَاءٌ آخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ، فَهُوَ مَاءٌ عَظِيمٌ عَلَيْهِ الْعَرْشُ.

فَإِنْ قِيلَ: هَلْ يَتَعَارَضُ كَوْنُ عَرْشِهِ عَلَى الْمَاءِ مَعَ قَوْلِهِ ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَمِيْنَةً﴾ [١٧: ٢٠]؟

الْجَوَابُ: مَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْمَاءِ وَمَحْمُولٌ، هَذَا شَيْءٌ مُتَصَوِّرٌ، مَعَ أَنَّ الْآيَةَ ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَمِيْنَةً﴾. هَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَمَّا الْآنَ فَالْمَشْهُورُ أَنَّ حَمْلَةَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةٌ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩٩٣).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٧).

قوله: «وبيده الأخرى الميزان» يعني: إحدَى اليَدَيْنِ للعطاء، وهو فضلٌ محضٌ، والأخرى فيها العدلُ يَخْفُضُ وَيَرْفَعُ، يَخْفُضُ مَنْ أَقْتَصَتْ حَكْمَتُهُ خَفْضَهُ، وَيَرْفَعُ مَنْ أَقْتَصَتْ حَكْمَتُهُ رَفَعَهُ، كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التكْوِيْن: ٢٦].

والشاهدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قوله: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى»، «وبيده الأخرى» فأفادَ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ.

قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾. هَذَا وَاضِحٌ، فِهَذَا الْمَاءُ الْأَوَّلُ، لَكِنْ هَذَا مَاءٌ فَقَوِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي آخِرِ كِتَابِ التَّوْحِيدِ، قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ مَسِيرَةُ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ»^(١) أَمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْجَائِزِ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُعْدِمُ هَذَا الْمَاءَ وَيَكُونُ الْعَرْشُ هُوَ سَقْفُ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٢- حَدَّثَنَا مُقَدَّمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي الْقَاسِمُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرْضَ وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ». رَوَاهُ سَعِيدٌ عَنْ مَالِكٍ^(٢).

٧٤١٣- وَقَالَ عَمْرُو بْنُ حُمْزَةَ: سَمِعْتُ سَالِيًا سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذَا^(٣) وَقَالَ أَبُو الْيَاسَنِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزَّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ»^(٤).

المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ سَأَلَ هَذَا لِلإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ لَا قَبْضَ إِلَّا بِيَدٍ، وَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزُّمَر: ٦٧]. يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَدَا يَقْبِضُ بِهَا، خِلَافًا لِأَهْلِ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْمَرَادَ بِالْقَبْضِ السَّيْطَرَةُ عَلَى الْأَرْضِ وَالسُّلْطَانُ عَلَيْهَا، فَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﷻ: «وَالْأَرْضُ فِي قَبْضَتِهِ». قَالَ: قَبْضَتُهُ وَالْقَبْضَةُ: مَا يَقْبِضُ بِالْيَدِ، فَهَذَا مَدْلُولُهَا لِلْغَوِيِّ، وَهُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ، فَالْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ سَأَلَ هَذَا الْحَدِيثَ لِهَذِهِ الْفَائِدَةِ.

(١) انظر القول المفيد شرح كتاب التوحيد (٣/ ٣٨٣)، وعزاه لأبي داود.

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٧).

(٣) رواية عمرو بن حمزة عند البخاري معلقة (٧٤١٣)، ومسنده عند مسلم (٢٧٨٨).

(٤) ورواية أبي اليان علقها البخاري (٧٤١٣)، وأسندها ابن خزيمة في صحيحه عن محمد بن يحيى الذهلي، عن أبي اليان.

هكذا عزاه الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٦٧)، وانظر: تغليق التعليق (٥/ ٣٤٣).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، سَمِعَ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي مَنْصُورٌ وَسُلَيْمَانُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

قَالَ: يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَزَادَ فِيهِ فُضَيْلُ بْنُ عِبَاضٍ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبِيدَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصَدِيقًا لَهُ ^(١).

٧٤١٥- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلْقَمَةَ يَقُولُ: قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالثَّرى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ^(٢).

كُلُّ هَذَا يُؤَيِّدُ مَا سَبَقَ مِنْ أَنَّ الْأَرْضَ قَبَضَتْهُ بِيَدِهِ ﷺ.

وفي الحديث: إثباتُ الأصابعِ لله ﷻ، وقد جاءت في غير هذا الحديث، مثل قوله ﷺ: «ما من قلبٍ من قلوبِ بني آدمٍ إلَّا وهو بين أصبعين من أصابعِ الرحمن» ^(٣). فعقيدتنا أن نثبت لله الأصابع، وجاء في حديثٍ اختصامِ الملا الأعلى أن له أنامل ^(٤). فإذا أثبت الله لنفسه أو أثبت له الرسول ﷺ أي صفةٍ كانت، فلا تستوحش منها، وأثبتها لله، لكن اجعل أمالك سيئين:

الأول: انتفاء الماثلة؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

الثاني: امتناع التكيف؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. فإذا ضمنت لنفسك هذين الأمرين فاستقر ولا تستوحش من أي صفة يشتهها الله لنفسه أو يشتهها له رسوله ﷺ.

وفي الحديث الأول ذكر خمسة أصابع. وفي الحديث الثاني ذكر أربعة، ولا منافاة، لأننا نأخذ بالزائد، ونقول: هذا يقع من اختلاف الرواة ولا يضر، المهم ثبوت أصل الشيء، وهو الأصابع.

وإصبع في اللغة العربية يقولون: لا يمكن أن يخطيء فيه ألحن الناس، يعني: من حيث

(١) رواه مسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٦).

(٣) رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٤) رواه الإمام أحمد (٣٦٨/١)، (٣٤٨٤)، والترمذي (٣٢٣٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٢٠)، والأجري في «الشرعية» (ص ٤٩٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٦٩).

وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على سنن الترمذي (٣٢٣٣).

التصريف، لا مِنْ حَيْثُ الإِعْرَابُ، فَالْإِعْرَابُ يُمْكِنُ أَنْ يَلْحَنَ فِيهِ، فَمِثْلًا: لَوْ قُلْتُ: قَطَعْتُ أَصْبَحَ بِالسَّكِينَةِ. فَهَذَا لَحْنٌ، لَكِنْ مِنَ النَّاحِيَةِ التَّصْرِيفِيَّةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْطِئَ فِيهِ أَحَدٌ.

❦ قَوْلُهُ: «ضَحِكَ الرَّسُولُ ﷺ» تَعْجَبًا وَتَصَدِيقًا لَهُ. أَنْكَرَ بَعْضُ أَهْلِ التَّعْطِيلِ هَذَا الِاسْتِتَاجَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنْ هَذَا الِاسْتِتَاجُ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَإِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِنْكَارَ عَلَى الْيَهُودِيِّ، وَأَنَّهُ جَعَلَ كَلَامَهُ كَالَّذِي يُضْحَكُ مِنْهُ سَخِرِيَّةً وَاسْتَهْزَاءً، فَانْظُرْ إِلَى الْبَلَاءِ إِذَا اعْتَقَدَ الْإِنْسَانُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَدِلَّ حَرْفَ النُّصُوصِ تَحْرِيفًا وَاضِحًا فَمَا هُوَ الْجَوَابُ؟
نَقُولُ: الْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضُوا أَفْقَهُ النَّاسِ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّهُ تَعْجَبٌ وَتَصَدِيقٌ لِقَوْلِ الْحَبَرِ. فَهُوَ أَعْلَمُ مِنْكُمْ أَتْيَاهُ الْخَلْفَ بِلَا شَكٍّ.
الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ آيَةَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾. وَقِرَاءَةُ الْآيَةِ هَلْ هُوَ تَأْيِيدٌ أَوْ تَفْنِيدٌ؟

الْجَوَابُ: تَأْيِيدٌ وَلَا شَكٌّ. فَبَطَلَ دَعْوَى هَؤُلَاءِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ ضَحِكَ كَالسَّاخِرِ بِهِ لَا كَالْمُتَّقِرِّ الْمُصَدِّقِ، وَلِلرَّسُولِ ﷺ شَفَاعَاتٌ هِيَ: الشَّفَاعَةُ الثَّابِتَةُ هِيَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى وَهِيَ شَفَاعَةُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ^(١) دَاخِلَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾^(٢) [٧٩]. وَهَذِهِ خَاصَّةٌ بِهِ. وَشَفَاعَةُ أُخْرَى خَاصَّةٌ بِهِ وَهِيَ الشَّفَاعَةُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ^(٣)، لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَصِلُونَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، وَلَا يَدْخُلُونَهَا حَتَّى يَشْفَعَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُمْ فِي دُخُولِهَا.

الثَّالِثَةُ: شَفَاعَتُهُ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ مَعَ أَنَّهُ كَافِرٌ، لَكِنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةُ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَمْ تُخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، بَلْ جُعِلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَعَلَيْهِ نَعْلَانِ مِنَ نَارٍ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاعُهُ^(٤)، أَعُوذُ بِاللَّهِ، وَهَذِهِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ خَاصَّةٌ بِهِ.

الرَّابِعَةُ: الشَّفَاعَةُ الْعَامَّةُ الَّتِي لَهُ وَلِغَيْرِهِ، ذَكَرَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ فِي مَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا، وَفِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يُخْرِجَ مِنْهَا، وَهَذَا النُّوعُ مِنَ الشَّفَاعَةِ يَكُونُ فِي الدُّنْيَا، وَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ، يَكُونُ فِي الدُّنْيَا كَقَوْلِهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ» يَغْنِي؛ قَبْلَ شَفَاعَتِهِمْ؛ لَأَنَّهُمْ يَدْعُونَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ.

وَبِالْمُنَاسِبَةِ فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ نَبْدَأُ أَوَّلًا بِالْفَاتِحَةِ ثُمَّ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ بِالِدُعَاءِ لَنَا، ثُمَّ بِالِدُعَاءِ لِلْمَيِّتِ؛ لِأَنَّ حَقَّ اللَّهِ مُقَدَّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَحَقُّ الرَّسُولِ ﷺ مُقَدَّمٌ عَلَيْنَا ثُمَّ حَقُّ عَمَمٍ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

(٤) رواه مسلم (٩٤٨).

المسلمين، ثم حقَّ الميتِ الخاصَّ.

وفي التشهدِ نبدأ بحقِّ الله، ثم حقَّ الرسول، ثم حقَّنا نحن، ثم حقَّ العموم، فحقَّ الله: «التحيات لله والصلوات والطيبات» وحقَّ النبي: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» وحقَّنا نحن: «السلام علينا وعلى عبادِ الله الصالحين» ما يدلُّنا على أن حقَّ الله مُقدَّم على كلِّ شيء ثم حقَّ الرسول مُقدَّم على حقَّنا، ثم نبدأ بأنفسنا قبل غيرنا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٠- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ».

٧٤١٦- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ التَّبُوكِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ وَرَادٍ كَاتِبِ الْمُغِيرَةِ عَنْ الْمُغِيرَةِ قَالَ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا مَعَ أَمْرَأَتِي لَضَرْبَتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُضَفِّحٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمَنْ أَجَلُ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمَنْ أَجَلُ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمُدْحَةُ مِنَ اللَّهِ وَمَنْ أَجَلُ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ»^(١).

هذا البابُ أرادَ المؤلفُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ فِيهِ صِفَةَ الْغَيْرَةِ لِلَّهِ ﷻ، وَهِيَ مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا

الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

والغيرةُ هي أَنْ يَغَارَ الْإِنْسَانُ عَلَى فِعْلٍ مَا يَكْرَهُهُ، يَعْنِي: أَنَّهُ يَطْلُبُ تَغْيِيرَ مَا حَصَلَ مِمَّا يَكْرَهُهُ، هَذَا أَصْلُ اشْتِقَاقِ الْغَيْرَةِ أَنَّ الْغَايِرَ يَكْرَهُ مَا حَصَلَ وَيُرِيدُ تَغْيِيرَهُ فَهَلْ يوصفُ اللَّهُ بِالْغَيْرَةِ؟

الجوابُ: نعم، يوصفُ اللَّهُ بِالْغَيْرَةِ كَمَا يوصفُ بِالْفَرْحِ وَالضَّحِكِ وَالْعَجَبِ وَمَا أَشَبَّهَا، وَهَذِهِ الصِّفَةُ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، لِأَنَّ الضَّابِطَ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ لَهَا سَبَبٌ فَهِيَ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ، الضَّحْكُ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ، وَالْفَرْحُ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ، وَالْعَجَبُ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ، وَكُلُّ صِفَةٍ لَهَا سَبَبٌ فَإِنَّهَا صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ؛ لَدُخُولِهَا فِي الضَّابِطِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، أَنَّ فِي كُلِّ صِفَةٍ تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ فَهِيَ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الصِّفَةَ ذَاتَ السَّبَبِ تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي شَاءَ السَّبَبَ فَلَمَّا وَجَدَ السَّبَبَ وَجَدَتِ الصِّفَةَ، فَتَوَبُّهُ الْإِنْسَانُ إِلَى رَبِّهِ حَصَلَتْ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، ثُمَّ تَرْتَبُ عَلَيْهَا الْفَرْحُ، هَذَا وَجْهُ قَوْلِهِمْ: إِنَّ كُلَّ صِفَةٍ ذَاتُ سَبَبٍ فَإِنَّهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ فَالْغَيْرَةُ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَةِ.

وَهَذَا هَلْ أَرَادَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِثْبَاتَ الشَّخْصِ لِلَّهِ لِكُونِهِ تَرَجَمَ بِقَوْلِهِ: لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ.

فلَمَّا ذَكَرَ الْأَثَرُ الْمَعْلُوقَ: لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ تَحَالُفَهُ يَرِيدُ ذَلِكَ، وَهَلْ يَوْصَفُ اللَّهُ بِالشَّخْصِ أَوْ لَا؟

هَذَا يَنْبَغِي عَلَى أَمْرَيْنِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ. صَحَّةُ اللَّفْظِ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»؛ لِأَنَّ بَعْضَ أَفَاطِرِ الْحَدِيثِ: «لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ» وَهَذَا أَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ.

وَأَحَدٌ يَصِحُّ أَنْ يَوْصَفَ اللَّهُ بِهِ فِي الْإِثْبَاتِ وَفِي النَّفْيِ، فَفِي الْإِثْبَاتِ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ﴿١﴾ وَالنَّفْيِ: «لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ». فَنَبِّحُ هَلْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ مَحْفُوظَةٌ أَوْ غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ.

ثَانِيًا: إِذَا كَانَتْ مَحْفُوظَةً أَنَّ الرِّوَاةَ رَوَوْا الْحَدِيثَ رَوَاهُ بِالْمَعْنَى، فَبَعْضُهُمْ عَبَّرَ بِالشَّخْصِ وَبَعْضُهُمْ عَبَّرَ بِأَحَدٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُلْزِمُ مِنْهُ ثُبُوتَ الشَّخْصِيَّةِ لِلَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمَعْنَى: لَا شَخْصَ مِنْكُمْ، أَوْ: لَا شَخْصَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، وَهَذَا لَا يُلْزِمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ الْمُفْضَلُ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ الْمُفْضَلِ كَمَا لَوْ قُلْتُ: لَا رَجُلٌ أَقْوَى مِنَ الْفِيلِ، فَهَلْ يُلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْفِيلُ مِنَ الرِّجَالِ؟

الْجَوَابُ: لَا يُلْزِمُ.

إِذَا: إِذَا كَانَ لَفْظُ الْحَدِيثِ مَحْفُوظًا: لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ. فَلَا يُلْزِمُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ﷻ مَوْصُوفًا بِالشَّخْصِيَّةِ، ثُمَّ إِذَا سَلَّمْنَا أَنَّ اللَّفْظَ مَحْفُوظٌ، وَأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَوْصَفُ بِالشَّخْصِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يُلْزِمُ مِنْ كَوْنِهِ شَخْصًا أَنْ يَكُونَ مِمَّاثِلًا لِلْأَشْخَاصِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، حَتَّى فِي اللَّفْظَةِ الَّتِي يَسْتَوِي فِيهَا الْإِنْسَانُ وَالرَّبُّ ﷻ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِلُهُ فِي حَقِيقَةِ مَعْنَاهَا.

لَكِنْ رَأَيْتُ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا: إِنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَوْصَفُ اللَّهُ بِأَنَّهُ شَخْصٌ. فَيُحْتَاجُ إِلَى تَحْقِيقِ هَذَا الْإِجْمَاعِ، فَإِنَّ صَحَّ الْإِجْمَاعُ لَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَقُولَ: نَبِّحُ أَوَّلًا عَنْ ثُبُوتِ هَذَا اللَّفْظِ، هَلْ هُوَ مَحْفُوظٌ أَوْ غَيْرُ مَحْفُوظٍ؟ لِأَنَّهُ مَا دَامَ الرِّوَاةُ الثَّقَاةَ رَوَوْهُ عَلَى وَجْهَيْنِ؛ لَا أَحَدَ أَكْثَرُ، فَقَدْ وَلَا شَخْصَ، وَأَحَدٌ يَكُونُ هَذَا اللَّفْظُ شَاذًا^(١).

الْأَمْرُ الثَّانِي: عَلَى تَقْدِيرِ ثُبُوتِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ، لَا تَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الشَّخْصِيَّةِ لِلَّهِ إِذَا لَا يُلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمُفْضَلُ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ الْمُفْضَلِ، وَنَظِيرُهُ مَا قُلْتُ لَكُمْ: أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: لَا رَجُلٌ أَقْوَى مِنَ الْفِيلِ، فَإِنَّهُ لَا يُلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْفِيلُ رَجُلًا وَبِهَذَا يَزُولُ الْإِشْكَالُ.

لَكِنْ إِذَا انْتَفَى الْإِجْمَاعُ وَصَحَّتِ اللَّفْظَةُ وَلَمْ يَتَوَجَّهْ قَوْلُنَا: إِنَّهُ لَا يُلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمُفْضَلُ وَالْمُفْضَلُ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: وَصَفَ اللَّهُ بِأَنَّهُ شَخْصٌ، فَالْأَمْرُ فِي هَذَا سَهْلٌ جَدًّا،

(١) سَأَلَ الشَّيْخَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا ثَبِتَ لَفْظَةُ الشَّخْصِ فَهَلْ نَقُولُ: التَّقْدِيرُ: لَا شَخْصَ مِنْ بَنِي آدَمَ. أَوْ نَقُولُ: ثَبِتَ الشَّخْصِيَّةُ لِلَّهِ ﷻ وَنَقُولُ: لَا تَكُونُ كَشَخْصِيَّةِ الْمَخْلُوقِ؟

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَا، إِذَا ثَبِتَ ثَبِتَتْ دَلَالَتُهَا؛ لِأَنَّهُ فِيهِ حَدِيثٌ أَخْرَجَهُ أَهْلُ السَّنَنِ أَنَّ أَبَا رَزِينٍ الْعَقِيلِيَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَحَاسِبُنَا اللَّهُ وَهُوَ شَخْصٌ وَنَحْنُ جَمِيعٌ؟ وَهَذِهِ إِذَا ثَبِتَ قَطَعَتْ التَّرَاوُعَ.

وهو أن نقول: هو شخص ليس كالأشخاص ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. ولا شك أن الله جلّ وعلا ذات قائمة بنفسه، ولا شك في هذا. لكن هل هو مثل الذوات الأخرى؟

الجواب: لا، له ذات تختص به، لا يعلم كيفيتها إلا هو ﷻ.

وفي الحديث من المسائل بيان غيرة سعد بن عباد وهو سيد الخزرج، وسعد بن معاذ سيد الأوس، فالسعدان سيدان، أحدهما سيد الأوس، والثاني: سيد الخزرج، والخزرج أكبر من الأوس وأشد في الحروب، لكن لكل قبيلة منهما خصائصها.

وسعد بن عباد عليه السلام عنده غيرة شديدة، حتى قيل: إنه إذا طلق امرأة لم يتزوجها أحد بعده لشدة غيرته، والله أعلم بصحة هذا، لكن هذا الحديث يدل على شدة غيرته.

يقول: «لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح»، معني غير مصفح؛ أي: لا أضربه بصفحة بل أضربه بحده وإذا ضربته بحده قتله. وقطعه نصفين، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «تعجبون» وفي لفظ: «أتعجبون من غيرة سعد» والمعنى فيها واحد؛ لأن همزة الاستفهام قد تحذف من الجملة بدليل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ نَاصِيَةً﴾ [الأنعام: ١٣١]. التقدير: أهم يُنْشِرُونَ؟ ولهذا ينبغي لك إذا قرأت القرآن فقلْتَ: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ نَاصِيَةً﴾ أن تقف، لأنك لو وصلت؛ يفهم من وصلك أن جملة ﴿هُم يُنْشِرُونَ﴾ (ن) صفة لـ «ألهة» فيتغير المعنى، ولكن المعنى: أهم يُنْشِرُونَ، أيقدر هؤلاء على نشر الموتى؟ الجواب: لا. فنها «أتعجبون» إن كانت باللفظ: «أتعجبون» فالأمر واضح، وإن حذفت الهمزة، فبالدليل عليها.

قوله: «والله لأنا أغبر منه، والله أغبر مني» واختلف العلماء من هذا الكلام في رسول الله ﷺ أهو إقرار أو إنكار، يعني هل الرسول ﷺ أقر سعداً على ما حكم به، من أنه لو وجد رجلاً مع امرأته لضربه بالسيف؟ أو هو إنكار منه؟

فعل الأول يكون قوله ﷺ: «والله إني لأغبر منه، والله أغبر مني» يكون ثناءً على سعد، ولكنه ليست غيرة أعظم من غيرة الله ورسوله، وعلى الثاني يكون المعنى: أنني أغبر منه والله أغبر مني ومع ذلك لم يُشرع هذا الفعل الذي عزم عليه الإنسان.

والأقرب عندي الأول أن ذلك إقرار؛ لأنه لو كان إنكاراً لبينه النبي ﷺ بياناً شافياً، فإن الأمر خطير؛ لأن الأمر هو قتل نفس، فلو كان قتل هذه النفس بغير حق لبينه الرسول ﷺ، ويدل على هذه القصة التي وقعت في عهد عمر بن الخطاب عليه السلام، أنه رُفِعَ إليه رجل قتل شخصاً وجده على امرأته، فضربه بالسيف فقطعه جزأين، فازتعموا إلي عمر، فقال الرجل: أنا لم أضرب إلا فوق فخذي امرأتي، فإن كان فوق فخذيها أحد فقد ضربته. فقال لأولياء المقتول: ما تقولون؟ قالوا: لا نقول شيئاً. فأخذ

عمرُ السيفِ فهزّه، وقالَ له: إِنْ عَادُوا فَعُدُّ^(١).

فهذا إقرار، ولا شكَّ أَنَّ هذا هو الحكمُ وليسَ هذا مِنْ بابِ دفعِ الصائلِ؛ لأنَّه لو كانَ مِنْ بابِ دفعِ الصائلِ لكانَ الواجبُ على الزوجِ أَنْ يقولَ له: يا فلانُ اتَّقِ اللَّهَ كَيْفَ تَفْعَلُ الفاحشةَ في أهلي فإذا أبى أَنْ يقومَ جَرَّهُ، فَإِنْ عَجَزَ عنه فله أَنْ يَقْتُلَهُ إذا لم يَنْدَفِعْ بغيرِ القتلِ، ولكنَّ هذا ليسَ مِنْ بابِ دفعِ الصائلِ بل مِنْ عقوبةِ المُعتدي.

فإنَّ قالَ قائلٌ: وهل لهذا نظيرٌ في الشرع؟

قلنا: نعم، لو أَنَّ رجلاً نظَرَ إليك مِنْ خِصَاصِ البابِ يَغْنِي: فتحةَ البابِ، والبابُ مغلقٌ، فإنَّه يجوزُ لك أَنْ تأخِذَ المِذْرَأَ وتفقاً عينه بدوْنِ إنذارٍ، حتَّى إِنَّ الرسولَ ﷺ أخذَ المِذْرَأَ وجعلَ يختبئُ^(٢) مِنْ أجلِ ألاَّ يُحسَّ به، ولو كانَ هذا مِنْ بابِ دفعِ الصائلِ، لتكلَّمْ إليه أولاً، وقالَ: انصرفْ عن البابِ، اتَّقِ اللَّهَ. فإذا أَصْرَّ يُعاملُ بما يُعاملُ به.

فالظاهرُ لي: أَنَّ قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعِيدٍ... إلخ» أَنَّ هذا مِنْ بابِ الشَّاءِ على سعيدٍ، والإقرار على ذلك، ولكن لو ادَّعى أَحَدُ هذه الدَّعوى أَنَّهُ وجدَ هذا القَتيلَ على أهله، وأنكرَ أولياءُ القَتيلِ فماذا نَصْنَعُ؟

هل نقولُ للقائلِ: اثبتْ ببينةٍ، لأنَّ البينةَ على المُدَّعي، واليمينُ على مَنْ أنكرَ، أو نقولُ: إِنَّه صادقٌ؛ لأنَّ إقامةَ البينةِ على مثلِ هذه القضيةِ متعذرةٌ أو متعذرةٌ؟ لو ذهبَ يَأْتِي بأربعةِ شُهَداءَ لكانَ هذا الرجلُ قَضَى حاجتهِ ووَلَّى، ولهذا كانَ سببُ كلامِ سعيدِ بنِ عبادةٍ رحمتهُ الله أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَالْبُيُوتُ مُخْزًى لِمَنْ هُنَّ فِيهَا وَنَجِسٌ لِمَنْ فِيهَا﴾ [النور: ٤]. قالَ: أَرَى لُكْعَ بْنَ لُكْعٍ على أهلي، وأذهبَ آتِي بأربعةِ شُهَداءَ، واللَّهُ لو رأيتهُ لأَصْرَبْتَهُ بالسيفِ غيرَ مُصَفَّحٍ. فإقامةُ البينةِ متعذرةٌ، لكن قبولَ الدَّعوى أيضاً مُشْكِلٌ؛ لأنَّ كُلَّ إنسانٍ يستطيعُ أَنْ يَدْعُوَ شخصاً إلى بيته وهو يريدُ قتلَه، فيقتله ويدَّعي هذه الدَّعوى، فاختلَفَ العلماءُ في هذا، فقالَ الفقهاءُ فقهاءُ الحنابلةِ: لا تُقْبَلُ دَعْوَاهُ، ويُقْتَلُ؛ لأنَّه قَتَلَ نفساً مُحَرَّمةً، وتكونُ هذه المصيبةُ عليه رِفْعَةً درجَاتٍ له عندَ اللَّهِ، ولكنَّ حَبَرَ زمانه، وإمامَ مَنْ بعده شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةٍ قالَ: لا تأتي بمثلِ هذا شريعةُ الإسلامِ المبنيةُ على العدلِ والحكمةِ، بل يجبُ أَنْ يُنْظَرَ، فإذا كانَ المُدَّعي رجلاً خييراً، وعدلاً، وكانَ المقتولُ شَريراً معروفاً بالخبيثِ، فإنَّ القولَ قولَ المُدَّعي القاتلِ، وإنَّ كانَ الأمرُ بالعكسِ فالقولُ لأولياءِ المقتولِ، وقالَ: إنَّ القرائنَ تُثَبِّتُ بها الأحكامَ، فالحاكِمُ في قصةِ يوسفَ حَكَمَ بالقرينةِ، قالَ: ﴿إِنْ كَانَتْ فَمِصْبُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(١) عزاه ابن قدامة في «المغنى» (١١/ ٤٦٢)، إلى سنن سعيد بن منصور، وكذلك عزاه العلامة الإلباني إلى سنن سعيد بن

منصور كما في «الإرواء» (٧/ ٤٢٧٤) (٢٢١٧).

(٢) رواه البخاري (٦٢٤٢)، ومسلم (٢١٥٧).

﴿٥٠﴾ وَإِنْ كَانَ قَيْصُصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا رَأَى قَيْصُصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ ﴿٥٢﴾
 حَكَمَ، وَقَالَ ﴿إِنَّمَنْ كَيْدُكَ إِنَّا كَيْدُكَ عَظِيمٌ﴾ ﴿٥٣﴾ وسليمان أيضًا حَكَمَ بالقرائن في قصة المَرَاتِنِ
 الْمُتَنَازِعَتَيْنِ عَلَى ابْنِ إِحْدَاهُمَا فَدَعَا بِالسَّكِينِ، فَقَالَ: أَشَقُّ الْوَلَدِ يَصْفَيْنِ نَصْفٌ لِهَذِهِ وَنَصْفٌ لِهَذِهِ، أَمَّا
 الْكَبِيرَةُ فَزَحَبْتُ بِهَذَا الْحَكَمِ، وَأَمَّا الصَّغِيرَةُ^(١) فَأَبْتُ، وَقَالَتْ: هُوَ وَلَدُهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَقَضَى بِهِ لِلصَّغِيرَةِ،
 عَرَفَ أَنَّهَا أُمُّهُ وَأَنَّهَا أَثَرَتْ حَيَاتَهُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ، أَمَّا الْكَبِيرَةُ فَقَدْ هَلَكَ وَلَدُهَا، وَأَرَادَتْ أَنْ يَهْلِكَ هَذَا
 الْوَلَدُ مَعَهُ فَلَيْسَ فِي قَلْبِهَا رَحْمَةٌ لَهُ فَعَرَفَ، أَنَّهُ لَيْسَ وَلَدُهَا.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

﴿قَوْلُهُ: «وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»﴾ «مَا ظَهَرَ» هَلْ ظَهَرَ فَحْشُهُ
 وَخَفِيَ أَوْ ظَهَرَ لِلنَّاسِ وَاشْتَهَرَ أَوْ خَفِيَ عَنْهُمْ أَوْ الْأَمْرَانِ؟
 الْجَوَابُ: أَنَّهُ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا.

﴿قَوْلُهُ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنذِرِينَ»﴾ يَغْنِي:
 الرِّسْلَ، وَذَلِكَ لِإِقَامَةِ الْعَذْرِ وَالْحُجَّةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى
 اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾. اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ آيَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى طَائِفَةٍ مَنْحَرِفَةٍ فِي بَابِ الْقَدْرِ، وَهِيَ الْجَهْمِيَّةُ،
 لَا نَهْمُ كَانُوا جَبْرِيَّةً؛ لِأَنَّهُ لَوْ بَتَّ الْجَبْرُ لَكَانَ حُجَّةً، حَتَّى لَوْ جَاءَ الرِّسْلُ وَقَالَ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ يُجْبَرُ عَلَى
 الْمَخَالَفَةِ فَهُوَ حُجَّةٌ.

﴿قَوْلُهُ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَذْحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ الْجَنَّةَ»﴾. وَعَدَ الْجَنَّةَ لِمَنْ
 مَدَحَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَامَ بِعِبَادَتِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٣٩٩/١٣):

﴿قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»﴾ كَذَا لَهُمْ وَوَقَعَ عِنْدَ ابْنِ بَطَّالٍ بِلَفْظِ «أَحَدٌ»
 بِدَلِّ «شَخْصٍ» وَكَانَهُ مِنْ تَغْيِيرِهِ.

﴿قَوْلُهُ: «لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»﴾ يَعْنِي: أَنَّ عِبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَوَى الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ عَنْ عَبْدِ
 الْمَلِكِ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ أَوْ لَا فَقَالَ: «لَا شَخْصَ» بِدَلِّ قَوْلِهِ: «لَا أَحَدٌ»

وَقَدْ وَصَلَهُ الدَّارِمِيُّ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ عَدِيٍّ، عَنْ عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ، عَنْ
 وَرَّادِ مَوْلَى الْمَغِيرَةِ، عَنْ الْمَغِيرَةِ، قَالَ: بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ سَعْدَ بْنَ عِبَادَةَ يَقُولُ، فَذَكَرَهُ بِطَوِيلِهِ، وَسَاقَهُ
 أَبُو عَوَانَةَ يَعْقُوبُ الْإِسْفَرَايْنِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى الْعَطَّارِ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ تَمَامٍ، وَقَالَ فِي
 الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ: «لَا شَخْصَ» قَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ عِبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الْقَوَارِيرِيُّ
 وَأَبِي كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَعْفَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، ثَلَاثُهُمْ عَنْ أَبِي

عوانة الوضاح البصري بالسند الذي أخرجه البخاري، لكن قال في المواضع الثلاثة: «لا شخص» بدل «لا أحد» ثم ساقه من طريق زائدة بن قدامة عن عبد الملك كذلك فكان هذه اللفظة لم تقع في رواية البخاري في حديث أبي عوانة عن عبد الملك، فلذلك علّقها عن عبيد الله بن عمرو. قلت: وقد أخرجه مسلم عن القواريري وأبي كامل كذلك، ومن طريق زائدة أيضاً قال ابن بطّال: أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شخص؛ لأن التوقيف لم يرد به، وقد منعته منه المجسمة مع قولهم بأنه جسم لا كالأجسام. كذا قال، والمنقول عنهم خلاف ما قال. [وقوله: المجسمة يعني: السلف والله المستعان]^(١).

وقال الإسماعيلي: ليس في قوله: «لا شخص» غير من الله إثبات أن الله شخص بل هو كما جاء «ما خلق الله أعظم من آية الكرسي» فإنه ليس فيه إثبات أن آية الكرسي مخلوقة، بل المراد أنها أعظم من المخلوقات، وهو كما يقول من يصف امرأة كاملة الفضل حسنة الخلق: ما في الناس رجل يشبهها يريد تفضيلها على الرجال لا أنها رجل.

[والمثال الذي ذكرناه أوضح بكثير، وأما ما ذكره أنه «ما خلق الله أعظم من آية الكرسي»^(٢) فهذا يحتاج إلى إثبات، ففي النفس منه شيء]^(٣).

قال ابن بطّال: اختلفت ألفاظ هذا الحديث فلم يختلف في حديث ابن مسعود أنه بلفظ «لا أحد» فظهر أن لفظ «شخص» جاء موضع «أحد» فكانه من تصرف الراوي، ثم قال: على أنه من باب المُسْتَنَى من غير جنسه: كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [البقرة: ٢٨] وليس الظن من نوع العلم، قلت: وهذا هو المعتمد.

[لعله ﴿وَلَا يَتَّبِعُ الظَّنَّ﴾ [البقرة: ١٥٧]. لأن ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ ما فيها استثناء، ما يُسْتَنَى من العلم؛ لأن ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ مُفْرَغ، لكن ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ هذه التي فيها اتباع الظن من العلم]^(٤).

وقد قرره ابن قورك ومنه أخذه ابن بطّال فقال بعد ما تقدّم من التمثيل بقوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ فالتقدير أن الأشخاص الموصوفة بالغيرة لا تبلغ غيرتها - وإن تناهت - غير الله تعالى وإن لم يكن شخصاً بوجه، وأما الخطأ فبني على أن هذا التركيب يقتضي إثبات هذا الوصف لله تعالى فبالع في الإنكار وتخطئة الراوي فقال: إطلاق الشخص في صفات الله تعالى غير جائز؛ لأن الشخص

(١) ما بين المعقوفتين من كلام شيخ ابن عثيمين رحمه الله.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٨٤) من طريق سفيان بن عيينة في تفسير حديث عبد الله بن مسعود قال: ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي قال سفيان: لأن آية الكرسي هو كلام الله، وكلام الله أعظم من خلق الله من السماء والأرض.

(٣) ما بين المعقوفتين من كلام الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

(٤) ما بين المعقوفتين من كلام شيخ ابن عثيمين رحمه الله.

لا يكون إلا جسمًا مؤلَّفًا، فخليقٌ ألا تكون هذه اللفظة صحيحة، وأن تكون تصحيحًا من الراوي، ودليل ذلك أن أبا عوانة روى هذا الخبر عن عبد الملك فلم يذكرها، ووقع في حديث أبي هريرة وأساء بنت أبي بكر بلفظ «شيء» والشيء والشخص في الوزن سواء، فمن لم يمتنع في الاستماع لم يَأْمَنِ الوهم وليس كل الرواة يراعي لفظ الحديث حتى لا يتعداه.

[مراده بأن الشخص والشيء في الوزن سواء، يَعْنِي: مَعْنَاهُ أَنَّ الْخَطَأَ قَرِيبٌ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: «لَا شَخْصٌ» كَانَتْ «لَا شَيْءٌ» وَأَمَّا حَقِيقَةُ الْمَعْنَى فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ يُطْلَقُ عَلَى الْمَعْنَايِ وَعَلَى الذَّوَاتِ لَكِنَّ قَصْدَهُ أَنَّ التَّصْحِيفَ قَرِيبٌ] ^(١).

بل كثير منهم يُحَدِّثُ بِالْمَعْنَى وَلَيْسَ كُلُّهُمْ فِيهِمَا، بل في كلام بعضهم جفاءً وتعجرفًا، فلعل لفظ «شخص» جرى على هذا السبيل، إن لم يكن غلطًا من قبيل التصحيف، يَعْنِي: السَّمْعِيَّ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ عبيد الله بن عمرو انفرد عن عبد الملك فلم يُتَابِعْ عَلَيْهِ وَاعْتَوَرَهُ الْفَسَادُ مِنْ هَذِهِ الْأَوْجِهَةِ، وَقَدْ تَلَقَّى هَذَا عَنِ الْخَطَائِيَّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ فُورَكٍ فَقَالَ: لَفْظُ الشَّخْصِ غَيْرُ ثَابِتٍ مِنْ طَرِيقِ السَّنَدِ، فَإِنْ صَحَّ فَبَيَانُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ وَهُوَ قَوْلُهُ: «لَا أَحَدٌ» فَاسْتَعْمَلَ الرَّائِي لَفْظَ «شَخْصٍ» مَوْضِعَ «أَحَدٍ» ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ عَنِ ابْنِ بَطَّالٍ، وَمِنْهُ أَخَذَ بْنُ بَطَّالٍ، ثُمَّ قَالَ بْنُ فُورَكٍ: وَإِنَّمَا مَنَعْنَا مِنْ إِطْلَاقِ لَفْظِ الشَّخْصِ أُمُورٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّ اللَّفْظَ لَمْ يَثْبُتْ مِنْ طَرِيقِ السَّمْعِ.

وَالثَّانِي: الْإِجْمَاعُ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ مَعْنَاهُ الْجِسْمُ الْمُؤَلَّفُ الْمُرَكَّبُ.

ثُمَّ قَالَ: وَمَعْنَى الْغَيْرَةِ: الزَّجْرُ وَالتَّحْرِيمُ، فَالْمَعْنَى: أَنَّ سَعْدًا الزَّجُورَ عَنِ الْمَحَارِمِ وَأَنَا أَشَدُّ زَجْرًا مِنْهُ، وَاللَّهُ أَزَجْرُ مِنَ الْجَمِيعِ. ^(٢) انْتَهَى.

[وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، فَالْغَيْرَةُ لَيْسَتْ هِيَ الزَّجْرُ، فَالزَّجْرُ يَكُونُ مِنْ آثَارِ الْغَيْرَةِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا غَارَ زَجَرَ عَمَّا يَغَارُ مِنْهُ] ^(٣).

وَطَعَنُ الْخَطَائِيَّ وَمَنْ تَبَعَهُ فِي السَّنَدِ مَبْنِيٌّ عَلَى تَفَرُّدِ عبيد الله بن عمرو بِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ كَمَا تَقَدَّمَ، وَكَلَامُهُ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ لَمْ يَرَأِ صَحِيحَ مُسْلِمٍ وَلَا غَيْرَهُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا هَذَا اللَّفْظُ مِنْ غَيْرِ رَوَايَةِ عبيد الله بن عمرو، وَرَدُّ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَالطَّعْنُ فِي أئِمَّةِ الْحَدِيثِ الضَّابِطِينَ، مَعَ إِمْكَانِ تَوْجِيهِ مَا رَوَوْا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَقْدَمَ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ يَقْتَضِي قُصُورَ فَهْمٍ مَنْ

(١) ما بين المعرفتين من كلام شيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) انظر «الفتح» (٣٩٩/١٣)، وما بعدها.

(٣) ما بين المعرفتين من كلام شيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

فَعَلَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: لَا حَاجَةَ لِتَخْطِئَةِ الرِّوَاةِ الثَّقَاتِ بَلْ حُكْمُ هَذَا حُكْمُ سَائِرِ الْمُتَشَابِهَاتِ إِمَّا التَّفْوِضُ، وَإِمَّا التَّأْوِيلُ.

وَقَالَ عِيَّاضٌ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَذْرُ مِنَ اللَّهِ» أَنَّهُ قَدَّمَ الْإِعْذَارَ وَالْإِنذَارَ قَبْلَ أَخْذِهِم بِالْعُقُوبَةِ، وَعَلَى هَذَا لَا يَكُونُ فِي ذِكْرِ الشَّخْصِ مَا يُشْكِلُ. كَذَا قَالَ، وَلَمْ يَتَّجِهْ أَخْذُ نَفْيِ الْإِشْكَالِ مِمَّا ذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ الشَّخْصِ وَقَعَ تَجَوُّزًا مِنْ شَيْءٍ أَوْ أَحَدٍ، كَمَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الشَّخْصِ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ يَكُونُ الْمَرَادُ بِالشَّخْصِ الْمَرْتَفِعِ؛ لِأَنَّ الشَّخْصَ هُوَ مَا ظَهَرَ وَشَخْصَ وَارْتَفَعَ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: لَا مَرْتَفِعَ أَرْفَعُ مِنَ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ لَا مُتَعَالَى أَعْلَى مِنَ اللَّهِ. [غَرِيبٌ هَذَا التَّأْوِيلُ].

قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَا يَنْبَغِي لِشَخْصٍ أَنْ يَكُونَ آخِرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَعْجَلْ وَلَا بَادَرَ بِعُقُوبَةِ عِبْدِهِ لِارْتِكَابِهِ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، بَلْ حَذَّرَهُ وَأَنْذَرَهُ، وَأَعْذَرَ إِلَيْهِ وَأَمَهَّلَهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَأَدَّبَ بِأَدَبِهِ، وَيَقِفَ عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَبِهَذَا تَظْهَرُ مَنَاسِبَةُ تَعْقِيبِهِ بِقَوْلِهِ: «وَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعَذْرُ مِنَ اللَّهِ» وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أَصْلُ وَضْعِ الشَّخْصِ، يَعْنِي فِي اللُّغَةِ لُجْرَمُ الْإِنْسَانِ وَجَسَمِهِ، يَقَالُ: شَخْصٌ فَلَانٍ وَجُمْهُانُهُ، وَاسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ظَاهِرًا، يَقَالُ: شَخْصٌ الشَّيْءُ. إِذَا ظَهَرَ. وَهَذَا الْمَعْنَى مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَوَجِبَ تَأْوِيلُهُ، فَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا مَرْتَفِعَ، وَقِيلَ: لَا شَيْءَ. وَهُوَ أَشْبَهُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَأَوْضَحُ مِنْهُ: لَا مَوْجُودَ أَوْ لَا أَحَدَ، وَهُوَ أَحْسَنُهَا، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الرِّوَايَةِ الْآخَرَى وَكَأَنَّ لَفْظَ الشَّخْصِ أَطْلُقَ مِبَالِغَةً فِي إِثْبَاتِ إِيْمَانٍ مِنْ يَتَعَذَّرُ عَلَى فَهْمِهِ مَوْجُودٌ لَا يَشِبُّ شَيْئًا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، لِثَلَاثٍ يُفَضِّلُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ، وَهُوَ نَحْوُ قَوْلِهِ ﷺ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللَّهِ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ» فَحُكِمَ بِإِيْمَانِهَا مَخَافَةَ أَنْ تَقَعَ فِي التَّعْطِيلِ، لِقُصُورِ فَهْمِهَا عَمَّا يَنْبَغِي لَهُ مِنْ تَنْزِيهِهِ مِمَّا يَقْتَضِيهِ التَّشْبِيهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. تَنْبِيْهُ: لَمْ يُفْصَحِ الْمَصْنَفُ بِإِطْلَاقِ الشَّخْصِ عَلَى اللَّهِ، بَلْ أَوْرَدَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْإِحْتِمَالِ، وَقَدْ جَزَمَ فِي الَّذِي بَعْدَهُ، فَتَسَمَّيْتُهُ شَيْئًا لظُهُورِ ذَلِكَ فِيمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْاِئْتِنَانِ^(١). اهـ.

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غُنَيْمَانَ:

قَوْلُهُ: وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، يَعْنِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ: «لَا شَخْصَ آخِرُ مِنَ اللَّهِ» قَالَ الْحَافِظُ: يَعْنِي: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَوَى الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ، فَقَالَ: «لَا شَخْصَ» بَدَلُ كَلِمَةِ «لَا أَحَدَ» وَقَدْ وَصَلَهُ الدَّارِمِيُّ. ثُمَّ ذَكَرَ سَنَدَهُ وَسَاقَهُ أَبُو عَوَانَةَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْفَرَايْنٍ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيْسَى الْعَطَّارِ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ كَيْمَالِهِ، وَقَالَ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ: «لَا شَخْصَ» قَالَ الْإِسَاعِيلِيُّ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الْقَوَارِيرِيُّ وَأَبِي كَامِلٍ فَضِيلُ بْنُ حُسَيْنٍ الْجَحْدَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، ثَلَاثَتُهُمْ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ الْوَضَّاحِ الْبَصْرِيِّ بِالسَّنَدِ

الذي أخرجه به البخاري، ولكن قال في المواضع الثلاثة: «لا شخص» بدل «لا أحد». ثم ساقه من طريق زائدة بن قدامة عن عبد الملك كذلك، فكان هذه اللفظة لم تقع في رواية البخاري في حديث أبي عوانة عن عبد الملك، فلذلك علّقها عن عبيد الله بن عمرو.

قلت: وقد أخرجه مسلم عن القواريري، وأبي كامل كذلك. انتهى.

ولفظ مسلم، بعد أن ذكر السند، قال سعد بن عباد: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لصرت به بالسيف غير مصفح عنه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غير سعيد؟ فوالله لأنا أغبر منه، والله أغبر مني، من أجل غيرته» لا حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شخص أغبر من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المذحة من الله، من أجل ذلك وعد الله الجنة ورواه الإمام أحمد في المسند بهذا اللفظ، قال عبد الله بن الإمام أحمد بعد ذكره: قال عبيد الله القواريري: ليس حديث أشد على الجهمية من هذا الحديث. وبهذا يتبين خطأ ابن بطال في قوله: «أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شخص؛ لأن التوقيف لم يرد به» اهـ ذكره الحافظ.

وهذه مجازفة ودعوى عارية من الدليل، فأين هذا الإجماع المزعوم؟ ومن قاله سوى المتأثرين ببدع أهل الكلام، كالخطابي، وابن فورك، وابن بطال، عفا الله عنا وعنهم.

وقوله: «لأن التوقيف لم يرد به» يبطله ما تقدم من ذكر ثبوت هذا اللفظ عن رسول الله ﷺ بطريق صحيحة لا مطعن فيها، وإذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ وجب العمل به، والقول بموجبه سواء كان في مسائل الاعتقاد أو في العمليات، وقد صح عن النبي ﷺ إطلاق هذا الاسم، أغني: الشخص على الله تعالى خبراً فيجب اتباعه في ذلك على من يؤمن بأنه رسول الله، وهو أعلم بربه، وبما يجب له وما يمتنع عليه تعالى من غيره من سائر البشر.

وتقدم أن الشخص في اللغة، ما شخص وارتفع وظهر. قال في اللسان: «الشخص كل جسم له ارتفاع وظهور» والله تعالى أظهر من كل شيء، وأعظم وأكبر، وليس في إطلاق الشخص عليه محذور على أصل أهل السنة الذين يتقيدون بما قاله الله ورسوله. انتهى (١).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢١- بَابُ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ.

فَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَيْئًا وَسَمَّى النَّبِيَّ ﷺ الْقُرْآنَ شَيْئًا وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَقَالَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ

قلت: يعني: فالوجه شيء؛ لأن الأصل في الاستثناء الاتصال.

(١) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيان (١/ ٣٣٥)، وما بعدها.

٧٤١٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِرَجُلٍ «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ». قَالَ: نَعَمْ سُورَةٌ كَذَا وَسُورَةٌ كَذَا. لِسُورٍ سَمَاهَا»^(١).

لفظ شيء هل يُطْلَقُ عَلَى اللَّهِ؟

الجواب: لفظ شيء يُخْبَرُ بِهِ عَنْ اللَّهِ، وَلَا يُسَمَّى اللَّهُ بِهِ، وَقَوْلُ الْبَخَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمَّى اللَّهُ نَفْسَهُ شَيْئًا، الْمُرَادُ أَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِ«شَيْءٍ» وَلَا فَلَيسَ الشَّيْءُ مِنْ إِسْمَاءِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٨٠]. فَلَا بَدَّ أَنْ تَتَّصِمَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مَعَانِي حُسْنِي، لَكِنْ يَصْلُحُ أَنْ يُخْبَرَ عَنْهُ بِالشَّيْءِ، وَالْمَوْجُودِ، وَمَا أَشْبَهَهَا، وَعَلَى هَذَا فَيَقَالُ: إِنَّ اللَّهَ شَيْءٌ لَكِنَّهُ كَامِلٌ، شَيْءٌ كَامِلٌ وَلَا تَقُلْ: شَيْءٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِطْلَاقِ فَقَطْ، يَعْني: لَيْسَ مُطْلَقَ شَيْءٍ بَلْ هُوَ شَيْءٌ كَامِلٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. وَاسْتَدَلَّ الْبَخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى جَوَازِ تَسْمِيَةِ اللَّهِ بِالشَّيْءِ؛ أَي: جَوَازِ الْإِخْبَارِ عَنِ اللَّهِ بِالشَّيْءِ بِأَدَلَّةٍ:

أَوَّلًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَتَىٰ شَيْءٌ أَكْبَرَ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]. فَهِنَا جَاءَتْ لَفْظَةُ الشَّيْءِ غَيْرَ مُطْلَقَةٍ، بَلْ شَيْءٌ فِي كِمَالِ الشَّهَادَةِ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أَي: اللَّهُ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ مِنْ كُلِّ شَاهِدٍ ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [المائدة: ١٦٦]. فَسَمَّى اللَّهُ نَفْسَهُ شَيْئًا، فَقَالَ: ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ يَعْني الشَّيْءَ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ هُوَ اللَّهُ.

ثَانِيًا: وَاسْتَدَلَّ أَيْضًا بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّى الْقُرْآنَ شَيْئًا، وَذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ، حَيْثُ قَالَ: «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ» وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ كَلَامُهُ، وَكَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَهُوَ صِفَةٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٥٤]. وَالْقُرْآنُ هَلْ هُوَ مِنَ الْخَلْقِ أَوْ مِنَ الْأَمْرِ؟ لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ الْأَمْرِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ الْقُرْآنُ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ يَعْني: إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ، وَسَبَقَ لَنَا أَنَّ التَّعْبِيرَ هُنَا بِالْوَجْهِ يُرَادُ بِهِ الذَّاتُ مَعَ ثُبُوتِ الْوَجْهِ، وَوَجْهَ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْاسْتِنَاءِ الْإِتِّصَالُ؛ أَي: أَنَّ الْمُسْتَنَى مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَنَى مِنْهُ، وَقَدْ قَالَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾. فَيَكُونُ الْوَجْهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَلِهَذَا اسْتَشْنَى مِنْهُ، وَالْإِسْتِنَاءُ الْمَنْقُطُ هُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَنَى مِنْ غَيْرِ الْمُسْتَنَى مِنْهُ، وَعَلَى هَذَا فَيَصِحُّ أَنْ يُخْبَرَ عَنِ اللَّهِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ، وَلَكِنْ لَا يُدْعَى بِهِ وَلَا يُسَمَّى بِهِ.

وَالشَّاهِدُ مِنَ الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ» فَسَمَّى مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا وَلِهَذَا أَجَابَ: سُورَةٌ كَذَا وَكَذَا.

وَحَدِيثُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فِي قِصَةِ الْمَرْأَةِ الَّتِي جَاءَتْ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَوَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ وَكَأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَرْغَبْ فِيهَا فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَرَوَّجْنِيهَا. فَقَالَ:

«أَمَعَكَ شَيْءٌ» يَعْني: تُصَدِّقُهَا. قال: مَعِيَ إِزَارِي. لَيْسَ لَهُ إِلَّا إِزَارٌ، ما عَلَيْهِ رِداءٌ، قال: «كَيْفَ ذَلِكَ؟ إِزَارُكَ إِنْ أُعْطِيَتْهَا إِيَّاهُ بَقِيَتْ بِلَا إِزَارٍ، وَإِنْ بَقِيَ الْإِزَارُ عَلَيْكَ بَقِيَتْ بِلَا مَهْرٍ، السَّمْسُ» فَذَهَبَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: ما وَجَدْتُ شَيْئًا. قال: «السَّمْسُ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ». فَلَمْ يَجِدْ وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: أَمَعَكَ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ؟. قال: نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ: «زَوِّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ» فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَهْرَهَا تَعْلِيمَهُ إِيَّاهَا الْقُرْآنَ، وَلَوْ أَنَّهُ جَعَلَ مَهْرَهَا أَنْ يُعَلِّمَهَا الْحِسَابَ مِثْلًا، فَإِنْ هَذَا يَجُوزُ، أَوْ أَنْ يُعَلِّمَهَا الْحَدِيثَ يَجُوزُ؛ أَوْ أَنْ يُعَلِّمَهَا الْقُرْآنَ فَيَجُوزُ، وَلَكِنْ قَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ: لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَهْرُهَا ما يُعَلِّمُهَا مِنَ الْقُرْآنِ، قَالُوا: لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُقْرَأُ إِلَّا تَقَرُّبًا وَتَعَبُّدًا، وَالْعِبَادَةُ لَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ عَوَضًا فِي مَهْرٍ؛ لِأَنَّ الْقَاعِدَةَ فِي الْمَهْوَرِ أَنَّ ما صَحَّ ثَمًّا أَوْ أُجْرَةً صَحَّ صَدَاقًا، قَالُوا: أَمَّا الْحَدِيثُ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَنْ تُجْزَى عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ مَهْرًا»^(١) فَقَالُوا: فَهَذِهِ مِنْ خِصَائِصِ الرَّجُلِ.

وَلَكِنَّا نَقُولُ: هَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ وَلَا يَصِحُّ أَبَدًا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَجْعَلَ الْمَهْرَ تَعْلِيمَهَا لَشَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ مُعَيَّنٍ، وَلِهَذَا قَالَ: بِسُورِ سَمَّاها، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ ما يَتَّخَذُ قَرِيبَةً، وَالَّذِي لَا يَصِحُّ لَوْ جِئْنَا بِقَارِيٍّ وَقُلْنَا: اقْرَأْ سُورَةً أَوْ جِزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ بِعَوَضٍ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَكُونُ حَرَامًا، وَلَا يَصِحُّ، لِذَلِكَ نَنعَى إِلَى بَعْضِ النَّاسِ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الْعِزَاءَ لِلْأَمْوَاتِ، وَيَأْتُونَ بِقُرْأَةٍ يَقْرَءُونَ بِعَوَضٍ، نَنعَى إِلَيْهِمْ عَقُولَهُمْ قَبْلَ أَنْ نَنعَى إِلَيْهِمْ ما حَصَلَ مِنْ مُخَالَفَةِ، وَنَقُولُ: هَذَا الْقَارِئُ الَّذِي قَرَأَ بِدَرَاهِمٍ، لَيْسَ لَهُ أَجْرٌ مِنْ قِرَاءَتِهِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ أَجْرٌ مِنْ قِرَاءَتِهِ فَلَنْ يَصِلَ إِلَى الْمَيْتِ شَيْءٌ مِنْ ثَوَابِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا ثَوَابٌ، وَحِينَئِذٍ نَكُونُ خَيْرَنا دَارَهُمْ بِدُونِ عَوَضٍ.

أَمَّا التَّعْلِيمُ فَلَا بَأْسَ، لَكِنْ لَوْ قَالَ قَائِلُ: التَّعْلِيمُ مُجْهُولٌ، فَمَاذَا تَقُولُونَ؟ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَتَعَلَّمُونَ بِسُرْعَةٍ وَسَهْوَةٍ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَتَعَلَّمُونَ بِصُعُوبَةٍ؟ فَيَقَالُ: الْوَسْطُ.

قال البخاري رحمه الله

٢٢- بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [٧: ٦٥] ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [١٧: ١٢٩].

قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ أَرْتَفَعَ. ﴿فَسَوَّيْنَهُنَّ﴾: خَلَقَهُنَّ^(١)، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتَوَى: عَلَا عَلَى الْعَرْشِ^(٢)؛ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَجِيدُ:

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٦٤٢) من حديث أبي النعمان الأزدي مرسلًا، قال الحافظ في «الفتح» (٢١٢/٩): وهذا مع إرساله فيه من لا يعرف. اهـ.

(٢) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم كما في «الفتح» (٤٠٣/١٣)، وأسنده. ابن جرير في تفسيره قال: حدثنا محمد، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن حصين، عن أبي العالية به.

وانظر الفتح (٤٠٥/١٣)، وتعليق التعليق (٣٤٤/٥).

(٢) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم كما في الفتح (٤٠٣/١٣) وأسنده الفريابي في تفسيره قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي

الكريم، والودود، الحبيب^(١). يقال: حيدٌ مجيدٌ، كأنه فعيلٌ من ماجدٍ، محمودٌ من حمد. هذا الباب فيه عدة مسائل:

أولاً: إثبات العرش لله عز وجل؛ لقوله الله تعالى: ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ والعرش هو أعظم المخلوقات التي نعلمها وأكبرها وأوسعها، ولا نعلم ماهيتها؛ ما هو، ولا كيفية، لكنه ذو قوائم، كما ثبت في الحديث الصحيح، قال: «فَأَسْتَفِيقُ، فإذا موسى أخذ بقائمة العرش». لكن من أي شيء هو؟ الله أعلم، من نور أو من مادة أخرى، ما ندرى؟ لكن نؤمن بأن الله تعالى عرشاً عظيماً وصفه الله تعالى بالعظم، وهو أكبر المخلوقات، وقد جاء في بعض الأحاديث أن السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض^(٢)، حلقة المغفر وهي صغيرة ألقيت في فلاة من الأرض، نسبة الحلقة لل فلاة ليست بشيء، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة.

فهذا أمر لا يحيط به الإنسان من عظمته.

وأصل العرش في اللغة العربية: السرير الخاص بالملك، فيكون أعظم السرر الموجودة في مكانه وزمانه، لأنه عرش الملك، وإنما ذكر المؤلف العرش توطئة لذكر الاستواء على العرش.

قوله: «قال أبو العالية - وهو أحد التابعين المعروفين بالفقه والعلم والعبادة - استوى إلى السماء: ارتفع». يشير إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ وهذه في سورة البقرة، وفي سورة فصلت قال: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [الفصل: ١١]. فما معنى «ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ»؟ قال أبو العالية: ارتفع إلى السماء. وإذا قيل: ارتفع إليها فإنه يقتضي أن يكون قبل ذلك دونها، ولهذا لم يتفق السلف على تفسير «أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» بارتفع إلى السماء، بل ذكر كثير من المفسرين أن المراد بالاستواء هنا القصد بالإرادة التامة، فاستوى إليها؛ أي: اتجه إليها، وقصد إليها بإرادة تامة، وأصل ذلك أن هذه المادة «استوى» في الأصل تدل على: الكمال، ثم هي في اللغة العربية تستعمل على وجوه، ويتقيد معناها بحسب تلك الوجوه فتستعمل مطلقة، وتستعمل معداة بـ «إلى»، وتستعمل معداة بـ «على»، وتستعمل مقرونة بالواو، هذه أربعة استعمالات.

نجيح، عن مجاهد، به.

وانظر الفتح (٤٠٥/١٣)، وتغليق التعليق (٣٤٥/٥).

(١) رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم كما في الفتح (٤٠٣/١٣) وأسند ابن أبي حاتم قال: حدثنا أبي، ثنا أبو صالح، عن علي، عن ابن عباس به، انظر تغليق التعليق (٣٤٥/٥)، وكذا أسنده ابن جرير تفسير (١٣٨/٣٠)، قال: حدثني علي، حدثنا أبو صالح، عن معاوية، عن علي، عن ابن عباس به.

(٢) أخرجه ابن حبان (٧٦/٢)، (٣٦١) وصححه، وحسنه ابن حجر وذكر له طرقاً كما في «الفتح» (٤١١/١٣).

الاستعمال الأول: إذا استعملت مطلقاً، فهي بمعنى الكمال؛ أي: كمال الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [البقرة: ١٢٨]. استوى؛ أي: كُمل. ويقول العامة: استوى الطعام: أي كُمل نُضجُه.

والثاني: إذا عُدِّيَتْ بـ «إلى»، صار معناها: القصد والجهة؛ أي: انتهى قصده إلى ما بعد الحرف، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي قصد قصداً تاماً بإرادة تامة، مُتَهَاها السماء.

الثالث: المعدة بعلی، فمعناها: العلو والاستقار، لكنه بالنسبة للاستواء على العرش ليس هو العلو العام كما سنوضح إن شاء الله.

الاستعمال الرابع: أن تكون مقرونة بالواو، وفي هذه الحال يكون معناها: التساوي، كقولهم: استوى الماء والخشبة. ذكر ذلك النحويون في باب المفعول معه، استوى الماء والخشبة؛ أي: تساوىَا، يعني: صار الماء على حذاء الخشبة. نعم.

فهذه استعمالات الاستواء في اللغة العربية والصحيح في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي أنه قصد إليها بإرادة تامة؛ لأنه ﴿فَلَمَّا﴾ فوق السماء، ولم تكن السماء فوقه في يوم من الأيام أو لحظة من اللحظات، بل هو فوق السماء، فيكون المراد بالاستواء كما قرره كثير من المفسرين، ومنهم ابن كثير رحمه الله في التفسير^(١)، لأن معناها القصد، مع تمام الإرادة.

وعليه سيكون في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ للعلماء قولان.

القول الأول: أنه بمعنى: ارتفع.

والثاني: أنه بمعنى: قصد قصداً تاماً.

وقوله: «فَسَوَّاهُنَّ». يعني: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾: من سورة البقرة. قال: خَلَقَهُنَّ. وفي هذا التفسير قصور؛ لأن التسوية أمر زائد على الخلق؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]. ولو جعلنا التسوية بمعنى الخلق لكان معنى الآية والذي خلق خلق فخلق. وهذا لا يستقيم فالعطف يقتضي المغايرة. والتسوية تمام الخلق، يعني: خَلَقَهُنَّ على وجه مستو تام، هذا هو معنى قوله: ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾.

وقال مجاهد: استوى: علا على العرش. ومجاهد إمام المفسرين في التابعين؛ لأنه أخذ التفسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، يعرض عليه القرآن من أوله إلى آخره يوقفه عند كل آية ويسأله عن معناها، وقوله: علا على العرش. يعني: قوله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [البقرة: ٢٢]. استوى، يقول: علا على العرش، وقد ذكر ابن القيم

يَكَلِّفُهُ فِي النُّونِيَّةِ ^(١) وَغَيْرَهَا أَيْضًا أَنَّ «اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» وَرَدَتْ فِيهَا أَرْبَعُ عِبَارَاتٍ عَنِ السَّلَفِ: عَلَا، وَازْتَفَعَ، وَصَعَدَ، وَاسْتَقَرَّ. لَكِنْ عَلَا وَازْتَفَعَ وَصَعَدَ مَعْنَى الثَّلَاثَةِ مُتَقَارِبٌ أَوْ وَاحِدٌ. أَمَّا اسْتَقَرَّ فَلَا اسْتِقْرَارَ أَمْرًا زَائِلًا عَلَى مَجْرَدِ الْعُلُوِّ، وَكَأَنَّ الَّذِينَ فَسَّرُوهُ بِالْإِسْتِقْرَارِ أَخَذُوهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَاسْتَوَى عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١١٣]. أَيْ: إِذَا اسْتَقَرَّزْتُمْ عَلَيْهِ، وَهَذَا لَيْسَ بِعِيدٍ، وَإِنْ كَانَ الْأَحْوِطُ الْأَنْفَرُ. «اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ» إِلَّا بِعَلَا عَلَى الْعَرْشِ، هَذَا هُوَ الْأَحْوِطُ؛ لِأَنَّ هَذَا الْفِعْلَ عُدِّيٌّ بِـ«عَلَى» فَتَقْتَضِرُ عَلَى مَعْنَى الْعُلُوِّ فِيهِ، وَلَكِنْ لَا مَانِعَ أَنْ نَقُولَ: اسْتَقَرَّ. وَإِنْ كَانَ أَمْرًا زَائِلًا عَلَى الْعُلُوِّ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

وهذا العلو هل هو العلو العام على جميع المخلوقات، أو هو علو خاص بالعرش؟
الجواب: الثاني، أنه علو خاص بالعرش؛ لأنه لو كان هو العلو العام للزم أن يجوز قول القائل: استوى على الأرض، واستوى على الجبال، واستوى على الشجر، واستوى على الإنسان. لأنه عالٍ عليه بالمعنى العام، لكن هذا علو خاص بالعرش يختص به العرش، ولهذا قيده الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١٠٢]. وهو عالٍ عليهم «اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ» فهذا علو خاص، وَيَتَبَيَّنُ بِالْمَثَالِ الْفَرْقُ بَيْنَ الْعُلُوِّ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ، فَلَوْ وَضِعَ لَكَ سَرِيرٌ عَلَى سَطْحٍ فَجَلَسْتَ عَلَيْهِ لَكُنْتَ عَالِيًا عَلَيْهِ، وَعَلَى السَّطْحِ، وَعَلَى مَنْ تَحْتَ السَّطْحِ، لَكِنْ مَا هُوَ الْعُلُوُّ الْخَاصُّ الْمُبَاشَرُ لِلْسَرِيرِ الَّذِي عُلُوَّتْ عَلَيْهِ؟ هُوَ عُلُوُّكَ عَلَى السَّرِيرِ، وَهَذَا يُقَالُ: اسْتَوَى عَلَى السَّرِيرِ. فِي هَذَا الْمَثَالِ، وَلَا يُقَالُ: اسْتَوَى عَلَى السَّطْحِ. لَكِنْ يُقَالُ: عَلَا، فَعَلِيهِ نَقُولُ: الْإِسْتَوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ عُلُوٌّ خَاصٌّ غَيْرُ الْعُلُوِّ الْعَامِّ.

نبحث في هذه المسألة -مسألة الاستواء- من عدة وجوه:

البحث الأول: ما معنى قوله: «اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ»؟

نقول: معنى قوله: «اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ» أي: علا على العرش، هذا هو المعنى لا يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ لَنَزَّلَ رَبِّيَ الْغُلَامَيْنِ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١١٣] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١١٤] يُلَاسِنُ عَرَبِيَّيْنِ ﴿[الْأَنْعَامُ: ١١٥-١١٦-١١٧]﴾. وَاللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ الْمُبِينُ يُدَلُّ عَلَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ: اسْتَوَى عَلَى الشَّيْءِ. عَلَا عَلَى الشَّيْءِ وَلَا يَجُوزُ لَنَا الْعُدُولُ عَنْ مَا يَقْتَضِيهِ اللَّسَانُ الْعَرَبِيُّ إِلَّا بِدَلِيلٍ مِنَ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ أَوْ الْإِجْمَاعِ، وَهَذَا لَا دَلِيلَ مِنَ الْكِتَابِ وَلَا السُّنَّةِ وَلَا اللُّغَةِ وَلَا الْإِجْمَاعِ عَلَى مُخَالَفَةِ هَذَا التَّفْسِيرِ، وَهُوَ أَنَّ اسْتَوَى بِمَعْنَى عَلَا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ مَنْ قَالَ: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؛ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؟
نقول: هذا قول باطل؛ لأنه لا دليل له من اللغة ويلزم عليه لوازم باطلة، فليس له دليل إيجابي، ولا تنبي عنه

الموانع، فإن قيل: قولكم: إنه لا دليل عليه في اللغة. ممنوع، فقد قال الشاعر:

قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مَهْرَاقٍ^(١)

وبشر: هو بنُ مزوان. ومَعْنَى اسْتَوَى عَلَى الْعِرَاقِ؛ أَي: اسْتَوَى عَلَيْهِ.

فالجواب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول: قائل هذا مجهول، والناقل عنه أيضًا مجهول، فهو ظلمات بعضها فوق بعض، هذه واحدة.

الوجه الثاني: لو سلمنا أن القائل معلوم، فهل هو قبل تغيير اللسان فيكون من العرب الأفحاح^(٢)، أو بعد تغيير اللسان فلا يحتاج به؛ الثاني، لأن الفتوحات كثرت في ذلك الوقت وانتشرت واختلط العجم بالعرب وتغير اللسان.

الوجه الثالث: لو فرض أن هذا الرجل معلوم، ولم يتغير لسانه، فإن قوله: قد استوى بشر على العراق لا يتعين أن يكون المراد به استولى إذ إنه يجوز أن يكون المراد استوى على العراق: علا علوا معنويًا، لا علوا حسيًا؛ لأن كونه يعلو عليها علوا حسيًا ممتنع، لكن يعلو عليه علوا معنويًا، والمعنى قد كمل استيلاؤه عليه وسيطرته عليه؛ لأن الاستواء أصل الهادة هذه من الكمال. وحينئذ لا دليل لقول هذا القائل.

أما ما يلزم عليه من اللوازم الباطلة، إذا فسرنا استوى على العرش باستولى على العرش فهي: أولاً: يقتضي أن يكون العرش قبل استواء الله عليه مملوكًا لغير الله، فمن الذي ملكه غير الله؟ الجواب: لا أحد.

ثانيًا: يقتضي أن يكون هناك معالجة للاستيلاء عليه؛ لأن استولى لا تكون إلا بعد عراك ومقاتلة وأخذ ورد، فمن الذي قاتل الله؟ الجواب: لا شيء.

ثالثًا: نقول: إذا قلت: استوى بمعنى: استولى. لزم أن يصح قولك: إن الله استوى على الأرض، وعلى البعير. لأنه مستول على هذا، فهذه اللوازم الباطلة تبطل تحريف من حرف الاستواء إلى الاستيلاء، والحمد لله أن الأمر واضح.

فإن قال قائل: إذا قلتم: استوى على العرش؛ علا على العرش. لزم أن يكون جسمًا ومحدودًا،

(١) ذكر هذا البيت الجويني في «لمع الأدلة» (ص ٩٥)، والرازي في أساس التقديس (ص ٢٠٢)، والعز بن عبد السلام في «الإشارة إلى الإيجاز» (ص ١١٠)، وابن القيم في «الصواعق المرسلة» (١/ ٣٥٩)، وانظر قول شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٤٦/٥).

(٢) الأفحاح: عربي قح؛ أي: مخض خالص انظر: مختار الصحاح مادة (ق ح ح).

ولهذا لما جاءت امرأة جهنم بن صفوان إلى الكوفة أو إلى البصرة واجتمع الناس عليها يناقشونها قالت: إنها تكفر «بمحدود على محدود» فالعرش محدود وهي تقول: إذا كان مُستَوِيًّا على محدود لزم أن يكون محدودًا. فما هو الجواب على ذلك؟

نجيب عن القول بأنه: يلزم أن يكون جسمًا، وأن يكون محدودًا، فنقول: إذا لزم أن يكون جسمًا من كلام الله فليكن ذلك، ونحن نؤمن به، ولكننا نقول: إنه ليس كأجسام المخلوقين، وإن لم يلزم ذلك فلا يلزمنا أن نلتزم به، ولا يكون قولنا باطلاً بهذا الإلزام الباطل، ثم نقول: ماذا نعتنون بالجسم؟ أتعنون بالجسم: الشيء المركب من لحم وعظم ودم وما أشبه ذلك؟ فهذا ممنوع. أم تريدون بالجسم الشيء القائم بنفسه، الفاعل لما يريد الذي يأتي ويتكلم ويتزل؟ إن قالوا: نريد هذا فنحن نلتزم به، ونقول: إن الله هو هذا: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (١١).

أما كلمة محدود، فإنها كلمة كالجسم لم ترد في القرآن ولا في السنة ولا في كلام الصحابة لا نفيًا ولا إثباتًا، وردت عن بعض الأئمة بالإنكار، وعن بعض الأئمة بالإقرار، يعني أن بعض الأئمة قالوا: إن الله محدود، أو له حد. وبعضهم أنكر ذلك (١) والحققة أن الخلاف لفظي عند التحقيق؛ لأنه إن أريد بالحد أن شيئًا يحد الله فهذا مُتَنَبِّ قطعًا؛ لأن ما فوق المخلوقات هواء، لا يوجد شيء، والله تعالى فوق المخلوقات، وإن أراد بالحد البينونة عن الخلق، فهذا هو معنى قول السلف: إنه بائن من خلقه. ولهذا إنكار الحد مطلقًا أو إثباته مطلقًا فيه نظر بل يُفسَّر، ثم نقول: قولكم: إنه يلزم من كونه على العرش أن يكون محدودًا على محدود. أمّا كونه على محدود فهذا نُسَلِّمُ به، فالعرش مخلوق له حد، ولكن لا يلزم من استوائه على هذا المخلوق المحدود أن يكون هو أيضًا محدودًا؛ لأنه فوق المخلوقات، ليس شيء يحدّه. وبهذا بطلت اعتراضاتهم، وتبين أنهم أرادوا أن يحكموا على الله بعقولهم لا أن يحكموا الله تعالى بعقولهم، والفرق بين الكلمتين واضح؛ فأن يحكموا على الله بعقولهم، هذا لا يجوز، وأن يحكموا الله بعقولهم هذا صحيح؛ لأن العقل يقتضي أن تحكم الله؛ لأنه هو الحكم وإليه الحكم.

فتبين الآن أن استواء الله على العرش بمعنى علا على العرش، ولا يحتل غير هذا المعنى.

البحث الثاني: هل استواء الله على العرش من الصفات الفعلية، أم من الصفات الذاتية؟ الجواب: الأول، أن استواء الله على العرش من الصفات الفعلية بناءً على الضابط الذي ضبطه أهل العلم، فقالوا: كل ما يتعلق بمشيئة الله فهو فعل والاستواء متعلق بمشيئته، والدليل على تعلقه بمشيئته أنه قال: «خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى» فالاستواء حدث بعد الخلق.

(١) انظر «بيان تلبيس الجهمية» (١/٥٢، ٣٩٧، ٤٢٨)، (٢/١٦٣) و«مسألة القرآن لابن عقيل» (ص ٩٣).

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَنَا لَا أَقِرُّ بِالصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ، وَأَرَدُ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةَ إِلَى الْقُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ.

قُلْنَا: هَذَا خَطَأٌ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّكَ إِذَا حَوَّلْتَ ﴿أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ﴾ إِلَى: ثُمَّ قَدَرَ عَلَى الْإِسْتَوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ قَبْلَ هَذَا عَاجِزًا، فَوَقَعَتْ فِي شَرِّ مِمَّا فَرَزْتَ مِنْهُ، بَلْ نَقُولُ: قِيَامُ الْأَفْعَالِ بِاللَّهِ ﷻ وَكَوْنُهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ هَذَا مِنْ كِبَالِ اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ وَأَنْ تَقُومَ بِهِ الْأَفْعَالُ الْإِخْتِيَارِيَّةُ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الشورى: ٢٦٨]. فَإِنْ قَالَ: الْحَوَادِثُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ فَمَا الْجَوَابُ؟

الْجَوَابُ: هَذِهِ أَكْذَابُ الْقَوَاعِدِ، فَمَنْ قَالَ هَذَا؟ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْحَوَادِثَ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ؟ وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْفِعْلَ لَا يَبْدَأُ أَنْ يَكُونَ مَقَارِنًا لِلْفَاعِلِ وَالْأَبْطَلُ إِثْبَاتُهُ، فَمَنْ قَالَ هَذَا؟! الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ يُحَدِّثُ الْفِعْلَ، فَيَقُومُ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَاعِدًا، وَيَقْعُدُ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَائِمًا وَلَا يَلْزَمُ مِنْ حَدُوثِ هَذَا الْقِيَامِ الْمُعَيَّنُ أَوْ الْقُعُودِ الْمُعَيَّنِ أَنْ يَكُونَ سَابِقًا سَبَقَ هَذَا الْفَاعِلَ، بِمَعْنَى أَنَّ الْفَاعِلَ يَفْعَلُ، وَوُجُودُهُ سَابِقٌ عَلَى فِعْلِهِ، فَمَا الْمَانِعُ أَنْ يَقَعَ مِنَ اللَّهِ ﷻ فِعْلٌ حَادِثٌ مَعَ كَوْنِهِ هُوَ أَزَلِيًّا؟ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ الْمَحْدَثُ يَفْعَلُ الْفِعْلَ الْحَادِثَ وَهُوَ سَابِقٌ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ، قَدْ يَكُونُ لَهُ مِثْلُ سَنَةٍ، وَنُوحٌ ﷺ لَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، فَهَلِ الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلَهُ فِي آخِرِ وَجُودِهِ فِي قَوْمِهِ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا مَعَهُ حِينَ وُلِدَ أَوْ لَا يَلْزَمُ؟ لَا يَلْزَمُ فَتَبَيَّنَ أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ بَاطِلَةٌ وَفَاسِدَةٌ، وَأَنَّ مِنْ كِبَالِ اللَّهِ ﷻ أَنْ يَكُونَ فَعَالًا لَهَا يَرِيدُ، وَمِنْ جِهَةِ ذَلِكَ الْإِسْتَوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَالتَّزَوُّلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالصُّحُوحُ وَالْفَرْحُ وَالْغَضَبُ، وَمَا أَشَبَّهَا، وَذَكَرْنَا فِيهَا سَبَقَ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ لَهَا سَبَبٌ فِيهَا صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِمَشِيئَتِهِ. فَتَبَيَّنَ الْآنَ أَنَّ الْإِسْتَوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ.

أَمَّا الْعُلُوُّ الْعَامُّ، فَهَلِ هُوَ صِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ أَوْ ذَاتِيَّةٌ؟

الْجَوَابُ: ذَاتِيَّةٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ عَالِيًا فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِسْتَوَاءَ عُلُوٌّ خَاصٌّ كَمَا سَبَقَ.

❦ وَقَوْلُهُ: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمَجِيدُ: الْكَرِيمُ» وَهَذَا الْقَوْلُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْلُوقٌ.

قال الحافظ ابن حجر:

قَوْلُهُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَجِيدُ: الْكَرِيمُ، وَالْوَدُودُ: الْحَبِيبُ: وَصَلَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقٍ عَلَى ابْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [١٥] ❦ قَالَ: الْمَجِيدُ: الْكَرِيمُ. وَبِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [١٤] ❦ قَالَ: الْوَدُودُ: الْحَبِيبُ. وَإِنَّمَا وَقَعَ تَقْدِيمُ الْمَجِيدِ قَبْلَ الْوَدُودِ هُنَا؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ تَفْسِيرَ لَفْظِ «الْمَجِيدِ» الْوَاقِعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ فَلَمَّا فَسَّرَهُ اسْتَطَرَدَّ فِي تَفْسِيرِ الْاسْمِ الَّذِي قَبْلَهُ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ قُرِئَ مَرْفُوعًا بِالْإِتِّفَاقِ ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ بِالرَّفْعِ صِفَةٌ لَهُ.

وَاخْتَلَفَتْ الْقَرَاءَةُ فِي «الْمَجِيدِ» بِالرَّفْعِ، فَيَكُونُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، وَبِالْكَسْرِ فَيَكُونُ صِفَةً الْعَرْشِ، قَالَ ابْنُ مُثَنَّى: جَمِيعُ مَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي هَذَا الْبَابِ يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْعَرْشِ إِلَّا أَثَرُ ابْنِ عَبَّاسٍ، لَكِنَّهُ نَبَّهَ بِهِ عَلَى لَطِيفَةٍ، وَهِيَ أَنَّ الْمَجِيدَ فِي الْآيَةِ عَلَى قِرَاءَةِ الْكَسْرِ لَيْسَ صِفَةً لِلْعَرْشِ حَتَّى لَا يُتَخَيَّلَ أَنَّهُ قَدِيمٌ، بَلْ

هي صفةُ الله بدليل قراءة الرفع وبدليل اقترانه بالودود، فيكون الكسرُ على المجاورة، لتجتمع القراءتان على معنى واحد. اهـ

ويؤيد أنها عند البخاري صفةُ الله تعالى، ما أزدفه به وهو يقال: حميدٌ مجيدٌ. إلى آخره ^(١). اهـ
 قوله: المجيدُ بالرفع، وعندنا الآن مرفوعةٌ، فيقتضي أن يكون المرادُ بذلك الربُّ ﷻ، وفي الآية الكريمة: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ ^(٢) قراءتان؛ ذو العرشِ المجيد، وذو العرشِ المجيدُ، فأما على قراءة الرفع، فهي اسمٌ من أسماءِ الله وتعودُ الصفةُ فيها إلى الله، ولهذا جاءت مرفوعةٌ، وأما على قراءة الجرِّ «ذو العرشِ المجيد» فهي صفةٌ للعرش، والقول بأنها صفةٌ للربِّ، وأنها كُسِرَتْ للمجاورة قولٌ بعيدٌ جدًا.

فالصواب: أنها على قراءة الرفع من أسماءِ الله، والمجدُ صفةُ الله، وعلى قراءة الجرِّ تكونُ صفةً للعرش، فأما على قراءة الجرِّ فلا بأس أن تُفسَّرَ بالكريم؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ ^(٣) ﴿الأنعام: ١٠٢﴾. بالكسر، فيكونُ المجدُ بالنسبةِ للعرشِ هو الكرم، والكرمُ في كلِّ موضعٍ بحسبه، ليسَ الكرمُ هو كثرةُ العطاء؛ لأنَّ العرشَ لا يُعطي، لكن يُرادُ به البهاءُ والحسنُ والجمالُ والكمالُ على حدِّ قولِ النبي ﷺ لمعاذٍ: «فإن أطاعوك لذلك، فإيتاك وكرائم أموالهم» ^(٤). جمعُ كريمةٍ، وليسَ المرادُ بكرائم الأموال أنها تُعطي لكنها الجميلةُ البهيةُ الكاملةُ، فإذا كانت قراءة المجيد بالجرِّ صفةً للعرش صحَّ أن يُفسَّرَها بالكريم؛ لأنَّ العرشَ وصِفَ بذلك في آيةٍ أخرى، أما إذا كانت بالرفع «المجيد» صفةً للربِّ ﷻ فلا يصحُّ أن تُفسَّرَها بالكريم، بل تُفسَّرُها بذِي العظمةِ والسلطانِ الكامل، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ حيثُ كانَ اللهَ يَجِيبُ القارئَ ويقولُ: «مَجْدَنِي عَبْدِي» ^(٥) لآنه في يوم الدين يكونُ تمامُ الملكِ لله ﷻ.

وأما الودودُ ففسَّرَه بالحبيب، لقولِ الله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ ^(٦) فالحبيبُ فعيلٌ، هل هي بمعنى فاعلٍ أو مفعولٍ؟

إذا قلتَ حبيبي فلانٌ هذا مفعولٌ، وإن قلتَ: فلانٌ حبيبٌ: أيضًا بمعنى مفعولٍ، لكن مع ذلك يصحُّ أن يكونَ بمعنى حابٍّ، ولكن تفسيرُ الودود بالحبيب تفسيرٌ تقريبيٌّ؛ لأنَّ الودودَ أخصُّ من الحبيب، فالمودَّةُ وصفٌ زائدٌ على مطلقِ المحبة، فهي المحبةُ الخالصةُ؛ يعني: التي ليست مشوبةً بكَرِهٍ، فتفسيرُ الودود بالحبيب تفسيرٌ تقريبيٌّ، وإلا فإنَّ المعنى الأدقُّ أن نقول: الودودُ: ذو المحبةِ الخالصةِ وليست مطلقَ المحبة، والودودُ من أسماءِ الله ﷻ كما قالَ الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ ^(٧).

(١) انظر «الفتح» (١٣/٤٠٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (٣٩٥).

وهي بِمَعْنَى الْوَادِّ، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ؛ لِأَنَّ بِالْمَغْفِرَةِ تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ، وَبِالْوَدِّ حَصُولَ الْهَبَاتِ، فَيَجْمَعُ الْإِنْسَانُ فِي تِلَاوَةِ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، بَيْنَ الْخَوْفِ مِنَ الذَّنْبِ فَيَسْأَلُ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ، وَالرَّجَاءِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿الْوَدُّ﴾ لِأَنَّ الْوَدَّ لَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَكُونُ كَثِيرَ الْعَطَاءِ وَكَثِيرَ الْغَفَرَانِ.

❖ قَوْلُهُ: «حَمِيدٌ مَجِيدٌ، كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ، مَحْمُودٌ مِنْ حَمِيدٍ»، فِي الْعِبَارَةِ لَفٌّ وَنَشْرٌ غَيْرُ مَرْتَبٍ، يَقُولُ: حَمِيدٌ كَأَنَّهُ مَحْمُودٌ حَامِدٌ، مَجِيدٌ يَقُولُ: كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ، وَمَاجِدٌ اسْمٌ فَاعِلٌ، وَمَجِيدٌ اسْمٌ فَاعِلٌ، لَكِنْ فِيهِ مِبَالِغَةٌ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي عِلْمِ النُّحُوِّ أَنَّ أَمْثَلَةَ الْمِبَالِغَةِ مِنْهَا فَعِيلٌ، فَيَكُونُ مَجِيدٌ بِمَعْنَى مَاجِدٍ، لَكِنْ فِيهِ مِبَالِغَةٌ، وَالْمَجْدُ سَبَقَ أَنَّهُ السُّلْطَانُ التَّامُّ الَّذِي تَكُونُ بِهِ السَّيْطَرَةُ التَّامَّةُ، وَأَمَّا حَمِيدٌ فَيَكُونُ مَحْمُودٌ مِنْ حَمِيدٍ.

إِذَا: مَجِيدٌ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ، وَحَمِيدٌ يَقُولُ الْبُخَارِيُّ أَنَّهُ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ مِنْ حَمِيدٍ فَهُوَ مَحْمُودٌ، وَهَذَا صَحِيحٌ، وَاللَّهُ ﷻ حَمِيدٌ بِمَعْنَى مَحْمُودٍ؛ أَيُّ: مَحْمُودٌ حَمْدًا يَسْتَحِقُّهُ، وَلِهَذَا جَاءَتْ بِصِغَةِ الْمِبَالِغَةِ «حَمِيدٌ» وَتَحْتَمِلُ مَعْنَى آخَرَ أَنْ يَكُونَ حَمِيدٌ بِمَعْنَى حَامِدٍ؛ لِأَنَّهُ ﷻ يَحْمَدُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، فَيَحْمَدُ الْأَنْبِيَاءَ، وَالْأَوْلِيَاءَ وَالصَّدِّيقِينَ، وَالشَّهَدَاءَ وَيُنِيهِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا حَمْدٌ، فَهُوَ حَمِيدٌ بِمَعْنَى حَامِدٍ وَحَمِيدٌ بِمَعْنَى مَحْمُودٍ، وَيَكُونُ لِلْمَعْنَيْنِ جَمِيعًا، وَجَاءَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْهِ أَهْلَ الْآلِيَةِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (٧٢) ﴿٧٣﴾ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيَا عَلَّمْنَا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ: «كَمَا صَلَّيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

رُويَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ فِي الْإِسْتِوَاءِ: الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِبْيَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعٌ. وَالْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سُئِلَ فِي الْحَلْفَةِ هَذَا السُّؤَالُ: قَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»، كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَاسْتَعْظَمَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا السُّؤَالُ، وَأَطْرَقَ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرُّحْضَاءُ؛ أَيُّ: الْعَرَقُ، وَجَعَلَ يَتَصَبَّبُ عِرْقًا مِنْ شِدَّةِ وَقَعِ السُّؤَالِ عَلَى قَلْبِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِبْيَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعٌ. هَذَا اللَّفْظُ الَّذِي رُويَ، لَكِنْ نَقَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى وَجْهِ آخَرَ، فَقَالَ: الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِبْيَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعٌ^(٢). وَلَنُشْرَحَ هَذَا الْكَلَامَ.

❖ قَالَ: «الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ». أَيُّ: أَنَّهُ مَعْلُومٌ بِمُقْتَضَى اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَإِجْمَاعِ مَنْ سَلَفَ، فَفِي اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ «اسْتَوَى عَلَى» مَعْنَاهُ: الْعُلُوُّ، وَإِجْمَاعُ مَنْ سَلَفَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ حَرْفٌ وَاحِدٌ عَنْ الصَّحَابَةِ يَخَالِفُ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ، فَيَكُونُ الْأَصْلُ بَقَاءَهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ كَمَا قَرَرْنَا ذَلِكَ سَابِقًا.

(١) رواه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٥).

(٢) تقدم تحريجه عن مالك، شيخه ربيعة.

❁ «والكيف مجهول» وفي رواية عنه: «غير معقول». أما رواية: «غير معقول». فالمعنى: أن كيف لا يدرّكه العقل وإذا لم يدرّكه العقل توقّف إثباته على الدليل السمعي، وليس هناك دليل سمعي، وعلى هذا فيكون، إذا كان العقل لا يدرّكه ولم يرّده به السمع، صار مجهولاً، فالكيف مجهول ودليل جهالته أن كيفية استواء الله على العرش هو تكييف لصفة من صفاته، والقول في الصفات كالقول في الذات، فإذا كنّا لا نكيف ذاته، فإنّا لا نكيف صفاته؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، هذا وجه.

الوجه الثاني: أن الله أخبرنا عنه، ولم يُخبرنا عن كيفيته، ونحن لا ندرّكه بعقولنا. الوجه الثالث: أن الشيء لا تُعلم كيفيته إلا بواحد من أمور ثلاثة: مشاهدته أو مشاهدته نظيره أو الخبر الصادق عنه. وكل هذا منتف بالنسبة لاستواء الله على العرش، لا شاهدناه، ولا شاهدنا له نظيراً، ولا أخبرنا الصادق عنه، فوجب أن يكون مجهولاً، وبقيّة الصفات يقال فيها كما يقال في الاستواء، فيقال مثلاً في النزول إلى السماء الدنيا، النزول معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب. والسؤال عنه بدعة.

لكن لماذا كان الإيمان به واجباً؟ لأنه خبر من أخبار الله ورسوله.

ولماذا كان السؤال عنه بدعة؟ لوجهين:

الوجه الأول: أن الصحابة لم يسألوا عنه.

والوجه الثاني: أن السؤال عن ذلك من سمات أهل البدع، فهم الذين يسألون هذا السؤال.

ولهذا قال الإمام مالك: وما أراك إلا مبتدعاً. ثم السؤال عنه أيضاً تنطع وتكلف، فدخل في قوله ﷺ: «هلك المتنطعون»^(١) وهكذا بقيّة الصفات، السؤال عن كيفيتها أو عن شيء زائد على ما جاء به النص بدعة، وتكلف وتنطع، ولهذا يجب على المرء أن يحذر من التنطع في هذه الأمور.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٨- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحَرَّرٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبَشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ». قَالُوا: بَشَرْتَنَا فَأَعْطِنَا. فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: «اقْبُلُوا الْبَشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلُهَا بَنُو تَمِيمٍ». قَالُوا: قِيلَنَا. جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ. قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ». ثُمَّ أَنَايِي رَجُلٌ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ، أَذْرِكَ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ

دُونَهَا، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنَهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ.

الشاهد من هذا الحديث: «وكان عرشه على الماء» هذا شاهد الترجمة. النبي ﷺ جاءه قوم من بني تميم، قال: «اقبلوا البشري، يا بني تميم» قالوا: بشرتنا فأعطينا. ناس يريدون الدنيا، بشرتنا وعرفنا ما عندك، لكن أعطينا. ولهذا جعل النبي ﷺ هذا رداً منهم للبشري، لما دخل أهل اليمن قال: «اقبلوا البشري يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم» لأنهم قالوا: بشرتنا فأعطينا. فكانهم جاءوا للعطايا؛ للسأل لكن لا يعني هذا أنه لا يوجد خير في بني تميم، بنو تميم فيهم خير لو لم يكن فيهم إلا أنهم أشد الناس على الدجال، كما قال النبي ﷺ: «أشد أمتي على الدجال بنو تميم»^(١). وكل قبيلة وكل أمة فيها الخير وفيها الشر، والخير قد يكون عاماً، وقد يكون خاصاً وكذلك الشر.

❖ قوله: «فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشري، يا أهل اليمن، إذا لم يقبلها بنو تميم قالوا: قبلنا» ﷺ قبلنا البشري، «جئتكم لتتفقوا في الدين». يعني ولم يقولوا: جئتكم للعطاء. ما قالوا: أعطينا، فقد جاءوا للعلم قالوا: «ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟» وكيف نشأت الدنيا هذه، كيف نشأت السموات، كيف نشأت الأرض أخبرنا. فقال النبي ﷺ: «كان الله ولم يكن شيء قبله» فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وهذا أمر معلوم.

❖ وقوله: «كان الله» هذه مسحوبة الدلالة على الزمنية: يعني ليس المعنى كان فبان، بل هو ﷻ لم يزل ولا يزال موجوداً، والعقل لا يدرك كيف كان؛ لأنه أزلي، لا نهاية لأوله، ولا غاية، هو الأول الذي ليس قبله شيء ولا تُعمل فكرك، كيف هذا إن أعملت فكرك تستصل إلى نقطة بين النبي ﷺ وعلاجها حيث أخبر أن الناس يقولون: من خلق كذا، من خلق كذا، من خلق كذا؟ حتى يقولوا: من خلق الله؟ وحيث يجب أن تقف، وتقول: الله أحد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد وتستعبد بالله من الشيطان الرجيم^(٢). وتنتهي عن هذه التقديرات كلها.

❖ قوله: «وكان عرشه على الماء» قبل خلق السموات «ثم خلق السموات والأرض»، وخلقها مبين في القرآن مجملًا ومفصلاً.

❖ قوله: «وكتب في الذكر كل شيء» الذكر: اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

❖ قوله: «كل شيء» الظاهر لي أنه ليس على عموم؛ لأن الله قال للقلَم: «اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة» فكتب القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة، وعلى هذا يكون المراد بالعموم أو المراد بالعام، الخاص أي ما يكون إلى يوم القيامة.

❖ يقول عمران بن حصين: «ثم أتاني رجل فقال: يا عمران، أدرك ناقتك، فقد ذهبت فانطلقت»

(١) رواه البخاري (٢٥٤٣)، ومسلم (٢٥٢٥).

(٢) رواه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤).

أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَإِمْ اللَّهُ لَوِ دِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ، وَلَمْ أَقُمْ. جَاءَهُ رَجُلٌ قَالَ: أَدْرَكَ نَاقَتَكَ. وَهَذَا التَّنْبِيهُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ حِفْظِ مَالِ أَخِيهِ، وَالظَّاهِرُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ عِمْرَانَ ظَنَّ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ فَخَرَجَ لِيَعْقِلَهَا وَيَرْجِعَ لِيَسْتَمَعَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، لَكِنَّهُ يَقُولُ: فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، إِذَا هِيَ بَعِيدَةٌ وَرَاءَ السَّرَابِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتْرُكْهَا؛ لِأَنَّ النَّفْسَ تَتَعَلَّقُ بِالْمَالِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ إِذْ يَشُقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى بَعِيرَهُ، وَهِيَ رَاحِلَتُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَهْلِهَا، وَرَاحِلَتُهُ لِقَضَاءِ حَاجَاتِهِ، أَنْ يَرَاهَا بَعِيدَةً ثُمَّ يَرْجِعُ. فَذَهَبَ، لَكِنْ يَقُولُ: «لَوِ دِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ».

وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى: حَرَصِهِ ﷺ عَلَى الْعِلْمِ، وَأَنَّهُ يَفْضُلُ الْعِلْمَ عَلَى الْمَالِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَعْرِفُ قَدْرَ الْعِلْمِ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ:

❦ قَوْلُهُ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ؟» تَقَدَّمَ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ بِلَفْظٍ: «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ: «كَانَ اللَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ» وَهُوَ بِمَعْنَى: كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهِيَ أَصْرَحُ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَثْبَتَ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا، مِنْ رِوَايَةِ الْبَابِ، وَهِيَ مِنْ مُسْتَشْنَعِ الْمَسَائِلِ الْمُنْسُوبَةِ لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ، وَوَقَفْتُ فِي كَلَامٍ لَهُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ يَرْجِعُ الرِّوَايَةَ الَّتِي فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى غَيْرِهَا مَعَ أَنَّ قَضِيَّةَ الْجَمْعِ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ تَقْتَضِي حَلَّ هَذِهِ عَلَى الَّتِي فِي بَدْءِ الْخَلْقِ لَا الْعَكْسَ، وَالْجَمْعُ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّرْجِيحِ بِالِاتِّفَاقِ، قَالَ الطَّبِيبِيُّ قَوْلُهُ: «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ» حَالٌ، وَفِي الْمَذْهَبِ الْكُوْفِيِّ خَبَرٌ وَالْمَعْنَى يَسَاعِدُهُ، إِذْ التَّقْدِيرُ: كَانَ اللَّهُ مُنْفَرِّدًا، وَقَدْ جَوَّزَ الْأَخْفَشُ دُخُولَ الْوَاوِ فِي خَبَرِ كَانَ وَأَخَوَاتِهَا، نَحْوُ: كَانَ زَيْدٌ وَأَبُوهُ قَائِمٌ عَلَى جَعْلِ الْجُمْلَةِ خَبَرًا مَعَ الْوَاوِ تَشْبِيهًا لِلْخَبَرِ بِالْحَالِ، وَمَالَ التَّوْرِبَشْتِي إِلَى أَنَّهَا جُمْلَتَانِ مُسْتَقْلَتَانِ وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ وَقَالَ الطَّبِيبِيُّ: لَفْظَةُ «كَانَ» فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِحَسَبِ حَالِ مَفْعُولِهَا، فَالْمَرَادُ بِالْأَوَّلِ الْأَزَلِيَّةِ وَالْقَدَمُ، وَبِالثَّانِي الْحَدُوثُ بَعْدَ الْعَدَمِ، ثُمَّ قَالَ: فَالْحَاصِلُ أَنَّ عَطَفَ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ عَلَى قَوْلِهِ: «كَانَ اللَّهُ» مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ عَنْ حُصُولِ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْوُجُودِ وَتَفْوِضِ التَّرْتِيبِ إِلَى الذَّهْنِ، قَالُوا: وَفِيهِ بِمَنْزِلَةِ ثَمٍّ، وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: قَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ مُعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «كَانَ اللَّهُ». وَلَا يَلِزَمُ مِنْهُ الْمَعْيَةُ إِذْ الْإِلَازِمُ مِنَ الْوَاوِ الْعَاطِفَةِ الْاجْتِمَاعُ فِي أَصْلِ الثَّبُوتِ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، قَالَ غَيْرُهُ: وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ قَوْلُهُ: «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» لِنَفْيِ تَوْهِمِ الْمَعْيَةِ، قَالَ الرَّاعِبِيُّ: «كَانَ» عِبَارَةٌ عَمَّا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، لَكِنَّهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى تَنْبِيءٌ عَنْ مَغْنَى الْأَزَلِيَّةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ قَالَ: وَمَا اسْتَعْمَلَ مِنْهُ فِي وَصْفِ شَيْءٍ مُتَعَلِّقًا بِوَصْفٍ لَهُ هُوَ مَوْجُودٌ فِيهِ فَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْوَصْفَ لَا زَمَ لَهُ أَوْ قَلِيلُ الْإِنْفِكَاءِ عَنْهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ وَإِذَا اسْتَعْمَلَ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي جَازَ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَعْمَلُ عَلَى حَالِهِ. وَجَازَ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَغَيَّرَ نَحْوُ: كَانَ فُلَانٌ كَذَا ثُمَّ صَارَ كَذَا، وَاسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» ظَاهِرٌ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ

كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ وَجَدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا^(١).

هذه المسألة الواقعة أَنَّ الخوضَ فيها مِنْ فضولِ العلم، وهي مسألة التسلسل في الأزَل؛ أي: في الماضي؛ لأنَّ العلماء، وأقصدُ علماء السلفِ وعلماء أهل الكلام، اختلفوا في هذه المسألة على ثلاثة أقوال.

القول الأول: منع التسلسل في الماضي والمستقبل، وهذا مذهب الجهمية، ولهذا يقولون بفناء الجنة والنار، وأنَّهما تفتيان، ولا يبقى شيء مخلوق.

القول الثاني: ومن العلماء مَنْ قال: بجواز التسلسل في الماضي والمستقبل، وقالوا: الذي جَوَّزه في المستقبل لا يمنع أن يكون جائزاً في الماضي؛ لأنَّ قوله ﷺ: «أنت الأول فليس قبلك شيء»، وأنت الآخر فليس بعدك شيء^(٢). على ميزان واحد، فإذا قلت بتسلسل الحوادث في المستقبل، فمعنى ذلك أَنَّ اللَّهَ تعالى إن تَسَلَّسَتِ الحوادثُ فهو بعدها، فكذلك هي في الماضي وإن تَسَلَّسَتِ فهو قبلها، وهذا كما أَنَّهُ مُقْتَضَى النصِّ، فهو أيضاً مُقْتَضَى العقل؛ لأنَّ الفعل لا يكون إلا بفعل، والمفعول لا يكون إلا بعد الفعل ومهما قلت بالتسلسل فلا بدَّ أَنْ يَكُونَ المخلوقُ بعد الخالق، وهذا لا يُنَافِي الأوليّة، ولأنَّنا لو قلنا بعدم التسلسل في الماضي لقلنا قبل أن يوجد الفعل يلزم أن يكون اللَّهَ مُعْطِلاً منه، فلماذا؟ هل هو كان غير قادر، ثم قدر أو كان غير مريد ثم أراد؟ إن قلت بالأول، وصفت اللَّهَ بالعجز، وإن قلت بالثاني فما دليلك على أَنَّ اللَّهَ لم يُرد أن يفعل حتى تقول: إن هذا شيء ممتنع؛ وأظنُّ هذا دليلاً واضحاً.

القول الثالث: جواز التسلسل في المستقبل دون الماضي، وهذا هو الذي عليه جمهور المتكلمين، فالمستقبل يجوز التسلسل فيه مثل الجنة والنار، إذا كانتا لا تفتيان فذلك معناه التسلسل إلى ما لا نهاية له، لكن في الماضي لا يجوز.

ولكن عند التأمل يتبين أن ما ذهب إليه شيخ الإسلام رحمه الله وجماعة من أهل العلم هو الصواب، فإنَّه إذا جاز التسلسل في المستقبل فما الذي يمنعه في الماضي، فالحديث والآية ألوزان فيهما واحد «أنت الأول فليس قبلك شيء»، وأنت الآخر فليس بعدك شيء» فهما متوازيان، فإذا جاز التسلسل في الآخرة جاز في الأوليّة، ولا شك.

ونقول بالطريق العقلي: إذا قلنا: إنَّه لا تسلسل في الحوادث، يلزم أن اللَّهَ تعالى قد أتى عليه وقت لم يفعل، فلماذا؟ إن قلت لعدم القدرة، وهو لازم له؛ لأنه إذا قال ممتنع. فمعناه أَنَّهُ غير قادر، وإن قلت بعدم القدرة لزم أن تصفَ الربَّ بالعجز، وإن قلت لعدم الإرادة صار الأمر ممكناً، وهذا

(١) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٤١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣١).

هو المطلوب؛ يَعْنِي: أَنَّهُ لَمْ يُرَدْ وَلَكِنْ لَوْ أَرَادَ لِحَصْلٍ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.
فهؤلاء يقولون: تسلسل الحوادث في الماضي ممتنع عقلاً ولا يمكن، وفي المستقبل جائز عقلاً
وممكن.

ونحن نقول: إِنَّه جائز في الماضي والمستقبل، والدليل في هذا واضح، الدليل على أَنه جائز في
الماضي جوازُه في المستقبل، إذ لا فرق، وهذه المسألة كما سبق من فضول العلم الذي غيره أهمُّ منه،
لكننا يجب أن نعتقد أَنَّ اللَّهَ فعَّالٌ لما يريدُ لم يزل، ولا يزال كذلك لم يزل ولا يزال فعَّالاً لما يريدُ، لكن
المخلوقات التي لم يُخْبِرْ عنها، وهي سابقةٌ أزليةٌ ما نعرفُ عنها شيئاً، هذه يجب أن نقول: لا نعلمُها
ولا نعلمُ ماذا خلقَ اللَّهُ قبلَ خلقِ السمواتِ والأرضِ، إنَّ كان هناك مخلوقٌ، لكن نعلمُ أَنَّهُ خلقَ القلمَ
قبلَ أن يخلقَ السمواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سنةٍ، وأنَّ هناك مخلوقاتٍ، ولكننا لم نُخْبِرْ عنها، فما
أُخْبِرْنَا عنه من المخلوقاتِ قبلَ خلقِ السمواتِ والأرضِ وجب علينا التسليمُ، وقُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ على كُلِّ
شيءٍ قديرٌ، وكما لا يستحيلُ دوامُ أفعاله في المستقبل فلا يستحيلُ دوامُ أفعاله في الماضي.

وأما استثناءُ الحافظ ابن حجرٍ لمذهبِ شيخ الإسلام في هذه المسألة فلا شكَّ أَنَّ شيخَ
الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ تكلَّم فيه ناسٌ في هذه المسألة مع أن الصوابَ معه، والحقُّ معه، لكنَّ بعضَ العلماءِ -
رحمةُ اللَّهِ عليهم- في مقام الردِّ يخلطون ردَّهم بالسبِّ لما عندهم من الغيرة على ما يَعتقدون أَنَّهُ باطلٌ،
وهذه زلةٌ من ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ نسألُ اللَّهَ أن يعفو عنه، وسيَلْتَقِي معه عندَ اللَّهِ ﷻ يفصلُ بينهما يومَ
القيامةِ.

ومن المستحسن أن تطلعوا على قصيدتين في أول منهاج السنة الطبعة القديمة ذكر فيها أحدُ
الأعداءِ لشيخ الإسلام مسائل كثيرة يشنُّ فيها على شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم جاء رجلٌ آخرٌ من
أهل الحقِّ فردَّ عليه وعلى قافية واحدة ووزن واحد.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤١٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ،
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةُ سَحَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَيَبْدُهُ الْأُخْرَى الْفَيْضُ - أَوْ الْقَبْضُ -
يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ» ^(١).

هذا الحديثُ سبقَ الكلامُ عليه وبيننا معنى قوله: «فإنَّه لم ينقص ما في يمينه» من هذا الإنفاق؛ لأنَّ
التقديرَ أَنَّ الإنفاقَ كان على أمرٍ خارجٍ، فإنَّه لو كان على أمرٍ خارجٍ فإنَّه لا ينقصُ اللَّهَ شيئاً مع أَنَّ الكلَّ

في ملك الله ﷻ، وإِنَّا قُلْنَا ذَلِكَ؛ لئَلَّا يَقُولَ قَائِلٌ: معلومٌ أَنَّهُ لا ينقصُ ما في يمينِهِ إِذَا أَنْفَقَ؛ لَأَنَّهُ إِنَّمَا يَنْفَقُ فِي مَلِكِهِ، فَهُوَ كَمَا لو أَنَّ الْإِنْسَانَ أَخْرَجَ الدَّرَاهِمَ مِنْ حَجَرَةٍ وَجَعَلَهَا فِي حَجَرَةٍ أُخْرَى، أَوْ مِنْ دُولَابٍ وَجَعَلَهَا فِي دُولَابٍ آخَرَ، فَإِنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ مَلِكِهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ فِي هَذَا نَقْصٌ لَكِنْ هُوَ عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّ الْإِنْفَاقَ كَانَ خَارِجًا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، الشَّاهِدُ لِلْبَابِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ».

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٤٢٠- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: جَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَشْكُو فَعَجَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقِ اللَّهَ، وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ». قَالَ أَنَسٌ: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا لَكُنَّ هَذِهِ. قَالَ: فَكَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ^(١). وَعَنْ ثَابِتٍ «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ» نَزَلَتْ فِي شَأْنِ زَيْنَبَ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ.

قَوْلُهُ: «قَالَ أَنَسٌ» فِي نَسْخَةٍ -عِنْدَنَا-: «قَالَ أَنَسٌ: قَالَتْ عَائِشَةُ»، وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: «قَالَتْ عَائِشَةُ».

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا: قَوْلُهُ: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ». وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ فَيَكُونُ اللَّهُ ﷻ فَوْقَ السَّمَوَاتِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَلْيُعْلَمَ أَنَّ هُنَاكَ اسْتَوَاءٌ وَعُلُوٌّ، فَالِاسْتَوَاءُ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ، وَبَيَّنَّا أَنَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ الْمَتَعَلِّقَةِ بِمَشِيتِهِ، أَمَّا الْعُلُوُّ فَإِنَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الْلازِمَةِ لَهُ، فَهُوَ دَائِمًا أَرْلًا وَأَبَدًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ».

وهذا الحديث: فِي قِصَّةِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَتَوْجُدُ رَوَايَاتٍ كَثِيرَةٌ رُوِيَتْ حَوْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ ضَعِيفَةٌ لَا تَصُحُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهِ وَلَا تَلِيْقُ بِمَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَصَحَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ أَنْ يُبْقِيَ زَوْجَتَهُ عِنْدَهُ وَلَمْ يُضْمِرْ فِي قَلْبِهِ إِلَّا أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ يُبْقِيهَا عِنْدَهُ، وَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَشُورَةُ فِي قَلْبِهِ أَشْيَاءَ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا، فَلَعَلَّهُ ﷺ خَافَ أَنْ يَطْلُقَهَا ثُمَّ يَتَزَوَّجَهَا الرَّسُولُ ﷺ فَيَكُونُ فِي هَذَا إِشْكَالٌ عِنْدَ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَتَهُ مِنْ تَبْنَاءٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ﷻ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لِلْخَلْقِ أَنَّ الْمُتَبَنَّى يَجُوزُ أَنْ يَتَزَوَّجَ زَوْجَةً مِنْ تَبْنَاءٍ قَالَ: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا»^(٢) وَطَلَّقَهَا رَغْبَةً عَنْهَا «زَوْجَتُكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا»^(٣) فَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَنْ طَلَّقَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَبِذَلِكَ زَالَتْ هَذِهِ الْمَشْكَلَةُ.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٢١- حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ بَحْمَى، حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ طَهْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَأَطْعَمَ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ خُبْرًا وَلَحْمًا وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ (١).
هذا كالأول فيه إثباتُ علوِّ الله ﷻ، وأهل السنَّة والجماعة يُثَبِّتُونَ علوَّ الله في ذاته وصفاته، ويقولون: إِنَّ العلوَّ نوعان: علوُّ ذاتٍ، وعلوُّ صفة.
أَمَّا علوُّ الذاتِ: فهو أَنَّهُ ﷻ فوقَ عبادِهِ.

وَأَمَّا علوُّ الصفاتِ: فهو أَنَّ جميعَ صفاته علويًّا، ليس فيها نقصٌ بوجهٍ من الوجوه، وأهل التعطيل أنكَرُوا الأول، وقالوا: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ عَالِيًا بِذَاتِهِ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ جَلٌّ وَعَلَا بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَالَهُ فِي الْأَرْضِ فِي السَّمَاءِ فِي الْبَرِّ وَفِي الْبَحْرِ وَفِي الْجَوِّ وَفِي الْمَسَاجِدِ وَفِي الْبُيُوتِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ حَالٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ الْحُلُولِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا بِذَاتِهِ فِي أَيِّ مَكَانٍ كُنَّا.

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْعُلُوَّ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ فَوْقَ وَلَا تَحْتُ وَلَا يَمِينُ وَلَا شِمَالٌ وَلَا مُتَصِلٌ وَلَا مُنْفَصِلٌ، فَقِيلَ لَهُمْ: هَذِهِ الْأَوْصَافُ أَوْصَافٌ لِلْمَعْدُومِ، لَوْ قِيلَ لَنَا: صِفُوا لَنَا الْمَعْدُومَ بِأَبْلَغٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ مَا وَجَدْنَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا مَعَ أَنَّهَا كَمَا تَرَوْنَ أَوْصَافًا سَلْبِيَّةً، وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ يَصِفُونَ اللَّهَ بِالْأَوْصَافِ السَّلْبِيَّةِ دُونَ الْإِيجَابِيَّةِ، أَمَّا أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ﷻ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْأَدْلَةَ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ ﷻ مُتَنَوِّعَةٌ، بَلْ جَمِيعُ أَصُولِ الْأَدْلَةِ تَشْهَدُ بِذَلِكَ، الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ، خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَدْلَةِ - وَلَا يَوْجَدُ سِوَى هَذِهِ الْأَدْلَةِ - كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ فَوْقَ عِبَادِهِ.

* فَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ، عَلَى وَجْهِ مُتَنَوِّعَةٍ مِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ وَ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [الشورى: ١٠] وَ ﴿سَيِّحُ أَسْمَرِكَ الْأَعْلَى﴾ [الأنعام: ١٠١] وَ ﴿تَسْتَجِيبُ الدُّعَاءَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ٥١] وَالْآيَاتُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الأنعام: ١] لِأَنَّ النُّزُولَ يَكُونُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ.

أَمَّا السَّنَةُ: فَكَذَلِكَ، جَاءَتْ بِأَنْوَاعِهَا الثَّلَاثَةِ - بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْإِقْرَارِ - تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

أَمَّا الْقَوْلُ: فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يَسْبُحُ اللَّهَ تَعَالَى فِي سَجُودِهِ وَيَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى» (١) وَالْأَحَادِيثُ عَنْهُ فِي إِثْبَاتِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

(١) انظر: ما أخرجه مسلم (١٤٢٨).

(٢) رواه مسلم (٧٧٢).

وأما الفعل: فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَشْهَدَ الْأُمَّةَ عَلَى إِبْلَاغِهِ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ، وَيَقُولُ: «أَلَا هَلْ بَلَغْتُ» قَالُوا: نَعَمْ، فِيرْفَعُ أَصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ^(١) هَذِهِ إِمَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ فِي الْعُلُوِّ، وَكَذَلِكَ مَدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ حِينَمَا اسْتَسْقَى، وَاسْتَصْحَى ^(٢)، هَذِهِ دَلَالَةٌ بِالْإِمَارَةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ.

وَأَمَّا الْإِقْرَارُ: فَهُوَ قَدْ أَقَرَّ الْجَارِيَةُ الَّتِي سَأَلَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «أَعَيْتُهَا فَإِنَّهَا مُؤَمَّنَةٌ» ^(٣). وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ: إِجْمَاعُ السَّلَفِ، فَقَدْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّهُ طَالَعَ مَا أُمَكَّنَهُ مِنْ كِتَابِ السَّلَفِ فَلَمْ أَجِدْ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ أَوْ أَنْكَرَ الْفَوْقِيَّةَ أَوْ الْعُلُوَّ ^(٤). وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَإِنَّا نَقُولُ: هَلِ الْعُلُوُّ صِفَةُ كِمَالٍ أَوِ السُّفْلُ هُوَ صِفَةُ الْكِمَالِ؟ الْجَوَابُ: الْأَوَّلُ فَإِذَا كَانَ الْعُلُوُّ صِفَةَ كِمَالٍ، وَكَانَ السُّفْلُ صِفَةَ نَقْصٍ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مُتَصِفًا بِالْكَمَالِ عَقْلًا.

وَأَمَّا الْفِطْرَةُ: فَظَاهِرَةٌ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ حِينَمَا يَذْكُرُ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ لَا يَجِدُ قَلْبَهُ يَتَطَلَّعُ أَوْ يَرْتَفِعُ إِلَّا إِلَى السَّمَاءِ، بِفِطْرَتِهِ بَدُونَ أَنْ يُلَقَّنَ، وَيَدُونَ أَنْ يَذُرَّسَ، حِينَمَا يَقُولُ: يَارَبِّ: يَجِدُ مِنْ قَلْبِهِ ضَرُورَةً لَطَلِبِ الْعُلُوِّ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفِطْرَةَ تَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ ﷻ، وَيَقَالُ: إِنَّ أَبَا الْمَعَالِي الْجَوِينِيَّ الْمَلَقَّبَ بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ كَانَ يَقَرُّ فَيَقُولُ: كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ أَوْ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءٌ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ. يَرِيدُ بِهَذَا أَنْ يَنْكَرَ اسْتَوَاءَ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَكَانَ الْآنَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ لَا يَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَقَرَّرَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ فَوْقَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا شَيْخُ دَعْنَا مِنْ ذِكْرِ الْعَرْشِ -يَعْنِي: أَنَّ الْاسْتَوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ دَلِيلُهُ السَّمْعُ لَا تَقْتَضِيهِ الْفِطْرَةُ، وَلَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا عَلِمْنَا بِهَذَا- وَلَكِنْ أَخْبَرْنَا عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ يَا اللَّهُ، إِلَّا وَجَدَ بِقَلْبِهِ أَوْ مِنْ قَلْبِهِ ضَرُورَةً لَطَلِبِ الْعُلُوِّ، مَا قَالَ الْإِنْسَانُ يَارَبِّ. إِلَّا وَجَدَ قَلْبَهُ يَرْتَفِعُ إِلَى السَّمَاءِ، فَصَرَخَ أَبُو الْمَعَالِي وَجَعَلَ يَضْرِبُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَقُولُ: حَيَّرَنِي الْهَمْدَانِيُّ، حَيَّرَنِي ^(٥)، يَعْني: أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَجِيبَ عَنْ هَذِهِ الْفِطْرَةِ فَتَبَيَّنَ الْآنَ أَنَّ أدلة العُلُوِّ خمسة أنواع: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ.

❦ قَوْلُهَا: «أَنْكَحْنِي اللَّهُ فِي السَّمَاءِ» وَقَوْلُ الْجَارِيَةِ: «فِي السَّمَاءِ» هَلِ هَذَا الْمَعْنَى. يَعْنِي عَلَى السَّمَاءِ؟

الْجَوَابُ: هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَوْجُودَةٌ فِي الْقُرْآنِ: «أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ» وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ «فِي»

(١) رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) رواه البخاري (١٠١٤، ١٠١٥)، ومسلم (٨٩٧).

(٣) رواه مسلم (٥٣٧).

(٤) انظر «تلييس الجهمية» (٤٥/٢).

(٥) أورد هذه القصة ابن أبي العز في شرحه على «العقيدة الطحاوية» (ص ٢٩١).

للظرفية، فإذا جعلناها للظرفية صار في هذا إشكال؛ لأنَّ الظرف يحيط بالمظروف، وهو أوسع منه، فالظرف أوسع من المظروف، إذا قلت: الماء في الكأس، أيها أوسع؟ الكأس؛ لأنه يحيط بالماء فيبقى في هذا إشكال، وأجاب أهل العلم عن ذلك بأحد وجهين:

الوجه الأول: أن تكون «في» للظرفية، والسماء بمعنى العلو؛ لأنَّ السماء تطلق على العلو في اللغة العربية، وفي القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ جعل الإنزال من السماء والمراد به هنا العلو قطعاً، لا السماء التي هي السقف المحفوظ، والدليل على هذا قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ أَلْبِلِ وَالْهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. ومعلوم أن المطر ينزل من السحاب: ﴿أَلَنْزَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [البقرة: ٤٣] وعليه يكون «في» للظرفية، والسماء بمعنى العلو، والعلو اللانهائي فوق السموات ولا إشكال في هذا.

والوجه الثاني: قالوا: إنَّ «في» بمعنى «على» وليست للظرفية، والسماء هي السموات، وحيث نحتاج إلى شاهد يُؤيد به القول بأنَّ «في» بمعنى «على»، فاستشهدوا لذلك بقول فرعون للحرورية ﴿وَأَصْلَيْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] في جدوع النخل؛ يعني: على جذع النخل؛ لأنه ليس المعنى أنه يشق الجذع ثم يصلب الرجل فيه، بل يصلبه على الجذع، وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾. أي: عليها؛ لأنَّ ديار المُكذِّبين نشاهدوها على سطح الأرض، وليست في جوفها وبهذا يزول الإشكال.

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٢٢- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»^(١).

قوله: «كتب عنده فوق عرشه: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» وهذه الكتابة فرضها الله ﷻ على نفسه، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٥٤].

والشاهد في هذا الحديث قوله: «عنده فوق عرشه».

وفيه من الصفات: الرحمة والغضب، واعلم أن الرحمة المضافة إلى الله تنقسم إلى قسمين رحمة مخلوقة، ورحمة هي صفته غير مخلوقة.

فالرحمةُ المخلوقةُ سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها مِن آثارِ الرحمةِ، وهي محلُّ الرحمةِ، ومسكنُ الرِّهَاءِ، وتلك هي الجنةُ، حيثُ قالَ اللهُ لها: «أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ»^(١). هذه الرحمةُ التي أضافها اللهُ إلى نفسه رحمة مخلوقة.

وأما الرحمةُ التي هي صفتهُ، وهي غيرُ مخلوقةٍ، تنقسمُ أيضًا إلى قسمين: عامةٍ وخاصةٍ؛ فالعامةُ: هي الشاملةُ لجميعِ الخلقِ، حتى الكافرِ يدخلُ في رحمةِ اللهِ يَرْزُقُهُ اللهُ ﷻ معاشًا ومسكنًا، وقوةً في بدنه، وفي عقله، كلُّ هذا مِن الرحمةِ، ينعمُ عليهم بأنواعِ النعم، إنزالُ المطرِ، وإنباتُ النباتِ، وما أشبه ذلك، هذه رحمةٌ عامةٌ للمؤمنين وللكافرين، وهي رحمةٌ دنيويةٌ، قاصرةٌ في ذاتها وفي زمنها وفي موضعها.

القسمُ الثَّاني: الرحمةُ الخاصَّةُ وهي خاصَّةٌ بالمؤمنين، وهذه رحمةٌ تتصلُّ بها رحمةُ الآخرةِ، فيُرحمُ المؤمنون في الدنيا وفي الآخرةِ.

فإنَّ قالَ قائلٌ: هذه الرحمةُ التي جعلها اللهُ ﷻ في قلوبِ المخلوقاتِ، فتجدُ أنَّ الإنسانَ يرحمُ الضعيفَ مِنَ الصغارِ والشيوخَ والعجائزَ والمرضى، ويرحمُ الدوابَّ والبهائمَ، وكذلك الدوابُّ فيما بينها تتراحمُ، فنقولُ: هذه الرحمةُ صفةٌ للراحمِ، مَنْ هذا الراحمُ؟ هو المخلوقُ، والمخلوقُ وصفاتهُ مخلوقةٌ، فالرحمةُ التي وضعها اللهُ في قلوبِ البشرِ وغيرِ البشرِ، هذه رحمةٌ مخلوقةٌ؛ لأنَّها وصفٌ لا اللهُ، ولكن للراحمِ، ولهذا جاءَ في الحديثِ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ» «ومن لا يرحمُ لا يرحمُ»^(٢). لكن هذه رحمةٌ مخلوقةٌ لا تتعلَّقُ بصفةِ اللهِ ﷻ، وإنَّما هي مِن خلقِ اللهِ في عبادِ اللهِ.

وفي الحديثِ: إثباتُ الغضبِ، والغضبُ وصفٌ يحصلُ بفعلٍ ما يكرهه الغاضِبُ، حيثُ يشعرُ بالقدرةِ على الانتقامِ فهو وصفٌ انفعاليٌّ لا فعليٌّ، يحصلُ إذا وجدَ ما يكرهه الغاضِبُ مع شعوره بالقدرةِ على الانتقامِ، الحزنُ أو الحُزْنُ قريبٌ منه لكنَّه يحصلُ مِنَ الحازِنِ لعدمِ قدرتهِ على الانتقامِ، فالفرقُ الآنَ بينَ الحُزْنِ وبينَ الغضبِ، أنَّ الغاضِبَ يشعرُ بالقدرةِ على الانتقامِ، والحازِنُ لا يشعرُ بذلك بل يشعرُ بالضعفِ وعدمِ القدرةِ، ولهذا لا يوصفُ اللهُ بالحزنِ، ويوصفُ بالغضبِ وغضبُ اللهِ ﷻ هو صفةٌ مِن صفاتهِ الفعليةِ؛ لأنَّه يتعلَّقُ بمشيئتهِ، وقد سبقَ لنا القولُ بأنَّ كلَّ صفةٍ ذاتٍ سببُ فإنَّها مِن الصفاتِ الفعليةِ، وهو حقيقيٌّ، لكنَّ أهلَ التعطيلِ أنكروا هذه الصفةَ؛ لأنَّها صفةٌ فعليةٌ، وقد سبقَ أنَّهم يُنكرونها جميعَ الصفاتِ الفعليةِ بحجةِ أنَّ الصفاتِ الفعليةَ حادثةٌ، والحادثُ لا يقومُ إلَّا بحادثٍ، وقد بيَّنا بطلانَ ذلك، هم أيضًا أنكروها مِن وجهٍ آخرَ، قالوا: إنَّ الغضبَ غليانُ دمِ القلبِ؛ لطلبِ الانتقامِ، واللهُ منزَّهٌ عن ذلك فنقولُ: هذا الغضبُ الذي وصفتُموه

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) رواه البخاري (٧٣٧٧)، ومسلم (٩٢٣).

بهذا الوصف غضبُ المخلوق، أما غضبُ الخالق فإنه لا يماثل غضبَ المخلوق. ويقولون: نحن نُقَسِّرُ الغضبَ بأحد أمرين: إمَّا بإرادة الانتقام أو بالانتقامِ نفسه؛ لأنهم يثبتون الإرادة لله، أو بالانتقام لنفسه لأن الانتقام فعل منفصل. الانتقام أداة منفصلة عن الله ليس من صفاته، حاصل من الإرادة والقدرة، لأن المرید القادر هو الذي يقدر على أن يتقمم، ولهذا فسروه إمَّا بإرادة الانتقام أو الانتقام نفسه، وسبق لنا بيان بطلان هذا التفصيل، وقلنا: إن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٥٥] تردُّ هذا التفصيل؛ لأنه جعل الانتقام غير الأسف غير الغضب، والأسف هنا بمعنى الغضب، ثم نقول لهم: إن إرادة الانتقام إنما تكون عند القدرة على الانتقام وبذلك يحصل الغضب في الغالب، فما المانع من أن يوصف الله بذلك وهو صفة كمال إذا وُجِدَ سببه.

٧٤٢٣- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنِي هِلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجِرًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وَلَدَ فِيهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(١).

الشاهد من هذا قوله: «أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه -وفي رواية بالرفع (فوقه)- عرش الرحمن، ومنه -أي من الفردوس- تفجر أنهار الجنة».

هذا الحديث فيه: فوائد فقهية وفوائد عقدية:

الفقهية: قوله ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ - كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ». ولم تذكر الزكاة والحج مع أنها من أركان الإسلام ولا بد منها، ومن لم يترك فإنه على خطر، وإن كان الصحيح أنه لا يكفر لكنه على خطر، وكذلك الحج ذهب كثير من العلماء إلى أن من لم يحج مع قدرته فهو كافر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [التوبة: ٩٧]. ولعل الراوي نسي فحذفها وإلا فلا بد من ذكرهما.

وكذلك من المسائل الفقهية:

أن الإنسان إذا كان في بلد كفر وقدر على أن يقوم بدينه، فإنه لا تجب عليه الهجرة، لكن إذا لم يقدر على إظهار دينه وجب عليه أن يهاجر، وهذا هو الصحيح أن الهجرة باقية إلى أن تقوم الساعة؛ لقول النبي ﷺ: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».

مغربها»^(١). وأما مَنْ قال من أهل العلم: إن الهجرة انقطعت بفتح مكة؛ لقول النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»^(٢). وقال: إن هذا ثابت في الصحيحين بخلاف الأول، فيقال: إننا لا نحتاج إلى الترجيح إلا حيث تعذر الجمع، فإذا أمكن الجمع آمنّا بالدليلين جميعاً، ويكون معنى قوله: «لا هجرة بعد الفتح»؛ أي من مكة، ولكن جهاداً وعلم، أما من غير مكة فمتى وجد السبب الموجب للهجرة فإن الهجرة تجب.

وفيه من المسائل العقدية: أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، وهل هذا الحديث يدل على أنه ليس في الجنة إلا مائة درجة؟

الجواب: لا، يدل على أن في الجنة مائة درجة للمجاهدين في سبيل الله، على حسب مراتبهم، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض. وما أعظم ما بين الدرجتين!! كما بين السماء والأرض، مائة اضربها في ما بين السماء والأرض، فإنها تبلغ عدداً كبيراً، لكن الجنة واسعة وأفقها واسع وبعيد وعميق.

ومما يستفاد من الحديث: أن الإنسان إذا سأل الله أن يسأل الأكمل والأعلى. لأن فضل الله واسع، ولا يحقرن نفسه، فيقول: لست بأهل لذلك، بل يسأل مُتَمَتِّهِ رغبته، ويأخذ بالأكمل فالأكمل، لقوله: «سلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة».

ومنها: أن الجنة مثل الخيمة؛ وذلك لأن الفردوس وسط الجنة وأعلى الجنة، ولا يكون وسطاً وأعلى إلا إذا كان مثل القبة؛ لأنه لو كان مُسَطَّحاً لم يكن وسط الجنة، بل يكون أعلى الجنة أو فوق الجنة، ولكنه ليس هو الوسط، فالوسط الأعلى لا بد أن يكون مثل القبة. وكما جاء في الحديث أن عرش الله ﷻ على سماواته مثل القبة^(٣) وبه يتبين أن هذا الكون السموات والأرضين أنها مكورة، يعني: بعضها محيط بالثاني من كل جانب.

ومن فوائد الحديث: أن عرش الله ﷻ هو سقف هذه الدرجة أو هذا المكان من الجنة الذي هو الفردوس؛ لأن قوله: «وفوقه عرش الرحمن». لولا أنه هو السقف لكان الذي فوقه هو سقفه، ولا سيما على رواية الرفع (فوقه) عرش الرحمن، بأنه صريح؛ لأن عرش الرحمن بمنزلة السقف للفردوس.

٧٤٢٤- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ -هُوَ التَّمِيمِي-

(١) رواه أبو داود (٢٤٧٩)، وأحمد (٩٩/٤) والبيهقي (١٧/٩)، والدارمي (٣١٢/٢)، وصححه الشيخ الألباني كما في تعليقه على سنن أبي داود؛ وانظر: «إرواء الغليل» (٣٣/٥)، (١٢٠٨).

(٢) رواه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٣٩/١) والآجري في الشريعة (٦٨٦) وقد انتصر للحديث ابن القيم رحمه الله في «تهذيب سنن أبي داود» ورد على من طعن في سنده. انظر: حاشيته «عون المعبود» (١١/١٣) «تهذيب سنن أبي داود».

عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فَلَمَّ غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ؟» قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّمَا تَذْهَبُ تَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا﴾ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ ^(١).

الشاهد قوله: «فإنما تذهب تستأذن في السجود.... إلى آخره». في بعض الروايات: «تسجد تحت العرش»، والبخاري لم يأت في هذا اللفظ. وهذا من تصرفاته الكثيرة رحمته أنه يأت بالحديث وإن لم يوجد له الشاهد لأجل أن يعتني الطالب بالبحث عن اللفظ الآخر الذي فيه ذكر ما يكون شاهداً للباب، أحياناً يكون الحديث قد ورد في الصحيح نفسه، وكأنه يقول: أرجع ابحث في الصحيح حتى تجد اللفظ الذي يكون شاهداً للترجمة وأحياناً لا يكون في الصحيح، لأنه ليس على شرطه، وهذا رحمته من حسن تصرفه في التأليف؛ لأن هذا يشد الطالب على البحث والمناقشة.

وفي هذا الحديث: دليل واضح على أن الشمس هي التي تجري في الأفق وتدور على الأرض؛ لأنه قال: أين تذهب؟ فأسند الذهاب إليها، والأصل أن إسناد الفعل لمن قام به على وجه الحقيقة لا على وجه المجاز، وكذلك في القرآن ﴿وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِ هَذِهِ ذَاتِ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [التكوير: ١٧]. فهذه أربعة أحوال كلها مضافة إلى الشمس ﴿إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ﴾، ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ﴾. وكذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [٣١] ﴿قَدْ قِيلَ: ٣٢﴾ أي تغطت به، كل هذه النصوص ظاهرها أن الشمس هي التي تدور على الأرض، وهذا ما نعتقده إلى الآن، ولم يتبين لنا شيء نستطيع أن ندفع به هذه الظواهر ويكون حجة لنا عند الله عز وجل، فالواجب علينا أن نأخذ بهذه الظواهر، وإن كان عند بعض الناس الآن ما هو كالمحسوس، بأن الشمس لا تدور على الأرض، وأما تعاقب الليل والنهار إنما هو بدوران الأرض، يرون ذلك عندهم من الأمور اليقينية التي لا إشكال فيها.

فنحن نقول: يجب أن نتمسك بظاهر القرآن والسنة حتى يتبين لنا أن الأمر على خلاف ذلك مما يسوغ لنا أن نخرج النصوص عن ظواهرها إلى هذا المعنى الذي تيقناه؛ لأن دلالة النصوص، أو دلالة ظواهر النصوص على الحكم دلالة ظنية لا شك، ولهذا نقول: ظاهر القرآن وظاهر السنة في هذا الموطن ليس بصريح ولكنه ظاهر وقوي كالصريح، فلو فرض أن الناس تيقنوا أن الشمس لا يحصل بها اختلاف الليل والنهار.

قلنا: إنه يمكن أن تصرف هذه الظواهر إلى معنى لا يخالف الواقع؛ لأن القرآن لا يمكن أن يخالف الواقع، فنقول: «إذا طلعت» في رأي العين، «إذا غربت» في رأي العين، «تزاور» في رأي العين «تقرض» في رأي العين «تذهب» في رأي العين، إنما الواجب علينا الآن ما دامت المسألة لم تكن

يقينية، الواجب أن نأخذ بظواهر الكتاب والسنة.

وأيضاً في المسألة هذه إشكال: وهي أن الشمس تغرب في الأفق في كل لحظة، كل لحظة تغرب، ليس كذلك؟! لأنها تدور، فإذا غربت عنا في الحال غربت عن مَنْ بعدنا، فهي دائمة طالعة غاربة، فمتى يكون السجود؟

قلنا: الواجب علينا أن نؤمن بما أخبر به الرسول ﷺ، وألا نقول: كيف؟ ولا نقول: لِمَ؟ نقول: -الله أعلم-، وجائز أن تكون دائماً في سجود كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الزمر: ١٨]. جائز أن تكون دائماً في سجود، وما المانع من ذلك إذا كانت الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فلا غرابة أن تكون الشمس دائماً في سجود، أو يقال: إنها تسجد إذا غابت عن هذه المنطقة من الأرض فالتى تحدث فيها الرسول ﷺ فقط، وأما سجودها إذا غابت عن بقية الأراضي -فالله أعلم-، وبهذا تتخلص من هذا الإشكال الذي طعن فيه العقلاء أو العقلانيون -كما يقولون- في هذا الحديث؛ لأن الذين يرجعون إلى عقولهم يسهل عليهم جداً أن يردوا الحديث بل أن يردوا النصوص، إن كان مما يمكن الطعن فيه رأساً وردّه، وقالوا: هذا خبر آحاد، فلا يمكن أن نحكم على العقل وإن كان مما لا يمكن رده مثل القرآن أو المتواتر من السنة حرقوه إلى معنى آخر يوافق ما يدعون أنه العقل وهذا غلط عظيم، لأن الأمور الغيبية أكبر من أن يدركها العقل وإذا لم يسلم حصل لنا إشكالات كثيرة، أرايتم الشمس يوم القيامة تدنوا من الخلائق قدر ميل ويعرق الناس وهم في مكان واحد على قدر أعمالهم منهم من يبلغ العرق إلى كعبه، ومنهم من يبلغ إلى ركبته، ومنهم من يبلغ إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق، هل هذا يمكن في هذه الدنيا، أن يكون أناس في مكان واحد ويكون العرق يبلغ بهم هذا المبلغ المتفاوت؟

الجواب: لا، لكن في أمور الغيب أمور لا يكون فيها إلا التسليم فقط، نقول: سمعنا وآمنا وصدقنا، وليس هذا شيء أمامنا حتى نعرفه؟ هذا في علم الغيب، إذا أخبر به الصادق وجب قبوله والاستسلام له.

٧٤٢٥- حَدَّثَنَا مُوسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ ابْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ حَدَّثَهُ قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ فَتَبَعْتُ الْقُرْآنَ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. حَتَّى خَاتَمَةَ بَرَاءَةٍ. حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بَكْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ بِهَذَا، وَقَالَ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ.

آخر السورة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]. هذا هو الشاهد في الحديث، وزيد بن ثابت رضي الله عنه أحد النفر الذين كلفهم أبو بكر وعمر

أَنْ يَتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَيَجْمَعُوهُ وَهَذَا هُوَ الْجَمْعُ الْأَوَّلُ لِلْقُرْآنِ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَمَا جَمَعَ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّمَا كَانَ جَمَعَهُ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَهِيَ لُغَةُ قُرَيْشٍ وَكَانَ فِي الْأَوَّلِ يَقْرَأُهُ النَّاسُ بِلُغَاتِهِمْ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ» ^(١). فَلَمَّا كَانَ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاتَّسَعَتِ الْأَفَاقُ وَانْتَشَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَصَارَ بَعْضُهُمْ يَقْرَأُ بِهَذَا وَبَعْضُهُمْ يَقْرَأُ بِهَذَا، خَافَ عُثْمَانُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنْ تَقَعَ فِتْنَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَشَارَ الصَّحَابَةَ وَجَمَعَهُمْ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ لُغَةُ قُرَيْشٍ ^(٢) وَلَيْسَتْ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ هِيَ الْحُرُوفُ السَّبْعَةُ، بَلِ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ كُلُّهَا عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ لُغَةُ قُرَيْشٍ، فَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- عَلَى ذَلِكَ وَحَصَلَ بِهَذَا خَيْرٌ كَثِيرٌ.

وَلَكِنْ إِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خَزِيمَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ وَاحِدٌ، فَكَيْفَ اعْتَمَدَ الصَّحَابَةُ عَلَى نَقْلِ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

قُلْنَا: اعْتَمَدُوا عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَبَا خَزِيمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَعَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

الشَّيْءُ الثَّانِي: أَنْ تَلْقِيَ الصَّحَابَةَ لَهُ بِالْقَبُولِ كَافٍ فِي ثُبُوتِهِ، وَالصَّحَابَةُ اعْتَمَدُوهُ قِرَاءَتًا.

الشَّيْءُ الثَّلَاثُ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ^(١) [الْبَقَرَةُ: ١٠٥]. وَمُحَالٌ أَنْ يُزَادَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ أَوْ يُنْقَضَ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَمْ يَبَيِّنْهُ اللَّهُ بِأَيِّ وَسِيلَةٍ، فَكُونَ هَذِهِ الْآيَاتُ تَكُونُ عِنْدَ أَبِي خَزِيمَةَ وَيَتَلَقَّاها الصَّحَابَةُ بِالْقَبُولِ وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ مَا يُنْكَرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ دَلِيلٌ عَلَى ثُبُوتِ ذَلِكَ، وَبِهَذَا نَعْرِفُ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مَكْذُوبٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. وَكَذَلِكَ مُخَالَفٌ لِسَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُضَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَاهُ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ^(٢) [النِّسَاءُ: ١١٥]. فَالْقُرْآنُ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- مُحْفُوظٌ لَمْ يُنْقَضْ فِيهِ شَيْءٌ وَلَمْ يُزَدْ فِيهِ شَيْءٌ، يَوْجَدُ فِي بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ حَذْفٌ وَآوُ مَثَلًا تُحْذَفُ الْوَائِي مِنْ بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَةِ وَهَذَا لَا يَضُرُّ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ اتَّفَقُوا عَلَى تَلْقِي هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ بِالْقَبُولِ حَتَّى مَا حُذِفَ مِنْهَا حَرْفٌ، لَكِنْ مَا أَجْمَعَ الْقُرَّاءُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِنْكَارُ شَيْءٍ مِنْهُ أَبَدًا. -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-.



٧٤٢٦- حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» ^(١).

(١) رواه البخاري (٧٥٥٠)، ومسلم (٨١٨).

(٢) رواه البخاري (٤٩٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٣٠).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «رب العرش العظيم»، قوله: «رب العرش الكريم». فقد وصف العرش بوصفين:

أولاً: العظم، والثاني: الكرم، وليس المراد بالكرم: البذل والعطاء؛ لأن العرش لا يبذل ولا يعطي، لكن المراد به الحسنُ والبهاءُ، وهذا كقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه اليمن، قال: «إياك وكرائم أموالهم»^(١)؛ يعني: لا تأخذ من الزكاة الحسن من المال، وعلى هذا فيكون العرش عظيماً في حجمه وكراماً في صفته ومنظره، وهذا الدعاء يقوله الإنسان إذا أصابه كرب، سواء من الدنيا أو من الآخرة؛ يعني: من أعمال الدنيا أو من أعمال الآخرة، إذا أصيب الإنسان بالكرب فليدع بهذا الدعاء كما كان النبي ﷺ يدعو به، وفائدته: أنه يُزيل الكرب أو يُخفف الكرب.

٧٤٢٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَضَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخِذُ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ»^(٢).
٧٤٢٨- وَقَالَ الْهَاجِسُونُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ إِذَا مُوسَى أَخِذَ بِالْعَرْشِ»^(٣).

الشاهد قوله: «بقائمة من قوائم العرش». فهذا يدل على أن العرش له قوائم وعليه فيكون العرش محدوداً لكنه ليس صغيراً، بل هو كبيرٌ وعظيمٌ كما وصفه الله ﷻ بذلك.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٣- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تَتَرَجَّعُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٢٠٨].
وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [الشورى: ١٩]. وَقَالَ أَبُو جَمْرَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعُثُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِأَخِيهِ: اعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَالَ مُجَاهِدُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ يُقَالُ ذِي الْمَعَارِجِ: الْمَلَائِكَةُ تَتَرَجَّعُ إِلَى اللَّهِ.

هذا الباب ذكره بعد ذكر الاستواء على العرش؛ لأن الاستواء على العرش علوٌ خاصٌ، وهذا الباب للعلو العام الشامل لكل شيء، الله -جلّ وعلا- عالٍ على كل شيء علوًا عامًا شاملاً، والعلو له أدلة أشرنا إليها فيما سبق، منها: ما ترجم به البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿تَتَرَجَّعُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾. الملائكة: جمع ملك، وأصله ملاك، وأصل ملاك مألوك، فهي حولت ثلاث مرات، لأنها

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٧٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٧٤).

مشتقة من الألوكة وهي الرسالة، والملائكة رسل، كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَٰئِكَ أَجْنَحٌ﴾ [طه: ١]. ففيها:

قلب مكاني، أصل ملائكة مألوك؛ لأنه من الألوكة، الهمزة مُقَدَّمة، ثم حُذفت الهمزة تخفيفاً فقيل: مَلَكٌ والجمع ملائكة. والملائكة عالمٌ غيبي خلقهم الله ﷻ من نور وجعل وظائفهم متنوعةً مختلفةً، وهم صُمِّدٌ لا يحتاجون لأكل ولا شرب، ولا يتبولون ولا يتغوطون؛ لأنهم صُمِّدٌ ليس لهم أجواف - كما قرر ذلك أهل العلم.

❖ وأما قوله ﷻ: ﴿تَمْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾. فالمراد تصعدُ إلى الله؛ لأن العروجَ معناه: الصعود، والصعودُ لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى. ففي هذا: دليلٌ على علوِّ الله ﷻ.

❖ وفيه: دليلٌ على كمال ملكوته وعظيم سلطانه حيث كان هؤلاء الرسل الملائكة العظام يصعدون إلى الله ﷻ.

❖ وأما قوله: ﴿وَالرُّوحُ﴾. فيُحتمل أن يكون المرادُ بها جبريل، كما قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١٣] عَلَى قَلْبِكَ [الشورى: ١٩٣-١٩٤]. ويحتمل أن يكون المرادُ بها: أرواحُ بني آدمَ تعرج إلى الله ﷻ بعد الموت ثم إن كانت صالحةً فتحت لها أبواب السماء، وإلا أغلقت أبواب السماءَ دونها وطُرحت على الأرض - والعياذُ بالله -.

❖ وقوله - جل ذكره -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، ﴿إِلَيْهِ﴾. إلى مَنْ؟ إلى الله ﷻ ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾. الكلم: اسم جمع للكلام، والمرادُ بالكلم الطيب كل كلام يُقرب إلى الله ﷻ فهو كلمٌ طيبٌ، أعظمه كلامُ الله ﷻ ثم الذكر، ثم الأمر بالمعروف، فهو درجاتٌ، لا تستطيع أن ترتبها، لكن المرادُ بالكلم الطيب كل كلام يُقربُ إلى الله ﷻ فهو يصعدُ إلى الله، ولا يكون كلمًا طيبًا إلا إذا كان مبنياً على الإخلاص وعلى المتابعة؛ لأن ما لا إخلاصَ فيه فليس بطيبٍ وما لا متابعةَ فيه فليس بطيبٍ أيضاً.

❖ وقوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. اختلف العلماءُ في فاعل يرفع، فقيل: الفاعل هو الله؛ يعني: أن الله يرفعُ العملَ الصالحَ، وقيل: إن المرادَ به أن العملَ الصالحَ يرفعُ الكلمَ الطيبَ فيكونُ فاعلُ الرفع هو العملُ الصالحُ، والأقرب الأول: أن الله ﷻ، يرفعُ العملَ الصالحَ، فإنه لما ذكر القول أنه يصعدُ إلى الله ﷻ بين أن العملَ الصالحَ أيضاً يُرفع عند الله ﷻ، ويجزه يوم القيامةِ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة.

ثم ذكر الأثر أثر أبي ذر أنه قال لأخيه: اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبرُ من السماء، «من» هذه لا ابتداءً الغاية؛ لأن من السماء إلى الأرض، والخبر الذي يأتي الرسول ﷺ هو الوحي، فإذا كان من السماء كان الموحى به في السماء، فيكون في هذا دليلٌ على علوِّ الله ﷻ، وقال

مجاهدٌ: «العمل الصالح يرفع الكلم الطيب» وهذا أحد التفسيرين في الآية وعليه يكون فاعل الرفع العمل الصالح.

❁ وقوله: «يقال: ذي المعارج، الملائكة تعرج إلى الله». يشير إلى آية سورة المعارج، ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿١﴾ مِنْ أَمْرِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴿٣﴾﴾ [المعارج: ٢-٤]. فهذا معنى قوله: «ذِي الْمَعَارِجِ»؛ أي أن الملائكة تعرج إلى الله ﷻ، وهذا نظير قوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [الشورى: ٢٥]. يعني: أن الله ﷻ رفيع الدرجات نفسه، ومن قال: إن معناها: رافع الدرجات فقد أخطأ، لأن هذه صفة مشبهة أضيفت إلى الفاعل؛ يعني: أن درجاته رفيعة ﷻ.

٧٤٢٩- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»^(١).

❁ الشاهد من هذا الحديث قوله: «ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم»؛ يعني: الله ﷻ «وهو أعلم بهم».

أولاً: في هذا الحديث إشكال لغوي، وهو قوله: «يتعاقبون فيكم ملائكة»، والمشهور في لغة العرب أن علامة الجمع لا تلحق الفعل إذا كان الفاعل ظاهراً، فيقال في هذا: يتعاقب فيكم ملائكة، هذه اللغة الفصحى، والواو هنا في قوله: «يتعاقبون» حرف دال على الجمع وليس فاعلاً، بل الفاعل: ملائكة، وقد اختلف النحويون في تخريج هذه اللغة فقليل: إنها شاذة.

والشاذ يقول العلماء: إنه يُحفظ ولا يُقاس عليه بمعنى نحفظه من كلام العرب ولكننا لا نتكلم بمثله؛ لأنه شاذ، وقيل: بل هو لغة لكنها رديئة وقليلة، وعلى هذا فيمكن أن نتحدث بمثلها، لكن نقول للمتحدث بمثلها: أن هذه اللغة رديئة، وقيل: بل الفاعل هو ضمير يتعاقبون وما بعده بيان؛ يعني عطف بيان أو بدل. فأبهمه أولاً ثم بيّنه ثانياً؛ لأن البيان بعد الإبهام يأتي إلى القلب وهو متطلع لمعرفة هذا المبهم.

فمثلاً: «يتعاقبون فيكم»، سيقول الإنسان: من هؤلاء الذين يتعاقبون؟ فإذا قلنا: الملائكة فبيّن بعد الإبهام صار هذا أوقع في نفس السامع ولعل هذا أقرب ما يقال.

فأقرب ما يقال: أن الواو فاعل، وملائكة عطف بيان أو بدل، ونظيرها قوله تعالى: ﴿فَمَسُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٧١]. فقال: عموا وصموا على سبيل الإبهام، ثم قال ﴿كَثِيرٌ

يَتَنَهُمْ ﴿١﴾. لَثَلَا يُظَنُّ أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُمُوا وَصَمُوا. هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

الثانية: في هذا الحديث: أن هؤلاء الملائكة يجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ولهذا حث النبي ﷺ على المحافظة عليها، وقال: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)، وقال حين تحدث عن رؤية المؤمنين لربهم، قال: «فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا، فَأَعْمَلُوا، فَهَاتَانِ الصَّلَاتَانِ هُم طَرَفَا النَّهَارِ»، وفيها فوائد: منها: أن الملائكة الموكِّلين بنا يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر. ومن فوائد هذا الحديث:

التنويه لهؤلاء المصلين، لأن سؤال الله للملائكة ليس سؤال استفهام للعلم، بل هو ﷻ، أعلم، لكنه سؤال استفهام للرفع من شأنهم، والتنويه بفضلهم.

٧٤٣٠- وَقَالَ خَالِدُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ». وَرَوَاهُ وَزْقَاءُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ «وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ».

هذا أيضًا فيه: ذكر العلو المستفاد من قوله: «ولا يصعد إلى الله إلا الطيب»، والصعود يكون من أسفل إلى أعلى، وهذا الحديث روي بهذا اللفظ كما قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وروي: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبُ». أيها أعم؟
الجواب: أعم، لأننا نقول: إن الشيء قد يكون خبيثًا بكسبه، وقد يكون خبيثًا بعينه، فلو تصدق الإنسان بكأسٍ من خمرٍ، فهنا نقول: هذا يكون تصدق بشيءٍ غير طيب لا من كسبه، ثم خمره، بعد هذا يكون قوله: «من طيب»، أعم من قوله: «من كسب طيب»، ليشمل ما كان طيبًا في كسبه وما كان طيبًا في عينه.

وقوله: «لا يقبل الله إلا الطيب»، ظاهره أن الله لا يقبل إلا الطيب، ولو كان الإنسان جاهلاً به، وهو كذلك، لكن الإنسان يُثَاب على نيته.
وفي هذا الحديث أيضًا: من صفات الله إثبات اليمين لله، «فإن الله يتقبلها بيمينه».

٧٤٣١- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ حَمَادٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ،

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهِنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(١).
يوجد فرق بين هذا الحديث والذي سبق، هنا قال: العظيم الحليم، وهناك قال: العليم الحليم.

٧٤٣٢- حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَعْمٍ - أَوْ أَبِي نَعْمٍ، شَكَّ قَبِيصَةُ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: بُعِثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذَهَبِيَّةٍ فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ، وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَعْمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَعَثَ عَلَيَّ وَهُوَ فِي الْيَمَنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذَهَبِيَّةٍ فِي تَرْبَتِهَا فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي مُجَاشِعٍ، وَبَيْنَ عُبَيْتَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ، وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ ابْنِ عَلَانَةَ الْعَامِرِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ، وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ، ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ؛ فَتَغَيَّظَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ فَقَالُوا: يُعْطِيهِ صَنَادِيدُ أَهْلِ نَجْدٍ وَيَدْعُونَا! قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا لَفْهُمْ» فَأَقْبَلَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِيءُ الْجَبِينِ، كَثَّ اللَّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ، مَخْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اتَّقِ اللَّهَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتَهُ، فَيَأْمُنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي» فَسَأَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ قَتْلَهُ - أَرَاهُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ - فَمَنْعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضَنْضِي هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ لِيُنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَا قَتْلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»^(٢).

الشاهد من هذا الحديث: ما أشار إليه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو قوله: «فيأمنني على أهل الأرض، ولا تأمنوني»، فإن في بعض ألفاظه ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، وكعادة البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، يذكر سياقاً يُشير به إلى سياق آخر.

والشاهد من هذا: قوله: «وأنا أمين من في السماء»، أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله في السماء أي فوق السماء، وأهل التعطيل يقولون: في السماء ملكه وسلطانه، فيفسرون قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْكَ كَثْرَتُ السَّمَاءِ﴾ [الزمر: ١٦]، على النحو التالي: أأنتم من في السماء ملكه وسلطانه، ولا شك أن هذا خروج عن ظاهر اللفظ، وأنه يؤدي إلى معنى فاسد وهو أنه لا ملك ولا سلطان لله في الأرض مع أن الله تعالى ملكه في السماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزمر: ٢٨]، إله لمن في الأرض، وإله لمن في السماء، وسبق لنا جواب على إشكال ورد وهو كيف نُخْرِجُ قوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، هل نجعل «في» ظرفية، أو نجعلها بمعنى «على»؟ وذكرنا عن ذلك جوابين:
الجواب الأول: أن نجعل السماء هنا بمعنى العلو وحيث نَجْعَلُ «في» للظرفية.

(١) أخرجه ومسلم (٢٧٣٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٤).

والثاني: أن نجعل السماء؛ يعني: السموات التي هي السقف المحفوظ وحينئذ يتعين أن تكون «في» بمعنى «على».

وفي هذا دليل: على أن الخروج على الإمام من دأب الخوارج؛ لأن الرسول ﷺ أخبر بأنه يكون موضوع لهذا الرجل أي: من سمته وشكله قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية - نسأل الله العافية -، فمروق السهم من الرمية سريع جدًا، السهم إذا ضرب الرمية خرقها ثم خرج من الجانب الآخر بسرعة، فهؤلاء كذلك يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ثم ذكر وصفه العدوانى: أنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وهذا هو الذي حصل في صدر هذه الأمة أن هؤلاء كفروا الناس - أعني الخوارج - واستباحوا دماءهم وأموالهم، ولم يذهبوا يقاتلون في أرجاء الأرض، صاروا يقاتلون ولأهال الأمور ومن ساعدتهم ولا يقاتلون في مشارق الأرض ومغاربها أهل الكفر والأوثان.

وفي وصف الرجل الذي أقبل: دليل على أن الراوي قد ضبط القضية حتى أدرك أوصاف الرجل الذي خرج على النبي ﷺ في قسمته، وقال له: يا محمد اتق الله^(١)، ولم يقل: يا رسول الله، وهذه من علامات الخوارج، أنهم يحطون من رتبة من له رتبة، ولا يخاطبونه بمقتضى رتبته، بل يُزَلُّونَه، وهنا يقول: اتق الله، ولا شك أن الرسول ﷺ لم يغضب إذا قيل له: اتق الله، فإن الله قد قال له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأنفال: ١]، وقال: ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخَفِّفْ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأنفال: ٢٧]، لكن لما كان وراء هذه الكلمة ما وراءها تكلم النبي ﷺ بهذا الكلام، وقال: «فمن يطع الله إذا عصيته»، إذا كان رسوله يعصي الله فمن الذي يطيع الله، وفي لفظ آخر قال: «ويحك من يعدل إذا لم أعدل»^(٢)، وهذا هو الحق إذا كان الرسول لا يعدل فمن الذي يعدل، إذا كان لا يتقي الله فمن الذي يتقي الله؟! قال العيني رحمه الله في «عمدة القاري»:

❦ قوله: «لأقتلنهم» قيل: لما منع خالد بن الوليد وقد أدركه، وأجيب بأنه: إنها أراد إدراك طائفتهم وزمان كثرتهم وخروجهم على الناس بالسيف، وإنما أنذر رسول الله ﷺ أن سيكون ذلك وقد كان كما قال وأول ما نجم هو في زمان علي عليه السلام.

❦ قوله: «قتل عاد» وقد تقدم في بعث علي إلى اليمن أنه قال: لأقتلنهم قتل ثمود ولا تعارض؛ لأن الغرض منه الاستئصال بالكلية وعاد وثمود سواء فيه إذ عاد استؤصلت بالريح الصرصر، وثمود أهلكوا بالطاغية، قال الكرمانى: ما معنى كقتل حيث لا قتل وأجاب: بأن المراد لازمه وهو الهلاك ويحتمل أن تكون الإضافة إلى الفاعل ويراد به: القتل الشديد القوي لأنهم مشهورون بالشدة والقوة.

(١) رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٤٤) (١٠٦٤).

(٢) رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٣).

الظاهر: الأول وأن المعنى ليس «قتل عاد»، أن عاد إذا قتلوا أحداً، فإنهم يقتلونه بطريقة الشدة، والغلظة، والظاهر والله أعلم: أن هذه كلمة تقال معروفة عند العرب، والمراد بها الإهلاك.

٧٤٣٣- حَدَّثَنَا عِيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يونس: ٣٨]. قَالَ: مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ.^(١)

الشاهد قوله: «تحت العرش»، ولا شك أن الشمس عالية جداً، فإذا كانت تحت العرش لزم من هذا أن يكون العرش عالياً علواً عظيماً.

٢٤- باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الأنبياء: ٢٢-٢٣].

هذا أيضاً من اعتقاد أهل السنة والجماعة إثباتهم النظر إلى وجه الله ﷻ وهو الذي ترجم فيه البخاري رحمه الله، وترجم بالآية كما أسلفنا في أول الكلام على كتاب التوحيد. قلنا: إن المؤلف رحمه الله، صدر كثيراً من أبواب التوحيد بالآيات وليس هذا من عادته في الصحيح، لكن ليدفع قول أهل البدع إنه لا يعتد بخبر الأحاد في باب العقائد، فإذا صدر الحديث بآيات من القرآن انقطعت هذه القاعدة من أصلها.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ؛ يعني: في الآخرة، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ﴾ [الأنبياء: ٢٤]؛ يعني: كالحة ﴿تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [٢٥] [الأنبياء: ٢٥]؛ أي: مهلكة تهلكهم وتقطع ظهورهم.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾؛ انظروا إلى كتابية الكلمتين، «ناضرة»، و«ناظرة»؛ تجد بينهما فرقاً، ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾؛ أي حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ يعني: إلى الله، ناظرة بالعين، ويتعين أن يكون ذلك بالعين؛ لأنه أضافه إلى الوجوه التي هي محل الأعين، والآية واضحة وصريحة، ولها شواهد من القرآن مثل قوله -تبارك وتعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنٍ وَزِيَادَةٌ﴾ [التكوير: ٢٦]. حيث فسر النبي ﷺ الزيادة بأنها النظر إلى وجهه الله^(١)، ومثل قوله -تبارك وتعالى-: ﴿لَا تُدْرِكُهُمُ الْعَيْنُ وَهُوَ يَدْرِكُهُمْ أَلَّا يَبْصُرُوا﴾ [الأنعام: ١٠٣]. فإن نفى الإدراك يدل على وجود أصل الرؤية ولو كان أصل الرؤية غير موجود لكان النفي مسلطاً عليهم، فيقال: لا تراه الأبصار، فلما قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُمُ﴾. علم أنها تراه لكن بدون إدراك.

ثالثاً: قوله -تبارك وتعالى-: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [فتح: ٣٥]. فإن قوله: ﴿مَزِيدٌ﴾.

(١) رواه البخاري (٧٤٣٣)، ومسلم (١٥٩).

(٢) رواه مسلم (١٨١).

يُحْمَلُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَّيٍّ وَزِيَادَةٍ﴾. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ﴾ [الطَّلَفِيَّةُ: ٢٥]. يَنْظُرُونَ اللَّهُ ﷻ، لِقَوْلِهِ فِي نَفْسِ السُّورَةِ عَنِ الْفَجَارِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [الطَّلَفِيَّةُ: ١٥]. فَيَكُونُ النَّظَرُ، أَيْ النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ أَعَمَّ مِنْ ذَلِكَ لِيَشْمَلَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ، وَإِلَى كُلِّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نَعِيمٍ، لَكِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمَرَادَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ. وَمِنْ أَدَلَّةِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ:

❁ قَوْلُهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾؛ يَعْنِي: الْفَجَارُ، فَإِذَا كَانَ الْفَجَارُ مَحْجُوبُونَ عَنِ اللَّهِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْأَبْرَارَ يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْ كَانَ النَّظَرُ مَمْتَنًّا عَلَى الْأَبْرَارِ لَكَانَ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَبَيْنَ الْفَجَارِ، فَهَذِهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ رُؤْيَا اللَّهِ ﷻ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنْ مِنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ فَإِنَّهُ كَافِرٌ؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ الْوَارِدَةَ فِيهَا لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، وَإِذَا كَانَتْ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ صَارَ تَأْوِيلُهَا بِمَنْزِلَةِ الْجَحْدِ لَهَا، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْنَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا، أَنَّ النُّصُوصَ إِذَا لَمْ تَحْتَمِلِ التَّأْوِيلَ فَأَوَّلُهَا الْإِنْسَانُ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ رَدُّهَا؛ لِأَنَّهُ رَدُّهَا، فَالتَّأْوِيلُ إِنَّمَا يَكُونُ عَذْرًا إِذَا كَانَ النَّصُّ يَحْتَمِلُ ذَلِكَ. أَمَّا مَعَ عَدَمِ الْإِحْتِمَالِ فَلَا تَأْوِيلَ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ، وَنَحْوُهُمْ، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ أَنْ نَرَى لِأَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ فَقَدْ حَدَدْتَهُ وَجَعَلْتَ لَهُ حَدًّا -سُبْحَانَ اللَّهِ!- الرَّبُّ ﷻ يَثْبُتُ أَنَّهُ يُنْظَرُ إِلَيْهِ وَرَسُولُهُ كَذَلِكَ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لَا، فَتَقْدُمُونَ الْقِيَاسَ عَلَى النَّصِّ.

وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: وَأَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ الْقِيَاسَ عَلَى النَّصِّ هُوَ إِبْلِيسُ، فَيَكُونُ مَنْ قَدَّمَ الْقِيَاسَ عَلَى النَّصِّ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا قِيَاسٌ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ فَيَكُونُ فَاسِدًا لِإِعْتِبَارِ، وَلَمَّا قِيلَ لَهُمْ: عَنْ مَاذَا تَجِبُونَ الْآيَاتِ الْوَاضِحَةَ الصَّرِيحَةَ؟ قَالُوا: نَقُولُ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ أَيْ إِلَى ثَوَابِ رَبِّهَا فَهُوَ مِنْ مَجَازِ الْحَذَفِ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ الْمَجَازَ أَنْوَاعٌ، مِنْهَا مَجَازُ الْحَذَفِ بِأَنْ يُحْذَفَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يُعْلَمُ وَقَدْ قَالَ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَحَذَفَ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ.

فَنَقُولُ: إِذَا قَالُوا: إِلَى ثَوَابِ رَبِّهَا هَذَا مَعْنَى جَدِيدٌ يَخَالِفُ الظَّاهِرَ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ مَا قُلْتُمْ، الْأَصْلُ أَنَّ اللَّفْظَ يُرَادُّ بِهِ ظَاهِرُهُ، لَا يُرَادُّ بِهِ سَوَاهُ، وَمَنْ ادَّعَى خِلَافَ الظَّاهِرِ فَعَلَيْهِ الدَّلِيلُ، وَكَيْفَ نَعْدِلُ عَنِ الظَّاهِرِ مَعَ أَنَّهُ مُؤَيَّدٌ بِآيَاتٍ أُخْرَى وَمُؤَيَّدٌ بِأَحَادِيثٍ صَّرِيحَةٍ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

وَعَلَى هَذَا فَنَقُولُ: إِنْ مِنْ عَقِيدَتِنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ، يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَكِنْ مَنْ الَّذِي يَرَاهُ؟ وَمَتَى يُرَى؟ فَنَقُولُ: الَّذِي يَرَاهُ رُؤْيَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ، هُمُ الَّذِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ وَيُرَوْنَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَيُرَوْنَ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْكَفَّارُ الْخَلَصُ فَلَا يَرَوْنَ اللَّهَ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾. وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَيَرَوْنَ اللَّهَ ﷻ، فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يُحْجَبُونَ عَنْهُ فَلَا يَرَوْنَهُ،

وهذا أشد مما لو لم يكونوا رأوه من قبل، يعني: كونهم يرون الله ثم يُحجب عنهم أعظم مما لو أن يكونوا رأوه أصلاً، ولهذا كان عذاب المنافقين بحجبهم عن رؤية الله أشد من عذاب الكافرين الذين لم يروه، هذا بيان من يرى الله، ومتى يرى الله؟

أما لو قال قائل: كيف يرى الله؟ فهذا هو الذي يجب الامتناع عنه، وأن نقول: إن صفات الله ليس فيها كيف، نقول: هو على كيفية الله أعلم بها، نحن لا ندري، نقول: إن الله يرى، أما كيف يرى؟ فإن هذا علمه عند الله عز وجل.

٧٤٣٤- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا خَالِدٌ، أَوْ هُشَيْمٌ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلُوا»^(١).

صريح «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر» وهم يرون القمر رؤية صريحة واضحة، والتشبيه هنا ليس تشبيه للمرئي بالمرئي، ولكنه تشبيه للرؤية بالرؤية؛ أي أنها رؤية حقيقية كما يرى القمر، والدليل على أنها تشبيه الرؤية بالرؤية: أن «ما»، في قوله: «كما ترون»، مصدرية، فإذا حولنا الفعل بعدها إلى مصدر، صار ترتيب الكلام: إنكم سترون ربكم كرؤية هذا القمر، هذا من حيث اللفظ.

من حيث المعنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) فلا يمكن أن يكون الله تعالى مثل القمر.

وقوله: «لا تضامون في رؤيته»، فيها عدة روايات منها، هذا اللفظ: لا تضامون؛ أي لا يلحقكم ضيم وضيق.

ومنها: لا تضامون؛ يعني: لا يضم بعضكم بعضاً ليؤريه الآخر؛ لأن الشيء الخفي إذا تراءاه الناس تجدد كل واحد يقول: تعال، يمسك بأخيه يضمه لنفسه يقول: انظر هنا أو حولنا.

ومن ألفاظه: «لا تضامون في رؤيته»؛ يعني لا يجد بعضكم بعضاً في الرؤية، بل كل إنسان يراه بدون ضيم ولا مظانه ولا ضرر، كل يراه في مكانه كالقمر، القمر يراه الناس في البلد، ويراه المسافرون في البر، ويراه أهل البحر في البحر، ويراه أهل الجو في الجو، وكل واحد يراه بمفرده.

وفي هذا الحديث: دليل على فضيلة صلاة الفجر، وفضلية صلاة العصر، فصلاة العصر هي الصلاة الوسطى كما دل على ذلك الحديث الصحيح حين قال النبي ﷺ في غزوة الخندق:

(١) رواه البخاري (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

«شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر»^(١).

وصلاة الفجر مشهودة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الأنعام: ٧٨).

٧٤٣٥- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ يُونُسَ الْبِرْبُوعِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو شَهَابٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا»^(٢).

❖ قوله: «عَيْنًا» مصدر عَاينَ يُعَاينُ عَيْنَانَا، فجاهد يُجاهدُ جِهَادًا، والمصدر الثاني لعَاينَ معاينة، والمراد بذلك: الرؤية بالعين، يقول رأيتُ معاينة؛ أي بعيني.

كيف يُجيب أهل التعطيل على قول الرسول: «عَيْنًا»، «وكما ترون القمر»؟ يجيبون عن هذا أنها أحاديثُ آحادٍ، وأحاديثُ الآحادِ لا تُقبلُ في العقائد، وهذا الجوابُ لا صحةَ له؛ لأن أحاديثَ الرؤيةِ ما تواترت عن النبي ﷺ.

ثم يقولون: إن المراد المبالغة في اليقين؛ يعني: ترونه بقلوبكم كما ترون القمرَ بأعينكم وهذا أيضًا تحريفٌ، لأن الرسول ﷺ، قال في الأحاديث التي ستأتي: «كما ترون الشمس ليس دونها سحاب»، يقول بعض السلف: اللهم من أنكر رؤيتك في الدنيا فاحرمه إياها في الآخرة، كما أن من لبس الحرير في الدنيا حرّمه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٣٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، حَدَّثَنَا بَيَانُ بْنُ بَشَرَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤُوسِهِ»^(٣).

٧٤٣٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «هَلْ تَضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ تَضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا - أَوْ مُنَافِقُوهَا شَكَّ

(١) رواه البخاري (٦٣٩٦)، ومسلم (٦٢٨).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٥)، ومسلم (٦٣٣).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣).

إِبْرَاهِيمَ - فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ: فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيَضْرِبُ السَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيَّ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَآمَنِي أَوَّلَ مَنْ يُحْجِزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانِ؟». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بَقِيَّ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُ أَوْ الْمُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ، ثُمَّ يَنْجَلِي حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمْرَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، يَمُنُّ أَنَّ اللَّهَ أَنْ يَرْحَمَهُ يَمُنُّ بِشَهِدٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا، فَيَصَّبُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الْجَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّبِيلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بَوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَصْرَفَ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَسَمَنِي بِرُحْمَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا. فَيَدْعُو اللَّهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوهُ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ. فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَنُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِيقَ مَا شَاءَ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ أَبَدًا، وَتِلْكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ». فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ. وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ. فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَنُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَائِيقَ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَبْرَةِ وَالشُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَسْتَ قَدْ أُعْطِيتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ فَيَقُولُ: وَتِلْكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقَالُ: أَيُّ رَبِّ لَا أَكُونُ أَشَقَى خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّهُ. فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى حَتَّى أَنَّ اللَّهَ لَيَذْكُرُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»^(١).

٧٤٣٨- قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: «وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ». يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلَّا قَوْلَهُ: «ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ «ذَلِكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ». قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ

فَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةِ. ^(١)

في الحديث الطويل سؤال الصحابة رضي الله عنهم: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ هذا السؤال منهم؛ شوقاً إلى الله ﷻ، فهو كقول موسى: «رَبِّ ارْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ» [الأنعام: ١٤٣]. فسألوا: هل يكون فيها يوم القيامة هذا النعيم، فأخبرهم النبي ﷺ بأن هذا حاصلٌ وأنهم كما لا يُضارون في رؤية القمر ليلة البدر، فكذلك لا يضارون في رؤية الله يوم القيامة، وقد سبق لنا أن رؤية الله تعالى دَلَّ عليها الكتاب والسنة المتواترة، وأن السلف أجمعوا على ذلك ولم يخالف في هذا إلا مَنْ يُخشى أن يحرّمه الله منها يوم القيامة؛ لأنه لم يصدق بذلك.

وفي هذا الحديث: أنه يُقال للناس كل أمة تتبع مَنْ كانت تعبد إذلاًّ لهم وإظهاراً لباطنهم لأن هؤلاء المعبودين يذهبون بهم إلى النار فيتبين بذلك أن معبودهم يخذلونهم في أحوج ما يكونون إليهم، ولهذا يقول: «يتبع مَنْ كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت»، حتى يوصلهم إلى النار - والعياذُ بالله -.

وقوله: «تبقى هذه الأمة»، المراد مَنْ كان على ملة رسوله ﷺ ظاهرة، ولهذا يكون فيهم المنافقون: «فيأتيهم الله ﷻ فيقول: أنا ربكم»، ولكنهم يقولون مكانهم، وإنما يقول: أنا ربكم؛ لأن الأمم السابقة كانت تتبع مَنْ تعبدته وترى أنه ربها، فيقول: «أنا ربكم»، ولكنهم يقولون ولا يتحركون، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، والصورة التي يعرفون هي مما عرفوه من وصف الله ﷻ بالجلال والإكرام، ومما وصفته به الرسل فيأتيهم على الصورة التي نعتت لهم فيما أنزل الله على رسله ولذا قال: «التي يعرفون»، ثم يقول: «أنا ربكم»، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ومعلوم أنه ﷻ سيدلهم على محل رحمة وهي الجنة.

ثم ذكر أنه يضرب الصراط بين ظهري جهنم؛ يعني: فوقها الصراط الذي يمرُّ الناس عليه من عرصات القيامة إلى الجنة؛ لأن الجنة فوق، فيضرب هذا الصراط على النار، ويعبره مَنْ هو من أهل الجنة، واختلف العلماء في هذا الصراط، هل هو طريقٌ واسعٌ أو هو كما جاء في «صحيح مسلم» بلاغاً: أنه أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف ^(٢)، فذهب إلى الأول جماعةٌ واستدلوا بهذا الحديث بأن عليه مثل شوك السعدان لكن لا يعلم عظمها إلا الله، واستدلوا أيضاً بأن هذا الطريق وُصف بأنه دحض مزلة؛ أي: زلق يزلق الناس فيه ويزلون، والحديث الذي في مسلم: بلاغ، والبلاغ قديشت وقد لا يثبت.

فعلى كل حال: إذا ثبت أنه أدق من الشعر وأحد من السيف، فإن العبور عليه غير ممتنع عقلاً؛ لأنه إذا كانت الملائكة تطير في الهواء فإن الناس يمكنهم أن يسيروا على هذا الصراط، وأحوال

(١) رواه البخاري (٧٤٣٨)، ومسلم (١٨٢-١٨٥) (١٩٤).

(٢) رواه مسلم عقب الحديث (٣٠٢) عن أبي سعيد.

الآخرة لا تُقاس بأحوال الدنيا، وعلى كلِّ حال، فهذا الصراطُ خطيرٌ جدًّا؛ لأنه على جهنم، والرُّسل وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام كل واحد منهم يقول: اللهم سلِّم اللهم سلِّم، وأول من يجوز هذا الصراط محمد ﷺ وأُمته؛ لأنهم كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة»^(١) ففي جميع مشاهد يوم القيامة هذه الأمة هي أوَّل الأمم.

وفي هذا الحديث: أن هؤلاء الذين يعبرون الصراط لا ينجون كلهم منه منهم يُخطف ويُلقَى في جهنم ومنهم مَنْ يسلم، لكن الذي يُخطف ويُلقَى في جهنم لا يُخلَّد فيها؛ لأنه لا يعبر هذا الصراط إلا مَنْ كان من أهل الجنة إلا أنه قد تخطفه النار ويُعَذَّب بقدر أعماله، ثم يخرج منها، وهذا العبور هو معنى قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَنْ نُنْكَرُهَا إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٢) [البقرة: ٧١]. وقيل: إن الورود الدخول فيها، وأن كلَّ الناس يدخلونها لكن المؤمنُ ينجو منها وتكون عليه مثل نار إبراهيم، وأما الكافر أو مَنْ يستحق العذاب بقدر عمله فإنه لا تكون بردًا وسلامًا عليه -والله أعلم-. وكما عرفتم أن الناس يرون الله ﷻ على صورته التي يعرفون وهي رؤيةٌ حقيقيةٌ كما سبق، وهذه العهود والمواثيق التي يعطيها هذا الرجل هي عهدٌ بينه وبين الله ﷻ، فلذلك ينقضها طمعًا في فضل الله ﷻ، كما لو كان بينك وبين أخيك عهد مما يختص به، ثم أدليت عليه؛ يعني: يسامح أو يتجاوز عن هذا العهد فإنه لا بأس به، كذلك هذا الرجل، يقول: إن العهد بينه وبين الله ﷻ، وهي حقُّ الله فإذا عاد، فكأنه يرجو من الله بأن يعفو عنه وأن يسامحه ويضع عنه هذا العهد إذا طلب، ولهذا كان في النهاية أن الله يضحك له ثم يرسله الجنة.

وفي هذا الحديث: دليل على عظم نعيم الجنة وسعة منازل أهلها، أنه له مثل الدنيا وعشرة أمثالها وهذا ليس بغريب؛ لأن أدنى أهل الجنة منزلًا مَنْ ينظر في ملكه مسيرة ألفي عام، ينظر أقصاه كما ينظر أدناه، فالمسألة أعظم مما نتصور ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣) [الأنعام: ١٦].

وفي هذا: ورع الصحابة رضي الله عنهم حيث امتنع أبو هريرة أن يقول غير ما حفظ وهو قوله: لك هذا ومثله معك، لكن أبا سعيد رضي الله عنه جزم بأن النبي ﷺ قال: «وعشرة أمثاله معك».

٧٤٣٩- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا». قُلْنَا: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا ثُمَّ قَالَ: يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا

(١) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

يَعْبُدُونَ. فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيْبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ إِلَهَةٍ مَعَ إِلَهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَانَهَا سَرَابٌ فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ. فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ فَمَا تَرِيدُونَ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ. فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تَرِيدُونَ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا. فَيَقَالُ: اشْرَبُوا. فَيَتَسَاقَطُونَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْسِبُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ: فَارْقَنَاهُمْ وَنَحْنُ أَجُوجٌ مِمَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْحَقِّ كُلِّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. وَإِنَّا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا. فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ نَعْرِفُونَهُ فَيَقُولُونَ: السَّاقِ. فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ نَيْلًا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيَجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ، لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرِّقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَتَنَاجُ مُسَلِّمٌ وَنَاجٌ مُخْدُوشٌ وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا. فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. وَيَحْرَمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَقْرَءُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَظْغِفْهَا﴾ [النَّحْلُ: ٤٠]. «فَيَسْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي. فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَسُوا، فَيُلْقُونَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَشْبَوْنَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْجَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ. قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيُخْرِجُونَ كَانَتْهُمْ اللَّوْلُؤُ، فَيَجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْحَوَاتِيمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عَتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ. فَيَقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ»^(١).

قوله: «اشربوا فيتساقطون»، وهذا صريح؛ لأن أهل النار لا يعبرون الصراط؛ لأنه قال بعد ذلك «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم».

وهذا بمعنى الحديث السابق وإن كان يختلف عليه بعض الشيء، وقوله: «لكم ما رأيتم ومثله معه»؛ يدل على أنهم يُعطون مثل ما رأوا، «ومثله معه»، لكن سبق أن أبا سعيد رحمته الله روى الحديث بهذا السياق، قال: «وعشرة أمثاله معه»، يحتاج إلى التحقيق في اختلاف هذا اللفظ مع الذي سبق في حديث أبي هريرة.

٧٤٤- وَقَالَ حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ: حَدَّثَنَا هَمَامُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رحمته الله أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُخْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَهْمُوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَرْجِنَا مِنْ مَكَانِنَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِنَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرْجِنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - قَالَ: وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلُهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نَهَى عَنْهَا - وَلَكِنْ أَتَوْنَا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالُهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ - وَلَكِنْ أَتَوْنَا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ. قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ كَذَبَهُنَّ - وَلَكِنْ أَتَوْنَا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا. قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ - وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ - وَلَكِنْ أَتَوْنَا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ. قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ أَتَوْنَا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي فَيَقُولُ: ازْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يَسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، وَسَلْ تُعْطَى قَالَ: فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَنْتَنِي عَلَى رَبِّي بِنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعْلَمُنِيهِ، فَيُحَدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. قَالَ: قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يَقُولُ: ازْفَعْ مُحَمَّدٌ، وَقُلْ يَسْمَعُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعُ، وَسَلْ تُعْطَى قَالَ: فَارْفَعْ رَأْسِي فَأَنْتَنِي عَلَى رَبِّي بِنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعْلَمُنِيهِ قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ فَيُحَدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ. قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيُّ: وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ: ثُمَّ تَلَا الْآيَةَ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٣٦)»

[اللائحة: ٧٩]. قَالَ: وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ.

قوله: «حتى يهْمُوا»؛ يعني: يلحقهم الهم.

وهذا الحديث ليس فيه إشكال، إلا قوله: «استأذن على ربي في داره»، فيقال: إن دار الله ﷻ الذي جاءت في هذا الحديث لا تشبه دور البشر، تكنه من الحرِّ ومن البرد ومن المطر ومن الرياح، لكنها دارُ الله أعلم بها ولعلها والله أعلم حجب النور الذي احتجب الله به ﷻ، كما جاء في الحديث الصحيح: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

٧٤٤١- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي عَمِّي، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ وَقَالَ لَهُمْ: «اضْبِرُّوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ»^(١).

هذا أيضًا مما استدل به أهل السنة على رؤية الله ﷻ من قوله: «حتى تلقوا الله ورسوله»، قال: ولا لقاء إلا به، وهو يُخاطبُ الأنصار ﷺ، وهم من أهل الرؤية؛ لأنهم مؤمنون، وأما قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٢) فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ، يَمِينِهِ^(٣)... [اللائحة: ٦-٧]. إلى آخره، فهذا - والله أعلم - الملاقاة العامة؛ لأن كلَّ إنسانٍ يكدحُ إلى الله، ويساوم أخيه يوم القيامة، وعلى هذا هناك ملاقاتة عامة لجميع بني الإنسان بدليل أن الله قسمهم إلى قسمين: من أوفى كتابه يمينه ومن أوفى كتابه بشأله، وملاقاة خاصة: وهي التي ذكرها الرسول ﷺ في هذا الحديث، وهي التي استدل بها العلماء على رؤية الله ﷻ.

الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - الذين تعذروا من الشفاعة بما فعلوا من الذنوب أليس النبي ﷺ قد وقع منه ذنب وغفر الله له؟

نقول: لو تعذر النبي ﷺ من يبقى، هو آخرهم، فلو تعذر من يبقى؟!

٧٤٤٢- حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَحْوَلِ، عَنْ طَاوُسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيُّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا

أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». ^(١) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ وَأَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ طَاوُسٍ قِيَامٌ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْقِيَوْمُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَقَرَأَ عُمَرُ: الْقِيَامُ، وَكِلَاهُمَا مَذْحٌ.

❦ قَوْلُهُ: «أَنْتَ قِيَوْمُ السَّمَاوَاتِ»، وَفِي لَفْظٍ: «أَنْتَ قِيَامُ السَّمَاوَاتِ»، وَكِلَاهُمَا مَذْحٌ، وَالْقِيَوْمُ هُوَ الَّذِي قَامَ بِنَفْسِهِ وَقَامَ عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [التكوير: ٣٣]؛ يَعْنِي: كَمَنْ لَا يَمْلِكُ ذَلِكَ، وَالَّذِي يَقُومُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ هُوَ اللَّهُ.

وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى بَقِيَةِ الْحَدِيثِ وَبَيَّنَّا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ فِي تَهْجِدِهِ وَأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي السُّجُودِ أَوْ بَعْدَ التَّشْهِيدِ الْآخِرِ، أَوْ فِي حَالِ الْقِيَامِ بَعْدَ الرُّكُوعِ، وَكُلُّ هَذَا مَوْضِعُ دَعَاءٍ.

٧٤٤٣- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنِي الْأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْفُمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ» ^(١).

الشاهد من هذا قوله: «ولا حجاب يحجبه».

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: رَدٌّ عَلَى الْقَائِلِينَ بِالْكَلَامِ النَّفْسِيِّ، وَوَجْهُهُ: أَنَّ اللَّهَ يُحْدِثُ الْقَوْلَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، يُكَلِّمُ هَذَا الَّذِي خَلَا بِهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، وَالْقَائِلُونَ بِالْكَلَامِ النَّفْسِيِّ، يَقُولُونَ: إِنَّ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ هُوَ أَزْلِي، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْلُقُ أَصْوَاتًا فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُسْمَعَ مِنْ شَاءٍ، يُعَبِّرُ عَنِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْأَذَكِيَاءِ: إِنْ مَذْهَبُ الْأَشَاعِرَةِ فِي الْكَلَامِ هُوَ مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ، بَلْ هُوَ أَرْجَأُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِي يُسْمَعُ وَالْمَكْتُوبُ فِي الْمَصَاحِفِ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، أَمَّا كَلَامُ اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي فِي نَفْسِهِ لَا يُسْمَعُ وَلَا يَحْدُثُ، وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَيَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِي يُسْمَعُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ حَقِيقَةً وَأَنَّهُ مَخْلُوقٌ، فَهَؤُلَاءِ قَالُوا: إِنَّ الَّذِي يُسْمَعُ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَالْجَهْمِيَّةُ قَالُوا: هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَهُوَ مَخْطُوعٌ، فَأَيُّهُمَا أَقْرَبُ لِلصَّوَابِ؟

الْجَوَابُ: الْجَهْمِيَّةُ وَلِهَذَا قَالَ: إِنْ قَوْلُ الْأَشَاعِرَةِ فِي الْكَلَامِ مِنْ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ، وَأَمَّا حَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْجَهْمِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَا سَمِعَهُ مُحَمَّدٌ وَمَا سَمِعَهُ مُوسَى وَمَا يُسْمَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كُلُّهُ مَخْلُوقٌ، لَكِنَّ الْأَشَاعِرَةَ قَالُوا: إِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ، وَهَؤُلَاءِ قَالُوا: هَذَا مَخْلُوقٌ خَلَقَهُ اللَّهُ، خَلَقَ أَصْوَاتًا تُسْمَعُ، وَأَضَافَهَا لِنَفْسِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ.

فَهَذَا الْحَدِيثُ يَرُدُّ رَدًّا وَاضِحًا عَلَى مَنْ يَزْعُمُونَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ الْأَزْلِي، فَيُرَوْنَ أَنَّ الْكَلَامَ مِثْلَ الْعِلْمِ مِثْلَ الْإِرَادَةِ.

(١) رواه البخاري (٧٤٤٢)، ومسلم (٧٦٩).

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦).

والساقُ ثابتةٌ لله ﷻ لحديث أبي سعيد: «يكشف عن ساقه»، وهو واضحٌ، وإذا كان الله له رجلٌ فلا يمتنع أن يكون له ساقٌ، ولكن تقتصرُ على ما بلغنا فقط، وهل الساقُ ثابتٌ في القرآن كما ثبت في السنة؟

نقول: في هذا خلافٌ بين العلماء بناءً على اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [التكْوِيْن: ٤٢]. فمنهم من قال: إن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾؛ يعني بذلك: ساقه جُمْلًا. ومنهم من قال: بل المرادُ بالساقِ: الشدة، ولا يجوزُ أن نقولَ: إنها ساقُ الله؛ لأن الله لم يضيفها إلى نفسه، بل قال ساق، وإذا لم يضيفِ الله الشيءَ لنفسه، فإنه لا يحلُّ لنا أن نضيفه نحن إلى الله، بل الواجب علينا أن تقتصرَ على ما جاء به الكتابُ والسنةُ.

ولهذا نقول: القائل بهذا القول أقربُ إلى الصواب، لولا أن حديثَ أبي سعيد في سياقِهِ إذا قارنته بسياق الآية وجدت أنها سواء، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (١١) خَشَعَةً أَبْصَرْتُمْ رَهْمَهُمْ ذُلًّا وَقَدْ كَانُوا يَدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِفُونَ (١٢) [التكْوِيْن: ٤٢-٤٣]. كذلك هنا يكشف عن ساقه فيسجد له من كان يسجدُ لله ﷻ ويعجز من كان يسجدُ رياءً وسمعةً، فلولا سياقُ حديثِ أبي سعيد كان مطابقاً للآية لقلنا: إنه لا يجوزُ إثباتِ الساقِ للآيةِ الكريمة؛ لأن الله لم يضيفه إلى نفسه.

فإن قال قائل: وهل مثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (١٣) [التكْوِيْن: ٤٧]؟

قلنا: لا، ليس مثل هذا، ولهذا لم يقل أحدٌ من السلف إن المرادَ بقوله ﴿بِأَيْدٍ﴾ جمع اليد، بل الأيدي في الآية الكريمة: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾؛ معناها: القوة، فهي مصدر: (أدى، يئيد، أيذا)، (كباع، يبيع، بيعاً)؛ فيكون المعنى: بنيناها بقوة، ويشبه هذا قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (١٤) [التكْوِيْن: ١٢]. أي: قوية، لكن يجبُ علينا أن نعتقد بأن الله ساقاً، إلا أنه لا يشبه سَوْقَ المخلوقين، بل هو ساقٌ يليق بعظمته وجلاله كما قلنا في اليد، وقلنا في العين، وقلنا في القدم.

٧٤٤٤- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِداءُ الْكِبَرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» (١١). الشاهد قوله: «وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن»، وفي هذا إثباتُ لرؤيةِ الله ﷻ بعد إزالة رداء الكبر، وكان البخاري رحمه الله يشيرُ إلى ركنٍ آخر أصرح من هذا، أما هذا فليس صريحاً في إثبات الرؤية.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (١٣/ ٤٣٢-٤٣٣):

قوله: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه» قال الهازري: كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما تفهم ويخرج لهم الأشياء المعنوية إلى الحس ليقرب تناولهم لها، فعبّر عن زوال الموانع ورفعها عن الأبصار بذلك. وقال عياض كانت العرب تستعمل الاستعارة كثيرا، وهو أرفع أدوات بديع فصاحتها وإيجازها، ومنه قوله تعالى: ﴿جَنَاحَ الذُّلْدِ﴾ [الأنعام: ٢٤]. فمخاطبة النبي ﷺ لهم برداء الكبرياء على وجهه ونحو ذلك من هذا المعنى، ومن لم يفهم ذلك تاه فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم ومن لم يتضح له وعلم أن الله منزّه عن الذي يقتضيه ظاهرها إما أن يكذب نقلتها وإما أن يؤولها كأن يقول: استعار لعظيم سلطان الله وكبريائه وعظمته وهيبته وجلاله الهانع إدراك أبصار البشر مع ضعفها لذلك رداء الكبرياء، فإذا شاء تقوية أبصارهم وقلوبهم كشف عنهم حجاب هيبته وموانع عظمته انتهى ملخصا. وقال الطيبي قوله: «على وجهه» حال من رداء الكبرياء. وقال الكرمانى هذا الحديث من التشابهات فإما مفوض وإما متأول بأن المراد بالوجه الذات، والرداء صفة من صفة الذات اللازمة المنزهة عما يشبه المخلوقات، ثم استشكل ظاهره بأنه يقتضي أن رؤية الله غير واقعة، وأجاب بأن مفهومه بيان قرب النظر إذ رداء الكبرياء لا يكون مانعا من الرؤية فعبّر عن زوال الهانع عن الإبصار بإزالة المراد انتهى. وحاصله أن رداء الكبرياء مانع عن الرؤية فكأن في الكلام حذفاً تقديره بعد قوله إلا رداء الكبرياء: فإنه يمن عليهم برفعه فيحصل لهم الفوز بالنظر إليه، فكأن المراد أن المؤمنين إذا تبوؤوا مقاعدهم من الجنة لولا ما عندهم من هيبه ذي الجلال لها حال بينهم وبين الرؤية حائل، فإذا أراد إكرامهم حفهم برأفته وتفضل عليهم بتقويتهم على النظر إليه سبحانه، ثم وجدت في حديث صهيب في تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [الأنعام: ٢٦].

ما يدل على أن المراد برداء الكبرياء في حديث أبي موسى الحجاب المذكور في حديث صهيب، وأنه سبحانه يكشف لأهل الجنة إكراماً لهم، والحديث عند مسلم والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن حبان ولفظ مسلم: أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله ﷻ: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم منه، ثم تلا هذه الآية. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾» أخرجه مسلم عقب حديث أبي موسى، ولعله أشار إلى تأويله به. وقال القرطبي في المفهم الرداء استعارة كنى بها عن العظمة كما في الحديث الآخر «الكبرياء رداي والعظمة إزاري» وليس المراد الثياب المحسوسة لكن المناسبة أن الرداء

والإزار لما كانا متلازمين للمخاطب من العرب عبر عن العظمة والكبرياء بهما، ومعنى حديث الباب أن مقتضى ﷻ واستغنائه أن لا يراه أحد لكن رحمته للمؤمنين اقتضت أن يريهم وجهه كما لا للنعمة، فإذا زال الهانع فعل معهم خلاف مقتضى الكبرياء فكأنه رفع عنهم حجابا كان يمنعهم، ونقل

الطبري عن علي وغيره في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥) [ن: ٣٥]. قال هو النظر إلى وجه الله. اهـ
كلام الحافظ هو الظاهر، يعني: «إلا رداء الكبر على وجهه لا يرفعه حتى ينظر إليه»، وحيث يتم
استدلال البخاري رحمه الله في هذا الحديث.

❁ قوله: «جنتان من فضة، وجنتان من ذهب»، يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾
(١٦) [الز: ٤٦]. ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (١٧) [الز: ٤٧]. وذكر الله ﷻ، الفرق بينهما، وقد أشار
ابن القيم رحمه الله في النونية إلى أن الفرق بينهما؛ أي بين الجنتين الأولين والآخرين من عشرة أوجه،
وقال: لولا ضيق النظم لسقتها.

والجنتان من الذهب لمن هو أعلى مقامًا، وأكثر ثوابًا ممن في الجنتين اللتين من الفضة.

٧٤٤٥- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكُ بْنُ أَعْيَنَ وَجَامِعُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ
أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ
اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [الن: ٧٧] الآية (١).

هذا الحديث: فيمن اقتطع مالا من المسلم بيمين كاذبية لقي الله.

الشاهد قوله: «لقي الله»، فقد استدل بها كثير من العلماء على رؤية الله ﷻ، قال: لأن اللقاء لا
يكون إلا بروية، وقد سبق أن اللقاء عام وخاص، فاللقاء الخاص هو أن يخلو الله ﷻ بعبد المؤمن
ويقرره بذنوبه، واللقاء العام يكون لجميع الخلق، وبهذا التحذير من اقتطاع مال المسلم باليمين
الكاذبة ولها صور:

منها: الصورة الأولى: أن يدعى شخص على آخر بألف درهم وليس عند المدعى بيعة، فهنا توجه
اليمين على المدعى عليه، فيحلف أنه ليس للمدعى شيء مع أنه له شيء، فهنا اقتطع شيئاً من ماله
كاذباً فيلقى الله وهو عليه غضبان.

الصورة الثانية: أن يدعى شخص على آخر ألف درهم ويأتي بشاهد واحد، وفي هذه الحال لا
يحكم له بالألف إلا إذا حلف، إذا حلف فإنه يحكم له بالألف، فيأتي بالشاهد ويحلف معه ثم
القاضي يحكم له على المدعى عليه بالألف، فيكون هناك اقتطاع مال امريء مسلم بيمين كاذبية،
فيلقى الله وهو عليه غضبان، فإن اعتدى على المسلم بغير المال، ادعى عليه مثلاً بجراحة أو غيرها،
وحلف فهل تكون مثل المال أو دونه أو أعظم منه؟.

الظاهر: أنها تكون أعظم؛ لأن العدوان على البدن أشد من العدوان على المال، ولكن مع ذلك لا

نجزم بهذا؛ لأن مسائل الوعيد قد تكون لاختصاصها في الصورة التي تأتي فيها أمر لا نعلمه فيمتنع القياس حيثنذ.

وفيه: استدلال الرسول ﷺ بالآية الكريمة دليل على أن: العموم حجة على كل فرد من أفرادها؛ لأن الآية عامة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَيَأْمِنُ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُؤْتُوا مَتَاعَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [التوبة: ١٧]. هذا عام، يدخل فيها الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ما يقطعونه من الأموال، فيكون هذا عامًا، فيكون هذا فردًا دخل في العموم.

وقد مر علينا شاهدٌ مثل ذلك وهو قول النبي ﷺ: «إنكم إذا قلتم: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض»^(١). قوله: ﴿لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾؛ أي لا نصير.

٧٤٤٦- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرُ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالٌ أَمْرِي مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْيَوْمَ أَمْنَعَكَ فَضْلِي، كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِدَاكِ»^(٢).

الشاهد قوله: «لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: رجلٌ حلف على سلعةٍ لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب»، هذا طريقٌ من طرقِ أكل المالِ بغيرِ حقٍّ، أن يقول: إنه آتٍ بهذه السلعةِ بأكثر مما أعطاك وهو كاذب؛ لأنه في هذه الحالِ يخدع الآخرين فيظنون أنه صادقٌ، فيعطون مثل ما أعطى أو يزيدون، وهذه تقع من بعض الناسِ يُحابي بها صديقه، يقول: إني سُمْتُ هذه السلعةَ ببائة، وهو لم يسمها من أجل أن الآخرين يقولون: نحن نأخذها ببائةٍ وعشرين، وكذلك العكس أن يحلف أنه أُعطي فيها أكثر مما أُعطي، مثل أن تُسام منه بعشرة، فيقول: إنها سيمت بعشرين ويخدع الناسَ بذلك، فكلُّ هذا من أكل المالِ بغيرِ حقٍّ.

والثاني: «حلف على يمينٍ كاذبةٍ بعد العصر؛ ليقطعَ بها مال امرئٍ مسلمٍ، وقد سبق ذكره.

والثالث: مَنْ «مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ» فيقول الله ﷻ يوم القيامة: «اليوم أَمْنَعَكَ فَضْلِي كما مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لم تعمل يداك». وهذا في غير الماء الذي ملكه، أما الماء الذي ملكه فهو ملكه، له أن يمتعه، وله أن يبيعه، لكن الماء الذي لم يملكه مثل رجل عنده غدير في أرضه، والغدير هو مجتمعُ ماءٍ السيول، فصار

(١) تقدم تحريجه.

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٦)، ومسلم (١٠٨).

لَا يُمَكِّنُ النَّاسَ مِنْ أَخْذِهِ إِلَّا بَعُوضٍ، هَذَا مَنَعَهُ، مَنَعَ فَضْلَ الْمَاءِ، وَكَرَجَلَ آخِرَ عُنْدِهِ بَثْرٌ فِيهَا مَاءٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ زَائِدٌ عَنْ حَاجَتِهِ فَيَمْنَعُ النَّاسَ مِنْ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْهَا بِدُونِ ضَرَرٍ عَلَيْهِ، فَهَذَا أَيْضًا حَرَامٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَنْبَعَ الْمَاءَ فِي الْبَثْرِ هُوَ اللَّهُ، وَالَّذِي أَنْزَلَ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ هُوَ اللَّهُ. ﴿وَفِي قَوْلِهِ: «مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ»﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا عَمَلَتْ يَدَاهُ بِأَنَّ مَلَكَهُ وَوَضَعَهُ فِي آتِيَتِهِ، أَوْ اسْتَخْرَجَهُ مِنَ الْبَثْرِ وَصَبَّهُ فِي بَرَكَتِهِ، فَإِنَّ لَهُ الْحَقَّ فِي أَنْ يَمْنَعَ مِنْهُ مَنْ أَرَادَ الْأَخْذَ إِلَّا بَعُوضٍ. وَكُلُّ مَا مَرَّ عَلَيْكُمْ مِنْ نَفْيِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ، فَالْمُرَادُ بِهِ: كَلَامُ الرِّضَا وَنَظَرُ الرِّضَا. وَكَوْنُ الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْوَقْتُ وَقْتُ فَضْلِ وَذِكْرِ فَإِذَا حَلَفَ الْإِنْسَانُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَهُوَ كَاذِبٌ صَارَ هَذَا أَعْظَمَ؛ لِأَنَّ آخِرَ النَّهَارِ أَفْضَلُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ.

٧٤٤٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «الزَّמَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيْ شَهْرٌ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «الْأَيْسُ ذَا الْحِجَّةِ». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «الْأَيْسُ الْبَلَدَةُ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: «الْأَيْسُ يَوْمَ النَّحْرِ». قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ - عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَلَاتَرَجِعُوا بَعْدِي ضَلَالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضٌ مِنْ يُلَغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مِنْ سَمِعَهُ». فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ قَالَ: صَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟»^(١).

﴿قَوْلُهُ ﷺ: «الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»﴾، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْمَعْنَى أَنَّ قَرِيشًا كَانُوا يَقُولُونَ بِالنَّسِيبَةِ، ﴿إِنَّمَا السَّنَةُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ [التَّوْبَةُ: ٣٧]. مُحَرَّمٌ: مِنَ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ، أحيانًا تَوَجَّلَ قَرِيشُ شَهْرَ الْمُحَرَّمِ تَجْعَلُهُ فِي صَفَرٍ، وَشَهْرَ صَفَرٍ تَجْعَلُهُ فِي مُحَرَّمٍ، بِمَعْنَى: أَنَّهُا تُحَلُّ شَهْرَ الْمُحَرَّمِ وَتُحَرَّمُ شَهْرَ صَفَرٍ، وَأَنَّ السَّنَةَ الَّتِي حَدَّثَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ وَافَقَ أَنَّ التَّحْرِيمَ لَشَهْرِ الْمُحَرَّمِ، لَا لَشَهْرِ صَفَرٍ، فَاسْتَدَارَ الزَّمَانُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْمَعْنَى: أَنَّ الزَّمَانَ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ؛ أَي: فِي تَسَاوِيِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ فِي وَقْتٍ تَسَاوَى فِيهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ.

وعلى كلِّ حال: المقصودُ أن الرسولَ ﷺ بينَ عِلْمِنا أَنَّ السَّنَةَ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا هَلَالِيَّةً، وهذه السَّنَةُ مواقيت لجميع الناس للمسلمين والكفار، لهذه الأُمَّة ولغير هذه الأُمَّة، ولهذا كان اليهودُ يصومون عاشوراء في شهرِ المحرم، ويوقتون بهذه الشهور، فهذه الشهورُ كما قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]. هي مواقيت للناس عموماً والحجّ، وقال تعالى في القمر: ﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ [القمر: ٥]. هذا هو التوقيتُ الذي جعله الله تعالى للعباد، لكن توالَتِ الأمور والأحداث وغلب النصراني على بعض البلاد الإسلامية وحولوا التوقيت إلى التوقيت غير العربي وغير الهجري وغير ما جعله الله ﷻ للناس، بأشهر لا نعلم ما أصل هذه الأشهر.

قوله: «منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم»، والحكمة من ذلك -والله أعلم- من أجل أن يسير الناس إلى بيت الله في أمن؛ لأن هذه الأشهر الحرم يحرم فيها القتال.

وفيا سبق لا يصل الناس إلى مكة في أيام الحج إلا من شهرٍ أو أكثر، الذين في أقصى الجزيرة، فلذلك جعل الله ﷻ للحجّ حرماً في الزمان، كما جعل له حرماً في المكان، هذه الأشهر الثلاثة: «ذو القعدة»، شهر قبل شهر ذي الحجة «محرم»، شهر بعد شهر ذي الحجة، حتى يأمن الناس في ذهابهم وإيابهم إلى بيت الله.

والرابع يقول: «ورجب مضر». القبيلة المعروفة من أكبر قبائل العرب، وأضيف إليها؛ لأنه معلوم عندها، ويُعرف بهذه النسبة: رجل مضر، قال: «الذي بين جمادى وشعبان»، جمادى الثانية وشعبان هذا أيضاً من الأشهر الحرم، وهو شهر فرد.

قَالَ الْقِسْطَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: وذلك لأن العرب كانوا يأتون إلى العمرة في هذا الشهر في رجب، ولا يمكن أن يعتمروا في أشهر الحج أبداً يرون أن الاعتِمَارَ في أشهر الحج من أكبر الكبائر، ويقولون: إذا عفا الأثر، وبرأ الدبر، ودخل صفر، حَلَّتِ العمرة لمن اعتمر، (وعفى الأثر): أي انمحي أثر الحجاج، (برأ الدبر): يعنِي: القروح التي تكونُ على ظهور الإبل من الحمل، (ودخل صفر): يعني: بعد الحج بشهر، (حَلَّتِ العمرة لمن اعتمر) أما قبل ذلك فلا تحل، ولهذا اعتمر النبي ﷺ جميع عمره في أشهر الحج حتى إن بعض العلماء تردد، هل العمرة في أشهر الحج أفضل أو في رمضان أفضل؟!.

قوله: «أي شهر هذا؟! قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه»، لماذا قالوا: الله ورسوله أعلم، وهم يعلمون الشهر؛ لأنهم استبعدوا أن يسأل النبي ﷺ عن اسم الشهر مع أنه معلوم، لا إشكال فيه، فظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، إذاً فقولهم: «الله ورسوله أعلم»، يعود إلى تسمية الشهر لا إلى نفس الشهر، فالشهر معلوم عندهم ولا إشكال فيه، لكن ظنوا أن الرسول ﷺ

استفهم عن اسمه لا عن عينه، ولهذا يقول: «فسكت حتى ظننا أنه يسميه بغير اسمه»، وهذا أسلوبان.

❦ قوله: «أي شهر»، والسكوت، أسلوبان من الأساليب التي توجب انتباه الإنسان؛ يعني: لو أن الإنسان ألقى الحديث مرسلًا، يفهم أو لا يفهم، لكن لا ينتبه الناس له مثل ما ينتبهون له إذا سأل، هذه واحدة.

ثانيًا: السكوت، فالسكوت يوجب الانتباه - السكوت في أثناء الكلام يوجب الانتباه - ولهذا نجد أن المحاضر أو الخطيب أو المدرس إذا سكّت أشرأبت الأعتاق والتفتت العيون إليه، ما الذي حدث؟ فاستعمل النبي ﷺ هذين الأسلوبين.

❦ قوله: «أليس ذا الحجة؟». قلنا: بلى، قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟ - البلدة اسم من أسماء مكة - ولها أسماء كثيرة معروفة عند الذين يتكلمون عن مكة وحرمها.

❦ قوله: «قلنا: بلى، قال: فأبي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى». يوم النحر؛ يعني: يوم عيد الأضحى، وسمي يوم النحر؛ لأنه تُنحر فيه الضحايا والهدايا.

❦ قوله: «قال: فإن دماءكم وأموالكم، وقال محمد: وأحسبه قال وأعراضكم - عليكم حرام كحرمة يومكم هذا - في بلدكم هذا في شهركم هذا».

إذا: أراد النبي ﷺ من الاستفهام عن الشهر والمكان واليوم، أراد تأكيد تحريم هذه الثلاثة الدماء، والأموال، والأعراض.

وفي الحديث لفٌ ونشرٌ غير مرتب؛ لأنه بدأ باليوم وهو الأخير، ثم بالمكان، ثم بالزمان، ثم قال ﷺ: «وستلقون ربكم»، وهذا هو الشاهد من الحديث «فيسألكم عن أعمالكم» وقد ورد أن صفة هذا اللقاء أن الله ﷻ، يخلو بعبده المؤمن ويقرره بذنوبه، يقول: فعلت كذا، فعلت كذا، حتى إذا أقر، قال: قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم قال: «ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالًا»، وفي لفظ: «كفارًا»، ولا منافاة بينهما؛ لأن كل كافر فهو ضال، وعلى هذا فيكون المراد بالضلال هنا ضلال الكفر.

❦ قوله: «يضرب بعضهم رقاب بعض»، وهنا قد يسأل النحوي، لماذا قال يضرب بالرفع مع أنها بعد النهي «فلا ترجعوا»، ومعلوم أن فاء السببية إذا حذفت بعد النهي أو الأمر، فإن الفعل يُجزم. نقول الجواب على هذا: أن «يضرب» ليست جوابًا لترجع، ولكنها بيان للضلال، أو للكفر، فهي جملة استثنائية تبين ماذا يحصل به الكفر أو ماذا يحصل به الضلال، «يضرب بعضهم رقاب بعض ألا ليلغ الشاهد الغائب»، هذا كررها مرتين للتنبيه.

❖ وقوله: «يلبغ»، اللام للأمر، والفعل بها مجزوم، ولكنه حُرِّك بالكسر، لالتقاء الساكنين فلعل بعض مَنْ يبلغه أن يكون أوعى من بعض مَنْ سمعه، هذا يُفسر قوله: «رُبَّ مُبْلَغٍ أوعى من سامع»؛ يعني: أن بعض مَنْ يبلغه أوعى مِنْ بعض مَنْ سمعه، وليس كُلُّ مَنْ يبلغه أوعى من كُلِّ مَنْ سمعه، وهذا من الاحتراس في القول، وينبغي للإنسان في مثل هذا التعبير أن يحترس، بدل أن يقول مثلاً الناس فعلوا: يقول: بعض الناس فعلوا، الناس يفعلون، يقول: بعض الناس يفعلون، حتى يكون كلامه محرراً.

❖ قال: «كان محمد إذا ذكره قال: صدق النبي ﷺ» ثم قال: «ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟».

فالجواب: بلغ البلاغ المبين ﷺ بقوله وفعله وإقراره وتركه أمتة على محجة بيضاء ليلها كنهاريها لا يزيغ عنها إلا هالك، ومَنْ خفي عليه شيء من السنة فهو لأحد أسباب ثلاثة: إما نقص علمه، وإما قصور فهمه، وإما سوء قصده.

أما الأول: وهو نقص العلم فواضح.

وأما الثاني: قصور الفهم فواضح أيضاً؛ لأن بعض الناس يحفظ كثيراً، ولكن لا يفهم فيفوتُه من العلم بقدر ما فاته من الفهم.

وأما الثالث: سوء القصد، فإن الإنسان يُحرم العلم ولو كان عنده حفظ كثير وفهم، يُحرم بسبب سوء القصد -والعياذُ بالله-.

ومن سوء القصد: ألا يُريد الإنسان إلا الدنيا، ومن سوء القصد ألا يُريد الإنسان إلا أن ينصرَ رأيَه، ومن سوء القصد ألا يُريد الإنسان إلا أن يتعصبَ لشيخه ومتبوعه، والواجبُ على الإنسان أن يُريد الوصولَ إلى الحق وإذا علم الله من الشخص أنه يُريد الوصولَ إلى الحق سهله له ويسره له سواء في المراجعة أو في المناقشة؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [التيسير: ٤٠]. فإذا علم الله منك أنك تريد الحق يسره لك.

هل تحريم القتال في الأشهر الحرم باقٍ أو لا؟

نقول: أما القتالُ دفاعاً فهو باقٍ في هذه الأشهر حتى في مكة، إذا قاتل الإنسان دفاعاً فإنه له ذلك، ﴿وَلَا تَقْبَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١]. لأن قوله: ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾. أشد، اقتلوه؛ لأنهم انتهكوا حرمتكم وحرمة البيت فاقتلوه، كذلك الأشهر الحرم إذا كان القتال دفاعاً فإنه لا يُنهى عنه، إذا كان القتال طلباً؛ يعني: نحن نريد أن نقاتل الكفار بدون أن يعتدوا علينا، طلب.

فقد اختلف العلماء: هل النهي باقٍ أو منسوخ؟

فقال أكثر العلماء: إن النهي منسوخ.

وقال آخرون: إن النهي باقٍ، والذين استدلوا بأن النهي منسوخ، قالوا: إن الرسول ﷺ

قاتل ثقيفاً الطائف في شهر ذي القعدة، ومعلوم أن شهر ذا القعدة من الأشهر الحرم، وكذلك في غزوة تبوك في المحرم، وهذا من الأشهر الحرم.

وأجاب الآخرون قالوا: إن قتل ثقيف كان امتداداً للفتح، والقتال في الفتح كان في شهر رمضان، وانتهت الترتيبات إلى أن دخل شهر شوال وعلم الرسول ﷺ أن ثقيفاً تستعد له، فاستمر في القتال، وغزوة تبوك أيضاً كانت شبه مُدافعة، وعلى هذا نقول: نسأل الله أن يُعطينا قوةً نقاتلهم حتى في غير الأشهر الحرم، نحن الآن لا نقاتل لا في الأشهر الحرم ولا في غير الأشهر الحرم، ولكن نسأل الله ﷻ أن يعطينا القوة الإيمانية والقوة الهادية.

٢٥- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٨٦﴾ [البقرة: ٥٦].

٧٤٤٨- حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي عُمَانَ، عَنْ أَسَمَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ لَيْعُضَ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْضِي، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهَا فَأَرْسَلَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ». فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ فَأَقْسَمَتْ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقُمْتُ مَعَهُ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا نَاولُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ وَنَفْسُهُ تَقْلُقُ فِي صَدْرِهِ -حَسِبْتُهُ قَالَ: كَانَتْهَا شَتَّةً-، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: سَعِدَ ابْنُ عِبَادَةَ أَتَبْكِي فَقَالَ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ»^(١).

٧٤٤٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ إِبرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتِ الْجَنَّةُ يَا رَبِّ مَا لَهَا لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ. وَقَالَتِ النَّارُ -يَعْنِي-: أَوْثَرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي. وَقَالَ: لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكَ مِنْ أَشَاءَ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلَأُهَا قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ مِنْ يَشَاءُ فَيُلْقُونَ فِيهَا فَنَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ. ثَلَاثًا، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَمْتَلِئُ وَيَرُدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَنَقُولُ: قَطُّ قَطُّ قَطُّ»^(٢).

هذا الباب عقده البخاري رحمه الله ﷻ وقد سبق التفصيل في الرحمة وذكرنا أنها تنقسم أولاً إلى قسمين: مخلوقة وغير مخلوقة، وأن المخلوقة تنقسم أيضاً إلى قسمين: عامة وخاصة، وسبق الكلام على هذا وبيان أن أهل التعطيل أنكروا أن يكون لله رحمة بمعنى ما أراده الله ورسوله، وقالوا: المراد بالرحمة ما يترتب عليها من ثواب وإنعام وما أشبه ذلك.

❁ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. فيها الحث على الإحسان وأنه كلما كان الإنسان أكثر إحساناً كان أقرب إلى رحمة الله ﷻ لأنه يكون رحيماً بذلك، والله تعالى يرحم من

(١) رواه البخاري (٧٤٤٨)، ومسلم (٩٢٣).

(٢) رواه البخاري (٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

عبادة الرحاء، ثم ذكر حديث الصبي الذي لإحدى بنات الرسول ﷺ وتقدم الكلام عليه، ثم ذكر حديث أبي هريرة، وفيه اختصمت الجنة والنار إلى ربها، فالجنة قالت: يارب إنه لا يدخلها إلا الضعفاء، والنار قال: إنها أوثرت للمتكبرين، وفي قول الراوي: «وقالت النار؛ يَغْنِي: أوثرت». دليل على أنه لم يضبط اللفظ، ولكنه صحيح.

وفي الحديث: أن الله قال للجنة «أنت رحمتي»، وهي مخلوقة، «وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك ما أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها، قال: فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وإنه ينشئ للنار من يشاء»، هذا لا شك أنه منقلب على الراوي، منقلب انقلاباً واضحاً.

والصواب: فأما النار فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وأما الجنة فإنه ينشئ لها من يشاء، وهذا قد مر علينا على الوجه الصحيح، فالحديث منقلب، وعليه فيكون: فأما الجنة فينشئ لها من يشاء وأما النار فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، فيلقون فيها ... إلى آخره.

وقوله: «حتى يضع فيها قدمه فتمتلي»، هذا مما استدل به أهل التعطيل على أن المراد بالقدم من يقدمهم الله إلى النار؛ لقوله: «فتمتلي».

وسبق لنا اللفظ الصواب «فينزوي بعضها إلى بعض» وتنضم هي بعضها إلى بعض من وضع الرب عليها قدمه، وهذا هو الصواب، ويحمل قوله: «فتمتلي». إن كان محفوظاً على أنه إذا انضم بعضها إلى بعض لم يعد فيها مكان لأحد، لأنه إذا انزوى بعضها إلى بعض امتلأت فيحمل على هذا المحمل، والشاهد من هذا قوله: «أنت رحمتي».

٧٤٥٠- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِكَيْصِينَ أَقْوَامًا سَفَعُ مِنَ النَّارِ بِذُنُوبٍ أَصَابُوهَا عُقُوبَةً، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ يُقَالُ لَهُمُ: الْجَهَنَّمِيُّونَ». وَقَالَ هِشَامٌ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ حَدَّثَنَا أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

هذا سبق على ما يدل عليه في الحديث الطويل عن أبي سعيد وغيره.

٢٦- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [طه: ٤١].
٧٤٥١- حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ خَبَرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ السَّمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ وَالْأَنْهَارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ بِيَدِهِ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].^(١)

(١) رواه البخاري (٧٤٥١)، ومسلم (٢٧٨٦).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾. فيها بيان الإمساك، والإمساك: القبض، وقد سبق أن الله قال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]. وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. فالله تعالى يمسك السموات والأرض ﴿أَنْ تَزُولَا وَلَكِنْ زَالَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [طه: ٤١]. يعني: ما أمسكها أحد من بعده ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾؛ يعني: السماء فوق الأرض، فلولا إمساك الله تعالى لها لوقعت على أهل الأرض.

٢٧- باب ما جاء في تَخْلِيْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْخَلَائِقِ.
وَهُوَ فِعْلُ الرَّبِّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَأَمْرُهُ فَالرَّبُّ بِصِفَاتِهِ وَفِعْلُهُ وَأَمْرُهُ وَكَلَامُهُ وَهُوَ الْخَالِقُ الْمُكُونُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَمَا كَانَ بِفِعْلِهِ وَأَمْرِهِ وَتَخْلِيْقِهِ وَتَكْوِينِهِ فَهُوَ مَفْعُولٌ مَخْلُوقٌ مُكُونٌ.
قوله رَحِمَهُ اللهُ «باب ما جاء في تَخْلِيْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» تَخْلِيْقُ مصدر خَلَقَ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ مصدر خَلَقَ، وهي في نسخة عندي: خَلَقَ السَّمَوَاتِ، فيجوز خَلَقَ وَتَخْلِيْقُ، وفي القرآن ﴿مُخَلَّقَةً وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [المائدة: ٥٠]. «مُخَلَّقَةٌ» مشتقة من التَخْلِيْقِ، تَخْلِيْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْخَلَائِقِ.

قوله: «وهو» -أي: التَخْلِيْقِ «فعل الرب تبارك وتعالى وأمره» فعله وأمره، التَخْلِيْقُ يكون بأمرين، بالأمر والفعل، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ٢٥]. فلا يتم الخلق إلا بالأمر، والأمر هنا مسبوق بالإرادة، وإنما بَوَّبَ البخاري رَحِمَهُ اللهُ لهذا؛ لأن من أهل البدع من يقول: إن الرب ليس له فعل، وأن المراد بفعله مفعوله، لماذا؟ لأنه لو قام الفعل بالخالق لكان محلاً للحوادث، ولا يكون محلاً للحوادث إلا الحادث، وسبق أن هذه القاعدة فاسدة وباطلة وأن الرب رَحِمَهُ اللهُ لم يزل ولا يزال خلاقاً، والمخلوق هو الذي يتجدد، والفعل المقارب للخلق كذلك أيضاً يتجدد، ولكن لم يزل ولا يزال خلاقاً، فعلى هذا نقول: البخاري رَحِمَهُ اللهُ سلك في هذا مسلك السلف الصالح، وهو أن الفعل غير مخلوق، الفعل صفة قائمة بالرب، والمفعول مخلوق بائن عن الرب، وغرضه بذلك الرد على من زعم أن الفعل هو المفعول، قصده بذلك الرد على من زعم أن فعل الله مفعوله وليس لله فعل يقوم به.

إِذَا: البخاري رَحِمَهُ اللهُ سلك مسلك السلف في أن الفعل غير المفعول، الفعل فعل الرب، والمفعول مفعول، منفصل عن الرب مُكُونٌ ولهذا قال رَحِمَهُ اللهُ: وهو فعلُ الرب تبارك وتعالى وأمره، فعل الرب واضح، الخلق هو فعل الرب، أمره؛ يعني: الكائن بأمره، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ٢٥]. يقول للسَّمَوَاتِ: كن فتكون، ويقول لها وللأرض: ﴿إِنِّي طَوَعْتُ أَنْ يَخْلُقَهَا﴾ [طه: ١١]. وهكذا كلُّ المخلوقات حتى الذرة: إذا أراد أن يخلقها رَحِمَهُ اللهُ قال لها: كوني، فتكون، وَرَحِمَهُ اللهُ الذي وسع هذه الخلائق العظيمة، كم يُخْلَقُ في اللحظة من المخلوقات؟ أم لا

يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، وهو ﷻ يقول لها كلها: كن، فتكون، وإذا كان الربُّ ﷻ وسع الأصوات كلها، الكل يُصلي يقول: الحمد لله رب العالمين، فالربُّ ﷻ يقول لهم: حمدي عبدي، كلُّ مُصَلٍّ في أيِّ مكانٍ، ولو اتحد الزمانُ، فإنَّ الله يقول: حمدي عبدي، وهذا يدلُّك على سعة الله، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ [٢٣٨:١٠٠]. محيطٌ بكلِّ شيءٍ علماً ﷻ، وعلى هذا فنقول: قوله ﷻ: هو «أمره»؛ يعني: الكائن بأمره، الخلقُ فعلُ الربِّ، وأمره؛ يعني: الكائن بأمره الكوني.

❖ قوله: «فالرب بصفاته وفعله وأمره»، يعني: الربُّ ربُّ بصفاته، فالصفات لا تنفصل عن الموصوف، و«بصفاته» أزلي أبدي جلَّ وعلا، الأوَّل الذي ليس قبله شيءٌ، والآخر الذي ليس بعده شيءٌ، وهذا أيضًا ردٌّ على مَنْ قال: إن الصفةَ غيرُ الموصوفِ، يقول: «الرب بصفاته»، فأنت إذا دعوتُ الله، هل دعوت ذات مجردة من الصفات؟ إذا قلت يارب، فأنت تسأل الله وأنت تستحضر جميع صفاته التي تحيط بها، يعني: يارب بالصفات الكاملة والأسماء الحسنى، فالله ﷻ بصفاته وكذلك بأسمائه، لكن لم يذكر الأسماء لأن الكلام الآن في الخلق، والخلق صفة، فالرب بصفاته، الجار والمجرور «بصفاته» خبر الرب؛ يعني: الربُّ ربُّ بصفاته وفعله وأمره، وأشار البخاري رحمه الله بقوله: «الرب بصفاته وفعله» إلى القول الراجح في تسلسل الحوادث، إذا كان الرب بفعله لزم من هذا أن يكون الفعل قديمًا أزليًا وهو كذلك، فالفعل قديمٌ أزليٌّ، لكن المفعول هو الحادث والفعل المقارن للمفعول حادثٌ، ولهذا نقول: فعلُ الله الذي هو فعله من حيث الجنس أزليٌّ، لم يزل ﷻ فعَّالًا، والفعل المقارن للمفعول حادثٌ كالكلام سواء، أصلُ الكلام أزليٌّ وما يتكلَّم به ﷻ حين يتكلَّم فهو حادثٌ، ولا مانع أن نقول بهذا، أليس الله يقول: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [١٤٣:١٠]. فكان الكلام حين المجيء لم يكن من قبل، فالأمر في هذا واضح، فالبخاري رحمه الله أشار بهذا إلى أن الأرض لازمة له، وهذا هو الحقُّ، ومن تأمله وجدَّ أنه لا يُمكن العدول عنه خلافًا لمن شنع على شيخ الإسلام رحمه الله بقوله بهذا القول، والإنسان يستغرب كيف يُشنع؟ لأننا إذا قلنا: إنه ليس هناك تسلسل وأن الله في الأوَّل كان لا يدري نقول: لماذا لا يدري الله؟ هل هو عاجزٌ؟ إن قالوا: نعم: كفروا، وإن قالوا: بلى، قلنا: فإن كان كذلك؛ فما الذي يمنعه أن يفعل؟ فجواز تسلسل الحوادث في الأزل كجوازه في المستقبل ولا فرق، هو الأوَّل بصفاته وأفعاله التي ليس قبله شيءٌ، والآخر بصفاته وأفعاله الذي ليس بعده شيءٌ.

❖ قوله: «أمره». الأمر الذي يكون به الفعل. «كن». هذا أمر فهو لم يزل ﷻ بصفاته وفعله وأمره.

❖ قوله: «وهو الخالق المكون»، أراد المؤلف رحمه الله بقوله وهو المكون: أن يفسر معنى الخالق، لا أن يُثبت أن المكون من أسماء الله، ولهذا ليس من أسماء الله المكون، لكن هو فسر الخالق، والخالق من أسماء الله، الباري الخالق، «المكون»، تفسير للخالق وإن شئت فقل: تفسير للمصور كما قال تعالى: ﴿الْخَلِيقَ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [٢٤:٢٤]. أي: المكون للشيء على الصورة التي

أرادها.

❦ قوله: «غيرُ مخلوق»، وإن حدثت منه الأفعال فإنه ليس بمخلوق؛ لأن الله هو الخالق وما سواه مخلوق، ثم قال: وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول، ففرق رَحْمَةُ اللَّهِ بين الفعل والفاعل والمفعول، فهذه ثلاثة أشياء، كل واحدة منها لها حقيقة: فاعل وفعل ومفعول.

الأول: الفاعل، ثم الفعل، ثم المفعول، هذا إذا قلنا: الفاعل؛ يعني: الذي يريد أن يفعل، أما إذا قلنا: الفاعل الذي قام به الفعل، فالفعل سابق على الفاعل؛ لأنه لا يصدق عليه أنه فاعل حقيقة إلا بعد وقوع الفعل.

الفاعل: الأصل أنه لا فعل إلا بفاعل، أليس كذلك، فإذا قلنا: لا فعل إلا بفاعل لزم أن يسبق الفاعل الفعل، ولا مفعول إلا بفعل، فالسابق الفعل، لكن إذا أريد بالفاعل حقيقة الفعل فهنا يجب أن يسبق الفعل الوصف بالفاعل؛ يعني: ما يكون فاعلاً حتى يفعل، أنا مثلاً: ناطق حقيقة ولا أكون ناطقاً حقيقة إلا بعد أن أنطق، لكن قبل أن أنطق أكون ناطقاً حكماً، ولا يمكن النطق إلا بوجود، فالناطق سابق على النطق، والمنطوق به متأخر عن النطق، لكن إذا أردت حقيقة وصفه بالفعل فإنه لا يمكن أن يكون فاعلاً حتى يفعل.

❦ قوله: «وما كان بفعله وأمره وتخليقه...» فهو مخلوق عائد على تخليقه وأمره، والحاصل من هذه الترجمة أن المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ أراد أن يُبين أن ما سوى الله مخلوق وأن الله وحده هو الخالق وأنه عَلَّمَ رب بفعله ووصفه بأفعاله وصفاته، فلم يزل فعلاً، ولن يزال موصوفاً بصفاته الكاملة، وأن الخلق حادث، -الخالق الذي هو المخلوق حادث-.

فإن قيل: إن الصفات الفعلية أصلها أزلي، فما الجواب عن قوله: إن رحمتي سبقت غضبي؟
الجواب: المعنى: إذا وجد مقتضى الغضب ومقتضى الرحمة، فالرحمة تسبق هذا المعنى، ليس المعنى سبقت في الأزل، المعنى: إذا وجد شيء يوجب غضب الله ورحمة الله فالرحمة تغلب وتسبق.

٧٤٥٢- حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَثُّ فِي بَيْتٍ مِمْوَنَةٌ لَيْلَةٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا لِأَنْظُرَ كَيْفَ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ، فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ أَوْ بَعْضُهُ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَرَأَ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَنْصَابِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَا أُولَى الْأَلْبَابِ﴾ ❶
[الطحاوي ١٩٠] ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنْنَى، ثُمَّ صَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، ثُمَّ أَذَّنَ بِإِلَاءِ الصَّلَاةِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى لِلنَّاسِ الصُّبْحَ. ❷

صلة ميمونة بعبد الله بن عباس أنها خالته أخت أمه، وابن عباس عليه السلام ذكي عاقل حريص على العلم حتى إنه كان يأتي إلى الرجل من أصحاب الرسول ﷺ في القبولة ويضع رداءه يتوسده، ينام على العتبة حتى يخرج صاحب البيت ويقول: حدثني عن رسول الله، فيقول له: يا ابن عم رسول الله: لماذا لم تقم؟ قال: أنا صاحب الحاجة.

وفهمه وعقله وفقهه عليه السلام معروف، أحب أن ينظر كيف يصنع الرسول ﷺ في أهله وكيف يصلّي في الليل؟ يقول: فدخل النبي ﷺ بعد صلاة العشاء وتحدث مع أهله ساعة يعني: يمكن أقل أو أكثر من ستين دقيقة، لكن معروف أن الرسول ﷺ يكره الحديث بعد صلاة العشاء، فيكون هذا الحديث الذي تحدث به حديثاً يحصل به الإناس للأهل؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «خيركم خيركم لأهله»، ومعلوم أن الرجل لو جاء إلى أهله ودخل عليهم، ثم انصرف إلى الفراش ونام والمرأة نامت لا يكون هناك ألفة، وهذا سبب للقطيعة، ولكن إذا تحدث معه أهله ساعة يؤسّسهم ويدخل السرور عليهم فهذا من هدي الرسول ﷺ.

قوله: «ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر أو بعضه قعد صلوات الله وسلامه عليه»، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي أَيَّامٍ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ [البقرة: ٢٠]. حسب نشاطه ﷺ، أما إذا مضى ثلث الليل أو نصفه أو ثلثاه، يقول: «فقعده فنظر إلى السماء» نظر تفكّر واتعاطى لما فيها بما فيها من الآيات العظيمة، هذه النجوم والزواجر والقمر الزاهر يستدل به على عظمة الله ﷻ وحكمته ونظامه العظيم.

قوله: «اقرأ ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾». ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: تخليقهما، وما أودع الله فيهما من الغرائب، وبدائع الصنعة، واختلاف الليل والنهار، في أي نوع من الاختلاف بالطول، والقصر، والحر، والبرد، والحرب، والسلم، والصحة، والمرض، والعز، والذل، وغير ذلك، كل فيه آيات لأولي الألباب.

﴿وَاخْتَلَفَ أَيْتِلُ وَالنَّهَارُ لَا يَنْتَبِهُ لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾. آيات: جمع آية، وهي العلامة الدالة على ما الله تعالى من الحكمة والرحمة وغير ذلك مما تقتضيه هذه الاختلافات.

قوله: «﴿لَا يَنْتَبِهُ﴾»؛ المعنى: في كل واحدٍ منها آيات أو آيات موزعة على الجمع السابق؟ الجواب: الأول، كل شيء من هذه فيه آيات عظيمة، فمثلاً: النجوم فيها آيات في عظمها وكبرها ونورها وحركاتها وسكناتها ولونها، بعض النجوم تجده يتحرك يلمع، وبعضها ساكن وبعضها أبيض وبعضها يميل للحمرة، وبعضها كبير وبعضها صغير، وبعضها سائر وبعضها خالص، كل في آياته، وهكذا القمر وهكذا الشمس في آياته لكن لمن؟ لأولي الألباب لأصحاب العقول، أما الغافلون فلا يتفكرون بهذه الآيات.

❦ قوله: «ثم قام فتوضأ واستن ثم صَلَّى إحدى عشرة ركعة»، «توضأ واستن»؛ يعني: استاك، وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك^(١)، هكذا قال حذيفة رضي الله عنه بأن يدلّكه، دلّكًا بغسل؛ لأنّ الفم يتغيّر بالنوم.

واستدلّ بهذا الحديث على أن القرآنَ يجوزُ لغير المتوضئ؛ لأنّ النبي ﷺ قرأ قبل أن يتوضأ وهو كذلك، ولكن الاستدلالُ على هذا بهذا الحديث فيه نظر، وذلك لأنّ نوم النبي ﷺ لا ينقض الوضوء حيث تنام عيناه، ولا ينام قلبه^(٢)، وهو ﷺ فيما يظهر قد نام على وضوئه، فيكون قد قام على وضوئه.

❦ قوله: «ثم أذن بلال بالصلاة فصلّى ركعتين ثم خرج فصلّى للناس الصبح» في هذا أيضًا دليل على أن الإمام ينبغي له أن يصلّي الرواتب في بيته لا في المسجد، وأنه إذا دخل المسجد أقيمت الصلاة، هذا في الصلوات الخمس، أما في الجمعة فهو أؤكد، وبه نعرف أن ما يفعله بعض الأئمة من التقدم يوم الجمعة والصلاة والجلوس حتى يأتي وقت خروج الإمام، ثم يقوم فيصعد المنبر أن هذا خلاف السنة، وهو يريد أن يحصل على أجر التقدم في الجمعة، فنقول له: أجر اتباع السنة أكثر من أجر التقدم فلا تتقدم، لا تأت إلا وقت صعودك إلى المنبر، وكذلك بقية الصلوات، فالسنة للإمام أن يتأخر في بيته فإذا جاء أقيمت الصلاة، ولهذا قال النبي ﷺ: «لا تقوموا حتى تروني»^(٣) مما يدل على أنه يأتي، ثم تقام الصلاة فورًا.

❦ قوله: «فصلّى للناس»، اللام قيل إنها بمعنى «الباء»، أي: صلّى بالناس الصبح، وقيل: صلّى لهم؛ لأنه إمامهم. فاللام للتعليل، وليس المعنى أنه صلّى تقرّبًا إلى الناس، ولكن صلّى لأجلهم؛ أي: ليكون إمامًا لهم.

الشاهد من هذا الحديث: قراءته هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. مَنْ خلقهما؟ الله.



٢٨- باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْفَرَسَيْنِ﴾ (الأنعام: ١٧١).

٧٤٥٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ عَنْهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»^(١).

❦ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْفَرَسَيْنِ﴾. بقية الكلام ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (الأنعام: ١٧١) وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْفَالِقُونَ (الأنعام: ١٧٢-١٧٣).

❦ ففي قوله: ﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾. دليل على أن كلمات الله ﷻ فيها سابقٌ ومسبقٌ وهو كذلك؛ لأن

(١) أخرجه البخاري (٨٨٩)، ومسلم (٢٢٥).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٩٠٩).

(٤) رواه البخاري (٧٤٥٣)، ومسلم (٢٧٥١).

الله يتكلّم متى شاء.

❖ وفي قوله: «لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي»، هذا أيضاً مما سبق من كلماته ﷺ ما كتبه في أن رحمته سبقت غضبه؛ ومعنى الحديث: أنه إذا حصل فعل يكون سبباً للرحمة وسبباً للغضب، فإن الرحمة تسبق الغضب ويرحم الله ﷺ بها من شاء.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٥٤- حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنْ أَحَدَكُمُ لِعَمَلٍ يَعْمَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ أَحَدَكُمُ لِعَمَلٍ يَعْمَلُ أَهْلُ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»^(١).

هذا الحديث كالأول فيه بيانُ حدوث الكلام.

❖ يقول ابن مسعود: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق» الصادق فيما أخبر به، المصدوق فيما أخبر به؛ يعني: ما كذب ولا كُذِّبَ بخلاف الكهان، فالكهان كاذبون مكذوبون؛ لأن الشياطين التي تُلقِي إليهم السمع تكذب مع الصدق مائة كذبة، وهم يكذبون أيضاً، أما النبي ﷺ فهو صادق مصدوق، صادق فيما أخبر به، مصدوق فيما أخبر به، فالوحي الذي أوحاه الله إليه صدق، وخبره إيانا صدق، وإنما قدّم ابن مسعود هذه المقدمة؛ لأنه سيتحدث عن أمر غيبي لا يعلمه إلا الله ﷻ ولا سيما أنه في ذلك الوقت ليس هناك طبٌّ متقدّم يعرف الناس كيف يتطوّر الجنين.

❖ قوله: «أن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلة»، يُجمع: الجمع ضد التفريق، وذلك أن الحيوانات المنويّة في النطفة الواحدة كثيرة جداً، تُجمع هذه لمدة أربعين يوماً نطفة.

❖ قوله: «ثم يكون علقه مثله» يتحول هذا المنى إلى علقه، العلقه: دودة دقيقة جداً حمراء، يكون هذا الحيوان المنوي علقه مثله؛ أي أربعين يوماً.

❖ قوله: «ثم يكون مضغة مثله»؛ أي: أربعين يوماً، والمضغة: القطعة من اللحم بقدر ما يمضغه الإنسان في الأكل، ولكن لا تظن أن هذا التحول يحدث طفرة واحدة؛ بمعنى يبقى أربعين يوماً منياً، ثم في تمام الأربعين

ينقلب مرة واحدة أحر، ثم بعد أربعين ينقلب مرة واحدة مضغة، لا، يتكوّن شيئاً فشيئاً، لكن يغلب عليه في الأربعين الأولى أن يكون نقطة وفي الأربعين الثانية أن يكون علقة وفي الأربعين الثالثة يكون مضغة، ويتكون بإذن الله العظم واللحم، كل شيء.

❖ قوله: «ثم يُعَبِّثُ إليه الملك»، الملك اسم جنس يُراد: به الملائكة الموكّلون بها في البطون.

❖ قوله: «فيؤذن بأربع كلمات»؛ أي يُعلم، يؤذن؛ أي يُعلم، كما قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ﴾ [الأنعام: ٣]. أي: إعلاماً بأربع كلمات.

❖ قوله: «فيكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد»، يكتب الملك هذه الأشياء الأربعة:

أولاً: الرزق؛ ولكن يُكتب الرزق بأسباب الرزق من أين يأتيه؟ بشراء إرث، هبات، يكتب الرزق.

ثانياً: الأجل: يُكتب طويل أو قصير.

ثالثاً: العمل: يُكتب عمل صالح أو عمل فاسد.

رابعاً: الشقي أو السعيد المآل، مآله إلى الشقاء أو مآله للسعادة، كل هذا يُكتب، ولكن نسال،

هل نحن عندنا علم بالمكتوب؟

الجواب: لا، ليس عندنا علم بما يكتب، الملك الموكّل بذلك عنده علم متى سيموت هذا

الرجل؟ كيف رزقه؟ كيف أجله؟ كيف عمله؟ كيف مآله؟ لكن نحن ليس عندنا علم، ولهذا لا

يمكن لأحد أن يحتج بهذا الحديث وما شابهه على معصية الله، لأننا نقول له لو احتج: ما الذي

أعلمك أنك من الأَشقياء؟ ما الذي أعلمك أن عملك سيء؟ أنت الذي اخترت وأنت لا تعلم أن

عملك سيء إلا بعد أن تفعل.

❖ قوله: «ثم ينفخ فيه الروح»، الروح من الأشياء التي لا تفنى إذا خلقها الله ﷻ فإنها لا تفنى؛

لأنها عند الموت تخرج من الجسد فقط وتُنعم أو تعذب، ويوم القيامة تُردُّ إلى الجسد فهي من

المخلوقات الدائمة التي خلقها الله ﷻ للبقاء ولذلك ليست من العناصر المعروفة، يعني: ليست

من حديد ولا من خشب ولا من طين، من عنصر الله أعلم به كما قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٨٥]. ولهذا تجدها تتخلل البدن

وتخرج منه في النوم من غير أن يشعر الإنسان، وترجع عند اليقظة من غير أن يشعر بشيء دخل فيه أو

خرج منه، مع أنها لا شك أنها تخرج؛ ولذلك يفقد الإحساس، وتعود ولذلك يعود الإحساس، فلهذا

أمرها عجيب، فالروح أمرها عجيب، ومن ثم قطع الله ﷻ علينا الوصول إلى حقيقتها فقال:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

يقول في الحديث: «ثم ينفخ فيه الروح» والنفخ معروف، والنافخ: الملك، كيف ينفخ الملك؟

نقول: هذا ليس لنا أن نسأل عنه؛ لأن هذا أمرٌ غيبيٌّ وإذا كان الشيطان وهو عدوٌّ للإنسان يجري

من ابن آدم مجرى الدم، فالملك الذي يسير بأمر الله من باب أولى، والشيطان كذلك يسير بأمر الله،

لكنه ابتلاء وامتحان.

قوله: «فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»، هاتان الجملتان من أشد ما يكون إخافة للإنسان الذي يعمل بعمل أهل الجنة؛ لأنه لا يدري ماذا يُختم له، قد يعمل بعمل أهل الجنة حتى يكاد يصلها لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع، وقد كُتِبَ شقيًّا من أهل النار فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار.

والثاني بالعكس يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، ولكن قد ثبت في صحيح البخاري في قصة الرجل الذي كان في غزاة مع الرسول ﷺ وكان مقدامًا شجاعًا لا يدع للعدو شاة ولا فاذة؛ يعني: إلا قضي عليها، فقال النبي: «هذا من أهل النار» مع أنه مجاهد، فعظم ذلك على الصحابة وكبر عليهم، فقال أحدهم: والله لأكرمه حتى أنظر ماذا يكون أمره، «ألزمته»؛ يعني: أتابعه وأنظر مآله، يقول: فأصابه سهمٌ من العدو فجزع فوضع ذبابة سيفه على صدره واتكأ على السيف حتى خرج السيف من ظهره -نعوذ بالله- فقتل نفسه، فجاء الرجل في الصباح إلى النبي ﷺ وقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «ولم؟» قال: الرجل الذي قلت فيه كذا وكذا، هذا ما فعل، فقال النبي ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار»^(١) فهذا الحديث يُقَيِّدُ حديث ابن مسعود، فيكون قوله: «حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع»؛ أي حتى يقرب أجله وهو يعمل بعمل أهل النار أو بعمل أهل الجنة، فيكون قد سبق عليه الكتاب.

فإذا قال قائل: ما هو السبب؟ أليس الله ﷻ، قد سبقت رحمته غضبه؟ أليس الله تعالى قال: «وَكَانَ اللَّهُ شَهِيدًا عَلِيمًا» [النساء: ١٤٧]؟ فهل من شكر الله أن يعمل له هذا الرجل إلى أن يبقى بينه وبين الموت هذا القدر، ثم يخجله الله؟ أين الشكر؟

الجواب: نقول: والله إن الله لشكورٌ عليمٌ، لكن هذا الرجل -نعوذ بالله- في قلبه سرٌّ هو الذي أهلكه: إما مراعاة ناس أو أحقاد أو كرهه لبعض ما أنزل الله أو ما أشبه ذلك، هذا السر الذي لا يبدو للناس هو الذي خانته، أحوج ما يكون إليه، فأودى به إلى الهلاك، ولهذا يجب علينا أن نظهر قلوبنا دائمًا وأن نحافظ على طهارتها وسلامتها أكثر مما نحافظ على ركن من أركان الصلاة أو شرط من شروط الصلاة، يعني الإنسان منّا لا يكاد يُفَرِّطُ في ركن من أركان الصلاة أو شرط من شروطها، لكن القلوب قد غبنا عنها لا نظهرها وهذا يُخْشِي علينا منه، نسأل الله أن يسلمنا منه، المسألة خطيرة، وبهذا الحديث الذي سقناه في قصة الرجل يرتاح الإنسان ويحافظ على قلبه وعلى سلامة قلبه حتى

(١) رواه البخاري (٦٤٩٣)، ومسلم (١١٢).

يوافق ظاهره باطنه ويسلم من سوء الخاتمة - نسأل الله العافية -.

أما العكس الذي يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فهذا كثير، ما أكثر الذين أسلموا في عهد الرسول ﷺ ثم ماتوا قريباً من إسلامهم! ومنهم الأصيري رجل من بني عبد الأشهل كان كافراً مُعَادِيًا للدعوة الإسلامية، فلما سمع بالخروج يوم أحد ألقى الله في قلبه الإسلام وخرج مع الناس للغزو في سبيل الله فقتل، فلما تتبع الناس قتلاهم بعد انفكاك المعركة وجدوا الأصيري، قالوا: ما الذي جاء بك ونحن قد عهدناك تكره هذا الأمر. أَلَحَدْتُ عَلَى قَوْمِكَ أَمْ رَغِبَ فِي الْإِسْلَامِ؟! قال: بل رغبة في الإسلام - ما شاء الله، انظروا إلى حسن الخاتمة - وبلغوا عني رسول الله ﷺ السلام وأخبروه، ثم مات من حينه، فهذا الرجل كان يعمل بعمل أهل النار، حتى لم يبق بينه وبينها إلا ذراع أو أقل، فخرج وقُتِلَ شهيداً في سبيل الله، فنسأل الله أن يكتب لنا ولكم الخاتمة وأن يُطَهِّرَ قلوبنا وأن يجعل بواطننا خيراً من ظواهرنا إنه على كل شيء قدير.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٥ - حَدَّثَنَا خَلَادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَا جَبْرِيلُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا». فَتَزَلَّتْ ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [٦٤: ٦٤] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قَالَ هَذَا كَانَ الْجَوَابُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ (١).

هذا الحديث فيه: اشتياق النبي ﷺ إلى زيارة جبريل؛ لأن الملائكة عباد الله ﷻ فيجب علينا أن نجهم لله؛ لأنهم عبادته، عباد مكرمون ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [٢٧: ٢٧]، فعرض عليه النبي ﷺ قال: «ألا تزورنا»، وفي لفظ «ما يمنعك أن تزورنا» أكثر مما تزورنا، فتزلت هذه الآية: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ...﴾ [٦٤: ٦٤]. قال: هذا كان الجواب لمحمد ﷺ، جواباً من الله عن قول الرسول ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا».

والشاهد في هذا الحديث: أن قوله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ﴾ [٦٤: ٦٤]. كلام، فهو كلام الله ﷻ حصل بعد أن قال النبي ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا».

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥٦ - حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ مُتَكَيِّ عَلَى عَسِيبٍ، فَمَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ

لِبَعْضٍ: سَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى الْعَصِيبِ وَأَنَا خَلْفَهُ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) ﴿الْأَنْعَامُ: ٨٥﴾. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ قَدْ قُلْنَا لَكُمْ لَا تَسْأَلُوهُ. ^(١)

هؤلاء اليهود يسألون الرسول ﷺ تعنتًا وتنطعًا لا أنهم يريدون أن يرجعوا إلى حكمه؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣) ﴿الْأَنْعَامُ: ٢٣﴾. فهم لا يحكمون الرسول ﷺ ولا يسألونه إلا تعنتًا، ولهذا اختلفوا هل يسألونه عن الروح أو لا؟ فقال بعضهم: سلوه، وقال بعضهم: لا تسألونه، والمراد بالروح هنا: نفس الإنسان وهي الروح التي في البدن، وهي من أمر الله ﷻ لا يمكن للإنسان أن يدرك كنهها وحقيقتها، لكن يعرف ذلك بآثارها، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الروح تُقبض وتُفَضَّن وأن الميت يراها يتبعها بصره إذا توفي ^(٢) وهذا يدل على أنها ذات جُرم، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في الروح، أنها جسم لطيف لا يشبه هذه الأجسام وليس من مادة منها هذه الأجسام -والله أعلم- بكيفيتها وحقيقتها.

وقال بعض المتكلمين إن الروح صفة من صفات البدن كالمرض والصحة والقوة والنشاط والضعف وما أشبه ذلك.

وقال بعضهم: هي جزء من أجزاء البدن.

وقال بعضهم: هي الدَّم.

وقال بعضهم: هي البدن، واضطربوا فيها، وسبب اضطرابهم أنهم لم يبلغهم ما جاء في الكتاب والسنة عن هذه الروح، وقالت الفلاسفة: الروح ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلًا بالبدن ولا منفصلًا عنه، ولا مباينًا للبدن، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، وصفوها بالعدم كما وصفوا الله بالعدم.

فسبب اضطراب هؤلاء وهؤلاء أنهم لم يدركوا ما جاء في الكتاب والسنة من صفاتها، ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: المتكلمون بالنسبة للروح ممثلة، والفلاسفة معطلة، وصدق رحمه الله، هؤلاء ألحقوها بالأجسام، وهؤلاء وصفوها بالعدم المحض، أما نحن فنقول: هي من أمر الله، وأمرها عجيب ولا يمكن إدراك حقيقتها ولا كنهها، ونعلم أنها ليست من المادة التي خلق منها الجسد، وليس لنا أكثر من ذلك.

❦ قوله: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا»، الخطاب للناس كلهم ما أوتوا من العلم إلا قليلًا،

(١) رواه البخاري (٧٤٥٦)، ومسلم (٢٧٩٤).

(٢) رواه مسلم (٩٢٠).

وكان في هذا توبيخٌ لهم، يعني: كأنه يقول: ما فاتكم من العلم إلا الروح تسألون عنها، فاتكم شيءٌ كثيرٌ، «ما أوتيت من العلم إلا قليلاً»، وصدق الله، ما أكثر ما يخفى علينا مما هو بين أيدينا، الكتاب والسنة الآن بين أيدينا ويخفى علينا شيءٌ كثيرٌ من أحكامهم، نحن نعيش في وسط مجتمع ويخفى علينا كثيرٌ من المجتمع، بل الإنسان يعيش في أهله في عَشٍّ محصورٍ ومع ذلك يخفى عليه شيءٌ كثيرٌ من أهله، إذا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً كما قال ربنا ﷻ.

قال بعضهم لبعض: قد قلنا لكم لا تسألوا، وكأنهم تنادوا فيما بينهم؛ لأنهم يُفسرون الروح بغير ذلك، هذا هو الذي يظهر.

فإن قيل: هل الذي يسأل تعتنا تجبُ إجابته؟

فالجواب: لا؛ لأن الله تعالى خيرُ النبي ﷺ في ذلك فقال: ﴿إِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٥٧]. فإذا علمنا أن الرجل لا يسأل إلا تعتنا -يعني: يُريدُ الاشفاق على المسئول- فإن الإنسان بالخيار، وإلا فالأصل أن من سأل عن علمٍ وجبت عليك إجابته؛ لأن كتاب العلم محرمٌ، ومن كبائر الذنوب.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٧- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَكْفُلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»^(١).

❁ وقوله: «تَكْفُلَ». بمعنى ضمن؛ أي: ضمن الله لمن جاهد في سبيله بهذا الشرط لا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ؛ أي: كلماته الشرعية بأن من قاتل في سبيل الله ثم قُتِلَ فله الجنة.

❁ وقوله: «إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِهِ». الجهاد في سبيل الله هو القتال لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا قَاتِلَ حِمِيَّةٍ، أَوْ قَاتِلَ شَجَاعَةٍ، أَوْ قَاتِلَ رِيَاءٍ فَلَيْسَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَلْ مِنْ قَاتِلٍ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي ضَمِنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ إِذَا لَمْ يُقْتَلْ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ.

❁ قوله: «من أجر». إذا كان قصده أن تكون كلمة الله هي العليا.

❁ وقوله: «أو غنيمة». أي: إن ذلك كان في رياءٍ، ولكن هذا التقدير يُشْكِلُ؛ لأنه يُعَارِضُ قَوْلَهُ فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ: «لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». فكيف يُقَالُ: «من أجرٍ أو غنيمة»؟

إن «أو» هنا بمعنى الواو؛ أي: من أجرٍ وغنيمة. فمن أجرٍ؛ أي: ثوابٍ في الآخرة، وغنيمةٍ أي: في الدنيا.

قَالَ الْعَيْنِي فِي «عَمْدَةِ الْقَارِي»:

❖ قَوْلُهُ: «تَكْفَّلَ اللَّهُ». مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ كَالْكَفِيلِ؛ أَيُّ: كَأَنَّهُ أَقْرَنَ بِمَلَابِسَةِ الشَّهَادَةِ إِدْخَالَ الْجَنَّةِ، وَبِمَلَابِسَةِ السَّلَامَةِ الْمَرْجِعَ بِالْأَجْرِ وَالْغَنِيمَةِ؛ أَيُّ: أَوْجَبَ تَفَضُّلاً عَلَى ذَاتِهِ؛ يَعْنِي: لَا يَخْلُو مِنَ الشَّهَادَةِ أَوْ السَّلَامَةِ. فَعَلَى الْأَوَّلِ: يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَعْدَ الشَّهَادَةِ فِي الْحَالِ. وَعَلَى الثَّانِي: لَا يَنْفَكُ عَنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ مَعَ جَوَازِ الْاجْتِمَاعِ بَيْنَهُمَا، إِذْ هِيَ قَضِيَّةٌ مَانِعَةٌ الْخُلُوءَ، لَا مَانِعَةٌ الْجَمْعَ. اهـ.

[يَعْنِي: «أَوْ» هُنَا مَانِعَةٌ الْخُلُوءَ لَا مَانِعَةٌ الْجَمْعَ، وَهَذَا الْكَلَامُ يُشَبِّهُ قَوْلَ النَّحْوِيِّينَ: إِنَّ «أَوْ» تَأْتِي لِلتَّخْيِيرِ أَوْ لِلإِبَاحَةِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ التَّخْيِيرَ يَمْتَنِعُ فِيهِ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأُمُورِ الْمُخَيَّرِ بَيْنَهَا، وَالإِبَاحَةُ يَجُوزُ فِيهَا الْجَمْعُ، فَإِذَا قُلْتَ: تَزَوَّجْ هُنْدًا أَوْ أَخْتَهَا. فَهَذَا تَخْيِيرٌ.

وَإِذَا قُلْتَ: كُلْ خَبْزًا أَوْ أَرْزًا مَثَلًا. فَهَذِهِ إِبَاحَةٌ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا.

❖ إِذَا قَوْلُهُ: «مَنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ» يَعْنِي: إِمَّا أَجْرٌ وَحْدَهُ، أَوْ غَنِيمَةٌ وَحْدَهَا، أَوْ هُمَا جَمِيعًا.

لَكِنِ الْغَنِيمَةُ وَحْدَهَا يُشْكِلُ عَلَيْهِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّ أَوَّلَ خُرُوجِهِ كَانَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ^(١).

وَقَالَ الْكِرْمَانِيُّ: الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ يُدْخَلُهُمُ الْجَنَّةُ، ثُمَّ أَجَابَ بِقَوْلِهِ؛ يَعْنِي: يُدْخَلُهُمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، أَوْ عِنْدَ دُخُولِ السَّابِقِينَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

❖ قَوْلُهُ: «أَوْ يَرْجِعُهُ». بَفَتْحِ الْيَاءِ؛ لِأَنَّهُ مُتَعَدِّ. انْتَهَى

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٨- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شِجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ^(١).

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا». فَأَثَبَتْ اللَّهُ تَعَالَى كَلِمَةً.

وَكَلِمَاتُهُ ﷻ كَوْنِيَّةٌ وَشَرْعِيَّةٌ، فَالْكَوْنِيَّةُ هِيَ الْمَتَعَلِّقَةُ بِالْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ، وَالشَّرْعِيَّةُ هِيَ الْمَتَعَلِّقَةُ بِالتَّكْلِيفِ؛ أَيُّ: سَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسْلُ فَهِيَ كَلِمَاتٌ شَرْعِيَّةٌ كَالْقُرْآنِ.

وَالْكَلِمَاتُ الْكَوْنِيَّةُ هِيَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ، وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٢) [٨٧: ٢٨]. فَقَوْلُهُ: ﴿وَيُنَادِ نُوحِي بِرُكَاوَسَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ^(٣) [١١: ٦٩]. فَهَذِهِ كَلِمَاتٌ كَوْنِيَّةٌ.

أَمَا قَوْلُهُ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ...﴾ ^(٤) [١٣٦: ٦٩]. فَهَذِهِ شَرْعِيَّةٌ.

(١) مَا بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ مِنْ كَلَامِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ ابْنِ عَثِيمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٠٤).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢٩- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [الزَّحَرَةُ: ٤٠].

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ لَا يَخْفَى مَا فِي هَذَا التَّعْبِيرِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْعِظَمَةِ وَالسُّلْطَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَرِدُهُ شَيْءٌ فَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَلَا مَانِعَ لَهُ، وَلِهَذَا عَظَّمَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿يَعْنِي: كُنْ عَلَى مَرَادِنَا فَيَكُونُ عَلَى مَرَادِ اللَّهِ ﷻ﴾.

وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ: إِبْرَاهِيمُ الْقَوْلِ ﷻ، وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ وَيَتَكَلَّمُ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٥٩- حَدَّثَنَا شَهَابُ بْنُ عِبَادٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمِيدٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ»^(١).
٧٤٦٠- حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ، حَدَّثَنِي عَمِيرُ بْنُ هَانِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ مَعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، مَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَاظٍ: سَمِعْتُ مَعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ. فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مَعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّامِ.

هَذَانِ الْحَدِيثَانِ الشَّاهِدُ فِيهِمَا لِلْبَابِ: قَوْلُهُ «حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»، وَالْمَرَادُ بِأَمْرِ اللَّهِ هُنَا الْأَمْرُ الْكَوْنِيُّ؛ يَعْنِي: أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَوْتِهِمْ وَهَلَاكِهِمْ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنْ يُقَالَ: إِمَّا أَنْ يُرَادَ بِالسَّاعَةِ الْعَامَّةُ الَّتِي تَقُومُ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، وَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ: «حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». أَيْ: حَتَّى يَقْرُبَ قِيَامُهَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ الْخَلْقِ^(٢)، فَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ فِي الْأَرْضِ مِنْ يَقُولُ: اللَّهُ ﷻ^(٣).

وَأَمَّا أَنْ يُرَادَ بِالسَّاعَةِ فِي قَوْلِهِ: «حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»؛ أَيْ: سَاعَتُهُمْ. وَهُوَ مَوْتُهُمْ؛ لِأَنَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ، وَلِهَذَا يُقَالُ: الْقِيَامَةُ قِيَامَتَانِ: قِيَامَةٌ صَغْرَى وَهِيَ قِيَامَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ بِحَسَبِهِ، وَقِيَامَةٌ كَبْرَى وَهِيَ الْقِيَامَةُ الْعَامَّةُ.

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ كَذَّبَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ». بُشِّرَى لِهَذِهِ الطَّائِفَةِ أَنَّ اللَّهَ ﷻ سَيَنْصُرُهَا، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهَا مِنْ يُقَاوِمُ، يَكُونُ لَهَا مَنْ يُكَذِّبُ وَمَنْ يُخَالَفُ، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَنْتَصِرُونَ

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩٢١).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٩٤٩).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٤٨).

على ما هم عليه، وَيَقُومُونَ بِأَمْرِ اللَّهِ.

وقوله في الحديث الأول: «ظاهرين على الناس». أي: عالين عليهم. وهل المراد: علو السلطة وأنهم يَكُونُونَ هم الخلفاء عليهم، أو المرادُ علو القول، بمعنى: أن الناس يَحَاوِلُونَ إضلالهم ولكنهم يَبْقُونَ ظاهرين قائمين؟
نقول: الثاني أولى؛ لأنه قد لا يَكُونُ لهم سلطانٌ يَمْلِكُونَ به الناس، لكنهم ظاهرون بقيامهم بأمر الله ﷻ، لا يَضُرُّهم من خالفهم، ولا من كذبهم.

❦ أما قوله: «وهم بالشام». فهذه تَحْتَاجُ إلى تحرير؛ لأن رواية معاذٍ ليس فيها ذكر الشام، ولكن مالكا يقول: إنه سمع معاذاً رضي الله عنه يقول: «وهم بالشام». فيجِبُ النظر هل هذه الكلمة موقوفة على معاذ رضي الله عنه، أو هي مرفوعة إلى النبي ﷺ، ولكن لم أَتَمَكَّنْ من مراجعتها.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله:

٧٤٦١- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَسِينٍ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكُمَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَنْ أَدْبِرْتَ لِبَعْثِ نَكَ اللَّهِ»^(١).
الله أكبر هذا الكلام قوي؛ لأنه كلام حقٍّ أمام مبطل، وهذا المبطل هو مسيلمة الكذاب، ويُقال له: كذاب اليمامة، وكان ذا شرف وسلطانٍ في قومه، حتَّى إنهم يُطْلَقُونَ عليه رحمان اليمامة، ولما أَخَذَ هذا الاسم من أسياء الله لنفسه أَذَاقَهُ الله الذلَّ وكَذَبَهُ ﷻ، فإنه ادَّعَى الرسالة في آخر حياة النبي ﷺ، وتبعه من قومه فَنَامَ من الناس، ووفد إلى النبي ﷺ في نحو سبعين رجلاً من أصحابه، وأتى إليه النبي ﷺ ووقف عليه، فخطبهُ مسيلمة وقال: أَقِرَّ لِي بِالرَّسَالَةِ وَلَكَ الْحِجَارُ وما حوله، ولي اليمامة وما يَتَّبِعُهَا، وكان مع النبي ﷺ قطعة من جريدٍ فقال: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكُمَهَا»؛ يَعْنِي: فكيف أُعْطِيكَ اليمامة.

❦ ثُمَّ قَالَ: «وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ». وهذا هو الشاهد من هذا الحديث: «أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ» أي: أمره بهلاكك، وهو الأمر الكوني.

❦ ثُمَّ قَالَ رضي الله عنه: «وَلَنْ أَدْبِرْتَ لِبَعْثِ نَكَ اللَّهِ». وبالفعل أَدْبَرَ الرجلُ فَعَقَرَهُ الله والله الحمد، وقيل في عهد أبي بكر رضي الله عنه في يامته وفي حصنه، وقتله الصحابة رضي الله عنهم^(٢)، وتبين بذلك كذبه.
وقد أعطاه الله ﷻ آيات، لكنها آياتٌ تَدُلُّ على كذبه لا على صدقه، ومن هذا ما ذكره المؤرخون أنه أتى إليه بصبي في شعره تمزق؛ أي: تالف بعضه، فطلب منه أن يمسح على رأسه ليُخْرِجَ بقية

(١) رواه مسلم (٢٢٧٣).

(٢) انظر: القصة بتمامها عند البخاري (٤٠٧٢).

الشعر، فمسح عليه، فأراهم الله آية تَدُلُّ على كذبه فتساقط الشعر الباقي.

وموقف آخر قريب من هذا أيضًا فقد جاء أصحاب بئر، وقالوا: إن البئر قد نقصت، وطلبوا منه أن يفعل كما فعل الرسول ﷺ في بئر الحديبية، حيث نزل على بئر غائرة الماء، فأخذ ماء فتمضمض به ومجّه فيها فجاشت البئر بالماء ورووا الناس، فجيء لهذا الكذاب وطلب منه أن يفعل كما فعل الرسول ﷺ، فأخذ ماء في فيه فتمضمض به، ثم مجّه في البئر فغار الماء الموجود بعدما كانوا يترقبون أن يجيش بالماء^(١).

وهذه شهادة من الله فعلية على كذبه؛ لأن فعل الله ﷻ والذي يكون شهادة إما أن يكون تأييداً، أو تنفيذاً، فإن كان تأييداً فهو شهادة من الله على الصدق، وإن كان تنفيذاً فهو شهادة من الله على كذبه.

والشاهد من هذا الحديث: قوله: «ولن تعدوا أمر الله فيك». وهذا هو الذي وقع، فإن هذا الرجل الكذاب لم يعد أمر الله فيه، وأهلكه الله ﷻ على يد أصحاب النبي ﷺ.

وفي هذا: دليل على أن أفعال الله ﷻ لا تنحصر بشيء معين، وأن كل ما صح أن يضاف إلى الله وإن لم يرد به نص فإنه جائز، فإن النبي ﷺ قال هذا: «ليعقرنك الله»، فأثبت الله العقر، ولا شك أن المراد بالعقر هنا عقر إهلاك، كما قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۚ وَلَا يَخَافُ عَذَابَهَا ۝١٥﴾ [التكوير: ١٤-١٥].

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٢ - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمَشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ حَزْبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ تَوَكُّأً عَلَى عَسِيبٍ مَعَهُ، فَمَرَرْنَا عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ أَنْ يَجِيءَ فِيهِ شَيْءٌ تَكْرَهُونَهُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِنَسْأَلَنَّهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوْحِي إِلَيْهِ فَقَالَ ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٨٥]. قَالَ الْأَعْمَشُ هَكَذَا فِي قِرَاءَتِنَا^(١).

الشاهد من هذا الحديث: قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾؛ أي: من أمره الكوني، فهو ﷻ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، كما قَالَ تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [الشورى: ٦٨]. فهو سبحانه يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، من أي مادة شاء، وعلى أي صفة شاء؛ لأن الأمر كله لله. قَالَ ﷻ: ﴿قُلِ إِنْ أَمَرْتُكُمْ بِاللَّهِ﴾ [التكوير: ١٥]. وفي هذا: دليل على أن الرسول ﷺ لا يتكلم بما لا يعلم، وأن الأمور الغيبية يسكت عنها حتى ينزل عليه

(١) انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٤٠٥)، و«البداية والنهاية» (٦/ ٣٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٩٤).

الوحي، أما الأمور الحكمية فإنه يَكَلِّمُ فيها، ثم إذا لم يَنْزِلْ وحيٌ بنقضها صار ذلك بمنزلة الموحى، فيكون وحي إقرار من الله ﷻ، وإن نزل ما يُخَصِّصُ ما قاله، أو يُقَيِّدُهُ، أو ما أشبه ذلك، عمِلَ به.

❖ وقول الأعمش رحمه الله: «هكذا في قراءتنا». نقول: ولكن هذه القراءة ليست سبعة - قراءة ابن مسعود رحمه الله وبعد أن وحَّد عثمان رحمه الله المصحف صارت القراءة: ﴿وَمَا أَوْتِيْتُمْنَ أَلْعَلَّ إِلَّا قَلِيلًا﴾.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله: **٣٠- باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الزَّكَاةُ: ١٠٩)، ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ (الزَّكَاةُ: ٢٧)، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حِينِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ﴾ (الزَّكَاةُ: ٥٤). سَخَّرَ: ذَلَّلَ.**

هذه الترجمة فيها: عدة مسائل، ولكنها كلها تعود إلى كلمات الله ﷻ.
فإن قيل: هل كلمات الله محصورة؟

فالجواب إن نقول: هل أفعال الله وخلقُه محصورة؟ نقول: قطعاً لا، فهو كلما خلق شيئاً قال له: كُنْ فيكون، فكل شيء مخلوق فإنه مسبوق بكلمة كن، إذا لا حصر لكلماته ﷻ، ولهذا قال الله تعالى مبيناً ذلك: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي﴾، فلو كان البحر حبراً والمداد: الحبر الذي يكتب به، ومداداً لكلمات الله لنفد قبل أن تنفذ كلمات الله؛ لأنها لا تحصى، فكما أنه سبحانه لا تُحصى أفعاله فكذلك لا تُحصى أقواله ﷻ.

❖ ثم قال ﷻ: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الزَّكَاةُ: ١٠٩)، فلو جئنا بمثله مدداً لهذا البحر من الحبر لنفد قبل أن تنفذ كلمات الله.

❖ والآية الثانية التي ذكرها مثلها أو أشد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ (ما) في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا﴾ اسم «أن» في محل نصب، وأقلام خبر أن، وتقدير الآية في المعنى: لو كان ما في الأرض من الأشجار أقلاماً؛ يعني: لو جعلت كل الأشجار أقلاماً.

❖ ثم قال: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾؛ أي: يُصْبِحُ الجميع ثمانية أبحرٍ على هذا البحر العظيم، وكل ما في الأرض من شجرٍ أقلام، وكتب بها. يقول ﷻ: ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾. فسبحان الله، إذا تأمل الإنسان مثل هذه الآية عَرَفَ عظمة الله ﷻ، وأنه كما وصف نفسه سبحانه في كل صفاته، وفي كل أفعاله، لا يُمْكِنُ أن تُحصى أبداً.

❖ ثم ساق المؤلف آيةً ثالثة وهي: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وقد سبق الكلام على هذا كله، وأن الله سبحانه خلقها في ستة أيام، الأربعة الأولى

للأرض، واليومانِ المتممانِ للستةِ للسَّاءِ. ثم استوى سبحانه على العرشِ؛ أي: بعد أن كمل الملك استقرَّ وعلا عَلَّ على عرشه؛ لكمالِ عظمته وسلطانه.

ثم قال: ﴿يَغْشَى آيِلَ النَّهَارِ﴾ يغشي؛ أي: يغطي الليلَ بالنهار، ويغطي النهارَ بالليل.

ثم قال: ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُا﴾؛ يعني: يطلبُ الليلُ النهارَ حيثُا؛ أي: سريعاً، فلا فاصلَ بينهما، ولذلك نرى أن الليلَ يبينُ في الأفقِ قبلَ أن تغيبَ الشمسُ، فقبلَ أن تغيبَ الشمسُ، تجدُ سوادَ الليلِ في الأفقِ الشرقيِّ، وأنت ما زلتَ تشاهدُ الشمسَ لم تغربْ، وكأنه يسابقه ويلحقه لا يتأخر.

وتعاقبَ الليلَ والنهارَ من آياتِ الله عَلَّ التي لا يستطيع البشرُ أن يقوموا بها، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ آيِلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بِلَيْلٍ فَسَكُنْتُمْ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢). فالليل والنهارُ يتعاقبانِ ويطلبُ كلُّ واحدٍ منهما الآخرَ طلباً حثيثاً.

وقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾. هذه معطوفةٌ على قوله ﴿السَّمَكُوتُ﴾ يعني: وخلقَ الشمسَ والقمرَ، وذكرَ الشمسَ؛ لأنها آيةُ النهارِ، وذكرَ القمرَ؛ لأنه آيةُ الليلِ قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا آيِلَ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ آيِلَ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (١٢).

ثم قال: ﴿وَالنَّجُومُ﴾؛ يعني: وخلقَ النجومَ ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ﴾ وقوله: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ حال من النجوم، ولا يجوزُ أن تكونَ صفةً؛ لأن الصفةَ يجبُ أن تتبعَ الموصوفَ في التعريفِ والتكثيرِ، وهنا النجومُ معرفةٌ ومسخراتٌ منكّرةٌ، فإذا آتت المنكّرةُ بعد المعرفةِ منصوبةٌ فهي حالٌ.

وقوله: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾؛ أي: مزلاتٌ. بأمره الكونيُّ، فقد أمرها عَلَّ أن تكونَ على ما أَرَادَ فكانت على ما أَرَادَ سبحانه.

ثم قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ «ألا» أداة استفتاح يؤتى بها للتنبيه والتحقيق.

وقوله: ﴿لَهُ الْخَلْقُ﴾. جملةٌ مكونةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ، قُدِّمَ فيها الخبرُ للاختصاص؛ يعني: ألا له وحده الخلقُ والأمرُ، فهو الخالقُ وحده، وهو الأمرُ وحده، فهو ذو السلطانِ وحده، قال ابنُ عمرَ: مَنْ كَانَ لَهُ شَيْءٌ فَلْيَدْعُهُ مَا دَامَ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ، فكل شيء لله عَلَّ.

ثم قال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ قال العلماءُ: أي: أن البركة تكونُ باسمِهِ عَلَّ وذكرِهِ. ولهذا تجدُ الإنسانَ إذا سَمِيَ على الذبيحةِ حَلَّتْ، وإذا لم يُسمَ عليها لم تحلَّ، فهذا من البركة، وإذا سَمَّيَ اللهَ على الطعامِ نزلت فيه البركةُ، وعجزَ الشيطانُ أن يتناولَ منه، وإذا لم تسمَ نزلَ فيه الفشلُ، وشاركك الشيطانُ فيه، كذلك إذا سَمَّيْتَ عند إتيانِ الأهلِ نزلت البركةُ، ولم يُصيبِ الشيطانُ ما يُقدِّرُ بينكما بضررٍ، وإذا لم تفعلْ فإنه على خطرٍ، فهو عَلَّ تنالُ البركةَ بذكرِ اسمه سبحانه.

والبركةُ هي الخيرُ الثابتُ الواسعُ، وأصلُها من البركة، وهي حوضُ الماءِ الكثيفِ الذي يجتمعُ فيه الماءُ.

وقوله: ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ العالمُ كلُّ ما سوى الله عَلَّ فهو عالمٌ، وجمعُ باعتبارِ الأجناسِ، ويُفردُ

باعتبار الجنس، فيقال: العالمُ كُلُّهُ. ويُقال: العالمونَ، والعالمينَ. باعتبار الأجناسِ.

ومعنى كونه رَبِّهِمْ أَنَّهُ الْخَالِقُ لَهُمْ، الْهَالِكُ لَهُمْ، الْمُدَبِّرُ لَأُمُورِهِمْ؛ لَأَن هَذَا هُوَ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ. وَالشَّاهِدُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ لَأَن الْأَمْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْكَلِمَاتِ، وَمِثْلُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي كَلَامِ اللَّهِ ﷻ أَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ بِاعْتِبَارِ، وَصِفَةٌ فَعْلِيَّةٌ بِاعْتِبَارِ.

أَمَّا كَوْنُهَا ذَاتِيَّةً بِاعْتِبَارِ، فَهُوَ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مُتَكَلِّمًا، وَتَكُونُ الصِّفَةُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ ذَاتِيَّةً مُلَازِمَةً لِلذَّاتِ، لَمْ يَأْتِ عَلَيْهِ ﷻ وَقْتُ يَكُونُ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ، بَلْ هُوَ مُتَكَلِّمٌ دَائِمًا، فَلَهُ دَوَامُ الْفِعْلِ وَدَوَامُ الْخَلْقِ، كَمَا سَبَقَ.

وَتَكُونُ صِفَةٌ فَعْلٍ بِاعْتِبَارِ أَحَادِهِ الَّتِي تَكُونُ عِنْدَ فِعْلٍ مُرَادِهِ، أَوْ عِنْدَ نَزُولِ شَرْعِهِ، فَتَكُونُ عِنْدَ فِعْلٍ مُرَادِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا قَالَ: كُنْ. أَوْ عِنْدَ نَزُولِ شَرْعِهِ، فَإِذَا أَرَادَ ﷻ أَنْ يُنَزِّلَ مَا شَاءَ مِنَ الشَّرْعِ تَكَلَّمَ بِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِالْوَحْيِ ارْتَجَفَتِ السَّمَاءُ وَصَعِقَتِ الْمَلَائِكَةُ، هَذَا هُوَ مِثْلُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَهُوَ بِحَرْفٍ وَبَصُوتٍ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَطْلُقُ اللَّهُ عَلَيْهَا كَلِمَاتٍ هُوَ بِالْحَرْفِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَنَأْيِسُّنَاكَ كُوفًى بَرَكًا وَسَلَامًا عَلَى إِذْهِبَ ۝﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٦٩]. فَهَذِهِ الْجُمْلُ حُرُوفٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُحْيِي أَبْنَاءَ مَرْيَمَ ۖ أَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ ۝﴾ [التَّحْوِيلُ: ١١٦]. فَهَذِهِ أَيْضًا حُرُوفٌ.

وَيَكُونُ كَذَلِكَ بِصُوبٍ؛ لِأَنَّهُ يُسْمَعُ، فَقَدْ سَمِعَهُ جَبْرِيْلُ، وَسَمِعَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَسَمِعَهُ مُوسَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ يَحْيَىٰ ۝﴾ [مَرْيَمَ: ١٠٢]. وَالنَّدَاءُ يَكُونُ بِصُوتٍ عَالٍ، وَالْمُنَاجَاةُ تَكُونُ بِصُوتٍ أَخْفَى، وَالْمُنَادَاةُ وَالْمُنَاجَاةُ وَصِفٌ لِلصُّوتِ.

وَنُبِتَ فِي «الصَّحِيحِينَ» أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لِيَبِكَ وَسَعْدِيكَ. فَيُنَادِي بِصُوتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذَرِيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ قَالَ: مَنْ كُلُّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعُونَ». أَلْفٌ إِلَّا وَاحِدًا كُلَّهُمْ فِي النَّارِ مِنْ بَنِي آدَمَ^(١). نَسَّالَ اللَّهُ أَنْ يُنَجِّيَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهَا، فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ ﷻ يُنَادِي بِصُوتٍ، وَهُوَ مِثْلُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَقَالَتِ الْأَشَاعِرَةُ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ الْمَعْنَى النَّفْسِيَّةُ، أَيِ: الْمَعْنَى الَّتِي فِي نَفْسِهِ، وَهُوَ غَيْرُ مَسْمُوعٍ، وَلَيْسَ بِحَرْفٍ، وَلَيْسَ بِصُوتٍ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ بِحَرْفٍ وَصُوتٍ فَإِنَّهُ مُجَسِّمٌ مُشَبِّهُ ضَالٌّ.

نَقُولُ: إِذَا كَيْفَ سَمِعَ مُوسَى كَلَامَ اللَّهِ؟ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّهُ صِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ أَرْزِيَّةٌ، وَكَيْفَ سَمِعَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَلَامَ رَبِّهِ وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسُ فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ؟

قَالُوا: خَلَقَ صَوْتًا سَمِعَهُ مُوسَى، وَهُوَ إِمَّا مِنَ الشَّجَرَةِ، أَوْ مِنَ الْوَادِي، أَوْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ، الْمَهْمُ أَنَّهُ خَلَقَ صَوْتًا سَمِعَهُ مُوسَى، وَخَلَقَ صَوْتًا سَمِعَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

وعلى هذا يَكُونُ الصوتُ المسموعُ الذي يُلْقَى إلى جبريلَ، أو إلى موسى، أو إلى محمدٍ، أو إلى غيرهم، ممن كلمه الله، يَكُونُ مخلوقاً.

قلنا لهم: وهل هذا الصوتُ المخلوقُ هو كلامُ الله؟

قالوا: لا، بل هو عبارةٌ عن كلامِ الله، أما كلامُ الله فهو المعنى القائمُ بالنفسِ.

وهذا التقديرُ يَتَبَيَّنُ تماماً أن مذهبهم فيما يُسَمَّعُ كمذهبِ الجهميةِ تماماً؛ لأن الجهميةَ يَقُولُونَ: ما سمعه موسى، أو محمدٌ ﷺ، أو جبريلُ، فإنه مخلوقٌ، وهؤلاء يَقُولُونَ أيضاً: ما سمعه محمدٌ أو موسى أو جبريلُ فإنه مخلوقٌ. فأتفق الجميعُ على أنه مخلوقٌ، لكنَّ المعتزلةَ كانوا أقومَ منهم حيث قالوا: إنه كلامُ الله. وهؤلاء قالوا: إنه عبارةٌ عن كلامِ الله، فالجميعُ على هذا متفقون على أن ما في المصحفِ مخلوقٌ، لكن الجهميةَ قالوا: مخلوقٌ تماماً وهو نفسُ الكلامِ، وهؤلاء قالوا: هو مخلوقٌ عبارةً عن كلامِ الله، وليس هو كلامُ الله.

فتبين أن قولَ الجهميةِ أسدُّ من قولِ الأشاعرةِ، وأن هذا القولَ لا صحةَ له، لا لغةً ولا عرفاً، ولا شرعاً.

والعجبُ أن الأشاعرةَ تركوا جميعَ لغاتِ العالمِ، وجميعَ عقولِ العالمِ، وجميعَ المحسوسِ لدى العالمِ، واستدلوا بقولِ رجلٍ نصرانيٍّ - هو الأخطلُ - حيث قالَ:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

فقالوا: إنه قالَ: الكلامُ في الفؤادِ؛ أي: في القلبِ، وهذا هو معنى قولنا: الكلامُ هو: الكلامُ النفسي، واللسانُ دليلٌ يُعَبِّرُ.

فيقال: أولاً: كيف نتركُ العالمَ كله ونأخذُ بقولِ واحدٍ فقط. هذه واحدة.

ثانياً: من القائل؟

الجوابُ: نصرانيٌّ كذابٌ.

ثالثاً: على فرضِ التسليمِ بهذا نقولُ: إن مراده بقوله: إن الكلامَ لفي الفؤادِ؛ أي: إن الكلامَ الرصينَ الذي يندري الإنسانُ أن نفسه محاسبةٌ عليه هو الكلامُ الذي في الفؤادِ، أما الكلامُ اللغوُ فهذا في اللسانِ، ويشهدُ لهذا قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْسِيَّتِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. فالكلامُ الحقيقيُّ الموزونُ الرصينُ الذي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى كلاماً هو الصادرُ من القلبِ، المعبرُ عنه باللسانِ، أما ما كان من اللسانِ فقط، فهو لغوٌ من القولِ، ولهذا لا يُؤَاخِذُ اللَّهُ عليه، هذا إذا سلّمنا جدلاً أن لهذا الكلامَ وجهاً من الصحةِ.

فيحصلُ لدينا الآن في مسألةِ كلامِ الله ﷻ ثلاثةُ مذاهبٍ:

مذهبُ السلفِ، ومذهبُ الأشاعرةِ، ومذهبُ الجهميةِ، وهناك مذاهبُ أخرى تصلُّ إلى ثمانيةِ مذاهبٍ، بعضها يُمكنُ أن نجعلَه فرعاً من فروعِ هذه الأصولِ الثلاثةِ، وبعضها من الفلاسفةِ الذين لا يُؤْمِنُونَ بالرسالاتِ،

ولكننا نقول: إن الذي يشهد له الحسُّ واللغة هو: أن الكلام ما كان بحرفٍ وصوتٍ.

فإن قال قائل: إن الله أطلع على القول ما كان في النفس فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنعام: ٨]. فأثبت قولاً في النفس.

فالجواب أن نقول: إن هذا حجةٌ عليكم، وليس حجةٌ لكم؛ لأن هذا ليس قولاً مطلقاً، بل هو قولٌ مقيدٌ بقوله تعالى: ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾. وهذا كقول الرسول ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها»^(١)، والإنسان يحدث نفسه لا شك، ويقول في نفسه، ويُقدِّر في نفسه، لكن لا يقال إنه قولٌ على وجه الإطلاق أبداً، بل لابد أن يكون مقيداً، وأحياناً ترى الرجل شاردًا، مفكرًا، واضحةً عليه آثارُ التفكير وحديث النفس، ولا تسمع له قولاً، فهل يُقال: إن هذا الرجل قال؟

فالجواب: لا، بل لا تسمع له قولاً، هل يُقال: إن هذا الرجل قال؟ لا، إن أردت أن تقول إنه قال فقل: قال في نفسه، فهو قولٌ مقيدٌ وليس قولاً مطلقاً.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَكْفَلُ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ، أَنْ يَدْخُلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْدَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»^(٢).
هذا الحديث تقدم الكلام عليه، وقد بينا فيه إشكالاً في قوله: «من أجر أو غنيمة». وقلنا: إن «أو» هنا بمعنى أنه يُمكن أن يجتمع الأجر والغنيمة، أو يتفرَّد الأجر وحده. وأما انفرد الغنيمة وحدها في رجلٍ جاهد في سبيلِ الله لتكون كلمة الله هي العليا فهذا لا يُمكن.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣١- بَابُ فِي الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأنعام: ٢٦]. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٠].
﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ (٣١) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٢٣-٢٤]. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الأنعام: ٥٦].

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ نَزَلَتْ فِي أَبِي طَالِبٍ ﴿رِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

هذا البابُ بابٌ مهمٌّ، وهو في المشيئة والإرادة؛ أي: مشيئة الله وإرادة الله، والبحث فيها من وجوه:

(١) رواه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).

(٢) رواه مسلم (١٨٧٦).

الأول: هل هما مترادفتان، أو متبايتتان؛ يَعْنِي: هل المشيئة هي الإرادة أو غير الإرادة؟ نقول: المشيئة معنى من معاني الإرادة وليست مرادفاً لها. أي: أن الإرادة تأتي بمعنى المشيئة. وما شاء الله كان ولا بد، وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن^(١).

فما شاء الله ﷻ كان، سواء كان مما يُحِبُّه الله أو مما لا يُحِبُّه الله، وسواء كان مما يلائم طبائع البشر كسعة الرزق، أو مما لا يلائم طبائعهم كضيق الرزق، فالمشيئة عامة في كل شيء قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَعِنْتُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلُّوا﴾ [التوبة: ٢٥]. ومعلوم أن الاقتتال بالنسبة للبشر لا يلائم طبائعهم. وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. أي: منكراتهم وهذا مما يكرهه الله.

إذا: المشيئة لا تُرادف الإرادة، بل هي بعض من معانيها كما سيأتي في الإرادة، وهي عامة في كل شيء، وما شاء الله كان، ولا بد من وقوعه، ولا يمكن أن يمنعه أحد، سواء كان هذا الذي شاءه مما يُحِبُّه كالإيمان والعمل الصالح، أو مما لا يُحِبُّه كالكفر وعمل السيئات، وسواء كان هذا الذي شاءه مما يلائم طبيعة البشر كسعة الرزق أو مما لا يلائم طبيعة البشر كضيق الرزق، وهذا واضح.

البحث الثاني: هل مشيئة الله شاملة لفعله وفعل العباد أو هي خاصة بفعله سبحانه؟ والجواب: أن أهل السنة والجماعة يقولون: إنها عامة فيما يتعلق بفعله سبحانه وما يتعلق بفعل العباد، عامة فيما يتعلق بفعله سبحانه كإنزال المطر، وإخراج النبات، وإماتة الأحياء، وإحياء الأموات، وما أشبهها، وكذلك فيما يتعلق بفعل العباد، كصلاح العبد وفساد العبد، قال الله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ١٨ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٩ ﴿[التكوير: ٢٨-٢٩]﴾. ففعل الإنسان بمشيئة الله، كما أن فعل الله سبحانه بمشيئة الله.

فمشيئة الله شاملة لما يقوم به جعلاً، ولما يقوم به العباد والدليل على هذا: قوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ١٨ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٩ ﴿[التكوير: ٢٨-٢٩]﴾. وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَعِنْتُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلُّوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ٢٥ [التوبة: ٢٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفائدة الإتيان بذلك - أي إتيان العبد بأن فعله واقع بمشيئة الله - عظيمة وهي: أنه يوجب اللجوء إلى الله في إصلاح العمل، واجتناب الفساد؛ لأنك إذا علمت أن ما شاء الله كان وأنه إذا شاء الله أن تهتدي تهتدي، فإنك سوف تُضطر إلى طلب الهداية ممن بيده الهداية. ومن فوائد ذلك أيضاً: أنك إذا حصلت لك نعمة، أو فعلت عملاً صالحاً، فإنك لا تنسبها إلى

(١) رواه البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤).

نَفْسِكَ، وَلَا تُدِلُّهَا عَلَى رَبِّكَ؛ لِأَنَّ الَّذِي جَلَبَ لَكَ النِّعْمَةَ، وَيَسِّرَ لَكَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ هُوَ اللَّهُ ﷻ، فَيُورِثُكَ ذَلِكَ أَنْ تَتَبَرَّأَ مِنْ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ ﷻ، وَتَعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَدَّرَ لَكَ هَذَا، وَهُوَ الَّذِي شَاءَ لَكَ هَذَا. وَهَاتَانِ فَائِدَتَانِ عَظِيمَتَانِ.

أَمَّا الْإِرَادَةُ فَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسَمَيْنِ:

إِرَادَةُ كَوْنِيَّةٌ: تَتَعَلَّقُ بِالْخَلْقِ وَالتَّكْوِينِ.

وَإِرَادَةُ شَرْعِيَّةٌ: تَتَعَلَّقُ بِالْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ وَالشَّرْعِ.

أَمَّا الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ: فَهِيَ بِمَعْنَى الْمَشِيئَةِ تَامًا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾. أَي: مَا يُرِيدُ بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ، فَالْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ مُرَادِفَةٌ لِلْمَشِيئَةِ تَامًا، فَإِذَا قُلْتَ: أَرَادَ اللَّهُ كَذَا، شَاءَ اللَّهُ كَذَا، فَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ.

إِذَا: الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ تَتَعَلَّقُ بِهَا أَرَادَهُ اللَّهُ، سِوَاءَ كَانَ هَذَا الْمُرَادُ مُحِبُّوْبًا إِلَى اللَّهِ، أَوْ مُكَرُوْهًا إِلَيْهِ، وَسِوَاءَ كَانَ هَذَا الْمُرَادُ مِمَّا يُلَاقِي طَبِيعَةَ الْبَشَرِ، أَوْ مِمَّا لَا يُلَاقِي طَبِيعَةَ الْبَشَرِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ أَرَادَ اللَّهُ الْمَعَاصِيَ بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ؟

فَالْجَوَابُ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّهُ إِذَا قَالَ: هَلْ شَاءَهَا اللَّهُ؟ لَقَلْنَا: نَعَمْ.

إِذَا: الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ بِمَعْنَى الْمَشِيئَةِ تَامًا، أَمَّا الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِهَا شَرْعُهُ فَإِنَّهَا بِمَعْنَى

الْمُحِبَّةِ، فَتَتَعَلَّقُ بِهَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ﷻ سِوَاءَ وَقَعَ أَمْ لَمْ يَقَعْ، وَعَلَى هَذَا فَلَا يُبَيَّنُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ مِنْ مُرَادِ اللَّهِ شَرْعًا، وَالْكَفْرُ وَعَمَلُ السَّيِّئَاتِ لَيْسَ مُرَادًا لِلَّهِ شَرْعًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهُ.

فَصَارَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ وَالْإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلِ الْمَعَاصِي مُرَادَةٌ لِلَّهِ؟

لَقَلْنَا: أَمَّا قَدْرًا فَنَعَمْ، وَأَمَّا شَرْعًا فَلَا.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِذَا كَانَتِ الْمَعَاصِي مُرَادَةً غَيْرَ مُرَادَةِ اللَّهِ شَرْعًا فَكَيْفَ يُرِيدُهَا قَدْرًا، وَهَلْ أَحَدٌ

أَجْبَرَهُ عَلَى أَنْ يُرِيدَ مَا لَا يُحِبُّ وَمَا لَا يَرْضَى؟

فَالْجَوَابُ: أَنْ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ ﷻ إِذَا أَرَادَهُ فَهُوَ مُرَادٌ لْغَيْرِهِ، وَلَيْسَ مُرَادًا لِدَايَتِهِ، وَمَعْنَى قَوْلِنَا: مُرَادٌ

لْغَيْرِهِ. أَي: مُحِبُّوْبٌ إِلَى اللَّهِ لْغَيْرِهِ لَا لِدَايَتِهِ، فَلَا أَعْمَالُ السَّيِّئَةِ وَالْكَفْرِ مُرَادَةٌ لِلَّهِ لْغَيْرِهِ، فَهِيَ مُرَادَةٌ لِلَّهِ شَرْعًا

لْغَيْرِهِ، لَا لِدَايَتِهِ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ يَكْرَهُ الْكَفْرَ، وَيَكْرَهُ الْمَعَاصِيَ، لَكِنَّهُ يُرِيدُهَا لِمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ

الْمَصَالِحِ، فَهِيَ مُكَرُوْهَةٌ لِلَّهِ مِنْ وَجْهِ، وَمُحِبُّوْبَةٌ لَهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا الْكَفْرُ وَلَوْلَا الْمَعَاصِيَ مَا

عُرِفَ الْإِيْمَانُ وَلَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ، فَلَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُؤْمِنِينَ، وَكُلُّهُمْ يَفْعَلُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، مَا

حَصَلَ تَمْيِيزٌ، وَلَا عُرِفَ قَدْرُ الْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلِهَذَا يَقُولُونَ: وَبُضْدُهَا تَبْيِينُ الْأَشْيَاءِ، فَهَلْ

بَغَيْرِ الْكَفْرِ يَقُومُ الْجِهَادُ؟

الْجَوَابُ: لَا، إِذْ كَيْفَ تُجَاهِدُ مُسْلِمًا مِثْلَكَ.

وهل بدون المعاصي يَكُونُ هناك أمرٌ بالمعروفِ أو نهيٌ عن منكرٍ؟
الجواب: لا، ولولا المعاصي لما كان هناك دعوةٌ إلى الخير؛ لأن الناس إذا كانوا كلهم بلا معاصي فهم على خير.

فالحاصل: أنه تَقَوَّتْ مصالحٌ كثيرةٌ إذا لم تَقَعْ هذه المعاصي التي يَكْرَهُها الله شرعاً، ويريدُها قدرًا وكونًا.
ولهذا قَالَ اللهُ تعالى في الحديث القدسي: «ما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعله تَرَدَّدِي عن قبضِ نفسِ عبدي المؤمن، يَكْرَهُ الموتَ وأَكْرَهُ إِسَاءَتَهُ ولا يَدُّ لَهُ مِنْهُ» ^(١) فهنا الربُّ ﷻ يَتَرَدَّدُ لا لجهله والعياذُ بالله بما يَنْفَعُ أو يَضُرُّ، بل هو يَعْلَمُ ذلك سبحانه، لكن لرحمته بعبده المؤمن، ومحبتِهِ لما يُحِبُّه عبده المؤمن، فالمؤمنُ يَكْرَهُ الموتَ، والله يَكْرَهُ إِسَاءَتَهُ، لكن لا يَدُّ لَهُ مِنْهُ، إذ الحكمة تَقْضِي أن يَمُوتَ؛ حَتَّى يَنْتَقِلَ إلى الجزاءِ والثوابِ والنعيمِ الذي هو أضعافُ أضعافِ ما في الدنيا، فالمؤمنُ يَكْرَهُ الموتَ، لكن بموته يَنْتَقِلُ إلى خيرٍ من حياته، قَالَ تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ﴾ ^(٢) فهي كراهةٌ مؤقتة، يَنْتَقِلُ الإنسانُ بعدها إلى نعيمٍ أنعمَ من الدنيا وما فيها.
فالحاصلُ أن نَقُولَ: إن المعاصي مكروهةٌ لله من وجهٍ، لكنها محبوبَةٌ إليه من وجهٍ آخر؛ وذلك لِمَا يَتَرْتَبُ عليها من المصالح.

فمثلاً: الجذبُ والقحطُ؛ -والجذبُ معناه: أن الأرضَ لا تُثْبِتُ، والقحطُ معناه: أن السماءَ لا تُمَطِّرُ- والخوفُ وما أشبه ذلك، هل الله يُحِبُّ ذلك لعباده؟
الجواب: لا، لكنه يُريده ﷻ كونًا لِمَا يَتَرْتَبُ عليه من المصالح، فهو محبوبٌ إليه من وجهٍ، ومكروهٌ إليه من وجهٍ آخر، ولكن المصالحُ العظيمةُ تَجْعَلُهُ محبوبًا إلى الله ﷻ.
وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ^(٣) وقال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْمَرْثِ وَبَشِيرٍ ۚ وَالصَّابِرِينَ﴾ ^(٤) فهذا ليس عقوبةٌ ولكن لِنَرْجِعَ إلى الله.

أما قوله تعالى: في سورة البقرة: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾ فهذا ابتلاءٌ، فقد يَنْتَلِي اللهُ المؤمنَ وهو لم يَعْمَلْ عملاً سيئاً، ولم يَكْسِبْ عملاً سيئاً، يَخْطِئُ ويرْجِعُ إلى الله بالتوبة، لكن يَنْتَلِيهِ من أجل أن يَنَالَ درجةَ الصابرين، ولهذا قَالَ: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ^(٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ^(٦) أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ^(٧) ^(٨) ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢) ^(١٣) ^(١٤) ^(١٥) ^(١٦) ^(١٧) ^(١٨) ^(١٩) ^(٢٠) ^(٢١) ^(٢٢) ^(٢٣) ^(٢٤) ^(٢٥) ^(٢٦) ^(٢٧) ^(٢٨) ^(٢٩) ^(٣٠) ^(٣١) ^(٣٢) ^(٣٣) ^(٣٤) ^(٣٥) ^(٣٦) ^(٣٧) ^(٣٨) ^(٣٩) ^(٤٠) ^(٤١) ^(٤٢) ^(٤٣) ^(٤٤) ^(٤٥) ^(٤٦) ^(٤٧) ^(٤٨) ^(٤٩) ^(٥٠) ^(٥١) ^(٥٢) ^(٥٣) ^(٥٤) ^(٥٥) ^(٥٦) ^(٥٧) ^(٥٨) ^(٥٩) ^(٦٠) ^(٦١) ^(٦٢) ^(٦٣) ^(٦٤) ^(٦٥) ^(٦٦) ^(٦٧) ^(٦٨) ^(٦٩) ^(٧٠) ^(٧١) ^(٧٢) ^(٧٣) ^(٧٤) ^(٧٥) ^(٧٦) ^(٧٧) ^(٧٨) ^(٧٩) ^(٨٠) ^(٨١) ^(٨٢) ^(٨٣) ^(٨٤) ^(٨٥) ^(٨٦) ^(٨٧) ^(٨٨) ^(٨٩) ^(٩٠) ^(٩١) ^(٩٢) ^(٩٣) ^(٩٤) ^(٩٥) ^(٩٦) ^(٩٧) ^(٩٨) ^(٩٩) ^(١٠٠) ^(١٠١) ^(١٠٢) ^(١٠٣) ^(١٠٤) ^(١٠٥) ^(١٠٦) ^(١٠٧) ^(١٠٨) ^(١٠٩) ^(١١٠) ^(١١١) ^(١١٢) ^(١١٣) ^(١١٤) ^(١١٥) ^(١١٦) ^(١١٧) ^(١١٨) ^(١١٩) ^(١٢٠) ^(١٢١) ^(١٢٢) ^(١٢٣) ^(١٢٤) ^(١٢٥) ^(١٢٦) ^(١٢٧) ^(١٢٨) ^(١٢٩) ^(١٣٠) ^(١٣١) ^(١٣٢) ^(١٣٣) ^(١٣٤) ^(١٣٥) ^(١٣٦) ^(١٣٧) ^(١٣٨) ^(١٣٩) ^(١٤٠) ^(١٤١) ^(١٤٢) ^(١٤٣) ^(١٤٤) ^(١٤٥) ^(١٤٦) ^(١٤٧) ^(١٤٨) ^(١٤٩) ^(١٥٠) ^(١٥١) ^(١٥٢) ^(١٥٣) ^(١٥٤) ^(١٥٥) ^(١٥٦) ^(١٥٧) ^(١٥٨) ^(١٥٩) ^(١٦٠) ^(١٦١) ^(١٦٢) ^(١٦٣) ^(١٦٤) ^(١٦٥) ^(١٦٦) ^(١٦٧) ^(١٦٨) ^(١٦٩) ^(١٧٠) ^(١٧١) ^(١٧٢) ^(١٧٣) ^(١٧٤) ^(١٧٥) ^(١٧٦) ^(١٧٧) ^(١٧٨) ^(١٧٩) ^(١٨٠) ^(١٨١) ^(١٨٢) ^(١٨٣) ^(١٨٤) ^(١٨٥) ^(١٨٦) ^(١٨٧) ^(١٨٨) ^(١٨٩) ^(١٩٠) ^(١٩١) ^(١٩٢) ^(١٩٣) ^(١٩٤) ^(١٩٥) ^(١٩٦) ^(١٩٧) ^(١٩٨) ^(١٩٩) ^(٢٠٠) ^(٢٠١) ^(٢٠٢) ^(٢٠٣) ^(٢٠٤) ^(٢٠٥) ^(٢٠٦) ^(٢٠٧) ^(٢٠٨) ^(٢٠٩) ^(٢١٠) ^(٢١١) ^(٢١٢) ^(٢١٣) ^(٢١٤) ^(٢١٥) ^(٢١٦) ^(٢١٧) ^(٢١٨) ^(٢١٩) ^(٢٢٠) ^(٢٢١) ^(٢٢٢) ^(٢٢٣) ^(٢٢٤) ^(٢٢٥) ^(٢٢٦) ^(٢٢٧) ^(٢٢٨) ^(٢٢٩) ^(٢٣٠) ^(٢٣١) ^(٢٣٢) ^(٢٣٣) ^(٢٣٤) ^(٢٣٥) ^(٢٣٦) ^(٢٣٧) ^(٢٣٨) ^(٢٣٩) ^(٢٤٠) ^(٢٤١) ^(٢٤٢) ^(٢٤٣) ^(٢٤٤) ^(٢٤٥) ^(٢٤٦) ^(٢٤٧) ^(٢٤٨) ^(٢٤٩) ^(٢٥٠) ^(٢٥١) ^(٢٥٢) ^(٢٥٣) ^(٢٥٤) ^(٢٥٥) ^(٢٥٦) ^(٢٥٧) ^(٢٥٨) ^(٢٥٩) ^(٢٦٠) ^(٢٦١) ^(٢٦٢) ^(٢٦٣) ^(٢٦٤) ^(٢٦٥) ^(٢٦٦) ^(٢٦٧) ^(٢٦٨) ^(٢٦٩) ^(٢٧٠) ^(٢٧١) ^(٢٧٢) ^(٢٧٣) ^(٢٧٤) ^(٢٧٥) ^(٢٧٦) ^(٢٧٧) ^(٢٧٨) ^(٢٧٩) ^(٢٨٠) ^(٢٨١) ^(٢٨٢) ^(٢٨٣) ^(٢٨٤) ^(٢٨٥) ^(٢٨٦) ^(٢٨٧) ^(٢٨٨) ^(٢٨٩) ^(٢٩٠) ^(٢٩١) ^(٢٩٢) ^(٢٩٣) ^(٢٩٤) ^(٢٩٥) ^(٢٩٦) ^(٢٩٧) ^(٢٩٨) ^(٢٩٩) ^(٣٠٠) ^(٣٠١) ^(٣٠٢) ^(٣٠٣) ^(٣٠٤) ^(٣٠٥) ^(٣٠٦) ^(٣٠٧) ^(٣٠٨) ^(٣٠٩) ^(٣١٠) ^(٣١١) ^(٣١٢) ^(٣١٣) ^(٣١٤) ^(٣١٥) ^(٣١٦) ^(٣١٧) ^(٣١٨) ^(٣١٩) ^(٣٢٠) ^(٣٢١) ^(٣٢٢) ^(٣٢٣) ^(٣٢٤) ^(٣٢٥) ^(٣٢٦) ^(٣٢٧) ^(٣٢٨) ^(٣٢٩) ^(٣٣٠) ^(٣٣١) ^(٣٣٢) ^(٣٣٣) ^(٣٣٤) ^(٣٣٥) ^(٣٣٦) ^(٣٣٧) ^(٣٣٨) ^(٣٣٩) ^(٣٤٠) ^(٣٤١) ^(٣٤٢) ^(٣٤٣) ^(٣٤٤) ^(٣٤٥) ^(٣٤٦) ^(٣٤٧) ^(٣٤٨) ^(٣٤٩) ^(٣٥٠) ^(٣٥١) ^(٣٥٢) ^(٣٥٣) ^(٣٥٤) ^(٣٥٥) ^(٣٥٦) ^(٣٥٧) ^(٣٥٨) ^(٣٥٩) ^(٣٦٠) ^(٣٦١) ^(٣٦٢) ^(٣٦٣) ^(٣٦٤) ^(٣٦٥) ^(٣٦٦) ^(٣٦٧) ^(٣٦٨) ^(٣٦٩) ^(٣٧٠) ^(٣٧١) ^(٣٧٢) ^(٣٧٣) ^(٣٧٤) ^(٣٧٥) ^(٣٧٦) ^(٣٧٧) ^(٣٧٨) ^(٣٧٩) ^(٣٨٠) ^(٣٨١) ^(٣٨٢) ^(٣٨٣) ^(٣٨٤) ^(٣٨٥) ^(٣٨٦) ^(٣٨٧) ^(٣٨٨) ^(٣٨٩) ^(٣٩٠) ^(٣٩١) ^(٣٩٢) ^(٣٩٣) ^(٣٩٤) ^(٣٩٥) ^(٣٩٦) ^(٣٩٧) ^(٣٩٨) ^(٣٩٩) ^(٤٠٠) ^(٤٠١) ^(٤٠٢) ^(٤٠٣) ^(٤٠٤) ^(٤٠٥) ^(٤٠٦) ^(٤٠٧) ^(٤٠٨) ^(٤٠٩) ^(٤١٠) ^(٤١١) ^(٤١٢) ^(٤١٣) ^(٤١٤) ^(٤١٥) ^(٤١٦) ^(٤١٧) ^(٤١٨) ^(٤١٩) ^(٤٢٠) ^(٤٢١) ^(٤٢٢) ^(٤٢٣) ^(٤٢٤) ^(٤٢٥) ^(٤٢٦) ^(٤٢٧) ^(٤٢٨) ^(٤٢٩) ^(٤٣٠) ^(٤٣١) ^(٤٣٢) ^(٤٣٣) ^(٤٣٤) ^(٤٣٥) ^(٤٣٦) ^(٤٣٧) ^(٤٣٨) ^(٤٣٩) ^(٤٤٠) ^(٤٤١) ^(٤٤٢) ^(٤٤٣) ^(٤٤٤) ^(٤٤٥) ^(٤٤٦) ^(٤٤٧) ^(٤٤٨) ^(٤٤٩) ^(٤٥٠) ^(٤٥١) ^(٤٥٢) ^(٤٥٣) ^(٤٥٤) ^(٤٥٥) ^(٤٥٦) ^(٤٥٧) ^(٤٥٨) ^(٤٥٩) ^(٤٦٠) ^(٤٦١) ^(٤٦٢) ^(٤٦٣) ^(٤٦٤) ^(٤٦٥) ^(٤٦٦) ^(٤٦٧) ^(٤٦٨) ^(٤٦٩) ^(٤٧٠) ^(٤٧١) ^(٤٧٢) ^(٤٧٣) ^(٤٧٤) ^(٤٧٥) ^(٤٧٦) ^(٤٧٧) ^(٤٧٨) ^(٤٧٩) ^(٤٨٠) ^(٤٨١) ^(٤٨٢) ^(٤٨٣) ^(٤٨٤) ^(٤٨٥) ^(٤٨٦) ^(٤٨٧) ^(٤٨٨) ^(٤٨٩) ^(٤٩٠) ^(٤٩١) ^(٤٩٢) ^(٤٩٣) ^(٤٩٤) ^(٤٩٥) ^(٤٩٦) ^(٤٩٧) ^(٤٩٨) ^(٤٩٩) ^(٥٠٠) ^(٥٠١) ^(٥٠٢) ^(٥٠٣) ^(٥٠٤) ^(٥٠٥) ^(٥٠٦) ^(٥٠٧) ^(٥٠٨) ^(٥٠٩) ^(٥١٠) ^(٥١١) ^(٥١٢) ^(٥١٣) ^(٥١٤) ^(٥١٥) ^(٥١٦) ^(٥١٧) ^(٥١٨) ^(٥١٩) ^(٥٢٠) ^(٥٢١) ^(٥٢٢) ^(٥٢٣) ^(٥٢٤) ^(٥٢٥) ^(٥٢٦) ^(٥٢٧) ^(٥٢٨) ^(٥٢٩) ^(٥٣٠) ^(٥٣١) ^(٥٣٢) ^(٥٣٣) ^(٥٣٤) ^(٥٣٥) ^(٥٣٦) ^(٥٣٧) ^(٥٣٨) ^(٥٣٩) ^(٥٤٠) ^(٥٤١) ^(٥٤٢) ^(٥٤٣) ^(٥٤٤) ^(٥٤٥) ^(٥٤٦) ^(٥٤٧) ^(٥٤٨) ^(٥٤٩) ^(٥٥٠) ^(٥٥١) ^(٥٥٢) ^(٥٥٣) ^(٥٥٤) ^(٥٥٥) ^(٥٥٦) ^(٥٥٧) ^(٥٥٨) ^(٥٥٩) ^(٥٦٠) ^(٥٦١) ^(٥٦٢) ^(٥٦٣) ^(٥٦٤) ^(٥٦٥) ^(٥٦٦) ^(٥٦٧) ^(٥٦٨) ^(٥٦٩) ^(٥٧٠) ^(٥٧١) ^(٥٧٢) ^(٥٧٣) ^(٥٧٤) ^(٥٧٥) ^(٥٧٦) ^(٥٧٧) ^(٥٧٨) ^(٥٧٩) ^(٥٨٠) ^(٥٨١) ^(٥٨٢) ^(٥٨٣) ^(٥٨٤) ^(٥٨٥) ^(٥٨٦) ^(٥٨٧) ^(٥٨٨) ^(٥٨٩) ^(٥٩٠) ^(٥٩١) ^(٥٩٢) ^(٥٩٣) ^(٥٩٤) ^(٥٩٥) ^(٥٩٦) ^(٥٩٧) ^(٥٩٨) ^(٥٩٩) ^(٦٠٠) ^(٦٠١) ^(٦٠٢) ^(٦٠٣) ^(٦٠٤) ^(٦٠٥) ^(٦٠٦) ^(٦٠٧) ^(٦٠٨) ^(٦٠٩) ^(٦١٠) ^(٦١١) ^(٦١٢) ^(٦١٣) ^(٦١٤) ^(٦١٥) ^(٦١٦) ^(٦١٧) ^(٦١٨) ^(٦١٩) ^(٦٢٠) ^(٦٢١) ^(٦٢٢) ^(٦٢٣) ^(٦٢٤) ^(٦٢٥) ^(٦٢٦) ^(٦٢٧) ^(٦٢٨) ^(٦٢٩) ^(٦٣٠) ^(٦٣١) ^(٦٣٢) ^(٦٣٣) ^(٦٣٤) ^(٦٣٥) ^(٦٣٦) ^(٦٣٧) ^(٦٣٨) ^(٦٣٩) ^(٦٤٠) ^(٦٤١) ^(٦٤٢) ^(٦٤٣) ^(٦٤٤) ^(٦٤٥) ^(٦٤٦) ^(٦٤٧) ^(٦٤٨) ^(٦٤٩) ^(٦٥٠) ^(٦٥١) ^(٦٥٢) ^(٦٥٣) ^(٦٥٤) ^(٦٥٥) ^(٦٥٦) ^(٦٥٧) ^(٦٥٨) ^(٦٥٩) ^(٦٦٠) ^(٦٦١) ^(٦٦٢) ^(٦٦٣) ^(٦٦٤) ^(٦٦٥) ^(٦٦٦) ^(٦٦٧) ^(٦٦٨) ^(٦٦٩) ^(٦٧٠) ^(٦٧١) ^(٦٧٢) ^(٦٧٣) ^(٦٧٤) ^(٦٧٥) ^(٦٧٦) ^(٦٧٧) ^(٦٧٨) ^(٦٧٩) ^(٦٨٠) ^(٦٨١) ^(٦٨٢) ^(٦٨٣) ^(٦٨٤) ^(٦٨٥) ^(٦٨٦) ^(٦٨٧) ^(٦٨٨) ^(٦٨٩) ^(٦٩٠) ^(٦٩١) ^(٦٩٢) ^(٦٩٣) ^(٦٩٤) ^(٦٩٥) ^(٦٩٦) ^(٦٩٧) ^(٦٩٨) ^(٦٩٩) ^(٧٠٠) ^(٧٠١) ^(٧٠٢) ^(٧٠٣) ^(٧٠٤) ^(٧٠٥) ^(٧٠٦) ^(٧٠٧) ^(٧٠٨) ^(٧٠٩) ^(٧١٠) ^(٧١١) ^(٧١٢) ^(٧١٣) ^(٧١٤) ^(٧١٥) ^(٧١٦) ^(٧١٧) ^(٧١٨) ^(٧١٩) ^(٧٢٠) ^(٧٢١) ^(٧٢٢) ^(٧٢٣) ^(٧٢٤) ^(٧٢٥) ^(٧٢٦) ^(٧٢٧) ^(٧٢٨) ^(٧٢٩) ^(٧٣٠) ^(٧٣١) ^(٧٣٢) ^(٧٣٣) ^(٧٣٤) ^(٧٣٥) ^(٧٣٦) ^(٧٣٧) ^(٧٣٨) ^(٧٣٩) ^(٧٤٠) ^(٧٤١) ^(٧٤٢) ^(٧٤٣) ^(٧٤٤) ^(٧٤٥) ^(٧٤٦) ^(٧٤٧) ^(٧٤٨) ^(٧٤٩) ^(٧٥٠) ^(٧٥١) ^(٧٥٢) ^(٧٥٣) ^(٧٥٤) ^(٧٥٥) ^(٧٥٦) ^(٧٥٧) ^(٧٥٨) ^(٧٥٩) ^(٧٦٠) ^(٧٦١) ^(٧٦٢) ^(٧٦٣) ^(٧٦٤) ^(٧٦٥) ^(٧٦٦) ^(٧٦٧) ^(٧٦٨) ^(٧٦٩) ^(٧٧٠) ^(٧٧١) ^(٧٧٢) ^(٧٧٣) ^(٧٧٤) ^(٧٧٥) ^(٧٧٦) ^(٧٧٧) ^(٧٧٨) ^(٧٧٩) ^(٧٨٠) ^(٧٨١) ^(٧٨٢) ^(٧٨٣) ^(٧٨٤) ^(٧٨٥) ^(٧٨٦) ^(٧٨٧) ^(٧٨٨) ^(٧٨٩) ^(٧٩٠) ^(٧٩١) ^(٧٩٢) ^(٧٩٣) ^(٧٩٤) ^(٧٩٥) ^(٧٩٦) ^(٧٩٧) ^(٧٩٨) ^(٧٩٩) ^(٨٠٠) ^(٨٠١) ^(٨٠٢) ^(٨٠٣) ^(٨٠٤) ^(٨٠٥) ^(٨٠٦) ^(٨٠٧) ^(٨٠٨) ^(٨٠٩) ^(٨١٠) ^(٨١١) ^(٨١٢) ^(٨١٣) ^(٨١٤) ^(٨١٥) ^(٨١٦) ^(٨١٧) ^(٨١٨) ^(٨١٩) ^(٨٢٠) ^(٨٢١) ^(٨٢٢) ^(٨٢٣) ^(٨٢٤) ^(٨٢٥) ^(٨٢٦) ^(٨٢٧) ^(٨٢٨) ^(٨٢٩) ^(٨٣٠) ^(٨٣١) ^(٨٣٢) ^(٨٣٣) ^(٨٣٤) ^(٨٣٥) ^(٨٣٦) ^(٨٣٧) ^(٨٣٨) ^(٨٣٩) ^(٨٤٠) ^(٨٤١) ^(٨٤٢) ^(٨٤٣) ^(٨٤٤) ^(٨٤٥) ^(٨٤٦) ^(٨٤٧) ^(٨٤٨) ^(٨٤٩) ^(٨٥٠) ^(٨٥١) ^(٨٥٢) ^(٨٥٣) ^(٨٥٤) ^(٨٥٥) ^(٨٥٦) ^(٨٥٧) ^(٨٥٨) ^(٨٥٩) ^(٨٦٠) ^(٨٦١) ^(٨٦٢) ^(٨٦٣) ^(٨٦٤) ^(٨٦٥) ^(٨٦٦) ^(٨٦٧) ^(٨٦٨) ^(٨٦٩) ^(٨٧٠) ^(٨٧١) ^(٨٧٢) ^(٨٧٣) ^(٨٧٤) ^(٨٧٥) ^(٨٧٦) ^(٨٧٧) ^(٨٧٨) ^(٨٧٩) ^(٨٨٠) ^(٨٨١) ^(٨٨٢) ^(٨٨٣) ^(٨٨٤) ^(٨٨٥) ^(٨٨٦) ^(٨٨٧) ^(٨٨٨) ^(٨٨٩) ^(٨٩٠) ^(٨٩١) ^(٨٩٢) ^(٨٩٣) ^(٨٩٤) ^(٨٩٥) ^(٨٩٦) ^(٨٩٧) ^(٨٩٨) ^(٨٩٩) ^(٩٠٠) ^(٩٠١) ^(٩٠٢) ^(٩٠٣) ^(٩٠٤) ^(٩٠٥) ^(٩٠٦) ^(٩٠٧) ^(٩٠٨) ^(٩٠٩) ^(٩١٠) ^(٩١١) ^(٩١٢) ^(٩١٣) ^(٩١٤) ^(٩١٥) ^(٩١٦) ^(٩١٧) ^(٩١٨) ^(٩١٩) ^(٩٢٠) ^(٩٢١) ^(٩٢٢) ^(٩٢٣) ^(٩٢٤) ^(٩٢٥) ^(٩٢٦) ^(٩٢٧) ^(٩٢٨) ^(٩٢٩) ^(٩٣٠) ^(٩٣١) ^(٩٣٢) ^(٩٣٣) ^(٩٣٤) ^(٩٣٥) ^(٩٣٦) ^(٩٣٧) ^(٩٣٨) ^(٩٣٩) ^(٩٤٠) ^(٩٤١) ^(٩٤٢) ^(٩٤٣) ^(٩٤٤) ^(٩٤٥) ^(٩٤٦) ^(٩٤٧) ^(٩٤٨) ^(٩٤٩) ^(٩٥٠) ^{(٩٥١)</}

يَعْنِي: بالنار، فإنك توافق على هذا، بل وتُمسِكُ بولدك لِكُوَيِّهِ الطيب، فأنت الآن كاره لهذا الكي، لكن تحبه لما يترتب عليه من المصالح.
ومن ذلك: أنه قد يُشَقُّ بطنُ ابنك أمامك؛ لاستخراج الزائدة منه، أو أي عضو آخر مريض، فلا شك أنك لا تُحِبُّ شَقَّ بطنِ ابنك، لكن نظراً لما يترتب عليه من المصالح تُحِبُّه، فصار هذا محبوباً مكروهاً.
كذلك السيئات والكفر، فهي محبوبة مكروهة، فما يترتب عليه من المصالح العظيمة يُريدُه الله ﷻ لهذا، لا لأنه يُحِبُّه.

فإذا قال قائل: ما الفرق بين الإرادتين الكونية والشرعية؟
فالجواب: أن الفرقَ بينهما من وجهين:
الوجه الأول: أن الإرادة الكونية لا بدَّ فيها من وقوع المراد، فإذا أراد الله شيئاً كوناً وقَعَ ولا بدَّ، والإرادة الشرعية لا يلزمُ منها وقوع المراد، فقد يَقَعُ وقد لا يَقَعُ.
مثال ذلك: الإيمان مرادُ الله شرعاً، فهل يلزمُ من كونه مراداً لله شرعاً أن يؤمنَ الناس؟
الجواب: لا، ولهذا ففي الناس كافرٌ ومؤمنٌ، أما الإرادة الكونية فلا بدَّ فيها من وقوع المراد؛ لأنها بمنزلة المشيئة، وما شاء الله كان.
الفرق الثاني: أن الإرادة الشرعية لا تكونُ إلا فيما يُحِبُّه الله، والإرادة الكونية تكونُ فيما يُحِبُّه وفيما يكرهه، فالمعاصي الواقعة من الإنسان مرادة لله كوناً، غير مرادة لله شرعاً، مرادة كوناً؛ لأنها وقَعَتْ، وغير مرادة شرعاً؛ لأن الله لا يُحِبُّها.

فهذان فرقان بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية.
فقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٠].
من الإرادة الشرعية؛ لأن من الناس من لم يَطَهَّرْ.
وكذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. الإرادة فيه شرعية؛ لأن هناك أشياء كونية تَعْسُرُ علينا.

كذلك قوله ﷻ: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [البقرة: ١٦٠]. الإرادة فيه شرعية؛ لأن الحرج كوناً يَقَعُ، فأحياناً يَقَعُ الإنسان في حرج وضيق وشدة. لكن هذا كوناً، أما شرعاً فإن الله لا يُريدُ أن يجعلَ علينا حرجاً.

أما قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ يُرِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٠]. فالإرادة فيه كونية لا شك، فالله تعالى لا يُريدُ إغواء الخلق، ولو أراد أن يُغْوِيَ الخلق ما أرسل إليهم الرسل، وما أنزل عليهم الكتب، ولجعلهم يعمهون في ضلالهم، لكن يُحِبُّ من عباده الهداية، أما الإغواء فلا. فقوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ يُرِيكُمْ﴾ الإرادة فيه كونية.
ونريدُ الأمرَ أيضاً بالأمثلة فنقول مثلاً:

إيمانُ أبي بكرٍ الصديق عليه السلام، هل هو مرادٌ شرعاً أم كوناً؟
 الجوابُ: هو مرادٌ كوناً وشرعاً: كوناً؛ لأنه وقعَ، وشرعاً؛ لأن الله يُحبُّه.
 مثالٌ آخرُ: كفرُ أبي طالبٍ هل هو مرادٌ كوناً أو شرعاً؟
 الجوابُ: هو مرادٌ لله كوناً لا شرعاً.
 مثالٌ آخرُ: إيمانُ أبي لهبٍ هل هو مرادٌ لله كوناً أو شرعاً؟
 الجوابُ: هو مرادٌ شرعاً لا كوناً.
 مثالٌ آخرُ: إيمانُ رجلٍ كافِرٍ؟
 نقولُ: هذا مرادٌ لله شرعاً لا كوناً.

إذا: يُمكنُ أن يَجْتَمِعَ الإرادتَانِ، وذلك في الإيمان إذا وَقَعَ، وقد تَنَتَّهَيَ الإرادتَانِ؛ ككفرِ المؤمنِ، فهذا إنسانٌ مؤمنٌ، فلو قَدَرْنَا كفره، -ولكنه الآن مؤمنٌ- نقولُ: إن كفره غيرُ مرادٍ شرعاً، ولا كوناً. فهنا انتَفَتِ عنه الإرادتَانِ؛ لأنه لم يَقَعْ، فلم تُكُنِ الإرادةُ الكونيةُ، وليس محبوباً إلى الله فلم تُكُنِ الإرادةُ الشرعيةُ.

فَتَحَصَّلَ لَدَيْنَا الآنَ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ:

- قِسْمٌ: تَتَّفَقُ فِيهِ الْإِرَادَتَانِ.
- وَقِسْمٌ: تَنَتَّهَيَ عَنْهُ الْإِرَادَتَانِ.
- وَقِسْمٌ: تَكُونُ فِيهِ الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ دُونَ الْكُونِيَّةِ.
- وَقِسْمٌ: تَكُونُ فِيهِ الْإِرَادَةُ الْكُونِيَّةُ دُونَ الشَّرْعِيَّةِ.

وقولُ الله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾. الشاهدُ في هذه الآيةِ قوله: ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ وبقية الآية: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾ الآية: ٢٦. فالله تعالى يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ، ولكن هل إتيانه الملكَ مَنْ يَشَاءُ لمجردِ المشيئةِ، بل هل فعلُهُ ما يَشَاءُ لمجردِ المشيئةِ؟

ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِلَى أَنْ فَعَلَ اللهُ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ يَكُونُ لِمَجْرَدِ الْمَشِيئَةِ؛ أَي: أَنَّهُ يَشَاءُ الْوُجُودَ أَوْ الْعَدَمَ بَدُونِ مَرَجَحٍ، وَلَكِنْ لِمَجْرَدِ الْمَشِيئَةِ؛ لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (١٢) الآية: ٢٣. فَلَهُ أَنْ يَشَاءَ بَدُونِ مَرَجَحٍ.

وَلَكِنْ هَذَا الْقَوْلُ قَوْلٌ ضَعِيفٌ، بَلْ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ انْتِفَاءَ حِكْمَةِ اللهِ فِي فِعْلِهِ، هَذَا مِنْ جِهَةِ الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ.

أَمَّا مِنْ جِهَةِ الدَّلِيلِ السَّمْعِيِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٢٠) الآية: ٣٠. فَخْتَمَ هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٢٠) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَشِيئَتَهُ سَبْحَانَهُ تَابِعَةٌ لِحَكْمَتِهِ، وَعَلَى هَذَا فَقَيَّدَ بِالْحِكْمَةِ كُلَّ آيَةٍ فِيهَا إِطْلَاقُ الْمَشِيئَةِ.

فَقَوْلُهُ: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ لَيْسَ لِمَجْرَدِ مَشِيئَةٍ يُؤْتِي هَذَا الْمُلْكَ سَبْحَانَهُ، وَلَكِنْ يُؤْتِيهِ؛ لِأَنَّ حَكْمَتَهُ اقْتَضَتْ أَنْ يَأْخُذَ هَذَا الْمُلْكَ.

كذلك قوله: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ ويكون نزع الملك ممن يشاء إما بموته، أو بأن يغلب، أو بأن يقسّد تدبيره، أو ما أشبه ذلك، المهم أنه ينزع الملك ممن يشاء لحكمته سبحانه. إذا: المشيئة لابد أن تكون مقرونة بالحكمة، والله ﷻ ليس يفعل الشيء بدون مرجح إطلاقاً، وإذا كان تصرف الواحد منا بالشيء وترجيحه لأحد الأمرين بدون مرجح يعدّ سفهاً، فما بالك بفعل الله ﷻ والذي فعله في غاية الحكمة.

وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُمْتَلُونَ﴾ فالمعنى أن له الملك التام، وأن فعله على أتم وجه، فلا يتوجّه إليه سؤال؛ لأنه على أتم وجه، أما أفعالنا فإنها ناقصة لذلك نُسأل عنها، فالله لا يسأل عما يفعل لنهال سلطانه، وكمال فعله، وأنه تام لا يحتاج أن يسأل عنه. ثم إنه يجوز أن تسأل عن فعل الله استرشاداً وطلباً للحكمة، لا اعتراضاً.

ثم ساق البخاري رحمه الله الآية الثانية وهي: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۝ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤]. الخطاب هنا للرسول ﷺ، لأن قريباً سأله فقال: «أخبركم غداً». اعتماداً على نزول الوحي، وكان الرسول ﷺ يسأل فيأتيه الوحي في الحال، كما مرّ علينا في سؤال اليهود له عن الروح، فاتكأ على العسيب ونزل عليه الوحي.

فهنا قال لهم: «أخبركم غداً». ولم يقل: إن شاء الله. فبقي الوحي خمسة عشر يوماً لم ينزل عليه، فضايق النبي ﷺ، ولكن تأخّر الوحي فيه مصالح عظيمة منها: أن يعرف الإنسان قدر نفسه، وأن الأمر بيد الله.

ومنها: أن النبي ﷺ صادق فيما ينزل عليه من الوحي؛ لأنه لو كان كاذباً لافتعل ما يُفتعل وأتى به في الوقت الذي حدّده، لكن لما بقي حتى نزل عليه الوحي دلّ ذلك على صدقه. ومنها: أن يشتدّ اشتياق النبي ﷺ إلى الوحي وترقبه له، إلى غير ذلك من المصالح التي ليس هذا موضع ذكرها.

ثم نزل الوحي بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِسَائِي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۝﴾. قوله: ﴿فاعِلٌ﴾ أي: موقع للفعل، فلا تقل: إن فاعلٌ إلا وذلك مقرون بمشيئة الله؛ لأجل أن تقوِّض الأمر إليه؛ لأنك لا تدري ما يعرض لك، وكم من إنسان قال: إني فاعلٌ ذلك غداً. ولكن وجدت موانع تمنعه من فعله، فإذا قال: إن شاء الله. وفوّض الأمر إلى الله تيسر له الأمر، وما قصة سليمان بخافية حين قال: والله لأطوفن الليلة على تسعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلاماً يجاهد في سبيل الله. فقيل له: قل إن شاء الله. فلم يقل؛ اعتماداً على ما في نفسه من العزيمة، فطاف على تسعين امرأة، فلم تلد إلا واحدة منهن شقّ إنسانٍ وليس إنساناً كاملاً، ليريه الله ﷻ أن الأمر أمره، وأنت لا تتألى على الله، كل الأمر إليه، قال النبي ﷺ: «لو قال: إن شاء الله. لكان دركاً لحاجته، ولقاتلوا في سبيل الله»^(١). أي: لو قال إن شاء

الله لولدت كل واحدةٍ منهن غلاماً يُجاهد في سبيل الله.

فهنا يقول الله للرسول ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ ولكن هنا سؤالاً: هل يجوزُ

أن تُخبرَ عما في نفسك من العزيمة غير مقرونة بالمشيئة، دون أن تريد إيقاع الفعل؟

الجواب: نعم؛ وذلك لأن إخبارك عما في نفسك من العزيمة إخبارٌ عن شيءٍ حاضرٍ لا شيءٍ مستقبل.

مثال ذلك: أن تقول لصاحبك: سأسافرُ غداً إلى الرياض مثلاً، فإن أردت أنك ستسافرُ بالفعل؛

يعني: إني فاعلٌ ولا بدّ، فهذا لا بدّ أن تُقرّنه بالمشيئة، وإن أردت الإخبار عما في قلبك من العزيمة،

فهذا إخبارٌ عن شيءٍ حاضرٍ، لا شيءٍ مستقبلٍ، فلا حرج عليك إذا لم تُقرّنه بالمشيئة، وهذا فرقٌ دقيقٌ

قد يخفى على كثيرٍ من الناس.

وللقرن بالمشيئة فوائدٌ عظيمةٌ:

الأولى: تفويض الأمر إلى الله.

الثانية: تسهيل الأمر.

الثالثة: أنك لو أقسمت لم تحنث، فلو قلت: والله إن شاء الله لأسافرَ غداً إلى الرياض، ثم

تركت السفرَ اختياراً منك فلا حنثٌ ولا شيءٌ عليك.

لو قال قائلٌ: إني فاعلٌ ذلك الليلة الساعة الثانية عشرة. فماذا نقولُ؟

نقولُ: لا بدّ من قرنه بالمشيئة أيضاً، وإنما قال الله سبحانه: ﴿غَدًا﴾؛ لأن هذا هو الذي وقع من

الرسول ﷺ حيث قال: «أخبركم غداً». والتقيدُ في الجواب تبعاً للسؤال لا يُعتبر قيدا. وهذه قاعدةٌ

مفيدةٌ في أصول الفقه.

قال العلماء: ومن ذلك اختلاف الروايات في سفر المرأة، ففي رواية: «لا تُسافرُ امرأةٌ يوماً وليلةً

إلا مع ذي محرم»^(١) في أخرى: «مسيرة ثلاثة أيامٍ إلا مع ذي محرم»^(٢). وفي ثالثة: «لا تُسافرُ امرأةٌ إلا مع

ذي محرم»^(٣). فالتقيداتُ اختلفت؛ ففي رواية مسيرة يومٍ وليلة، وفي أخرى مسيرة ثلاثة أيام، والمطلقُ

لم يُقيّد بشيءٍ فهل نعتبرُ المقيدات أو نعتبرُ المطلق؟

والصحيح: أننا نعتبرُ المطلق؛ لأنه لما اختلفت المقيدات فإنها تكونُ جواباً لسؤال، فكان سائلاً

قال: أَرَأَيْتَ لو سافرت المرأة يوماً وليلةً بغيرِ محرم؟ فقال: «لا تُسافرُ امرأةٌ يوماً وليلةً إلا مع ذي

محرم». ولهذا دائماً يقول العلماء في النصّ المقيد: وَقَعَ هذا جواباً لسؤال.

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ (٣١) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﷻ. تنطبق

عليه هذه القاعدة.

(١) رواه مسلم (١٣٣٩).

(٢) رواه مسلم (١٣٤٠).

(٣) رواه البخاري (١٣٤١)، ومسلم (٥٢٣٣).

وكذلك لو قلت: إني فاعلٌ ذلك بعد ساعتين أو ثلاثٍ، فقل: إن شاء الله، فإن تقييدها بالغد في الآية جاء بناءً على جواب الرسول ﷺ لهم حيث قال: «غداً أُخبركم». والشاهد من الآية: قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فإن فيه إثبات المشيئة لله ﷻ مع أن الفعل هو فعلك، فهو وإن كان فعلك إلا أنه لا بد أن يكون مقروناً بمشيئة الله ﷻ. وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: ١٠٦]. الخطاب في قوله: ﴿إِنَّكَ﴾ للرسول ﷺ.

وقوله: ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ أي: هداية توفيق؛ يعني: لا تُوفِّقه للهداية حتى يَهْتَدِيَ. وقوله: ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هل المعنى: مَنْ أَحْبَبْتَ هدايته، أو مَنْ أَحْبَبْتَهُ؟ وإيهما أشمل؟ الجواب: المراد إنك لا تهدي من أحببت هدايته؛ لأنك قد تُحبُّ هداية الإنسان وإن كنت لا تُحبُّه هو بنفسه فتكون أشمل.

ثم قال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ولم يقل: ولكن الله يهديه، بل عمم فقال: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ليشمل من أحب ومن لا يُحب، فالهداية بيد الله ﷻ.

وهذه الآية نزلت تسلياً للرسول ﷺ في عمه أبي طالب^(١)، فعنه أبو طالب هو الذي اعتنى به، ورباه، ودافع عنه دفاعاً عظيماً، وقصائده في ذلك مشهورة، ولا سيما اللامية التي تبلغ خمسين بيتاً أو أكثر، والتي قال عنها ابن كثير في «البداية والنهاية»: إنها جديرة بأن تكون من المعلقات بل هي أعظم منها^(٢). والمعلقات هي سبع قصائد أعجبت العرب فعلقوها في وسط الكعبة تعظيماً لشأنها، فسميت المعلقات السبع. وكان يقول فيها:

* لَقَدْ عَلِمُوا أَن ابْنَنَا لَا مُكَذِّبَ لَدَيْنَا *

وانظر إلى قوله: «ابننا» الذي يُفيد الحنو والعطف، والفخر باتسابه إليه، ويقصد بذلك محمداً ﷺ، ثم قال:

* وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ *

قوله: بقول الأباطيل؛ أي: السحرة أو غيرهم من الكذبة، فهو ﷺ لا يُعْنَى بذلك، بل هو صدوق ﷻ. ويقول فيها:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بَأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَأَةُ أَوْ حِذَارُ مَسِيَّةٍ لَرَأَيْتَنِي سَمَحاً بِذَلِكَ مُبِينَا^(٣)

(١) رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٥٧/٣).

(٣) انظر: «سمط العوالي» (١/٣٩٤)، و«خزانة الأدب» (٣/٢٥٦)، و«لسان العرب» (٥/١٤٤)، الزاهر في «غريب ألفاظ الشافعي» (١/٣٨١).

وانظر وتأمل هذا الكلام، فهو يَكْادُ يُؤْمِنُ، لكن لم يَحْصُلْ منه القبولُ والإذعانُ، فهو وإن كان قد حَصَلَ منه التصديقُ إلا أنه لم يَحْصُلْ القبولُ والإذعانُ فُحْذِلَ -والعياذُ بالله- ومات على الشركِ، وكان آخرُ ما قَالَ: إنه على ملةِ عبدِ المطلبِ. وأبى أن يَقُولَ: لا إله إلا الله. مع أن الرسولَ ﷺ عنده ﷺ يَقُولُ: «يا عَمَّ قُلْ لا إله إلا الله كلمةُ أحتاجُ لك بها عند الله». ولكنه أبى أن يَقُولَ ذلك ^(١)، فقد سَبَقَتْ له من الله السابقةُ -والعياذُ بالله- قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝١٧﴾ [التكوير: ١٧-١٩]. ولكن شُكِرَ له جميله، فأذِنَ للرسولِ ﷺ أن يَشْفَعَ فيه، مع أن الكفار لا يُشْفَعُ فيهم، فشفَعَ فيه فكان في ضَحَضَاحٍ من نارٍ، وعليه نعلانٍ من نارٍ يغلي منها دماغه ^(٢) -والعياذُ بالله- أبد الأبدِينِ.

فحَزَنَ الرسولُ ﷺ فأنزَلَ اللهُ هذه الآيةَ تسليَةً له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فماذا يَكُونُ حالُ الرسولِ ﷺ حين نَزَلَتْ هذه الآيةُ؟

لا شك أنه سَيَقُولُ: رضيتُ بالله، وسلَّمْتُ به؛ لأن الأمرَ يَرْجِعُ إلى الله.

فإن قَالَ قائلٌ: كيف تَجْمَعُونَ بين هذه الآيةِ وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝١٧﴾؟

[التكوير: ١٧-١٩]. حيث بينَ اللهُ في هذه الآيةِ الثانيةِ أن الرسولَ يهدي إلى صراطٍ مستقيمٍ، وأكَّدَ ذلك بـ«إن» واللام؟

فالجوابُ أن يُقَالَ: إن الهدايةَ نوعانٍ: هدايةٌ دلاليةٌ، وهدايةٌ توفيقيةٌ، والثابتةُ للرسولِ ﷺ هي هدايةُ الدلالةِ فهو يَدُلُّ الناسَ، والخاصةُ بالله سبحانه هي هدايةُ التوفيقِ.

فإن قَالَ قائلٌ: أليس اللهُ تعالى قد قَالَ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٧﴾ [التكوير: ١٧-١٩]. فأوجبَ على نفسه الهدى

وهنا يَقُولُ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فما الجمعُ بينهما؟

فالجوابُ: الجمعُ بينهما أن قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٧﴾؛ أي: للبيان. فهي هدايةُ البيانِ والإرشادِ، فالله عليه البيانُ ﷻ، وقد أوجبه على نفسه، ولهذا قَالَ بعدها مباشرةً: ﴿وَلَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ۝١٧﴾ [التكوير: ١٧-١٩]. أي: فنحن نبيِّن ولكنَّ الحكمَ لنا، فمن شِئنا وفَقَّناهُ للهدايةِ، ومن شِئنا لم نُوفِّقه -نَسْأَلُ الله أن يُوفِّقني وإياكم للهدايةِ إلى صراطٍ مستقيمٍ.

إذا تَبَيَّنَ أنه ليس بين الآياتِ -والحمدُ لله- اختلافٌ ولا تعارضٌ، وهكذا كُلُّ ما جاء في القرآنِ أو السنةِ الصحيحةِ فإنه لا يُمكنُ أن يَبَعَ فيه تعارضٌ، وإن أُوهِمَ التعارضُ فلفصوريًا نحن في الفهم، أو لقصنا في العلم، أو يَكُونُ الإنسانُ سعيَ الإرادةِ ولا يُريدُ إلا جمعَ المتعارضاتِ، ولهذا أنا أَنصَحُكُمْ ألا يَكُونُ هُمُكُمْ جمعَ المتعارضاتِ؛ لأن بعضَ الطلبةِ تَشْعُرُ منه كلما سألك: ما الجمعُ بين كذا وكذا؟ كأنه موَكَّلٌ بأن يَتَّبِعَ الأشياءَ التي ظاهرها التعارضُ، من أجل أن يُوردها على نفسه، ويَحْصُلُ له بذلك الشكُّ، فإعراضُ الإنسانِ عند ذلك هو الأولى.

لكن إذا وَقَعَ له فَلْيَسْتَعِزْ بالله وليَتَدَبَّرْ، فإذا مرَّ بآيةٍ مثلاً وأشكِلتَ عليه، فليَسْتَعِزْ بالله، وليَتَدَبَّرْ

(١) تقدم نَحْرِيه.

(٢) رواه البخاري (٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠).

مرةً بعد أخرى، حَتَّى يُهْدَى إِلَيْهِ، أما أَنْ يَكُونَ لَيْسَ لَهُ هَمٌّ إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ الْآيَاتِ الَّتِي ظَاهَرُهَا التَّعَارُضُ، أَوِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي ظَاهَرُهَا التَّعَارُضُ، ثُمَّ يُورِدُهَا عَلَى نَفْسِهِ أَوْ لَا فَيَقَعُ فِي شَكٍّ وَحِيرَةٍ، ثُمَّ يُورِدُهَا عَلَى مَنْ يُورِدُهَا مِنَ النَّاسِ، فِهَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِ طَالِبِ الْعِلْمِ.

لَكِنْ إِذَا قَدَّرَ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَسَيَكُونُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْإِنْسَانُ مُحِيطًا بِكُلِّ شَيْءٍ فَيَحْتَسِبُ اسْتَعِينَ بِاللَّهِ وَقَرَّرَ فِي نَفْسِكَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ: أَنَّهُ لَا تَعَارُضَ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ، وَلَا بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ وَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَنْتَ إِذَا بَنَيْتَ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ سَهَّلَ عَلَيْكَ الْجَمْعَ، أَمَا إِذَا كَانَ شَبَحَ التَّعَارُضِ أَمَامَكَ وَهُوَ الَّذِي بَنَيْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّكَ قَدْ تَحَرَّمْتَ الْوَصُولَ إِلَى الْجَمْعِ.

❦ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا ذِكْرُ الْإِرَادَةِ، وَقَدْ ذَكَرَهَا اللَّهُ ﷻ فِي آيَاتِ الصِّيَامِ، فَقَالَ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وَمَنْ هُنَا نَعْرِفُ أَنَّ الْإِرَادَةَ هُنَا شَرْعِيَّةٌ وَلَا بَدَءَ، وَلَيْسَتْ إِرَادَةً كَوْنِيَّةً؛ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ الْكَوْنِيَّةَ قَدْ تَكُونُ فِي أُمُورٍ تَعَسَّرُ عَلَيْنَا.

وَمَا أَجَلَ هَذِهِ الْآيَةَ وَأَحْسَنَهَا! وَأَنْ يَكُونَ مَرَادُ اللَّهِ بِنَا ﷻ فِي شَرْعِهِ هُوَ الْيُسْرَ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِّرُوا»^(١)، وَقَالَ: «إِنَّا بُعِثْتُمْ ميسرينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا معسرينَ»^(٢)، فَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ اجْعَلْهَا عِنْدَكَ.

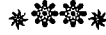
وَقَدْ بَنَى عَلَيْهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَسْأَلَةً وَهِيَ: إِذَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ عَلَى قَوْلَيْنِ، وَلَمْ يَتَبَيَّنْ لِلْإِنْسَانِ الرَّاجِحُ مِنْهُمَا، فَهَلْ يَأْخُذُ بِالْأَشَدِّ أَوْ بِالْأَيْسَرِ أَوْ يُخَيَّرُ؟
بَعْضُ الْعُلَمَاءِ قَالَ: يُؤْخَذُ بِالْأَيْسَرِ، وَالِدَّلِيلُ قَوْلُهُ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.
وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: خُذْ بِالْأَشَدِّ؛ لِأَنَّهُ أَحْوْطُ وَأَبْرَأُ لِلذِّمَةِ.
وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: تُخَيَّرُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَرَجَّحْ عِنْدَكَ شَيْءٌ وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.
وَالرَّاجِحُ عِنْدَنَا: هُوَ الْأَخْذُ بِالْأَيْسَرِ إِذَا لَمْ يَتَرَجَّحْ عِنْدَ الْإِنْسَانِ أَحَدُ الدَّلِيلَيْنِ، أَمَا إِذَا تَرَجَّحَ فَالْوَاجِبُ أَنْ نَأْخُذَ بِالرَّاجِحِ.

❦ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ﴿فَرَدَّ مِنْ أَفْرَادٍ لَا تُخَصِّي دَاخِلَةً تَحْتَ كِتَابَتِهِ تَعَالَى: «إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» فَمِنْهَا أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ بِنَا الْيُسْرَ.
❦ ثُمَّ قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ هَذِهِ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ تُعْتَبَرُ تَأْكِيدًا لِلْأُولَى؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ مَفْهُومُهَا: لَا يُرِيدُ الْعُسْرَ، لَكِنْ صَرَّحَ بِالْمَفْهُومِ، فَكَانَ عَدَمُ إِرَادَتِهِ الْعُسْرَ بِنَا قَدْ ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً بِطَرِيقِ الْمَفْهُومِ وَمَرَّةً بِطَرِيقِ الْمَنْطُوقِ، وَهَذَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ ﷻ عَلَيْنَا فَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ، نَسْأَلُ

(١) رواه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).

(٢) رواه البخاري (٢٢٠).

اللَّهُ أَنْ يَرْزُقَنَا شُكْرَ نِعْمَتِهِ وَحَسَنَ عِبَادَتِهِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ فَاعْزِمُوا فِي الدُّعَاءِ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»^(١).

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «إِنْ شِئْتَ». فَأَثْبَتَ اللَّهُ الْمَشِئَةَ.

وقوله: «إِذَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ». أَعْمٌ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ: «لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ». فَإِنْ قَوْلُهُ: «إِذَا دَعَوْتُمْ» يَشْمَلُ أَيَّ دُعَاءٍ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَدَبٌ عَظِيمٌ فِي الدُّعَاءِ، وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا دَعَا اللَّهَ سِوَاءَ بَاسْتِغْفَارٍ أَوْ غَيْرِ اسْتِغْفَارٍ، لَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي إِنْ شِئْتَ. فَلَا تَقُلْ فِي دُعَاكَ: «إِنْ شِئْتَ»، وَاعْزَمْ فِي الدُّعَاءِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي. بَدُونَ أَنْ تَقُولَ: «إِنْ شِئْتَ»؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ؛ يَعْنِي: لَا أَحَدٌ يُكْرِهُهُ حَتَّى تَقُولَ: إِنْ شِئْتَ أَعْطِنِي وَإِنْ شِئْتَ لَا.

وَفِي قَوْلِ الْقَائِلِ فِي الدُّعَاءِ: «إِنْ شِئْتَ» مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ مَا يَلِي:

أَوَّلًا: أَنَّهُ يُشْعِرُ بَأْنَ الدَّاعِي يَرَى أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُكْرِهٌ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا أُكْرِهْتَ فَإِنْ شِئْتَ فَافْعَلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَفْعَلْ.

ثَانِيًا: أَنَّهُ يُشْعِرُ بِاسْتِغْنَاءِ الدَّاعِي عَنِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ لَوْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: تُرِيدُ كَذَا وَكَذَا. فَقُلْتَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ. فَمَعْنَاهُ أَنْكَ مُسْتَغْنٍ، وَكَأَنَّكَ تَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَعْطِنِي، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا يَهْمُنِي أَنْ تَحْرِمَنِي.

ثَالِثًا: أَنَّهُ قَدْ يُشْعِرُ بَأْنَ هَذَا عَظِيمٍ عَلَى اللَّهِ كَثِيرٌ عَلَيْهِ، لَذَا فَإِنَّهُ يَقُولُ: إِنْ شِئْتَ. وَلِهَذَا جَاءَ فِي اللَّفْظِ الْآخِرِ: «وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ». يَعْنِي: لَيْسَ أَلِ اللَّهِ عَظِيمٌ مَا يَكُونُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاطَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ، لِذَلِكَ نُهِيَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِنْ شِئْتَ. سِوَاءَ كَانَ فِي الْمَغْفَرَةِ أَوْ غَيْرِ الْمَغْفَرَةِ.

فَإِنْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. كَمَا يُوجَدُ عِنْدَ كَبِيرٍ مِنَ الْعَامَةِ تَجِدُهُ يَقُولُ: اللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، اللَّهُ يَغَافِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

نَقُولُ: إِنْ قَصَدَ بِهَا التَّبَرُّكَ فَلَا بَأْسَ، وَإِنْ قَصَدَ بِهَا الشَّرْطَ فَإِنَّهُ يُنْهَى عَنْهَا، وَلَكِنَّهَا أَقْلُ مِنْ قَوْلِهِ: إِنْ شِئْتَ؛ لِأَنَّ «إِنْ شِئْتَ» صَرِيحَةٌ فِي خُطَابِ اللَّهِ ﷻ، أَمَا لَفْظُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَدْ جَاءَتْ بِلَفْظِ الْغَائِبِ، وَالمَجَابَهَةُ بِالسُّوءِ أَعْظَمُ مِنَ التَّكْنِيَةِ عَنْهَا بِالْغَائِبِ.

وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَسَى وَتَوَكَّلْ ۖ إِنَّ جَاءَهُ الْأَمَنَى ۝﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١٠١-١٠٢]. أَهْوَنُ مِمَّا لَوْ قَالَ:

عبست وتوليت أن جاءك الأعمى؛ لأن الثانية صريحة في مواجهة المخاطب، فإذا كان قول القائل في الدعاء: «إن شاء الله»، أو: «إن شئت قبيحاً وسوء أدب مع الله»، كان قبحة بصيغة المخاطب أشد؛ لأنها صريحة للمخاطب. بخلاف التكنية عن ذلك بالغائب فإنها أهون، فصار قوله: «إن شاء الله» تختلف عن قوله: «إن شئت» من وجهين:

الوجه الأول: أنه قد يراد بـ«إن شاء الله» التبرك.

والثاني: أنها أقل بشاعة مما يجيء بلفظ المخاطب؛ لأنها تكون بلفظ الغائب وهو أهون. ومن الأشياء التي سمعناها حديثاً قول بعضهم: اللهم إني لا أسألك ردّ القضاء ولكن أسألك اللطف فيه. فإن هذا لا يجوز؛ لأنه قد جاء في الحديث: «لا يرُدُّ القدر إلا الدعاء، أو لا يرُدُّ القضاء إلا الدعاء»^(١).

ثم إن قولك: لا أسألك ردّ القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه. كأنك ترى أن هذا أمر كبير على الله، أن يرُدَّ القضاء بدعائك.

ثالثاً: أن قولك: لا أسألك ردّ القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه. كأنك تقول: لا يهمني أن تقضي عليّ بفقير أو مرض، أو غير ذلك لكن اللطف فيه؛ يعني: أجله قليلاً، وهذا أيضاً خطأ، بل أعظم للرغبة في الله ﷻ وأوسع مما في قلبك.

لكن سبحانه الله، يأتي الإنسان ويطلق ألقاباً لها رونق مزخرفة، فينتقلها الناس من غير روية وتروج عليهم، وإلا فلو تأمل الإنسان هذا الدعاء لوجده خطأ واضحاً.

ثم قال البخاري رحمه الله:

٧٤٦٥- حَدَّثَنَا أَبُو النِّمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. ح
وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي عَبْدُ الْحَمِيدِ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَفَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَقَالَ لَهُمْ: أَلَا تُصَلُّونَ؟ قَالَ عَلِيٌّ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثْنَا. فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُذْبِرٌ يَضْرِبُ فَخْذَهُ وَيَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ شَرٍّ جَدًّا﴾ ﴿١٥٤﴾ [١٥٤].

الشاهد من هذا الحديث قوله: إذا شاء أن يبعثنا بعثنا.

وفيه: دليل واضح على أن أفعال العباد تقع بمشيئة الله، مع أن فعل النائم وهو استيقاظه ليس

(١) رواه الإمام أحمد (٢٢٧/٥)، والترمذي (٢١٣٩)، وابن ماجه (٩٠)، وابن حبان (٨٧٢). وحسنه الشيخ الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٥٤)، عدا قوله: «إن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها».

(٢) رواه البخاري (٧٤٦٥)، ومسلم (٧٧٥).

بأخياره، فقد يُقال: إن الاستدلال بذلك لا يَتِمُّ. لكن قد مرَّ علينا في شرح ترجمة هذا الباب آيات متعددة تدلُّ على أن أفعال العباد تُقَعُّ بمشيئة الله قَالَ تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَكَّوْهُ﴾ [الأنعام: ١٢٧]. وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَكَّوْهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَعِنْتُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الأنعام: ٢٥٣].

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلَالُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا فَإِذَا سَكَتَتْ اغْتَدَلَتْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّى بِالْبَلَاءِ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ»^(١).

هذا الحديث فيه: مثل من أمثال الرسول ﷺ، والأمثال في القرآن والسنة تُقَرَّبُ للمعقول إلى العقول؛ لأنها تُضْرِبُ المحسوس مثلاً، وتُصَوِّرُ الإنسان للمحسوس أقرب من تصوُّره للمعقول، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَيَلَاكُ الْأَمْتَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [الزمر: ٢٣].

وفي ضرب الأمثال فائدة أصولية فقهية وهي أن كلَّ مثل ضربه الله أو رسوله فهو دليل على ثبوت القياس؛ لأن المقصود به تمثيل هذا بهذا، فيكون مثبتاً للقياس.

أما المثل الذي ذكره الرسول ﷺ هنا فالمراد بقوله: «مثل المؤمن». أي: بالنسبة لقضاء الله وقدره «كمثل خامة الزرع». أي: ورق الزرع، فورق الزرع تأتيه الرياح العاصفة وتميله يمينا ويسارا، لكنه باق لا يَنْكَسِرُ، فإذا سَكَتَ الرِّيحُ عاد إلى وضعه فهو لِينٌ لَا يَنْكَسِرُ، فالمؤمن كذلك في قضاء الله وقدره، إن أصابته الضراء صَبَرَ، وإن أصابته السراء شَكَرَ، فهو دائماً مع الله ﷻ في قضائه وقدره، فتراه منبسطاً في الضراء وفي السراء.

أما الكافر فهو: «كمثل الأرز» أي: شتلة الأرز، وهي صلبة مستقيمة، صمء لا تلين، فإذا جاءتها الرياح العاصف كسرتها ويقصمها الله ﷻ. والشاهد من هذا الحديث قوله: «إذا شاء».

فإذا قيل: كيف المثل بالنسبة للكافر؟

قلنا: الكافر إذا جاءه القضاء على غير ما يُريد ارتدَّ، كما قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الحجرات: ١٦]. فَيَسْخَطُ وَيَكْرَهُ

قضاء الله، بل ويكرهه الله - والعياذ بالله -، أما المؤمن فلا، بل هو راضٍ بقضاء الله ﷻ، صابرٌ محتسبٌ، فهو وإن أصابته عواصفُ القضاءِ الشديدة لا يتأثر.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٧- حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صَلَاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُعْطِيتُمُ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُم بِهِ حَتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، قَالَ أَهْلُ التَّوْرَةِ: رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَقَلُّ عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا. قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مَنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ. قَالُوا: لَا. فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءَ».

الشاهد من هذا الحديث قوله: «من أشاء». فأثبت المشيئة، وهي مشيئة في فعله تعالى لا في فعل العبد، وهذا متفقٌ عليه؛ أي: إثبات المشيئة في فعل الله، حتى عند المعتزلة الذين هم القدرية يُنْتَبِهُونَ مشيئة الله في فعله.

وفي هذا الحديث: دليلٌ على فضيلة هذه الأمة.

وفيه: دليلٌ على أن من منع فضله فإنه لا يُلام، إذا كان قد أعطى ذا الحقَّ حقَّه، فهؤلاء الأجراء: الأول من أول النهار إلى انتصاف النهار، عاملهم على قيراط، والثاني من انتصاف النهار إلى صلاة العصر، عاملهم أيضًا على قيراطٍ برضاهم، والثالث من صلاة العصر إلى الغروب عاملهم على قيراطين قيراطين، فهل يَبْقَى حجةٌ للأولين؟

الجواب: لا؛ لأنه لم يَمْنَعُهُمْ حقُّهم، بل أعطاهم حقَّهم، فإذا زاد أحدًا فإنه لا يُقَالُ: إنه ظلم. ما دام الأولون قد أعطوا حقَّهم الذي رَضُوا به.

فإن قال قائل: وهل يَجْرِي ذلك فيما لو أعطى أولاده شيئًا على درهمٍ درهمٍ ورضوا به، ثم زاد أحدهم شيئًا؟ فالجواب: لا؛ لأن أصل العطية للأولاد لا يَجِبُ أن تكون بالسوية بين الذكور، وعلى النصف في الإناث؛ يَعْنِي: يَعْدِلُ بينهم ويكون للذكر مثل حظ الأنثيين، هذا في العطية، أما في النفقة فالعدل أن يُعْطِيَ كُلَّ واحدٍ سواء كان من الإناث أو الذكور ما يَحْتَاجُهُ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ الْمُسْنَدِيُّ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ أَبِي إِدْرِيسَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ فَقَالَ: «أَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ

شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِيَهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَاخَذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»^(١).

هذه البيعة التي في هذا الحديث تُسَمَّى ببيعة النساء، والبيعة هي العهد والميثاق، وسميت ببيعة؛ لأن كل واحد منهما يمدُّ باعه إلى آخر، لإثبات هذا العهد، فيقول مثلاً: مُدَّ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَى كَذَا وَكَذَا. وهي ببيعة النساء المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ [التَّحْكِيمُ: ١٧] إلى آخره.

والشاهد من هذا الحديث قوله: «فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ».

وفي هذا الحديث من القوائد:

أَنْ مَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَاذوراتِ كَالزَّنا مثلاً، أَوْ قَتَلَ الْوَلَدَ، فَأَخَذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَعَلَى هَذَا فَالْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لِأَصْحَابِهَا، فَالزَّانِي إِذَا زَنَى ثُمَّ رُجِمَ أَوْ حُذِّ، فَإِنْ ذَلِكَ يَكُونُ كَفَّارَةً لَهُ، وَلَا يُعَاقَبُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ.

وَلَا يُشْكِلُ عَلَى هَذَا -أَي: عَلَى أَنَّ الْحُدُودَ كَفَّارَاتٌ- إِلَّا قِصَّةُ الْعَرَبِيِّينَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَساداً^(٢)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [التَّحْكِيمُ: ٣٣]. فَأُثِّبَ لَهُمْ عَقُوبَتَيْنِ عَقُوبَةً فِي الدُّنْيَا، وَعَقُوبَةً فِي الْآخِرَةِ. فإِذَا أَنْ يُقَالَ: إِنْ هُوَ لَعَظَمَ جَرْمُهُمْ وَفَسَادُهُمْ لَمْ يَكُنِ الْحُدُودُ مَكْفَرَةً عَنْهُمْ، وَصَارُوا يُحْدِثُونَ فِي الدُّنْيَا فَتَقَطُّعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مُسْتَتْنًى مِنْ بَقِيَةِ الْحُدُودِ.

وإِذَا أَنْ يُقَالَ: إِنْ هَذَا مَنْسُوخٌ، وَأَنَّ الْحُدُودَ بَعْدُ صَارَتْ كَفَّارَةً لِأَصْحَابِهَا، وَلَكِنْ النِّسْخُ يَحْتَاجُ إِلَى تَعْدِيلِ إِمْكَانِ الْجَمْعِ، فَإِذَا أَمَكَّنَ الْجَمْعُ فَإِنَّهُ لَا نَسْخَ، وَالْجَمْعُ هُنَا سَهْلٌ وَذَلِكَ بِأَنْ نَقُولَ: هَذَا يُسْتَتْنَى مِنْ بَقِيَةِ الْحُدُودِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٦٩- حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لَهُ سِتُونِ امْرَأَةٍ فَقَالَ: لَا طُوفَانَ اللَّيْلَةِ عَلَى نِسَائِي، فَلَتَحْمِلْنَ كُلُّ امْرَأَةٍ وَلْتَلِدَنَّ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَطَافَ عَلَى نِسَائِهِ فَمَا وَلَدَتْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَلَدَتْ شِقَ غُلَامٍ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ

(١) رواه مسلم (١٧٠٩).

(٢) تقدم تخرجه.

«لَوْ كَانَ سُلَيْمَانُ اسْتَشْنَى لَحَمَلَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُمْ فَوَلَدَتْ فَارِسًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).
هذا الحديث الشاهد منه: قوله: «لو كان سليمان استشنى». والمراد بالاستشناء قوله: إن شاء الله.

وسياق الحديث باللفظ الآخر أصح، وهو أن النساء كن تسعين امرأة^(٢) لا ستين امرأة، وأنه قيل له: قل إن شاء الله. فلم يقل إن شاء الله.
والبخاري كما بينا يسوق أحياناً الحديث بلفظ لا يطابق الترجمة بناءً على لفظ آخر يطابقها، أما أنه ذكره في محل آخر، وإما أنه جاء في رواية ليست على شرطه، وقلنا: إن هذا فيه فائدة وهي: حمل الإنسان على البحث؛ أي: البحث عن الحديث وهل هو على شرطه أو لا، والبحث عن مكانه إن كان على شرطه في الصحيح.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٠- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا خَالِدُ الْحَذَّاءُ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُوذُهُ فَقَالَ: «لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ: قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: طَهُورٌ! بَلْ هِيَ حُمَى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا». الْأَعْرَابُ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُو لِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ وَيَقُولُ: «لَا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». لَكِنْ كَانَ الْحُمَى كَانَتْ شَدِيدَةً فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: «طَهُورٌ؟!» وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ اسْتِفْهَامِيَّةٌ؛ يَعْنِي: أَيْكُونُ هَذَا طَهُورًا؟ ثُمَّ قَالَ: بَلْ هِيَ حُمَى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَنَعَمْ إِذَا». وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا أَزَارَتُهُ الْقُبُورُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ قَالَ: «فَنَعَمْ إِذَا». فَحَرِمَ هَذَا الرَّجُلُ بَرَكَةَ رَجَاءِ الرَّسُولِ ﷺ بِسَبَبِ أَنْ فِي قَلْبِهِ شَيْئًا مِنَ الْغَضَبِ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧١- حَدَّثَنَا ابْنُ سَلَامٍ، أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ حِينَ نَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ وَرَدَّهَا حِينَ شَاءَ»، فَقَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَتَوَضَّعُوا إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَابْيَضَّتْ فَقَامَ فَصَلَّى^(١).
الشاهد من هذا الحديث قوله: «قبض أرواحكم حين شاء وردّها حين شاء».

(١) رواه مسلم (١٦٥٤).

(٢) تقدم تخرجه.

(٢) رواه مسلم (٦٨١).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٢- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَالْأَعْرَجِ. ح وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اضْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ فِي قَسَمٍ يُقْسِمُ بِهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اضْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ نَلَطَمَ الْيَهُودِيُّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مَعِيَ اسْتَشْنَى اللَّهُ»^(١).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «أو كان ممن استشنى الله»؛ لأن الله ﷻ استشنى هذا بالمشيئة فقال: ﴿فَصَبِّحْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وفي هذا: دليل على تواضع النبي ﷺ حيث قال: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى». كما قال أيضًا: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى». وذلك من تواضعه ﷺ ﷺ، ومعنى قوله: «لَا تُخَيِّرُونِي»؛ أي: لا تقولوا هو خير من كذا، وهذا من التواضع، وإلا فلا شك أن الرسول ﷺ خير الأنبياء، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَرْسُلُ قَضَلْنَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٣- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي عِيسَى، أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَدِينَةُ يَأْتِيهَا الدَّجَالُ فَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ يَحْرُسُونَهَا فَلَا يَقْرُبُهَا الدَّجَالُ وَلَا الطَّاغُوتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

وفي هذا بُشْرَى لأهل المدينة أن الدجال لا يدخل عليهم المدينة، وأن الطاغوت أيضًا لا يقع فيها. ولكن قول الرسول ﷺ: «إِنْ شَاءَ اللَّهُ». يَحْتَمِلُ أَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ تَبَرُّكًا وَتَحْقِيقًا، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ قَالَهُ تَرَدُّدًا وَتَعْلِيقًا وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَأْتِيَهَا الطَّاغُوتُ، أَمَا الدَّجَالُ فَقَدْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ^(٢) بَدُونِ اسْتِثْنَاءٍ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا، وَلَكِنْ لَا يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ فِيهَا يَسْلَمُ مِنْ قِتْلِهِ؛ لِأَنَّ الْمَدِينَةَ حَيْثُ تَرَجُّفُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيَخْرُجُ مِنْهَا -أَي: مَنْ

(١) رواه مسلم (٢٣٧٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٣).

(٢) انظر من ذلك ما رواه البخاري (٧١٣٣)، ومسلم (١٣٧٩).

المدينة - مَنْ كَانَ مُنَافِقًا، أَوْ كَافِرًا، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَجْرٍ فِي «الْفَتْح»:

قِيلَ: إِنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِالطَّاعُونَ فَقَطْ. وَفِيهِ نَظَرٌ وَحَدِيثٌ مُحَجَّنٌ بِنِ أَدْرَعَ الْمَذْكُورَ أَنَّهَا يُؤَيَّدُ أَنَّهُ لِكُلِّ مِنْهَا ^(١) أَهْـ الظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ لِلتَّبَرُّكِ وَالتَّحْقِيقِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٤- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ فَأَرِيدُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ^(١).
الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «فَأَرِيدُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَخْتَبِيَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَهَذَا مِنْ فَضْلِهِ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ أَنَّهُ اخْتَبَأَ الدَّعْوَةَ الْمُسْتَجَابَةَ لَهُ لِهَذَا الْغَايَةِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٥- حَدَّثَنَا يَسْرَةُ بْنُ صَفْوَانَ بْنِ جَمِيلٍ اللَّخْمِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ فَتَزَعْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَنْزِعَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَتَزَعَهُ دُنُوبًا أَوْ ذُنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ حَوْلَهُ بِعَطَنِ» ^(١).
هَذِهِ الرُّوْيَةُ أُوتِلَتْ بِالْخِلَافَةِ، وَالضَّعْفُ الَّذِي حَصَلَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَالَ اللَّوْمُ عَنْهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ».

وَهُوَ أَيْضًا ضَعْفٌ نَسَبِيٌّ؛ أَي: بِالنَّسَبِ لَهَا حَصَلَ مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ الْفَتْوحَاتِ فِي عَهْدِ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْفَتْوحَاتِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتَغَلَ بِحُرُوبِ الرَّدَّةِ وَبِأَشْيَاءَ دَاخِلِيَّةٍ، وَلَمْ تَنْتَشِرِ الْفَتْوحَاتُ فِي عَهْدِهِ كَمَا انْتَشَرَتْ فِي عَهْدِ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ بَادَرَ فَقَالَ: «وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ» وَحِينَئِذٍ يَنْدَفِعُ اللَّوْمُ وَيَتِمُّ النِّقْصُ الَّذِي ذَكَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ. وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «فَتَزَعْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَنْزِعَ». فَفِيهِ إِثْبَاتُ الْمَشِيئَةِ.

(١) انظر: «الفتح» (١٣/١٠٥).

(٢) رواه مسلم (١٩٨).

(٣) رواه مسلم (٢٣٩٢).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٦- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ وَرَبَّيَا قَالَ: جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ قَالَ: «أَشْفَعُوا فَلْتَوْجَرُوا وَيَقْضِيَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ»^(١).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «على لسان رسولِهِ ما شاء».

وفي هذا الحديث: دليل على استحباب الشفاعة لصاحب الحاجة، وهذا مشروط بما إذا لم يكن في ذلك مفسدة، فإن كان في ذلك مفسدة فإن الشفاعة لا تُشْرَعُ؛ لأن الشفاعة مصلحة محدودة ترجع إلى صاحبها الذي شُفِعَ له، فإذا كان ذلك يَتَضَمَّنُ مفسدة عامة أو مفسدة خاصة على نفس المشفوع له فإنها لا تُشْرَعُ.

فلو جاء شخص يسأل نفقة، وأنا أعلم أنه إذا أعطيت النفقة سوف يُبْذَرُها، وَيَشْتَرِي بها ما يَحْرُمُ من دخان أو غيره، فحينئذ لا تُشْرَعُ الشفاعة؛ لأن هذه الشفاعة سَتُؤَدِّي إلى شيء محرم. وكذلك إذا كان يُخْشَى مفسدة عامة، بحيث إذا شُفِعَ له صار هذا وسيلة لأن يَسْتَعْمِلَ الناس الرشاوي والوثائق المحرمة، فهذا أيضًا لا تُشْفَعُ له.

أما إذا لم يكن في ذلك مفسدة، فلا شك أن الشفاعة للناس وقضاء حوائجهم مأمور بها شرعًا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٧- حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَامٍ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلْيَعَزِّمْ مَسْأَلَتَهُ إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مُكْرَهَ لَهُ»^(١).

سبق الكلام على هذا الحديث، والشاهد منه قوله: «إِنْ شِئْتَ». لكنه سبق بلفظ أعم، حيث قال:

«إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ». فيكون أعم من طلب المغفرة، أو طلب الرحمة.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٧٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ فِي صَاحِبِ مُوسَى أَهْوَى خَصْرًا؟ فَمَرَّ بِهِمَا أَبِي بَنْ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ

(١) رواه مسلم (٢٥٨٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٩).

فَقَالَ: إِنِّي تِمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقْيِهِ، هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «بَيْنَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ فَقَالَ مُوسَى: لَا. فَأَوْجَى إِلَى مُوسَى: بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ. فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقْيِهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ، فَكَانَ مُوسَى يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ فَتَى مُوسَى لِمُوسَى: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ. قَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا خَضِرًا وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَصَ اللَّهُ»^(١).

المؤلف رحمه الله اختصر القصة في هذا المكان والشاهد منها قول موسى للخضر: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩].



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٤٧٩- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَنْزَلُ غَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ يُخَيِّفُ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ. يُرِيدُ الْمُحَصَّبُ»^(١).

هذا القول قاله الرسول ﷺ في حجة الوداع. والمُحَصَّبُ سُمِّيَ بذلك؛ لأنه كثيرُ الحصباء، وهو محلٌّ في ظاهر مكة، لما نزل النبي ﷺ حين رمى الجمرات في اليوم الثالث عشر نزل وصلى بها الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، ثم رقد، ثم في آخر الليل ارتحل حتى أتى المسجد الحرام، ثم طاف طواف الوداع، ثم صلى صلاة الفجر، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

والشاهد من هذا الحديث قوله: «تَنْزَلُ غَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ».



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٤٨٠- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ قَالَ: حَاصَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ فَلَمْ يَفْتَحْهَا، فَقَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ». فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: نَقْفُلُ وَلَمْ نَفْتَحْ. قَالَ: «فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ»، فَقَدُوا فَأَصَابَتْهُمْ جِرَاحَاتٌ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدَاً إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَكَانَ ذَلِكَ أَعْجَبَهُمْ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(١).

(١) رواه مسلم (٢٣٨٠).

(٢) رواه مسلم (١٣١٤).

(٣) رواه مسلم (١٧٧٨).

قوله: فتبسم رسول الله ﷺ. ذلك لأن رأيه الأول كان خيراً من رأيهم، لكن هذه عادة النبي ﷺ أنه يُعطيهم بعض الشيء الذي يُريدون حتى يعرفوا أن رأيه هو الصواب، ومثل ذلك لما نهاهم عن الوصال فقالوا: إنك تُواصل. فواصل بهم يوماً ويوماً حتى دخل شهر شوال، فقال: «لو تأخر الهلال لزدتكم»^(١). فمكثهم من الوصال مع نيه إياهم عنه؛ حتى يتبين لهم بعد ذلك أن الحكمة فيما نهاهم عنه، وهو ترك الوصال.

فهذا الحديث أيضاً مثله، فإنه لما قال: «إنا قافلون». قالوا: نقفل ولم نفتح. فتركهم، فلما أصيبوا بالجراح قال: «إنا قافلون» أعجبهم الأمر، فتبسم النبي ﷺ وقفل.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٢- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ حَقٌّ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٥﴾ ﴿تَبَارَكَ: ٢٣﴾. وَلَمْ يَقُلْ مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿الْبَقَرَةُ: ٢٥٥﴾.

وَقَالَ مَسْرُوقٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئاً، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ، وَنَادَوْا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ. وَيُذَكَّرُ عَنْ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيَسَادِبُهُمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ».

هذا الباب عقده المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ يَكُونُ بِصَوْتٍ، وهذا الذي عليه السلف الصالح أن كلام الله تعالى بحرفٍ وصوتٍ، والأدلة على ذلك سبقت، وقلنا: إن قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ﴿الْمَائِدَةُ: ١١٦﴾. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ ﴿الْبَقَرَةُ: ٣٤﴾. وأمثالها تدلُّ دلالة واضحة على أنه يقول قولاً يُسْمَعُ.

بل إن الله فضل الصوت بأنه يكون رفيعاً ويكون دون ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ يَمِناً﴾ ﴿الْأَنْعَامُ: ٥٢﴾. فالسلف يقولون: إن الله يتكلم ويقول بكلام مسموع، وبكلام يكون بحروف، وهذه الحروف متعاقبة وليست متقارنة، فالباء في بسم الله الرحمن الرحيم سابقة والسين بعدها، والميم بعدها، وهلم جرا، ولا يضُرُّ أن تثبت الحروف حرفاً بعد حرف؛ لأنه كما سبق أن الله لم يزل ولا يزال فعلاً، والذي يحدث هو آحاد الكلام، وهو من الكمال أن يكون متى شاء تكلم بما شاء.

وأما الصوت فظاهر أيضاً، قال تعالى: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ فهذا بصوت عالٍ، ﴿وَفَرَّقْنَاهُ يَمِناً﴾ وهذا بصوت منخفض، وفي الحديث يقول الله تعالى: «يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك. فينادي

بصوت: إِنْ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذَرِيَّتِكَ بَعَثًا مِنَ النَّارِ^(١)، قَالَ: «فَيُنَادِي بِصَوْتٍ». فَأَكَّدَ النَّدَاءَ بِأَنَّهُ بِصَوْتٍ، مَعَ أَنَّ النَّدَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِصَوْتٍ، لَكِنْ هَذَا مِنْ بَابِ التَّوَكِيدِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الشَّعَرَةُ: ١٦٤].

قَوْلُهُ: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ. حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ إِلَى آخِرِهِ. هَذِهِ الْآيَةُ بَقِيَّةُ آيَةٍ سَبَقَتْ وَهِيَ: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [الشَّعَرَةُ: ٢٢٢-٢٢٣]. فَهَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي بَعْدَهَا قَطَعَتْ جَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمَشْرِكُونَ، وَبَيَّنَّتْ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ وَأَصْنَامَهُمْ لَا تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ بِأَيِّ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

أَوَّلًا: يَقُولُ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ يَعْنِي: لَا يَمْلِكُونَهَا اسْتِقْلَالًا، فَمِثْلًا: لَا يَمْلِكُونَ الْأَرْضَ، وَلَا يَمْلِكُونَ السَّمَاءَ، وَلَا يَمْلِكُونَ نَجْمَةً مِنَ النُّجُومِ، وَلَا يَمْلِكُونَ شَجَرَةً مِنَ الْأَشْجَارِ، وَلَا يَمْلِكُونَ ذَرَّةً مِنَ الذَّرَاتِ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِقْلَالِ، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ يَعْنِي: وَلَا يَمْلِكُونَهَا عَلَى وَجْهِ الْمَشَارَكَةِ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ مَلِكِ الْإِسْتِقْلَالِ، وَالْمَشَارَكَةِ يَظْهَرُ بِهَذَا الْمَثَالِ: لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ هُنَاكَ عَشْرَةَ مِنَ الْغَنَمِ لِي فِيهَا خَمْسُ مَعِينَاتٍ، وَلِكُ خَمْسُ مَعِينَاتٍ. فَهَذَا مُلْكُ اسْتِقْلَالِيٍّ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْعَشْرُ يَتَنَنَّا، وَرِثْنَاهَا عَنْ أَبِينَا مِثْلًا. فَهَذَا مُلْكُ مَشَارَكَةٍ. فَهَذِهِ الْأَصْنَامُ لَا تَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِقْلَالِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا تُشَارِكُ أَيْضًا فِي ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ [الشَّعَرَةُ: ٢٢٢].

هَلْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ أَعَانَتْ اللَّهَ عَلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟

الْجَوَابُ: لَا، قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [الشَّعَرَةُ: ٢٢٢]. فَلَوْ كَانَ لَهُ مِنْهُمْ ظَهِيرٌ لَقِيلَ: إِنْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ بِهَا شَيْءٌ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. لَكِنْ حَتَّى الْمُسَاعَدَةِ وَالْإِعَانَةَ مُتَّفِقَةٌ عَلَيْهَا، فَهِيَ لَمْ تُسَاعِدِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَلَمْ تُعِثْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشَّرْكِ، إِذَنْ لَيْسَ لَهَا يَدٌ عَلَى شَيْءٍ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَبَقِيَتْ الشَّفَاعَةُ، فَهَلْ تَشْفَعُ هَذِهِ الْأَصْنَامُ عِنْدَ اللَّهِ؟

الْجَوَابُ: لَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾. وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّهَ لَا يَأْذُنُ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَرْضَاهَا، وَلَا يَرْضَى مَنْ تَشْفَعُ لَهُ وَهِيَ الْكَفَّارُ. وَبِذَلِكَ انْقَطَعَتْ جَمِيعُ الْعِلَاقِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا الْمَشْرِكُونَ.

ثُمَّ قَالَ مِمَّنْ لِعَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ لِعَظَمَتِهِ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ أَيُّ: إِذَا تَكَلَّمَ صَعَقَتِ الْمَلَائِكَةُ؛ أَيُّ: غَشِيَ عَلَيْهَا مِنْ عَظَمَةِ مَا تَسْمَعُ، فِإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ؛ أَيُّ:

أُزِيلَ عَنْهَا الْفَرْعُ ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ يَعْنِي: يَسْأَلُونَ فِيَا بَيْنَهُمْ ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ وَفِي بَعْضِ الْأَفَافِ الْحَدِيثُ أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ جَبْرِيْلَ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَقِيْنُ فَيَقُوْلُونَ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فَيَقُوْلُ: ﴿قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيْرُ﴾ فَمَنْ هَذِهِ عَظَمَتُهُ كَيْفَ يَلِيْقُ عَقْلًا أَنْ يُشْرَكَ بِهِ مَنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا شَرَكَةٌ، وَمَا بِهِ مِنْ ظَهِيْرٍ، وَشَفَاعَتُهُ لَا تَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ.

❖ وَقَوْلُهُ: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾. قَوْلُهُ: «مَاذَا» اسْتِفْهَامِيَّةٌ وَتَكُونُ مَنْصُوبَةً عَلَى أَنَّهَا مَقُولُ الْقَوْلِ، وَلِهَذَا كَانَ الْجَوَابُ: «قَالُوا الْحَقُّ». وَلَمْ يَكُنِ الْجَوَابُ قَالُوا: الْحَقُّ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ «ذَا» اسْمًا مَوْصُولًا عَلَى أَنَّهَا خَبْرٌ، لَكَانَ الْجَوَابُ يُطَابِقُ السُّؤَالَ فَيَقُوْلُ: الَّذِي قَالَ الْحَقُّ.

❖ ثُمَّ قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيْرُ﴾ الْعَلِيُّ: بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَعَلَوُ الصِّفَاتِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، حَتَّى أَهْلُ الْبِدْعِ يُشَبِّتُونَ اللَّهَ عَلَوُ الصِّفَاتِ، عَلَى حَسَبِ مَفْهُومِهِمْ فِي عَلَوُ الصِّفَةِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ يَقُوْلُونَ: فِي هَذَا عَلَوُ صِفَةٍ. وَهِيَ نَقْصٌ، كَقَوْلِهِمْ مَثَلًا: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى لَا تَقُوْمُ بِهِ الْحَوَادِثُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْزِلَ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ، وَمَا أَشَبَهَ ذَلِكَ.

لَكِنْ عَلَى كُلِّ حَالٍ: فَأَهْلُ الْقِبْلَةِ؛ أَي: مَنْ يَنْتَسِبُ لِلْإِسْلَامِ، كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَالٍ عَلَوُ صِفَةٍ حَسَبِ مَفْهُومِهِمْ فِي عَلَوُ الصِّفَةِ.

أَمَّا عَلَوُ الذَّاتِ، فَإِنَّهُ عِنْدَ السَّلَفِ فَقَطْ، أَمَّا أَهْلُ التَّحْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ، أَوْ أَهْلُ الْحُلُولِ، فَلَا؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْحُلُولِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ يَقُوْلُونَ: إِنْ اللَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ. وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ يَقُوْلُونَ: لَا يُوَصَّفُ بِأَنَّهُ فَوْقَ الْعَالَمِ وَلَا تَحْتَهُ، وَلَا يَمِيْنُ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا مُتَّصِلٌ وَلَا مُفَصَّلٌ. وَقَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا، وَيَبَيِّنُ أَنَّ الْعَلَوُ الذَّاتِيَّ قَدْ دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ.

قَالَ: ﴿الْكَبِيْرُ﴾ فَهُوَ ﷻ ذُو الْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَلَمْ يَقُلْ: مَاذَا خَلَقَ رَبُّكُمْ». هَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ يَقُوْلُونَ: إِنْ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ. وَرَبِّمَا نَقُوْلُ: وَعَلَى الْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ يَقُوْلُونَ: إِنْ مَا يُسْمَعُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ يَقُوْلُونَ: مَا يُسْمَعُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ لَيْسَ هُوَ كَلَامَ اللَّهِ، بَلْ كَلَامُ اللَّهِ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، وَأَمَّا مَا يُسْمَعُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ خَلَقَهُ اللَّهُ لِلتَّبْعِيْرِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾»؛ يَعْنِي: لَا أَحَدٌ يَشْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَالْإِذْنُ هُوَ الْأَمْرُ لِمَنْ طَلَبَ الشَّفَاعَةَ أَنْ يَشْفَعَ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْكَلامِ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَقَالَ مَسْرُوقٌ: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْحَوْحِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئًا، فَإِذَا فَرَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ، وَنَادَوْا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا: الْحَقُّ». وَهَذَا الْقَوْلُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَعْلُوقٌ فِي الْبَخَارِيِّ، لَكِنَّهُ مَجْزُومٌ بِهِ، وَقَدْ قَالَ أَهْلُ الْاِصْطِلَاحِ: إِنْ الْبَخَارِيُّ إِذَا رَوَى شَيْئًا مَعْلُوقًا مَجْزُومًا بِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ صَحِيْحٌ، وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ صَحَّتِهِ عِنْدَهُ أَنْ يَكُونَ صَحِيْحًا عِنْدَ غَيْرِهِ.

وابن مسعود رضي الله عنه حين يتكلم بهذا الكلام يكون له حكم الرفع؛ لأن هذا الكلام لا يُقال بالرأي والاجتهاد.

ثم قال: «ويذكر عن جابر». قوله: يُذكر. بصيغة التمرّض، فهو عنده ضعيف.

ثم قال: «عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ». وهذا الحديث هو الحديث المشهور الذي ارتحل له جابر بن عبد الله مسيرة شهر، وذلك أنه حدث بهذا الحديث عن عبد الله بن أنيس، فذهب إلى عبد الله بن أنيس مسيرة شهر. قال أهل الاصطلاح: يَطْلُبُ علوَّ السند. وقال أصحاب الفقه: للاستبaths والتثبت. وبين القولين فرق.

فالأولون يقولون: المقصود بذلك هو طلب علوَّ السند؛ لأن الحديث إذا روي عن ثلاثة، ثم روي عن أربعة، فعن الثلاثة يكون أعلى، والآن جابر قد حدث بالحديث فصار بينه وبين الرسول ﷺ عبد الله بن أنيس، والواسطة التي بين جابر وعبد الله بن أنيس، لكن إذا رواه عن عبد الله مباشرة صار بينه وبين الرسول واحد فقط، وهذا علوَّ سند.

وقال الفقهاء: بل هذا من أجل التثبت والاستبaths في الخبر. ولو قال قائل: بأنه للأمرين جميعاً، لم يكن هذا بعيداً، وإن كانت مسألة علوَّ السند، أو نزول السند، لم تكن معروفة في ذلك العهد تلك المعرفة التي يُشار إليها ويُرتحل إليها، من خرج الحديث.

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في «الفتح» (١٣/٤٥٧):

قوله: «ويذكر عن جابر بن عبد الله، عن عبد الله بن أنيس». بنون ومهملة مصغرة، هو الجهنّي كما تقدّم في كتاب العلم، وأن الحديث الموقوف هناك طرف من هذا الحديث المرفوع، وتقدّم بيان الحكمة من إيراد هناك بصيغة الجزم وهنا بصيغة التمرّض، وساقه هنا من الحديث بعضه وأخرجه بتمامه في الأدب المفرد، وكذا أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني كلهم عن طريق همام بن يحيى، عن القاسم بن عبد الواحد المكي، عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: فذكر القصة، وأول المتن المرفوع: «يَحْشُرُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادَ - عَرَاءَ غُرْلًا بَهْمًا، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بَهْمًا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ...» فذكره وزاد بعد قوله «الدَّيَّانُ»: «لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى يَقْضِيَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنَ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى يَقْضِيَهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةِ. قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ. وَأَنَا إِنَّمَا نَأْتِي عَرَاءَ بَهْمًا؟ قَالَ: الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ». لفظ أحمد عن يزيد بن هارون عن همام، وعبد الله بن محمد بن عقيل مختلف في الاحتجاج به، وقد أشرت إلى ذكر من تابعه في كتاب العلم. اهـ.

الشاهد من هذا الحديث قوله: «ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب». إذا فهو

صوت عظيم يبلغ الناس كلهم القريبين منهم والبعيدين.

ثُمَّ قَالَ الْحَارِثِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨١- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سَلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ». قَالَ عَلِيُّ وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا فُزَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

قَالَ عَلِيُّ: وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرُو، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهَذَا. قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ عَمْرُو: سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ عَلِيُّ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ لِسُفْيَانَ: إِنْ أَنْسَانَا رَوَى عَنْ عَمْرُو عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ أَنَّهُ قَرَأُ فُزَّعَ قَالَ سُفْيَانُ: هَكَذَا قَرَأَ عَمْرُو، فَلَا أَدْرِي سَمِعَهُ هَكَذَا أَمْ لَا. قَالَ سُفْيَانُ: وَهِيَ قِرَاءَتُنَا.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/ ٤٥٨-٤٥٩):

قَوْلُهُ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّاءِ». وَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ الْمَذْكُورِ أَوْ لَا: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ فِي الْوَحْيِ». وَكَذَا فِي حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ.

قَوْلُهُ: «ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا». فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «سَمِعَ أَهْلُ السَّاءِ الصَّلْصَلَةَ».

قَوْلُهُ: «خُضْعَانًا». مُصَدَّرٌ كَقَوْلِهِ: غُفْرَانًا. قَالَهُ الْخَطَّابِيُّ، وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ جَمْعُ خَاضِعٍ.

قَوْلُهُ: (قَالَ عَلِيُّ). هُوَ ابْنُ الْمَدِينِيِّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ: «صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ». قَالَ عِيَاضٌ: ضَبَطُوهُ بِفَتْحِ

الْفَاءِ مِنْ صَفْوَانٍ. وَلَيْسَ لَهُ مَعْنَى وَإِنَّمَا أَرَادَ لَغِيرِ الْمُبْهَمِ.

قَوْلُهُ: «يَنْفُذُهُمْ». وَهُوَ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَضَمِّ الْفَاءِ؛ أَيُ: يَعْثُمُهُمْ. قُلْتُ: وَكَذَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ بِهَذِهِ الزِّيَادَةِ، وَلَكِنْ لَا يُقَسَّرُ بِهِ الْغَيْرُ الْمَذْكُورُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ غَيْرُ سُفْيَانَ، وَذَكَرَهُ الْكِرْمَانِيُّ بِلَفْظٍ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُ فِيهِمْ ذَلِكَ بِزِيَادَةِ لَفْظِ الْإِنْفَادِ؛ أَيُ: يَنْفُذُ اللَّهُ ذَلِكَ الْقَوْلَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، أَوْ مِنَ النُّفُودِ؛ أَيُ: يَنْفُذُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ أَوْ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ غَيْرُ سُفْيَانَ، قَالَ: إِنْ صَفْوَانًا بِفَتْحِ الْفَاءِ، فَالِاخْتِلَافُ فِي الْفَتْحِ وَالسُّكُونِ، وَيَنْفُذُهُمْ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِالْغَيْرِ، بَلْ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ سُفْيَانَ وَغَيْرِهِ أَنْتَهَى

وَسِيَاقٌ عَلِيٌّ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ يُخَالِفُ هَذَا الْإِحْتِمَالَ، لَكِنْ قَدْ وَقَعَتْ زِيَادَةُ: «يَنْفُذُهُمْ» فِي الرَّوَايَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا وَهِيَ عَنْ سُفْيَانَ فَيَقْوِي مَا قَالَ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

تَنْبِيهُ: وَقَعَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَجَرِ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ هُنَا بَعْدَ قَوْلِهِ: وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ فَسَمِعَهَا مُسْتَرْقُو السَّمْعِ، هَكَذَا إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا مَا يَبَيِّنُ أَنَّ التَّفْزِيعَ الْمَذْكُورَ يَقَعُ لِلْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّ الضَّمِيرَ فِي قُلُوبِهِمْ لِلْمَلَائِكَةِ لَا لِلْكَفَّارِ، بِخِلَافِ مَا جَزَمَ بِهِ مَنْ قَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ.

وَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيثِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الَّذِي أَشْرْتُ إِلَيْهِ مَا نَصَّهُ: «أَخَذَتْ أَهْلُ السَّمَوَاتِ مِنْهُ

رعدةً خوفًا من الله وَخَرُّوا سُجَّدًا فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جَبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ بِمَا أَرَادَ، فَيَمْضِي بِهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ سَاءٍ إِلَى سَاءٍ».

وفي حديثِ ابنِ عباسٍ عند ابنِ خُزَيْمَةَ وابنِ مَرْدَوَيْهِ: «كَمَرَّ السَّلْسَلَةُ عَلَى الصَّفْوَانِ، فَلَا يَنْزِلُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاءِ إِلَّا صُعُقُوا، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَكُونُ الْعَامُ كَذَا فَيَسْمَعُهُ الْجَنُّ.

وعند ابنِ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: «لَمَّا نَزَلَ جَبْرِيلُ بِالْوَحْيِ فُزِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لَانْخِطَاطِهِ، وَسَمِعُوا صَوْتَ الْوَحْيِ كَأَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنْ صَوْتِ الْحَدِيدِ عَلَى الصَّفَا، فَيَقُولُونَ: يَا جَبْرِيلُ بِمَا أُمِرْتَ» الْحَدِيثُ.

وعنده وعند ابنِ أبي حاتمٍ مِنْ طَرِيقِ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «لَمْ تَكُنْ قَبِيلَةٌ مِنَ الْجَنِّ إِلَّا وَلَهُمْ مَقَاعِدُ لِلسَّمْعِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ سَمِعَ الْمَلَائِكَةُ صَوْتًا كَصَوْتِ الْحَدِيدَةِ أَلْقَيْتَهَا عَلَى الصَّفَا، فَإِذَا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ خَرُّوا سُجَّدًا، فَلَمْ يَرْفَعُوا حَتَّى يَنْزَلَ، فَإِذَا نَزَلَ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَإِنْ كَانَ مِمَّا يَكُونُ فِي السَّمَاءِ قَالُوا: الْحَقُّ. وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْثٍ أَوْ مَوْتٍ تَكَلَّمُوا فِيهِ، فَسَمِعَتِ الشَّيَاطِينُ، فَيَنْزِلُونَ عَلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ».

وفي لَفْظٍ: يَقُولُونَ: «يَكُونُ الْعَامُ كَذَا فَيَسْمَعُهُ الْجَنُّ فَتُحْدِثُهُ الْكَهَنَةُ».

وفي لَفْظٍ: «يَنْزِلُ الْأَمْرُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لَهُ وَقْعَةٌ كَوَقْعِ السَّلْسَلَةِ عَلَى الضَّخْرَةِ، فَيَفْزَعُ لَهُ جَمِيعُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ»... الْحَدِيثُ.

فهذه الأحاديثُ ظاهرةٌ جدًا في أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي الدُّنْيَا، بِخِلَافِ قَوْلِ مَنْ ذَكَرْنَا مِنَ الْمَفْسِّرِينَ الَّذِينَ أَقْدَمُوا عَلَى الْجَزْمِ بِأَنَّ الضَّمِيرَ لِلْكَفَّارِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُخَالَفِينَ لِمَا صَحَّ مِنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ مِنْ أَجْلِ خُضَاءِ مَعْنَى الْغَايَةِ فِي قَوْلِهِ: «حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» وَفِي الْحَدِيثِ إِبْثَاتُ الشَّفَاعَةِ. اهـ.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٢- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، وَقَالَ صَاحِبٌ لَهُ يُرِيدُ أَنْ يَجْهَرَ بِهِ»^(١).

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ». وَمَعْنَى هَذَا الْإِذْنِ الْإِسْتِمَاعُ لِلشَّيْءِ؛ يَغْنِي: مَا اسْتَمَعَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَاسْتِمَاعِهِ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ كَمَا فِي رِوَايَةِ أُخْرَى يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ؛ يَغْنِي: يَجْهَرُ بِهِ.

وهذا دَلِيلٌ عَلَى: أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَسْتَمِعُ إِلَى مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَكَلِمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَحْسَنَ صَوْتًا وَأَدَاءً

(١) رواه البخاري (٧٤٨٢)، ومسلم (٧٩٢).

كان الله إليه أسمع.

وظاهرُ سياق البخاري رحمه الله أنه يرى أن المراد بالاذن الكوني؛ يعني: أنه ﷻ يأمر هذا النبي فيتغنّى بالقرآن؛ لأنه ساقه في الأحاديث التي يتحدّث فيها عن الكلام. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (٤٦٠ / ١٣):

وأشار بإيراده هنا إلى حديث فضالة بن عبيد، الذي أخرجه ابن ماجه من رواية ميسرة مولى فضالة، عن فضالة بن عبيد قال: قال النبي ﷺ: «اللَّهُ ﷻ أَشَدُّ أَذْنَا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَبْنَةِ إِلَى قَبْنَتِهِ». وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» عن ميسرة، وقوله: «أذنا» بفتح الهمزة والمعجمة؛ أي: اسمتاعا. اهـ

ويُحتمل أن البخاري رحمه الله ساقه في هذا الباب؛ لقوله: «يتغنّى بالقرآن». والقرآن سبق أنه كلام الله ﷻ، وهذا أقرب؛ لأن المعنى الذي أشرنا إليه أولاً بعيد من أنه من الإذن الذي هو الأمر بعيد.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله:

٧٤٨٣- حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رحمه الله قال: قال النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرِّيكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ»^(١). الشاهد من هذا الحديث قوله: «فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرِّيكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ». وقد رُوِيَ: «فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ». فأبطل من يقول: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ» الاستدلال بهذا الحديث على أن الله يتكلّم بحرفٍ وصوت، وقال: إن قوله: «فَيُنَادِي». أي: يُنَادِي مُلْكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ». حيث ساقه مساق الغائب.

ولكن هذا وإن كان له احتمال إلا أنه ضعيف، يُضَعِّفُهُ أَنْ اللَّهَ يَقُولُ: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فكان مُقتَضَى ذلك أن الذي يُنَادِيهِ هو الله، فكيف يَقُولُ: يَا آدَمُ. فإذا قَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. وَكَلَّ مُلْكًا يُكَلِّمُهُ، هذا بعيد من السياق، وإنما الذي ناداه هو الله ﷻ، بِدَلِيلِ الرَّوَايَةِ الْآخَرَى: «فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ».

وأما إقامة الظاهر مقام المضمّر حيث قالوا: إن الله. بدل: إني أمرك. فيقال: إن إقامة الظاهر مقام المضمّر هنا إشارة إلى قوة سلطان الله ﷻ، ودليل ذلك أنه قرّن بالأمر قوله: إن الله يأمرك، وهذا كما يَقُولُ الْمَلِكُ فِي الدُّنْيَا: إِنَّ الْمَلِكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا. أو إن أمير المؤمنين يأمرك أن تفعل كذا وكذا. وهو يعني نفسه، فهذا من باب التعظيم، والالتفات للتعظيم في اللغة العربية أسلوب متبع ومعروف.

وقوله: «بصوت». تأكيد لقوله: «يُنَادِي»؛ لأن المناداة لا تكون إلا بصوت، وهو كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [الشعراء: ١٦٤]. فإن تكلّماً هذه جاءت للتوكيد، ولهذا تسمّى عند النحويين مصدرًا مؤكّداً.

وفي هذا إثبات أن الله تعالى يتكلّم بصوت وهو كذلك، ولهذا يُخاطب موسى ويكلّمه، ويخاطب النبي ﷺ ويكلّمه ليلة المعراج فهم يسمعون صوته ويردّون عليه.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غُرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غُرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُشْرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ (١).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «ولقد أمره ربّه»؛ لأن الأمر لا يكون إلا بالكلام، ففيه إثبات أن الله ﷻ يتكلّم، وقد سبق الكلام على ذكر كلام الله ﷻ، وأن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله يتكلّم بحرفٍ وصوتٍ، يتكلّم بما شاء، متى شاء، كيف شاء.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٣- بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ جَبْرِيلَ وَنِدَاءِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ.

وَقَالَ مَعْمَرٌ: وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ. أَيُّ يُلْقَى عَلَيْكَ، وَتَلْقَاهُ أَنْتَ. أَيُّ: تَأْخُذُهُ عَنْهُمْ، وَمِثْلُهُ فَتَلْقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ.

قوله: «بابُ كلامِ الربِّ مع جبريل». جبريل عليه السلام هو أشرف الملائكة، وهو موكل بالوحي ينقله إلى من شاء الله ﷻ، وكلام الله معه، هو كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النحل: ١٠٣] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٤﴾. وقال: ﴿وَلَنُكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [التكوير: ٦]. أَيُّ: يُلْقَى عَلَيْكَ الْقُرْآنَ، ﴿مِنْ لَدُنْ﴾ أَيُّ: مِنْ عِنْدِ. ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾. وقَدَمَ الْحِكْمَةَ هُنَا لِيَبَانَ أَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هَذَا الْقُرْآنُ فَإِنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْحِكْمَةِ، وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ مُطَابِقٌ لِلْحِكْمَةِ تَامًا، سِوَاهُ كَانَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ، أَمْ مِنَ الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٥- حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ - هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ

قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَجِبَهُ، فَيُجِبُهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يَنَادِي جَبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَجِبُوهُ. فَيُجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ^(١).

هذا حديثٌ عظيمٌ فيه بيانُ الغاية العظيمة من محبة الله سبحانه للعبد، فإنه سبحانه إذا أحبَّ عبداً نادى جبريل -والمناداة لا تكون إلا بصوت-: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا». وهنا أتى بصيغة الغائب من باب التعظيم كما أسلفنا أنفساً.

يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَجِبَهُ، فَيُجِبُهُ جَبْرِيلُ». امثالاً لأمر الله ﷻ، ومحبة لأحباب الله.

ثُمَّ قَالَ: «ثُمَّ يَنَادِي جَبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فَلَانًا فَأَجِبُوهُ. فَيُجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ». ويذكر ذلك باسمه الخاص، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض. فيقبله أهل الأرض، ولا قبول إلا بعد محبة؛ لأن من لا يُحِبُّه لا تقبل منه، أما هذا فيوضع له القبول في الأرض فيكون رجلاً مقبولاً، وقوله: مقبولاً أي: عند الناس.

وفي هذا: دليلٌ على إثبات محبة الله للعبد، وأهل السنة والجماعة يقولون: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ وَيُحِبُّ؛ لقوله تعالى: ﴿مَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

ولكن أهل التحريف قالوا: لا محبة من الله للعبد ولا من العبد لله.

ومنهم من يقول: العبد يُحِبُّ الله والله لا يُحِبُّ العبد.

وحرّفوا الآيات الكثيرة في المحبة إلى أن المراد بها الثوات، فقالوا: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ؛ أي: يُشِيههم. ففسّروها بشيءٍ بائنٍ منفصل، قالوا: أو يُريدُ ثوابهم. ففسّروها بالإرادة التي هم يُشْتَوْنَهَا.

ولكننا نقول: إِنَّ حُبَّ الشَّيْءِ فَوْقَ الْإِرَادَةِ وَفَوْقَ الْإِثَابَةِ، وَالْمَحَبَّةُ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ حَقًّا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَهَلْ هُنَاكَ طَرِيقٌ يَصِلُ بِهَا الْإِنْسَانُ إِلَى أَنْ يُحِبَّهُ اللَّهُ؟

قلنا: نعم، هناك طريقٌ بيّنه الله ﷻ في قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فالطريق إلى كون الله يُحِبُّ العبدَ أَنْ يَتَّبِعُ العبدُ الرُّسُولَ ﷺ، وكلما كان الإنسانُ أَتْبَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ كان أحبَّ إلى الله؛ وذلك لأن الحكم إذا علّق بعلّة قوي بقوتها وضعف بضعفها، والحكم هنا هو حُبُّ الله لعبده، وقد علّق باتباع الرسول ﷺ، فكلما كان الإنسانُ أَتْبَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ كان أحبَّ إلى الله، فإذا أَرَدْتَ أَنْ يُحِبَّكَ الله فاتَّبِعِ الرُّسُولَ ﷺ ظاهرًا وباطنًا.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٦- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ

الْفَجْرِ، ثُمَّ يَرْجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَآتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ^(١).

هذا الحديث سبق الكلام عليه في باب قوله تعالى: ﴿مَنْحُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ﴾ [المائدة: ١١٠].
وأتى به المؤلف هنا في باب الكلام إشارة إلى أن الله تعالى يُكَلِّمُ الملائكة.
وسبق الكلام على الإشكال النحوي في قوله: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ». وبيننا جواب أهل النحو عليه، وأن بعضهم قال: إن هذه لغة معروفة عند العرب وتُسَمُّونها لُغَةً: أَكَلُونِي الْبَرَاغِيثُ.
وبعضهم قال: إن الواو فاعلٌ وملائكة بدلٌ من يتعاقبون، وأن الفائدة من ذلك: التفصيل بعد الإجمال؛ لأن قوله: «يَتَعَاقَبُونَ» الضمير فيه مبهم لا يعلم مرجعه، فإذا جاء قوله: «مَلَائِكَةٌ». صارت الجملة مبينة بعد الإجمال، فصارت أوقع في النفس.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٧- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنِ الْمَعْرُورِ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى. قَالَ: وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى»^(١).

الشاهد من هذا الحديث: أن جبريل بشر الرسول ﷺ، والبشارة هذه لا تقع من جبريل من تلقاء نفسه، بل لابد أن الله أخبره بذلك، فبشر به جبريل النبي ﷺ.
وقوله: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ». استدل به من قال: إن تارك الصلاة لا يكفر وقال: إن تارك الصلاة ليس بمشرك فيدخل الجنة.

ولكننا نجيئ عن هذا بأحد جوابين:

الجواب الأول: أننا لا نسلم أن تارك الصلاة ليس بمشرك؛ لأن النبي ﷺ قال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة».

والثاني: أننا لو سلمنا أن ترك الصلاة ليس بشرك كان هذا عامًا، وأدلة كفر تارك الصلاة خاصة، والقاعدة: أن العام يُحْمَلُ على الخاص. فيكون الخاص خارجًا من العموم.

(١) رواه مسلم (٦٣٢).

(٢) رواه مسلم (٩٤).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ [النَّبَأُ: ١٦٦].

قَالَ مُجَاهِدٌ: يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْأَرْضِ السَّابِعَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ الضمير فيه يعود على القرآن؛ لأن الله يقول: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾.

وقد سبق بيان معنى قوله: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ وأن لها معنيين:

المعنى الأول: كأنه قال: أنزله عن علم منه.

والثاني: أن العلم هنا يراد به المعلوم.

أما قوله: ﴿وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾؛ يعني: يشهدون بأن الله أنزل هذا القرآن بعلمه.

ثم قال: «وقال مجاهد: ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماء السابعة والأرض السابعة». يشير إلى قوله

تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾، الأمر؛ أي: أمر الله. ﴿بَيْنَهُنَّ﴾؛

يعني: بين السماء السابعة والأرض السابعة يَنْزِلُ أمر الله.

والسماوات سبع طباق، والأرضون كذلك سبع طباق، هذا هو الصحيح في الأرضين؛ بقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ

مِثْلَهُنَّ﴾ ولقول النبي ﷺ: «مَنْ اقْطَعَ مِنَ الْأَرْضِ شِبْرًا طَوْقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(١).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٨- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَخْوَصِ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيُّ، عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا فُلَانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ

وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاجَا مِنْكَ

إِلَّا إِلَيْكَ، أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ فِي لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى

الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ أَجْرًا»^(١).

قَوْلُهُ: «أَصْبَحْتَ أَجْرًا». في نسخة: «أَصْبَحْتَ خَيْرًا».

وهذا الحديث قد تقدّم الكلام عليه، والشاهد منه هنا قوله: «بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ».

وسبق لنا أن البراء قال: برسولك الذي أرسلت. فقال: «قل بنبيك الذي أرسلت»^(٢).

وسبق لنا أن بينا لماذا قال له الرسول ﷺ: «قل بنبيك الذي أرسلت». وبيننا أنه لوجهين:

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مسلم (٢٧١٠).

(٢) تقدم تخريجه.

الوجه الأول: أنه لو قيل: برسولك الذي أُرسلت. فقد يُوهَّم أنه جبريل، لأنه رُسول مرسل، وقد ذُكر مقارناً للقرآن الذي أنزل.
الوجه الثاني: لو قَالَ برسولك الذي أُرسلت. لكانت دلالتها على النبوة بطريق اللزوم، لكن إذا قَالَ: نبيك الذي أُرسلت. كانت الدلالة على وجه المطابقة، والدلالة في المطابقة أقوى من الدلالة في اللزوم.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٨٩- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي أُوْفَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الْأَحْزَابَ وَزَلْزِلْ بِهِمْ». زَادَ الْحُمَيْدِيُّ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي خَالِدٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ^(١).
قوله: «زاد الحميدي». زيادة الحميدي هي زيادة السماع، وبهذا نعرف أن الزيادة تكون في المتن، وتكون في السند، والزيادة في السند تكون من مزيد متصل الأسانيد، وتكون من زيادة صيغ الأداء، والبخاري هنا قال: إن هذا زيادة. وهي زيادة في صيغة الأداء، وليست زيادة راوٍ محذوف من رواية أخرى، وليست زيادة متني أو شيء في المتن.
فتبين بهذا أن المحدثين رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَتَوَسَّعُونَ في بعض المصطلحات.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٠- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ هُشَيْمٍ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا». قَالَ: أَنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ فَسَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا». لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ حَتَّى يَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ، وَلَا تُخَافَتْ بِهَا عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا: أَسْمِعُهُمْ وَلَا تَجْهَرُ حَتَّى يَأْخُذُوا عَنْكَ الْقُرْآنَ^(١).
هذا من تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن عباس أعلم الصحابة بالتفسير - ما عدا الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة -.

وقوله: «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا». المراد: لا تَجْهَرُ جَهْرًا يَسْمَعُهُ الْمُشْرِكُونَ، فَيَسُبُّونَ الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ - وهو الله - وَمَنْ جَاءَ بِهِ.
وفي هذا إشارة أو دليل - إذا قلنا بأن قول الصحابي حجة - على أن الإنسان إذا خاف إذا تَكَلَّمَ بموعظة، أو قرأ

(١) رواه مسلم (١٧٤٢).

(٢) رواه مسلم (٤٤٦).

قرأنا، أن يُسَبَّ القرآن، أو تُسَبَّ الموعظة، فإن الأولى ألا يُعْمَلَ، وأن يُجْعَلَ المسألة في وقتٍ آخر، وهذا من الحكمة ألا تُضَعَّ القرآن أو الموعظة بين يدي من يَمْتَنُّهَا.

ولهذا قال: لا تَجْهَرُ ولا تُخَافُ وابتغ بين ذلك سبيلاً. فلا تُخَافُ بها؛ لأنك لو خَافَتْ لم يَسْمَعْ أصحابك قراءتك، بل اجْعَلْ قراءتك وسطاً فتَجْهَرُ بها بحيث يَسْمَعُ أصحابك، وتُخَافُ بحيث لا يَسْمَعُ المشركون. والشاهد من هذا قوله: أَنْزَلْتُ ورسولُ الله ﷺ متوارٍ بمكة؛ أي: أنها نَزَلَتْ من عند الله، فيكون فيه دليل على أن الله تَكَلَّمَ بالقرآن.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٥- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٥]. إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضَّلَ حَقٌّ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ بِاللَّعِبِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَفَازٍ لِنَأْخُذْهَا ذُرُوءًا نَنَيعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٥]. والمراد بالتبديل هنا، تبديل معناه وحكمه، لا أنهم يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا لفظه؛ لأنهم لا يَسْتَطِيعُونَ ذلك.

وفي هذا: دليل على أن الذين يُحَرِّفُونَ الكلم عن مواضعه مبدلون لكلام الله، وكذلك الذين يَصْرِفُونَ النصوص عن ظاهرها مبدلون لكلام الله ﷻ؛ لأن الكلام في الحقيقة يُرَادُ به معناه، فإذا غُيِّرَ المعنى فيكون تغييراً للفظ؛ لأن الألفاظ قوالب.

والشاهد من ذلك قوله: ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾. فدل ذلك على إثبات الكلام لله ﷻ.

هو قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضَّلٍ﴾ [الطلاق: ١٣]. والقول لا يكون إلا كلاماً.

هو قوله: ﴿فَضَّلٌ﴾ قَالَ: حَقٌّ. والصحيح أنه أَعَمُّ من كلمة حق، فهو فصلٌ يَفْصِلُ بين الحق والباطل، وبين المسلمين والمجرمين، فهو فصلٌ في كل شيء يحتاج إلى فصل.

هو قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطلاق: ١٤]. أي: باللعب، بل هو جدٌّ وحزمٌ، وقوةٌ وعزةٌ، وكلٌّ من تَمَسَّكَ بالقرآن فإنه سوف يَكُونُ حاله كهذه الحال.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩١- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ بِسَبِّ الدَّهْرِ، وَأَذَا الدَّهْرُ. بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ»^(١).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «بِيَدِي الْأَمْرُ». فالأمر كله لله، ولا يُمكن أن يُبَدِّلَ كلام الله، كما

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٠]. فإذا كان بيده الأمرُ فإنه لا يَجُوزُ لنا أن نُبَدِّلَ كَلِمَاتِهِ لا باللفظ ولا بالمعنى.

وقد سبق الكلامُ على هذا الحديث، وبينّا أن معنى قوله تعالى: «وأنا الدهر»؛ أي: أنا مدبرُ الدهر، وليس المعنى أن الله هو الدهر؛ لأن الذين يَسُبُّونَ الدهرَ لا يريدون أن يسبوا الله، إنما يريدون أن يسبوا الدهر الذي هو الوقتُ والزمنُ، فتَجِدُهُ يَسُبُّ السَّنَةَ، أو يَسُبُّ الشَّهْرَ، أو يَسُبُّ اليَوْمَ، وما أشبه هذا، وقد بيّنَ اللهُ ﷻ أن سبَّ هذه المخلوقاتِ هو في الحقيقة سبُّ اللهِ؛ لأن الذي يُدَبِّرُ هذه المخلوقاتِ هو اللهُ؛ أما هذه المخلوقاتِ فلا تُدَبِّرُ نفسها.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٤٩٢- حَدَّثَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَأَكَلَهُ وَشَرِبَهُ مِنْ أَجْلِي، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرَحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وَفَرَحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(١).

قوله: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ». قَالَ الْعُلَمَاءُ معنى قوله: «الصوم لي». أنه سرُّ بيني وبين العبد؛ لأن الصوم مركَّبٌ من نية وترك، ولا يَعْلَمُ بالنية والترك إلا اللهُ ﷻ؛ فلهذا اخْتُصَّ اللهُ به وأضافه لنفسه.

وقيل: بل معناه: أن الإنسان إذا كان عليه مظالم، وأُخِذَ من حسناته يوم القيامة، فإنه يُؤْخَذُ من جميع الحسنات إلا الصوم، فإنه لا يُؤْخَذُ منه شيء؛ لأنه لله.

والمعنى الأوَّلُ أَصَحُّ، وهو أن الصوم لله؛ لأنه ليس فيه رياء، بل هو خالصٌ له، بدليل قوله: وأنا أجزي به. ثم بيّنَ حِكْمَةَ اختصاصه به سبحانه فقال: «يَدْعُ شَهْوَتَهُ، وَأَكَلَهُ، وَشَرِبَهُ، مِنْ أَجْلِي». وقوله: «يَدْعُ شَهْوَتَهُ»؛ يعني: الجوع، ويَدْعُ أيضًا أَكَلَهُ وشربه من أجلِ اللهِ ﷻ، وهذا هو الإخلاصُ.

وهذه الثلاثة هي التي نَصَّ عليها اللهُ في القرآن في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَالَّذِينَ بَشِرُوا وَعَبَسُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُمْ وَلَكُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [الأنعام: ١٨٧]. وهي التي أجمع المسلمون على أنها تُفْسِدُ الصوم^(٢).

قوله: «يَدْعُ شَهْوَتَهُ». هل تُفْسِرُ هذا بالجماع فقط؟ ونقول: لا يُفْطِرُ بالمذي والمنّي والمباشرة، أو نقول: إنها تَشْمَلُ الجماع والإنزال؟

(١) رواه مسلم (١١٥١).

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (٣٤٩/٤)، و«المجموع» للنووي (٣٢١/٦)، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٢١٩/٢٥) وغيرها من كتب الفقه.

الجوابُ أن يُقالَ: أما المباشرةُ فإنها لا تُفطرُ الصائمَ بلا شك؛ لأن النَّبيَّ ﷺ كان يُقبلُ وهو صائمٌ، ويُباشِرُ وهو صائمٌ^(١).

وكذلك المذي ولو من شهوة لا يُفطرُ الصائمَ؛ لأنه ليس عليه دليلٌ، وليس فيه شهوةٌ، فالشهوةُ بغيره لا به.

وأما المنِّي فإن جمهورَ العلماء على أنه يُفطرُ الصائمَ؛ لأنه شهوةٌ، ودليلُ ذلك قوله ﷺ: «وفي بُضعٍ أحَدكم صدقةٌ، قالوا: يا رسولَ الله أيُّ شيءٍ أحَدنا شهوته ويَكُونُ له فيها أجرٌ؟ قال: نعم أرأيتم لو وَضَعَهَا في الحرام أكان عليه وزرٌ؟ قالوا: نعم، قال: فإذا وَضَعَهَا في الحلالِ لكان له أجرٌ»^(٢). والذي يوضَعُ هو النطفةُ، وهذا يَدُلُّ على أن المنِّي مفطرٌ، وهو الأصحُّ.

وأما الجماعُ فالإجماعُ منعقدٌ على أنه مفطرٌ.

وهو قوله: «وأنا أَجْزِي به». لا شك أن الله ﷻ يَجْزِي على كُلِّ شيءٍ، لكن قال العلماء: إضافةُ الجزاءِ على الصومِ إلى الله ﷻ يُفيدُ أن هذا جزاءٌ أكثر من غيره، وعلَّلوا ذلك بأن الصومَ فيه أنواعُ الصبرِ الثلاثةُ، فهو صبرٌ على طاعةِ الله، وصبرٌ عن معصيةِ الله، وصبرٌ على أقدارِ الله بما يَحْصُلُ للصائمِ من الجوعِ والعطشِ، والهزالِ، وضعفِ النفسِ، والصابرون يُجْزَوْنَ أَجْرَهُمْ بغيرِ حساب.

وقوله تبارك وتعالى: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ»^(٣). الجُنَّةُ هي ما يَتَّقِي به سَهَامُ الأعداءِ، مأخوذةٌ من الاجتنانِ وهو الخفاءُ؛ لأن الإنسانَ يَخْتَفِي به عن سَهَامِ الأعداءِ وهو مثلُ الصَّاحِ الكبير الذي يُخَبِّرُ عليه يَحْمِلُهُ المقاتِلُ، فإذا رأى أَحَدًا صَوَّبَ إليه سَهْمًا دَفَعَ السَّهْمَ بهذا الترسِ الذي يُسَمَّى جُنَّةً.

والمرادُ بكونه جُنَّةً: أنه يَسْتَتِرُ به الإنسانُ في الدنيا من قولِ الزورِ، والعملِ به، والجهلِ، وفي الآخرة يَتَّقِي به من النارِ.

وهو قوله: «وللصائمِ فرحتان: فرحةٌ حين يُفْطِرُ، وفرحةٌ حين يَلْقَى رَبَّهُ»^(٤). وفرحته حين يُفْطِرُ تكونُ لأمرين:

الأمرُ الأوَّلُ: تناولُ ما أَحَلَّ اللهُ له من طعامٍ، وشرابٍ، ونكاحٍ، فإن النفسَ إذا حُسِستْ عن ذلك ثم أُزِيدَ لها فيه فَرَحَتْ.

الأمرُ الثاني: فرحته بِإِدَاءِ هذه الفريضةِ إن كان صومَ فرضٍ، أو التطوعِ إن كان صومَ نفلٍ.

والفرحُ الثاني: فرحه حين يَلْقَى رَبَّهُ يومَ القيامةِ، ويَجِدُ أَجْرَ الصومِ مَوْفُراً عندَ الله ﷻ.

وهو قوله: «ولخلفُ فَمِ الصائمِ أَطيبُ عندَ الله من رِيحِ المسكِ». الخلفُ هو الرائحةُ التي

(١) رواه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦).

(٢) رواه مسلم (١٠٠٦).

(٣) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١).

(٤) المصدر السابق.

تَنْبَعُثُ مِنَ الْمَعْدَةِ عِنْدَ خُلُوقِهَا، وَهِيَ رَائِحَةٌ مُسْتَكْرَهَةٌ فِي مَشَامِّ النَّاسِ، لَكِنَّا عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ؛ لِأَنَّهَا نَاشِئَةٌ عَنْ طَاعَتِهِ، وَهَذَا يُنْشِئُهُ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ فِي دَمِ الشَّهِيدِ: «أَنَّهُ يَأْتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجْرُحُهُ يَنْتَعِبُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ»^(١).
وَكُلُّ هَذِهِ الْجَمَلِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ تَفِيدُ التَّرْغِيبَ فِي الصُّومِ، وَالْحَثَّ عَلَيْهِ، وَبَيَانُ فَوَائِدِهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.
وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: يَقُولُ اللَّهُ ﷻ. ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ. وَهَذَا كَلَامٌ -مَقُولُ الْقَوْلِ- فَذَلِكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بِحُرُوفٍ تُتْلَى وَتُقْرَأُ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٣- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْمَانًا خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَخْنِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَى رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتَكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ».
سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَالشَّاهِدُ مِنْهُ قَوْلُهُ: «فَنَادَاهُ رَبُّهُ». وَالنَّسْخَةُ الَّتِي عِنْدِي: «فَنَادَى رَبُّهُ» بِدُونِ ضَمِيرٍ. وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٤- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَبِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(٢).
هَذَا هُوَ حَدِيثُ النَّزُولِ، وَهُوَ حَدِيثٌ عَظِيمٌ الْفَائِدَةِ، وَفِيهِ قُوَّةُ الرَّجَاءِ، وَقَدْ شَرَحَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ مُسْتَقَلِّ شَرْحًا وَافِيًا، وَهُوَ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ طَوِيلُ النَّفْسِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ جَدًّا.
﴿قَوْلُهُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»﴾. وَفِي لَفْظٍ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى». وَسَبَقَ بَيَانُ مَعْنَى قَوْلِهِ: تَبَارَكَ: أَنَّهُ كَثِيرُ الْبَرَكَةِ، وَتَجَلَّى الْبَرَكَةُ بِاسْمِهِ.

﴿وَأَمَّا قَوْلُهُ: «تَعَالَى» فَمَعْنَاهُ: تَعَالَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ.

﴿وَقَوْلُهُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا» النَّزُولُ هُنَا مُضَافٌ إِلَى الرَّبِّ ﷻ، وَالْفِعْلُ الْمُضَافُ إِلَى اللَّهِ يُكُونُ فِعْلًا وَاقِعًا مِنَ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ إِثْبَاتُهُ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ، وَالنَّاسُ فِي كَلَامِهِمْ إِذَا قَالُوا: قَالَ

(١) رواه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦).

(٢) رواه مسلم (٧٥٨).

وفعل وذهب وجاء وركب ونزل. فإن هذه الأوصاف تعود إلى الفاعل الذي أُضيفت له، فإذا كان النبي ﷺ - وهو أعلم الخلق بالله، وأنصح الخلق لعباد الله، وأفصح الخلق فيما يقول، وأصدقهم فيما يُخبر - يقول: «يُنزل ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا» فإنه لا يبقى مجالٌ للتحريف، ولا أن يُقال: إن المراد ينزل أمره أو تنزل رحمته أو ينزل ملكٌ من ملائكته، بل نقول: ينزل الله نفسه. أما كيف ينزل؟ فهنا نقف ونقول: الله أعلم، فالتزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فإذا قال قائل: وإذا نزل إلى السماء الدنيا فهل يلزم أن يخلو منه العرش؟ فالجواب أن نقول لهذا السائل: هذا السؤال بدعة، لو كان هذا من الدين؛ أي: لو كان علمنا بكونه يخلو منه العرش أو لا يخلو من الدين لكان ذلك مبيّناً قبل وفاة الرسول ﷺ؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. فقد أكمل الله الدين لنا عقيدة، وقولاً، وعملاً.

ثم نقول: هل أنت أحرص على معرفة صفات الله من الصحابة؟ إن قال: نعم. قلنا: كذبت. وإن قال: لا. قلنا: فلماذا لم يسألوا الرسول ﷺ؟ نقول: هم لم يسألوا؛ لأن عندهم من تعظيم الله، والأدب مع الله، وعدم التقديم بين يدي الله ورسوله، ما ليس عند هذا السائل، هذا هو السبب أن يرد مثل هذا السؤال من الخلف من هذه الأمة دون أن يرد من سلف هذه الأمة؛ لأن في قلوب سلف الأمة من تعظيم الله، والتأدب بين يدي الله ورسوله، ما ليس عند خلف هذه الأمة؛ ولذلك لا يسألون عن هذا الشيء.

فلو سأل سائل وقال: هل نزول الله إلى السماء الدنيا ينافي علوه؟ فالجواب: لا؛ لأن علوه وصف لازم له، والوصف اللازم لا يمكن أن يتحول أو يتغير.

فإذا قال: إذا أثبت علوه فكيف ينزل؟

فالجواب أن نقول: إن نزوله إلى السماء الدنيا أمر لا يُخاط به، فليس معنى نزوله أن تكون السماء الثانية وما فوقها فوقه، بل هذا شيء مستحيل، فليس معنى نزوله أن السماء الدنيا تُقله وما فوقها يُطله، فإن هذا من الظنون الكاذبة، ولا يظن هذا الظن إلا من لم يقدر الله حق قدره، فالله أعظم وأجل من أن تُحيط به السموات، أو يُحيط به شيء من مخلوقاته، ونحن ليس علينا إلا أن نُسلم، حتى وإن حارت عقولنا في كيفية هذا الشيء، فالعقل قد يحار ويقول: كيف يكون هذا؟ فنقول: الحيرة حدثت لعدم قدرتنا على الإحاطة بصفات الله ﷻ، ولكن العقل لا يحيل ذلك بالنسبة لله؛ لأن الله تعالى ليس كمثل شيء في جميع الصفات.

❦ وقوله: «حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ». الليلُ لا شك أنه يُحْتَسَبُ من غروبِ الشمسِ بالنصِّ والإجماع، فإن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّلَاةَ إِلَى الْآتِلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. يَحْصُلُ بغروبِ الشمسِ بالاتفاق^(١)، بل بالنصِّ وهو قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا - يَشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ - وَغَرِبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»^(٢). وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِلَى الْآتِلِ﴾. إذا: ابتداءُ الليلِ يَكُونُ من غروبِ الشمسِ ولا إشكال فيه.

لكن انتهاءُ الليلِ هل يَكُونُ بطلوعِ الفجرِ أو بطلوعِ الشمسِ؟
الجواب: أما فلكيًّا فإن الليلَ يَنْتَهِي بطلوعِ الشمسِ؛ لأن الشمسَ ما دامتِ مواجهةً للأرضِ فهو نهارٌ، فإذا اختفت فهو دليلٌ.
وأما شرعًا فالنهارُ من طلوعِ الفجرِ.

فإن قيل: هل نحمل هذا الحديثَ على المعنى الشرعيِّ أو على المعنى اللُّغويِّ؟
فالجواب: أن هذا يَنْبَغِي على قاعدةٍ معروفةٍ وهي: أن خطابَ الشرعِ يَنْبَغِي على المصطلحِ الشرعيِّ؛ أي: على الحقيقةِ الشرعيةِ، فإن وافقت الحقيقةَ اللُّغويةَ فهذا واضحٌ، وإن خالفت الحقيقةَ اللُّغويةَ وَجَبَ الأخذُ بالحقيقةِ الشرعيةِ، فإذا جاء في لسانِ الشارعِ مثلاً: أقم الصلاةَ. فهل نقولُ: المعنى أقم الدعاء؟

الجواب: لا، مع أن الصلاةَ في اللغةِ الدعاءُ؛ لأن اصطلاحَ كُلِّ متكلمٍ يُحْمَلُ عليه كلامُهُ.
فعلى هذا نقولُ: الأقربُ في هذا الحديثِ أن الليلَ المعتبرَ هو من غروبِ الشمسِ إلى طلوعِ الفجرِ، ويدلُّ لذلك أنه جاء في بعضِ الألفاظِ: «حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ». وعليه يَكُونُ المعنى واضحًا.

ولكن كيف نَعْرِفُ ثُلُثَ اللَّيْلِ؟
نقول: قَسَمَ ما بين غروبِ الشمسِ إلى طلوعِ الفجرِ على ثلاثةٍ، فما حَصَلَ فهو ثُلُثُ اللَّيْلِ، فإذا بقي هذا المقدارُ فهذا وقتُ النزولِ الإلهيِّ.

وهل يَخْتَلِفُ هذا الثلثُ باختلافِ الفصولِ، وباختلافِ الأماكنِ؟
الجواب: نعم، يَخْتَلِفُ باختلافِ الفصولِ، وباختلافِ الأماكنِ، فالليلُ في أيامِ الصيفِ يَكُونُ قصيرًا، والليلُ في أيامِ الشتاءِ يَكُونُ طويلًا، والليلُ في الجانبِ الشماليِّ من الأرضِ، أو الجنوبيِّ الذي حول القطبِ يَكُونُ طويلًا جدًا في أيامِ الشتاءِ، وربما يَصِلُ إلى أسبوعٍ أو أسبوعين، وكلما قربنا من خطِّ الاستواءِ، قرب التساوي بين الليلِ والنهارِ.

من فوائدِ هذا الحديثِ: إثباتُ نزولِ الرَّبِّ ﷻ في هذا الوقتِ من الليلِ، وهو نزولٌ حقٌّ، ولكن

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (١٠/ ٦٢)، و«الإقناع في مسائل الإجمال» لابن قطان (١/ ٢٣١).

(٢) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠).

لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ، كَسَائِرِ الصِّفَاتِ، وَلَا يَحِلُّ لَنَا أَيْضًا أَنْ نَمَثِّلَهُ بِنزولِ الواحدِ منا من السطحِ إلى الأرضِ مثلاً؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. وَيَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [البقرة: ١١].

❖ وَقَوْلُهُ: «فَاسْتَجِيبْ لَهُ» نُصِبَ الْفِعْلُ «فَاسْتَجِيبْ» بِفَاءِ السَّبِيَةِ، فَإِنَّمَا تَنْصِبُ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ إِذَا وَقَعَتْ بَعْدَ سَبْعَةِ أُمُورٍ مَجْمُوعَةٍ فِي بَيْتٍ مَشْهُورٍ وَهُوَ:

مُرْوَاعِظُ وَانْهَ وَسَلِّ وَاعْرِضْ لِحَضْرَتِهِمْ تَمَنَّ وَارْجُ كَذَلِكَ النَّفْثِيِّ قَدْ كُمَلًا^(١)

فَهَذِهِ السَّبْعَةُ مَتَى سَبَقَتْ فَاءُ السَّبِيَةِ نُصِبَ الْفِعْلُ بِأَنَّ مَضْمَرَهُ بَعْدَ فَاءِ السَّبِيَةِ.

❖ فَقَوْلُهُ: «فَاسْتَجِيبْ لَهُ». سَبَقَهَا الْاسْتِفْهَامُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «وَسَلِّ».

❖ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ». هَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ، فَقَوْلُهُ: «مَنْ يَدْعُونِي»؛ أَيُّ يَقُولُ: يَا رَبِّ. فَاسْتَجِيبْ لَهُ، وَقَوْلُهُ: «مَنْ يَسْأَلُنِي»؛ أَيُّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَعْطِنِي. فَيُعْطِيهِ، وَقَوْلُهُ: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي»؛ أَيُّ يَقُولُ: االلَّهُمَّ اغْفِرْ لِي. فَيَغْفِرَ لَهُ سُبْحَانَهُ. وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي». فَأَثَبْتُ الْقَوْلَ ﷺ.

وَفِي الْحَدِيثِ: مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ ﷻ: الزُّوْلُ، وَالْكَرَمُ، وَالسَّمْعُ، وَالْعِلْمُ، وَالْقُدْرَةُ، فَكُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ تُؤْخَذُ مِنَ الْحَدِيثِ، لَكِنْ بَعْضُهَا بِالتَّضَمُّنِ، وَبَعْضُهَا بِالِاتِّزَامِ، وَلِتَنْظُرَ الْأَمْرَ فِي كَيْفِيَةِ اسْتِخْرَاجِ هَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ؛ لِيَتِمَّنَ الطَّالِبُ عَلَى اسْتِبَاطِ الْفَوَائِدِ.

فَأَثَبْتُ الْقَوْلَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: بِالمطابقةِ، وإثباتِ الزُّوْلِ: بِالمطابقةِ أَيْضًا، وَكَذَلِكَ إِثْبَاتُ الْمَغْفِرَةِ: بِالمطابقةِ، وإثباتِ الاستجابةِ: بِالمطابقةِ، وإثباتِ العطاءِ: بِالمطابقةِ، وإثباتِ العلمِ: بِاللِّزُومِ، وإثباتِ السَّمْعِ: بِاللِّزُومِ، وإثباتِ الكرمِ: بِاللِّزُومِ، وإثباتِ القدرةِ: بِاللِّزُومِ. وَرَبِّمَا تَجِدُ صِفَاتٍ أَكْثَرَ بِالتَّأَمُّلِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٥- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزَّيَّادِ، أَنَّ الْأَعْرَجَ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

٧٤٩٦- وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ اللَّهُ: أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْكَ^(٢).

(١) ذَكَرَ هَذَا الْبَيْتَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ مَحْبِي الدِّينَ عَبْدِ الْحَمِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْأَجْرُومِيَةِ (ص ٥٥)، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ جَمْعِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ، وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَثِيمِينَ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْأَجْرُومِيَةِ أَيْضًا (ص ٣١٤).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨٥٥).

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٩٩٣).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «قَالَ اللَّهُ: أَنْفَقُ أَنْفَقُ عَلَيْكَ». وأصله: «قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفَقُ أَنْفَقُ عَلَيْكَ». قوله: «أَنْفَقُ». هذا الأمر يُرادُ به الإنفاقُ الشرعي الذي أمر الله به. وقوله: «أَنْفَقُ عَلَيْكَ». هذا مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾. فإذا أنفق الإنسان ما أمره الله بإنفاقه أخلف الله عليه سواء.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٧- حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ: «هَذِهِ خَدِيجَةُ أَتَتْكَ بِإِنَاءٍ فِيهِ طَعَامٌ، أَوْ إِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ، فَأَقْرِنَهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلَامَ وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ»^(١).
الشاهد من هذا الحديث قوله: «أَقْرِنَهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلَامَ». فإن الله حلَّ جبريل عليه السلام أن يُبلغَ النَّبِيَّ ﷺ هذه الأمانة، وهي قوله: «أَقْرِنَهَا مِنْ رَبِّهَا السَّلَامَ». أي: قل لها إن الله يُسَلِّمُ عَلَيْكَ. وهذه منقبة عظيمة لخديجة رضي الله عنها أن الله تعالى من فوق سبع سمواتٍ أقرأها السَّلَامَ.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٨- حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»^(١).
هذا الحديث سبق الكلام عليه، والشاهد منه قوله: «قَالَ اللَّهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ...» إلى آخره. حيث أثبت فيه القولَ لله. فإن قال قائل: لماذا اعتنى البخاري بهذه المسألة، وساق فيها هذه الأحاديث المتنوعة؟

قلنا: لأن المحنة في الكلام كانت على أشدها في زمنه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فإذا قال قائل: وما مناسبة هذه الأحاديث للترجمة: يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ؟ قلنا: إن الذين يَقُولُونَ: إن كلام الله مخلوق، أو إن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس. هؤلاء قد بدَّلُوا كَلَامَ اللَّهِ: أي: جعلوه غير الواقع، فإن الواقع من كلام الله بحرفٍ وصوتٍ كما في هذه الأحاديث، وهم جعلوه معنى قائماً بالنفس، أو جعلوه شيئاً مخلوقاً، هذا هو وجه إدخال هذه الأحاديث في الترجمة، وإلا فقد يبدلون للإنسان لأول وهلة أن المراد بتبديل كلام الله هو: تحريف الكلم، بأن يؤوَّل مثلاً الاستواء بالاستيلاء، أو اليد بالقدرة وما

(١) رواه مسلم (٢٤٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨٢٤).

أشبهها، لكن المراد أن هؤلاء الذين أنكروا أن الله يتكلم، وقالوا: إن الكلام مخلوق، أو أنه المعنى القائم بالنفس، وما يُسمع فهو عبارة عنه. هؤلاء نعتيرهم مبدلين لكلام الله؛ حيث حملوه على ما لم يكن صواباً.

وقوله: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». هذا كقوله: ﴿فَلَا تَقْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧) ﴿الْحَجَّةُ: ١٧﴾.

فإن قال قائل: إذا كانت العين لم تره، والأذن لم تسمعه، والقلب لم يخطر عليه هذا، فكيف نعرف النعيم؟ قلنا: نعرفه بالقدر المشترك بين ما في الدنيا وما في الآخرة، وإن كان ما في الآخرة يختلف اختلافاً عظيماً كما في الدنيا، ولهذا قال ابن عباس: ليس في الجنة ما في الدنيا إلا الأساء فقط. أما المسميات فإنها تختلف اختلافاً كبيراً^(١).



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٤٩٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ الْأَحْوَلُ، أَنَّ طَاوُسًا أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(٢).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «وقولك الحق». فقول الله هو الحق، فهو الحق فيما يُخبر به، فما حكم به فهو عدل أو فضل، وما أخبر به فهو صدق كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام: ١١٠).

وقوله: «وبك خاسمت». الباء فيه للاستعانة؛ أي: أَسْتَعِينُ بِكَ فِي الْمَخَاصِمِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٠- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ النُّمَيْرِيُّ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ وَعَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ جِئْنَا قَالَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّاهَا اللَّهُ بِمَا قَالُوا، وَكُلُّ حَدِيثِي طَائِفَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ١٧٢)، وابن أبي حاتم (١/ ٦٦)، (٢٦٠)، وانظر: البيهقي في «البعث» (١/ ٩٦).

(٢) رواه مسلم (٧٦٩).

الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِي بَرَاءَتِي وَحَيَاتِي، وَلَسَانِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرِ يُنْزِلُ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُرْتَضَى اللَّهُ بِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾. العَشْرُ الْآيَاتِ^(١).

الشاهد من هذا قولها رحمها الله: «أَحَقَرُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرِ يُنْزِلُ». فاثبت كلام الله رحمهم الله. وفي هذا: دليل على تواضع عائشة رحمها الله، وهكذا ينبغي للإنسان أن يخقر نفسه، لا أن يترلها بمنزلة عالية فيعتر ويعجب ويتعظم، ولهذا يقال: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

مع أن عائشة رحمها الله قدرها عظيم، ولا سيما أنها فراش الرسول ﷺ، والقدح فيها بهذا الأمر قدح في رسول الله ﷺ؛ ولهذا كان إشاعة هذا الإفك من المنافقين ليس من أجل عائشة بنت أبي بكر، فهي امرأة من النساء يجوز عليها ما يجوز على النساء، لكن من أجل أنها زوج النبي ﷺ؛ أي: ليتوصلوا بالقدح فيها إلى القدح في رسول الله ﷺ، ولهذا عظم الله هذا الأمر فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ مَأْفَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(٢) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ^(٣) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^(٤) وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(٥) ﴿التَّحْقِيقُ: ١٥-١٨﴾.

فالشأن كل الشأن في هذه القصة هو تطهير فراش الرسول ﷺ مما يروم هؤلاء المنافقون، وبراءة هذه المرأة الطيبة الطاهرة رحمها الله.

وليُعلم أن من رمى عائشة رحمها الله بما برأها الله منه فهو كافر بالإجماع؛ لأنه مكذب للقرآن، ومن رمى واحدة من زوجات الرسول ﷺ بالفاحشة فهو كافر أيضًا؛ لأن هذا أعظم قدح رسول الله ﷺ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠١- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاتَّكَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاتَّكَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِينَ ضِعْفًا»^(١).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً». إلى آخره. وفي هذا الحديث: بيان فضل الله رحمهم الله على عباده؛ حيث إن السيئة لا تكتب حتى يعملها، فإن هم بها فتركها الله كُتِبَتْ حَسَنَةً؛ لأنه تركها لله، والحسنة إذا هم بها ولم يعملها كُتِبَتْ حَسَنَةً؛ لأنه هم بها، فتكتب حَسَنَةً على

(١) رواه مسلم (٢٤٤٥).

(٢) رواه مسلم (١٢٨)، (١٢٩).

هذا الهم، فإن عملها كُتِبَتْ عشر حسناتٍ إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة.

واعلم أن من هم بالسيئة فلم يعملها فلا يخلو من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يهيم بها ثم يدعها لله كأن يخوف بالله فيتركها، كما فعل الرجل الذي هم أن يقع بابتنة عمه - وهو أحد الثلاثة الذين طبق عليهم الغار - فلما جلس منها ما يجلس الرجل من امرأته قالت: يا هذا اتق الله ولا تفص الخاتم إلا بحقه. فقام عنها وهي أحب الناس إليه^(١). فهذا قد ترك هذا الفعل لله، فيكتب له حسنة، وهذه الحسنة تتضاعف بقدر ما يحمله عليه، فإذا كان تركها شديداً عليه؛ كان أجرها أكثر.

الحال الثانية: أن يهيم بالسيئة ثم يدعها لا لله ولا للخوف من أحد، ولكنه زالت همته، فهذا ليس عليه ولا له.

الحال الثالثة: أن يهيم بالسيئة ولكنه يدعها عجزاً عنها، ويعرف أنه لا يمكنه ذلك، كرجل هم أن يسرق ولكن عرف أن رجال الأمن لن يمكنوه من ذلك، فهذا تكتب عليه سيئة.

أما إذا فعل أسباب الوصول إلى السيئة ولكنه عجز، فهذا يكتب له عقوبة السيئة كاملة، ودليل هذا قول النبي ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه»^(٢). فيكتب عليه الوزر كاملاً.

أما الذي نوى ولكن ترك عجزاً ولم يعمل فإن هذا يكتب له وزر، لكن ليس كوزر من فعل، بل دون ذلك.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٢ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي مُزَرَّدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّجُمُ فَقَالَ: مَهْ. قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ. قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ. ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ»^(١).

الشاهد من هذا قوله: «فقال: مه». والقاتل هو الله ﷻ، ثم قال: «ألا ترضين...» إلى آخره. والقاتل أيضاً هو الله، فذلك ذلك أن كلام الله مسموع، وأنه بحرف، وهذا هو الذي أراد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ توكيده.



(١) رواه البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) رواه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٤).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ صَالِحٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: مُطِرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِي»^(١).

هذا الحديث مختصر من حديث مطول وهو أن الرسول ﷺ أصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم». قَالَ: قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ.

فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ. فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنُورٍ كَذَا وَكَذَا. فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ. والشاهد من هذا الحديث قوله: «قَالَ اللَّهُ». فَأَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلًا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٤- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ»^(٢).

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا لِقَاءَكَ.

الشاهد في هذا الحديث أيضًا هو إضافة القول إلى الله ﷻ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَلْ كُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ يُمَكِّنُ أَنْ نَسْتَدِلَّ بِهَا لِهَذَا؟

فَالْجَوَابُ: نَعَمْ، كُلُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ يُمَكِّنُ أَنْ نَسْتَدِلَّ بِهَا لِهَذَا، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مُخْلَقٌ. فَقَدْ بَدَّلَ كَلَامَ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٥- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»^(٣).

٧٥٠٦- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ -لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قط-: فَإِذَا مَاتَ فَحَرَّقُوهُ وَأَذَرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟

(١) رواه مسلم (١٧).

(٢) رواه مسلم (٢٦٨٥).

(٣) رواه مسلم (٢٦٧٥).

قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ فَغَفَرَ لَهُ»^(١).

الشاهد من هذا الحديث الأخير قوله: «ثم قال: لم فعلت». وهذا الحديث فيه إشكالٌ وهو: أن ظاهره أن هذا القائل ظنَّ أن الله لا يَقْدِرُ عليه، والشك في قدرة الله كفرٌ، فكيف غفر الله له؟

نقول: إن هذا كان جاهلاً، فظنَّ أنه إذا فعل ذلك فإن الله تعالى لا يَنْعُثُهُ، فلم يلحقه معرَّةٌ من ذلك، لكن ما في قلبه من خشية الله وخوفه منه جعل الله تعالى يَغْفِرُ له.

فإن قيل: هل يُعَذَّرُ بالجهل في أمور توحيد العبادة؟

فالجواب: نعم وفي كل شيء قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ [الأنعام: ١٥]. لكن قد يُؤَاخِذُ الإنسان بتفريطه إذا لم يَبْحَثْ وَيَتَعَلَّمْ.

فإن قيل: هل يُعَذَّرُ بالجهل في المعلوم بالدين بالضرورة؟

قلنا: ما هو المعلوم من الدين بالضرورة؟ المعلوم من الدين بالضرورة لا يحصل إلا إذا كان هذا الرجل باقي بين أظهر المسلمين، وحينئذ لا يُمكنُ أن يكونَ جاهلاً، لكن إذا كان يعيش في مجاهل الأرض، ولا يعرف عن الأديان شيئاً، ولم يتسبب إلى دين معين من أديان الكفر، فهذا يُعَذَّرُ، ولهذا قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [الشورى: ١٦٥].

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٧- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَمْرٍةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنْ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا -وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْبًا- فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ -وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ- فَاغْفِرْ لِي. فَقَالَ رَبُّهُ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا -أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا- فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ -أَوْ أَصَبْتُ- آخَرَ فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا -وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا- قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ -أَوْ قَالَ: أَذْنَبْتُ- آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي. فَقَالَ: أَعْلِمَ عَبْدِي أَنْ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي. ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»^(١).

قوله سبحانه: «فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»؛ أي: فليعمل ما شاء من الذنب والتوبة منه، فكلما أذنب الإنسان وتاب فإن الله يتوب عليه، وإذا عاد إلى الذنب فإن التوبة الأولى لا تنحرم ولا تنهدم، لكن

(١) رواه مسلم (٢٧٥٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٥٨).

يَجِبُ أَنْ يُجَدِّدَ لِلذَّنْبِ الثَّانِي تَوْبَةً، فَإِذَا جَدَّدَ التَّوْبَةَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.
فَقَوْلُهُ: «فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ». لَيْسَ مَعْنَاهُ فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ مِنَ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، بَلْ فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ
مِنْ هَذَا الْعَمَلِ الَّذِي كَانَ يُنَاجِي اللَّهَ تَعَالَى بِهِ.
وَالشَّاهِدُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي». وَفِي نَسَخَةٍ: «فَقَالَ: عَلِمَ عَبْدِي».



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٠٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ
عَبْدِ الْغَافِرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالَ كَلِمَةً
يَعْنِي: أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا لَا وَوَلَدًا فَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاةُ قَالَ لِنَبِيِّهِ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ:
فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ - أَوْ لَمْ يَبْتَئِرْ - عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنْ يَقْدِرَ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبُهُ، فَانْظُرُوا إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى
إِذَا صِرْتُ فُحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ فَاسْحَكُونِي - فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِيفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا. فَقَالَ نَبِيُّ
اللَّهِ ﷺ: فَأَخَذَ مَوَاتِيْقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا ثُمَّ أَذْرُوهُ فِي يَوْمٍ عَاصِيفٍ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: كُنْ. فَإِذَا هُوَ
رَجُلٌ قَائِمٌ. قَالَ اللَّهُ: أَيُّ عَبْدِي مَا حَمَلْتُكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتُ. قَالَ: تَحَافَتُكَ أَوْ فَرَقَ مِنْكَ. قَالَ: فَمَا
تَلَاَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى فَمَا تَلَاَفَاهُ غَيْرَهَا». فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عُمَرَ فَقَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنْ
سَلْمَانَ غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ فِيهِ أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ أَوْ كَمَا حَدَّثَ^(١).
حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، وَقَالَ: لَمْ يَبْتَئِرْ. وَقَالَ خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ وَقَالَ: لَمْ يَبْتَئِرْ. فَسَرَّهُ
قَتَادَةُ: لَمْ يَذْخِرْ.

هَذَا الْحَدِيثُ كَالَّذِي سَبَقَ، لَكِنَّهُ يَخْتَلِفُ عَنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ، وَالْمَقْصُودُ وَاحِدٌ وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ الْقَوْلِ ﷻ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٦- بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ.
٧٥٠٩- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي رَاشِدٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ، عَنْ حُمَيْدٍ
قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شَفَعْتُ فَقُلْتُ: يَا رَبِّ
أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ خَرَدَلَةٌ. فَيَدْخُلُونَ ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى شَيْءٍ». فَقَالَ أَنَسٌ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).
هَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ كَلَامِ اللَّهِ، وَلَكِنْ سَبَقَ لَنَا فِي حَدِيثٍ سَابِقٍ لِلشَّفَاعَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَكَلَّمُ
وَيَقُولُ: «أَخْرِجُوا مَنْ فِي قَلْبِهِ كَذَا وَكَذَا».

(١) رواه مسلم (٢٧٥٧).

(٢) رواه مسلم (١٩٣).



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٠- حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا مَعْبُدُ بْنُ هِلَالٍ الْعَنْزِيُّ قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَذَهَبْنَا مَعَنَا يَثَابُ بْنُ أَبِي النَّبَاتِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فَرَاشِهِ فَقُلْنَا لِيَاثِبٍ: لَا تَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ. فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ. فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ. فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَاسْتَأْذِنَ عَلَيَّ رَبِّي فَيُؤْذِنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مُحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفِّعَ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمْنِي. فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ. فَانْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفِّعَ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمْنِي. فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ. فَانْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفِّعَ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمْنِي. فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَانْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ أَنَسِ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَنِ وَهُوَ مُتَوَرِّدٌ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ. فَاتَيْنَاهُ فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَنَا فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ أَخِيكَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَةِ. فَقَالَ: هَيْه. فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ فَأَنْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ: هَيْه. فَقُلْنَا: لَمْ يَزِدْ لَنَا عَلَى هَذَا. فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي وَهُوَ جَمِيعٌ مُنْذُ عَشْرِينَ سَنَةً فَلَا أَذْرِي أَنَسِي أَمْ كَرِهَ أَنْ تَكْتُبُوا. قُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيدٍ فَحَدَّثْنَا. فَضَحِكَ وَقَالَ: خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا مَا ذَكَرْتُهُ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ، حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ قَالَ: «ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمِعْ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفِّعَ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَتَذِنُ لِي فَيَمْنُنُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبَرِيَّائِي وَعَظَمَتِي لِأَخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١).

سَيَاقُ حَدِيثِ أَنَسٍ جَدِيدٌ، وَفِيهِ أَيْضًا فَائِدَةٌ وَهِيَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَعْدَارَ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي اعْتَذَرُوا بِهَا، فَلَمْ يَذْكُرْ عَذْرَ آدَمَ، وَلَا عَذْرَ نُوحٍ، وَلَا عَذْرَ إِبْرَاهِيمَ، وَلَا عَذْرَ مُوسَى؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ يَقْتَضِي ذَلِكَ، فَإِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ فِي آخِرِ عَمَرِهِ حَصَلَ مِنْهُمْ بَدْعٌ مُنْكَرَةٌ، مِنْهَا: بَدْعُ الْخَوَارِجِ، وَبَدْعُ الْمُعْتَزَلَةِ، وَلِهَذَا طَوَى ذَكَرَ الشَّفَاعَةِ الْعَظْمَى، مَعَ أَنَّ الْمَرَاجِعَةَ لِلْأَنْبِيَاءِ إِنَّمَا هِيَ مِنْ أَجْلِ الشَّفَاعَةِ الْعَظْمَى وَهِيَ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرْحِمَهُمْ مِنَ الْمَوْقِفِ.

ثُمَّ أَتَى إِلَى ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا؛ لِأَنَّ الْمُعْتَزَلَةَ يُنْكِرُونَهَا، وَالْخَوَارِجُ يُنْكِرُونَهَا كَذَلِكَ، فَأَرَادَ عليه السلام هُوَ وَغَيْرُهُ مِنَ الَّذِينَ حَدَّثُوا بِأَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا أَرَادُوا أَنْ يَقْرَرُوا أَنَّ عَصَاةَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ دَخَلُوا النَّارَ فَإِنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْهَا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله:

٧٥١١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَبْوًا، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: رَبِّ الْجَنَّةِ مَلَأَى. فَيَقُولُ لَهُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُعِيدُ عَلَيْهِ: الْجَنَّةُ مَلَأَى. فَيَقُولُ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا عَشَرَ مَرَّاتٍ»^(١). الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ». وَهَذَا الْكَلَامُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله:

٧٥١٢- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُحَانِ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

قَالَ الْأَعْمَشُ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مَرْة، عَنْ خَيْثَمَةَ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ: «وَلَوْ بِكَلِمَةِ طَيِّبَةٍ»^(٢). الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُحَانِ».

(١) رواه مسلم (١٨٦).

(٢) رواه مسلم (١٠١٦). وقوله: «قال الأعمش...». قال الحافظ في «الفتح» (٤٧٧/١٣): هو موصول بالسند الذي قبله.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٣- حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ إِنَّهُ إِنْ كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالنَّارَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُهُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الْمَلِكُ. فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجَبًا وَتَصْدِيقًا لِقَوْلِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ- إِلَى قَوْلِهِ- يُتْرَكُونَ﴾»^(١).

٧٥١٤- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُخْرِزٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ نَالَ: «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَفَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: أَعْمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقْرُرُهُ ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»^(٢).

وَقَالَ آدَمُ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «يَضَعُ كَفَّهُ عَلَيْهِ»- أَيْ: يَسْتَرُهُ- فَيَقُولُ: أَعْمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ».

وَكَمَا رَأَيْتُمْ فَإِنَّ الْبُخَارِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحَادِيثِ الدَّالَةِ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ ﷻ وَقَوْلِهِ؛ لِأَن فِي زَمَنِهِ قَدْ اشْتَدَّتْ مُحَنَةُ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَكَانَ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يُكْثِرَ الْأَحَادِيثَ فِي ذَلِكَ؛ لِيَتَقَرَّرَ الْقَوْلُ الْحَقُّ فِي هَذَا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٣).

٧٥١٥- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا عُقَيْلٌ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أ- حَتَّى آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجْتَ ذُرِّيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَكَلَامِهِ، ثُمَّ تَلَوْنِي عَلَى أَمْرِ قَدْ قَدَّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ. فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»^(٤).

قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾»^(٥). هَذِهِ الْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَتَكَلَّمُ كَلَامًا حَقِيقَةً، وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ أَنَّ الْفِعْلَ أَكَّدَ بِالْمَصْدَرِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَمِنْ فَوَائِدِ التَّوَكِيدِ نَفْيُ احْتِمَالِ الْمَجَازِ. إِذَا قُلْتَ مَثَلًا: ضَرَبْتُ الرَّجُلَ ضَرْبًا. فَإِنْ (ضَرْبًا). تَوَكَّدَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِكَ: ضَرَبْتُ. الضَّرْبَ الْحَقِيقِيَّ.

(١) رواه مسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٦٨).

(٣) رواه مسلم (٢٦٥٢).

وكذلك: أَكْرَمْتُ الرَّجُلَ إِكْرَامًا. فَإِنْ «إِكْرَامًا» تَدُلُّ كَذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِكْرَامَ حَقِيقِيٌّ.
 كذلك قوله: (تَكْلِيمًا) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ كَلَّمَ مُوسَى كَلَامًا حَقِيقِيًّا. فَالتَّوَكُّيدُ يُنْفِي احْتِمَالَ الْمَجَازِ.
 وَأَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ بَنَوْا عَقِيدَتَهُمْ عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ يَقُولُونَ: نُوْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَكَلَّمُ
 كَلَامًا حَقِيقِيًّا يَسْمَعُهُ مِنْ وَجْهِ الْخُطَابِ إِلَيْهِ.
 لَكِنْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالْإِنْكَارِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتَكَلَّمُ كَلَامًا حَقِيقِيًّا، وَيَقُولُونَ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾؛ أَي: جَرَّحَهُ بِمَخَالِبِ الْحِكْمَةِ. قَالُوا: لِأَنَّ الْكَلِمَ بِمَعْنَى الْجَرْحِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلَّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَاءَ وَكَلَّمَهُ يَثُغُبُ دَمًا»^(١)؛ أَي: جَرَّحَهُ.
 فَيَقَالُ: سَبَّحَانَ اللَّهِ هَذَا التَّفْسِيرُ الَّذِي ذَكَرْتُمْ بَعِيدٌ عَنِ الْمَعْنَى، بَلْ مَمْتَنَعٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى».
 ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» فَحَرَفَ اللَّفْظَ؛ لِيَكُونَ الْكَلَامُ
 مِنْ مُوسَى لِلَّهِ.

فَقِيلَ لَهُ: مَاذَا نَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الْأَنْعَامُ: ١١٣] - وَهَذِهِ لَا
 يُمَكِّنُ فِيهَا التَّحْرِيفُ اللَّفْظِيُّ - فَبُهِتَ.

ثُمَّ سَأَلَ الْمُؤَلِّفُ ﷻ حَدِيثَ احْتِجَاجِ مُوسَى عَلَى آدَمَ، وَفِيهِ: «قَالَ مُوسَى لِآدَمَ: أَخْرَجْتَ
 ذَرِيَّتَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟» لِأَنَّ اللَّهَ نَهَاهُ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ ﷻ مِنَ الْجَنَّةِ، فَلَا مَهَ
 مُوسَى لِتَسْبِيهِ فِي إِخْرَاجِ الذَّرِيَّةِ مِنَ الْجَنَّةِ.

وَلَكِنَّ آدَمَ قَالَ لَهُ: «أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَكَلَامِهِ - وَهَذَا هُوَ الشَّاهِدُ - ثُمَّ
 تَلَوْنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ. فَحَجَّ أَدَمُ مُوسَى»؛ يَعْنِي: غَلَبَهُ فِي الْحُجَّةِ.
 وَهَذَا الْحَدِيثُ اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ:

فَالْمُعْتَزِلَةُ قَالُوا: هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ خَبَرُ آحَادٍ، وَخَبَرُ الْآحَادِ لَا يُقْبَلُ فِي الْعُقَائِدِ، وَأَفْعَالُ
 الْعِبَادِ لَيْسَتْ مَكْتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ، بَلِ الْعَبْدُ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ.

وَأَمَّا الْجَبَرِيَّةُ فَتَلَقَّوْا هَذَا الْحَدِيثَ بِالْقَبُولِ، وَقَالُوا: إِنَّ آدَمَ احْتَجَّ بِالْقَدْرِ وَحَكَمَ النَّبِيُّ ﷺ بِصَحَّةِ
 احْتِجَاجِهِ عَلَى مُوسَى.

فَتَنَازَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ طَائِفَتَانِ، فَالْجَبَرِيَّةُ قَبِلَتْهُ، وَالْمُعْتَزِلَةُ - الَّذِينَ هُمُ الْقَدَرِيَّةُ - رَفَضَتْهُ وَقَالُوا:
 هَذَا لَا يَصِحُّ.

وَأَمَّا أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَقَبِلُوا الْحَدِيثَ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: لَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ لِمَذْهَبِ الْجَبَرِيَّةِ؛ لِأَنَّ
 آدَمَ لَمْ يَحْتَجَّ بِالْقَدْرِ عَلَى فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ، وَمُوسَى أَيْضًا لَمْ يَحْتَجَّ عَلَى آدَمَ بِفِعْلِ الْمَعْصِيَةِ، إِنَّمَا احْتَجَّ عَلَى
 إِخْرَاجِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، فَاحْتَجَّ آدَمُ بِالْقَدْرِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ الَّتِي حَدَّثَتْ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ وَهِيَ إِخْرَاجُهُ

من الجنة؛ لأن آدم لو عَلِمَ أَنَّهُ سَيَخْرُجُ من الجنة ما أَكَلَ بالتأكيد، بدليل أن إبليس وسوس له وقال: ﴿يَتَنَادَمُ هَلْ أَذِلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ۖ﴾ [طه: ١٢٠]. فيكون احتجاج آدم بالقدر على المصائب لا على المآل.

ونظير ذلك: أن يُسافر شخصٌ فيصَابَ بحادثة، فيلومه لائمٌ ويقول: لماذا سافرت؟ فيقول: أنا ما سافرت لأجل أن يُصيبني هذا الحادث، لكن هذا قضاء الله وقدره. فآدم لم يأكل من الشجرة من أجل أن يخرج من الجنة، بل صارت النتيجة التي لا يعلم بها من قبل أنه خرج من الجنة.

فصار الاحتجاج هنا على المصيبة لا على الفعل؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء - يعني: بعد الحرص - فلا تقل: لو أني فعلت كذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»^(١)؛ أي: حينئذ لك أن تحتج بالقدر؛ لأنك فعلت ما ينبغي أن تفعل. وهذا الوجه كما يتضح ظاهر في القوة، لاسيما وأن موسى ﷺ أعلم وأبر من أن يصم أباه آدم بعيد تاب منه، وهذه الله واجتبه بعده.

وقد خرج ابن القيم رحمه الله هذا الحديث تخريجاً آخر فقال: إن آدم إنما احتج بالقدر على معصيته بعد أن تاب إلى الله وندم، وليس كاحتجاج المشركين على شركهم الذي أبطله الله؛ لأن احتجاج المشركين على شركهم يريدون منه دفع اللوم عنهم واستمرارهم على شركهم، أما إذا احتج الإنسان بالقدر على معصيته بعد أن تاب ورجع إلى الله، فإن هذا لا بأس به^(٢).

مثاله: رجل فعل معصية ثم تاب وصلحت حاله، فلامه بعض الناس وقال له: كيف تفعل كذا وكذا؟ فقال: هذا شيء أفعلت مني بقضاء الله وقدره، وأنا أستغفر الله وأتوب.

فهذا الاحتجاج على ما ذهب إليه ابن القيم هو احتجاج صحيح، واستدل له بحديث علي رضي الله عنه الذي مر علينا حين جاء النبي ﷺ إلى بيت علي، فوجده نائماً هو وفاطمة، فقال: ألا تصليان؟ فقال: إن أنفسنا بيد الله ﷻ.

ولكن ما ذهب إليه شيخ الإسلام رحمه الله بالنسبة لتخريج الحديث أولى. أما بالنسبة لاحتجاج الإنسان بالقدر بعد فعل المعصية والتوبة منها، فهذا لا بأس به، فلا بأس أن تقول: هذا الشيء قدره الله علي، وغلبتني نفسي والهوى والشيطان، ولكن أستغفر الله وأتوب إليه. فهذا لا بأس به، وكثيراً ما يقع هذا الشيء، والإنسان معذور فيه؛ لأنه لم يحتج بالقدر ليبقى على معصيته، أو ليدفع اللوم عن نفسه.

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) انظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» لابن القيم رحمه الله (١/١٨).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٦- حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَرْجِيْنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا. فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ الْمَلَائِكَةُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يَرْجِيْنَا. فَيَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ»^(١).

هذا طرف من الحديث الطويل الذي فيه ذكرُ مرور المؤمنين على موسى، وذكرُ أن الله كلمه، وإلا فهذه الطرق التي ذكرها الآن ليس فيها شاهد للباب.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٧- حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ: أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَالَ أَوْلَهُمْ؟ أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ. فَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ. فَكَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى أَتَوْهُ لَيْلَةَ أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ وَتَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ. فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حَتَّى اخْتَمَلُوهُ فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بَيْتِ زَمْزَمَ، فَتَوَلَّاهُ مِنْهُمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ، ثُمَّ أَتَى بِطَبَسٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَخْشُوعًا إِبْرَاهِيمًا وَحِكْمَةً، فَحَسَا بِهِ صَدْرُهُ وَلَغَادِيْدُهُ -بَعْنِي عُرُوقَ حَلِيقِهِ- ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَضَرَبَ أَبَا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَتَادَاهُ أَهْلُ السَّمَاءِ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مَعِيَ مُحَمَّدٌ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: فَمَرْحَبًا بِهِ، وَأَهْلًا. فَيَسْتَبْشِرُ بِهِ أَهْلُ السَّمَاءِ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ السَّمَاءِ بِمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُعْلِمَهُمْ، فَوَجَدَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا آدَمَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ آدَمُ وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِابْنِي نَعَمْ الْإِبْنُ أَنْتَ، فَإِذَا هُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِنَهْرَيْنِ يَطْرُدَانِ، فَقَالَ: مَا هَذَانِ النَّهْرَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا النَّيْلُ وَالْفُرَاتُ غَضْرُوهُمَا. ثُمَّ مَضَى بِهِ فِي السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ آخَرَ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ فَضَرَبَ يَدَهُ فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ أَذْفَرُ، قَالَ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكُوْنُزُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ. ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ لَهُ الْأُولَى: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالُوا: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: مَرْحَبًا بِهِ وَأَهْلًا. ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، وَقَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ، ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى الرَّابِعَةِ،

فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَقَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَقَالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ كُلِّ سَمَاءٍ فِيهَا أَنْبِيَاءُ قَدْ سَاءَ لَهُمْ فَأَوْعَيْتْ مِنْهُمْ إِدْرِيسَ فِي الثَّانِيَةِ، وَهَارُونَ فِي الرَّابِعَةِ، وَآخِرَ فِي الْخَامِسَةِ لَمْ أَحْفَظْ اسْمَهُ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ، فَقَالَ مُوسَى: رَبِّ لَمْ أَظُنْ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ، ثُمَّ عَلَا بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بَمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ حَتَّى جَاءَ سِدْرَةُ الْمُتَهَيَّ وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ الْعِزَّةِ فَتَدَلَّى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى اللَّهُ فِيهَا أَوْحَى إِلَيْهِ: خَمْسِينَ صَلَاةً عَلَى أَمْتِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. ثُمَّ هَبَطَ حَتَّى بَلَغَ مُوسَى، فَاحْتَبَسَهُ مُوسَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَذَا عَهْدُ إِلَيْكَ رَبِّكَ؟ قَالَ: عَهْدُ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. قَالَ: إِنْ أَمْتِكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبِّكَ وَعَنْهُمْ. فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ. فَعَلَا بِهِ إِلَى الْجَبَّارِ فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَهُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا فَإِنْ أَمْتِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا. فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى فَاحْتَبَسَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُ مُوسَى إِلَى رَبِّهِ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ احْتَبَسَهُ مُوسَى عِنْدَ الْخَمْسِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ لَقَدْ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمِي عَلَى أَذْنِي مِنْ هَذَا فَضَعُفُوا فَتَرَكُوهُ، فَأَمْتِكَ أَضَعُفُ أَجْسَادًا وَقُلُوبًا وَأَبْدَانًا وَأَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا فَارْجِعْ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ رَبِّكَ. كُلُّ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جِبْرِيلَ لِيُشِيرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْرَهُ ذَلِكَ جِبْرِيلُ فَرَفَعَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنْ أَمْتِي ضَعُفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا. فَقَالَ الْجَبَّارُ: يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: لَيْسَكَ وَسَعْدُكَ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ، كَمَا فَرَضْتَهُ عَلَيْكَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ، قَالَ: فَكُلُّ حَسَنَةٍ بَعَشْرٍ أَمْثَالِهَا فِيهِ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَهِيَ خَمْسٌ عَلَيْكَ. فَارْجِعْ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: خَفِّفْ عَنَّا أَعْطَانَا بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا. قَالَ مُوسَى: قَدْ وَاللَّهِ رَاوَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَذْنِي مِنْ ذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَلْيُخَفِّفْ عَنْكَ أَيْضًا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا مُوسَى قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي بِمَا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ. قَالَ: فَاهْبِطْ بِاسْمِ اللَّهِ. قَالَ: وَاسْتَيْقِظَ وَهُوَ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ ^(١).

❦ قوله: «أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة» قد اشتهر عند الناس أن الرسول ﷺ أُسْرِيَ به من بيت أم هانئ، والصواب أنه أُسْرِيَ به من المسجد الحرام نفسه، فإنه كان نائمًا في الحجر، وأُسْرِيَ به من هناك.

وقد جمع بينهما بعض العلماء فقال: إنه كان نائمًا في بيت أم هانئ فأوقظ ثم قام فنام في المسجد، فكان ابتداء الإسراء من بيت أم هانئ ولكن حقيقة كانت من المسجد الحرام.

❦ وفي قوله: «مسجد الكعبة»: دليل أن مسجد الكعبة هو نفس المسجد الذي هو موضع الصلاة، وعلى هذا فيكون التفضيل الوارد في أن الصلاة في مسجد النبي ﷺ خير من ألف صلاة فيما

سواه إلا المسجد الحرام كما في الصحيحين^(١)، وفي لفظ مسلم من حديث ميمونة قال: «إلا مسجد الكعبة»^(٢)، فدلَّ على أن المراد بالمسجد الحرام هو موضع الصلاة في المكان الذي فيه الكعبة، وليس المراد جميع الحرم، حتَّى نقول: إن التضعيف يكون في جميع مكة، بل نقول: إن التضعيف يكون في المسجد الذي فيه الكعبة فقط، فلا تُشدُّ الرحال مثلاً إلى مسجد في العزيزية، أو مسجد في الأبطح، أو ما أشبه ذلك.

والشاهد من هذا الحديث: هذا الكلام من الله ﷻ في ليلة المعراج.

والمعراج والإسراء ثابتان بالقرآن الكريم.

قال الله تعالى في الإسراء: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنْكَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [البقرة: ١٨٠].

وقال في المعراج: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوْتَىٰ ۝٣﴾ إلى أن قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝٤﴾ [البقرة: ١٨٠]. وهما على القول الراجح كانا في ليلة واحدة.

والعروج كان بجسده وروحِه، وليس بروحه فقط، وهو حقيقة، وصاحبه جبريل وكان يضعده به إلى السماء الدنيا، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، حتَّى وصل به إلى السماء السابعة. وفي هذا الحديث: أن موسى في السابعة، وإبراهيم في السادسة وهو غلط، فإن إبراهيم في السابعة، وموسى في السادسة، وهارون في الخامسة، وإدريس في الرابعة، وهنا ذكر أن إدريس في الثانية وهو غلط أيضاً.

وهذا السياق الذي ذكره البخاري رحمه الله هنا فيه شيء يحتاج إلى تحليل ونظر.

والإسراء والمعراج لا يُعلم متى كان، وأما ما اشتهر عند الناس أنه ليلة السابع والعشرين فلا أصل له، وأقرب ما قيل في ذلك: أنه كان في ربيع الأول قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، وقد صلى النبي ﷺ هذه الثلاث سنوات الرباعية ركعتين، ولما هاجر إلى المدينة زيد في صلاة الحضر، وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى.

والمعراج من خصائص النبي ﷺ، فلم يُعرج بأحد من الأنبياء قبله.

وقوله: «ودنا الجبار فتلقى»، الصحيح أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝٨﴾ [البقرة: ١٨٠]. أنه جبريل؛ لأن الله قال:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ۝١٠ مَا أَوْحَىٰ ۝١١﴾ [البقرة: ١٠-١١]. أي: أوحى جبريل لعبد الله ما أوحى، إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٢ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَنِ ۝١٣﴾ [البقرة: ١١٣-١١٤]. وهذا جبريل وقد رآه الرسول ﷺ مرتين: مرة في الأرض في غار حراء، ومرة في السماء عند سدره المنتهى، وهذا هو الصواب في هذا اللفظ من الحديث.

(١) رواه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

(٢) رواه مسلم (١٣٩٦).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومجموع ما خالف في رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تَزِيدُ على ذلك:
الأوَّل: أمكنة الأنبياء عليهم الصلوات والسلام في السموات، وقد أفصح بأنه لم يَضْبِط منازلهم،
وقد وافقه الزهري في بعض ما ذكر كما سبق في أوَّل كتاب الصلاة.
[الذي أخطأ فيه هو ذكر إبراهيم وموسى، فإنه زعم أن موسى في السابعة، وإبراهيم في السادسة، والأمْر بالعكس].

الثاني: كون المعراج قبل البعثة. وقد سبق الجواب عن ذلك، وأجاب بعضهم عن قوله: قبل أن يُوحى بأن القبلية هنا في أمر مخصوص وليست مطلقة، واحتمل أن يكون المعنى قبل أن يُوحى إليه في شأن الإسراء والمعراج مثلاً؛ أي: أن ذلك قد وقع بغتة قبل أن يُنذَر به، ويؤيِّدُه قوله في حديث الزهري: «فَرَجَ سَقْفُ بَيْتِي».

[هذه تسقط ما دام فيه احتمال أن المراد بقوله: قبل أن يُوحى إليه بشأن المعراج، وليس المراد قبل أن يُوحى إليه بالرسالة، فإذا وجد احتمال بطل الاعتراض].
الثالث: كونه مناماً وقد سبق الجواب عنه أيضاً بما فيه غنية.

الرابع: مخالفته في محل سدرة المنتهى، وأنها فوق السماء السابعة لما لا يَعْلَمُه إلا الله، والمشهور أنها في السابعة أو السادسة كما تقدَّم.
[والصحيح: أنها في السابعة؛ لأن اسمها يدلُّ على ذلك: سدرَةُ المنتهى. ولا انتهاء قبل السماء السادسة]^(١).

والخامس: مخالفته في النهرين وهما النيل والفراة وأن عنصرهما في السماء الدنيا، والمشهور في غير روايته أنها في السماء السابعة، وأنها من تحت سدرَةِ المنتهى.

[وهذا يُمكنُ الإجابة عنه بأنها يَمُرُّان في السماء الدنيا، لكن نظراً لكثرة ما يُعْتَرَض على سياق شريك، لا يَنْبَغِي أن تُؤوَّل هذا التأويل البعيد، أو المستكره في نظر المحدثين، بل نقول: هذا من جملة الأوهام التي عُدَّت عليه في هذا السياق، وإلا فمن الممكن أن يُقال: إن أصلهما في سدرَةِ المنتهى، ويَمُرُّان بالسماء الدنيا من أجل نزولهما إلى الأرض، وحيث لا يَكُونُ فيه وهم، لكني أقول: إن هذا يُضَعِّفُه كثرة الأوهام في سياقه، ونقول: هذا من جملة الأوهام]^(٢).

السادس: شق الصدر عند الإسراء، وقد وافقته رواية غيره كما بيَّنت ذلك في شرح رواية قتادة عن أنس بن مالك بن صَعْصَعَة، وقد أشرتُ إليه أيضاً هنا.
السابع: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا، والمشهور في الحديث أنه في الجنة كما تقدَّم التنبيه عليه.

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

[هذا نقول فيه مثل ما قلنا في النيل والفرات؛ أي: لعل أصله في الجنة وينزل إلى الأرض ماراً بالسما الدنيا؛ ليصب في الحوض، لكن لا شك أن الصواب أنه في الجنة].
الثامن: نسبة الدنو والتدلي إلى الله ﷻ، والمشهور في الحديث أنه جبريل كما تقدم التنبيه عليه.

[هذا صحيح الذي دنا فتدلى هو جبريل عليه السلام].

التاسع: تصريحه بأن امتناعه عليه السلام من الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة، ومقتضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة.

العاشر: قوله: «فعلا به الجبار فقال وهو مكانه» وقد تقدم ما فيه.
وقال في موضع آخر:

قوله: «ودنا الجبار رب العزة حتى كان قاب قوسين أو أدنى». في رواية ميمونة المذكورة: «فدنا ربك ﷻ فكان قاب قوسين أو أدنى». قال الخطابي ليس في هذا الكتاب -يعني: صحيح البخاري- حديث أشنع ظاهرًا ولا أشنع مذاقًا من هذا الفصل، فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر، وتمييز مكان كل واحد منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلّق من فوق إلى أسفل، قال: فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعًا أو غيره، ولم يعتز به بأول القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه، وكان قصاره ما رد الحديث من أجله، وأما الوقوع في التشبيه وهما خطتان مرغوب عنهما.

وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه الإشكال، فإنه مصرح فيها بأنه كان رؤيا؛ لقوله في أوله: «وهو نائم» وفي آخره: «استيقظ». وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأوّل على الوجه الذي يجب أن يُصَرَّف إليه معنى التعبير في مثله، وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك بل تأتي كالمشاهدة.

قلت: وهو كما قال، ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله في الحديث: أن رؤيا الأنبياء وحي، فلا تحتاج إلى تعبير؛ لأنه كلام من لم يمعن النظر في هذا المحل، فقد تقدم في «كتاب التعبير»: أن بعض مرأى الأنبياء يقبل التعبير، وتقدم من أمثلة ذلك: قول الصحابة له عليه السلام في رؤية القميص: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين، وفي رؤية اللبن. قال: العلم. إلى غير ذلك.
لكن جزم الخطابي بأنه كان في المنام متعقب بما تقدم تقريره قبل.

ثم قال الخطابي مشيرًا إلى رفع الحديث من أصله بأن القصة بطولها إنما هي حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يعزها إلى النبي ﷺ، ولا نقلها عنه، ولا أضافها إلى قوله، فحاصل الأمر في النقل أنها من جهة الراوي، إما من أنس وإما من شريك، فإنه كثير التفرد بمناكير الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة. انتهى

وما نفاه من أن أنسا لم يسند هذه القصة إلى النبي ﷺ لا تأثير له، فأدنى أمره فيها أن يكون مرسل صحابي، فإما أن يكون تلقاها عن النبي ﷺ، أو من صحابي تلقاها عنه، ومثل ما اشتملت عليه لا يقال بالرأي فيكون له حكم الرفع، ولو كان لما ذكره تأثير لم يحتمل حديث أحد روى مثل ذلك على الرفع أصلاً، وهو خلاف عمل المحدثين

قاطبة، فالتعليل بذلك مردودٌ.

ثم قال الخطابي: إن الذي وقع في هذه الرواية من نسبة التدلي للجبار عليه السلام مخالفٌ لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير من تقدم منهم ومن تأخر، قال: والذي قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه دنا جبريل من محمد عليه السلام فتدلى؛ أي: تقرب منه.

وقيل: هو على التقديم والتأخير؛ أي: تدلى فلاناً لأن التدلي بسبب الدنو. الثاني: تدلى له جبريل بعد الانتصاب والارتفاع حتى رآه متدلياً كما رآه مرتفعاً، وذلك من آيات الله، حيث أقدره على أن يتدلى في الهواء من غير اعتماد على شيء، ولا تمسك بشيء. الثالث: دنا جبريل فتدلى محمد عليه السلام ساجداً لربه تعالى شكراً على ما أعطاه. قال وقد روي هذا الحديث من أنسٍ بغير طريق شريك فلم يُذكر فيه هذه الألفاظ الشنيعة، وذلك مما يقوي الظن أنها صادرة من جهة شريك. انتهى

وقد أخرج الأموي في مغازيه ومن طريقه البيهقي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣) الأنعام: ١١٣. قال: دنا منه ربه. وهذا سند حسن وهو شاهد قوي لرواية شريك.

ثم قال الخطابي: وفي هذا الحديث لفظة أخرى تفرد بها شريك أيضاً لم يذكرها غيره وهي قوله: «فعلا به» يعني: جبريل إلى الجبار تعالى فقال وهو مكانه: يارب خفف عنا. وقال: والمكان لا يُضاف إلى الله تعالى، وإنما هو مكان النبي عليه السلام في مقامه الأول الذي قام فيه قبل هبوطه. انتهى

وهذا الأخير متعين وليس في السياق تصريح بإضافة المكان إلى الله تعالى. وأما ما جزم به من مخالفة السلف والخلف لرواية شريك عن أنس في التدلي ففيه نظر، فقد ذكرت من وافقه، وقد نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قال: دنا الله عليه السلام. قال: والمعنى: دنا أمره وحكمه.

[قوله: دنا أمره وحكمه. غير صحيح؛ لأنه لو صح أن المراد بقوله: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ هو الرب عليه السلام لم يصح أن تقول: دنا أمره وحكمه؛ لأن هذا تحريف للكلم عن مواضعه، لكن نقول في الأصل: إن الصواب أن الداني والمتدلي هو جبريل^(١).

وأصل التدلي النزول إلى الشيء حتى يقرب منه. قال: وقيل: تدلى الرفرف لمحمد عليه السلام حتى جلس عليه، ثم دنا محمد من ربه. انتهى

وقد تقدم في تفسير سورة النجم ما ورد من الأحاديث في أن المراد بقوله: ﴿رَآهُ﴾ أن النبي عليه السلام رأى جبريل، له ستائة جناح ومضى بسط القول في ذلك هناك، ونقل البيهقي نحو ذلك عن أبي هريرة، قال: فاتفقت روايات هؤلاء على ذلك. ويعكر عليه قوله بعد ذلك: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمته الله.

﴿١٠﴾. ثم نقل عن الحسن أن الضمير في عبده لجبريل، والتقدير: فأوحى الله إلى جبريل.

وعن القراء: التقدير فأوحى جبريل إلى عبد الله مُحَمَّدٍ ما أوحى.

وقد أزال العلماء إشكاله، فقال القاضي عياض في «الشفاء»: إضافة الدنو والقرب إلى الله تعالى أو من الله، ليس دنو مكان، ولا قرب زمان، وإنما هو بالنسبة إلى النبي ﷺ إبانة لعظيم منزلته، وشريف رتبته، وبالنسبة إلى الله ﷻ تأنيس لنبيه وإكرام له. ويتأول فيه ما قالوه في حديث: «ينزل ربنا إلى السماء». وكذا في حديث: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً».

وقال غيره: الدنو مجاز عن القرب المعنوي.

[هذا أيضاً خطأ، فإن المراد بتزوله ﷻ نزوله حقيقة إلى السماء الدنيا، وكذلك تقربه إلى عبده حقيقة^(١)].

لإظهار عظيم منزلته عند ربه تعالى، والتدلي: طلب زيادة القرب، وقاب قوسين بالنسبة إلى النبي ﷺ عبارة عن لطف المحل، وإيضاح المعرفة، وبالنسبة إلى الله إجابة سؤاله ورفع درجته.

وقال عبد الحق في «الجمع بين الصحيحين»: زاد فيه -يعني: شريكاً- زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وقد روى الإسراء جماعة من الحفاظ، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ، وسبق إلى ذلك أبو محمد ابن حزم فيما حكاه الحافظ أبو الفضل ابن طاهر في جزء جمعه سماه: «الانتصار لأيام الأمصار» فنقل فيه عن الحميدي عن ابن حزم قال: لم نجد للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئاً لا يَحْتَمِلُ مخرجاً إلا حديثين، ثم غلبه في تخريجه الوهم، مع إتقانها وصحة معرفتهما، فذكر هذا الحديث، وقال: فيه ألفاظ معجمة، والأفة من شريك، من ذلك قوله: قبل أن يوحى إليه، وأنه حينئذ فرض عليه الصلاة، قال: وهذا لا خلاف بين أحد من أهل العلم إنما كان قبل الهجرة بسنة وبعد أن أوحى إليه بنحو اثنتي عشرة سنة.

[قوله: أنه كان قبل الهجرة بسنة. ليس بصحيح، فالمؤرخون بعضهم قال: قبل الهجرة بخمس سنوات، وبعضهم قال: بثلاث وبعضهم قال: بسنة.

ثم قوله: «إن الجبار دنا فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى». وعائشة رضي الله عنها تقول: إن الذي دنا فتدلى جبريل.. انتهى. وقد تقدم الجواب عن ذلك.

وقال أبو الفضل ابن طاهر: تعليل الحديث بتفرد شريك، ودعوى ابن حزم أن الأفة منه شيء لم يسبق إليه فإن شريكاً قبله أئمة الجرح والتعديل، ووثقوه، ورووا عنه، وأدخلوا حديثه في تصانيفهم، واحتجوا به، وروى عبد الله بن أحمد الدوري، وعثمان الدارمي، وعباس الدوري، عن يحيى بن معين أنه قال: لا بأس به. وقال ابن عدي: مشهور من أهل المدينة، حدث عنه مالك وغيره من الثقات، وحديثه إذا روى عنه ثقة لا بأس به، إلا أن يروى عنه ضعيف، قال ابن طاهر: وحديثه هذا

(١) ما بين معقوفين من كلام الشيخ العلامة ابن عثيمين رحمته الله.

رواه عنه ثقةٌ وهو سليمان بن بلال، قَالَ: وعلى تقدير تسليم تفرده: «قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ». لَا يَقْتَضِي طَرَحَ حَدِيثِهِ، فَوَهُمُ الثَّقَةُ فِي مَوْضِعٍ مِنْ حَدِيثٍ لَا يُسْقِطُ جَمِيعَ الْحَدِيثِ، وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانَ الْوَهُمُ لَا يَسْتَلْزِمُ ارْتِكَابَ مُحْظُورٍ، وَلَوْ تَرِكَ حَدِيثٌ مِنْ وَهْمٍ فِي تَارِيخٍ لَتَرِكَ حَدِيثُ جَمَاعَةٍ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: بَعْدَ أَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ. انْتَهَى

وَقَدْ سَبَقَ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَى مَا فِي رَوَايَةِ شَرِيكَ مِنَ الْمَخَالَفَةِ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فَإِنَّهُ قَالَ بَعْدَ أَنْ سَاقَ سَنَدَهُ وَبَعْضَ الْمَتَنِ: ثُمَّ قَالَ فَقَدَّمُ وَأَخَّرُ، وَزَادَ وَنَقَصَ.

وَسَبَقَ ابْنُ حَزْمٍ أَيْضًا إِلَى الْكَلَامِ فِي شَرِيكَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ كَمَا قَدِمْتُ. وَقَالَ فِيهِ النَّسَائِيُّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ ابْنُ الْجَارُودِ: لَيْسَ بِالْقَوِيٍّ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ: لَا يُحَدِّثُ عَنْهُ. نَعَمْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو دَاوُدَ: ثَقَّةٌ. فَهُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، فَإِذَا تَفَرَّدَ عُدَّ مَا يَفْرَدُ بِهِ شَاذًا، وَكَذَا مُنْكَرًا عَلَى رَأْيٍ مِنْ يَقُولُ: الْمُنْكَرُ وَالشَّاذُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَالْأَوَّلَى الْإِتْرَامُ وَرَوْدُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي خَالَفَ فِيهَا عَنْدَهُ، وَالْجَوَابُ عَنْهَا إِمَّا بِدَفْعِ تَفَرُّدِهِ، وَإِمَّا بِتَأْوِيلِهِ عَلَى وَفَاقِ الْجَمَاعَةِ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ مُسْتَكْمَلًا بَيَانًا مَا خَالَفَ فِيهِ شَرِيكَ:

الْحَادِي عَشَرَ: رَجُوعُهُ بَعْدَ الْخَمْسِ، وَالْمَشْهُورُ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَهُ بِالرَّجُوعِ بَعْدَ أَنْ انْتَهَى التَّخْفِيفُ إِلَى الْخَمْسِ، فَامْتَنَعَ كَمَا سَأَبَيْنُ.

الثَّانِي عَشَرَ: زِيَادَةُ ذِكْرِ التَّوَرِّ فِي الطَّسِّتِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا فِيهِ.

فَهَذِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرَةِ مَوَاضِعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ لَمْ أَرَهَا مَجْمُوعَةً فِي كَلَامٍ أَحَدٍ مِمَّنْ تَقَدَّمَ، وَقَدْ بَيَّنْتُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ إِشْكَالًا مِنْ اسْتَشْكَلَهُ وَالْجَوَابُ عَنْهُ إِنْ أَمَكُنْ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

وَقَدْ جَزَمَ ابْنُ الْقِيمِ فِي الْهَدْيِ بِأَنَّ فِي رَوَايَةِ شَرِيكَ عَشْرَةَ أَوْهَامٍ لَكِنْ عَدَّ مَخَالَفَتَهُ لِمَحَالِّ الْأَنْبِيَاءِ أَرْبَعَةً مِنْهَا، وَأَنَا جَعَلْتُهَا وَاحِدَةً فَعَلَى طَرِيقَتِي تَزِيدُ الْعِدَّةُ ثَلَاثَةً، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. اهـ

نَقُولُ: إِنْ مَا خَالَفَ شَرِيكَ غَيْرَهُ فِيهِ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسَمَيْنِ:

الْقَسَمُ الْأَوَّلُ: مَا يُمَكِّنُ تَخْرِيجَهُ عَلَى وَجْهِ يُوَافِقُ الْآخَرِينَ.

وَالثَّانِي: مَا لَا يُمَكِّنُ، فَيَقَالُ: إِنْ شَرِيكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَحْفَظْ، وَيُؤْخَذُ بِمَا عَلَيْهِ الْأَكْثَرُ. هَذِهِ هِيَ الْقَاعِلَةُ.

وَقَوْلُهُ: «لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدِيَّ» هَذَا فِي غَيْرِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تُنْسَخَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكِّي قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠١].

أَمَّا الْأَحْكَامُ الْجَزَائِيَّةُ الَّتِي وَعَدَهَا اللَّهُ ﷻ، فَإِنَّهَا لَا تَبْدَلُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (ق): ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلِيمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٨- بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

٧٥١٨- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ ابْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ

يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَيْسَكَ رَبَّنَا وَسَعْدُكَ، وَالْخَيْرُ فِي بَدَنِكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

هذا الحديث فيه: إثبات كلام الرب ﷻ مع أهل الجنة، وإثبات الرضا لله، وانتفاء السخط على أهل الجنة.

أما كلام الله فقد سبق الكلام فيه.

وأما الرضا، فهو من الصفات الفعلية؛ لأنه يتعلّق بمشيئته سبحانه، وقد قلنا: إن كلّ صفة ذات سبب، فهي فعلية؛ لأنها مقرونة بسبب، والسبب حادث، فكل صفة من صفات الله مقرونة بفعل له سبب، فهي فعلية.

أما الرضا: فهل هو الإثابة والإعطاء، أو هو شيء آخر؟

نقول: هو شيء آخر، ولا يُحرّفه إلى الإثابة أو الإعطاء إلا من لا يُشَيِّتُونَ الصفات الفعلية لله ﷻ، ويُحوّلون الصفة الفعلية إلى القدرة، أو الإرادة، أو المفعول.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥١٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هَلَالٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ

النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَوَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، فَاسْرِعْ وَبَذَرْ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ، وَاسْتَوَاؤُهُ، وَاسْتَحْصَادُهُ، وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ». فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَجِدْ هَذَا إِلَّا قُرْشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قوله: «فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ». يَعْنِي: يَنْبُتُ بِسُرْعَةٍ وَيَسْتَوِي بِسُرْعَةٍ، وَيَسْتَحْصِدُ بِسُرْعَةٍ، وَيُكْوَرُ

بِسُرْعَةٍ، فَيَحْصُلُ مَا فِي نَفْسِ هَذَا الزَّارِعِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّاهِ الْأَنْفُسُ﴾. وَإِنْ كَانَ هَذَا الزَّرْعُ لَيْسَ كَزَرْعِ الدُّنْيَا يَبْقَى سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَوْ نَحْوَهُ.

وَكُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَنَّ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَهَلْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ إِبِلٍ؟ وَأُظَنُّ أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ أَنَّ فِيهَا

نوفقاً من الذهب، لكنني لا أذكره جيداً.
ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٩- بَابُ ذِكْرِ اللَّهِ بِالْأَمْرِ، وَذِكْرِ الْعِبَادِ بِالْدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالرَّسَالَةِ وَالْإِبْلَاحِ.
لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا بِأَنْ كُنْ كَبَرٌ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِمَا يَنْتِ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿٧٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٦-٧٧]. غُمَّةٌ: هَمٌّ وَضِيقٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ: اقْضُوا إِلَيَّ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ، يُقَالُ: افْرُقْ اقْضِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ: إِنْسَانٌ يَأْتِيهِ فَيَسْتَمِعُ مَا يَقُولُ. وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ فَهُوَ آمِنٌ حَتَّى يَأْتِيَهُ فَيَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ، وَحَتَّى يَبْلُغَ مَا مَنَّهُ حَيْثُ جَاءَهُ النَّبِيُّ الْعَظِيمُ: الْقُرْآنُ: صَوَابًا حَقًّا فِي الدُّنْيَا وَعَمَلًا بِهِ.

قوله: «بَابُ ذِكْرِ اللَّهِ بِالْأَمْرِ، وَذِكْرِ الْعِبَادِ بِالْدَّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالرَّسَالَةِ وَالْإِبْلَاحِ»؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَكُونُ كَلَامُهُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ كَلَامَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَمَّا الْعِبَادُ فَلَهُمُ الدَّعَاءُ، وَالتَّضَرُّعُ، وَالرَّسَالَةُ، وَالْإِبْلَاحُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٦]؛ أَي: كَلَامَ اللَّهِ الْمُبْلَغُ مِنْ قَبْلِ التَّالِي وَلَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ ﷻ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وَقَدْ حَذَفَ الْمُؤَلِّفُ آخِرَ الْآيَةِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَذْكُرَهَا؛ لِأَنَّ الشُّكْرَ لِلَّهِ هُوَ الْعِبَادَةُ.

وقوله: «اذكروني أذكركم». هذا شرطٌ وجوابٌ. «فاذكروني» أمرٌ جوابه: «أذكركم». وهذا التركيبُ عند علماء النحو فيه قولان:
الأول: أن «أذكركم» جوابُ الأمرِ.

والثاني: أن «أذكركم» جوابٌ لشرطٍ مقدّر، تقديره: فاذكروني إن تذكروني أذكركم. ولكنَّ القولَ الأولَ أصحُّ؛ لأنه: إذا دارَ الكلامُ بَيْنَ التَّقْدِيرِ وَعَدَمِهِ، فَالْأَوَّلُ عَدَمُ التَّقْدِيرِ، وَالْكَلامُ هُنَا يَسْتَقِيمُ بِلا تَقْدِيرٍ.

وقوله: «اذكروني» أي: بأيِّ شيءٍ سواءً بنفوسكم، أو بألسنتكم، أو بجوارحكم، قَالَ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتَهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ». إِذَا فَكَّرْتُمْ تَظَلُّ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ تَتَأَمَّلُ وَتَتَفَكَّرُ فِي الرَّبِّ ﷻ، وَفِي أَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَفِي آيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّ هَذَا يُعْتَبَرُ ذِكْرًا.

وَكُونُكَ تَنْطِقُ بِلسَانِكَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَهَذَا ذِكْرٌ.
وَكُونُكَ تُثْنِي عَلَى اللَّهِ ﷻ بِنِعْمَةٍ عِنْدَ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، فَهَذَا أَيْضًا ذِكْرٌ.
وَكُونُكَ تَقُومُ بِطَاعَتِهِ بِالْجَوَارِحِ بِالرُّكُوعِ، وَالسُّجُودِ، وَالْقِيَامِ، وَالْقُعُودِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا أَيْضًا ذِكْرٌ.

فَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾. والجزء من جنس العمل.

❖ قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾. أي: يا محمد: ﴿نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾. النبأ هو الخبر الهام، ونوح أول الرسل، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ «إِذ» متعلقة بنبأ؛ أي: نبأه في هذه الحال.

❖ قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ بِقَوْمٍ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِعَائِدَةِ اللَّهِ﴾. يَعْنِي: عَظُمَ عَلَيْكُمْ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ: ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾. وهذه قوة عظيمة، وتحد عظيم، يقول: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ قَدْ كَبُرَ عَلَيْكُمْ، وَعَظُمَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي بَيْنَكُمْ، وَتَذَكِيرِي إِيَّاكُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، فَأَنَا مَتَوَكِّلٌ عَلَى اللَّهِ، مَعْتَمِدٌ عَلَيْهِ، وَاتَّقِ بِهِ جَهَنَّمَ، وَأَنْتُمْ لَا تَهْمُونِي، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾. أي: اعزموه وجدّوا فيه، (وأجمعوا شركاءكم) ولهذا نقول: الواو حرف عطف وشركاء مفعول لفعل محذوف تقديره: وأجمعوا شركاءكم، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى أَمْرٍ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى يَفْسُدُ بِلِ الْمَعْنَى: أَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ مَأْخُذٌ مِنَ الْإِجْمَاعِ وَهُوَ الْعَزْمُ، وَاجْمِعُوا شُرَكَاءَكُمْ؛ يَعْنِي: اجْعَلُوا الْأَمْرَ جَدًّا لَا هَزْلًا، وَاجْمِعُوا شُرَكَاءَكُمْ؛ أَي: كُلٌّ مِنْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَكُلٌّ مِنْ شَارِكِكُمْ فِي مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ.

❖ قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ يَعْنِي: اتَّوَلَّوْا إِلَى بَصِيرَةٍ، وَسَبَّحَانَ اللَّهَ قَدْ تَحَدَّاهُمْ ﷻ بَعْدَ أَمُورٍ: أَوَّلًا: أَنْ يَعْزِمُوا إِلَى طَلَبِهِ وَيُؤْخَذَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾.

الثاني: أَنْ يَجْتَمِعُوا بِلا تَفْرِيقٍ، وَيُؤْخَذَ مِنْ قَوْلِهِ: (وَاجْمِعُوا شُرَكَاءَكُمْ).

الثالث: أَنْ يَتَأَنَّبُوا بِلا عَنَاءٍ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ يَعْنِي: اتَّوَلَّوْا بِتَأَنٍّ وَتَبَصَّرِ.

وسبحان الله يقول هذا الكلام وهو وحيد؛ لأنه أَوَى إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ فَقَدْ أَوَى إِلَى اللَّهِ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا قَدَّمَ قَالَ: فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ.

❖ قوله: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ ٧٦؛ أَي: لَيْكُنْ قَضَاؤُكُمْ عَلَيَّ بِسُرْعَةٍ، وَلَا تَمْهَلُونِي. يَقُولُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنْ هَذَا يُعْتَبَرُ آيَةً أَوْتِيَهَا نُوحٌ؛ لِأَنَّ كَوْنَهُ يَتَحَدَّى هَذَا التَّحَدِّيَ لِقَوْمِهِ وَهُوَ وَحِيدٌ، وَمَعَ أَنَّهُمْ عَجَزُوا أَنْ يُدَبِّرُوا مَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُعْتَبَرُ آيَةً؛ لِأَنَّهُ ﷻ لَمْ يُذَكِّرْ لَهُ آيَةً مُعَيَّنَةً تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، فَصَالِحٌ مَثَلًا لَهُ آيَةٌ، وَكَذَلِكَ مُوسَى، وَكَذَلِكَ عِيسَى، أَمَا نُوحٌ فَإِنَّهُ لَمْ يُذَكِّرْ لَهُ آيَةً مُعَيَّنَةً، لِذَلِكَ فَإِنَّ مَثَلَ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي قَالَه، وَصَبْرَهُ عَلَى قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، يُعْتَبَرُ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ.

❖ قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَاءَ لَكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾. يَعْنِي: إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَضُرُّنِي؛ لِأَنَّ إِيْمَانَكُمْ بِي لَا يَعْنِي أَنْكُمْ تَعْطُونَنِي أَجْرًا: ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾؛ أَي: أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْ ثَوَابِ الدُّنْيَا.

❖ قوله: ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٧٧؛ أَي: أَمِيرٌ - وَهُوَ نَبِيٌّ - أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْإِسْلَامُ وَصْفٌ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعُهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَكُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ، لَكِنْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ إِسْلَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَإِسْلَامِ الْأَتْبَاعِ، فَإِسْلَامُ الْأَنْبِيَاءِ أَقْوَى لَا شَكَّ، لَكِنْهُمْ يَشْتَرِكُونَ فِي كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا مُسْلِمًا.

❖ قوله: «غمة». هُمْ وَضِيقٌ؛ يَعْنِي بِذَلِكَ قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ وَالْمَعْنَى الَّذِي

ذكره له وجه، لكن ما ذكرناه أحسن؛ يَغْنِي: لا يكن أمركم فيه تعمية كما يقال: غَمُّ الهلال. إذا اسْتَرَّ فلم يُر. والمعنى: اتوا على بصيرة وتأن، لكن ما قاله المؤلف لا بأس به.

«قَالَ مجاهد: اقضوا إلي ما في أنفسكم»، والذي في أنفسهم هو القضاء عليه؛ أي: أهلكوني واقتلوني، لكنهم ما استطاعوا إلى هذا سبيلاً.

ثم قَالَ: «افرق: اقضي».

قَالَ الحافظُ في «الفتح» (١٣/ ٤٩٠):

❦ وأما قوله: «افرق: اقضي». فمعناه أَظْهَرِ الأَمْرَ وافصله بحيث لا تبقى شبهة.

وفي بعض النسخ يقال: افرق اقض. فلا يكون من كلام مجاهد، ويؤيده إعادة قوله بعده: وقال مجاهد. اهـ

لكن ليس افرق، فهو لو قَالَ: اقض افرق. كما قَالَ تعالى: ﴿فَأَفَرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْفَاقِقِينَ﴾

❦. يَغْنِي: أَفْصَلَ بَيْنَنَا لكان أولى.

❦ قوله: وقال مجاهد: مجاهد هو إمام التابعين في التفسير، وقد أخذ تفسيره عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

❦ قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾. وفي قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ﴾

مشكلة وهي: كيف دخلت «إن» الشرطية على أحد وهو اسم؟

نقول: قد خرَّجها علماء النحو على الوجوه التالية:

أولاً: أنه لا مانع من أن يلي الاسم حرف الشرط، وعلى هذا القول يكون قوله: «أحد» مبتدأ،

و«استجارك» خبره، و«فأجره» جواب الشرط وهذا مذهب الكوفيين.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا النَّمَاءُ انْقَشَتْ﴾ [الأنعام: ١٠١]. يقولون: «السَاء» مبتدأ، و«انقشت» خبره.

والقول الثاني: أن «أحد» فاعلٌ مُقَدَّمٌ، وأنه لا بأس بتقديم الفاعل. وعلى هذا تكون الجملة

فعلية، ويكون التقدير: وإن استجارك أحد من المشركين. لكن قدمت أحد، ف قيل: «وإن أحد من

المشركين». وهذا أيضاً مذهب الكوفيين.

وعلى هذا فقولك: زيد قام. يكون زيد فاعلاً مقدماً، وقام فعل ماضٍ، وليس فيه ضمير.

والقول الثالث: هو قول البصريين - وهم في الغالب متشددون - يقولون: «أحد» فاعلٌ لفعلٍ

محذوفٍ يُسَرُّه ما بعده، والتقدير: «وإن استجارك أحد من المشركين».

والمبتدئون في طلب العلم يقولون: التقدير: وإن استجارك أحد استجارك. وهذا غلط؛ لأنه لا

يُجْمَعُ الْمُفَسِّرُ وَالْمُفَسَّرُ، فأنت إذا أردت التقدير تقول: التقدير: وإن استجارك أحد، ولا تأتي

باستجارك؛ لأنه لا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمُفَسِّرِ وَالْمُفَسَّرِ من وجه، لأنك إذا قلت: وإن استجارك أحد

استجارك. ظن السامع أن الثانية جواب الشرط وهذا غلط.

وعلى كل حال: نحن لدينا قاعدة دل عليها القرآن والسنة وهي أن نتبع الأيسر من أقوال النحويين؛ لأننا لا

نأثم بذلك، الدليل من القرآن قوله تعالى: ﴿رَبِّدْ اللَّهُ بِكُمْ الْأَيُّسَرُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. والدليل من السنة: «ما خير النبي

﴿يَنْبَغِي شَيْئِينَ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا - بشرط - ما لم يكن إثماً﴾ ونحن نقول: إن شاء الله ليس علينا إثم، إذا كان الكلام لا يتغير به المعنى، فإننا نتبع الأسهل.

وقوله: «استجارك»؛ أي: طلب الجوار، والجوار؛ يعني: المنع والحماية.

﴿قوله: «فأجره حتى يسمع كلام الله». يعني: لو قال رجل من الكفار الحريين: أجيروني حتى أسمع القرآن لعلني أنتفع به. فالواجب علينا أن نجبره حتى يسمع كلام الله، فإذا سمع وكان له قلب وإن لم يكن مسلماً فسيتذكر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٢٧: ٢٧].

فإذا سمع كلام الله وقال: أريد أن أزوج فهل نقول: لا تزج. بل لابد أن تؤمن وإلا قتلناك؛ لأنك تلعب بنا؟

الجواب: لا. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوَّلَيْتَهُ مَأْمَنَهُ﴾ [النساء: ٦٠]. انظر إلى معاملة الإسلام لغير أهله، أي: إلى المكان الذي يأمن فيه وهو أرضه، فنقول: نردك إلى مأمنك، فإن اهتديت فسنجدك، وإن لم تهتد فالحرب بيننا وبينك.

﴿قوله: «قال مجاهد: إنسان يأتيه فيستمع ما يقول، وما أنزل عليه، فهو آمن حتى يأتيه فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاءه». أي: من المكان الذي جاء منه.

﴿قوله: «النبا العظيم» القرآن. يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿عَمَّ بَسَّاءُ لَوْنٌ﴾ [النبا: ١٠] عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿الَّذِي هُرِفَ مَخْلِفُونَ﴾ [النبا: ١٣-١٤]. أو إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [النبا: ١٧] أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿[النبا: ٦٧-٦٨]. وسواء هذا أو هذا فالمعنى واحد، والظاهر أنه يريد ما في سورة «النبا»؛ لقوله بعده: صواباً حقاً، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].

﴿قوله: «حقاً في الدنيا وعمل به». يعني: يسمع القرآن في الدنيا ويعمل به، أو قال صواباً. يعني: حقاً في الدنيا وعمل به؛ أي: بالحق في الدنيا؛ لأنه إذا عمل حقاً في الدنيا؛ فإنه يكون من أهل الشفاعة فيؤذن له.

والمؤلف لم يذكر حديثاً في هذا الباب، ولعله لم يجد حديثاً على شرطه يتعلّق بهذا الباب. والحاصل في هذا الباب أن الأمر من الله، والدعاء والعبارة من المخلوقين، والرسالة والإبلاغ على الرسل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَلِمْنَاكَ الْبَلَاغَ﴾ [النبا: ٢٠]. ﴿فَلَمَّا عَلِمْنَاكَ الْبَلَاغَ الْمُبِينُ﴾ [النبا: ٢١]. والعلماء هم ورثة الأنبياء فيجب عليهم أن يبلغوا ما وجب على الرسل أن يبلغوا، وأما الهداية فإلى الله، فعليك أن تبلغ الشرع فإن اهتدى الناس فهذا لك ولهم، وإن لم يهتدوا فلك وعليهم.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٠ - باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الأنعام: ٢٢]. وقوله جل ذكره: ﴿وَجَعَلُوا لَكَ أَندَادًا ذَلِكَ رِبُّ الْأَكْمِينِ﴾ [الشع: ٩]. ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [بل الله فأعبد وكن من الشكرين] [الأنعام: ٦٦-٦٥]. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. وقال عكرمة: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون. ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره.

وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الأنعام: ١٧]. وقال مجاهد: ما تنزل الملائكة إلا بالحق؛ بالرسالة والعذاب، ليسأل الصادقين عن صدقهم: المبلغين المؤدبين من الرسل. وإننا له لحافظون عندنا. والذي جاء بالصدق: القرآن، وصدق به المؤمن. يقول يوم القيامة: هذا الذي أعطيني عملت بها فيه.

وقوله: باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾. وهذا الباب يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات، ويتعلق بتوحيد العبادة، وتوحيد الربوبية.

فقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾؛ أي: نظراء ندًا لله، فيكون فيه رد على أهل التمثيل، وهذا يتعلق بتوحيد الصفات، ورد على عبادة الأصنام، وهذا يتعلق بتوحيد العبادة، ورد على من زعموا أن للعالم خالقين، فيتعلق بتوحيد الربوبية.

فإن قال قائل: وهل في الآية رد على أهل التعطيل؟

فالجواب: نعم، مع أن أهل التعطيل لا يمثلون، لكن نقول: نعم فيها رد على أهل التعطيل؛ لأن أهل التعطيل بنوا تعطيلهم على فهم خاطئ وهو التمثيل، فمثلوا أولاً وعطلوا ثانياً؛ لأنهم مثلاً فهموا من إثبات اليد أنها يد كأيدي المخلوقين، وهذا تمثيل، ثم قالوا: وبناء على ذلك يجب أن نفسر اليد بالقدرة، فعطلوا، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كل واحد من فريقَي التعطيل والتمثيل جامع بين التعطيل والتمثيل، فالمعطل ممثل معطل، والممثل معطل ممثل.

وتمثيل المعطل حصل بأنه مثل أولاً وعطل ثانياً. ونقول في الممثل: إنك معطل؛ لأنك عطلت النصوص الدالة على أن الله ليس كمثله شيء، فكل نص يدل على نفي التمثيل فالممثل قد عطله.

الثاني: أنك قد عطلت الله من كماله الواجب^(١)؛ لأن تمثيل الخالق بالمخلوق نقص.

الثالث: أنه عطل نفس النص الذي أثبت به الصفة؛ لأن النص الذي أثبت به الصفة لا يدل على صفة المماثلة للمخلوقين، بل يدل على صفة مضافة إلى رب لا يماثل المربوب. فصار الآن كل ممثل معطل من ثلاثة أوجه؛ لأنه مثل أولاً وعطل ثانياً. فكل منها قد جعل الله أنداداً.

❖ قوله: وقوله جل ذكره: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ١. هذا معطوف على قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ تَتَكَفَّرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا﴾ [الشكك: ١٩]. وهو **عَلَلٌ** لا ند له، ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢. وأين الند الذي يكون رباً للعالمين؟ لا يوجد. إذا فأنتم كاذبون في جعل الأنداد لله.

❖ قوله: وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾. لا يدعون مع الله إلهاً آخر دعاء مسألة أو دعاء عبادة.

لكن دعاء المسألة فيما يُمكن أن يجيب الإنسان ويفعل جائز، فلو دعوت إنساناً وقلت: تعال واحل معي هذا المتاع. فهذا جائز.

أما دعاء العبادة فلا يجوز بوجه من الوجوه إلا لله.

❖ قوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ٣. قوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ﴾. هذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات هي: اللام والقسم المضمر وقد، وهذه تأتي في القرآن كثيراً.

❖ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾. قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ﴾. هل الموحى لمن قبله أنه قيل له: لئن أشرك محمدٌ لَيَحْبَطَنَّ عمله؟ الجواب: لا، بل قد أوحى إلى كل واحد ف قيل له: لئن أشركت ليحبطن عملك، فالجملة موزعة على كل واحد منهم، وليست للرسول فقط.

وهذه الآية فيها إشكال وهو: كيف يقال للرسول ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؟ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: المراد: لئن أشركت أمتك ليحبطن عملك. أما هو فلا يُشرك، ونظير هذا قول مَنْ قَالَ: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ﴾ [البقرة: ٥٥] أي: لذنب أمتك، أما هو فلا يُذنب.

وهذا كما يتضح جواب ليس بصحيح؛ لأن الخطاب قد جاء نصّاً: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾. والجواب الصحيح أنه لا يلزم من تعليقه بالشرط أن يقع المشروط، ونظيره قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٨١]. ولا يُمكن أن يكون للرحمن ولدٌ، فالتعليق بالشرط لا يلزم منه وقوع المشروط.

فهنا «إن شرط، والمشروط «أشركت»، وجواب الشرط «ليحبطن عملك». نعم إن أشرك حبط عمله، لكن هل معنى ذلك أنه سيشرك؟ الجواب: لا.

ونظير ذلك: إذا قلت لشخص: إن قتلت زيداً قتلناك. فهل يلزم أن يقتل زيداً؟

الجواب: لا يلزم، بل قد يكون ممتنعاً، كما كان الشرك في حق الرسول ﷺ ممتنعاً. وهذا الجواب ليس فيه إشكال ولا تعقيد.

❖ قوله ﷺ: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾. وهذا هو الشاهد حيث خصَّ العبادة بالله، ووجه الاختصاص

هو تقديمُ المفعولِ الذي هو «الله».

ولهذا قَالَ المعربون في الفاءِ في قوله ﴿فَاعْبُدْ﴾: إنها زائدةٌ لتحسينِ اللفظِ، وأن أصلَ التركيبِ: بل الله اعبد. لكن من أجل تحسينِ اللفظِ زِيدَتِ الفاءُ، كما زِيدَتِ في قولهم: فقط. بمعنى: قط؛ لتحسينِ اللفظِ، فقولك: أعط فلاناً مئةَ درهمٍ فقط. كقولك: أعطِ فلاناً مئةَ درهمٍ قط.

وعلى هذا فالآيةُ فيها دليلٌ على أن الله وحده جليلٌ هو المختصُّ بالعبادة، وأنه لا يُعْبَدُ أحدٌ سواه، لا ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ.

﴿قوله﴾: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. أي: الشاكرين الله على نعمه، ومن أكبرِ النعمِ أن يُوفِّقَكَ اللهُ لِعِبَادَتِهِ وحده.

﴿قوله﴾: «وقال عكرمة: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ولئن سألتهم من خلقهم ومن خلق السموات والأرض ليقولن الله فذاك إيمانهم وهم يعبدون غيره». وقد فسّر عكرمة رضي الله عنه هذه الآيةَ تفسيراً واضحاً جداً، فقوله: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون، الإيمانُ الذي آمنوا فيه هو الإيمانُ بالربوبية، والشرك الذي أشركوا به هو الإشراكُ في الألوهية.

واستدلَّ عكرمةُ بكونهم مؤمنين بالربوبية بقوله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٨٧]. ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٥]. والمؤلفُ ما ساق الآيةَ على أنها آيةٌ، بل ساقها على أنها من قولِ عكرمة؛ يعني: أن هؤلاء يقرون بالربوبية، وأن خالقَ السموات والأرضِ وخالقهم هو الله لكنهم يعبدون غيره وهذا شركهم.

كذلك أيضاً يوجد من غير هؤلاء من يؤمن بالله وهو مشركٌ، فمن كان همه الهال فهو مؤمنٌ بالله مشركٌ؛ لأن الرسول ﷺ قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدُّنْيَا، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضْيًى وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطٌ»^(١) فساه الرسولُ عبداً، فالذي يؤثرُ الهالُ على الأعمالِ الصالحةِ وإن عملها يعتبرُ مشركاً، عابداً لها، كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فهذا نقولُ في حقه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

ومن ذلك: من تقلدَ وتراً، أو علّقَ تميمةَ محرمةً، فهذا أيضاً نقولُ له: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

ثم قَالَ البخاريُّ: وما ذُكِرَ في خلقِ أفعالِ العبادِ وأكسابهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾. وذكر هنا خلقَ الأفعالِ لأن من أهل القبلة من أشركَ في خلقِ الأفعالِ وهم القدرية، فقالوا: إن الإنسانَ خالقٌ لعمله، وخالقٌ لكسبه. فأخرجوا قسماً من الحوادثِ عن خلقِ الله ﷻ، وقالوا: إن كلَّ أفعالِ الناسِ،

والمواشي، وغيرها، خارجة عن خلق الله، ولهذا سباهم النبي ﷺ: «مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»^(١)؛ لمشابهمهم بالمجوس المشركين؛ لأن المجوس المشركين يقولون: إن الحوادث لها خالقان هما: الظلمة والنور، فالشرُّ خالقه الظلمة، والخير خالقه النور. وهؤلاء القدرية يقولون: الحوادث التي تكون في الكون منها ما يخلقه الله وهو فعله، ومنها ما يخلقه غير الله وهو فعل العباد.

ولهذا ذكر المؤلف هذه المسألة -خلق أفعال العباد- في باب لا تجعلوا لله أندادا، ردًا على المعتزلة الذين قالوا: إن الإنسان خالق عمله وكسبه، فيكونون بذلك مشركين جاعلين لله أندادا.

فلو قال قائل: ما هو الدليل على أن الله خالق لأفعال العباد؟

قلنا: استدلال البخاري رحمه الله بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ فقال سبحانه: خلق كل شيء وأفعال العباد شيء فقد خلق في العموم.

وقوله: ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾. هل المراد بالتقدير التقدير الأول وهو القضاء، أو المراد به التسوية؟

إذا قلنا: إنه التقدير الأول الذي قدره الله في الأزل أشكل علينا الترتيب في قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ﴾. أي: أننا إذا قلنا في قوله تعالى: ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾؛ يعني: قدره في الأزل قبل الخلق، أشكل علينا الترتيب في قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾.

قال العلماء: إن هذا من باب الترتيب الذكري؛ يعني: آخر التقدير ذكرًا وإن كان سابقًا وهذا يسمى الترتيب الذكري لا الواقعي، والترتيب الذكري موجود في اللغة العربية، وموجود في القرآن، يقول الشاعر:

إِنْ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ سَادَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ جَدُهُ^(٢)

ومعلوم أن سيادة الجد سابقة على سيادة الأب، وسيادة الأب سابقة على سيادة الابن، لكن هذا من باب الترتيب الذكري.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِلْآدَمِ فَسَجَدُوا﴾ [الأنعام: ١١٠]. فهذه الآية أيضًا فيها ترتيب ذكري، ذلك إن لم تقل: إن المراد بقوله خلقناكم؛ أي: خلقنا أبابكم، ثم صورنا أبابكم، فإن قيل: هذا هو معناها فالترتيب على ما هو.

القول الثاني: إن التقدير في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ﴾. بمعنى التسوية. فقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ﴾. أي: جعله على قدر معلوم وسواه؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ قَسْوَى﴾ [الأنعام: ٢٠]، وعلى هذا الوجه يكون الترتيب واقعيًا ولا إشكال فيه.

(١) رواه أبو داود في سننه (٤٦٩١)، وابن ماجه في «سننه» (٩٢). وقال الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على سنن أبي داود وابن ماجه: حسن.

(٢) البيت لأبي نواس في «ديوانه» (٣٥٥/١)، و«خزانة الأدب» (٣٧/١١)، (٤١/٤٠)، و«الدرر» (٩٣/٦)، وبلا نسبة في «الجنى الداني» (ص ٤٢٨)، و«جواهر الأدب» (ص ٣٦٤).

والشاهد أن الله خالقُ أفعالِ العباد؛ لأن الله خالقُ كُلِّ شيء.

وهنا قد يُشكّل على الإنسان كيف يكونُ الله خالقَ أفعالِ العباد مع أن الفعلَ فعلُ العبد، فالمصلي هو العبد، والصائم هو العبد، والقائم هو العبد، والأكَل هو العبد، والشارب هو العبد، والمتخلى هو العبد، والمتوضئ هو العبد، فكيف يكونُ هذا خلقاً لله ﷻ؟

فالجواب أن يقال: وجهُ ذلك أن فعلَ العبد ناشئ عن أمرين:

إرادة جازمة وقدره، إذ لولا الإرادة لم يفعلْ لعدم الإرادة، ولولا القدرة لم يفعلْ للعجز، فمن الذي خلق إرادته وقدرته؟

فالجواب: الله، وخالق السبب التام خالقُ للمسبب، فهذا وجهُ كونِ أفعالنا مخلوقةً لله وذلك أن أفعالنا ناشئة عن الإرادة والقدرة، والذي خلق الإرادة والقدرة هو الله، فما نشأ عنها فهو خلقُ الله لأن خالقَ السبب التام خالقُ للمسبب.

فإن قيل: إذا كان هذا خلقُ الله فكيف يعذبنا الله على فعله؟

نقول: إن هذا خلقُ الله وليس فعله، بل الفعل فعلنا، فالأكَل نحن، والشارب نحن، والمصلي نحن، والصائم نحن، وهلمَّ جرّاً، فهو فعلنا ويضاف إلينا، وهو خلقُ الله ﷻ، فال مباشر هو الإنسان، ولهذا يُجَازَى على عمله؛ لأنه مباشرٌ له، والخالقُ باعتبارِ السبب التام هو الله ﷻ، وهذا أمرٌ لا إشكال فيه.

لكن لما ضاق بطان القدرة والجبرية عن الجمع بين المنقول والمعقول، ذهبت الجبرية إلى المنقول، وذهبت القدرة إلى المعقول.

فالجبرية أخذوا بنصوص العموم في القضاء والقدر، وقالوا: ليس للإنسان أي قدرة، أو أي قوة، أو أي إرادة، والإنسان مسكينٌ مُسَيَّرٌ مُكْرَهٌ مُرْعَمٌ، فالذي ينزل من السطح في الدرج رويداً رويداً، كالذي يُلْقَى من السطح بغير اجتهاده.

فهذا عقلاً ليس بصحيح يقولون: هذا هو الشرع؛ لأن الكل بقضاء الله وقدره، والإنسان مجبورٌ.

قيل لهم: على تقدير كم هذا يكونُ الله ﷻ ظالماً لعباده؛ حيث أجبرهم على فعل المعصية ثم عاقبهم عليها، وهل هذا إلا عينُ الظلم.

فلو قلتَ لوليك مثلاً: كُلْ هذا الخبزَ وهذا الإدام - وأنت قد هيأته للضيوف - فقال: يا أباي هذا طعامُ الضيوف. فقلتَ له: كُلْ وإلا ضربتُك أو قطعُتُ رأسك، وأجبرته حتى أَكَلَ ثم لَمَّا أَكَلَ ضربته وقلتَ له: لما إذا أَكَلْتَ طعامَ الضيوف؟

فهذا ظلمٌ واضحٌ.

ف قيل لهم: إذا قلتم: إن الله مُجبر الإنسان على عمله ثم يعمل المعصية فهُوَ ثم يعاقب عليها هذا ظلم!

فقالوا: إن الله له ملكُ السموات والأرض، والمالكُ المطلق يتصرف في ملكه كما يشاء، ولا يتصور الظلم في حقّه؛ لأنه تصرفٌ في ملكه، والمتصرف في ملكه ليس بظالم، وقالوا: إن الظلم في حقِّ

الله مستحيل لعينه.

وفي ذلك قَالَ ابْنُ الْقِيمِ فِي النُّونِيَةِ.

* وَالظُّلْمُ عَنْدهُمْ الْمَحَالُ لِدَايَةِ ^(١) *

قالوا: فالظلم أن تتصرفَ في حقِّ غيرك، أما التصرفُ في حقِّك فليس بظلم. وهؤلاء نقول لهم: بل إن هذا ظلم، والله تعالى قد نفاه عن نفسه، فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ﴾ ^(٢) وقال: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ﴾ ^(٣) [فتح: ٢٩]. وقال في الحديث القدسي: «حرمتُ الظلمَ على نفسي» ^(٤). وهذا يدلُّ على أن الظلم ممكنٌ في ذاته، وأنتم تقولون: مستحيلٌ لذاته. لأنه لولا إمكان بذاته، ما صحَّ أن يتمدَّحَ الله بانتفائه عنه، فلو لا أنه قادرٌ على الظلم لكن تركه لكمالِ عدله لم يكن في انتفاء الظلم عنه مدحٌ، فالظلم ممكنٌ في حقِّ الله عقلاً، لكن شرعاً لا يُمكن، وبمقتضى عدله لا يمكن.

هذا هو الردُّ على الجبرية.

أما القدرية فقالوا: نحن أصحابُ المعقول - والقدرية هم المعتزلة، والمعتزلة عند كثيرٍ من الناس هم أصحابُ العقول وأصحابُ النظر - ونحن أسعدُّ بالدليل من الجبرية المساكين، فإن كلَّ إنسانٍ يعرفُ أنه يفعلُ كما شاء. قَالَ تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الأنعام: ٢٩]. فكل إنسانٍ يعرفُ أنه يخرجُ إلى المسجد، ويرجعُ إلى البيت، ويخرجُ إلى الدكانِ ويبيعُ ويشتري، ولا يُحسُّ بأن أحداً يكرهه إطلاقاً، ولو قَالَ: أريد أن أذهبَ إلى المكانِ الفلاني. ففيل له: في هذا المكانِ سبُعٌ قد يأكلُك. لقال: عدلتُ عن الذهاب. فهل أحدٌ أجبره على الإرادة الأولى وعلى الإرادة الثانية؟

فالجوابُ: لا. قالوا: إننا إذا قلنا بذلك تبيَّن كمالُ عدلِ الله تعالى، حيث عاقب من عصي؛ لأن الذي يعصِي باختياره وبمشيئته، وبه يتبين كمالُ العدل، فنحن أصحابُ العدل. وهذا القولُ في المعقول أقربُ من مذهبِ الجبرية لا شك، فالكل يعرفُ أنه يفصلُ باختياره، ويتركُ باختياره، ولا إشكالَ في ذلك، لكن المشكلُ أنهم قالوا: إن الإنسانَ يفعلُ فعلاً مستقلاً ليس الله فيه دخلٌ، ولم يقدره الله؛ يعني: لم يشأه ولم يخلقه.

فكلُّ منهما؛ أي: من الطائفتين عجزَ بطانه عن الجمع بين الشرع والعقل. أما أهلُ السنة فقالوا: كلُّ منكم معه حقٌّ، فالجبرية معهم حقٌّ وهو: أن كلَّ شيءٍ بقضاءِ الله وقدره، وأن كلَّ شيءٍ مخلوقٌ لله ونوافقه على هذا، والمعتزلة معهم حقٌّ في أن الإنسانَ يعملُ باختياره فعلاً وتركاً ولا أحدَ يجبره، في ظاهرِ الحال، فهو مريدٌ مختارٌ فاعلٌ، ولهذا إذا جاء الفعلُ بغيرِ إرادته فإنه يعفى عنه، فلو أكرهه على الفعل فلا

(١) «شرح قصيدة ابن القيم» (١/٥٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧).

حُكْمَ لِهَذَا الْفِعْلِ، وَلَكِنَّا نَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْفِعْلَ الْاِخْتِيَارِي الَّذِي يَقَعُ مِنَّا نَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَهُ سَابِقًا، وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ لَاحِقًا، وَوَجْهَ خَلْقِ اللَّهِ لَهُ أَنْ فَعَلَ الْعَبْدُ نَاشِئٌ عَنْ إِرَادَةٍ جَازِمَةٍ وَقُدْرَةٍ، وَإِرَادَةٍ وَالْقُدْرَةُ مَخْلُوقَتَانِ لِلَّهِ ﷻ وَمَا نَشَأُ عَنِ السَّبَبِ فَلَهُ حُكْمُ الْمُسَبَّبِ؛ أَيُّ: أَنْ مَا نَشَأُ عَنِ الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ الَّتِي هِيَ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ فَإِنْ خَالَقَ السَّبَبِ التَّامُّ هُوَ خَالِقُ الْمُسَبَّبِ.

وبهذا نجمُ بَيِّنِ الشَّرْعِ وَالْعَقْلِ. فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وَأَكْثَرُ ضَلَالِ الْعَالَمِ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ وَجَدْتَ السَّبَبَ فِيهِ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى النُّصُوصِ مِنْ زَاوِيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَوْ نَظَرُوا إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ الزَّوَايَا هَدَوْا، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ إِنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

يَقُولُ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَا ذُكِرَ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَأَكْسَابِهِمْ»؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾. سَبَقَ وَأَنْ تَكَلَّمْنَا عَلَى قَوْلِهِ: (خَلَقَ فَقَدَرَ) وَقُلْنَا: إِنَّ الْمَرَادَ بِالتَّقْدِيرِ هُنَا التَّسْوِيَةُ.

ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (مَا تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ). وَلَفْظُ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٨]. وَقَدْ يَكُونُ فِيهَا قِرَاءَةٌ أُخْرَى، وَالْمَرَادُ بِالْحَقِّ يَقُولُ: بِالرَّسَالَةِ وَالْعَذَابِ، الرِّسَالَةُ الَّتِي بِهَا التَّكْلِيفُ، وَالْعَذَابُ الَّذِي بِهِ بَيَانُ الْجَزَعِ، وَلِهَذَا كَانَ الْقُرْآنُ مُشْتَمَلًا عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَعَلَى الْعَذَابِ لِمَنْ عَصَى وَخَالَفَ. ثُمَّ قَالَ مُجَاهِدٌ: لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ. قَوْلُهُ: لِيَسْأَلَ: الْفَاعِلُ فِيهِ هُوَ اللَّهُ ﷻ. وَقَوْلُهُ: الصَّادِقِينَ. الرِّسْلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٦]. وَلِهَذَا قَالَ: الْمُبْلَغِينَ الْمُؤَدِّينَ مِنَ الرِّسْلِ. فَهُوَ ﷻ سَوْفَ يَسْأَلُ الرِّسْلَ، وَيَسْأَلُ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ، فَيَقُولُ لِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥]. [الأنعام: ١٥]. وَيَالِهَا مِنْ كَلِمَةٍ عَظِيمَةٍ حَرِيٌّ بِكَ أَنْ تُفَكِّرَ فِي الْإِجَابَةِ عَلَيْهَا، وَمَا الَّذِي سَتَقُولُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ سَتَقُولُ: أَجَبْتُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالتَّصَدِيقِ وَالْقَبُولِ. أَمْ مَاذَا سَتَقُولُ؟

أَمَّا الرِّسْلُ فَيَسْأَلُهُمْ هَلْ بَلَّغُوا أَمْ لَمْ يَبْلُغُوا؟ فَيَشْهَدُونَ بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا، قَالَ تَعَالَى لِعِيسَى: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُحِبِّي إِلَهَيْهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٧٦-١٧٧]. مَاقُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﷻ [المائدة: ١١٦-١١٧].

ثُمَّ قَالَ مُجَاهِدٌ: وَإِنَّا لَهُ حَافِظُونَ. وَفِي نَسَخَةٍ: لِحَافِظُونَ. وَهَذِهِ النُّسخَةُ هِيَ الْمُوَافَقَةُ لِلْفِظِ الْآيَةِ. وَالَّذِي تَكَمَّلَ اللَّهُ بِحِفْظِهِ هُنَا هُوَ الْقُرْآنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩]. أَمَّا أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ [الأنعام: ١٠]. كِرَامًا كَاتِبِينَ ﷻ [الأنعام: ١١]. وَقَالَ: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطلاق: ٤].

ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ: الْقُرْآنُ. وَصَدَّقَ بِهِ: الْمُؤْمِنُ. يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]. يَقُولُ: الصَّدَقُ هُوَ الْقُرْآنُ. وَعَلَى هَذَا التفسيرِ يَكُونُ الَّذِي جَاءَ

بالصدق هو الرسول ﷺ؛ لأنه هو الذي جاء بالقرآن.

وقوله: وصدق به: المؤمن؛ أي: المرسل إليه، وعلى هذا فيكون العطف هنا عطف مغاير على مغاير؛ لأن الذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ، والذي صدق به هم المؤمنون.

والصواب: أن مرجع الضميرين في الآية واحد، وأن الذي جاء بالصدق وصدق به هو الرسول ﷺ وورثته من العلماء، فهم قد جاءوا بالصدق وصدقوا به، فهم آتون بالصدق من قبل أنفسهم، مصدقون لمن قامت البينة على صدقه.

ثم قال: يقول يوم القيامة: هذا الذي أعطيتني عملت له؛ أي: فإنه يأتي بالصدق يوم القيامة مصدقاً به.

والشاهد في هذا كله يعود على ما ذكر من الإشارة إلى أن أفعال بني آدم مخلوقة لله. ومنسوبة إليه، ولهذا قال: والذي جاء بالصدق.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٠- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شَرْحِبِيلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلْقُكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ^(١).

هذه الترتيبات الثلاث موافقة لآية الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٧٥﴾ إلى آخره.

فأعظم الذنب عند الله أن تجعل لله نداً وهو خلقك، والشاهد من هذا الحديث قوله: «وهو خَلْقُكَ». فهذا هو أعظم الذنب عند الله، إذ كيف تعبد من لم يخلقك؟ وكيف تنيب إلى من لم يخلقك؟ وهكذا نقول في كل مشكل.

ثم قال: «ثم أن تقتل ولدك». وقوله: «ولذلك». يشمل الذكر والأنثى؛ لأن ولداً في اللغة العربية بمعنى مولود، وهو صالح للذكر والأنثى.

ثم قال: «تخاف أن يطعم معك».

فإن قيل: إذا قتلته كراهة له وبغضاً، فهل يدخل في هذا الحديث أو لا؟

فالجواب: نعم يدخل في هذا، بل قد يكون أولى؛ لأنك إذا كنت تقتله اتقاء الإنفاق عليه فقتله لغير هذا السبب من باب أولى.

ثم قال: «أن تزاني بحليلة جارك». قوله: «تزاني بها». أي: تدعوها إلى الزنا حتى توافق، وإنها كانت المزانة

بحليلة الجارِ أشدُّ؛ لأن الجارَ في الحقيقة قد أمّنك واطمئنَّ إليك، فإذا ختته في أهله كان هذا أعظمُ مما لوزنتَ بامرأةٍ أجنبية، ولهذا صار أعظمُ الزنا أن تزاني بحليلة جارك.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤١- باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٢٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾؛ أي: ما كنتم تستخفون بالمعاصي كالشركِ فما دونَه خشية أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، أو لئلا يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم؛ لأنكم لا تؤمنون بهذا، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين. هذا الباب عقده المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لإثبات أن علم الله ﷻ بما خفي كعلمه بما ظهر. فهو لا يستخفون في بيوتهم، ويؤمنون ما لا يرضى من القول لا ظنا منهم أنهم سيعثون، ويشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم؛ لأنهم لا يؤمنون بذلك، لكن يظنون أنهم إذا استتروا عن أعين الناس استتروا عن علم الله ﷻ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١٣/٤٩٥-٤٩٦):

قوله: باب قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ الآية. ساق -في رواية كريمة- الآية كلها ذكر فيه حديث «عبد الله» وهو ابن مسعود اجتمع عند البيت. وفيه: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾ وقد تقدّم شرحه في تفسير «فصلت».

قال ابن بطال: عرّض البخاري في هذا الباب إثبات السمع لله، وأطال في تقرير ذلك، وقد تقدّم في أوائل التوحيد في قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النحل: ١٣).

والذي أقول: إن غرضه في هذا الباب إثبات ما ذهب إليه أن الله يتكلم متى شاء، وهذا الحديث من أمثلة إنزال الآية بعد الآية على السبب الذي يقع في الأرض، وهذا ينفصل عنه من ذهب إلى أن الكلام صفة قائمة بذاته أن الإنزال بحسب الوقائع من اللوح المحفوظ أو من السماء الدنيا، كما ورد في حديث ابن عباس رفعه: نزل القرآن دفعة واحدة إلى السماء الدنيا فوضع في بيت العزة ثم أنزل إلى الأرض نجوماً. رواه أحمد في «مسنده» وسيأتي مزيد لهذا في الباب الذي يليه.

قال ابن بطال: وفي هذا الحديث إثبات القياس الصحيح وإبطال القياس الفاسد؛ لأن الذي قال: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. قاس قياساً فاسداً؛ لأنه شبه سَمَعَ الله تعالى بأسماع خلقه الذين يسمعون الجهر. اهـ

الذي يظهر لي خلاف ما قاله الحافظ وابن بطال، فالذي يظهر لي هو أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أراد

بالترجمة إثبات علم الله ﷻ بما خفي وما ظهر، وأما كون الآية تنزل بعد الحادثة ففيها دليل على أن كلام الله تعالى يتجدد، فهذا له هنا مناسبة، لكنها ليست واضحة.

وقد سبق لنا أن كلام الله في أصله من الصفات الذاتية، لكنه في آحاده من الصفات الفعلية؛ يعني: أن الله لم يزل ولا يزال يتكلم، لكن هذا الكلام المعين هو الذي يكون حادثاً؛ أي: يحدثه الله ﷻ متى شاء. وفي الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه لما رجع من الحبشة وجد النبي ﷺ يصلي فسلم عليه، وكانوا يسلمون عليه فيرد عليهم السلام، حتى نزل قول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [٢٣٨]. فأمروا بالسكوت، ونهوا عن الكلام فسلم على النبي ﷺ فلم يرد عليه. يقول: فصار في نفسي وأخذني ما قرب وما بعد؛ لأنه لم يرد علي السلام وكان من عادته أن يرد. فلما سلم النبي ﷺ قال: «إن الله يحدث من أمره ما شاء، وإن مما أحدثه ألا تتكلموا في الصلاة»^(١). ومعلوم أن هذا الحكم ثبت بنزول قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [٢٣٨]. ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿مَا يَأْنِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مَنْ رَزَيْهِمْ تَحَدَّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾ [الأنبياء: ٢]. وليس المعنى أنه مخلوق، بل المراد: محدث الكلام به، فالله تعالى يتكلم متى شاء بما شاء.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢١- حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ، حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت ثقيان وقرشي، أو قرشيان وثقفي؛ كثيرة شحوم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعِزُّونَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢٢]. الآية^(٢).

في هذا الحديث قياس في قوله: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. وجه ذلك أنه إذا كان لا يمتعه بعهده من سماع ما نجهر به فلن يمتعه من سماع ما نخفي؛ لأن البعد بين الله ﷻ وبين الخلق ليس بالشيء الذي يمكن قياسه، بل هو بُعد الله لا يعلمه إلا الله ﷻ، ومعروف أن الصوت الخفي لا يسمع، والذي يجهر به يسمع لكن في حدود معينة، فإذا كان سبحانه يسمع لما يجهر به في غير الحدود المعهودة المعروفة فإنه يسمع أيضاً ما نسر ونخفي.

وهل في الحديث إشارة إلى أن كثير شحم البطن يكون قليل الفقه؟

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣٧٧/١) (٣٥٧٥)، وأبو داود في «سننه» (٩٢٤)، والنسائي (١٢٢١). وقال

الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على سنن أبو داود، والنسائي: حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٧٧٥).

الظاهر أنه ليس فيه ما يؤخذ منه هذا؛ لأن هذا وصف فرضي لا يترتب عليه حكم، وإلا فمن الممكن أن يقال: إن كثير البطن يدُلُّ على كثرة الأكل، وكثرة الأكل تميّت القلب؛ ذلك لأنه إذا كثر الأكل كثرت الغفلة، ولهذا ذكروا أن من فوائد الصيام: أن الإنسان يتفرّغ للذكر أكثر مما لو كان شبعاً؛ لأن الشبع يوجب الغفلة، فإن أخذ ذلك المعنى من هذا الوجه فإنه يتبيّن بذلك حسن قول الرسول ﷺ: «حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لَقِيَاثُ يُقِمِّنَ صَلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلَتْ لَطْعَامِهِ وَتَلَتْ لَشْرَابِهِ وَتَلَتْ لِنَفْسِهِ»^(١).

ولو أننا أخذنا بهذا الطريق وبهذا التوجيه النبويّ الطبي ما انتابتنا هذه التغيرات في المعدة والأمعاء وغيرها؛ لأن هذا هو حقيقة الطب. وقد سمعتُ أنهم في البلاد التي يدعون أنها متحضرة يعملون هذا، فيأكلون خمس مرات أو ست مرات في اليوم والليلة، لكن الذي يأكل لا يأكل إلا يسيراً، فإذا جاع أكل شيئاً يسيراً. وهذا في الحقيقة أخذه من هدي النبي ﷺ، أما نحن فإننا مع الأسف اعتمدنا على حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة اللبن حين قال له النبي ﷺ: «اشرب». فشرب حتى قال: لا أجِدُ له مسلَكاً^(٢). أي: لم يعد له مكان في البطن.

ولكننا نقول: إن هذه الواقعة -أي: امتلاء البطن- لعلها ما وقعت لأبي هريرة إلا مرة واحدة في عمره، أما نحن فنفعل كل يوم قصة أبي هريرة.

والشاهد: أنه لا يؤخذ من هذا الحديث أن كبير البطن يكون قليل الفقه، ولهذا يقال: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يوصف بأنه البطين؛ أي: كبير البطن، مع أنه من أفقه الصحابة رضي الله عنه، حتى إنه قد اشتهر في وصفه المثل المعروف: قضية ولا أبا حسن لها.

فإن قيل: هل يفهم من الآية التي بوّب بها البخاري أن السمع والبصر والجلود تشهد؟

فالجواب: نعم هو كذلك، وقد جاء ذلك مصرحاً به في قوله: «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٣) [النحل: ٢٤]. وقوله وَيَعْلَمُ: «وَقَالُوا لَاجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَإِيَّاهِ تَرْجَعُونَ»^(٤) [الأنعام: ٢١].



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٤٢- باب قول الله تعالى: «كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»^(٥) [النحل: ٢٩]. «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُجَدِّدٍ»^(٦) [الأنعام: ٢]. وقوله تعالى: «لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا»^(٧) [الأنعام: ١]. وَأَنَّ حَدِيثَهُ لَا يُشْبِهُ حَدِيثَ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٨) [النحل: ١١].

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٣٢/٤) (١٧١٨٦)، والترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وقال

الشيخ الألباني رحمته الله في تعليقه على سنن ابن ماجه: صحيح.

(٢) تقدم تحريجه في كتاب الرقاق.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ وَإِنْ مِمَّا أَحَدُكُمْ أَنْ لَا تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ».

البخاري رحمه الله ساق هذا الباب - وهو مهم - بالنسبة لأفعال الله ﷻ؛ لإثبات أن الله تعالى صفات هي أفعال يفعلها متى شاء، ويصح أن يطلق عليها حادثه، لكنها ليست كحادث المخلوقين التي قد يعثر بها العجز، وقد يعثرها الخفاء، وما أشبه ذلك من نواقص حوادث المخلوقين.

يقول ﷻ: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحجرات: ٢٩]؛ أي: يسألوا الله ﷻ، فكل من في السموات والأرض يسألون الله مفتقرون إليه.

وقوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [٢٩]؛ أي: أنه ﷻ كل يوم هو في شأن فيغني فقيراً ويفقر غنياً، ويوجد معدوماً ويعيد موجدًا، ويمرض صحيحًا، ويشفي مريضًا، وهكذا.

وهذا الشأن ليس شأنًا واحدًا بل شئون عظيمة لا يحصيها إلا الله ﷻ؛ لأن كل شيء لا يقوم إلا بأمره، وهو سبحانه قائم على كل نفس بما كسبت، فلو أردت أن تُحصي أجناس المخلوقات ما استطعت، فكيف بأنواعها، فكيف بأفرادها، فحتى النملة في جحرها يدبرها هو ﷻ: ﴿تَمَازِينَ دَابَّةً إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٦]. فكل يوم هو سبحانه في شأن عظيم من شئونه ﷻ، يفعل ما يشاء.

وكونه سبحانه كل يوم هو في شأن يدل على أن الحوادث تكون بأمره ﷻ، وأنه يحدث من خلقه ما شاء، ويحدث من شرعه ما شاء، وذلك وقت نزول الوحي، أما بعد وفاة الرسول ﷺ فإنه لا يمكن أن يحدث شيء في الشرع ولا أن يتغير.

وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَتَمَّعُوهُ وَهُمْ يَعْبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. فأثبت ﷻ أن الذكر الذي يأتي من الله يكون محدثًا.

وقال تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١]. هذا في المطلقة إذا طلقت طلاقاً رجعيًا، فإنه يجب أن تبقى في بيتها؛ لأنه ربما تصلح الأحوال، ويتقلب بغض الزوج لها محبة، وسخطه عليها رضا، فيراجعها وهي في البيت ولا يعلم بما حدث أحد. ولهذا قال: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [١]؛ يعني: المراجعة. وإذا حدث ذلك لم يطلع على ما حصل أحد، وإن كان يجب أن يكون الطلاق بشهود، وأن تكون الرجعة بشهود، أو يستحب على خلاف في ذلك، لكن هذا لا يمنع أن تبقى الزوجة في البيت.

والشاهد: قوله: ﴿يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾. وهو رجوع الزوج إلى زوجته.

ثم قال البخاري: وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فهو لا يشبه حدث المخلوقين، لا من جهة العلم، ولا القدرة، ولا الإحداث أيضًا، فإن إحداثه للشيء سبحانه يكون بكلمة كن. فيكون، وأما حدث المخلوقين فيكون بعمل ومعاناة، وقد يحصل وقد لا يحصل، أما الرب ﷻ فإن إحداثه لا يشبه إحداث المخلوقين.

وقد استدلل البخاري بأن حدثه سبحانه لا يشبه حدث المخلوقين بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

شَفَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٠٠﴾.

ثم قَالَ: وقال ابنُ مسعودٍ، عن النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحَدِّثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ وَإِنَّ مَا أَحْدَثَ أَلَا تَكَلِّمُوا فِي الصَّلَاةِ». وهذا إحدَثٌ شرعيٌّ، وأما قوله: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾. فأحداثٌ قدرِيٌّ؛ لأنَّ مراجعةَ الزوجِ زوجتهَ ليسَ وحياً ينزلُ، أو حكماً يتجددُ، ولكنه حكمٌ قدرِيٌّ يلقيه اللهُ ﷻ في قلبِ الزوجِ فيراجعُ الزوجةَ.

فَاللَّهُ تَعَالَى يَحْدُثُ مِنْ أَمْرِهِ الْكَوْنِيَّ وَمِنْ أَمْرِهِ الشَّرْعِيَّ مَا شَاءَ، فَأَمَّا الْإِحْدَاثُ بِالْأَمْرِ الشَّرْعِيِّ فَقَدْ انْقَطَعَ بِوَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَجَدَّدَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ. فَإِنْ قِيلَ: وَهَلْ خَالَفَ أَحَدٌ فِي هَذَا؟

فَالْجَوَابُ: نَعَمْ، خَالَفَ فِي هَذَا عَامَّةُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ مُعْتَزِلَةٍ وَأَشْعَرِيَّةٍ وَغَيْرِهِمْ، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ الْحَوَادِثُ بِاللَّهِ أَبَدًا؛ لِأَنَّ قِيَامَ الْحَوَادِثِ بِهِ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ حَادِثًا -بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْحَادِثَ لَا يَقُومُ إِلَّا بِحَادِثَةٍ.

فَيَقَالُ لَهُمْ: مَنْ الَّذِي قَالَ لَكُمْ هَذَا؟ وَمَنْ الَّذِي قَالَ: إِنَّ الْحَادِثَ لَا يَقُومُ إِلَّا بِحَادِثَةٍ؟ وَمَنْ أَيْسَرُ أَتَيْتُمْ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ؟ أَمِنْ الْكِتَابِ أَوْ مِنَ السُّنَّةِ أَوْ مِنَ الْعَقْلِ؟ فَالْجَوَابُ: كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، فَنَحْنُ نَشَاهِدُ الْآنَ بِأَنْفُسِنَا أَنَّهُ تَحْصُلُ حَوَادِثٌ لَنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ غَيْرَ الَّتِي حَصَلَتْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَبْلَهُ، فَهَلْ يَلْزِمُ إِذَا قَامَتْ بِنَا الْحَوَادِثُ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً بِوُجُودِنَا؟

الْجَوَابُ: لَا، لَا يَلْزِمُ، فَالْحَوَادِثُ تَتَجَدَّدُ مِنَ الْحَادِثِ وَمِنْ غَيْرِ الْحَادِثِ، بَلْ إِنَّ قِيَامَ الْحَوَادِثِ بِهِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِهِ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ مَتَى شَاءَ، وَلَوْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ لَكَانَ فِي هَذَا وَصْفٌ لِلَّهِ بِالنَّقْصِ، فَاللَّهُ تَعَالَى فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَسَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [التَّحْقِيقُ: ٢٥٣]. وَاقْتَتَلَهُمْ حَادِثٌ لَا شَكَّ، وَهُوَ مَنْ فَعَلَ اللَّهُ؛ أَي: مَنْ تَقْدِيرُهُ أَنْ يَفْعَلُوا هَذَا، وَهَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ فِي قِيَامِ الْأَفْعَالِ الْحَادِثَةِ بِهِ، وَكَذَلِكَ اسْتَوَاهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَنَزَوَّلَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَتَكْلِيمَهُ مَنْ يَكْلِمُهُ، كُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى قِيَامِ الْحَوَادِثِ بِهِ، لَكِنْ لَا يَلْزِمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ هُوَ سَبْحَانَهُ حَادِثًا.

وَسَبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، لَوْ رَجَعْنَا إِلَى الْفِطْرَةِ وَسَأَلْنَا عَجُوزًا لَمْ تَعْرِفْ بِالْكَلَامِ وَأَهْلَهُ وَقُلْنَا: هَلِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَتَى شَاءَ؟ لَقَالَتْ: نَعَمْ. سَبْحَانَهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. وَأَيُّهَا أَحْسَنُ: رَبٌّ لَا يَفْعَلُ أَوْ رَبٌّ يَفْعَلُ؟ تَقُولُ: رَبٌّ يَفْعَلُ، فَالَّذِي لَا يَفْعَلُ جَاهِدٌ، لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ رَبًّا، وَلَكِنْ -نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ- لِمَا دَخَلُوا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَحَكَمُوا الْعُقُولَ ضَلُّوا عَنْ شَيْءٍ تَعْرِفُهُ الْعَجَائِزُ.

إِذَا إِحْدَاثُ اللَّهِ ﷻ لِلْفَعْلِ لَيْسَ كإِحْدَاثِنَا لَهُ؛ لِأَنَّهُ يَحْدُثُ مَا شَاءَ بِكَلِمَةٍ: كُنْ. فَيَكُونُ، وَنَحْنُ لَا نَحْدُثُ إِلَّا بِمَعَانَاةٍ وَعَمَلٍ.

ثَانِيًا: يَحْدُثُهُ سَبْحَانَهُ مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ سَابِقٍ أَوْ عَجْزٍ مُقَارِنٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّا نَحْدُثُ مِنْ جَهْلٍ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَكُونُ خَافِيًا عَلَيْنَا ثُمَّ يَتَبَيَّنُ لَنَا وَجْهَهُ، ثُمَّ إِنَّا لَا نَسْلُمُ مِنْ عَجْزٍ مُقَارِنٍ؛ أَي: قَدْ نَعْجِزُ عَنْ

إِكْمَالِهِ، أَمَا اللَّهُ وَكَفَى فَلَآ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٢- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ وَرْدَانَ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ كُتُبِهِمْ وَعِنْدَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ أَقْرَبُ الْكِتَابِ عَهْدًا بِاللَّهِ تَقْرَءُونَهُ مَخْضًا لَمْ يَنْسَبْ.

سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ، وَالشَّاهِدُ مِنْهُ قَوْلُهُ: أَقْرَبُ الْكِتَابِ عَهْدًا بِاللَّهِ. وَهَذَا فِي الْوَحْيِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ الْمَطَرُ حَصَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ثَوْبِهِ لِيَصِيْبَهُ وَقَالَ: «إِنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ»؛ أَي: مِنْ جِهَةِ خَلْقِهِ وَتَكْوِينِهِ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ الْآنَ فَتَزَلْ.

فَعِنْدَنَا مَا هُوَ قَرِيبُ الْعَهْدِ مِنْ جِهَةِ التَّكْوِينِ وَالْخَلْقِ، وَمَا هُوَ قَرِيبُ الْعَهْدِ مِنْ قِبَلِ الْإِنْزَالِ وَالْوَحْيِ، فَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعُودُ إِلَى الْإِنْزَالِ وَالْوَحْيِ، وَالْآيَةُ تَشْهَدُ لَهُ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾. وَأَمَّا الْقَرِيبُ مِنْ جِهَةِ التَّكْوِينِ وَالْخَلْقِ فَحَدِيثُ الْمَطَرِ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٣- حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمْ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ أَحَدُتُ الْأَخْبَارَ بِاللَّهِ، مَخْضًا لَمْ يَنْسَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ بَدَّلُوا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ وَغَيَّرُوا فَكُتِبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكُتُبُ، قَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَسْتَرَوْا بِذَلِكَ ثَمَنًا قَلِيلًا. أَوَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ.

قَوْلُهُ: مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ. ذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يَسْأَلُونَا عَمَّا أَنْزَلَ عَلَيْنَا. وَكَأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي زَمَنِه رَأَى مِنَ النَّاسِ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَسْأَلُهُمْ، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ.

وَعَلَى هَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا دَعَوْنَا إِلَى أَخْلَاقٍ حَسَنَةٍ مِنْ وَفَاءٍ بِوَعْدٍ، وَصَدَقٍ فِي الْقَوْلِ، وَعَزِيمَةٍ فِي الْقَصْدِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ أَلَا نَقُولُ: هَذَا فِعْلُ الْإِنْجِيلِ، هَذَا فِعْلُ الْأَمْرِيكَانِ، هَذَا فِعْلُ كَذَا، هَذَا فِعْلُ كَذَا. لِأَنَّ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ مُصَدِّرُهَا مِنَ الْإِسْلَامِ.

وَعَجَبًا مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ وَضَعْفَاءِ الدِّينِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَكِّدَ الْوَفَاءَ بِالْوَعْدِ قَالَ: هَذَا وَعْدٌ إِنْجِيلِي - سُبْحَانَ اللَّهِ - بَلْ قُلْ: إِنَّهُ وَعْدُ مُؤْمِنٍ. هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، أَنْظُنْ أَنَّ الْإِنْجِيلَ أَوْفَى بِالْوَعْدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ أَبَدًا.

فهذا الذي رسمه ابن عباس رضي الله عنه ينبغي أن يكون نبأً نُمِشِي عليه، وألا تُظهِر الافتقار لأهل الكتاب، وإن كان الرسول ﷺ رخص لنا في أن نقبل من حديثهم ما شهد له الشرع، وما لم يشهد الشرع له ولا بخلافه فلا نُصدِّقه ولا نكذِّبه^(١)، وما شهد شرعنا بخلافه فإننا نكذِّبه.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله:

٤٣- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الفصل: ١٦٦، وَفَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَ بِي شَفَتَاهُ».

قَوْلُهُ: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾. تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ هَذِهِ التَّرْجَمَةَ لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ الْقِرَاءَةَ بِالْقُرْآنِ مِنْ فِعْلِ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَا تَحْرُكْ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي يَحْرُكُ هُوَ الْقَارِئُ، وَعَلَى هَذَا فَتَلْفُظُ الْإِنْسَانِ بِالْقُرْآنِ يُعْتَبَرُ مَخْلُوقًا؛ لِأَنَّهُ مِنْ فِعْلِهِ، وَفَعَلَ الْآدَمِيُّ مَخْلُوقٌ.

وهذه المسألة ثار حولها جدلٌ عظيمٌ في فتنة الجهمية في القول بخلق القرآن، حتى إن الإمام أحمد رحمته الله قال: مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ. فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: مَنْ قَالَ لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ. يُرِيدُ الْقُرْآنَ -يَعْنِي: لَا يُرِيدُ الْقِرَاءَةَ- فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ. فَهُوَ مُبْتَدِعٌ. وَقَدْ أَطْلَقَ رحمته الله فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ؛ لِأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ كَانُوا يُمَوِّهُونَ عَلَى الْعَامَةِ فَيَقُولُونَ: قُلْ: لَفْظِي مَخْلُوقٌ. وَهُمْ يَرِيدُونَ بِقَوْلِهِ: لَفْظِي. الْقُرْآنُ فَيُمَوِّهُونَ عَلَى الْعَامَةِ. وَالصَّحِيحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ التَّفْصِيلُ فَيَقَالُ: قِرَاءَةُ الْقَارِئِ تَشْتَمِلُ عَلَى أَمْرَيْنِ: عَلَى مَقْرُوءٍ، وَعَلَى قِرَاءَةٍ.

فَأَمَّا الْمَقْرُوءُ فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ ﷻ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَأَمَّا الْقِرَاءَةُ فَفِعْلُ الْإِنْسَانِ، فَهَذَا الَّذِي يَحْرُكُ شَفَتَيْهِ، وَيُحَرِّكُ لِسَانَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَنْطِقُ، وَهُوَ الَّذِي يُخْرِجُ الصَّوْتَ مِنْ فِيهِ، وَكُلُّ هَذَا مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْإِنْسَانِ، وَصِفَاتِ الْإِنْسَانِ كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ.

فَمَرَادُ الْبُخَارِيِّ رحمته الله بِهَذِهِ التَّرْجَمَةِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ قِرَاءَةَ قَارِئِ الْقُرْآنِ مِنْ فِعْلِهِ، لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾. وَفَعَلَهُ مَخْلُوقٌ.

قَوْلُهُ: وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُ مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَ بِي شَفَتَاهُ».

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ: «تَحَرَّكَ بِي شَفَتَاهُ». مَعَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ يَذْكُرُ أَسْمَاءَ اللَّهِ، وَأَسْمَاءَ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؟

نَقُولُ: نَفْسُ الْحَرَكَةِ مَخْلُوقَةٌ، وَهَذَا التَّفْصِيلُ الَّذِي ذَكَرْنَا -وَهُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَلْفُوظِ بِهِ وَبَيْنَ اللَّفْظِ- فَالْلفظُ حَرَكَةُ الْإِنْسَانِ وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَالْمَلْفُوظُ بِهِ إِذَا كَانَ قَرَأْنَا فَإِنَّهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ.

(١) رَوَى الْبُخَارِيُّ (٣٤٦١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ...» الْحَدِيثُ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ أَيْضًا (٧٥٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَةِ وَيُفْسِرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَصْدُقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ، قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ» الْآيَةَ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٤- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [الْبَيِّنَاتُ: ١٦]. قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ، فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهَا لَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهَا. فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهَا كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهَا. فَحَرَّكَ شَفْتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْمَلَ بِهِ﴾ (١) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٢) [الْبَيِّنَاتُ: ١٦-١٧]. قَالَ: جَمَعُهُ فِي صَدْرِكَ، ثُمَّ تَقْرُؤُهُ. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاسْتَمِعْ﴾ (٣) [الْبَيِّنَاتُ: ١٨]. قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ (٤).

هذه الآيات التي في هذا الحديث آيات عظيمة، تُبَيِّنُ كَيْفَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ الْوَحْيِ شِدَّةً؛ لَأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (٥) [الزَّلْزَلَةُ: ٥]. أحياناً إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ فَبَرَكْتَ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ مَرَّةً وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذٍ حَذِيفَةٍ ﷻ فَكَادَتْ تَرُضُّهَا، وَكَانَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّاقِ الْبَارِدِ فَيَتَصَبَّبُ عِرْقًا مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ (٦).

وَكَانَ لِحَرِّصِهِ ﷺ عَلَى الْقُرْآنِ وَضَبْطِهِ يَتَعَجَّلُ، فَإِذَا قَرَأَهُ جِبْرِيلُ تَلَقَّاهُ فَوْراً مِنْهُ فَيَتَعَجَّلُ، وَرَبَّمَا يَكُونُ بَتَعَجُّلِهِ هَذَا يَقُوتُهُ بَعْضُ الشَّيْءِ، فَهَاهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْمَلَ بِهِ﴾ (٧) [الْبَيِّنَاتُ: ١٦]. فَالْعَجَلَةُ قَدْ يَكُونُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ فَوَاتِ الْمَقْصُودِ.

ثُمَّ تَكْفَّلَ الرَّبُّ ﷻ فَقَالَ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٨) [الْبَيِّنَاتُ: ١٧]؛ أَي: نَحْنُ الَّذِينَ سَنَجْمَعُهُ فِي صَدْرِكَ، وَنَحْفَظُهُ فِيهِ، وَلَا يَفُوتُكَ شَيْءٌ مِنْهُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ (٩)؛ أَي: قَرَأَهُ جِبْرِيلُ، وَأَسْنَدَ اللَّهُ قِرَاءَةَ جِبْرِيلَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفَعَلَ الرَّسُولُ فَعَلَ لِلرَّسُولِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِنِ قَرَأْتَهُ﴾ (١٠)؛ أَي: لَا تُعَجِّلْ فَتَأْخُذْهُ كَلِمَةً كَلِمَةً، بَلِ انتَظِرْ حَتَّى يَفْرَغَ ثُمَّ اتَّبِعْ قِرَاءَتَهُ.

ثُمَّ تَكْفَّلَ اللَّهُ ﷻ سُبْحَانَهُ كِفَالَةً ثَانِيَةً بَعْدَ الْجَمْعِ وَالْقُرْآنِ فَقَالَ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١١) [الْبَيِّنَاتُ: ١٩]. فَتَكْفَّلَ اللَّهُ ﷻ بَيَانَهُ لِعِبَادِهِ، وَذَلِكَ بَيَانُهُ لَفْظًا وَبَيَانُهُ مَعْنَى، وَمَا يَقُوتُ النَّاسُ مِنْ لَفْظِهِ أَوْ مِنْ مَعْنَاهُ فَهَذَا إِمَّا لِقُصُورِ أَوْ تَقْصِيرِ، وَإِلَّا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكْفَّلَ بَيَانِ الْقُرْآنِ لَفْظًا وَمَعْنَى، لَكِنْ لَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَبِينًا لِكُلِّ شَخْصٍ.

وَلِهَذَا نَقُولُ: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ يَخْفَى مَعْنَاهُ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ أَبَدًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾. وَلَوْ

(١) رواه مسلم (٤٤٨).

(٢) تقدم تخريجه في كتاب بدء الوحي.

كان في القرآن حرفٌ واحدٌ يخفى على جميع الناس لم يكن القرآن بياناً، والله تعالى قال فيه: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [التوبة: ١٢٨]. لكن نقول: إن الخفاء والظهور أمر نسبي، بمعنى أنه قد يخفى على شخص ما، ويظهر لشخص آخر، بل إن الإنسان نفسه أحياناً يكون صافي الذهن فيظهر له من معاني القرآن والسنة ما لا يظهر له إذا كان مشوشاً، وهذا شيء مجرب.

فالخفاء والظهور أمر نسبي باعتبار الأشخاص، واعتبار الأحوال، وإلا فإن الله قد تكفل ببيانه - والحمد لله - فقد حفظ القرآن منذ نزل به جبريل إلى محمد ﷺ، وعُرف معناه، وتبين للناس إلى يومنا هذا والله الحمد.

وقد قال ابن عباس فيما يروى عنه: القرآن أربعة أقسام:

قسم لا يسع أحد جهالته.

وقسم تعرفه العرب من لغاتهم.

وقسم يعرفه الراسخون في العلم.

وقسم لا يعلمه إلا الله. فمن ادّعى علمه فهو كاذب.

أما الذي تعرفه العرب من كلامها فمثل معرفة السماء، والأرض، والشجر، والنبات، والكهف، والغار، وما أشبه ذلك مما هو معلوم بدلالة اللغة.

وأما الذي لا يسع أحد جهالته فهو ما يجب على الإنسان معرفته مما يكمل به دينه، كمعرفة أحكام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والبيع، والشراء، وما أشبه ذلك.

وأما الذي يعرفه الراسخون في العلم؛ فهو الآيات التي تحتاج إلى تعمق في فهمها، أو جمع بينها إذا كان ظاهرها التعارض، وما أشبه ذلك.

وأما الذي لا يعلمه إلا الله؛ فهو الكنه والحقيقة لما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء والصفات، فإن هذا لا يعلم حقيقته إلا الله، فمن ادّعى علمه فهو كاذب.

أما المعنى للقرآن فإنه لا يمكن أن يخفى على جميع الناس أبداً.

فإن قيل: إذا كان الأمر كذلك فما هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْمُلُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧]؟

فالجواب: أن قوله: ﴿وَمَا يَكْمُلُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيه قراءتان معروفتان: فأكثر السلف على الوقف في قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾. ثم يبتدئ فيقول: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾. وعلى هذا يكون المراد بالتأويل الحقيقة التي عليها الأمور الغيبية؛ لأن حقيقة الأمور الغيبية لا يعلمها إلا الله، فلا يعلمها الراسخون في العلم ولا غيرهم.

وأما القراءة الثانية - وهي ثابتة أيضاً عن السلف - فهي قراءة الوصل: ﴿وَمَا يَكْمُلُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾. وعلى هذا يكون المراد بالتأويل تفسير المشتبهات التي تخفى على كثير من الناس، ويعلمها الراسخون في العلم؛ ولهذا قال ابن عباس: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٤ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١٣٠ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ١٣١ ﴿﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١]. يَتَخَفَتُونَ يَتَسَارُونَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١٣٠؛ وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ عَلِيمٌ بِهِ؛ أَيْ: بِالْقَوْلِ الَّذِي أَسْرَرْتُمْ أَوْ جَهَرْتُمْ بِهِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عَلِيمِ بِذَاتِ الصُّدُورِ؛ أَيْ: الْقُلُوبِ، كَانَ عِلْمُهُ بِمَا أَظْهَرْتَهُ الْأَلْسُنُ مِنْ بَابٍ أَوَّلٍ، وَهَذَا هُوَ قِيَاسُ الْأَوَّلَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١٣٠؛ أَيْ: أَنَّهُ سَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تَجْهَرُونَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ١٣١. وَهَذَا الْاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ﴾: فِي إِعْرَابِهَا وَجْهَانِ:

الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنْ تَكُونَ فَاعِلًا.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ تَكُونَ مَفْعُولًا بِهِ.

فَإِنْ كَانَتْ فَاعِلًا فَالْمَعْنَى: أَلَا يَعْلَمُ الْخَالِقُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ؟ وَيَكُونُ جَوَابُهَا: بَلَى، لَا بَدَأَ مَنْ يَعْلَمُ الْخَالِقَ مَا خَلَقَهُ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ جَاهِلًا بِمَا خَلَقَ.

وَإِذَا كَانَتْ مَفْعُولًا بِهِ صَارَ الْمَعْنَى: أَلَا يَعْلَمُ مَخْلُوقُهُ؟

وَالْجَوَابُ: بَلَى. يَعْلَمُ مَخْلُوقَهُ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: لِمَاذَا عَدَلَ عَنْ قَوْلِهِ: أَلَا يَعْلَمُ الْعَالَمُ، أَوْ أَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ؟

قُلْنَا: مِنْ أَجْلِ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْمُلْزِمَةِ؛ لِأَنَّهُ كَوْنُهُ يَخْلُقُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا،

فَإِذَا كَانَ خَالِقًا لِكُلِّ شَيْءٍ كَانَ عَالِمًا لِكُلِّ شَيْءٍ، أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، فَهُوَ اللَّطِيفُ

الْعَالَمُ بِسِرَائِرِ الْأُمُورِ، الْخَبِيرُ الْعَالَمُ بِبُيُوتِ الْأُمُورِ.

وَاللَّطَفُ أَخْصَصَ مِنَ الْخَبَرَةِ، وَالْخَبَرَةُ أَخْصَصَ مِنَ الْعِلْمِ، فَفِي الْآيَةِ عِلْمٌ وَخَبَرَةٌ وَلَطَفٌ، فَالْعِلْمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَا

يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، وَاللَّطَفُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾، وَالْخَبَرَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْخَبِيرُ﴾.

وَاللَّطِيفُ أَرَقُّ وَأَدَقُّ مِنَ الْخَبِيرِ؛ حَيْثُ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَشْيَاءَ لَطِيفَةً جَدًّا لَا تَذَرُكَ، لَكِنَّا يَذَرُكُهَا ﴿لَطِيفٌ﴾.

وَقَوْلُهُ: يَتَخَفَتُونَ يَتَسَارُونَ. هَذَا مَذْكُورٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخِفَتُونَ﴾ ١٣٠ أَنْ لَا يَتَخَفَتُوا الْيَوْمَ

عَلَيْكُمْ مَسْكُونٌ ١٣١ ﴿﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١]. وَهَؤُلَاءِ هُمُ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا أَنْ يَصْرِفُوا صَبَاحًا وَلَمْ

يَقُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَإِنَّا اخْتَارُوا صِرْمَهَا صَبَاحًا؛ لِثَلَاثِ يَأْتِي الْمَسَاكِينُ فَيَأْكُلُونَهَا مِنْهَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْرِمِينَ﴾ ١٣١ وَلَا يَسْتَنُونَ ١٣٢ ﴿﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٢]؛ أَيْ: لَمْ يَقُولُوا: إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنَ اللَّهِ فَذَمَّرَهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَنَادَوْا وَذَهَبُوا إِلَيْهَا، فَلَمَّا رَأَوْهَا

قَالُوا: هَذِهِ لَيْسَتْ جَنَّتَنَا ﴿إِنَّا لَمَنَالُونَ﴾ ١٣٣ ﴿﴾ [البقرة: ١٣٢-١٣٣]؛ أَيْ: تَأْتِيهِمْ، وَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى طَرِيقِهَا، ثُمَّ تَأَكَّدُوا

فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ كَرُومُونَ﴾ (٣٧) ﴿الْقِسَّةُ: ٢٧﴾. فَعَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ حُرِّمُوا، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَتْلَفَ هَذِهِ الْجَنَّةَ؛ لِأَن نِّيَتَهُمْ كَانَتْ سَيِّئَةً، حَيْثُ كَانُوا لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُطْعِمُوا مِنْهَا الْمَسَاكِينَ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ نَبِيِّ بِهِ مِنْ كِبَارِنَا فِي السَّنِّ أَنَّ شَخْصِينَ تَقَاسَمَا ثَمَرَ بَسْتَانٍ لِهَمَا، وَأَنَّ أَحَدَهُمَا خَيْرُ الْآخَرِ وَقَالَ لَهُ: اخْتَر. فَقَالَ الْآخَرُ: اخْتَارْ هَذَا الْجَانِبَ الشَّرْقِيَّ؛ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّهُ أَحْسَنُ وَأَكْثَرُ. فَقَالَ الثَّانِي: وَأَنَا اخْتَارَ الْغَرْبِيَّ. وَالْمَلِكُ بَيْنَهُمَا أَنْصَافًا.

ثُمَّ الَّذِي اخْتَارَ الْأَكْثَرَ قَالَ: سَأَجْزُ الثَّمَرَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ؛ لثَلَاثِ يَأْكُلُ مِنْهُ الْفُقَرَاءُ، ثُمَّ وَاعَدَ الَّذِينَ يَجْزُونَ فِي النَّهَارِ فَجَزَوْا لَهُ وَأَخَذَ الثَّمَرَ.

أَمَّا الثَّانِي: فَقَالَ: لَنْ أَجْزَهُ حَتَّى يُفْطِرَ النَّاسُ. فَلَمَّا أَفْطَرُوا قَالَ لَهُمْ: يَا أَهْلَ الْحَيِّ، وَكَانَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي فَقْرٍ شَدِيدٍ: إِنِّي سَأَجْزُ النَّخْلَ فِي الْيَوْمِ الْفَلَائِيَّ بَعْدَ الْعِيدِ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَحْضُرَ فَلْيَحْضُرْ. فَحَضَرَ النَّاسُ وَحَضَرَ الْفُقَرَاءُ، وَامْتَلَأَ الْبَسْتَانُ، وَصَارُوا يَأْكُلُونَ حَتَّى إِنَّ الزَّنَائِلَ امْتَلَأَتْ بِالنَّوَى، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فِي هَذَا الثَّمَرِ الْبَرَكَهَ.

فَلَمَّا عَلِمَ شَرِيكَهُ بِذَلِكَ جَاءَهُ وَقَالَ لَهُ: إِنَّا قَدْ أَخْطَأْنَا فِي الْقِسْمَةِ، وَأَنَا الْآنَ أَدْعِي أَنَّنِي مَغْبُونٌ، إِذْ كَيْفَ يَأْكُلُ النَّاسُ مِنْكَ هَذَا الْأَكْلَ الْكَثِيرَ، وَتَدَّخِرُ مِنَ الثَّمَرِ أَكْثَرَ مِمَّا ادَّخَرْتُ أَنَا، فَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّكَ غَبْسْتَنِي. فَقَالَ لَهُ: نَحْنُ قَدْ قَسَمْنَا جَمِيعًا، وَقَدْ خَيْرْتُكَ فَاخْتَرْتَ نَصِيحَتِكَ مَعْتَقِدًا أَنَّهُ أَكْثَرُ، وَلَكِنْ بَرَكَهُ اللَّهُ ﷻ لِحَدِّ لَهَا. فَقَالَ لَهُ: بَلْ قَدْ غَبْسْتَنِي. ثُمَّ رَفَعَ الْأَمْرَ إِلَى الْقَاضِي، وَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي قَدْ اقْسَمْنَا الثَّمَرَ نِصْفَيْنِ، وَادَّخَرْتُ أَنَا ثَمَرِي وَبَلَغَ مِنَ الزَّنَائِلِ كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ تَأَخَّرَ حَتَّى أَفْطَرَ النَّاسُ، فَجَاءُوا وَأَكَلُوا حَتَّى مَلَأُوا الزَّنَائِلَ بِالنَّوَى، وَمَعَ ذَلِكَ ادَّخَرَ مِنَ الثَّمَرِ أَكْثَرَ مِمَّا ادَّخَرْتُ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّنِي مَغْبُونٌ.

وَلَكِنْ كَانَ الْقَاضِي ذَكِيًّا فَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْكَلْبَةِ﴾ (الْقِسَّةُ: ١٧). وَكَانَهُ يَقُولُ: أَحْمَدُ رَبِّكَ أَنَّكَ حَصَلْتَ هَذَا الثَّمَرَ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ مَا حَصَلُوا شَيْئًا، وَأَنْتَ قُلْتَ: أَجْزَاهَا فِي نَهَارِ رَمَضَانَ لثَلَاثِ يَدْخُلُهَا الْيَوْمَ عَلَيْكَ مَسْكِينٌ، فَهَذَا جَزَاؤُكَ، وَأَمَّا صَاحِبُكَ فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ لَهُ الْبَرَكَهَ، وَبَرَكَهُ اللَّهُ لَا نَهَايَةَ لَهَا. ثُمَّ طَرَدَهُ. وَهَذِهِ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ عِنْدَنَا، وَيُسَمَّى أَصْحَابُهَا فُلَانٌ وَفُلَانٌ، لَكِنْ لَا حَاجَةَ لَذِكْرِهَا.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ قَوْلَهُ ﴿فَانظُرُوا هَوَئِذٍ عَذَابَ الَّذِينَ﴾؛ يَعْنِي: يَسِيرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى لَا يَأْتِيَ إِلَيْهِمُ الْمَسْكِينُ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَجَدُوهَا كَالصَّرِيمِ -سِحَابِ اللَّهِ- وَفِي النَّهْيَةِ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا: ﴿قَالُوا يَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ﴾ (٣٨) ﴿عَنِ رَبِّنَا أَنْ يَبْدُلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (الْقِسَّةُ: ٣١-٣٢). وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ ﷻ أَنَّ اللَّهَ قَدْ يَبْتَلِي الْإِنْسَانَ فِي فَقْدِ مَا يُحِبُّ لِاسْتِقَامَةِ دِينِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الْقِسَّةُ: ٤١).

وَهَذَا الْإِبْتِلَاءُ قَدْ يَكُونُ خَيْرًا لِلْإِنْسَانِ، وَقَدْ يَكُونُ شَرًّا، فَمَنْ النَّاسُ مَنْ إِذَا ابْتُلِيَ فِي دُنْيَاهُ قَوِيَ إِيْمَانُهُ وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، وَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَلِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الْقِسَّةُ: ١١).

وهذا الباب قد عقده المؤلف في أثناء الكلام على كلام الله؛ لِيُبَيِّنَ أن لفظ الإنسان بكلام الله من فعله، فأنت إذا تكلمت بالقرآن إسراراً أو جهراً فهو من فعلك، وفعلك مخلوق.

ومعلوم أن البخاري رحمه الله قد ائتمن في مسألة اللفظ والملفوظ، وهل اللفظ مخلوق أو غير مخلوق، والملفوظ به هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ فأكثر في صحيحه من سياق الأدلة الدالة على أن أقوالنا من أفعالنا، وأفعالنا مخلوقة.

فقوله: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ وَأَجْهَرُوا بِهِ﴾. الإسرار والجهر صفة القول، والذي يُسرُّ أو يَجْهَرُ هو الإنسان المتكلم، إذا فالإسرار والجهر من فعل الإنسان، فيكون مخلوقاً، وما يُسرُّ به أو يَجْهَرُ به فهو إما مخلوق، وإما غير مخلوق، فكلامي معكم الآن مخلوق حتى الملفوظ به، لكن عندما أقرأ القرآن يكون قولي ولفظي مخلوقاً، لكن القرآن غير مخلوق.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٥- حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ زُرَّارَةَ، عَنْ هُشَيْمٍ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ [الأنعام: ١١٠]. قَالَ: نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُخْتَفٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا سَمِعَهُ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾. أَي: بِقِرَاءَتِكَ فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَأَتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١).

قوله: ﴿وَأَتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾؛ يَعْنِي: اطْلُبْ سَبِيلًا بَيْنَ الْإِخْفَاتِ وَالْجَهْرِ.

والشاهد من هذا الحديث: أن الله قال: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أَي: بِقِرَاءَتِكَ الْقُرْآنَ فِي صَلَاتِكَ، وَلَا تُخَافُ بِهَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْجَهْرَ وَالْمَخَافَةَ مِنْ فِعْلِ الْإِنْسَانِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي يُسْرُّ بِهِ أَوْ يُخَافُ بِهِ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٦- حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هُشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ [الأنعام: ١١٠] فِي الدُّعَاءِ (٢).

على هذا الحديث يكون معنى قوله: ﴿بِصَلَاتِكَ﴾؛ أَي: بِدُعَائِكَ، وَلَا مَنَافَاةَ بَيْنَ كَلَامِ عَائِشَةَ وَكَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ قَوْلَ الصَّحَابِيِّ: نَزَلَتْ فِي كَذَا. لَيْسَ صَرِيحاً فِي أَنَّ هَذَا هُوَ سَبَبُ

(١) رواه مسلم (٤٤٦).

(٢) رواه مسلم (٤٤٧).

النزول، بل قد يَكُونُ مراده: نَزَلَتْ في كذا؛ أي: في هذا المعنى.
أما لو قَالَ: سببُ نزولِها أن النبي ﷺ فعل كذا، أو صار كذا فنزلت. فالأوَّلُ صريحٌ في سببِ
النزول، والثاني ظاهرٌ فيه.

وأما الذي في سياق ما ذكره البخاريُّ فلا.

فالصَّورُ إِذَا ثَلَاثُ:

الأولى: أن يَقُولَ الصحابيُّ: سببُ نزولِها كذا وكذا. فهنا يَكُونُ سببُ النزولِ صريحًا.

الثانية: أن يَقُولَ: كان كذا فنزلت. وهذا ظاهرٌ، وليس بصريح.

والثالثة: أن يَقُولَ: نَزَلَتْ في كذا. فهذا مُحْتَمِلٌ أن يَكُونُ المراد: أن هذا سببُ النزول، أو أن هذا من معناه.

وهنا نقُولُ: قولُ عائشة وقولُ ابن عباس، ليس بينهما تنافٍ؛ لأن المعنى: أنها نزلت في كذا؛ أي:

في هذا المعنى، وفي كذا؛ أي: في هذا المعنى.

يَبْقَى علينا ما لو كان كل من اللفظين صريحًا في سببِ النزول، وبينهما اختلافٌ.

نَقُولُ: إن ترجَّحَ أحدهما أَخَذْ به، وإن لم يترجَّحْ فلا مانعَ من تعددِ سببِ النزول، ويَكُونُ ذلك

من بابِ التوكيد والتذكير.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٧- حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي

هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِمَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ». وَزَادَ غَيْرُهُ: «يَجْهَرُ بِهِ».

هذا الحديثُ كالأوَّل؛ لأن تَغَنَّى الإنسانَ بالقرآن؛ أي: جهره بتحسينِ الصوتِ وهو من فعلِه،

فَيَكُونُ مخلوقًا، أما القرآنُ نفسه فإنه ليس بمخلوق.

وقد بيَّنا أن البخاريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ قد فَصَّلَ تفصيلًا بيِّنًا في هذا، وأن الإمامَ أحمدَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ:

لفظي بالقرآن مخلوقٌ. فهو جهميٌّ. وفي رواية عنه: من قَالَ: لفظي بالقرآن مخلوقٌ. يُرِيدُ القرآنَ،

ومن قَالَ: غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدعٌ؛ لأن المحنة التي كانت في زمنِ الإمام أحمدَ غيرَ المحنة التي كانت

في زمنِ البخاريِّ، فالمحنة التي كانت في زمنِ الإمام أحمدَ هي: هل القرآنُ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ؟

والمحنة في زمنِ البخاريِّ كانت: هل لفظُ القرآنِ مخلوقٌ أو لا؟ فبينهما فرقٌ.

فالإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ اللَّهُ رأى الكفَّ عن هذا، وألا يقال: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ،

والبخاريُّ أراد التفصيلَ والبيانَ.

فإن قيل: هناك من أخذ من هذا الحديثِ أن التجويدَ واجبٌ، فما هو الردُّ عليه؟

نَقُولُ: إن من قَالَ بهذا القولِ له شبهةٌ في هذا الحديثِ إذا قَالَ: إن التجويدَ يَتَقَضِي تحسينَ

الصوتِ في القرآنِ، وقراءةُ المجودِ أُلذَّ على السمعِ من قراءةٍ غيرِ المجودِ، والرسولُ نفى أن يَكُونُ منا

من لم يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ تَرَكَ التَّغْنِي يَكُونُ مِنْ كِبَائِرِ الذَّنُوبِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ مِنْ كِبَائِرِ الذَّنُوبِ.

وَلَكِنَّ الْجَوَابَ عَنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ: إِنْ التَّغْنِي أَمْرٌ نَسْبِيٌّ، وَقَدْ بَيَّنَّ الرَّسُولُ ﷺ بِقَوْلِهِ فِيهِمَا رَوَاهُ أَهْلُ السَّنَنِ: «زَيَّنُوا بِالْقُرْآنِ أَصَوَاتَكُمْ». وَأَنْ الْمُرَادَ بِذَلِكَ تَزْيِينُ الصَّوْتِ، وَلَيْسَ صِفَةُ الْأَدَاءِ، وَفَرْقٌ بَيْنَ صِفَةِ الْأَدَاءِ، وَبَيْنَ تَزْيِينِ الصَّوْتِ.

فَالصَّحِيحُ فِي مَسْأَلَةِ التَّجْوِيدِ: أَنَّهُ سَنَّةٌ مَا لَمْ يُؤَدَّ إِلَى التَّكْلِيفِ فَيَكُونُ مَذْمُومًا، وَأَمَّا كَوْنُهُ وَاجِبًا فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ». فَبَيَّنَ اللَّهُ أَنَّ قِيَامَهُ بِالْكِتَابِ هُوَ فِعْلُهُ. وَقَالَ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السِّنِينَ وَالْأَنْدَادَ﴾ [الزمر: ٢٢]. وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: «وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» ﴿٧٧﴾ [٧٧].

يُرِيدُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ سَوْقِهِ لِهَذِهِ الْآيَاتِ أَنْ يُثَبِّتَ بِأَنَّ قِرَاءَةَ الْقَارِئِ مَخْلُوقَةٌ؛ لِأَنَّهَا فِعْلُهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ». أَيُّ: يَقْرَأُهُ فَيَقُومُ بِهِ، فَأُضَافَ الْقِيَامُ إِلَى الْقَارِئِ.

وَقَالَ أَيْضًا: «وَرَجُلٌ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا فَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ». فَجَعَلَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فِعْلًا.

ثُمَّ قَالَ: فَبَيَّنَ اللَّهُ. وَفِي نَسَخَةٍ: فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ قِرَاءَتَهُ الْكِتَابِ هُوَ فِعْلُهُ.

فَإِنَّ كَانَتِ النُّسخَةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ: - فَبَيَّنَ اللَّهُ - فَإِنَّ فِيهَا إِشْكَالًا، لِأَنَّ الْمَبِينَ هُنَا هُوَ الرَّسُولُ ﷺ، لَكِنْ يُقَالُ: إِنَّ بَيَانَ الرَّسُولِ ﷺ إِذَا أَقَرَّهُ اللَّهُ فَهُوَ كِبْيَانُهُ.

وَإِذَا كَانَتِ النُّسخَةُ الَّتِي فِيهَا: فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ، هِيَ الصَّحِيحَةُ فَلَا إِشْكَالَ.

ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السِّنِينَ وَالْأَنْدَادَ﴾. فَذَكَرَ اخْتِلَافَ اللَّسَانِ وَاللَّوْنِ، أَمَّا اخْتِلَافُ اللَّوْنِ فَهُوَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَأَمَّا اخْتِلَافُ اللَّسَانِ فَهُوَ مِنْ فِعْلِهِ، وَلِهَذَا إِذَا عَاشَ الْإِنْسَانُ فِي بَيْتَةٍ عَرَبِيَّةٍ صَارَ لِسَانُهُ عَرَبِيًّا، وَإِذَا عَاشَ فِي بَيْتَةٍ أَعْجَمِيَّةٍ صَارَ لِسَانُهُ أَعْجَمِيًّا، وَإِذَا شَاءَ رَفَعَ صَوْتَهُ وَإِذَا شَاءَ لَمْ يَرْفَعْ.

وَصُورُ اخْتِلَافِ الْأَلْسِنِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

اللُّغَةُ، وَمِنْهَا الصَّوْتُ، وَمِنْهَا الْبَيَانُ وَالْفَصَاحَةُ، وَمِنْهَا سَهُولَةُ النَّطْقِ، فَكُلُّ هَذَا يَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ:

﴿وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْأَنْدَادَ﴾.

ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: «وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ». وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِنَ الْخَيْرِ، فَتَكُونُ مَفْعُولَةً، أَمَّا الْقُرْآنُ الْمَقْرُوءُ فَلَيْسَ مَخْلُوقًا.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٢٨- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَهُوَ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ».

٧٥٢٩- حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ»^(١).

سَمِعْتُ سُفْيَانَ مَرَّارًا لَمْ أَسْمَعْهُ يَذْكُرُ الْخَبَرَ وَهُوَ مِنْ صَحِيحِ حَدِيثِهِ. الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ: «فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ». فَعُلُ الْأَوَّلِ هُوَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ تِلَاوَتَهُ لِلْقُرْآنِ فِعْلًا، وَفَعُلَ الْعَبْدُ مَخْلُوقًا.

وقوله: «لَا تَحَاسَدُوا إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ». الحسدُ نوعان:

حسدُ غبطةٍ، وحسدُ عدوانٍ.

أما حسدُ الغبطةِ فهو أن يَمْنَى الإنسانُ بِمِثْلِ مَا أُعْطِيَ الْآخَرُ. فهذا محمودٌ إذا كان في الخير، وقد أَرشَدَ اللَّهُ إِلَى ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٢]؛ يَعْنِي: قُولُوا: اللَّهُمَّ أَعْطِنَا مِثْلَ مَا أُعْطِيََتْ فَلَانًا. وَلَا تَحْسِدُوهُ.

أما حسدُ العدوانِ فقد فَسَّرَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّهُ: تَمَنَّى زَوَالِ نِعْمَةِ الْغَيْرِ سِوَاءَ تَمَنِّيَتْ أَنْ تَزُولَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، أَوْ أَنْ تَزُولَ مِنْهُ إِلَى غَيْرِ أَحَدٍ، أَوْ أَنْ تَزُولَ مِنْهُ إِلَى نَفْسِكَ. وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: الْحَسَدُ كَرَاهَةٌ مَا أُعْطِيَ اللَّهُ غَيْرَكَ مِنَ النِّعَمِ^(٢) سِوَاءَ تَمَنِّيَتْ الزَّوَالُ أَمْ لَمْ تَتَمَنَّ، وَهَذَا أَقْرَبُ، فَإِذَا اغْتَمَمْتَ بِمَا يُعْطِي اللَّهُ غَيْرَكَ مِنَ النِّعَمِ فَهَذَا هُوَ الْحَسَدُ، وَإِذَا فَرِحْتَ بِمَا أُعْطِيَ اللَّهُ غَيْرَكَ مِنَ النِّعَمِ، وَسَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يُعْطِيكَ مِثْلَهُ، فَهَذَا هُوَ حَسَدُ الْغِبْطَةِ وَهُوَ مَحْمُودٌ إِذَا كَانَ فِي الْخَيْرِ.

إِذَا: الْحَسَدُ نَوْعَانِ: حَسَدُ غِبْطَةٍ وَحَسَدُ عَدْوَانٍ، فَحَسَدُ الْغِبْطَةِ مَحْمُودٌ إِذَا كَانَ فِي الْخَيْرِ، وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى الْإِنْسَانُ مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ فَلَانٌ.

وَأَمَّا حَسَدُ الْعَدْوَانِ فَهُوَ عَدْوَانٌ لَا يَجُوزُ، وَهُوَ مِنْ أَخْلَاقِ الْيَهُودِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ

(١) رواه مسلم (٨١٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/١١١).

أَهْلَ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ﴿١٠٩﴾.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٦ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ

رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وَقَالَ الزَّهْرِيُّ: مِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمْ أَنْ تَأْتِلُوا رَسُولَكُمْ رَبِّكُمْ﴾ [التوبة: ٢٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي﴾ [الأنعام: ٦٧].

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ حِينَ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِذَا أُعْجِبَكَ حُسْنُ عَمَلِ امْرِئٍ فَقُلْ: اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلَا يَسْتَخَفُّكَ أَحَدٌ.

وَقَالَ مَعْمَرٌ: ﴿ذَلِكَ أَنْ كُتِبَ﴾: هَذَا الْقُرْآنُ. ﴿هُدًى لِمَنْ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٠]: بَيَانٌ وَدَلَالَةٌ. كَقَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠]. هَذَا حُكْمُ اللَّهِ. ﴿لَا رَيْبَ﴾ [التوبة: ٢٠]: لَا شَكَّ. ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾

[التوبة: ٢٠٢]: يَعْنِي هَذِهِ أَعْلَامُ الْقُرْآنِ، وَمِثْلُهُ: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ وَجَّهْنَا بِكُمْ﴾ [التوبة: ٢٠٢]: يَعْنِي: بِكُمْ.

وَقَالَ أَنَسٌ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَالَه حَرَامًا إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ: أَنْتُمْ نُوْنِي أَبْلُغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ.

هَذَا الْبَابُ أَيْضًا يُرِيدُ مِنَ الْبَخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يُقَرَّرَ أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ.

❖ قَوْلُهُ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾. الرُّسُولُ هُوَ

مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَمْ يَقُلْ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ؛ لِأَنَّ الْمُنَاسَبَ لِلْبَلَاغِ هُوَ الْوَصْفُ بِالرُّسُولِ ﴿يَلْفُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

رَبِّكَ﴾. وَذَلِكَ بَأَن تَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ. ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾. فَجَعَلَ إِبْلَاغَهُ لِلنَّاسِ فِعْلًا،

وَفِعْلُ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ.

❖ ثُمَّ قَالَ: «وَقَالَ الزَّهْرِيُّ: مِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ». هَذِهِ كَلِمَاتٌ جَيِّدَةٌ.

وَهَذَا مِنْ حَسَنِ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ حَيْثُ قَالَ: مِنَ اللَّهِ الرِّسَالَةُ. وَلَمْ يَقُلْ: عَلَى اللَّهِ الرِّسَالَةُ. مَعَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ: ﴿إِنْ عَيْنَا

لَهُدًى﴾ [التوبة: ١٧]. فَأَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ الْهُدَايَةَ، وَلَا هُدَايَةَ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَكِنْ هَذَا

مِنَ الزَّهْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْأَدَبِ.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَلَاغُ». وَالْبَلَاغُ مِنْ فِعْلِهِ فَيَكُونُ مَخْلُوقًا.

❖ وَقَوْلُهُ: «وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ». أَيِ: التَّسْلِيمِ بِمَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الرِّسَالَةُ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ التَّصَدِيقُ؛

لِأَنَّ التَّسْلِيمَ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي، وَالتَّصَدِيقُ لِلْأَخْبَارِ، وَكُلُّهَا وَاجِبَةٌ عَلَيْنَا، فَعَلَيْنَا أَنْ نَقْبَلَ وَعَلَيْنَا أَنْ

نُسَلِّمَ، وَلَا نَعْتَرِضَ، وَلَا نَقُولَ: لِمَ؟ بَلْ نَقُولَ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.

❖ ثُمَّ قَالَ: «وَقَالَ: ﴿لَعَلَّكُمْ أَنْ تَأْتِلُوا رَسُولَكُمْ رَبِّكُمْ﴾». قَوْلُهُ: وَقَالَ. لَا يَعُودُ عَلَى الزَّهْرِيِّ، بَلْ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ

ﷻ. وَفِي هَذَا إِشْكَالٌ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ؛ لِأَنَّهُ عَطَفَ فِعْلًا عَلَى اسْمٍ، حَيْثُ قَالَ: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ». ثُمَّ

قَالَ: «وقال تعالى». ثم قَالَ: «وقال». ولم يَقُلْ أَيضًا: «قَالَ اللَّهُ»، لكن يُوجَدُ نسخةٌ فيها: «وقال الله تعالى». وحينئذٍ يزُولُ الإشكالُ.

﴿يَقُولُ: «وقال: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَتَلَفُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾. الشاهدُ في هذا قوله: ﴿أَتَلَفُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾. والبلاغُ فعلُ المُبْلَغِ.

﴿ثم قَالَ: «وقال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي﴾. والتبليغُ فعلُهُ.

﴿ثم قَالَ: «وقال كعبُ بنُ مالكٍ حينَ تَخَلَّفَ عن النَّبِيِّ ﷺ: وسيرى اللهَ عملكم ورسوله. وقالت عائشة: إذا أعجبك حسنُ عملِ امرئٍ فقلِ اعملوا فسيرى اللهَ عملكم ورسوله والمؤمنون، ولا يَسْتَخِفُّكَ أَحَدٌ». ومن العملِ قراءةُ القرآنِ.

فإن قَالَ قائلٌ: هل في أثرِ عائشةَ هذا دليلٌ لمن يَضَعُونَ هذه الآيةَ وهي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. في المحافلِ والمناسباتِ وذلك في معرضِ الشناء؟

نَقُولُ: إن صحَّ الأثرُ عنها فإن فيه دليلٌ على أن ما نراه في المحافلِ مبنيٌّ على هذا الأثرِ، لكن سياقَ الآيةِ ليس في معرضِ الشناء بل هو في معرضِ التهديدِ.

قَالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

زعم مغلطائي أن عبدَ الله بنَ المباركٍ أَخْرَجَ هذا الأثرَ في كتابِ البرِّ والصلَةِ عن سفيانَ، عن معاويةَ بنِ إسحاقَ، عن عروةَ، عن عائشةَ. وقد وَهَمَ في ذلك، وإنما وَقَعَ هذا في قصةِ ذَكرها البخاريُّ في كتابِ خَلْقِ أفعالِ العبادِ من روايةِ عَقِيلٍ، عن ابنِ شهابٍ، عن عروةَ، عن عائشةَ قَالَتْ: وَذَكَرْتُ الَّذِي كَانَ مِنْ شَأْنِ عَثْمَانَ: وَدِدْتُ أَنِي كُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًا، فَوَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يَنْتَهَكَ مِنْ عَثْمَانَ أَمْرٌ قَطُّ إِلَّا أَنْتَهَكَ مِنِّي مِثْلُهُ، حَتَّى وَاللَّهِ لَوْ أَحْبَبْتُ قَتْلَهُ لَقَتَلْتُ، يَا عبيدَ اللَّهِ بنَ عدي لا يُعَزِّتُكَ أَحَدٌ بَعْدَ الَّذِي تَعْلَمُ، فَوَاللَّهِ مَا اخْتَقَرْتُ مِنْ أَعْمَالِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَجِمَ النَّفَرُ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي عَثْمَانَ فَقَالُوا قَوْلًا لَا يَحْسُنُ مِثْلُهُ، وَقَرَأُوا قِرَاءَةً لَا يَحْسُنُ مِثْلُهَا، وَصَلَّوْا صَلَاةً لَا يُصَلِّي مِثْلُهَا، فَلَمَّا تَدَبَّرْتُ الصَّنِيعَ إِذَا هُمْ وَاللَّهِ مَا يُقَارِبُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَعْجَبَكَ حَسَنُ قَوْلِ امْرِئٍ فَقُلْ: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ أَحَدٌ.

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ رِوَايَةِ يُونُسَ بنِ يَزِيدَ، عَنِ الزَّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ: اخْتَقَرْتُ أَعْمَالِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَجِمَ الْقُرَاءُ الَّذِينَ طَعَنُوا عَلَى عَثْمَانَ فَذَكَرْتُ نَحْوَهُ وَفِيهِ: فَوَاللَّهِ مَا يُقَارِبُونَ عَمَلَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أَعْجَبَكَ حَسَنُ عَمَلِ امْرِئٍ مِنْهُمْ فَقُلْ: اْعْمَلُوا... إِلَى آخِرِهِ.

وَالْمَرَادُ بِالْقُرَاءِ الْمَذْكُورِينَ الَّذِينَ قَامُوا عَلَى عَثْمَانَ، وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ أَشْيَاءَ اعْتَذَرَ مِنْ فَعْلِهَا، ثُمَّ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ ثُمَّ خَرَجُوا بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى عَلِيٍّ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَخْبَارُهُمْ مَفْصَلَةً فِي كِتَابِ الْفِتَنِ. وَدَلَّ سِيَاقُ الْقِصَّةِ عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْعَمَلِ مَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، فَسَمَتْ كُلَّ ذَلِكَ عَمَلًا.

﴿وَقَوْلُهَا فِي آخِرِهِ: «وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ»﴾. بالخاء المعجمة المكسورة، والفاء المفتوحة، والنون المثقلة للتأكيد، قال ابنُ التين، عن الداودي: معناه: لا تَغْتَرَّ بمدح أحدٍ وحاسب نفسك.

والصوابُ ما قاله غيره أن المعنى: لا يَغُرَّنَّكَ أَحَدٌ بعمله فَتَظُنَّ به الخيرَ، إلا إن رأيته واقفاً عند حدودِ الشريعة. اهـ

فَتَبَيَّنَ من شرح الحافظِ رَحِمَهُ اللهُ: أنها **﴿عَلَى﴾** لم تُكُنْ تُرِيدُ الثناء بل تُرِيدُ التهديدَ، وأنه ليس في هذا الأثر دليلٌ لما يَقَعْلُهُ بعضُ الناسِ اليومَ من وضعٍ وتعليقٍ هذه الآية في المحافلِ والمناسباتِ بغرضِ الثناء، بل مرادها **﴿عَلَى﴾** أنه إذا أعجَبَكَ حسنُ عملِ امرئٍ من هؤلاءِ الخوارجِ، الذين خرجوا على عثمانٍ ثم على عليٍّ، فقل: **﴿أَعْمَلُوا فَسَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**. فيكونُ تهديداً وليس ثناءً. ولهذا قالت: ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ أَحَدٌ؛ يعني: لا يَغُرَّنَّكَ صلاته، وصيامه، وصدقته، فَتَظُنُّ به خيراً.

﴿ثم قال: «وقال معمرٌ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾: هَذَا الْقُرْآنُ. ﴿هَذِي لَتَمَتَيْنِ﴾ [٢: ٢٠٢]: بَيَانٌ وَدَلَالَةٌ»﴾. قوله: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾**: هَذَا الْقُرْآنُ. والتفسير هنا فيه شيءٌ من النظر؛ لأنه فسّر اسمَ الإشارةِ للبعيدِ باسمِ الإشارةِ للقريبِ، وهذا يُؤدِّي إلى اختلافِ المعنى؛ لأن قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾**. مع أنه بين أيدينا وقريبٌ منا فيه بلاغةٌ هي الإشارةُ إلى علوِّ مكانه، فهو لعلوِّ مكانه كأنه بعيدٌ، ثم إن من عادةِ العربِ أن الإشارةَ بالبعيدِ تُفيدُ تعظيمَ المشارِ إليه، فنقولُ مثلاً: فلانُ ذلك الرجلُ الذي فيه كذا وكذا.

فالصوابُ: أن نقولَ: ذلك الكتابُ. أي: ذلك القرآنُ.

﴿ثم قال: ﴿هَذِي لَتَمَتَيْنِ﴾ [٢: ٢٠٢]: بَيَانٌ وَدَلَالَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللهِ﴾ [١٠٠: ١]. هَذَا حُكْمُ اللهِ. يُشِيرُ إلى أن هذه الإشارةَ لا تَقْتَضِي بُعدَ المشارِ إليه عنا حساً، لكنها تَقْتَضِي عُلُوَّهُ معنًى. وقوله: **﴿لَا رَيْبَ﴾** [٢: ٢٠٢]: لَا شَكَّ. فسّر فيه الريبَ بالشكِّ وهذا تفسيرٌ مقاربٌ، لكن الريبَ أشدُّ من الشكِّ، قال شيخُ الإسلامِ رَحِمَهُ اللهُ في «مقدمة التفسير»: الريبُ أشدُّ من الشكِّ؛ لأنه شكٌّ بقلبي، والشكُّ يكونُ بلا قلبي.

لكن العلماءَ يُفسِّرونَ الشيءَ بما يُقَرِّبُهُ إلى الأذهانِ وإن كان هناك اختلافٌ يسيرٌ.

ثم قالَ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** [٢٠٢: ٢٠٢]: يَعْنِي هَذِهِ أَعْلَامُ الْقُرْآنِ. و«تلك» إشارةٌ للبعيدِ، و«هذه» للقريبِ.

ثم قالَ: وَمِثْلُهُ: **﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكَ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾** [٢٠٢: ٢٠٢]. يَعْنِي: بِكُمْ. ففيها التفاتٌ، إذ كان ظاهرُ السياقِ أن يُقالَ: وَجَرَيْنَ بِكُمْ. لكنَّ فيه التفاتاً من الخطابِ إلى الغيبِ.

والالتفاتُ في القرآنِ موجودٌ منه، من الخطابِ إلى الغيبةِ، ومن الضميرِ إلى الظاهرِ، ومن الغيبةِ إلى المتكلمِ، وفائدةُ الالتفاتِ العامةُ -التي تُشَمَلُ كلُّ التفاتِ- هي تنبيهُ المخاطَبِ؛ لأن الكلامَ إذا كان على نسقٍ قريباً يَنَامُ المخاطَبُ، ولا سيما إن طالَتِ المدةُ أو الجلسةُ، لكن إذا اختلفَ النسقُ فكأنه يَفَرُّعُهُ بشيءٍ لِيَتَبَه.

فهنا لما قَالَ سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾. فسيقول السامع لماذا لم يقل: وجرين بكم. فَيَسْتَبْهِهُ الإنسان، وهذا فيما إذا كان الإنسان يَفْهَمُ المعنى، أما من لا يَفْهَمُ المعنى فالأمر عليه واحد، سواء التفت أم لم يَلْتَفِتْ، لكن إذا كان يَفْهَمُ المعنى فسوف يَفْهُدُ عندما يَكُونُ هناك التفتُ وَيَسْتَبْهِهُ.

❁ وقوله: ﴿الْفُلْكِ﴾. يقولون إنها كلمة يَسْتَوِي فيها الجماعة والواحد. قَالَ اللهُ تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ﴾ وهذا للجماعة. وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرٍ﴾ [التكوير: ٣٢]. فهذه لواحد، ولم يقل (ليجرين).

وأعجبني مرة في الفقه قول بعض الفقهاء: إذا كان الرجل أحذب فإنه ينوي الركوع بقلبه دون إحداث فعل لأنه راعى، والأحذب هو محني الظهر، وهذا يَكُونُ غالباً في الكبار. قَالَ ابن عقيل: كَفُلِّكُ في العربية؛ ذلك لأن «فلك» تَصْلُحُ للجماعة والواحد، وانحناء هذا الرجل يَصْلُحُ للركوع والقيام.

فانظر كيف جمع بين النحو والفقه. ويُقَالُ: إن الكِسَائِيَّ وأبا يوسفَ كانا عند هارون الرشيد - وكان الكِسَائِيَّ يقول: إذا أَتَقَنْتُ فنأ من العلوم اسْتَعْنَيْتَ به عن غيره - فاختبره أبو يوسف وقال له: ما تقول فيما إذا سها الإنسان في سجود السهو؟ قَالَ: أقول إنه إذا سها في سجود السهو فلا سهو عليه. فقال: ومن أين أخذت هذا من علمك - والكِسَائِيَّ إمام النحو - فقال: أخذته من قاعدة أن المصغر لا يَصْغُرُ، وسجود السهو بالنسبة للصلاة مصغر.

قد تكون هذه الحكاية صحيحة، وقد تكون غير صحيحة، فإن كانت صحيحة فهذه من ظرافة الكسائي، وإلا فالواقع أن العلوم لا يُعْنِي بعضها عن بعض، ولكن لا شك أن الذي يَكُونُ عنده قوة في علم من العلوم فإنه يَسْهَلُ عليه بقیة العلوم الأخرى.

ومراد البخاري رَحِمَهُ اللهُ من سوق كلام معمر هذا أن يَضْرِبَ أمثلة لكون الكلام يَجْرِي على خلاف ظاهره، كتفسير قوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ كُتِبَ﴾ بـ «هذا القرآن».

ثم قَالَ: وقال أنس: بعث النبي ﷺ خاله حراماً إلى قومه وقال: أتؤمنوني بأبلغ رسالة رسول الله ﷺ فجعل يُحَدِّثُهُمْ.

قَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٥٠٦/١٣):

❁ قوله: «قَالَ أنس: بعث النبي ﷺ خاله حراماً إلى قومه وقال: أتؤمنوني بأبلغ رسالة رسول الله ﷺ فجعل يُحَدِّثُهُمْ». هذا طَرَفٌ من حديث وصله المؤلف في الجهاد من طريق همام، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس قَالَ: بعث النبي ﷺ أقواماً من بني سليم إلى بني عامر في سبعين ركباً، فلما قَدِمُوا قَالَ لهم خالي: أتقدمكم فإن آمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ، وإلا كتتم قريباً مني. فتقدم فأمنوه، فبينما هو يُحَدِّثُهُمْ عن النبي ﷺ، فذكر القصة.

ولفظه في المغازي عن أنس: فانطلق حراماً أخو أم سليم فذكره وفيه: وإن قتلوني أيتيم

أصحابكم، فقال: أَتُؤْمِنُونِي أَبْلُغُ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُمْ، وَأَمَّا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَأَنَاهُ فِطْعَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ. الْحَدِيثُ. وَسَيَاقُهُ فِي الْمَغَازِي أَقْرَبُ إِلَى اللَّفْظِ الْمَعْلُوقِ هُنَا. وَفِي السِّيَاقِ حَذْفُ تَقْدِيرِهِ بَعْدَ قَوْلِهِ أَتَيْتُمْ أَصْحَابَكُمْ: فَأَتَى الْمَشْرُوكِينَ فَقَالَ: أَتُؤْمِنُونِي. اهـ

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٠- حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ يَعْقُوبَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ الرَّقِّي، حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيُّ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيُّ، وَزِيَادُ بْنُ جَبْرِ بْنِ حَبَّ، عَنْ جَبْرِ بْنِ حَبَّ، قَالَ الْمُغِيرَةُ: أَخْبَرَنَا نَبِيْنَا ﷺ عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا أَنَّهُ مَنْ قِيلَ مِنَّا صَارَ إِلَى الْجَنَّةِ.

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهُ: «أَخْبَرَنَا عَنْ رِسَالَةِ رَبِّنَا»، وَإِخْبَارُهُ مِنْ فَعْلِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣١- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا. وَقَالَ مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَلَا تُصَدِّقْهُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦٧].

الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾. مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ كَانَ يَتْلُو الْقُرْآنَ تِلَاوَةً.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ:

٧٥٣٢- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُرْحَبِيلٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَدْعُو اللَّهَ نِدَاءً وَهُوَ خَلْقَكَ». قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَافَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قَالَ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ [التَّوْبَةُ: ٦٨-٦٩] الْآيَةُ (١).

هَذَا الْحَدِيثُ أَيْضًا تَأْكِيدٌ لِأَنَّ أَفْعَالَ الْإِنْسَانِ مَخْلُوقَةٌ حَتَّى وَلَوْ كَانَ يَنْطَلِقُ بِالْقُرْآنِ.

وهذا الحديث فيه أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ - أَوْ أَكْبَرُ - عِنْدَ

الله؟ وفي حديث آخر سأل: أي العمل أحبُّ إلى الله؟^(١) مما يدلُّ على حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة الأحبِّ إلى الله، والأكبر عنده سبحانه من الذنوب؛ حتى يفعلوا الأحبَّ، ويتركوا الأعظم، وإن كانوا رضي الله عنهم يتركون - بقدر استطاعتهم - من الذنوب ما هو أعظم، وما هو دون ذلك، لكن الأعظم يكونون أشدَّ منه هرباً.

وقد أنزل الله تصديق ذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٧ - باب قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ [التوبة: ١١٣]. وقول النبي ﷺ: «أُعْطِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ التَّوْرَةُ فَعَمِلُوا بِهَا، وَأُعْطِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ، وَأُعْطِيَ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ».

الشاهد من هذا الحديث قوله: «فَعَمِلْتُمْ بِهِ». فسمي التمسك بالتوراة والإنجيل والقرآن عملاً، وسمي التوراة والإنجيل والقرآن إيتاء، وهذا كما ذكرنا يدلُّ على أن ذلك من فعل العبد؛ لأن العمل بالتوراة يشمل تلاوة التوراة، وكذلك الإنجيل، وكذلك القرآن.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾. هذه الآية نزلت عند قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ﴾ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا. والمقصود من ذلك تكذيب اليهود في منعهم النسخ، فإن هذا صريح في النسخ، فإن إسرائيل قد حرم على نفسه شيئاً، ثم نزلت التوراة بحله، وهذا يدلُّ على أن النسخ جائز عقلاً وواقعاً شرعاً. واليهود إنما منعوا النسخ ليسوغوا تكذيبهم لعيسى، ثم تكذيبهم لمحمد؛ لأنهم قالوا: الشرائع لا تنسخ، فالنسخ طعن في الله ﷻ؛ لأنه يلزم منه البداء؛ أي: أنه بدا له غير ما كان عنده أولاً، كما لو أمرت خادمك أن يفعل شيئاً ثم بدا لك أنه ليس بمناسب فنهيت عنه، فلهذا منعوا النسخ.

ولكن نقول لهم: إن النسخ ثابت حتى في التوراة، وفي جميع الشرائع، ولا يلزم منه البداء على الله، وهو الظهور بعد الخفاء؛ لأن الله عالم بالحكم الناسخ والحكم المنسوخ، لكن حكمة الله ﷻ تقتضي أن يعمل بالمنسوخ في وقته، وبالناسخ في وقته، والأمر يختلف حالها، وتختلف أيضاً فيما بينها، فقد يحرم على أمة ما يحلل لغيرها، وقد يوجب عليها ما لا يوجب على غيرها، ولهذا وصف الله النبي ﷺ بأنه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأنعام: ١٠٧].



ثُمَّ قَالَ النَّجَّارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ أَبُو رَزِينٍ: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ: يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ. يُقَالُ: يُتْلَى: يُقْرَأُ، حَسَنُ التَّلَاوَةِ: حَسَنُ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ. لَا يَمَسُّهُ: لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا الْمُؤَقِّنُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٥٠].

قوله: «وقال أبو رزِين: يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ: يَتَّبِعُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ». التلاوة للقرآن.

تَنْقَسِمُ إِلَى قَسَمَيْنِ:

تلاوة لفظية، وتلاوة اتباع.

أما التلاوة اللفظية فظاهرة وهي أن يقرأ الإنسان القرآن، فهذا يُقَالُ: تلا القرآن.

وتلاوة التبعية: هي أن يتبع القرآن تصديقاً بأخباره، وامتنالاً لأحكامه، وهذه هي الثمرة والغاية،

وقد استدلل المؤلف لذلك بها ذكره عن أبو رزِين.

ثم استدلل للمعنى الثاني للتلاوة وهو القراءة، فقال: يُتْلَى: يُقْرَأُ. حَسَنُ التَّلَاوَةِ: حَسَنُ الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ، لَا يَمَسُّهُ: لَا يَجِدُ طَعْمَهُ وَنَفْعَهُ إِلَّا مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا يَحْمِلُهُ بِحَقِّهِ إِلَّا الْمُؤَقِّنُ. وَلَكِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٧٩]. الصحيح أن الضمير فيه يعودُ على الكتاب المكنون لا على القرآن؛ لأن الضمير يعودُ إلى أقرب مذكور، ولأن الجملة خبرية وليست طلبية، ومعلوم أن القرآن يَمَسُّهُ الْمُطَهَّرُونَ وَغَيْرُهُ.

وأما من قال: إن الضمير يعودُ على القرآن، وأن المراد: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾؛ أي: الذين تطهروا. فهذا ليس بصحيح؛ لأنه لو كان الأمر كذلك لقال: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٢٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [التَّوْبَةُ: ٦].

فالصحيح أن الضمير في قوله تعالى: ﴿يَمَسُّهُ﴾ يعودُ إلى الكتاب المكنون.

ثم إن المؤلف أشار إلى أن المسَّ قد يكونُ حسيًّا وذلك باليد، وقد يكونُ معنويًّا وذلك بالقلب، فلا يجد طعم الإيمان، ولا يصل إلى عظمته، ويتنفع به إلا من آمن به.

ثُمَّ قَالَ: لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [التَّوْبَةُ: ٥٠].

وهؤلاء هم اليهود، فقد خُمِلُوا التَّوْرَةَ بتعليمهم إياها، وتنزيلها عليهم ولكنهم لم يَحْمِلُوهَا؛ أي: لم يَقُومُوا بِحَقِّهَا، فمثلهم كمثل الحمار يَحْمِلُ أَسْفَارًا؛ أي: يحمل كتبًا، فإنه لا يَنْتَفِعُ بها، فهو لَمَّا خُمِلُوا التَّوْرَةَ ولكن لم يَعْمَلُوا بها صاروا كمثل الحمار، وشبههم بالحمار؛ لأن الحمار أبلد الحيوانات. ثم قال: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التَّوْبَةُ: ٥٠]. قوله:

﴿بِئْسَ﴾. هذا فعل جامد لإنشاء الذم، وقوله: ﴿مَثَلُ﴾. فاعل، والمخصوصُ محذوف؛ أي: بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ مَثَلُهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. هذه الجملة فيها دليل على أنهم ظلموا أنفسهم فَحَرَمُوا الهدى، وفيها أيضاً تحذير الإنسان من الظلم، وأن الإنسان إذا ظلم حَرَمَ الهدى - والعياذُ بالله - وإذا اهتدى زاده الله هُدى.

والمقصود من هذا الباب أن قراءة القارئ من الأشياء المخلوقة؛ لأنها فعله، والإنسان وفعله مخلوقان، وأما المقروء فإنه كلام الله ﷻ غير مخلوق.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ:

وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالصَّلَاةَ عَمَلًا^(١). قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِبَلَالٍ: «أَخْبِرْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ إِلَّا صَلَّيْتُ. وَسُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ». كُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَمَلَ الْعَبْدِ مِنْ فِعْلِهِ وَكَسْبِهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ.

وقوله: «إِنَّ الْإِيمَانَ يُسَمَّى عَمَلًا». ذلك كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٣]. قَالَ الْعُلَمَاءُ: صَلَاتُكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ^(٢). وَهِيَ عَمَلٌ، وَقَدْ سَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا حِينَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ». وَالْإِيمَانُ لَا شَكَّ أَنَّهُ إِقْرَارُ الْقَلْبِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى الْإِيمَانِ مِنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، فَهُوَ عَمَلُ الْقَلْبِ.

وَهَلْ نَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ مَخْلُوقٌ؟

نَقُولُ: الْإِيمَانُ مَخْلُوقٌ لَا شَكَّ؛ لِأَنَّهُ إِقْرَارُ الْقَلْبِ واعترافه، فهو صفةٌ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ بِصِفَاتِهِ مَخْلُوقٌ.

لَكِنْ مَا يُؤْمَنُ بِهِ يَنْقَسِمُ إِلَى مَخْلُوقٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقٍ، فَالرَّبُّ ﷻ يُؤْمَنُ بِهِ وَهُوَ ﷻ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ، فَهُوَ الْخَالِقُ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَالْمَلَائِكَةُ يُؤْمَنُ بِهِمْ وَهُمْ مَخْلُوقُونَ، وَالرُّسُلُ مَخْلُوقُونَ، وَالْكِتَابُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَالْقَدَرُ الَّذِي هُوَ تَقْدِيرُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِهِ، فَالْمَهْمُ أَنَّ الْإِيمَانَ نَفْسَهُ الَّذِي هُوَ إِيمَانُ الْعَبْدِ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَاتِهِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ بِهِ فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى مَخْلُوقٍ وَغَيْرِهِ، حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الْأَدَلَةُ الشَّرْعِيَّةُ.

(١) أما تسمية النبي ﷺ للإيمان والإسلام عملاً فكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟». وهو مسند عند البخاري في «صحيحه» برقم (٢٦).

(٢) «التخليق» (٥/ ٣٧٠).

(٢) انظر «تفسير الطبري» (٢١/ ١٧، ١٨) و«الدر المنثور» (١/ ٣٥٣).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٣- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَالِمٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَةِ فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِرَاطًا قِرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صُلِيَ الْعَصْرُ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِرَاطًا قِرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَتْ الْقُرْآنَ فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأُعْطِيَتْ قِرَاطَيْنِ قِرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: هَؤُلَاءِ أَقَلُّ مِنَّا عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا. قَالَ اللَّهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مَنْ أَشَاءَ».

الشاهد من هذا الحديث قوله: «فعملوا بها»؛ أي: بالتوراة، وفي الإنجيل قال: «عملوا به». وفي القرآن قال: «عملتم به». ومن العمل به تلاوته، فتكون التلاوة عملاً، ويكون التملُّو هو كلام الله غير مخلوق.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٨- بَابُ وَاسَمَى النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ عَمَلًا^(١). وَقَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَفْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ».

قوله: وقال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب». الفاتحة من الصلاة، بل هي ركن في الصلاة، فتدخل في كون قراءة الفاتحة عملاً، وهذا هو المقصود من أن فعل الإنسان مخلوق، وأما مفعوله فمنه المخلوق، ومنه غير المخلوق.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٤- حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْوَلِيدِ. ح. وَحَدَّثَنِي عَبْدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَسَدِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ بْنُ الْعَوَّامِ، عَنْ الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ الْعِزَّارِ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ لَوْ قُتِلَتْ، وَبُرِّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

السائل في هذا الحديث هو ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما جاء مصرحاً به قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة لوقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». وهذا السياق أنتم ما ذكره المؤلف.

والشاهد من هذا الحديث: أن الرسول ﷺ سَمَّى الصَّلَاةَ عَمَلًا، والصلاة فيها قراءة قرآن.

(١) وذلك كما في حديث الباب برقم (٧٥٣٤).

(٢) رواه مسلم (٨٥) (١٣٧).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٩- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ ① إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ② وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا

① [المائدة: ١٩-٢١]. هَلُوعًا: ضَجُورًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾. الْإِنْسَانُ هُنَا اسْمُ جِنْسٍ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ② [المائدة: ٢٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿خُلِقَ﴾؛ أَي: خَلَقَهُ اللَّهُ، ﴿هَلُوعًا﴾؛ أَي: غَيْرَ صَبُورٍ، بَلْ هُوَ ضَجُورٌ يَتَضَجَّرُ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.

فَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزِعَ. وَمِنَ الشَّرِّ الْفَقْرُ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ وَمِنَ الْغِنَى كَانَ مَنُوعًا، فَيَتَضَجَّرُ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا يَتَضَجَّرُ مِنْ نَفْسِهِ، ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ③ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ④ إِلَى آخِرِ أَوْصَافِهِمْ.

وَمُنَاسِبَةُ الْبَابِ لِلترجمة قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (٥١١/١٣):

قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: مَرَادُهُ فِي هَذَا الْبَابِ إثباتُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْإِنْسَانِ بِأَخْلَاقِهِ مِنَ الْهَلَعِ وَالصَّبْرِ وَالْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ، وَقَدْ اسْتَشْنَى اللَّهُ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ لَا يَتَضَجَّرُونَ بِتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِمْ، وَلَا يَمْنَعُونَ حَقَّ اللَّهِ فِي أُمُورِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَحْتَسِبُونَ بِهَا الثَّوَابَ، وَيَكْسِبُونَ بِهَا التَّجَارَةَ الرَّابِحَةَ فِي الْآخِرَةِ، وَهَذَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ ادَّعَى لِنَفْسِهِ قُدْرَةً وَحَوْلًا بِالْإِمْسَاكِ وَالشَّخِّ وَالضَّجْرِ مِنَ الْفَقْرِ وَقِلَّةِ الصَّبْرِ لِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَ بِعَالِمٍ وَلَا عَابِدٍ؛ لِأَنَّ مَنْ ادَّعَى أَنَّ لَهُ قُدْرَةً عَلَى نَفْعِ نَفْسِهِ أَوْ دَفْعِ الضَّرِّ عَنْهَا فَقَدْ افْتَرَى. انْتَهَى مَلْخَصًا.

وَأَوَّلُهُ كَافٍ فِي الْمَرَادِ، فَإِنْ قَصَدَ الْبُخَارِيُّ أَنَّ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةَ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْإِنْسَانِ، لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَخْلُقُهَا بِفَعْلِهِ.

وَفِيهِ: أَنَّ الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا لَيْسَ عَلَى قَدَرِ دَرَجَةِ الْمَرْزُوقِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّمَا تَقَعُ الْعَطِيَّةُ وَالْمَنْعُ بِحَسَبِ السِّيَاسَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَكَانَ ﷺ يُعْطِي مَنْ يَخْشَى عَلَيْهِ الْجَزَعَ وَالْهَلَعَ لَوْ مُنِعَ، وَيَمْنَعُ مَنْ يَتَّقُ بَصْرَهُ وَاحْتِمَالَهُ وَقَنَاعَتَهُ بِثَوَابِ الْآخِرَةِ. اهـ.

أَي: كَانِ الصِّفَاتِ الَّتِي فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْمَنْعِ وَالْإِعْطَاءِ وَغَيْرِهَا مِنْ جَمَلَةِ الصِّفَاتِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَهُوَ مَنُوعٌ وَجَزُوعٌ، بِحَسَبِ الْخَلْقَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٥- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مَالٌ فَأَعْطَى قَوْمًا وَمَنْعَ آخَرِينَ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَتَبُوا، فَقَالَ: «إِنِّي أُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكْبَلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ». فَقَالَ عَمْرُو: مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرُ النَّعَمِ.

قَوْلُهُ: «مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمْرُ النَّعَمِ». لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا أَحْسَنُ مِنْ كُلِّ مَالٍ أَنْ يَشْهَدَ لَهُ

الرسول ﷺ بهذه الصفة الحميدة. وهي ما جعل الله في قلبه من الغنى والخير.

وفي هذا الحديث: دليل على كمال حكمة النبي ﷺ في معاملة الخلق، وأنه قد يُعطي أقوامًا ويدعُ أقوامًا آخرين، وهذا موجودٌ حتى في عرف الناس الآن، فتجده يُعطي أقوامًا ولا يُعطي آخرين، ويكلِّهم إلى ما في قلوبهم وما في قلبه أيضًا لهم، ولا يُعدُّون ذلك نقصًا في حقهم.

وهكذا ينبغي للإنسان في إعطائه ومنعه أن يُراعي المصلحة، حتى إذا رأى أن هذا الشخص إذا لم يُعطه أُصيبَ بدينه فإنه يُعطيه، ويكون هذا من باب التآليف، والتأليف على الإسلام ابتداءً أو تقويةً مما يجوز دفع الزكاة فيه، فكيف بالصدقات والتبرع؟! *

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٠- باب ذكر النبي ﷺ وَرَوَاتِهِ عَنْ رَبِّهِ.

٧٥٣٦- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حَدَّثَنَا أَبُو زَيْدٍ سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْهَرَوِيُّ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(١).

٧٥٣٧- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنِ التَّبِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: رُبَّمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا أَوْ بُوْعًا».

وَقَالَ مُعْتَمِرٌ: سَمِعْتُ أَبِي، سَمِعْتُ أَنَسًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ ﷺ. قَدْ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٣٨- حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زَيْادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّكُمْ قَالَ: «لِكُلِّ عَمَلٍ كَفَّارَةٌ، وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلِخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمُسْلِكِ»^(٢).

٧٥٣٩- حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ ح وَ قَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيما يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ يُونُسَ مَتَى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ»^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٦٧٥) (٢).

(٢) رواه مسلم (١١٥١).

(٣) رواه مسلم (٢٣٧٧).

٧٥٤٠- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ، أَخْبَرَنَا شَيْبَانَةُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ الْمَزْنِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ - أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ - قَالَ: فَرَجَعَ فِيهَا، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ مُعَاوِيَةُ يَحْكِي قِرَاءَةَ ابْنِ مُغْفَلٍ، وَقَالَ: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَيْكُمْ لَرَجَعْتُ كَمَا رَجَعَ ابْنُ مُغْفَلٍ يَحْكِي النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ لِمُعَاوِيَةَ: كَيْفَ كَانَ تَرْجِيْعُهُ قَالَ: آثَلَاثَ مَرَّاتٍ ^(١).

قوله: «آ آ آ». هذا ترجيعٌ للكلمة الممدودة، فهو يُرجعُها حتى تكون كأنها مكررة.

والشاهد من هذه الأحاديث: أن النبي ﷺ يروي الحديث عن الله، وهذه الأحاديث تُسمى الأحاديث القدسية، وهي أرفع من الأحاديث النبوية ودون القرآن، فهي في منزلة وسط، ولهذا تُضاف إلى الله، فيقال: الأحاديث القدسية. ولكن لا يثبت لها أحكام القرآن، فيجوز أن تنقل بالمعنى، كما تنقل الأحاديث النبوية، ويقرأها الجنب، وغير الجنب، ويمسها المتوضئ، وغير المتوضئ، ولا يتعبد بتلاوتها؛ يعني: لا يتقرب الإنسان إلى الله بلفظها، وإن كان الإنسان الذي يحفظها أو يحفظ غيرها من الأحاديث النبوية يثاب على ذلك، ولا تقرأ في الصلاة، ولا يحث بها من حلف ألا يقرأ القرآن، إلى غير ذلك من الأحكام التي تخالف فيها الأحاديث القدسية أحكام القرآن، وهي نحو عشرة أحكام، وهذا يدل على أنها ليست من كلام الله لفظاً، وإنما الرسول ﷺ أضافها إلى الله؛ لأنه أوحى إليه بها على وجه يخالف ما يوحى إليه في الأحاديث النبوية.

ولا يشكل على هذا أن الرسول ﷺ يقول: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَا وَكَذَا؛ لأن إضافة القول إلى القائل قد تكون بالمعنى، ومن ذلك أن كل قولٍ قاله الأنبياء في القرآن فهو منقول عنهم بالمعنى بلا شك؛ لأن لغتهم ليست اللغة العربية، ثم إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا، وفي آية أخرى يَقُولُوا خلاف هذا؛ ولكنه بمعناه، مما يدل على أن الله تعالى نقل عنهم ما نقل بالمعنى، وهذا لا إشكال فيه.

وفي الحديث الأخير أن الرسول ﷺ كان يقرأ سورة الفتح، أو منها حين دخل مكة، إشارة إلى أن هذا الفتح المذكور هو فتح مكة، وقد جاء ذكر الفتح في القرآن في عدة مواضع منها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ [التوبة: ١]. والمراد به فتح مكة، ومنها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ [التوبة: ١]. والمراد به فتح مكة، ومنها قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ آمَنَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا ۖ﴾ [التوبة: ١٠]. والمراد به صلح الحديبية على القول الراجح، والذي يعين هذا المعنى السياق أو الوقائع.

وفي هذا الحديث: دليل على جواز ترجيع القرآن، ولكن هل هو سنة؟

قال بعض العلماء: إنه سنة.

وقال بعض العلماء: إنه ليس بسنة، وأن النبي ﷺ كان يرجع؛ لأنه كان يهتز والناقة تمشي به، فبسبب الاهتزاز حصل منه هذا الترجيع.

ولكن الظاهر هو الأول، وأنه كان يُرجّعه قصداً لا من أجل أن الناقّة كانت تهتز به فيرجع قوله، وإذا كان كذلك فهو دليل على جواز ترجيع القرآن.
وهل من ذلك ما يفعل الآن في بعض المساجد، وهو ما يُسمّى بالصّدَى -وأنا لم أسمع القراءة بالصّدَى- لكن قيل لي: إن بعض الناس يجعلون صدَى في مكر الصوت، كأنه طبل يقرع عليك؟
نقول: هذا الظاهر منه أنه يُغيّر تركيب القرآن، ويحوّله إلى أن يجعل القرآن كأنه أغاني.
وقوله: «قَالَ: آآ. آآ. ثلاث مراتٍ».

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٥١٥):

وقوله: «كيف كان ترجيعه؟ قَالَ: آآ ثلاث مراتٍ». قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِجَازَةٌ الْقِرَاءَةُ بِالْتَرَجِيعِ وَالْأَلْحَانِ الْمَلَذَّةِ لِلْقُلُوبِ بِحَسَنِ الصَّوْتِ، وَقَوْلٌ مُعَاوِيَةً: لَوْلَا أَنْ يَجْتَمَعَ النَّاسُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْقِرَاءَةَ بِالْتَرَجِيعِ تَجْمَعُ نَفُوسَ النَّاسِ إِلَى الْإِصْغَاءِ، وَتَسْتَمِيلُهَا بِذَلِكَ حَتَّى لَا تَكْادُ تَضْبُرُ عَلَى اسْتِمَاعِ التَّرَجِيعِ الْمَشُوبِ بِلَذَةِ الْحِكْمَةِ الْمُهَيْمَةِ.
وفي قوله: آآ أبدأ همزة والسكون دلالة على أنه ﷺ كان يُراعي في قراءته المد والوقف. انتهى. وقد تقدم شرح هذا كله في أواخر فضائل القرآن في باب الترجيع.
وقال القرطبي: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ حِكَايَةً صَوْرَتِهِ عِنْدَ هُزِّ الرَّاحِلَةِ، كَمَا يَعْتَرِي رَافِعَ صَوْتِهِ إِذَا كَانَ رَاكِبًا مِنْ انْضِغَاطِ صَوْتِهِ، وَتَقْطِيعِهِ؛ لِأَجْلِ هُزِّ الْمَرْكُوبِ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.
قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: وَجْهٌ دُخُولِ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَغْفَلٍ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَرَوِي الْقُرْآنَ عَنْ رَبِّهِ. كَذَا قَالَ.

وقال الكيرماني: الرواية عن الربّ أعم من أن تكون قرآناً أو غيره بدون الواسطة وبالواسطة، وإن كان المتبادر هو ما كان بغير واسطة والله أعلم. اهـ
ثم قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: «فَرَجَعَ فِيهَا». بِتَشْدِيدِ الْجِيمِ؛ أَي: رَدَّدَ الصَّوْتِ فِي الْحَلْقِ، وَالْجَهْرُ بِالْقَوْلِ مَكْرَرًا بَعْدَ خِفَائِهِ، وَوَقَعَ فِي رَوَايَةِ آدَمَ عَنْ شُعْبَةَ: وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ قِرَاءَةً لِيَنُتَظِرَ رَجْعَ فِيهَا، وَأَخْرَجَهُ فِي «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ» أَيْضًا. اهـ

وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: «آآ ثلاث مراتٍ». همزة مفتوحة بعدها ألف، وهو محمول على الإشباع في محله. اهـ
وقوله: «محله». أي: ما يمكن فيه الإشباع مثل الألف، والياء، والواو، والهاء المضمومة، وما أشبه ذلك.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥١- بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ اللَّهِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا؛ لِقَوْلِ اللَّهِ

تَعَالَى: ﴿فَأَتَوْا بِالتَّوْرَةِ فَآتَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [التوبة: ١٣].

قوله: «بَابُ مَا يَجُوزُ مِنْ تَفْسِيرِ التَّوْرَةِ وَغَيْرِهَا». التَّوْرَةُ كَانَتْ بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، وَالْإِنْجِيلُ كَانَ بِاللُّغَةِ السَّرْيَانِيَّةِ، وَاللُّغَةُ الْعِبْرِيَّةُ قَرِيبَةٌ مِنَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا قَالَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ (١)، وَلِهَذَا تَعَلَّمَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ -أَي: الْعَبْرِيَّة- فِي سِتَّةِ عَشَرَ يَوْمًا (٢)، وَذَلِكَ حِينَ أَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَعَلَّمَ لُغَةَ الْيَهُودِ؛ لِيَقْرَأَ كِتَابَهُمْ إِذَا وَرَدَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلِيَكْتُبَ لَهُمْ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ. وَظَاهِرُ كَلَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ قَالَ: وَغَيْرِهَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بِالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا. أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِغَيْرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهَذِهِ هِيَ التَّرْجُمَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ، فَتَرْجُمَةُ الْقُرْآنِ تَرْجُمَةً مَعْنَوِيَّةً جَائِزَةً بَلْ وَاجِبَةً لِمَنْ لَا يَفْهَمُهَا إِلَّا بِذَلِكَ، وَأَمَّا تَرْجُمَةُ الْقُرْآنِ تَرْجُمَةً لَفْظِيَّةً فَإِنْ هَذَا لَا يُمَكِّنُ فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ جَائِزًا أَوْ غَيْرَ جَائِزٍ، فَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ؛ لِأَنَّهُ يُخْرِجُ الْقُرْآنَ عَنْ كَوْنِهِ كَلَامَ اللَّهِ، لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ؛ لِأَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ تُخَالِفُ غَيْرَهَا مِنَ اللُّغَاتِ فِي التَّرْتِيبِ، وَالبَلَاغَةِ، وَغَيْرِهَا، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَرَجَّمَ الْقُرْآنُ تَرْجُمَةً لَفْظِيَّةً.

وَنَضْرِبُ لِهَذَا مَثَلًا: فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُضَافُ سَابِقٌ عَلَى الْمُضَافِ إِلَيْهِ، وَفِي غَيْرِهَا الْعَكْسُ، وَفِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الصِّفَةُ مُتَأَخِّرَةٌ عَنِ الْمَوْصُوفِ وَفِي غَيْرِهَا بِالْعَكْسِ، فَيَقَالُ عِنْدَنَا الْآنَ فِي اللُّغَةِ الْعَامِيَّةِ: مُسْتَوْدَعُ الْجَارِ. وَيُسَمُّونَهُ عِنْدَنَا فِي اللُّغَةِ الْعَرَفِيَّةِ: «جَارُ خَانَةٍ». وَأَصْلُهُ: خَانَةُ الْجَارِ؛ لِأَنَّ الْخَانَةَ بِمَعْنَى الْمُسْتَوْدَعِ، وَفِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يُوجَدُ حُرُوفٌ زَائِدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ، وَتَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ لَا يُوجَدُ فِي اللُّغَاتِ الْأُخْرَى، فَالتَّرْجُمَةُ اللَّفْظِيَّةُ مَمْنُوعَةٌ حَسًّا، مَمْنُوعَةٌ شَرْعًا.

أَمَّا التَّرْجُمَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ فَهِيَ جَائِزَةٌ، بَلْ وَاجِبَةٌ لِمَنْ يَحْتَاجُ إِلَى تَفْهِيمِ الْقُرْآنِ بِالْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُبَلِّغَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نُبَلِّغَ الْقُرْآنَ وَهَنَّا قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّا نَتَرَجَّمُهُ مَعْنَى إِلَى لُغَتِهِمْ حَتَّى يَفْهَمُوهُ.

ثُمَّ قَالَ: لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَتَوْا بِالتَّوْرَةِ فَآتَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٣﴾. وَجَهُ الدَّلَالَةِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ. قَوْلُهُ: ﴿فَأَتَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. وَهَمَّ سَوْفَ يَتْلُونَهَا بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى يَفْهَمَ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ:

٧٥٤١- وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ أَنَّ هِرْقَلَ دَعَا تَرْجُمَانَهُ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرْقَلَ وَبِأَهْلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴿[التوبة: ٦٠]. الْآيَةُ.

(١) انظر «مجموعة الفتاوى» (١١٠/٤).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١٨٦/٥) (٢١٦٨١)، وأبو داود (٣٦٤٥)، والترمذي (٢٧١٥). وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الشاهد من هذا قوله: دعا تَرْجُمَانَهُ. والمترجم سترجم كل الكتاب بما فيه الآية، لكنه يُترجم معناها، أما لفظها فلا يُمكن حساً، ولا يجوزُ شرعاً.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٢- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: ﴿عَامَتًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ﴾» [البقرة: ١٣٦]. الآية.

هذا الحديث فيه دليل على أنه يُمكن تحريف المعنى؛ لقوله: «لَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»، ومعلوم أن التوراة النازلة من عند الله حقاً يجب أن تُصدق، لكن أهل الكتاب حرّفوا وبدّلوا. هذه من جهة.

ومن جهة أخرى أنهم ربما يُفسِّرون المعنى الحقّ بمعنى باطل.

فها هنا يَعتري إخبار هؤلاء عن التوراة باللغة العربية شيان:

الأول: أنه ربما يكون النص المترجم إلى العربية محرّف.

والثاني: ربما يكون النص باقٍ على ما هو عليه لكنهم يُحرّفون المعنى.

هذا وهم في عهد الرسول ﷺ واليوم هم أشد، فلهذا يجب أن نحترز من اليهود والنصارى فيما يثبتون لنا من أفكار أو غيرها أشد من احتراز الناس في عهد الرسول ﷺ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٣- حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَرَجُلٌ وَامْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ زَنَيَا، فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «مَا تَصْنَعُونَ بِهِمَا؟» قَالُوا: نَسْخِمُ وَجُوهَهُمَا وَنُخْزِيهِمَا. قَالَ: «فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ». فَجَاءُوا، فَقَالُوا الرَّجُلُ يَمْنُ بِرَضُونٍ. يَا أَغُورُ اقْرَأْ. فَقَرَأَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ. قَالَ: «ارْفَعْ يَدَكَ». فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهِ آيَةُ الرَّجْمِ تَلُوحُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ عَلَيْهَا الرَّجْمَ، وَلَكِنَّا نَكَاثِمُهُ بَيْنَنَا، فَأَمَرِ بِهِمَا فَرَجِمَا، فَرَأَيْتَهُ يُجَانِي عَلَيْهَا الْجِجَارَةَ^(١).

الشاهد من هذا الحديث قوله: «فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا». وهم سوف يتلونها علينا بالعربية.

وكان رجم الزاني حكماً شرعياً في التوراة، لكن لما كثر الزنا في أشرافهم -والعياد بالله- فشق عليهم أن يَرْجُمُوا كل يوم شريقاً منهم، فقال لهم علماء الضلال: لا حاجة للرجم، سنضع لكم قانوناً جديداً وهو تسخيم الوجه والخزي، وتسخيم الوجه أي: تسويده، والخزي قالوا: إنهم يركبون الزاني والزانية على حمير ويجعلون وجه

أحدهما إلى ذُبْرِ الحِجَارِ، ووجه الثاني إلى وجه الحِجَارِ، وَيَطُوفُونَ بهما في الأسواق.

ومعلوم أن هذا أهون من الرجم، واستمرّوا على ذلك وهم في قلق وخوف؛ لأنهم يَعْلَمُونَ أنهم محرّفون، فلما بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ وقَدِمَ المدينة جاءوا إليه وقالوا: لعلكم تَجِدُونَ عِنْدَ هَذَا الرَّجُلِ فَرْجًا - وهم متلاعبون يُرِيدُونَ أَنْ يَأْخُذُوا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ مَا يَرُوقُ لَهُمْ والباقي يَدْعُوهُ - وكان ممن أسَلِمَ من أَحْبَارِ الْيَهُودِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه، ولذلك فهو يَعْلَمُ أَنَّ الرِّجْمَ واجبٌ عَلَيْهِمْ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُؤْتَى بِالتَّوْرَةِ - والظاهر أن هذا بمشورة من عبد الله بن سلام؛ لأنه يَعْلَمُ - فلما أَتَوْا بِهَا قالوا للرجل عندهم أعور: اقرأ يا أعور. وهو عبد الله بن سوريّة - وسبّحان الله - جاء القدرُ مناسبًا للشّرع، فالأعورُ ليس فيه خيرٌ، ولهذا فالدجالُ أعورٌ ^(١)، وأكثرُ من يَتَّبِعُهُ الْيَهُودُ ^(٢)، فاليهودُ كلهم عورٌ، وكلّهم عيبٌ، وكلّهم خبيثٌ.

فلما قرأ هذا الأعورُ التوراةَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرِّجْمِ مِنْ أَجْلِ الْإِطْلَاعِ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، فَقِيلَ لَهُ: ارْفَعْ يَدَكَ. فلما رَفَعَ يَدَهُ إِذْ آيَةُ الرِّجْمِ تَلَوُّحٌ وَاضِحَةٌ بَيِّنَةٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجْمِهَا، فَرُجِمَا، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ شِدَّةِ عَشْقِهِ لِلزَّانِيَةِ وَحَنَانِهِ عَلَيْهَا يَنْحَنِي عَلَيْهَا مِنْ أَجْلِ الْأَتْصِيفِهَا الْحِجَارَةَ.

وفي هذا: دَلِيلٌ عَلَى وَجوبِ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لَكِنْ إِنْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا فِي شَرِيعَتِهِمْ وَكَانَ حَرَامًا، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ فَيَا يَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَهُ دُونَ مَا يَعْتَقِدُونَ حَلَّهُ، فَلَوْ شَرَبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّا لَا نَحُدُّهُمْ، لَكِنَّا نَمْنَعُهُمْ مِنْ إِظْهَارِ شَرْبِ الْخَمْرِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، أَمَا إِذَا كَانُوا فِي بِلَادِهِمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، فَلَا تَعْرُضُ لَهُمْ؛ لَأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ حَلَالٌ.

كَذَلِكَ أَيْضًا إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهَا وَاجِبَةٌ عَلَيْنَا فَيَا يَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَهُ، لَكِنْ إِذَا تَرَفَعُوا إِلَيْنَا، إِذَا تَرَفَعُوا إِلَيْنَا فِي مَعْصِيَةٍ وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ فَإِنَّا نَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِحُكْمِنَا لَا بِحُكْمِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَن أَعْظَمَ بَيْنَهُمْ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الأنعام: ٤٩].

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله:

٥٢- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ». «وَزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ».

قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ»». جَزَمَ الْمُؤَلِّفُ رحمته الله بِأَنَّ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ وَلِلْحَدِيثِ بَقِيَّةٌ وَهُوَ: «وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ». أَيْ: أَجْرُ الْمَعَانَاةِ مِنَ التَّلَاوَةِ وَأَجْرُ التَّلَاوَةِ، أَمَا الْمَاهِرُ الَّذِي يَسْهَلُ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، وَيُؤَدِّي بِهَا بِأَدَاءٍ جَيِّدٍ فَإِنَّهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ﴾ ^(١) مَن شَاءَ ذَكَرَهُ ^(٢) فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ^(٣) مَرْفُوعَةٍ

(١) رواه البخاري (٣٠٥٦)، ومسلم (١٦٩) (٢٧٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٤).

مُطَهَّرَةً ⑩ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ⑪ كَرَامٍ بَرَرَةٍ ⑫ ﴿١٦﴾ [١٦-١٧].

وقوله: «وَزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ عَلَى الْقَلْبِ، وَالْمَعْنَى: زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْقُرْآنَ زَيْنٌ سَوَاءٌ بِأَصْوَاتٍ جَمِيلَةٍ أَوْ بِغَيْرِ جَمِيلَةٍ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ يَعْنِي: اجْعَلُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ حَسَنَةً جَمِيلَةً فِي الْأَدَاءِ وَالنَّطْقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَزَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». أَي: زَيَّنُوا الْقِرَاءَةَ بِأَصْوَاتِكُمْ، بِمَعْنَى أَنْ تَقْرَأُوا بِأَصْوَاتٍ جَمِيلَةٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ إِذَا كَانَ بِأَصْوَاتٍ جَمِيلَةٍ يَتَلَدُّ الْإِنْسَانُ لَهُ أَكْثَرُ مِمَّا إِذَا كَانَ بِالْعَكْسِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٤- حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْرَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»^(١).

وقوله: «أَذِنَ». بِمَعْنَى: اسْتَمَعَ، وَهُوَ مِنَ الْأَذِنِ وَهُوَ الْاسْتِمَاعُ؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَسْتَمِعُ إِلَى شَيْءٍ مِثْلًا يَسْتَمِعُ إِلَى نَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ يَجْهَرُ بِهِ.

مَنْ هُوَ هَذَا النَّبِيُّ هَلْ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ نَبِيٌّ آخَرٌ؟
نَقُولُ: إِنَّ كَلِمَةَ «نَبِيٍّ» قَدْ جَاءَتْ نَكْرَةً، فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ دَاوُدُ، أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ صَوْتًا حَسَنًا.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُحَسِّنَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ كَلِمًا حَسَنًا صَوْتُهُ كَانَ اللَّهُ إِلَيْهِ أَسْمَعَ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٥- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ حِينَ قَالَتْ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا وَكُلُّ حَدَّثَنِي طَائِفَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ قَالَتْ: فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا حَيِّدٌ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ يُبَرِّئُنِي وَلَكِنِّي وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرِ يُتْلَى، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾. الْعَشْرَ الْآيَاتِ كُلَّهَا^(١).

هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ مِنْ فَضَائِلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ثَقَّتْهَا بِاللَّهِ ﷻ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَّرُهَا، أَوَّلًا: لِأَنَّهَا بَرِيئَةٌ، وَثَانِيًا: مِنْ

(١) رواه مسلم (٧٩٢) (٢٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٧٠) (٥٦).

أجل الدفاع عن فراش الرسول ﷺ، وهذا هو الذي وقع، لكنها ظننت ﷺ أن الله تعالى يخبر نبيه ببراءتها دون أن ينزل فيها قرآن يتلى، ولكن الله تعالى أنزل فيها القرآن الذي يتلى؛ لأن الأمر عظيم. والشاهد في هذا الحديث: قولها: «وحيا يتلى». أي: يقرأ، والقراءة فعل القاري.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٦- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ -أَرَاهُ عَنْ الْبَرَاءِ- قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: ﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ﴾ (١). فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ (٢). الشاهد من هذا الحديث: قوله: «أحسن صوتًا أو قراءة». «أو» هنا للتنويع وليست للشك؛ يعني: أن صوته أحسن الأصوات، وأن قراءته أحسن القراءات.

وهنا ذكر صوتًا وقراءة، فالقراءة هي حسن الأداء، والصوت هو تحسين النطق بالقرآن، وكما هو مشاهد فمن الناس من يكون حسن الصوت والإداء، ومن الناس من يكون حسن الأداء وليس حسن الصوت، ومن الناس من يكون بالعكس حسن الصوت، ضعيفًا في الأداء، وخير الناس من كان حسن الصوت وحسن الأداء، وهذا هو الذي حصل للرسول ﷺ.

وهل نقول: إنه يؤخذ من هذا الحديث استحباب قراءة ﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ﴾ في العشاء؟ نقول: لو واطب عليها الرسول ﷺ لكانت سنة، أما وإنه لم يواطب عليها فإنها تكون قد جاءت اتفاقًا، وما جاء اتفاقًا فإنه لا يعتبر مشروعًا بعينه، ولكن مع هذا لو قرأها الإنسان وهو يشعر أنه بذلك متبع لرسول الله ﷺ لحصل على خير.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٧- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَوَارِيًا بِمَكَّةَ وَكَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾ (١). قد سبق الكلام على هذا الحديث.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٤٨- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي

(١) رواه مسلم (٤٦٤) (١٧٧).

(٢) رواه مسلم (٤٤٦) (١٤٥).

صَفْصَعَةً، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ: «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتُ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَادْنَتْ لِلصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ حِينَ وَلَا إِنْسٍ وَلَا شَيْءٍ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
 فِي هَذَا الْحَدِيثِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قِرَاءَةَ الْإِنْسَانِ مَخْلُوقَةً؛ لِأَنَّهَا فَعْلُهُ؛ لِقَوْلِهِ: ارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ.
 وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ النِّدَاءِ لِلوَاحِدِ، فَإِذَا كَانَ فِي الْبَادِيَةِ فَإِنَّهُ يُؤَدِّنُ اسْتِحْبَابًا لَا وَجُوبًا.
 وَفِيهِ أَيْضًا: أَنَّ مَا يَسْمَعُهُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجَنِّ وَأَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ، أَوْ حَجَرٍ، أَوْ مَدَرٍ، أَوْ جِبَالٍ، أَوْ رِمَالٍ، فَإِنَّهُ يَشْهَدُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ١ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٢﴾.
 [الترمذي: ٤-٥]. وَالْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ هَذِهِ الْأَدْلَةَ الْكَثِيرَةَ؛ لِإِتِّبَاتِ أَنَّ صَوْتَ الْقَارِئِ مِنْ فَعْلِهِ فَيَكُونُ مَخْلُوقًا، أَيْ: أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ قَصْدًا أَوَّلِيًّا تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٧٥٤٩- حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ ^(١).
 الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ: قَوْلُهَا: «يَقْرَأُ الْقُرْآنَ». فَأُضَافَتْ الْفِعْلُ إِلَيْهِ.
 وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَقْهِ: دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِنْسَانِ مُتَكَيِّئًا، أَوْ مُضْطَجِعًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَفَاطِ هَذَا الْحَدِيثِ: كَانَ يَتَكَيُّ فِي حَجْرِي وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ.
 وَفِيهِ: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْحَائِضَ لَيْسَتْ بِنَجَسَةٍ.
 وَفِيهِ أَيْضًا: دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ اسْتِمَاعِ الْحَائِضِ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.
 وَلَكِنْ هَلْ لَهَا أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ هِيَ بِنَفْسِهَا؟
 فِي هَذَا خِلَافٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَيْسَ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ سَنَةٌ صَحِيحَةٌ صَرِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الْحَائِضِ، وَعَلَى هَذَا فنَقُولُ: الْأَفْضَلُ أَلَّا تَقْرَأَ الْقُرْآنَ طَلَبًا لِلثَّوَابِ، وَلَهَا أَنْ تَقْرَأَهُ لِدَفْعِ السُّوءِ، أَوْ لِحِفْظِ مَا حِفْظْتَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ أَيْ: تَقْرَأَ عِنْدَ الْحَاجَةِ فَقَطْ.
 وَهَذَا قَوْلٌ وَسَطٌ بَيْنَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ يَجُوزُ لَهَا أَنْ تَقْرَأَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا شَاءَتْ؛ لِعَدَمِ وَجُودِ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَى الْمَنْعِ، وَبَيْنَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا لَا تَقْرَأُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ.
 فَالْصَّوَابُ أَنَّ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْتَاطَ الْإِنْسَانُ فِيهِ فَيَقُولُ: مَا احتَاجْتُ إِلَى قِرَائَتِهِ لِحِفْظِ أَوْ أَوْرَادِ تَقْرَأُهَا فِي اللَّيْلِ أَوْ فِي النَّهَارِ، أَوْ لِتَعْلِيمِ أَبْنَائِهَا، أَوْ لِتَعْلُمِهَا، فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، أَمَا لِمَجْرَدِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ

فالأولى ألا تقرأ؛ لأن هناك أحاديث تمنع ذلك ولكنها ضعيفة^(١).

ثُمَّ قَالَ الْبُحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٣- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [الزُّلْفَى: ٢٠].

٧٥٥٠- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ الْمُسَوِّرَ بْنَ مَحْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ الْقَارِيِّ، حَدَّثَاهُ أَنَّهَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يَقْرَأْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكِدْتُ أَسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبِثْتُ بَرْدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ. فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ أَقُوْدُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تَقْرَأْنِيهَا، فَقَالَ: «أَرْسَلُهُ، أَقْرَأْ يَا هِشَامُ». فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقْرَأْ يَا عُمَرُ». فَقَرَأْتُ الَّتِي أَقْرَأَنِي. فَقَالَ: «كَذَلِكَ أَنْزَلْتُ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَءُوا مَا يَسَّرَ مِنْهُ»^(١).

هذه القصة فيها فوائد عظيمة، منها:

أولاً: قوة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثانياً: أن انفعال الإنسان في صلاته بشيء سمعه لا يؤثر في الصلاة، فإذا سمع شيئاً يُفْرِحُ مثلاً ففرح وهو في الصلاة، أو سمع شيئاً يُحْزِنُ فحزن وهو في الصلاة أو سمع شيئاً يُغْضِبُ فغضب وهو في الصلاة، فإن كل هذا جائز. والدليل على ذلك قوله: «فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت». وقوله: «أساوره»؛ أي: أُمْسِكُ به في الصلاة، لكنه تصبّر حتى انتهى.

وفيه: أنه لا ينبغي للإنسان أن يتسرع في ما دون الأهم؛ لأن بقاءه في صلاته أهم من مساوَرته إياه.

وفيه: دليل على جواز تلييب الإنسان بردائه؛ أي: أن يأخذ بلبثته - وهو رداء معروف على الكتفين - ويصرف به.

وفيه: دليل على جواز الإنكار بالقول وبالفعل؛ لقوله: «لبثته فقلت: من أقرأك؟»

وفيه: دليل على مسألة مهمة وهي: أن إنكار شيء من القرآن جاهلاً لا يكفر به الإنسان؛ لأن

(١) ومن ذلك ما رواه الترمذي (١٣١)، وابن ماجه (٥٩٦)، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَقْرَأُ الْحَنْبُ وَالْحَائِضُ شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢١/ ٤٦٠): وهو حديث ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث. اهـ.

(٢) رواه مسلم (٨١٨) (٢٧٠).

عمر أنكر القراءة التي قرأها هشام، بل قال له: كذبت. وهذه فرع من فروع مسألة العذر بالجهل، فإنه لو أنكر أحد شيئاً من القرآن وهو عالم فإنه يكفر، قال العلماء: من أنكر حرفاً واحداً من القرآن وهو يعلم فإنه كافر. وعمر قد أنكر هنا عدة حروف، لكنه كان جاهلاً لم يعلم أن النبي ﷺ أجازها. وفيه: دليل على حسن معاملة النبي ﷺ؛ حيث لم يؤاخذ هشاماً بمجرد قول عمر، حتى استمع إلى ما عنده، واستمع أيضاً إلى ما عند عمر.

وفيه أيضاً: دليل على إيقان الصحابة وإيمانهم، فإن عمر رضي الله عنه لم يلحقه الشك حين قال الرسول ﷺ لهشام: «كذلك أنزلت». وكذلك قال لعمر مع أنه قرأ خلاف ما قرأ هشام، ومع ذلك لم يحصل عنده ريب أو شك.

وفيه: أن القرآن أول ما نزل كان على سبعة أحرف؛ أي: كان موسعاً فيه، حتى إنه كان يوسع لبعض الناس في لغتهم؛ أي: كان لهم أن يقرأوه بلغتهم، لكن بعد ذلك حصره الصحابة رضي الله عنهم على حرف واحد وهو لغة قريش، خوفاً من الفتنة التي وقعت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكاد الناس يقتتلون، حيث كان يقرأه بعضهم على حرف، والبعض الآخر على حرف آخر، فجيء إلى عثمان وشكّي إليه الأمر، فأقام اللجنة المعروفة لجمع القرآن على حرف واحد^(١).

وفي الحديث: فوائد أخرى لكن بعضها قد مرّت.

فإن قيل: هل يؤخذ من هذا الحديث أن الإمام إذا أخطأ في الصلاة خطأ لا يسمع به أنه ينحى عن الإمامة ويتقدم أحد سواه؟
فالجواب: إذا كان خطأه يحيل المعنى ورددنا عليه، ولكن أبى وأصر، فحينئذ نأخذ به ونرده، ويصلي مكانه من يقيم القراءة، أما إذا كان خطأه لا يحيل المعنى فإن أخذه وردّه يكون به فتنة.



ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

٥٤ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القصص: ١٧). وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ مُبَسِّرٍ لِيَا خُلُقٍ لَهُ». يُقَالُ: مُبَسِّرٌ: مُهَيِّئٌ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ: هَوَّنَا قِرَاءَتَهُ عَلَيْكَ.

وَقَالَ مَطَرُ الْوَرَّاقِ: ﴿وَلَقَدْ بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (١) قَالَ: هَلْ مِنْ طَالِبٍ عِلْمٍ فَيَعَانِ عَلَيْهِ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾. هذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات كما هو معروف

وهي: القسم، واللام، وقد.

والتيسير: هو التسهيل والتهيئة، فقوله: ﴿بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾. أي: هيأناه وسهّلناه للذكر.

والذكر: بمعنى التذكير بدليل قوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. أي: هل من متذكر، فالإنسان إذا رجع للقرآن ليتذكر به فإن الله تعالى يُسِّرُ له التذكير به، وإذا أعرض عنه فإنه يُحَالُ بينه وبين الانتفاع به.

وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. قَالَ فِيهِ مَطَرُ الْوَرَأَقِ: هل من طالبٍ علمٍ فيُعَانِ عليه. لأن طالب العلم إذا طلبه بصدق فلا بد أن يتذكر.

وهنا قَالَ: فيُعَانِ عليه. بالفتح؛ لأنه جواب الاستفهام.

ومناسبة هذا الباب للترجمة، قَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فِي «الفتح» (١٣ / ٥٢١):

﴿قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾». قِيلَ: الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ: الْأَذْكَارُ وَالْإِنْعَاطُ. وَقِيلَ: الْحِفْظُ. وَهُوَ مُقْتَضَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ.

﴿قَوْلُهُ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّ مِسْرٍ لَهَا خُلُقٌ لَهُ». فَذَكَرَهُ مُوصُولًا فِي الْبَابِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ.

﴿قَوْلُهُ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ هُوْنًا عَلَيْكَ. فِي رَوَايَةٍ غَيْرِ أَبِي ذَرٍّ: هُوْنًا قِرَاءَتَهُ عَلَيْكَ. وَهُوَ بَفَتْحِ الْهَاءِ وَالْوَاوِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ مِنَ التَّهْوِينِ، وَقَدْ وَصَلَهُ الْفَرِيَّابِيُّ، عَنْ وَرْقَاءَ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾. قَالَ: هُوْنًا.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: تَيْسِيرُ الْقُرْآنِ: تَسْهِيلُهُ عَلَى لِسَانِ الْقَارِئِ، حَتَّى يُسَارِعَ إِلَى قِرَاءَتِهِ، وَرَبِمَا سَبَقَ لِسَانُهُ فِي الْقِرَاءَةِ فَيُجَاوِزُ الْحَرْفَ إِلَى مَا بَعْدَهُ، وَيَحْذِفُ الْكَلِمَةَ حَرْصًا عَلَى مَا بَعْدَهَا. انْتَهَى. وَفِي دُخُولِ هَذَا فِي الْمُرَادِ نَظَرٌ كَبِيرٌ.

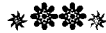
﴿قَوْلُهُ: «وَقَالَ مَطَرُ الْوَرَأَقِ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. قَالَ: هَلْ مِنْ طَالِبٍ عِلْمٍ فِيُعَانِ عَلَيْهِ». وَقَعَ هَذَا التَّعْلِيلُ عِنْدَ أَبِي ذَرٍّ عَنِ الْكُشْمِيهَنِيِّ وَحْدَهُ، وَثَبَتَ أَيْضًا لِلجُرْجَانِيِّ عَنِ الْفَرَبْرِئِيِّ، وَوَصَلَهُ الْفَرِيَّابِيُّ عَنِ ضَمْرَةَ بْنِ زَمْعَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُوْدَبٍ، عَنْ مَطَرٍ.

وَأَخْرَجَهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ مِنْ طَرِيقِ ضَمْرَةَ.

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَهُوَ مُخْتَصِرٌ مِنْ حَدِيثِ سَبْقٍ فِي كِتَابِ الْقَدْرِ فِيهِ: عَنْ عِمْرَانَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْعَرَفُ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟

وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ هُنَاكَ. اهـ

ثُمَّ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي آخِرِ شَرْحِ هَذَا الْبَابِ: قُلْتُ: وَكَانَ مُنَاسِبَةً هَذَا الْبَابِ لِمَا قَبْلَهُ مِنْ جِهَةِ الْأَشْرَافِ فِي لَفْظِ «التَّيْسِيرِ». وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

٧٥٥١- حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ قَالَ يَزِيدُ: حَدَّثَنِي مُطَرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِمْرَانَ

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَيَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١).

٧٥٥٢- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، وَالْأَعْمَشِ، سَمِعَا سَعْدَ بْنَ عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ عُودًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ». قَالُوا: أَلَا تَنْكِلُ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسِّرٍ»، «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَرَّ» وَاللَّهُ بِهِ ^(٢).

هذان الحديثان سبقا والشاهد منهما قوله: «فكل ميسر». وفي اللفظ الأول: «ميسر لما خُلِقَ له».

فأهل الجنة يُيسِّرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار يُيسِّرون لعمل أهل النار، فإذا رأيت أن الله قد يسر لك العبادات وسهّلها على نفسك، فاعلم أن هذه بشري خير، وإذا رأيت شخصاً قد عسر الله عليه العبادات فاعلم أن هذه بشري سوء؛ لأن أهل الشقاوة يُيسِّرون لعمل أهل الشقاوة.

ثُمَّ قَالَ الْبَحَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٥- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ ^(٣) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ^(٤) ﴿وَالطُّورِ﴾ ^(٥).

وَكُتِبَ مَسْطُورٌ ^(٦) ﴿وَاللَّهُ بِهِ﴾ ^(٧).

قَالَ قَتَادَةُ: مَكْتُوبٌ. يَسْطُرُونَ: يَخْطُطُونَ. فِي أَمِّ الْكِتَابِ: جُمْلَةُ الْكِتَابِ وَأَصْلِهِ. مَا يَلْفِظُ: مَا يَنْكَلِمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُكْتَبُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ. يُحَرِّفُونَ: يُزِيلُونَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتِبَ اللَّهُ وَعَلَى، وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ: يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، دَرَسْتُهُمْ: تَلَاوَتْهُمْ. وَاعِيَةٌ: حَافِظَةٌ. وَنَعِيهَا: تَحْفَظُهَا. ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأَتَدْرِكَكُمْ بِهِ﴾ وَاللَّهُ بِهِ ^(٨). يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ، وَمَنْ بَلَغَ هَٰذَا الْقُرْآنَ فَهُوَ لَهُ نَذِيرٌ.

هذا الباب مُشْتَمِلٌ عَلَى أُمُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ:

أَوَّلًا: قَوْلُهُ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ ^(٩) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ^(١٠). هَذَا آخِرُ سُورَةِ الْبُرُوجِ. وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ﴾. الضَّمِيرُ فِيهِ يَعُودُ

عَلَى الْقُرْآنِ. وَ﴿مَجِيدٌ﴾: ذُو الْعِظَمَةِ، وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ مَجِيدًا فَإِنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ نَالَ الْمَجْدَ.

❁ وَقَوْلُهُ: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ ^(١١). أَي: فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عِنْدَ اللَّهِ وَعَلَى.

❁ وَقَوْلُهُ: ﴿وَالطُّورِ﴾ ^(١٢) وَكُتِبَ مَسْطُورٌ ^(١٣). الطُّورُ هُوَ الْجَبَلُ الْمَعْرُوفُ، وَكُتِبَ مَسْطُورٌ ^(١٤).

أَي: مَكْتُوبٌ، وَهُوَ مَا خُوذَ مِنَ السَّطْرِ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ يُكْتَبُ عَلَى وَجْهِ الْأَسْطَرِ.

وَالْمَرَادُ بِهَٰذَا الْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، إِمَّا أَنَّهُ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَإِمَّا أَنَّهُ الْقُرْآنُ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَكُتِبَ

مَسْطُورٌ﴾ ^(١٥) فِي رَقٍّ مَسْطُورٍ ^(١٦) ﴿وَاللَّهُ بِهِ﴾ ^(١٧). وَالرَّقُّ: الْجِلْدُ. وَكَانُوا فِيهَا سَبَقَ يَكْتُبُونَ الْقُرْآنَ فِي الْجِلْدِ، وَفِي

(١) رواه مسلم (٥٦٤٩) (٩).

(٢) رواه مسلم (٢٦٤٧) (٧).

عَسِيبِ النخل، وفي اللَّخَافِ - وهي حجارة رقيقة ملساء - وغير ذلك.

﴿وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾﴾ [الْقَلَمُ: ١]. قَالَ: يَسْطُرُونَ: يَخْطُونَ؛ لَأَن الْخَطَاطُ يُسْطِرُّ الْمَكْتُوبَ.

﴿ثُمَّ قَالَ: «فِي أَمِّ الْكِتَابِ»: جَمَلَةُ الْكِتَابِ وَأَصْلِهِ. يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِئَلَّا تُكْتَبَ

لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ﴾ [الْقَلَمُ: ٤].

﴿وَقَوْلُهُ: «مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ»: مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ. يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ

رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [الْقَلَمُ: ١٨]. وَقَوْلُهُ: إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ. فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقَصْرِ، وَلِهَذَا أَرَدَ بِهَا بِقَوْلِهِ: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُكْتَبُ

الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾. عَامًّا لِأَقْوَالِ الْخَيْرِ وَأَقْوَالِ الشَّرِّ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

يُرَاقِبُهُ﴾ عَتِيدٌ حَاضِرٌ لَا يَغِيبُ.

﴿ثُمَّ قَالَ: «يُحَرِّفُونَ»: يُزِيلُونَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، وَلَكِنْهُمْ يُحَرِّفُونَهُ: يَتَأَوَّلُونَهُ

عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ. قَوْلُهُ: يُحَرِّفُونَ. مَأْخُذٌ مِنَ التَّحْرِيفِ وَهُوَ صَرْفُ الشَّيْءِ، يُقَالُ: انْحَرَفَتِ الدَّابَّةُ. أَي: انْصَرَفَتْ.

وَيُقَالُ: حَرَفْتُ كَذَا. أَي: صَرَفْتُهُ، وَهُوَ بِمَعْنَى التَّغْيِيرِ وَالْإِزَالَةِ عَنْ مَوْضِعِهِ، فَقَوْلُهُ: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾

[الْبَقَرَةُ: ١٦٦]؛ أَي: يُزِيلُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

وَلَكِنْ هَلِ التَّحْرِيفُ يَكُونُ لَفْظِيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا أَوْ يَكُونُ هَذَا وَهَذَا؟

نَقُولُ: يَكُونُ هَذَا وَهَذَا، فَقَدْ يَكُونُ لَفْظِيًّا، وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَوِيًّا، وَقَدْ يَكُونُ لَفْظِيًّا مَعْنَوِيًّا. فَإِذَا قَالَ

الْقَارِئُ: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ». فَهَذَا تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ لَكِنْ لَا يَتَغَيَّرُ بِهِ الْمَعْنَى.

وَإِذَا قَالَ: «ثُمَّ أَسْتَوِي عَلَى الْآرِشِ» أَي: مُلْكِهِ وَقَهْرِهِ. فَهَذَا تَحْرِيفٌ مَعْنَوِيٌّ.

وَإِذَا قَرَأَ الْقَارِئُ: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) فَهَذَا تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ مَعْنَوِيٌّ.

وَكُلُّهُ مَذْمُومٌ، لَكِنْ أَشَدُّهُ التَّحْرِيفُ اللَّفْظِيُّ الْمَعْنَوِيُّ.

﴿وَقَوْلُهُ: «وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ». يَعْنِي: فِي الْغَالِبِ، وَإِلَّا فَلَيْسَ بِهِمْ - أَي:

الَّذِينَ حَرَفُوا - رَبِّهَا يُغَيِّرُونَ، فَيَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ.

﴿وَقَوْلُهُ: «دَرَسْتُهُمْ»: تَلَاوَتْهُمْ. يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَنَنْفِلِينَ﴾

[الْأَنْعَامُ: ١٥٦]. أَي: تَلَاوَتْهُمْ.

﴿قَوْلُهُ: «وَأَعِيَّةٌ»: حَافِظَةٌ. يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَوَعِيًّا أَدُنُّ وَنِعِيَّةً﴾ [الْمُلْكُ: ١٢]. تَعِيَهَا؛

أَي: تَحْفَظُهَا.

﴿ثُمَّ قَالَ: «وَأَوْحَى إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنْذِرْكُمْ بِهِ»﴾. يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ. يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ الْخِطَابَ فِي قَوْلِهِ:

﴿لَا تُذِرْكُمْ﴾. يَعُودُ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾. أَي: مَنْ بَلَغَهُ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ مَكَّةَ.

﴿ثُمَّ قَالَ: «وَمَنْ بَلَغَ هَذَا الْقُرْآنَ فَهُوَ لَهُ نَذِيرٌ».

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٥٣- وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ بْنُ خَبَّاطٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ

أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ: غَلَبَتْ - أَوْ قَالَ: سَبَقَتْ - رَحْمَتِي غَضَبِي فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»^(١).

٧٥٥٤- حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي غَالِبٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ أَنَّ أَبَا رَافِعٍ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي. فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»^(١).

الشاهد من هذا الحديث: قوله: «كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ». وكان المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُشِيرُ بهذا إلى قوله

تعالى: ﴿وَكُنْتُ مَسْطُورًا﴾ [الأنعام: ٢٠].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٥٢٢-٥٢٦):

﴿قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قَوْلُهُ أَنْ يُجِدَّ﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾﴾. قَالَ الْبَخَارِيُّ فِي «خَلْقِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ» بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ وَالَّذِي بَعْدَهَا: قَدْ ذَكَرَ اللَّهُ أَنَّ الْقُرْآنَ يُحْفَظُ وَيُسْطَرُّ، وَالْقُرْآنُ الْمَوْعِيُّ فِي الْقُلُوبِ الْمَسْطُورُ فِي الْمَصَاحِفِ الْمَتْلُوءِ بِالْأَلْسِنَةِ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَأَمَّا الْمَدَادُ وَالْوَرَقُ وَالْجِلْدُ فَإِنَّهُ مَخْلُوقٌ.

﴿قَوْلُهُ: «وَالطُّورُ ١﴾ وَكُنْتُ مَسْطُورًا ٢﴾ قَالَ قَتَادَةُ: مَكْتُوبٌ. وَصَلَهُ الْبَخَارِيُّ فِي «خَلْقِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ» مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ زُرْعَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالطُّورُ ١﴾ وَكُنْتُ مَسْطُورًا ٢﴾. قَالَ: الْمَسْطُورُ: الْمَكْتُوبُ. ﴿فِي رَقٍّ مَنَشُورٍ ٢﴾. هُوَ الْكِتَابُ، وَصَلَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ مِنْ رِوَايَةِ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدُ الرَّزَاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ كِلَاهُمَا عَنْ قَتَادَةَ نَحْوَهُ.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُنْتُ مَسْطُورًا ٢﴾ قَالَ: صَحْفٌ مَكْتُوبَةٌ. ﴿فِي رَقٍّ مَنَشُورٍ ٢﴾ قَالَ: فِي صَحْفٍ. قَوْلُهُ: (يَسْطُرُونَ: يَخْطُونَ) أَي: يَكْتُبُونَ، أَوْرَدَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ ١﴾ قَالَ: وَمَا يَكْتُبُونَ.

﴿قَوْلُهُ: «فِي أَمِّ الْكِتَابِ: جَمَلَةُ الْكِتَابِ وَأَصْلُهُ» وَصَلَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ «النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ» مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٦﴾ [الأنعام: ٣٩]. قَالَ: جَمَلَةُ الْكِتَابِ وَأَصْلُهُ. وَكَذَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَاقِ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ.

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يَقُولُ: جَمَلَةُ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَمَا يَكْتُبُ وَمَا يُبَدِّلُ.

﴿قَوْلُهُ: «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ» مَا يَتَكَلَّمُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ عَلَيْهِ، وَصَلَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ شُعَيْبِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، وَالْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ: «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ». قَالَ:

(١) رواه مسلم (٢٧٥١).

(٢) رواه مسلم (٢٧٥١).

ما يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَتَبَ عَلَيْهِ. وَمِنْ طَرِيقٍ زَائِدَةٍ بِنِ قَدَامَةٍ، عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ مَجْمَعٍ قَالَ: الْمَلَكُ مَدَادُهُ: رِيقُهُ، وَقَلَمُهُ: لِسَانُهُ.

❦ قَوْلُهُ: «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُكْتَبُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ». وَصَلَهُ الطَّبْرِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾ قَالَ: إِنَّمَا يُكْتَبُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ.

وَأَخْرَجَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ﴾ قَالَ: يُكْتَبُ كُلُّ مَا تَكَلَّمُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُكْتَبُ قَوْلُهُ: أَكَلْتُ، شَرِبْتُ، ذَهَبْتُ، جِئْتُ، رَأَيْتُ. حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عُرِضَ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ، فَأَقْرَبُ مَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَالْقِيَ سَائِرُهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٢٩).

وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ هَذَا مِنْ طَرِيقِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِثٍ -بِكسْرِ الرَّاءِ، ثُمَّ يَاءٍ مَهْمُوزَةٍ، وَأَخْرَجَهُ مَوْحِدَةً- وَالْكَلْبِيُّ مَتْرُوكٌ، وَأَبُو صَالِحٍ لَمْ يُذَكِّرْ جَابِرًا هَذَا.

وَأَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: «مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ». مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كَتَبَ عَلَيْهِ. وَكَانَ عِكْرَمَةُ يَقُولُ: إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. قُلْتُ: وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِرَوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْمَذْكُورَةِ.

❦ قَوْلُهُ: «يُحَرِّفُونَ: يُزِيلُونَ». لَمْ أَرْ هَذَا مَوْصُولًا مِنْ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ وَجْهِ ثَابِتٍ، مَعَ أَنْ الَّذِي قَبْلَهُ مِنْ كَلَامِهِ، وَكَذَا الَّذِي بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: «دَرَسْتُهُمْ: تَلَاوْتُهُمْ» وَمَا بَعْدَهُ.

وَأَخْرَجَ جَمِيعَ ذَلِكَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابِ قَوْلِهِ: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٣٠) [٢٩: ٢٩] عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَا يُخَالِفُ مَا ذُكِرَ هُنَا، وَهُوَ تَفْسِيرُ يُحَرِّفُونَ بِقَوْلِهِ: يُزِيلُونَ، نَعَمْ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهٍ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي كِتَابِ الْمَجَازِ فِي قَوْلِهِ: (يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) قَالَ: يَقْلِبُونَ وَيُغَيِّرُونَ، وَقَالَ الرَّائِغُ: التَّحْرِيفُ: الْإِمَالَةُ، وَتَحْرِيفُ الْكَلَامِ أَنْ يَجْعَلَ عَلَى حَرْفٍ مِنَ الْإِحْتِمَالِ؛ بَحِثُ يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى وَجْهَيْنِ فَأَكْثَرُ.

❦ قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ أَحَدٌ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ: يَتَأَوَّلُونَهُ عَنْ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ» فِي رَوَايَةِ الْكُشْمِينِيِّ: «يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ» قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ الْمُثَنَّى فِي شَرْحِهِ: هَذَا الَّذِي قَالَهُ أَحَدُ الْقَوْلَيْنِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ وَهُوَ مُخْتَارُهُ -أَيِ الْبَخَارِيِّ- وَقَدْ صَرَّحَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِنَا بِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بَدَّلُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَفَرَعُوا عَلَى ذَلِكَ جَوَازَ امْتِهَانِ أَوْرَاقِهِمَا، وَهُوَ يُخَالِفُ مَا قَالَهُ الْبَخَارِيُّ هُنَا. انْتَهَى، وَهُوَ كَالصَّرِيحِ فِي أَنْ قَوْلَهُ: «وَلَيْسَ أَحَدٌ» إِلَى آخِرِهِ مِنْ كَلَامِ الْبَخَارِيِّ ذِيلٌ بِهِ تَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بَقِيَّةَ كَلَامِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ.

وَقَدْ صَرَّحَ بَعْضُ الشَّرَاحِ الْمَتَأَخِّرِينَ: اخْتَلَفَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَلَى أَقْوَالٍ، أَحَدُهَا: أَنَّهَا بُدِّلَتْ كُلُّهَا وَهُوَ مُقْتَضَى الْقَوْلِ الْمَحْكِيِّ بِجَوَازِ الْامْتِهَانِ، وَهُوَ إِفْرَاطٌ، وَيَنْبَغِي حُلُّ إِطْلَاقٍ مِنْ أَطْلَقَهُ عَلَى الْأَكْثَرِ وَلَا فَهِيَ مَكَابِرَةٌ، وَالْآيَاتُ وَالْأَخْبَارُ كَثِيرَةٌ فِي أَنَّهُ بَقِيَ مِنْهَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ لَمْ تَبْدَلْ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ

تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أُلْحِيَ الْأَلَى يَحْدُونَهُ مَكْنُونًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأنعام: ١٥٧]. الآية، ومن ذلك قصة رجم اليهوديين، وفيه وجود آية الرجم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٣].

ثانيها: أن التبديل وقع ولكن في معظمها، وأدلتها كثيرة، وينبغي حمل الأول عليه. ثالثها: وقع في اليسير منها ومعظمها باقٍ على حاله، ونصره الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتابه: «الردُّ الصحيح على من بدل دين المسيح».

رابعها: إنما وقع التبديل والتغيير في المعاني، لا في الألفاظ، وهو المذكور هنا. وقد سئل ابن تيمية عن هذه المسألة مجرداً، فأجاب في فتاويه أن العلماء في ذلك قولين، واحتجَّ للثاني من أوجه كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]. وهو معارض بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّى إِنَّمَا عَلَى الَّذِينَ بَدَّلُونَهُ﴾ [التوبة: ١٨١]. ولا يتعين الجمع بما ذكر من الحمل على اللفظ في النفي، وعلى المعنى في الإثبات؛ لجواز الحمل في النفي على الحكم، وفي الإثبات على ما هو أعم من اللفظ والمعنى، ومنها أن نسخ التوراة في الشرق والغرب والجنوب والشمال لا يختلف، ومن المحال أن يقع التبديل فيتوارد النسخ بذلك على منهاج واحد، وهذا استدلال عجيب؛ لأنه إذا جاز وقوع التبديل جاز إعدام المبدل، والنسخ الموجودة الآن هي التي استقرَّ عليها الأمر عندهم عند التبديل، والأخبار بذلك طافحة.

أما فيما يتعلق بالتوراة فلأن بختنصر لما غزا بيت المقدس، وأهلك بني إسرائيل، ومزقهم بين قتيل وأسير، وأعدم كتبهم، حتى جاء عزيراً فأملاها عليهم. وأما فيما يتعلق بالإنجيل فإن الروم لما دخلوا في النصرانية جمع ملكهم أكابرهم على ما في الإنجيل الذي بأيديهم، وتحريفهم للمعاني لا يُنكر، بل هو موجود عندهم بكثرة، وإنما النزاع: هل حرفت الألفاظ أو لا؟ وقد وُجد في الكتابين ما لا يجوز أن يكون بهذه الألفاظ من عند الله عز وجل أصلاً.

وقد سرد أبو محمد بن حزم في كتابه: «الفصل في الملل والنحل» أشياء كثيرة من هذا الجنس، من ذلك أنه ذكر أن في أول فصل في أول ورقة من توراة اليهود التي عند رهبانهم وقرائهم، وعاناتهم وعيسويهم، حيث كانوا في المشارق والمغرب لا يختلفون فيها على صفة واحدة لورام أحد أن يزيد فيها لفظة أو ينقص منها لفظة لا توضح عندهم متفقاً عليها عندهم إلى الأخبار الهارونية الذين كانوا قبل الخراب الثاني يذكرون أنها مبلغة من أولئك إلى عزرا الهاروني، وأن الله تعالى قال لما أكل آدم من الشجرة: هذا آدم قد صار كواحد منا في معرفة الخير والشر، وأن السحرة عملوا لفرعون نظير ما أرسل عليهم من الدَّم والضفادع، وأنهم عجزوا عن البعوض، وأن ابتي لوط بعد هلاك قومه ضاجعت كل منها أباه بعد أن سقته الخمر، فوطئ كلًّا منها فحملت منه، إلى غير ذلك من الأمور المنكرة المستبشرة.

وذكر في مواضع أخرى أن التبديل وقع فيها إلى أن أُعِدَّتْ فأملاها عزرا المذكور على ما هي عليه الآن، ثم ساق أشياء من نص التوراة التي بأيديهم الآن الكذب فيها ظاهر جداً، ثم قال: وبلغنا

عن قوم من المسلمين يُنْكِرُونَ أن التوراة والإنجيل اللتين بأيدي اليهود والنصارى محرَفان، والحاملُ لهنَّ على ذلك قلةٌ مبالايتهم بنصوص القرآن والسنة وقد اشتملا على أنهم: ﴿يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النسبة: ٤٦]. و﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [النسبة: ٧٠]. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النسبة: ١٧٨]. ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون. ويُقالُ لهؤلاء المنكرين: قد قالَ اللهُ تعالى في صفَةِ الصحابةِ ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِجْ أَخْرَجَ سُلَيْمَهُ﴾ [النسبة: ٢٩]. إلى آخرِ السورة، وليس بأيدي اليهود والنصارى شيءٌ من هذا.

وَيُقالُ لمن ادعى أن نقلَهم نقلٌ متواترٌ: قد اتفقوا على أن لا ذكرَ لمحمدٍ ﷺ في الكتابين، فإن صدقتموهم فيما بأيديهم لكونه نُقلٌ نقلَ المتواترِ فصدقوهم فيما زعموه أن لا ذكرَ لمحمدٍ ﷺ ولا لأصحابه، وإلا فلا يَجُوزُ تصديقُ بعضٍ وتكذيبُ بعضٍ مع مجيئهما مجيئًا واحدًا. انتهى كلامُهم، وفيه فوائدُ.

وقال الشيخُ بدرُ الدين الزركشي: اغترَّبَ بعضُ المتأخرين بهذا -يعني: بما قالَ البخاري- فقال: إن في تحريفِ التوراةِ خللاً هل هو في اللفظِ والمعنى، أو في المعنى فقط؟ ومال إلى الثاني ورأى جوازَ مطالعتها، وهو قولٌ باطلٌ، ولا خلافَ أنهم حرَّفوا وبدَّلوا، والاشتغالُ بنظرِها وكتابتِها لا يَجُوزُ بالإجماع، وقد غَضِبَ ﷺ حين رأى مع عمرَ صحيفةً فيها شيءٌ من التوراةِ، وقال: «لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»، ولولا أنه معصيةٌ ما غَضِبَ فيه.

قلتُ: إن ثبتَ الإجماعُ فلا كلامَ فيه، وقد قيده بالاشتغالِ بكتابتِها ونظرِها، فإن أراد من يَتَشَاغَلُ بذلك دونَ غيره فلا يَحْصُلُ المطلوبُ؛ لأنه يُفْهَمُ أنه لو تشاغلَ بذلك مع تشاغله بغيره جاز، وإن أراد مطلقَ التَّشَاغُلِ فهو محلُّ النظرِ، وفي وصفه المذكورَ بالبطلانِ مع ما تقدَّم نظرٌ أيضًا، فقد نُسِبَ لَوْهَبِ بْنِ مُثَنِّهِ وهو من أعلمِ الناسِ بالتوراةِ، ونُسِبَ أيضًا لابنِ عباسٍ تَرْجُمَانِ الْقُرْآنِ وكان ينبغي له تركُ الدِّفْعِ بالصدرِ والتشاغلِ برَدِّ أدلةِ المخالفِ التي حكيَّتْها، وفي استدلاله على عدمِ الجوازِ الذي ادعى الإجماعُ فيه بقصةِ عمرَ نظرٌ أيضًا، سأذكرُه بعد تخريجِ الحديثِ المذكورِ، وقد أخرجه أحمدُ والبخاريُّ واللفظُ له من حديثِ جابرٍ قالَ: نسخَ عمرُ كتابًا من التوراةِ بالعربيةِ فجاء به إلى النَّبِيِّ ﷺ فجعلَ يقرأُ ووجهُ رسولِ اللهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ، فقال له رجلٌ من الأنصارِ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ، أَلَا تَرَى وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تسألوا أهلَ الكتابِ عن شيءٍ فإنهم لن يَهْدُوكُم وقد ضلُّوا، وإنكم إما أن تُكذِّبوا بحقٍّ، أو تصدِّقوا بباطلٍ، والله لو كان موسى بين أظهرِكُم ما حلَّ له إلا أن يَتَّبِعَنِي». وفي سنده جابرُ الجُعْفِيُّ وهو ضعيفٌ.

ولأحمدَ أيضًا وأبي يَعْلَى من وجهٍ آخرَ، عن جابرٍ أن عمرَ أتى بكتابٍ أصابه من بعضِ كتبِ أهلِ الكتابِ فقرأه على النَّبِيِّ ﷺ فغَضِبَ، فذكرَ نحوه دونَ قولِ الأنصارِ، وفيه: «والذي نفسي بيده لو أن موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يَتَّبِعَنِي». وفي سنده مجالدُ بْنُ سَعِيدٍ وهو لَيِّنٌ.

وأخرجه الطبرانيُّ بسندٍ فيه مجهولٌ ومختلفٌ فيه، عن أبي الدرداء: جاء عمرُ بجوامعٍ من

التوراة فذكر بنحوه. وسمي الأنصاري الذي خاطب عمر عبد الله بن زيد الذي رأى الأذان، وفيه «لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتوني لضللتكم ضللاً بعيداً». -
وأخرجه أحد والطبراني من حديث عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر فقال: يا رسول الله إني مررت بأخي لي من بني فريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ... الحديث، وفيه: «والذي نفس محمد بيده لو أصبح موسى فيكم ثم اتبعتموه وتركتوني لضللتكم».

وأخرج أبو يعلى من طريق خالد بن عرفة قال: كنت عند عمر فجاءه رجل من عبد القيس فضربه بعضاً معه فقال: مالي يا أمير المؤمنين؟ قال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؛ قال: مُزني بأمر. قال: انطلق فامحه، فلئن بلغني أنك قرأته أو أقرأته لأُنْهَكَكَ عقوبة، ثم قال: انطلقت، فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما هذا؟». قلت: كتاب أنسخته لتزداد به علماً إلى علمنا. فغضب حتى احمرت وجنتاه فذكر قصة فيها: «يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي الكلام اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا». وفي سننه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، وهو ضعيف.

وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يُحتج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً، والذي يظهر أن كراهية ذلك للتنزيه، لا للتحريم.
والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكّن ويصر من الراسخين في الإيمان فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخ فيجوز له، ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقل الأئمة قديماً وحديثاً من التوراة، وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه.

وأما استدلاله للتحريم لما ورد من الغضب ودعواه أنه لو لم يكن معصية ما غضب منه، فهو معترض بأنه قد يغضب من فعل المكروه، ومن فعل ما هو خلاف الأولى إذا صدر ممن لا يليق منه ذلك، كغضبه من تطويل معاذ صلاة الصبح بالقراءة، وقد يغضب ممن يقع منه تقصير في فهم الأمر الواضح، مثل الذي سأل عن لُقطة الإبل. وقد تقدّم في كتاب «العلم» الغضب في الموعظة، ومضى في كتاب «الأدب» ما يجوز من الغضب. اهـ
الراجح: أن التحريف حصل في المعنى كثيراً، وفي اللفظ قليلاً، وكذلك في الإنجيل، والتحريف في الإنجيل أكثر من التوراة.

أما قوله -أي: البخاري-: ليس أحد يُزيل لفظ كتاب من كتب الله ﷻ. فهذا فيه نظر، أما القرآن فنعم، فإنه لا يمكن لأحد أن يزيل لفظاً من كتاب الله، وذلك لأنه محفوظ، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحق: ١٠]. وما من أحد حاول إلا فضحه الله وهتك ستره.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٦- بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٦) ﴿الْقَائِلُ: ٩٦﴾. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (١٧) ﴿الْقَائِلُ: ٩٧﴾. وَيُقَالُ لِلْمُصَوِّرِينَ: «أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ». ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى أَلْتَلِ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨) ﴿الْقَائِلُ: ١٠٤﴾.

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: بَيَّنَّ اللَّهُ الْخَلْقَ مِنَ الْأَمْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ عَمَلًا. قَالَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانُ بِاللَّهِ وَجَهَادٌ فِي سَبِيلِهِ». وَقَالَ: ﴿جَزَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) ﴿الْقَائِلُ: ٢٤﴾. وَقَالَ: وَفَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مُرْنَا بِجَمَلٍ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمَلْنَا بِهَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ. فَأَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ وَالشَّهَادَةِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ. فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَمَلًا.

هذا الباب أراد المؤلف أن يبين به هل أفعال العباد مخلوقة أو غير مخلوقة؟ فصدره بقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. قوله: ﴿خَلَقَكُمْ﴾. أمره واضح، وقوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. قيل في إعرابها وجهان:

الوجه الأول: أن «ما» مصدرية؛ أي: خَلَقَكُمْ وعملكم. وقيل: بل «ما» موصولة. وهو الصحيح؛ لأنه قال: ﴿اتَّبِعُونِ مَا نَنْحِتُونَ﴾ (٢٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٢١) ﴿الْقَائِلُ: ٩٥-٩٦﴾. أي: ما تَنْحِتُونَ، فأصنامكم مخلوقة فكيف تَعْبُدُونَهَا ولا تَعْبُدُونَ الذي خَلَقَكُمْ وخلقها. فالصحيح: الرجوع أن «ما» موصولة وليست مصدرية؛ لأن السياق يُعَيِّنُ ذلك، وهي من حيث العموم يَجُوزُ أن تكون مصدرية، والتقدير: خَلَقَكُمْ وخلق عملكم، وتكون دلالتها على خلق الأصنام من بابٍ دلالة اللزوم؛ لأنه إذا كان العمل مخلوقاً كان المعمول مخلوقاً كذلك.

أما على الوجه الأول فإنها تدل على أن هذه الأصنام مخلوقة بدلالة التضمن والمطابقة، ومع ذلك تدل على أن عمل الإنسان مخلوق بطريق الالتزام. ولكن أيهما نأخذ؟ هل نأخذ بأنها تدل على أن العمل مخلوق وأن هذه الأصنام مخلوقة بطريق اللزوم، أو بالعكس؟

نقول: نأخذ بالعكس؛ لأن سياق الآية يُرَادُ به بيان بطلان عبادة هذه الأصنام التي تَحْتُمُوها أنتم فهي مخلوقة، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تَعْبُدُونَهَا ولا تَعْبُدُونَ الذي خَلَقَكُمْ وخلقها، فتقدير الآية: واللَّهُ خَلَقَكُمْ والذي تعملونه، والعائد على الموصول محذوف.

والقائل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. هو إبراهيم حين أنكر على قومه أن يَعْبُدُوا هذه الأصنام التي هم بأنفسهم يَنْحِتُونَهَا، وهي مخلوقة لله.

ثم نرجع فنقول: هل أعمال العباد أفعال لهم أو أفعال لله؟ وهل هم مستقلون بها أو غير مستقلين بها؟ نقول: قد سبق الكلام على هذا، وبيننا أن في هذه المسألة ثلاثة أقوال، طرفان ووسط:

طَرَفٌ يَقُولُ: أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ لله، وليست فعلًا لهم؛ لأنهم مجبورون عليها، وَيَفْعَلُونَهَا بِغَيْرِ إِرَادَةٍ، وَيَقُولُونَ: إِنْ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَأْتِي وَيَرْكَبُ سيارَتَهُ وَيُسْغَلُّهَا وَيَمْشِي، كَالْإِنْسَانِ الَّذِي حُمِلَ وَهُوَ مَغْمِيٌّ عَلَيْهِ وَوُضِعَ فِي السَّيَّارَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنْ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّطْحِ بِالدَّرَجِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، كَالَّذِي يُلْقَى مِنَ السَّطْحِ؛ أَي: أَنَّ الْجَمِيعَ يَفْعَلُ بِغَيْرِ إِرَادَةٍ وَلَا اخْتِيَارٍ. وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ مَا يَفْعَلُهُ بِاخْتِيَارِهِ وَمَا يَفْعَلُهُ بِاضْطِرَارِهِ.

وَالطَّرَفُ الثَّانِي، بِالْعَكْسِ يَقُولُ: إِنْ الْإِنْسَانَ مُسْتَقِلًّا بِعَمَلِهِ، وَلَا عِلَاقَةَ لَهُ فِيهِ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ بِاخْتِيَارِهِ، وَيَتْرُكُ بِاخْتِيَارِهِ، وَبِمَشِئَتِهِ وَبِإِرَادَتِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِفَعْلِهِ لَا مَشِئَةً وَلَا خَلْقًا. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْقَدَرِيُّونَ الَّذِينَ هُمْ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسَبَقَ لَنَا بَيَانُ وَجْهِ كُوفِهِمْ مَجُوسًا، ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ جَعَلُوا لِلْحَوَادِثِ خَالِقِينَ كَمَا جَعَلَتِ الْمَجُوسُ لِلْحَوَادِثِ خَالِقِينَ.

الْقَوْلُ الثَّلَاثُ، وَهُوَ الْوَسْطُ: أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ أَفْعَالُهُمْ هُمْ. بِاخْتِيَارِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، لَكِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ مِنْ حَيْثُ أَنَّ فَعَلَ الْعَبْدِ صَادِرٌ عَنْ إِرَادَةٍ جَازِمَةٍ، وَقَدَرَةٍ تَامَةٍ، وَالَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْإِرَادَةَ وَهَذِهِ الْقَدَرَةَ هُوَ اللَّهُ، وَخَالَقَ السَّبَبَ النَّامَ خَالِقًا لِلْمُسَبَّبِ؛ لِأَنَّ الْمُسَبَّبَ نَاشِئٌ عَنِ السَّبَبِ، فَبِاعْتِبَارِ الْأَصْلِ يَكُونُ الْمُسَبَّبُ مَخْلُوقًا لِلْمُسَبَّبِ الَّذِي خَلَقَ السَّبَبَ.

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّحِيحُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أُجْبِرَ عَلَى الْفَعْلِ لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَيْهِ أَثَرُهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِاخْتِيَارِهِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا فَعَلَ الشَّيْءَ وَهُوَ نَاتِمٌ لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَيْهِ أَثَرُهُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْإِتْلَافَاتِ الَّتِي لِلْخَلْقِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ نَسِيَ فَعِيلًا لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَيْهِ أَثَرُهُ؛ لِأَنَّهُ بِغَيْرِ قَصْدِهِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ تَدُلُّ عَلَيْهِ الْقَوَاعِدُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْوَاقِعُ أَيْضًا؛ لِأَنَّا لَوْ قُلْنَا: إِنْ الْإِنْسَانُ يَسْتَقِلُّ بِعَمَلِهِ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَلَا عِلَاقَةَ لِلَّهِ بِفَعْلِهِ، صَارَ فِي مُلْكِ اللَّهِ مَا لَا يَشَاءُ وَهَذَا مَمْتَنِعٌ.

إِذَا فَعَلْنَا نُسَبِّحُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى خَلْقًا وَمَشِئَةً، وَنُسَبِّحُ إِلَيْنَا فَعْلًا وَكَسْبًا، فَنَحْنُ السَّاجِدُونَ الرَّائِعُونَ الصَّائِمُونَ الْمُتَصَدِّقُونَ الْحَاجُّونَ الْمُعْتَمِرُونَ، وَلَا يُنْسَبُ هَذَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَكِنْ خَالَقُ هَذِهِ الْأَفْعَالِ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ضَرُورَةٌ أَنَّهَا صَادِرَةٌ مِنَّا وَهِيَ مِنْ صِفَاتِنَا، وَنَحْنُ وَصِفَاتُنَا مَخْلُوقُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾. قَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾. هَذِهِ مَفْعُولٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ، وَيُسَمِّيهِ النَحْوِيُّونَ: الْاِسْتِغَالَ؛ لِأَنَّ الْعَامِلَ اشْتَغَلَ بِضَمِيرِهِ - بِضَمِيرِ الْمَتَقَدِّمِ - فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ﴾ تَقْدِيرُهُ: إِنَّا خَلَقْنَا كُلَّ شَيْءٍ.

وَهَلْ هَذَا الْخَلْقُ يَشْمَلُ فِعْلَ الْعَبْدِ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ﴿الْإِنشَاء: ٢١﴾. وَهَذَا يَقُولُ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾. فَالْآيَتَانِ مُسَاوِيَتَانِ دَلَالَةً، وَإِنْ اخْتَلَفْنَا تَعْبِيرًا.

❦ وَقَوْلُهُ: «وَيُقَالُ لِلْمَصُورِينَ: أَحْيَا مَا خَلَقْتُمْ». أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيَا مَا خَلَقْتُمْ. فَأُضَافَ الْخَلْقُ إِلَيْهِمْ، فَصَارُوا هُمُ الْفَاعِلُونَ.

وهنا يُشْكَلُ على بعض الناس كيف سَمَّى فعلهم خلقاً؟
والجواب: لأنهم يُصَاهِئُونَ بخلق الله، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا كَالْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْإِبْدَاعِ وَالتَّصْوِيرِ.
فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: أَلَسْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ. فكيف قيل لهؤلاء: أحيوا ما خلقتُم؟
فالجواب: أَنَّ الْخَلْقَ الَّذِي انْفَرَدَ اللَّهُ بِهِ غَيْرُ الْخَلْقِ الَّذِي خَلَقَهُ هَؤُلَاءِ، فَخَلَقَ اللَّهُ الَّذِي انْفَرَدَ بِهِ إِيْجَادُ
مِنْ عَدَمٍ، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُوجِدُوا مِنْ عَدَمٍ، بَلْ غَايَةُ مَا صَنَعُوا هُوَ التَّغْيِيرُ وَالتَّحْوِيلُ.
فَمَثَلًا: الْبَابُ يُقَالُ: خَلَقَهُ النَّجَارُ، فَهَلْ هُوَ الَّذِي أَوْجَدَ مَادَّتَهُ، الْخَشَبَ وَالْمَسَامِيرَ وَغَيْرَهَا؟
الجواب: لَا. لَكِنَّ حَوَّلَ هَذِهِ الْأَخْشَابَ وَالْمَسَامِيرَ إِلَى بَابٍ، فَكَذَلِكَ الْمَصُورُ كَانَ عِنْدَهُ مَادَّةٌ فَهَلْ خَلَقَ هُوَ
هَذِهِ الْمَادَّةَ؟ الْجَوَابُ: لَا. بَلِ الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ، وَالْمَصُورُ شَكَّلَ هَذِهِ الصُّورَةَ فَقَطْ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ
النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. هَذِهِ
الآيَةُ سَبَقَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا، وَبَيَّنَّا أَنَّ الْأَيَّامَ السَّتَّةَ أَوَّلُهَا الْأَحَدُ وَآخِرُهَا الْجُمُعَةُ.
وَنُورِدُ الْآنَ إِشْكَالًا وَهُوَ: أَنَّهُ كَيْفَ قَدَّرَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ أَوَّلُهَا الْأَحَدُ
وَآخِرُهَا الْجُمُعَةُ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَمْسٌ يُقَدَّرُ بِهَا الْيَوْمُ؟

والجواب: أَنَّهَا تُقَدَّرُ بِحَرَكَةِ الشَّمْسِ عَلَى مَدَى سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَإِنْ لَمْ تُوجَدِ الشَّمْسُ.
ثُمَّ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَيْنَةَ -يَعْنِي: سَفِيَانُ- بَيْنَ اللَّهِ الْخَلْقَ مِنَ الْأَمْرِ. بَيْنَهُ؛ أَي: مِيزَهُ، فَقَالَ: ﴿أَلَا لَهُ
الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ عَطَفَ الْأَمْرَ عَلَى الْخَلْقِ، وَالْأَصْلُ فِي الْعَطْفِ الْمَغَايِرَةُ، إِذَا فَلَا مَرُ شَيْءٌ
وَالْخَلْقُ شَيْءٌ آخَرُ، فَلَا مَرُ أَنْ يَقُولَ: كُنْ. وَالْخَلْقُ هُوَ التَّكْوِينُ وَالْإِيْجَادُ.
ثُمَّ قَالَ: وَسَمَّى النَّبِيُّ ﷺ الْإِيْمَانَ عَمَلًا. وَسَبَقَ أَنْ قُلْنَا: إِنَّ الْإِيْمَانَ عَمَلُ الْإِنْسَانِ وَأَنْ «آمَنَ»؛ أَي:
كَوَّنَ الْإِيْمَانَ فِي قَلْبِهِ، وَ«كَفَرَ»؛ أَي: كَوَّنَ الْكَفَرَ فِي قَلْبِهِ، فَهُوَ عَمَلٌ.
ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيْمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ
فِي سَبِيلِهِ». فَجَعَلَ الْإِيْمَانَ عَمَلًا.

ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿جَزَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. أَي: جَزَاءُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ، سَوَاءٌ الْخَيْرُ أَوِ الشَّرُّ.
ثُمَّ قَالَ: وَقَالَ وَفَدُ عَبْدِ الْقَيْسِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مُرْنَا بِجَمَلٍ مِنَ الْأَمْرِ، إِنْ عَمِلْنَا بِهَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ.
فَأَمَرَهُمُ بِالْإِيْمَانِ وَالشَّهَادَةِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ. فَجَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ عَمَلًا. أَي: عَمَلًا لِلْإِنْسَانِ،
فِيُضَافُ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْعَامِلُ الْمُبَاشِّرُ، أَمَّا الْخَالِقُ فَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.



ثُمَّ قَالَ الْحَارِثِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٥٥- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ، حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي قَلَابَةَ، وَالْقَاسِمِ التَّمِيمِيِّ،
عَنْ زَهْلَمٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ جُرْمٍ وَبَيْنَ الْأَشْعَرِيِّينَ وَدُوِّ إِخَاءٍ، فَكُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَقَرَّبَ إِلَيْهِ

الطَّعَامُ فِيهِ لَحْمٌ دَجَاجٌ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ كَانَهُ مِنَ الْمَوَالِي، فَدَعَاهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا فَقَدَرْتُهُ، فَحَلَفْتُ لَا أَكُلُهُ. فَقَالَ: هَلُمَّ فَلَا حَدَّثُكَ عَنْ ذَلِكَ، إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ، قَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ». فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بَنَهَبَ إِبِلَ فَسَأَلَ عَنَّا فَقَالَ: «أَيُّنَ النَّفَرِ الْأَشْعَرِيُّونَ؟». فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ غَرَّ الذَّرَى، ثُمَّ انْطَلَقْنَا قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا؟ حَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَحْمِلُنَا، وَمَا عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا، ثُمَّ حَمَلْنَا، تَغَفَّلْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْمَتَهُ؟ وَاللَّهِ لَا نُفْلِحُ أَبَدًا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا لَهُ، فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا أَحْمِلُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَحْلِفُ عَلَى بَيْمَةٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَتَحَلَّلْتُهَا»^(١).

❦ قوله: «كَانَ بَيْنَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ جُزْمٍ وَبَيْنَ الْأَشْعَرِيِّينَ وَدٌّ وَإِخَاءٌ، فَكُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَقَرَّبَ إِلَيْهِ الطَّعَامُ فِيهِ لَحْمٌ دَجَاجٌ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ كَانَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي؛ يَغْنِي: بَهِيَّتُهُ وَشَكْلُهُ، فَدَعَاهُ إِلَيْهِ؛ أَي: لِيَأْكُلَ. فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا فَقَدَرْتُهُ»؛ يَغْنِي: الدَّجَاجُ، وَالدَّجَاجُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ يَأْكُلُ مَا هَبَّ وَدَبَّ، فَكُلْ مَا عَلَى الْأَرْضِ تَأْكُلُهُ مِنْ طَيِّبٍ كَانَ أَوْ خَبِيثٍ، وَكَانَهُ رَأَاهَا تَأْكُلُ شَيْئًا خَبِيثًا فَقَدَرَهَا وَكَرِهَهَا.

وهنا نَسْأَلُ: لَوْ أَكَلْتَ الدَّجَاجَةَ شَيْئًا خَبِيثًا نَجَسًا، فَهَلْ تَكُونُ حَرَامًا؟
نقول: فِي هَذَا تَفْصِيلٌ، فَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ عِلْفِهَا وَلَمْ تَطْهَرْ مِنْهُ فَإِنَّهَا تَكُونُ حَرَامًا، وَإِنْ كَانَ نَصْفَ عِلْفِهَا، أَوْ أَقَلَّ فَفِيهِ حَلَالٌ.

فمثلاً: إِذَا كُنَّا نُعْطِيهَا جَرَامًا مِنَ الدَّمِ النَجَسِ، وَجَرَامِينَ مِنَ الْخَبِزِ وَنَحْوِهِ، فَإِنَّهَا تَكُونُ حَلَالًا؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ عِلْفِهَا مِنَ الطَّاهِرِ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ فَتَكُونُ حَرَامًا، إِلَى أَنْ تَطْهَرُ، وَيَكُونُ تَطْهِيرُهَا بِأَنْ تَحْسِبَهَا عَنْ هَذَا الْخَبِيثِ وَتُطْعَمَ الطَّاهِرَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَبِهَذَا تَعُودُ طَيِّبَةً.
وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ الْجَلَالََةَ هِيَ الَّتِي أَكْثَرُ عِلْفِهَا النِّجَاسَةُ حَلَالٌ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ اسْتِحَالَةَ النِّجَاسَةِ تَطْهَرُهَا. وَعَلَى هَذَا فَتَكُونُ حَلَالًا.

لَكِنِ الرَّوَايَةُ الْأُولَى أَصَحُّ. وَهَاتَانِ رَوَايَتَانِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ:
الْأُولَى: أَنَّ الْجَلَالََةَ حَلَالٌ مُطْلَقًا.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهَا حَرَامٌ إِذَا كَانَ أَكْثَرُ عِلْفِهَا النِّجَاسَةَ^(٢).

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّوَايَ قِصَّةَ حَمْلِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَشْعَرِيِّينَ بَعْدَ أَنْ أَتَوْهُ وَقَالُوا: احْمِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «مَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ»، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: «وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِمْدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ فِغْصٌ مِّنَ الدَّمَغِ حَزَنًا أَلْيَدُهَا مَا يُفْقُونَ»^(٣) [١٢: ١٧]. وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسِّرْ لَهُمْ مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، فَقَدْ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بَنَهَبَ إِبِلَ -أَي: بِغَنِيمَةٍ إِبِلَ- فَقَالَ: «أَيُّنَ النَّفَرِ الْأَشْعَرِيِّونَ». فَأَمَرَ لَهُمْ بِخَمْسِ ذَوْدٍ غَرَّ الذَّرَى،

(١) رواه مسلم (١٦٤٩) (٩).

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة (١٣/ ٣٢٨-٣٢٩).

وَالَّذِي: الْأَسْنَمَةُ، والغر: البيض، أي: أَنْ أَسْنَمَتْهَا بِيضًا.

ثم تساءلوا فيما بينهم وخافوا أَنْ يَكُونُوا أَكْرَهُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ.
وقالوا: «تَغْفُلْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِينَةٍ»؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ حَلَفَ وَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَهْلِكُمْ». فَنَدِمُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا لَهُ هَذَا فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا أَهْلِكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَهْلِكُمْ». فَأُضِيفَ حَمْلُهُمْ إِلَى اللَّهِ.
وهذا الحديث استدللَّ به الجبرية عَلَى مذهبهم، وقالوا: إِنْ فَعَلَ الْعَبْدُ فَعَلَ اللَّهُ.
كما استدلُّوا لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنعام: ١٧]. قالوا: فهذا صريحٌ فِي أَنَّ اللَّهَ أَضَافَ فَعَلَ الْإِنْسَانَ إِلَيْهِ ﷻ، وَهَذَا قَالَ: «وَلَكِنَّ اللَّهَ أَهْلِكُمْ».

وَالْجَوَابُ عَلَى هَذَا أَنْ نَقُولَ: إِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: «وَلَكِنَّ اللَّهَ أَهْلِكُمْ». أَي: وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسِّرُ لَكُمْ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ حَتَّى حَمَلَكُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْإِبْلَ مَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَخْطُرُ بِبَالِهِ أَنَّهَا سَتَأْتِي، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسِّرُهَا، فَكَانَتْ إِضَافَةُ الْحَمْلِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَسِّرُ لَهُمْ ذَلِكَ فَحَمَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ.
ثُمَّ أَقْسَمَ ﷺ فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَخْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَتَحَلَّلْتُهَا». وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ إِذَا حَلَفَ عَلَى شَيْءٍ وَرَأَى غَيْرَهُ خَيْرًا مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَأَنْ يَتَحَلَّلَ بِمِينَةٍ؛ أَي: يُكْفِّرَ عَنْهُ.
مثال ذلك:

قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا أَسْلَمُ عَلَى فُلَانٍ - وَتَرَكُ السَّلَامَ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ خَيْرٌ وَوَاجِبٌ لِأَنَّهُ سَنَةٌ - فَهَذَا نَقُولُ: كَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ وَسَلَّم.
كَذَلِكَ: حَلَفَ شَخْصٌ لَا يُجِيبُ دَعْوَةَ فُلَانٍ. نَقُولُ: كَفَّرَ عَنْ يَمِينِكَ وَأَجَبَ دَعْوَتَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا أَفْضَلُ.
وَمَنْ ثَمَّ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنْ الْحِنْثُ فِي الْيَمِينِ تَجْرِي فِيهِ الْأَحْكَامُ الْخَمْسَةُ - وَهِيَ: الْوَاجِبُ، وَالْحَرَامُ، وَالْمَنْدُوبُ، وَالْمَكْرُوهُ، وَالْمُبَاحُ - فَيَكُونُ الْحِنْثُ وَاجِبًا، إِذَا حَلَفَ عَلَى تَرْكِ وَاجِبٍ، أَوْ عَلَى فَعْلِ مُحْرَمٍ، - وَالْحِنْثُ هُوَ مُخَالَفَةُ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ - فَإِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَصَلِّيَ مَعَ الْجَمَاعَةِ. قُلْنَا: يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُصَلِّيَ، وَأَنْ تُكْفِّرَ، وَإِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَتْرُكُ شَرْبَ الدِّخَانِ. قُلْنَا: يَجِبُ أَنْ تَتْرُكَ هَذَا الدِّخَانَ، وَتُكْفِّرَ.
وَيَكُونُ الْحِنْثُ حَرَامًا إِذَا كَانَ عَلَى فَعْلِ وَاجِبٍ، أَوْ عَلَى تَرْكِ مُحْرَمٍ.
مثاله:

قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَصَلِّيَنَّ الْيَوْمَ مَعَ الْجَمَاعَةِ. نَقُولُ: الْحِنْثُ هُنَا حَرَامٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تَدَعَ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ، حَتَّى وَإِنْ قَالَ: أَدْعُهَا وَأَكْفُرْ.

وَكَذَلِكَ: لَوْ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَشْرَبَ الدِّخَانَ. نَقُولُ: الْحِنْثُ هُنَا حَرَامٌ.
وَيَكُونُ الْحِنْثُ مُسْتَحَبًّا إِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَصَلِّيَ رَابِعَةَ الْعِشَاءِ. نَقُولُ: الْأَفْضَلُ أَنْ يَحْنُثَ، فَيُصَلِّيَ وَيُكْفِرَ.
وَإِذَا قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَصَلِّيَنَّ رَابِعَةَ الْعِشَاءِ. فَالْحِنْثُ خِلَافُ الْأَوَّلَى.

وإذا قَالَ: والله لأَكُلَنَّ البَصَلَ. نقولُ: أَكُلَ البَصَلَ إذا كَانَ يَسْتَلْزِمُ تَرْكَ الْجَمَاعَةِ فَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّهُ مَكْرُوهٌ.

فَالْقَاعِدَةُ عِنْدَنَا: أَنَّ الْحِنْثَ يَكُونُ وَاجِبًا إِذَا كَانَ الْحَلْفُ عَلَى تَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فِعْلٍ مُحْرَمٍ.

وَيَكُونُ حَرَامًا إِذَا كَانَ الْحَلْفُ عَلَى فِعْلٍ وَاجِبٍ أَوْ تَرْكِ مُحْرَمٍ.

وَإِذَا كَانَ عَلَى فِعْلٍ مُسْتَحَبٍّ، وَكَانَ تَرْكُهُ مِمَّا يَكْرَهُ كَانَ الْحِنْثُ فِيهِ مَكْرُوهًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَلْزِمُ مَنْ تَرَكَ الْمُسْتَحَبَّ الْوُقُوعُ فِي الْكَرَاهَةِ، وَالْأَقْلُنَا: إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ لَا يَأْتِي بِمَسْنُونَاتِ الصَّلَاةِ، تَكُونُ صَلَاتُهُ مَكْرُوهَةً.

وَأَمَّا الْمَبَاحُ فَقَدْ يُقَالُ: لِأَنَّهُ لَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ الْحِنْثُ مَبَاحًا وَلَوْ كَانَ الْحَلْفُ عَلَى مَبَاحٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ حِفْظَ الْيَمِينِ أَوْلَى مِنَ الْحِنْثِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٥٦- حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا أَبُو جَمْرَةَ الضُّبَيْعِيُّ قُلْتُ لِأَبْنِ عَبَّاسٍ: فَقَالَ: قَدِمَ وَفَدَ عَبْدُ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ مُضَرَ، وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي أَشْهُرٍ حُرْمٍ، فَمُرْنَا بِجُمْلٍ مِنَ الْأَمْرِ إِنْ عَمِلْنَا بِهِ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ، وَنَدْعُو إِلَيْهَا مَنْ وَرَاءَنَا. قَالَ: «أَمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَأَكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَهَلْ تَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَتُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ. وَأَنْهَأَكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: لَا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالظُّرُوفِ الْمُرْفَتَةِ، وَالْحَتَمَةِ»^(١).

فِي هَذَا الْحَدِيثِ: فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ بِالْعَمَلِ يُسَمَّى إِيمَانًا؛ لِأَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَإِعْطَاءُ الْخُمْسِ مِنَ الْمَغْنَمِ. كُلُّ هَذِهِ أَعْمَالٌ. وَلَمْ يَذْكُرْ ﷺ هُنَا شَهَادَةَ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَاءُوا مُقَرَّرِينَ بِذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: «وَأَنْهَأَكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ». وَفَسَّرَ هَذَا النَّهْيَ بِقَوْلِهِ: «لَا تَشْرَبُوا فِي الدُّبَاءِ، وَالنَّقِيرِ، وَالظُّرُوفِ الْمُرْفَتَةِ، وَالْحَتَمَةِ». وَهَذِهِ أَوَانِي يُجْعَلُ فِيهَا النَّبِيذُ، وَهِيَ لِحَارِثَتَا تَطْبُخُ النَّبِيذَ، وَرَبِهَا يَصِلُ إِلَى حَدِّ مَسْكِرٍ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فَنَهَاكَ عَنْ ذَلِكَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا نُسِخَ هَذَا النَّهْيِ وَقَالَ: «كَتُبْتُ نَهْيَكُمْ عَنِ الْإِتْبَازِ فِي كَذَا وَكَذَا وَكَذَا. فَاتَّبِعُوا بِمَا شِئْتُمْ غَيْرَ لَا تَشْرَبُوا مَسْكِرًا»^(٢).

وَالدُّبَاءُ هِيَ: الْقَرْعُ، وَلَا سِيَّامًا قَرْعُ النَّجْدِ، فَإِنَّهُ مِثْلُ الْأَوْعِيَةِ تَامًا، حَيْثُ يُثْقَوْنَ حَتَّى يَنْبَسَ فِي غُصْنِهِ، فَإِذَا يَبَسَ فَإِنَّ الْمَخَّ الَّذِي فِي دَاخِلِهِ يَنْبَسُ وَيَكُونُ مِثْلَ الْوَرَقِ، ثُمَّ يَقْصُصُونَ أَعْلَاهُ وَيَجْعَلُونَهُ وَعَاءً، وَهُوَ فِي الشَّكْلِ لَهُ حُلُقُومٌ؛ يَعْنِي: أَعْلَاهُ ضِيقٌ وَأَسْفَلُهُ مَتَسِعٌ. وَأَمَّا النَّقِيرُ: فَهُوَ حَجَرٌ أَوْ خَشَبٌ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، يُنْقَرُ ثُمَّ يُوضَعُ فِيهِ النَّبِيذُ، وَهُوَ حَارٌّ.

(١) رواه مسلم (١٧، ١٨).

(٢) رواه مسلم (٩٧٧) (١٠٦).

وأما الظروف المزفة: فهي المطلية بالزَّفْتِ، والزَّفْتُ أيضًا حارٌّ.
والحتممة: هي الجرة الخضراء.

وعلى هذا فنقول: أن هذا النهي قد نُسخ وأذن النبي بالانتباذ بكل شيء إلا أن نشرب مسكرًا.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٥٧- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(١).

٧٥٥٨- حَدَّثَنَا أَبُو التَّعَمَنِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٢).

٧٥٥٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً»^(٣).

كل هذه الأحاديث قد سبق الكلام عليها، والشاهد فيها إضافة الخلق إلى هؤلاء المصورين.

فإن قيل: هل التصوير بالفيديو يدخل في هذا الوعيد؟

فالجواب: لا، لا يدخل في هذا؛ لأن المصور في الفيديو ما ذهب يَخْلُقُ كَخَلْقِ اللَّهِ، وإنما نقل

هذه الصورة، أو أثبت هذه الصورة في نفس الشريط.

فإن قال قائل: هذه الصورة المصورة بالفيديو تكون أعظم وأدق.

نقول: نعم، هي أعظم وأدق لا شك، لكنها ليست مثلها.

ثم إننا نقول: هذا الذي يصور بالفيديو أو نحوه هل الناس يقولون: ما أحسن تصويره وما أبدعه؟

الجواب: لا، لكن لو صور بيده لقالوا: هذا الرجل جيد إنه يخلق كخلق الله. فالفرق ظاهر.

فالذي يصنعه الإنسان بيده من صور هو المحرم، سواء كان ذلك بالكمبيوتر، أو على ورقة، أو

بأي شيء؛ لأنه ذهب يَخْلُقُ كَخَلْقِ اللَّهِ ﷻ.

(١) رواه مسلم (٢١٠٧) (٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢١٠٨) (٩٧).

(٣) رواه مسلم (٢١١١) (١٠١).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٧- باب قِرَاءَةِ الْفَاجِرِ، وَالْمُنَافِقِ، وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ.

٧٥٦- حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسٌ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْأُتْرَجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ كَالْتَمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا»^(١).

في هذا الحديث تشبيه عجيب:

فالناس أقسام: مؤمنٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ، فهذا كالأُتْرَجَةِ طعمُها طيبٌ وريحُها طيبٌ، والأُتْرَجَةُ مثلُ البرتقالةِ لكنها أكبرُ، وتختلفُ نوعاً ما عن البرتقالةِ.

ومثلُ المنافقِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كمثلِ الرِّيحَانَةِ لها رِيحٌ طيبةٌ لكن طعمُها مُرٌّ.

ومثلُ المؤمنِ الذي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْتَمْرَةِ طعمُها حلوٌ ولكن ليس لها رائحةٌ، والمراد: ليس

لها رائحةٌ زكيةٌ، وإلا فإن لها رائحةً ولكنها ليست زكيةً كرائحةِ الطيبِ.

ومثلُ الفاجرِ الذي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كمثلِ الحَنْظَلَةِ -وهي تسمى عندنا الشَّري- وهي مثلُ التفاحِ الصغيرةِ،

لكن طعمُها مُرٌّ جداً جداً، وليس لها رِيحٌ؛ يعني: ليس لها رِيحٌ زكيةٌ يجذبُ النفوسَ.

وهذه الحَنْظَلَةُ يُقَالُ: إن الإنسانَ إذا وطئَ عليها وهي مستويةٌ فإنها تسهلُ ما في بطنه؛ يعني: أنه

بدلٌ من أن يشربَ المُسهِّلَ فما عليه إلا أن يطأَ عليها وهي مستويةٌ، فإذا به يُخرجُ كلَّ ما في بطنه. وهذا

الأمرُ كان يفعلُه بعضُ الناسِ فيما سبق، لكن مع ذلك تأكلُها المواشي ولا تتأثرُ بها، وهذا من عجائبِ

مخلوقاتِ اللَّهِ ﷻ.

والشاهدُ من هذا الحديث: أن الرسولَ ﷺ أضاف القراءةَ إلى القارئِ فجعلها من فعله، وبين أن

القرآنَ يَقْرَأُهُ الْمُؤْمِنُ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِ؛ لقوله ﷺ: «وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ». وهذا يُوجَدُ فهناك

منافقون يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، ولكن لَا يَعْمَلُونَ بِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٦١- حَدَّثَنَا عَلِيُّ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ح. وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ،

حَدَّثَنَا عَنَسَةُ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ بْنَ

الزُّبَيْرِ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلَ أَنَسُ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَيَسُوءُوا بِشَيْءٍ». فَقَالُوا: يَا

رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطِفُهَا

الْجَنِّي فَيَقْرَئُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ، فَيَعْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ»^(١).

قوله: «سأل أناس النبي ﷺ عن الكهَّان». الكهَّان هم الذين يُخبرون عن المغيبات في المستقبل، فيقولون: سيَكُونُ كذا في يوم كذا، أو في شهر كذا، أو في سنة كذا. وهذا من علم الغيب الذي لا يَطْلُعُ عليه إلا الله، ولهذا جاء في الحديث: «من أتى كاهنًا فصدَّقه بما يَقُولُ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٢). ووجه الكفر أنه صدَّق بأن أحدًا يَعْلَمُ الغيب سوى الله، فيكون في هذا تكذيب لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [التكْوِيْن: ٦٥].

وهؤلاء الكهَّان كانوا حكامًا في الجاهلية؛ لأن لهم شياطين تتَّصِلُ بهم وتُخبرهم بخبر السماء، ثم إن هذا الكاهن يَزِيدُ على هذه الأخبار أشياء من عنده يَرْوِجُ بها على الناس، فإذا وقعت الكلمة الصدق التي سَمِعَتْ من السماء ظنَّ الناس أن كل كلامه صدق، فصدَّقوه بما يَقُولُ، ولكن الرسول ﷺ قال: «إنهم ليسوا بشيء»؛ يعني: ليس عندهم علم، ولما أورد على الرسول ﷺ أنهم يُحَدِّثُونَ بالشيء ويَكُونُ حقًا، قال النبي ﷺ: «تلك الكلمة من الحقَّ يَحْفَظُهَا الْجَنِّي فَيَقْرَئُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ». يعني: أنه يُلقِي إليه كلامًا ليس بمفهوم جيدًا، فيأخذ الكاهنُ منه هذه القُرقرة ويُضِيفُ إليها ما يُضِيفُ، ثم يُحَدِّثُ الناس، فإذا وقعت كلمة الحقَّ قالوا: هذا هو العالم.

وكما أن هذا كان موجودًا في الجاهلية فما زال الناس أيضًا يأخذون به الآن ويصدَّقونه، حتى إنِّي رأيتُ بعضَ الصحف في أول هذه السَّنة الميلادية - كما هي عادتُهم في التاريخ - يَكْتُبُونَ في الصحف، قالت الكاهنة فلانة - ثم يَصَوِّرُونَهَا - سيَكُونُ كذا، وسيَكُونُ كذا. والجهال من الناس يصدَّقون، وضعفاء الدِّين يصدَّقون، والواجبُ تكذيبُ هذا، والواجبُ أيضًا منع الصحف من نشر مثل هذه الأشياء، ولكن مع الأسف تدخل بلادنا من غيرنا وتروِّجُ فينا.

حتى لو فُرِضَ أن القضاء والقدر صدَّق ما يَقُولُهُ هذا الكاهن، فإننا نَعْلَمُ علمَ اليقين أن هذا الكاهن لا يَعْلَمُ الغيب، ولا يَجُوزُ لنا أن نُصدِّقه، ولا أن نَرَكْنَ إلى ما قال قبل أن يَقَعَ؛ لأن الرسول ﷺ قال: «ليسوا بشيء».

فإن سأل شخص الكاهن ليختبره ويكذِّبه. فهذا لا بأس، بل قد يَكُونُ واجبًا، فقد اختبر النبي ﷺ ابنَ صيَّاد، فقال: «ما خبأتُ لك؟». فقال: الدُّخ. وكان الرسول ﷺ قد أضمر في نفسه الدُّخان، لكن قصد وعجز أن يَكْمِلَهَا، فقال: الدُّخ. فقال النبي ﷺ: «أخسأ فلن تَعْلَمُوا قدرك»^(٣).

فسؤال الكهَّان يَنْقَسِمُ إلى ثلاثة أقسام:

(١) رواه مسلم (٢٢٢٨) (١٢٣).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٤٢٨/٢) (٩٥٠٢)، وأبوداود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩). وقال الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى السَّنَنِ: صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: أَنْ يُرَادَ بِهِ بَيَانُ عَوَارِهِ وَكَذِبِهِ، فِهَذَا جَائِزٌ، بَلْ وَاجِبٌ، بِشَرَطِ أَلَا يَكُونَ فِي ذَلِكَ تَغْيِيرٌ لِأَحَدٍ، بَحِثُ يَغْتَرُونَ إِذَا جَاءَ هَذَا الرَّجُلُ لِيَسْأَلَ الْكَاهِنَ، أَوْ يُمَوِّهَ هَذَا الْكَاهِنُ وَيَقُولُ: فَلَانُ جَاءَ إِلَى وَسْأَلَنِي، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

الثَّانِي: أَنْ يَسْأَلَهُمْ لِيَنْظُرَ مَا عِنْدَهُمْ لَا لِتَصَدِّقَهُمْ. فِهَذَا عَلَيْهِ الْوَعِيدُ: «لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»؛ لِأَن فِي سَوَالِهِمْ إِغْرَاءَ لَهُمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَذِبِ وَالِدَّجَلِ، وَفِي سَوَالِهِمْ أَيْضًا تَغْيِيرٌ لِلغَيْرِ، حَيْثُ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ.

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَسْأَلَهُمْ وَيُصَدِّقَهُمْ فِهَذَا هُوَ الْكُفْرُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَسْتَخْدِمُ الْجِنَّ، لَكِنْ إِذَا اسْتَعْدَمَهُ لَأَمْرٍ بَاطِلٍ فَإِنَّهُ حَرَامٌ، أَوْ اسْتَعْدَمَهُ بِطَرِيقٍ بَاطِلٍ كَالذَّبْحِ لَهُ، أَوْ الرُّكُوعَ لَهُ، أَوْ السُّجُودَ لَهُ، أَوْ تَمْكِينَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَثَلًا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّ الْجِنَّ فِيهِمْ سَفَهَاءٌ، فَمَنْهُمْ مَنْ يَخْتَارُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ لِجَمَالِهَا فَيَخْتَارُ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً لَهُ، وَفِيهِمْ مَنْ يَخْتَارُ هَذَا الصَّبِيَّ لِجَمَالِهِ وَيَفْعَلُ بِهِ الْفَاحِشَةَ، أَوْ هِيَ امْرَأَةٌ مِنَ الْجِنَّ تَعْشَقُ إِنْسَانًا وَتُرِيدُ أَنْ تَتَّصَلَ بِهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَانَ حَرَامًا.

فَإِذَا كَانَ تَوَلَّيَهُ بِطَرِيقٍ مُحَرَّمٍ، أَوْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِهِمْ عَلَى مُحَرَّمٍ كَانَ ذَلِكَ حَرَامًا بَلَا شَكٍّ. أَمَّا إِذَا كَانَ بِطَرِيقٍ مَبَاحٍ، لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِهِمْ عَلَى شَيْءٍ مَبَاحٍ، فَقَدْ ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ ذَلِكَ جَائِزٌ، وَلَكِنْ إِذَا خِيفَ أَنْ يَكُونَ هَذَا ذَرِيعَةً إِلَى أَمْرٍ لَا يَجُوزُ فَلَدِينَا الْقَاعِدَةُ الشَّرْعِيَّةُ، وَهِيَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا حَكَمَ الذَّهَابُ إِلَى السَّاحِرِ لِفَكِّ السَّحْرِ؟
فَالْجَوَابُ: هَذَا لَيْسَ مَحَلُّ اتِّفَاقٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، فَإِنَّ مِنَ الْأَمَانَةِ الْعِلْمِيَّةِ أَنْ نَقُولَ: لَا يَجُوزُ الذَّهَابُ إِلَى السَّحَرَةِ لِفَكِّ السَّحْرِ حَتَّى لَوْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى مَوْتِ الْإِنْسَانِ.

وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَجِيزُهُ لِلضَّرُورَةِ، كَالْمَشْهُورِ مِنْ مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ الْمَتَأَخِّرِينَ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: يَجُوزُ حُلُّ السَّحْرِ بِمِثْلِهِ لِلضَّرُورَةِ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا مَا ذَكَرَ عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يُمنَعُ مِنْ أَمْرِهِ بِالسَّحْرِ فَهَلْ يَجُوزُ النُّشْرَةُ قَالَ: لَا بَأْسَ، إِنَّمَا يَرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ فَلَمْ يَنْتَهَى عَنْهُ.

لَكِنْ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا: إِنْ النُّشْرَةُ بِالسَّحْرِ حَرَامٌ وَلَا تَجُوزُ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ». وَهَكَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٧٥٦٢- حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ يَحَدِّثُ عَنْ مَعْبُدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُخْرِجُ نَاسٌ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ،

يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمُرُّ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ حَتَّى يَعُودَ السَّهْمُ إِلَى فَوْقِهِ». قِيلَ: مَا سِيَاهُمْ؟ قَالَ: «سِيَاهُمْ التَّحْلِيْقُ - أَوْ قَالَ - التَّسْيِدُ».

قَوْلُهُ: «سِيَاهُمْ». يَعْنِي: عَلَامَاتُهُمْ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْمَشْرِقِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَكِنْ لَا يُجَاوِزُ تَرَاثِيمَهُمْ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ -، وَعَلَيْكَ يَا أَخِي أَنْ تُقَشِّشَ فِي نَفْسِكَ: هَلْ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ يَصِلُ الْقُرْآنُ إِلَى قَلْبِكَ، أَوْ يَكُونُ فِي الْحَنْجَرَةِ فَقَطْ.

إِنْ كَانَ الثَّانِي فَعَلَيْكَ بِالْمُبَادَرَةِ بِالْعِلَاجِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَشْرِيَ الْمَرَضُ، فَلَا تَسْتَطِيعُ الْفِكَاكُ مِنْهُ.

وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ، وَأَنْتَ تَجِدُ لَذَةً فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَحَلَاوَةً، وَطَعْمًا، وَانْشِرَاحَ صَدْرٍ، فَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ مَنَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ فَاشْكُرْهُ عَلَيْهَا؛ لِيَزِيدَكَ عَلَيْهَا.

وَالْتَحْلِيْقُ: إِزَالَةُ الشَّعْرِ، وَالتَّسْيِدُ: اسْتِصْالُهُ.

قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» (١٣/٥٣٧):

قَوْلُهُ: «التَّحْلِيْقُ أَوْ قَالَ: التَّسْيِدُ» شَكٌّ مِنَ الرَّائِي، وَهُوَ بِالْمَهْمَلَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ؛ بِمَعْنَى: التَّحْلِيْقِ، وَقِيلَ: أَبْلَغُ مِنْهُ؛ وَهُوَ بِمَعْنَى: الِاسْتِصْالِ. وَقِيلَ: إِنْ نَبَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ. وَقِيلَ: هُوَ تَرَكُّ ذَهْنِ الشَّعْرِ وَغَسْلُهُ.

قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: فِيهِ إِشْكَالٌ، وَهُوَ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ وَجُودِ الْعَلَامَةِ وَجُودُ ذِي الْعَلَامَةِ فَيَسْتَلْزِمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ مَحْلُوقَ الرَّأْسِ فَهُوَ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَالْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ اتِّفَاقًا، ثُمَّ أَجَابَ بِأَنَّ السَّلَفَ كَانُوا لَا يَخْلُقُونَ رءُوسَهُمْ إِلَّا لِلنَّسكِ أَوْ فِي الْحَاجَةِ، وَالْخَوَارِجُ اتَّخَذُوهُ دِينًا، فَصَارَ شَعَارًا لَهُمْ، وَعُرِفُوا بِهِ. قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ حَلْقُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ وَجَمِيعِ شَعُورِهِمْ، وَأَنْ يُرَادَ بِهِ الْإِفْرَاطُ فِي الْقَتْلِ، وَالمَبَالِغَةُ فِي الْمَخَالَفَةِ فِي أَمْرِ الدِّيَانَةِ.

قُلْتُ: الْأَوَّلُ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَالثَّانِي مُحْتَمَلٌ، لَكِنَّ طَرِيقَ الْحَدِيثِ الْمُتَكَثِّرَةِ كَالصَّرِيحَةِ فِي إِرَادَةِ حَلْقِ الرَّأْسِ، وَالثَّلَاثُ كَالثَّانِي. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

تَنْبِيْهُ: وَقَعَ لَابِنِ بَطَالٍ فِي وَصْفِ الْخَوَارِجِ خَبْطُ أَرْدَتْ التَّنْبِيْهَ عَلَيْهِ لِثَلَاثِ غُتَرٍ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي قَوْمٍ عَرَفَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْوَحْيِ أَنَّهُمْ خَرَجُوا بِبِدْعَتِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ، وَهُمْ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ بِالنَّهْرَوَانِ حِينَ قَالُوا: إِنَّكَ رَبُّنَا. فَاغْتَاظَ عَلَيْهِمْ، وَأَمَرَ بِهِمْ، فَحَرَّقُوا بِالنَّارِ، فَزَادَهُمْ ذَلِكَ فِتْنَةً، وَقَالُوا: الْآنَ تَبَيَّنَ أَنَّكَ رَبُّنَا؛ إِذْ لَا يُعَذَّبُ بِالنَّارِ إِلَّا اللَّهُ. انْتَهَى. وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذِهِ الْقِصَّةُ لَعَلِّي فِي الْفِتَنِ، وَلَيْسَتْ لِلْخَوَارِجِ، وَإِنَّمَا هِيَ لِلزَّنَادِقَةِ، كَمَا وَقَعَ مَصْرَحًا بِهِ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ.

وَوَقَعَ فِي شَرْحِ الْوَجِيزِ لِلرَّافِعِيِّ عِنْدَ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ قَالَ: هُمْ فِرْقَةٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ يَعْرِفُ قَتْلَةَ عُمَانَ، وَيَقْدِرُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَقْتَصُّ مِنْهُمْ؛ لِرِضَاهُ بِقَتْلِهِ وَمَوَاطَأَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ مَنْ أَتَى كَبِيرَةً فَقَدْ كَفَرَ، وَاسْتَحَقَّ الْخُلُودَ فِي النَّارِ، وَيَطْعَمُونَ لَذَلِكَ فِي الْأُثْمَةِ. اهـ.

الظَّاهِرُ مِنْهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ قَوْلَهُ: «سِيَاهُمْ التَّحْلِيْقُ». لَيْسَ حَلْقُ الرَّأْسِ كُلِّهِ وَلَكِنَّهُمْ يَخْلُقُونَ حَلْقًا يَكُونُ كَالْحَلْقَةِ عَلَى الرَّأْسِ، فَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ حَلْقَةً دَائِرَةً فِي وَسْطِ الرَّأْسِ؛ أَيْ: يَكُونُ مَا فَوْقَ الرَّأْسِ بَاقِيًا وَمَا أَسْفَلُهُ بَاقِيًا عَلَى

شكل حلقة كالطوق، وإما أن تكون حلقة من أسفل، ويكون أعلى الرأس باقياً.

وهناك احتمال ثالث: أن تكون حلقة في أعلى الرأس.

أما مجرد حلق الرأس فهذه علامة على الخوارج؛ لأن الناس يفعلونها وهم ليسوا من الخوارج.

والشاهد من هذا الحديث قوله: «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ». فدل هذا على أن القرآن يقرأه البر والفاجر.



ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٥٨ - باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي

آدَمَ وَقَوْلُهُمْ يُوزَنُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْقُسْطَاسُ الْعَدْلُ بِالرُّومِيَّةِ.

وَيُقَالُ: الْقِسْطُ مُصَدَّرُ الْمُقْسِطِ، وَهُوَ الْعَادِلُ. وَأَمَّا الْقَاسِطُ فَهُوَ الْجَائِرُ.

قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾. قوله: ﴿لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾. اللام فيه للتوقيت؛

أي: في يوم القيامة توضع الموازين، وهي موازين قسط؛ أي: عدل، كما قال تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ

الْمُسْتَقِيمِ﴾ [١٨٢]. يَعْنِي: بِالْعَدْلِ.

وقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلُهُمْ يُوزَنُ». هذا هو القول الراجح؛ أن الذي

يُوزَنُ هو العمل، سواء كان فعلاً أم قولاً.

وذهب بعض العلماء إلى أن الذي يُوزَنُ هو صحيفة العمل.

وذهب آخرون إلى أن الذي يُوزَنُ هو العامل.

فأما الذين قالوا بأن الذي يُوزَنُ هو العمل فأدلتهم من القرآن ظاهرة، وكذلك من السنة، ومن

ذلك قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ

حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧]

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٨]. [٧-٨].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٨] وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ﴾ [٨]. إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على أن الذي يُوزَنُ هو العمل.

وقيل: بل إن الذي يُوزَنُ هو صحائف العمل، واستدل أصحاب هذا القول بحديث صاحب

البطاقة الذي يؤتى له بسجلات كثيرة، ويقال: هذه سيئاتك. فإذا رأى أنه قد هلك قيل له: إن عندنا

لك حسنة. فيؤتى ببطاقة فيها: لا إله إلا الله. فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟!

فيقال: إنك لا تظلم. ثم توضع البطاقة في كفة، والسجلات في كفة، فتزجج البطاقة، وتطيش

السَّجَلَاتُ^(١). فهذا يدلُّ على أن الذي يُوزَنُ هو صحائف الأعمال.
والقول الثالث: أن الذي يُوزَنُ هو العامل. واستدلُّوا على ذلك بقول النَّبِيِّ ﷺ: «إن ساقبه -
يعني: عبد الله بن مسعود- في الميزان أثقل من أحد»^(٢). وبقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وِزْنَ﴾ [الكهف: ١٠٥].

وأجيب عن هذه الأدلة بأن الآية لا دليل فيها أصلاً؛ لأن المعنى: لا تُقِيمُ لهم قيمة، وإلا فسَيَقَامُ
الوزن لكل أحد.

وأما حديث عبد الله بن مسعود فظاهره أن الذي يُوزَنُ هو العامل. ولكن قد نقول: إن هذا
خاص بابن مسعود رضي الله عنه، أو إنه قد يُوزَنُ غيره، ولكنه نادر.

والقول الرابع من هذه الأقوال: أن الذي يُوزَنُ هو العمل، كما قال البخاري رحمته الله.
وقوله: «المُقْسِط» وهو العادل، وأما القاسط فهو الجائر. هذا صحيح فقد قال الله تعالى:
﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٩٠]. وقال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [البقرة: ١٥].
[البقرة: ١٥]. فالقاسط هو الجائر، والمُقْسِط هو العادل، وسُمِّي بذلك؛ لأنه مُزِيلٌ للقسط، وهو الجور.

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله:

٧٥٦٣- حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْكَابٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقَعْقَاعِ، عَنْ أَبِي
زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ،
ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١).
هذا الحديث أيضاً مما يدلُّ على أن الذي يُوزَنُ هو العمل، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى
الرَّحْمَنِ». أي: أنه يُحِبُّهُمَا رحمته الله، «خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ». أي: لا تَثْقُلُ عَلَى اللِّسَانِ. «سُبْحَانَ اللَّهِ
وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». فقوله: «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ». وهذا واضح بأن الذي يُوزَنُ هو العمل؛
يعني: يوم القيامة تُوَضَّعُ هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ فِي الْمِيزَانِ فتكونان ثقيلتان.

فإن قَالَ قائلٌ: كيف تُوَضَّعُ وهي عملٌ؟

فالجواب: أن الله تعالى قادرٌ على أن يجعلَ العملَ أجساماً، ونظيرُ ذلك أن الموتَ -وهو معنى وصفة- يُؤْتَى

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٣) (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠). وقال الشيخ
أحمد شاكر رحمته الله في «شرح المسند»: إسناده صحيح. وقال الشيخ الألباني رحمته الله في «صحيح الجامع»
(١٧٧٦): صحيح.

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٤٢٠، ٤٢١) (٣٩٩١)، من طريق عاصم بن أبي النجود. وقال الهيثمي
في «المجمع» (٩/ ٢٨٩): رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والطبراني من طرق... وأمثل طرقها فيه عاصم
بن أبي النجود، وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقيّة رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح. اهـ.
(٢) رواه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤) (٣١).

به يومَ القيامة، وَيُطْلَعُ عَلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ، وَيُذْبَحُ أَمَامَ الْجَمِيعِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خَلُودٌ وَلَا مَوْتُ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خَلُودٌ وَلَا مَوْتُ^(١)، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

❖ وقوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ». أي: أَسْبَحُ اللَّهَ تَسْبِيحًا مَقْرُونًا بِحَمْدِهِ، فَيَكُونُ جَمْعًا بَيْنَ التَّخْلِيَةِ وَالتَّحْلِيَةِ؛ أي: التَّخْلِيَةُ عَنْ صِفَاتِ الْعَيْبِ، وَالتَّحْلِيَةُ بِإِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ الْكَمَالُ، إِذْ إِنْ الْكَمَالُ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَقْتَرَنَ بِهِ عَيْبٌ لَيْسَ كَامِلًا، وَالْعَيْبُ الْخَالِي مِنَ الْكَمَالِ لَيْسَ كَامِلًا، وَيَتِمُّ الْكَمَالُ إِذَا انْتَفَى النَقْصُ وَثَبَتَ الْكَمَالُ، وَلِهَذَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ». و«الْبَاءُ» هُنَا لِلْمَصَاحِبَةِ.

❖ وقوله: «سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». تَأْكِيدٌ لَهَا سَبْقُ، وَالْعَظِيمُ: ذُو الْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ.

وَبِهَذَا الْحَدِيثِ انْتَهَى صَلَاحُ الْبَخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَغُفِرَ لَهُ

وَقَدْ خَتَمَ كِتَابَهُ بِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ فَلِنَسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَثْقُلَ مِيزَانَهُ وَيَغْفِرَ لَنَا وَلَهُ

فهرس الاطراف

أُدرَجنا في ثنايا هذا الفهرس الآثار الموقوفة، ولم تقتصر على فهرسة الأحاديث المرفوعة فحسب، وذلك حتى يتسنى للقارئ الكريم الرجوع إلى بغيته بطريقة سهلة مُيسرة. وقد ميّزنا ذلك بنسبة كل قول إلى قائله خلا الأحاديث المرفوعة، ووضعنا اسم القائل بين قوسين هكذا () ومثال ذلك:

- ١- أبي أقرؤنا (من قول عمر).
 - ٢- أ رأيت إن عجز واستحَمَق (من قول ابن عمر).
 - ٣- تبارك الذي وسع سمعه الأصوات (من قول عائشة).
- وقمنا - كذلك - بوضع عبارة (قدسي) إلى جوار الحديث القدسي لتمييزه، وذلك إن لم نصدره بقول: قال الله، أو نحوه.
- وكذا، قمنا بفهرسة أشهر العبارات التي تميزت بها بعض الأحاديث كحديث: (الشفاعة)، و(جبريل)، و(الجساسة)... وهكذا.
- وضمّمناه - أيضاً - بالإضافة إلى طرف الحديث أشهر العبارات الواردة في ثنايا الحديث النبوي، وإن لم تكن في صدر الحديث.
- وذلك من أجل خدمة تراث الإمام العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَمثل، والله نسأل أن يوفقنا وسائر المسلمين إلى ما يحب ويرضى.

فهرس الطرف

أبكم جنون؟	٦	٥١٨	اتنوا بي، وليأتكم بكم من بعدكم	٣	١٨١
أبكم جنون؟	٧	٥٤٤	اتنني بغيرها	١	٤١٦
أبكم جنون؟	٩	١٥٤، ١٥٠، ١٤٤	اتنوا نوحاً	١	٢٠
أبكم جنون؟	٩	٦٠٨	اتنوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا		
أبكم جنون؟	٩	٦٤٢	بعده	١	٣٠٢
أبكم أم ثيباً؟	٦	١٥٥	اثن له ويشره بالجنة	١٠	٤٢
أبلي وأخلفي	٧	٥١٦، ٤٨٩	اثن له ويشره بالجنة	٩	٥٢٠
ابن أخت القوم منهم	٩	٧٨	اثنوا للنساء بالليل إلى المساجد	٣	٤٨٨
أبو بذي، فافغري	٨	١٤٤	اثنوا له بش أخ العشرة	٣	١٧١
أبوك حذافة	٢	٤٧٦	أبا بكر رض قبل النبي ﷺ وهو ميت	٧	٣٨٤
أبوك حذافة	١٠	٧٦٩، ٦٩	أبا هر الحق أهل الصفة	٧	٦٧٩
أبوك فلان	١٠	٨٠	أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً	١٠	٤٥٧
أبي أقرؤنا... (من قول عمر)	٦	٤٤	أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً	٩	١٢٠
أتاني الليلة أت من ربي	١٠	١٤٢	ابتاعها فأعتقها	٢	٣٤٨
أتاني جبريل فيشرفي	١٠	٤٧٢	ابدءوا بميامنها ومواضع الوضوء منها	٤	٤١٧
أت النبي ﷺ فرد نكاحها... (عن خنساء)			ابدءوا بميامنها، ومواضع الوضوء	٤	٤١٧
بنت خزام	٩	٣٦٠	ابدأ بمن تعول	٧	٦١٤
أتحيين؟	٦	٢٢٩	ابدأ بنفسك	١	٦١
أتخافين أن يحيف الله عليكم ورسوله؟	٢	٢٠٩	ابدأ بنفسك ثم بمن تعول	٧	٣١٤
اتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة	١	١٩٣	ابدأ بميامنها ومواضع الوضوء منها	١	٤٤١
اتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة	٧	٥٤٤	ابدأ بميامنها ومواضع الوضوء منها	٤	٤١٧
اتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة	٩	٥٩٧	ابدأ بميامنها ومواضع	٢	١٤٠
اتخذ خاتماً من فضة	٧	٥٤٦	أبرد أبرد	٢	٤٧٠
اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ورق	٧	٥٤٤	أبرد	٢	٥٨٣، ٤٧٥
أتدرون أي يوم هذا؟	٥	٤٦٤، ٤٦٣	أبرد	٣	٣٠
أتدرون أي يوم هذا؟	٩	٢١٧	أبرد	٣	٣٥٩
أتدرون ماذا قال ربيكم	٧	٤٠١	أبسط رداءك	١	٣٢٤
أتدري أين تذهب	٧	٣٩١	أبعثها قياماً مقيدة سنة محمد ﷺ	٥	٤٣٢
أتراي ما كنتك لأخذ جملك	٢	٣٣٣	أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم	٩	٦٢٩
			أبغض الناس إلى الله ثلاثة ملحد في الحرم	٩	٢٤٢

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٥٦٦..... ١		أتى النبي ﷺ بسباطة قوم.....	٥٣٠..... ٦		أتردين عليه حديقته؟.....
٤٣٢..... ٤		أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي بعد ما دفن.....	٤٤٠..... ٧		أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة.....
٤٥٦..... ٧		أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي.....	٥٥٢..... ٧		أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة.....
		أتى النبي ﷺ على قبر منبوذ، فصصفهم.....			أترك النبي ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك.....
٥٠٧..... ٤		وكبر أربعاً.....	٦٢..... ٦		إلا ما بين الدفتين.....
٤٣٣..... ٣		أتى النساء فوعظهن وذكرهن.....	٣٤٥..... ٧		أترون أن هذه المرأة تقذف ولدها في النار.....
٦٤٢..... ٣		أتى النساء فوعظهن وذكرهن.....	٤٦٨..... ٦		أتزوجت؟.....
١٠..... ٤		أتى النساء فوعظهن وذكرهن.....	٦٩٧..... ٧		أتشفع في حد من حدود الله.....
١١..... ٤		أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكرهن.....	١١٢..... ٩٠		أتشفع في حد من حدود الله.....
٦٣٤..... ٧		أتى رجل النبي ﷺ فقال له: إن אחتي.....	١١٤..... ٩٠		أتشفع في حد من حدود الله.....
٥٦٤..... ١		أتى رسول الله ﷺ بصبي، فبال على ثوبه.....			أتصلي للناس فأقيم... (من قول بلال.....
		أتى رسول الله ﷺ بسباطة قوم، فبال.....	١٢٦..... ٣		لأبي بكر).....
٥٦٦..... ١		قائماً.....	٦٧٢..... ٧		أتعجبون من غيرة سعد.....
		أتى رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي بعد ما.....	٥٠٢..... ٧		أتعجبون من هذا؟.....
٥٦٤..... ٤		أدخل.....	٥٤٩..... ٧		أتعجبون منها؟.....
٥١٨..... ٤		أتى رسول الله ﷺ قيراً.....			اتق الله واردها إلى بيتها... (من قول.....
٦٣٢..... ٧		أتى رسول الله ﷺ وقد حمل.....	٦٠٤..... ٦		عائشة).....
٦٦٥..... ٧		أتيت الذي هو خير.....	١٣١..... ٩٠		اتق الله، ولا تقض الخاتم إلا بحقه.....
٥٢٨..... ٧		أتيت النبي ﷺ وهو في قبة هراء.....	٣٨٦..... ١٠		اتق الله، وأمسك عليك زوجك.....
٥٣٩..... ٤		أتيت أنا وأبو بكر وعمر.....	١٤١..... ٧		اتق دعوة المظلوم.....
		أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه.....	٧٥..... ١٠		اتقوا الشح فإنه أهلك.....
٢٤٩..... ٦		حفصة... (من قول عمر).....	١٥٨..... ٦		اتقوا الله في النساء فإنهن عنوان عندكم.....
٨٥..... ٩		اثنان في الناس هما بهم كفر.....	١٠..... ٥		اتقوا الله واعدوا بين أولادكم.....
		اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في.....	٣٩٣..... ٧		اتقوا الله، علام تدغرون أولادكن.....
٩٤..... ١		النسب.....	٦٣٣..... ٤		اتقوا النار ولو بشق تمرة.....
٢٠٤..... ٩		اجتنبوا السبع الموقبات.....	٤٨٦، ٤٦٣..... ٧		اتقوا النار ولو بشق تمرة.....
٤٣٨..... ٧		اجتنبوا الموقبات.....	٤٥١، ٤١٠..... ٤		اتقي الله واصبري.....
٣٢٤..... ١٠		أجرك على قدر نصيبك.....	٥٨٠..... ٩		اتقي الله واصبري.....
١٥٩..... ٥		أجرك على قدر نصيبك.....	٩١..... ٦		أنمها وأكملها.....
١٦٥..... ١		أجعلني الله نداً.....	٥٥٣..... ٧		أنموا الركوع والسجود.....
٤٠٠..... ٧		أجعلني الله نداً.....	١١٩..... ٣		أنموا صلاتكم، وأرعى السر.....
٥٦٣..... ٧		أجعلني الله نداً؟.....			أنموا وأبكم على دينكم... (من قول سهل.....
٦٢٧..... ٣		اجعله مكانه، ولن توفي أو تجزي.....	٩٩..... ١٠		بن حنيف).....
٣٨٣..... ١		اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً.....	١٠٢..... ٩		أتى النبي ﷺ برجل قد شرب.....
٥٧..... ٤		اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً.....	١٠٦..... ٩		أتى النبي ﷺ يسكر فأمر بضربه.....
٢٥٦..... ٥		اجعلوا إهلاككم بالحج عمرة.....	٢١٧..... ٧		أتى النبي ﷺ بصبي فبال على ثوبه.....

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢١١	١٠	أحد جيل يحبنا ونحبه	٣١٨	٢	اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم
٩٤	٥	أحد جيل يحبنا ونحبه	٢٨٥	٤	اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم
٤٩٣	١٠	احرص على ما ينفعك واستعن بالله	٥٤٦	٣	أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم
٤٠٢	٧	احرص على ما ينفعك واستعن بالله	٣٣٦	٧	أجل كما يوعك رجلان منكم
٤٠٣	٧	احرص على ما ينفعك واستعن بالله			أجل والله يا رسول الله ما أهنأ إلا
١٢	١٠	احرص على ما ينفعك	٤٤٩	٦	اسمك
٢٥٢	٧	احرص على ما ينفعك، واستعن بالله	٢٠٤	٤	أجل، ولكني لست كأحد منكم
٩٧	١٠	أحرم رسول الله ﷺ المدينة	٤٨٠	٦	اجلسوا ها هنا
٢٢٩	٢	أحرورية أنت؟ (من قول عائشة)	٣٥٦	٦	أحيوا هذه الدعوة إذا دعيتم لها
٤٠	٦	أحسن	٣٧٠	١	أحابستنا هي؟
		أحسن، طف بالبيت وبالصفا والمروة	٤٨٤	٥	أحابستنا هي؟
٥٢٥	٥	ثم أحل	٢١٢	١٠	أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها
٣١٤	٦	أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم	٥٢٩	٧	أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل
		أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا به	٢١٢	١٠	أحب البقاع إلى الله مساجدها، وأبغض البقاع
٣١١	٦	ما استحللتم	٢٢٦	٤	أحب الصلاة إلى الله صلاة داود
٣٥٥	٤	أحق ما يقول؟			أحب أموالي إلي ييرحاء... (من قول أبي
٣٨٧	٤	أحل الذهب والحريز لإناث أمتي	٦٣٩	٧	طلحة)
١٢٧	١٠	أحل الذهب والحريز لإناث	٧٣	١	أحبوا الله؛ لما يغذوكم به من النعم
٢٨١	١	أحلت لي ساعة من نهار	٤٩١	١٠	احتج آدم وموسى
٥٤٨	٥	أحلق رأسك، وصم ثلاثة أيام	١٤٧	٩	احتجبي منه بأسودة
٤٥٥	١	أحلق	٨٤	٩	احتجبي منه بأسودة
٢٥٢	٥	أحلوا من إحرامكم بطواف	٥٧	٩	احتجبي منه
٢٢	١	أحياناً يأتي مثل صلصلة	٦٢٤	٩	احتجبي منه
٦٢٧، ٦١٨	٧	أحيوا ما خلقتكم	٣٧٤	٧	احتجم النبي ﷺ في رأسه
٥٣٤	١٠	أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة رنا	٣٧٢	٧	احتجم النبي ﷺ وهو صائم
٢٠٨	١٠	أخبروه أن الله يحبه	٥٩٦	٥	احتجم النبي ﷺ وهو محرم
٥٢	١٠	اختار الله لرسوله ﷺ... (من قول عمر)	٣٧٢	٧	احتجم النبي ﷺ وهو محرم
٧٨١	٧	اختن إبراهيم	٣٧٤	٧	احتجم بلحي جل من طريق مكة
١٩٠	٦	اختر منهن أربعا، وفارق البواقي	٥٩٥	٥	احتجم رسول الله ﷺ وهو محرم
٣٣٨	٤	الاختصار في الصلاة	٣٧٤	٧	احتجم في رأسه
٢٣٨	١٠	اختصام الملاء الأعلى	٣٦٩	٧	احتجم وأعطى الحجام أجره واستعط
٣٦٠	١٠	اختصام الملاء الأعلى	٣٧٤	٧	احتجم وهو محرم في رأسه
٤٢١	١٠	اختصمت الجنة والنار إلى ربها فقالت	٤٩١	٤	احت في أفواههن التراب
١٠٦	١٠	اختلاف أمتي رحمة	٤٩٢	٤	احت في أفواههن التراب
		اختلف علي وعثمان وهما بعسفان في	١٦٨	٥	أحجبت عن نفسك؟
٢٥٣	٥	المتعة	٥٢٥، ٤٤٩	٥	أحجبت؟

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أخذ الجزية من مجوس هجر	١	٨٣	ادع خالك	٥	٥٤٤
أخذ الراية زيد فأصيب	٤	٤٠٢	ادع لي أبا بكر	١	٣٠٤
أخذ الرسول ﷺ بذؤاتي فجعلني عن يمينه	٧	٥٨٠	ادع لي رجلاً - ساهم - وادع لي من لقيت	٦	٣٢٩
أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح	٤	٤٩٥	ادع لي زيداً وليجئ باللوح والدواة	٦	١٩
أخذت أهل السموات منه	١٠	٤٦٧	ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله	٤	٦٠٣
أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة، ففتح له	٤	٤٠٥	ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة	٦	٥٣
أخذها زيد فقتل، وأخذها جعفر فقتل	٤	٤٩٢	ادعوا الله وأنتم	٧	١٣٩
آخر آية نزلت خاتمة سورة النساء... (من قول البراء)	٩	٤٨	ادعوا لي المقداد	٩	٢١٤
آخر عني يا عمر	٤	٥٩٢	ادعوه بها	٢	٢٢٨
أخرج بأختك من الحرم فتلهل	٥	٢٤٣	ادفونهم في دمائهم	٤	٥٥٦
أخرج بعث النار	٧	٤٤٢	أدق من الشعر وأحد من السيف	١٠	٤٠٧
أخرج عدو الله، إني رسول الله	٧	٣١٧	أدعواهم وإن قل	٧	٣٤١
أخرج معها	٥	٦٢٩	إذا أناكم من ترضون دينه وخلقه	٦	٢٦٠
أخرجت إلينا شعراً من شعر النبي ﷺ	٥	٦٢٩	إذا أناكم من ترضون دينه	٦	١٧٦
مخضوباً	٧	٥٦٥	إذا أتى أحدكم الصلاة والإمام على حال	٣	٤٤
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب	٢	٥٩٩	إذا أتى أحدكم الصلاة، والإمام على حال	٤	٥١٢
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب	٩	٥٥٨	إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة	١	٣٩٤
أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب	٢	٥٩٩	إذا أتى أحدكم الغائط فلا	١	٣٩٣
أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب	٩	٥٥٩	إذا أتى الخلاء قال: أعوذ بالله	١	٣٩٠
أخرجوا بعث النار	٧	٤٤٧	إذا أتيت مضجعك فتوضأ	١	٦١٣
أخرجوهم من بيوتكم	٧	٥٥٤	إذا أتيت مضجعك فتوضأ	٧	١٥١
أخرجوهم من بيوتكم	٩	١٧٨	إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة	٢	٢٦٧
أخسأ فلن تعدو قدرك	١٠	٥٦٧	إذا اجتنب الكباثر	٢	٤٦١
أخضب النبي ﷺ	٧	٥٦٥	إذا أحب عبدي لقائي	١٠	٤٨٦
أخطأ من شدة الفرح	٦	٥١٦	إذا احتضر الإنسان	١	٣٤١
أخوف ما أخاف عليكم	٧	٧٤٤	إذا أحدث أحدكم في صلاته، فليأخذ بأنفه	٣	٥٠
أدرك هذه الأمة... (من قول حذيفة)	٦	١٦	إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت... (من قول عثمان)	٦	١٠
أدركت العلم بلسان سؤول... (من قول ابن عباس)	٦	٣٩٠	إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة	٢	٣٨٣
ادع الله أن يجعلني منهم... (من قول عكاشة)	٤	٧٣			

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٨٨	٣	المكتوبة.....	٥١١	٢	إذا أدرك أحدكم سجدة من صلاة العصر.....
٣٤١	٥	إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك.....	٣٤٢	٤	إذا أذن بالصلاة أدير.....
٩٩	١	إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل.....	٣٣	١٠	إذا أذنت أذان الصبح الأول.....
٤٨٥	١٠	إذا التقى المسلمان بسيفيهما.....	١٤	٣	إذا أذنت الأول لصلاة الصبح.....
٢٢٢	٩	إذا التقى المسلمان بسيفيهما.....	٤٨٤	١٠	إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة.....
٢١١	١	إذا أم أحدكم الناس فليخفف.....	١٥٣	٧	إذا أردت مضجعتك فقل.....
٦٥	١٠	إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم.....	٣٠٤	١٠	إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله.....
		إذا أمسيتم قبل أن تطوفوا هذا البيت.....	٤٥٨	١	إذا أرسلت كلبك المعلم.....
٥٤	٤	صرتم حرماً.....	٢٦٣	١	إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له.....
٢٨٩	٣	إذا أمن الإمام.....	٦٧٧	٧	إذا استأذن أحدكم ثلاثاً.....
٢٦٨	٧	إذا أمن القارئ فأمنوا.....	٤٦٢	٦	إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد.....
٥٢٧	٧	إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين.....	٤٤٨	٣	إذا استأذنت امرأة أحدكم فلا يمنعها.....
٣١	٣	إذا أنشأ خراجاً فأذن.....	٤٣٤	٣	إذا استأذنتكم نساؤكم بالليل.....
٥٢٨	٩	إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب.....	٣٥٦	٧	إذا استطاع أحدكم أن ينفع أخاه فليفعه.....
١٦٦	١	إذا أنفق الرجل على أهله.....	٦٠٧	٧	إذا استغسل أحدكم فليغتسل.....
٦٣٩	٦	إذا أنفق المسلم نفقة على أهله.....	٣٢١	٤	إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة.....
		إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة.....	٤٦٩	٢	إذا اشتد الحر فأبردوا.....
٢٢	٥	إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها.....	٤٧٠	٢	إذا اشتد الحر فأبردوا.....
٣٨	٥	إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليفض.....	١٩٤	٢	إذا أصاب ثوب إحداكم الدم.....
١٧١	٧	فراشه.....			إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً.....
١٦٨	٧	إذا أويتا إلى فراشكما.....	٤٦٦	٦	
٤٠٩	٦	إذا باتت المرأة مهاجرة فراش.....	٣٨	٥	إذا أطعمت المرأة من بيت زوجها.....
٣٨٩	٩	إذا بايعت فقل: لا خلافة.....	٤٧٩	١	إذا أعجلت أو قحطت فعليك الرضوء.....
٣١٦	٧	إذا تبايعتم بالعينة.....	٣٢٦	٧	إذا أعطي خيراً فهو أهله.....
١٥٩	١٠	إذا تبايعتم بالعينة، وأخلمت بأذناب.....	٤١٨	٥	إذا أفعل كما فعل رسول الله ﷺ.....
٣٨٢	٣	إذا تشهد أحدكم الشهادتين الأخير فليقل.....	٤٨٠	١٠	إذا أقبل الليل من هاهنا.....
٣٧	٥	إذا تصدقت المرأة من طعام زوجها.....	٢٤٢	٢	إذا أقبلت الحضة فدعي الصلاة.....
٥٤٠	١٠	إذا تقرب العبد إلى شرباً.....	٤٥٥	٩	إذا أقرب الزمان لم تكذروا المؤمن تكذب.....
٥٤٠	١٠	إذا تقرب العبد مني شرباً.....	٥٩٦	٤	إذا أقعد المؤمن في قبره أتى.....
٣٤٤	٧	إذا تقرب إلي عبدي شرباً.....	٥١١	٣	إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون.....
٢٨٨	٢	إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه.....			إذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني.....
		إذا توجه المسلمان بسيفيهما فكلأهما من أهل النار.....	٤٧، ٤٦	٣	
٥٠٤	٩		٤٥	٣	المكتوبة.....
		إذا توضع أحدكم فليجعل في أنفه ثم.....			إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا.....

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ليشر	١	٤٢٢	يصلي ركعتين	٢	٥٥٦
إذا توضأ أحدكم في بيته، ثم أتى المسجد	٢	٣٨٩	إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس	٣	٢٤٣
إذا توضأ أحدكم واستتر فليقلع	١	٤٢١	إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس	٣	٦٢٥
إذا توضأ أحدكم، ثم خرج عامداً على المسجد	٢	٣٩٠	إذا دخل أحدكم المسجد فليركع	٢	٣٣٣
إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرجت	١	٣٦٢	إذا دخل أحدكم المسجد	٤	٢٥٧
إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل	٣	٤٥٦	إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله	٢	٦١٤
إذا جاء أحدكم فراشه فليفضه	١٠	٣٠٠	إذا دخل أهل الحجة الجنة	٧	٤٨٥، ٤٧٤
إذا جاء أحدكم والإمام يخطب	٤	٢٦١	إذا دخلت ليلاً فلا تدخل	٦	٤٦٧
إذا جده السير	٥	٥٣٩	إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة	٧	١٩٥
إذا جلس بين شعبها الأربع	١	٤٨٠	إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه	٦	٤٠٩
إذا جلس بين شعبها الأربع	١	٦١٨	إذا دعوتكم الله فاعزموا في الدعاء	١٠	٤٥٣
إذا جلس بين شعبها الأربع، ثم جهدها	٢	٣٨	إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها	٦	٣٤٨
إذا حانت الصلاة فأمر أبا بكر أن يصلي	٣	١٢٨	إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب	٦	٣٤٨
إذا حدث الرجل بالحديث	٧	٧٦٦	إذا دعي أحدكم فجاه	٧	٦٧٩
إذا حرم امرأته ليس بشيء	٦	٤٩٦	إذا رأيكم أمر فليسلح الرجال وليصنع النساء	٩	٦٣٢
إذا حضرت الصلاة فأذن وأقيم	٣	٧٧	إذا رأيت الماء	١	٣٥١
إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم	٢	٥٨٠	إذا راح أحدكم إلى الجمعة فليغتسل	٣	٤٦٧
إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم	٢	٥٨٤	إذا رأى أحدكم الرؤيا ينها	٩	٤٧٣
إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم	٢	٦٣٤، ٦٣١	إذا رأى أحدكم جنازة فإن لم يكن ماشياً معها فليقيم	٤	٤٩٧
إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم	٤	٥٣	إذا رأى أحدكم رؤيا ينها	٩	٤١٧
إذا حضرت الصلاة فليؤذن	٣	٢١، ١٧، ١٤	إذا رأيت شحاطاً	٧	٣٩١
إذا حضرت الصلاة	٣	٣٢	إذا رأيتم الجنازة قوموا حتى تخلفكم	٤	٤٩٥
إذا حضرت الصلاة	١٠	٣٠	إذا رأيتم الجنازة قوموا	٤	٥٠٠
إذا حكم الحاكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد	٢	٢٨١	إذا رأيتم الجنازة قوموا	٤	٥٠١
إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله	٣	٥٩٦	إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه	٤	٢٨٢
إذا حكم الحاكم فاجتهد	١٠	١٦٠	إذا رأيتم الليل قد أقبل	٦	٥٧٣
إذا حلفت على يمين	٧	٥٨٩	إذا رأيتم آية فاسجدوا	٤	١٠٧
إذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها	٧	٥٣٤	إذا رأيتم آية فاسجدوا	٤	١٠٩
إذا دبغ الإهاب فقد طهر	٥	١١٠	إذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله	٤	١٢٠
إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى			إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد	٢	٣٤٩
			إذا رفع رأسه من الركوع قام حتى تقول: قد نسي	٣	٣١٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا	٤	١٦٥	أربعًا	٤	٢٦٠
إذا رميتم وحلقتم	٧	٥٨٢	إذا صلى أحدكم إلى شيء	٢	٤٢٢
إذا زنت الأمة فتيين زناها فليجلدها ولا			إذا صلى أحدكم ركعتي	٧	١٥١
يثرب	٩	١٨٤	إذا صلى أحدكم فأحدث فليمسك على		
إذا زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها	٩	١٨٤	أنفه	١	٣٧٥
إذا سجد أحدكم فلا يرك	٣	٣١٩	إذا صلى أحدكم فإنه يصلي بين عيني الرحمن	٩	٥٤٧
إذا سجد أصابني بعض ثوبه... (من قول			إذا صلى أحدكم للناس فليخفف	٣	١٧٦
ميمونة)	٢	٢٤٧	إذا صلى فأراد أحد أن يمر بين يديه فليدفعه	٩	١٨٨
إذا سجد غمزني فرفعتها	٤	٣٢٣	إذا صلى قائمًا فصلوا قيامًا	٤	٣٦٨
إذا سلم عليكم اليهود	٧	٧٠٢	إذا صلى قاعدًا فصلوا قعودًا	٤	١٩٩
إذا سلم عليكم أهل الكتاب يقولوا: وعليكم	٩	٣٢٥	إذا صلى كبر ورفع يديه	٣	٢١٦
إذا سلم عليكم أهل الكتاب	٧	٧٠٢	إذا صليت فقد قضيت... (من قول زيد		
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٢	٦٠٦	بن ثابت)	٤	٥١٦
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٣	٢٠٣	إذا صليتما في رحالكما	٢	٣٥٤
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٣	٤٣	إذا صليتما في رحالكما	٤	٥٣١
إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة	٣	٤٩٣	إذا صليتما في رحالكما، ثم أتيتما مسجد		
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول			الجماعة	٢	٥٥٣
ثم صلوا علي	٢	٦٣٤	إذا ضرب أحدكم فليجنب الوجه	٧	٦٤٥
إذا سمعتم المؤذن	١٠	٣١	إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة	٧	٣٩٢
إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول	٢	٦٢٧	إذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة	٢	٥٥٣
إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا			إذا ظننت فلا تحقق	٦	٢٩٤
تدخلوها	٧	٣٩٨	إذا علا ماء الرجل	١	٣٥٤
إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه	٧	٤٠٦، ٣٩٩	إذا غاب القمر فادفعوا	٥	٦١٩
إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه	٩	٣٩٨	إذا فرغت فأذننا	٧	٤٥٧
إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء	١	٤١١	إذا قاتل أحدكم أخاه	٧	٦٤٥
إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله			إذا قال أحدكم آمين، وقالت الملائكة	٣	٢٩٠
سبحًا	١	٤٥٦	إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده	٣	٣١٢
إذا شرب فاجلدوه	٩	٩٩	إذا قال الإمام: ولا الضالين	٧	٢٦٨
إذا شك أحدكم في صلاته فليتحجر			إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر	٢	٦٢٨
الصواب	٢	٦١٨	إذا قال: الحمد لله رب العالمين		
إذا شك أحدكم في صلاته، فلم يدر كم			(حديث قدسي)	٢	٤٦٦
صلى	٢	٦١٧	إذا قتلتم فأحسنوا القتلة	٩	١٣٩
إذا صار أهل الجنة إلى الجنة	٧	٤٧٦	إذا قدم العشاء فايدعوا به	٣	١٠٨
إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها			إذا قضى الله الأمر في الساء	١٠	٤٦٧
أربعًا	٣	٥٦٣	إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت	٢	٣٦٧
إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها			إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة	٣	٥٥٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إذا قمت إلى الصلاة، فأسبغ الوضوء.....	٧.....	٥٨١	إذا نمس أحدكم وهو يصلي.....	١.....	٥٤٩
إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء.....	٧.....	٦٨٩	إذا نمس أحدكم وهو يصلي.....	٧.....	٣٤٦
إذا قمت إلى الصلاة فكبر.....	٣.....	٢٤٢	إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان.....	٤.....	٣٦٢
إذا قمت إلى صلاتك فأسبغ الوضوء.....	٣.....	٢١١	إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان.....	٢.....	٦١٢
إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل.....	٣.....	١٠٩	إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده.....	٧.....	٥٣٩
إذا كان أحدكم يصلي.....	٢.....	٢٨٦	إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده.....	٧.....	٥٣٩
إذا كان أحدكم يصلي.....	٢.....	٤٢٣	إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين.....	٤.....	٢٥٣
إذا كان رجل مؤمن يخيئ لإيمانه مع قوم كفار.....	٩.....	٢١٤	إذا هم بالأمر فليركع ركعتين، ثم يقول.....	٧.....	٢٤٢
إذا كان في الصلاة.....	٤.....	٣٣٣	إذا وجب فلا تبيكين باكية.....	٤.....	٤٩١
إذا كان يوم القيامة شفتع.....	١٠.....	٤٨٨	إذا وجد أحدكم ذلك.....	١٠.....	٥٤
إذا كان يوم القيامة ما ج الناس.....	١٠.....	٤٨٩	إذا وضع العشاء، وأقيمت الصلاة.....	٣.....	١٠٨
إذا كان يوم عرفة فإن الله ينزل إلى السماء،			إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة.....	٣.....	١٠٨
فيباهي.....	١.....	١٣٢	إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال		
إذا كانوا ثلاثاً فليأمروا أحدهم.....	٩.....	٤٨٩	على أعناقهم.....	٤.....	٥٠٥
إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى.....	٧.....	٧٧٠	إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال.....	٤.....	٥٠٢
إذا كتم ثلاثة فلا يتناجى.....	٧.....	٧٧٥	إذا وقع بأرض فلا تخرجوا فراراً منه.....	٧.....	٤٠٥
إذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته.....	٢.....	٢٤٣	إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبعاً.....	١.....	٤٥٠
إذا مارب النعم لم يعط حقها تسلط عليه.....	٩.....	٣٧٨	إذا يتكلموا.....	١.....	٣٤٧
إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده.....	٧.....	٤١٩	اذبح ولا حرج.....	١.....	٢٣٨
إذا مات الإنسان انقطع عمله.....	٧.....	٦٣١	اذبح ولا حرج.....	٥.....	٤٦١ ٤٦٠
إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق... (من قول			اذبحها ولا تفي عن أحد بعدك.....	٣.....	٦٤٣
ابن عباس).....	٩.....	٣٦٢	اذبحها ولا تفي عن أحد بعدك.....	٤.....	١١
إذا مات قال: لا إله إلا الله.....	٧.....	٣١٥	اذكروا اسم الله.....	٦.....	٣٢٩
إذا مر أحدكم في مسجدنا.....	٩.....	٥٠٢	اذكروا أتم اسم الله وكلوا.....	١٠.....	٣٠٦
إذا مر بآيات رحمة سأل.....	٦.....	١١٤	أذن الرسول ص لعائشة أن تلعب		
إذا مرض العبد.....	٤.....	٢٠٣	بالبنات.....	٧.....	٧٨٩
إذا مضت أربعة أشهر يوقف... (من قول			أذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا... (من قول		
ابن عمر).....	٦.....	٥٥٦	كعب).....	٩.....	٦٦٧
إذا نابكم شيء فليسيح الرجال ولتصفق			أذن رسول الله ﷺ لأهل بيت من		
النساء.....	٤.....	١٣٩	الأنصار.....	٧.....	٣٩٣
إذا نابكم شيء فليسيح الرجال.....	٤.....	٣٠٧	أذن عمر لأزواج النبي ﷺ في آخر حجة		
إذا نابكم شيء في الصلاة فليسيح			حجها.....	٥.....	٦٢٢
الرجال.....	٣.....	٦٣٨	أذن في قومك.....	١٠.....	٤٤
إذا نابكم شيء في الصلاة فليسيح			أذهب الباس رب الناس.....	٧.....	٣٤٩
الرجال.....	٤.....	٦	أذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟.....	٦.....	١٦٦
إذا نظر أحدكم إلى من فضل.....	٧.....	٣٨٥	أذهب فأخبرني عن القوم، ولا تحدث		

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٥٩٢	٢	أرأيتم ليبتكم هذه، فإن رأس مائة	٥٣٣	٥	شيئاً
٥٤٥	٧	أرأيتم إن كان أسلم	٥٦٣	٢	أذهب فادع لي معاوية
٤٦١	٢	أرأيتم لو أن نهرًا يباب أحدكم	٥٢٧	٣	أذهب فادع لي معاوية
٥٣٩	٢	أرأيتم لو وضعها في الحرام	٦٥٠	٧	أذهب فأطعمه أهلك
		أرأيتم ليبتكم هذه فإن رأس مائة سنة	٣١٠	٦	أذهب فاطلب ولو خاتمًا من حديد
٥٢٥	٢	منها	١٨٠	٢	أذهب فأفرغه عليك
٣٤٩	١٠	أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض	٢٤٨	٦	أذهب فالتمس ولو خاتمًا من حديد
٦٠٧	٤	أرب ماله تعبد الله ولا تشرك به شيئاً	٥٤١	٧	أذهب فالتمس ولو خاتمًا من حديد
٢٨٢	١٠	أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم	٢٢٨	٢	أذهب فخذ جارية
٦٢٠	٢	أربعوا على أنفسكم	٣١٠	٦	أذهب فقد أنكحتكما بيا معك من القرآن
		أرتحلت الدنيا مدبرة... (من قول علي بن	٢٧٠	٦	أذهب فقد زوجتكما بيا معك من القرآن
		طالب)	٢٥٤	٦	أذهب فقد ملكتكما بيا معك من القرآن
٢٨٩	٧	أرجع إليه، وقل له: إنك تعيش حيداً	٨٣	٦	أذهب فقد ملكتكما بيا معك من القرآن
٥٣١	٦	أرجع إليها فأخبرها أن الله ما أخذ وله ما	١٨٠	٢	أذهبوا فابتغوا الماء
		أعطى	٢٣١	٢	أذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم
٢٢٥	١٠	أرجع فأعد وضوءك	٤٩	٦	أذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم
٦٤٢	١	أرجع فحج مع امرأتك	٤٨٥	٧	أذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم
٤٥٦	٦	أرجع فصل فإنك لم تصل	٥٢٦	٦	أذهبوا به فارجموه
٤٦٤	٢	أرجع فصل فإنك لم تصل	١٥٤، ١٤٤	٩	أذهبوا به فارجموه
٢٤٢	٣	أرجع فصل فإنك لم تصل	٦٠٨	٩	أراد ألا يخرج أمته... (من قول ابن
٣٠٦	٣	أرجع فصل فإنك لم تصل			عباس)
٦٨٤	٧	أرجع فصل فإنك لم تصل	٥٧٨	١	أراد ألا يخرج أمته... (من قول ابن
٤١٣	٩	أرجع فصل فإنك لم تصل			عباس)
٥٨١	٧	أرجع فصل، فإنك لم تصل	٤٨٤	٢	أراد ألا يخرج أمته... (من قول ابن
٢٩٠	١٠	أرجعوا إلى أهليكم			عباس)
٣٢	٣	أرجعوا إلى أهليكم	١٠٢	٣	أراد أن لا يخرج أمته... (من قول ابن
		أرجعوا إلى أهليكم، وعلموهم،			عباس)
٢٥٠	١	وأدبوهم	٥١٩	٢	أراكم يا بني حارثة قد خرجتم
٢٤	٣	أرجعوا فكرونا فيهم، وعلموهم	٦٤٩	٥	أراني الليلة عند الكعبة
٢٢٤	١٠	أرجعوا من في الأرض يرحمكم	٥٦٩	٧	أراني الليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم
٣٩٦	٥	أرخص في أولئك رسول الله ﷺ	٤٤٤	٩	أراه فلاناً
٦٠٦	٦	أرخص لها النبي ﷺ	١٩٢	٦	أرأيت إن عجز واستحقق... (من قول
٢٠١	١	أرخوا للحي			ابن عمر)
٢٢٣	٥	أردف الفضل من المزدلفة إلى منى	٦١١، ٤٨٠	٦	أرأيتم ليبتكم هذه، فإن رأس مائة سنة
٦٥٦	٧	أردف رسول الله ﷺ الفضل			منها لا يبقى
٥٢٩	٧	أرسل النبي ﷺ إلى الأنصار	٣١٤	١	
		أرسل ملك الموت إلى موسى عليها			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	١٦٣	استأذن أبو موسى على عمر	٤	٥٣٧	السلام
		استأذن العباس بن عبد المطلب ض	٢	٢٩٨	أرسلك أبو طلحة؟
٥	٣٤٧	رسول الله ﷺ	٩	٣٤١	أرسله يا عمر، أقرأ يا هشام
		استأذنت النبي ﷺ سودة أن تدفع قبل	١٠	٥٤٩	أرسله، أقرأ يا هشام
٥	٤٠٣	حطمة الناس	٦	٢١	أرسله، أقرأ يا هشام
٥	٤٠٣	استأذنت سودة النبي ﷺ ليلة جمع	٢	١٦٢	الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام
٧	٦٠٧	استرقوا لها فإن بها النظرة	٣	٦٢٨	أرضيه تحرمي عليه
٧	٤١٣	استرقوا لها، فإن بها النظرة	٦	١٩٨	أرضيه تحرمي عليه
٥	١٣٢	استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد	٥	٥٠٩	ارفضي عمرتك، وانقضي رأسك
٤	٥١٨	استغفروا لأخيكم	٧	٤٨٧	ارفع رأسك وسل تعطه
٧	٦٣٣	استغنى النبي ﷺ في نذر كان على	١٠	٤٨٩	ارفع رأسك وقل يسمع لك
٧	٢٠٤	استقبل القبلة وقلب رداءه	٥	٤١٣	اركبها ويملك
٢	٢٧٢	استقبل القبلة وكبر	٥	٤٢٣، ٤١٣	اركبها
١	٤٢١	استثروا مرتين بالغنين أو ثلاثاً	١	٢٣٨	ارم ولا حرج
١	٣٢٦	استصت الناس	٥	٩٦	ارموا بني إسماعيل؛ فإن أباكم كان رامياً
٣	٥٤٧	استصت الناس	٥	٩٦	ارموا وأنا معكم كلكم
٩	٢١٧	استصت الناس	٥	٢٧٤	أرني إزاري
٩	٥٠٤	استصت الناس			أرى أن رؤياكم قد تواطأت في السبع
٤	٥٠٤	أسرعوا بالجنائز؛ فإن تلك صالحة	١	٢٩٠	الأواخر
١٠	٤٤٤	أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة	١	١٠٤	أرى رؤياكم تواطأت في السبع
٧	٧٧٦	اسق يا زبير حتى يصل الجدر			أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر
٦	٢٧٣	أسقط الحد عن السارق في عام المجاعة	٤	٢٤٦	الأواخر
٥	٣٤٨	اسقني	١	٩٥	أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء
٧	٣٦٠	اسقه عسلاً	٢	٣١٧	أريت النار، فلم أر منظرًا
٧	٣٨٨	اسقه عسلاً			أريتك في المنام مرتين إذا رجل يحملك
١	١٤٢	الإسلام أن تشهد	٦	١٥٤	في سرقة
١٠	١٥١	أسلم تسليم	٩	٤٥٢	أريتك في المنام مرتين
٥	٣٥	أسلمت على ما سلف من خير			أريتك في المنام يجي بك الملك في
٣	١٥٥	اسمع، وأطع ولو لحشي	٦	٢٥٣	سرقة
٣	١٥١	اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل	٩	٤٥٢	أريتك قبل أن أتزوجك مرتين
٩	٥٧١	اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم	١	٤٢٨	إزرة المؤمن إلى نصف ساقه
١	٣٤٨	أشار النبي ﷺ إلى عينه	١	٦١٩	أسألك اللهم بكل اسم سميت به نفسك
		أشبهتمونا بالحمير والكلاب... (من قول عائشة)	١٠	٢١٩	أسألك بكل اسم هو لك سميت به
٩	٥٦٦	عائشة	٥	١٤٣	أسألك بكل اسم هو لك
٦	١٨٥	اشترى رسول الله ﷺ من اليهود طعاماً	٧	٣٤٦	إسباغ الوضوء على المكاره
٥	١١١	اشترىها فإنها الولاء لمن أعتق	٧	٣٨٢	إسباغ الوضوء على المكاره

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
١٨٢.....٣	أصدق ذو اليلدين؟	٧٧.....٩	اشترىها فإنها الولاء لمن أعتق		
٣٥٦.....٤	أصدق ذو اليلدين؟	٥٤٣.....٦	اشترىها وأعتقها		
٣٨٠.....٤	أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد	٦٤.....٩	اشترىها، فإن الولاء لمن أعتق		
٣٧١.....٧	أصدق كلمة قالها الشاعر	٤٧٠.....٢	اشتكت النار إلى ربها		
٥٥٤.....٢	أصلاة الصبح مرتين؟!	٩.....٦	اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين		
١٣٩.....٣	أصلى الناس؟	٢١٨.....٤	اشتكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلة أو ليلتين		
	أصلى النبي ﷺ في الكعبة... (من قول	٦٢٥.....٧	أشد الناس عذاباً يوم القيامة		
٢٦٨.....٢	ابن عمر)	٦٢٢.....٧	أشد الناس عذاباً		
١٥٣.....٢	أصليت بأصحابك وأنت جنب؟	٣٨٢.....١٠	أشد أمتي على الدجال بنو نعيم		
٥٥١.....٣	أصليت يا فلان؟	٣١١.....٩	الإشراك بالله		
٤٨٣.....٥	اصنع في عمرتك ما أنت	٣٦٣.....٧	اشربوا البانها		
٦١٢.....٥	اصنع في عمرتك ما تصنع في حجك	٤٤٩.....٢	اشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا		
١٥٣.....٢	اصنعوا كل شيء إلا النكاح	٢١٤.....٧	أشركنا فإن النبي ﷺ قد دعا لك بالبركة		
١٠٢.....٩	أضربوه	٤٢١، ٤١٩، ٤١٣.....٤	أشعرنا إياه		
٣١٢.....٧	أطعموا الجائع، وعودوا المريض		اشفعوا توجروا ويقضي الله على لسان		
٤٧٥.....٧	اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء	٣٢.....٥	نبيه ﷺ		
٣٢٨.....٧	اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها	٤٦١.....١٠	اشفعوا فلتؤجروا		
٤١٥.....٦	اطلعت في الجنة فرأيت أكثر		أشقى الولد نصفين نصف لهذه... (من قول		
٣٥٧.....٢	أطلقوا ثأمة	٣٦٦.....١٠	سليان)		
٦٣٧.....٤	أطولكن يداً	٣٥٦.....٥	أشهدكم أني قد أوجبت مع عمرتي حجا		
٣٦٣.....٣	اعتدلوا في السجود، ولا يسيط أحدكم	٦٣٧.....٩	أصاب أرضاً بخير... (أي عمر)		
٤٦٨.....٢	اعتدلوا في السجود، ولا يسيط ذراعيه	٢٦٥.....١	أصبت السنة		
٦١٠.....٣	اعتدي في بيت ابن أم مكتوم	٤٢٠.....١	أصبت السنة		
٦٥٣.....٧	اعتدي في بيت ابن أم مكتوم	٥٩٧.....١	أصبت السنة		
٣٨٨.....١٠	أعتقها فإنها مؤمنة	٥٩٦.....٣	أصبت السنة		
٥٣٢.....٧	أعتقها فإنها مؤمنة	٥٦٧.....٧	أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً		
٦٤٧.....٧	أعتقها، فإنها مؤمنة	٤٧٥.....٩	أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً		
٧٢.....٩	أعتقها فإن الولاء لمن أعطى الورق	٤٤٧.....٩	أصبت بعضاً، وأخطأت بعضاً		
٦٦.....٩	أعتقها فإنها الولاء لمن أعتق	٤٨٦.....١٠	أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن بي		
	اعتكف رسول الله ﷺ عشر الأول من	١١٢.....٤	أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر		
٣٥٠.....٣	رمضان	٤٢٢.....٦	أصبحنا يوماً ونساء النبي ﷺ يكيين		
٥٣٥.....٢	أعتمر رسول الله ﷺ ليلة بالعيشاء	٤١١.....١٠	اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله		
٥٠٧.....٥	اعتمر أربع عمر: في ذي القعدة	٤٨٧.....٩	اصبروا حتى تلقوني على الحوض		
٥٠٦.....٥	اعتمر النبي ﷺ حيث ردوه	٤٩٩.....٩	اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان		
٦٠٧.....٥	اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة	٣٨٣.....٧	أصدق بيت قاله الشاعر		
٥٠٠.....٥	اعتمر النبي ﷺ قبل أن يحج	٣٦.....١٠	أصدق ذو اليلدين		

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٥	٣٤٩	اعملوا فإنكم على عمل صالح	٥	٥٠١	اعتمر رسول الله ﷺ أربعاً
٤	٥٨٩	اعملوا فكل ميسر لما خلق له	٥	٣١٣	اعتمر رسول الله ﷺ فطاف بالبيت
٦	٣٣٣	اعملوا فكل ميسر لما خلق له	٥	٥٠٧	اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة
٢	٣٠٢	اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم	٥	٥٢٤	اعتمر رسول الله ﷺ واعتمرنا معه
٧	٧٠٧	اعملوا ما شئتم	١٠	٤٨٢	أعددت لعبادي الصالحين
٦	٢٧٠	أعذك من شيء؟			أعدلتمونا بالكلب والحرار... (من قول
٣	٢٥١	أعني على نفسك بكثرة السجود	٢	٤١٩	عائشة)
٢	٣٤١	أعوذ بالله من الفتن... (من قول عمار)	٧	٢٩٢	أعذر الله إلى امرئ أخر أجله
٤	٥٩٦	أعوذ بالله من عذاب جهنم	٥	١٣٨	أعرستم الليلة؟
١٠	٢٦٥	أعوذ بربك من سحقك	٧	٤٦٩	أعرضوا على رفاكم
١٠	١٠٦	أعوذ بعزة الله وقدرته	٦	٥٥٩	اعرف وكاءها وعفاصها وعرفها سنة
٧	٥٧٤	أعوذ بعزة الله	١	٢٥٧	اعرف وكاءها
		أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا	٦	٨٠	أعطاها ثوباً
١٠	٢٦٤	يموت	٦	٨٠	أعطاها ولو خاتماً من حديد
٧	١٩٤	أعوذ بك من عين	٩	٥٦١	أعطوهم الحق الذي لهم وأسألوا الله الحق
١٠	١٠٦	أعوذ بوجهك			أعطى الابنة النصف والأخت
١٠	٣٢٧	أعوذ بوجهك	٩	٣٣	النصف... (أي معاذ)
٩	٥٤٦	أعور العين اليمنى كأنها عنة طافية	٢	١٦٠	أعطيت خساً لم يعطهن أحد قبلي
٩	٥٩٤	أغد يا أنيس إلى امرأة هذا			أعطيت خساً لم يعطهن أحد من الأنبياء
٥	١٩٣	اغسل الطيب الذي بك ثلاث مرات	١	٦٢٣	قبلي
٤	٤٢٣	اغسلنها بالسدر وترّاً، ثلاثاً، أو خمساً			أعطيت خساً لم يعطهن أحد من الأنبياء
٤	٥٥٧	اغسلنها ثلاثاً أو خمساً	٢	٣٢٤	قبلي
٤	٤٢١، ٤١٩، ٤١٨، ٤١٧، ٤١٣	اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً	٢	١٥٤	أعطيت خساً لم يعطهن أحد من الأنبياء
٤	٥٥٧	اغسلوه بماء وسدر	٩	٤٤٤	أعطيت مفاتيح الكلم، ونصرت بالرعب
٥	٦١٣	اغسلوه بماء وسدر	٤	٥٥٣	أعطيت مفاتيح خزائن الأرض
٥	٦١٣	اغسلوه بماء وسدر	٣	٦٨	أعظم الناس أجراً في الصلاة
٥	٦١٤	اغسلوه بماء وسدر	١	٤٠٢	اعلم أن النصر مع الصبر
٤	٤٣١	اغسلوه بماء وسدر، وكفوه في ثوبين	١٠	٤٨٧	أعلم عبيدي أن له ربا يغفر الذنب
٤		اغسلوه بماء وسدر، وكفوه في ثوبين،	٥	٤٢	أعلمهم بأن الله افترض عليهم صدقة
٤	٤٢٨، ٤٢٥	ولا تحطوه	٩	٣٥٨	اعلموا أن الأرض لله ورسوله
٥	٦٠١	اغسلوه وكفوه ولا تغطوا رأسه			أعلى أم سلمة؟ لو لم أنكح أم سلمة ما
٥	٦٠١	اغسلوه وكفوه	٦	٢٥٠	حلت لي
١	٤٧٣	اغسلي عك الدم	٦	٨٧	أعمار هذه الأمة ما بين الستين والسبعين
١٠	٢٧٨	اغفر لي ذنبي كله دقة وجله	١	١٦٦	الأعمال بالنية
٤	٢٣	أغوثهم عن الطواف في هذا اليوم	٩	٣٤٧	الأعمال بالنية
		أفتاني إذا وضعت أن أنكح... (من قول	٧	٢٨٨	اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٣١٠.....	١٠.....	أفلح وأبيه، إن صدق.....	٥٩٦.....	٦.....	سبعة الأسلمية)
		أفي هذا أستمأر أبوي، إنها اختار الله	٢٩.....	٩.....	أفرضكم زيد.....
٤٩٢.....	٦.....	ورسوله.....	٢٨.....	٢.....	أفرغه عليك.....
٦٠.....	٧.....	أقام الرسول في مشربة تسعاً وعشرين ليلة.....	٢٨٨.....	١٠.....	أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل قولي.....
١٦٤.....	٦.....	أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثاً.....	٦٤٥.....	٦.....	أفضل الصدقة ما ترك غنى.....
٣٢٥.....	٦.....	أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثاً.....	١١٥.....	٦.....	أفضل الصوم صوم داود.....
١٧٣.....	٤.....	أقام النبي ﷺ تسعة عشر يقصر.....	١٥.....	١٠.....	أفضل الصيام صيام داود.....
٥١٨.....	١.....	أقام النبي ﷺ في مكة تسعة عشر.....	٥٩٧.....	٧.....	أفضل الكلام أربع.....
٦٢٧.....	٢.....	أقامها الله وأدامها.....	٥٩٩.....	١.....	أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة.....
٥٣٠.....	٦.....	أقبل الحديقة وطلقها تطليقة.....	٢٧١.....	٤.....	أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة.....
٢٢٤.....	١.....	أقبلت راكباً على حمار أتان.....	٢٨٥.....	٤.....	أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة.....
		أقبلت راكباً على حمار أتان... (من قول	٩٩.....	٦.....	أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة.....
٤٠.....	٢.....	ابن عباس).....	٤٧١.....	٧.....	أفضل ما أكل الرجل.....
		أقبلت راكباً على حمار أتان... (من قول	٣٩٦.....	٣.....	أفعل إن شاء الله.....
٤٣٢.....	٣.....	ابن عباس).....	٣٧٢.....	٥.....	افعل كما يفعل أمراؤك... (من قول أنس)
		أقبلت وقد ناهزت الحلم... (من قول	٥٨٠.....	٧.....	افعل ولا حرج.....
٦٢١.....	٥.....	ابن عباس).....	٤٦١.....	٥.....	افعل ولا حرج لمن كلهن.....
٣٨١.....	١٠.....	أقبلوا البشري يا بني تميم.....	٢٣٨.....	١.....	افعل ولا حرج.....
٣٠٦.....	٤.....	أقتدوا بالذين من بعدي.....	٢٥٢.....	٥.....	افعلوا ما أمرتكم.....
٥٨٠.....	٤.....	أقتله بعد أن قال لا إله إلا الله؟.....			افعلي كما يفعل الحاج، غير أن لا تطوفي
٣٦٠.....	٧.....	أقتله بعد أن قال: لا إله إلا الله.....	٣٦٦.....	٥.....	بالبيت.....
٥٢٨.....	٩.....	أقتله بعد أن قال: لا إله إلا الله؟.....	٦١٠.....	٣.....	أفعميا وان أتنا.....
٢١٩.....	٩.....	أقتله بعد ما قال: لا إله إلا الله؟.....	٧٢.....	١٠.....	أفلا أخبرك بملاك ذلك كله.....
٢٣٨.....	٩.....	أنتك فلان؟.....			أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان
٦٠٩.....	٥.....	أقتلوه... (أي ابن خطل).....	١٨٧.....	٧.....	قبلكم.....
٥٧٧.....	٥.....	أقتلوها.....	٣١٨.....	٢.....	أفلا آذنتموني به، دلوني على قبره.....
٦٦٥.....	٥.....	أقدروا له قدره.....	٥٣٠، ٥٠٨.....	٤.....	أفلا آذنتموني؟.....
٦١١.....	١.....	أقدمهم سلماً.....	٢٢٦.....	٤.....	أفلا أكون عبداً شكوراً.....
١٢٩.....	٦.....	أقرءوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم.....	٣٥٤.....	٧.....	أفلا أكون عبداً شكوراً.....
١٨٠.....	١٠.....	أقرءوا القرآن ما اتلفت عليه.....	٢٧٤.....	٩.....	أفلا تخرجون مع راعينا في إبله.....
١٢٩.....	٦.....	أقرءوا القرآن ما اتلفت قلوبكم.....	٥٤٥.....	٧.....	أفلا قعدت في بيت أليك وأمك.....
١٨٠.....	١٠.....	أقرءوا القرآن.....	٣٥٣.....	٢.....	أفلا كنتم آذنتموني به.....
١١٦.....	٦.....	أقرأ القرآن في شهر.....	١٣٣.....	١٠.....	أفلح إن صدق.....
٥٠.....	١.....	أقرأ بأمر الكتاب... (من قول عائشة).....	٣٧٨.....	٩.....	أفلح إن صدق.....
١١٢.....	٦.....	أقرأ علي القرآن.....	٣١٠.....	١٠.....	أفلح وأبيه إن صدق.....
١٢٣، ١٢٠، ١١٣.....	٦.....	أقرأ علي.....	١٦٧.....	٧.....	أفلح وأبيه إن صدق.....

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٥٤٨	١	أكل عندها كفافاً ثم صلى... (ميمونة)	١١٢	٦	أقرأ عليك وعليك أنزل؟!... (من قول ابن مسعود)
٣٣٠	٦	أكلت مع النبي فجعل ﷺ يتبع الدباء	٦١	٦	أقرأ يا ابن حضير
٤٩٨	٦	أكلت مغافير... (من قول عائشة)	٢١	٦	أقرأني جبريل على حرف فراجعت
٣٩٥	٩	أكلت مغافير؟	٢٨٤	١٠	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
٣٤١	٧	أكلوا من الأعمال ما تطيقون	٣٢٥	١٠	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
٣٩٢	٢	أكلما يقول ذو اليلدين	٢٠٤	٢	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
٣٨٩	٢	أكلما يقول ذو اليلدين؟	٢٧٦	٧	أقرب ما يكون العبد من ربه
١٧٣	٦	أكمل المؤمنين إيماناً	٤٥٥	١	أقسمه بين الناس
		أكنتم تكرهون السعي بين الصفا	٤٢٠	٧	أقسموا واضربوا لي معكم بسهم
٣٦٤	٥	والعروة	٣٨٠	٩	أقضه عنها
٥٦٩	٧	ألا أدلكم على أهل الجنة	٦١٤	٥	أقضوا الله، فالله أحق بالوفاء
٥٥٥	٧	ألا إن الله ينهاكم			أقم عندنا حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها
		ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ	١١٦	٥	أقم عندنا حتى تأتينا الصدقة
٣٣٧	١٠	ألا تدع صورة	١٩٠	١	أقول: اللهم باعد بيني وبين خطاياي
		ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدرستم من سبقكم	٢٢٥	٣	أقيمت الصلاة، فعرض للنبي ﷺ رجل
٤٠٧	٣	ألا أخبركم بأكبر الكبائر	٥٦	٣	أقيمت الصلاة، والنبي ﷺ يناجي رجلاً
٧٣٩	٧	ألا أخبركم بخير دور الأنصار	٥٦	٣	أقيمت الصلاة، ورجل يناجي رسول الله ﷺ
٦٢٥	٧	ألا أخبركم بشيء تدركون به من سبقكم	٧٧٨	٧	أقيموا الركوع والسجود فوالله
٥٧٨	٦	ألا أخبركم عن الثلاثة	٢٢١	٣	أقيموا الصفوف فإني أراكم
٢٧٧	٧	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم	١٨٨	٣	أقيموا صفوفكم، فإني أراكم
٣٨١	٢	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم	١٩٣	٣	أقيموا صفوفكم، وترأصوا
١٩٥	١	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم	١٨٩	٣	أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه؟ قال: نعم
٢٧٤	٧	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم	٢٦٠	٢	أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر
٢٤٦	٧	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم	٢٢٨	٣	أكثر الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين
٦١٥	١	ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم	٣١٠	٩	أكثر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس
٤٥	٦	ألا أعلمكم أعظم سورة في القرآن	٢١٨	٩	أكتب ما هو كائن
٢٩٦	١	إلا الإذخر	٥٢٢	٧	أكتبوا عني فإني لا أقول إلا حقاً
٥٩٤، ٥٨٨	٥	إلا الإذخر	٢٩٤	١	أكتبوا لأبي شاه
٥٥٠	٧	إلا الإذخر	٢٣٨	٩	أكثر أهلها النساء
٦٦٤	٧	إلا الإذخر	١٣٦	٤	أكثر من يتبعه اليهود
٦١٢	٢	إلا الإقامة	٥٤٥	١٠	أكثرت عليكم في السواك
٤٢٤	٩	إلا الدين أخبرني بذلك جبريل آنفاً	٤٧٤	٣	الأكثر أموالاً
١١١	٤	ألا إن الفتنة ها هنا، ألا إن الفتنة ها هنا	٥٤٧	٧	أكل النبي ﷺ من هدي القران
		ألا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن	٤٤٦	٥	

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢٤٤	٤	ألم أخبر أنك تقوم الليل	٥١٤	٩	الشیطان
٦٧	٩	ألم أر البرمة على النار؟	٧٩٣	٧	ألا إن القوة الرمي
٥٣٩	٦	ألم أر البرمة فيها لحم؟	١٧٥	٩	إلا أن تروا كثراً يواخا
١٨١	٦	ألم أر البرمة	١١١	٩	ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟
٣٨٤	٧	ألم أنهكم أن تلدون	٣٢٩	٦	ألا بعشم معها من يغني
٢٦٢	٩	ألم أنهكم أن تلدون	٥٠٣	٩	ألا تلدون أي يوم هذا؟
٤٨٥	٧	ألم تروا أنها تبنت صفراء ملتوية	٢٧٧	٤	ألا تراه قال: لا إله إلا الله
٢٧٥	٥	ألم تري أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا			ألا تركيبين الليلة بعيري... (من قول حفصة)
٨٨	٩	ألم تري أن مجزراً انظر أنفاً إلى زيد	٤٣١	٦	ألا ترى إلى بيتي؟ ما أقربه من المسجد
		ألم تعلم أن القلم رفع عن ثلاثة... (من قول علي)	٣١٩	٢	ألا تريخي من ذي الخلصة
٥٢٢	٦	إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه	١٩٠	٧	ألا تصلون
٥٤٤	٢	ألى رسول الله ﷺ من نسائه	١٤٧	١٠	ألا تصلبان
٥٥٥	٦	ألى رسول الله ﷺ من نسائه	٢٢١	٤	ألا تعجبون من غيرة سعد؟
٦٠٠	٧	إلى نصف الليل... (عن وقت صلاة العشاء)	١٢٦	٤	ألا تقولونه يقول: لا إله إلا الله
٤٤٢	٢	أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم	٣٤٢	٩	ألا رجل يتصدق عليه فيصلي معه
١٧٠	٢	أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا	٥٦	٤	إلا رقماً في ثوب
٤٣٦	٧	أليس حسيكم سنة رسول الله ﷺ	٣٣٦	١٠	إلا رقماً في ثوب
٥٤٥	٥	أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل	٤٧٢	٩	ألا صلوا في الرحال
١٧٠	٢	أليس قد صليت معنا؟	١٠٠	٣	ألا صلوا في الرحال
١٥٣	٩	أليسوا يحلون ما حرم الله	٣٣	٣	ألا قمنا... (لعلي و فاطمة)
٦١٥	٧	أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم	٦١	٣	ألا كنتم أذنتموني
٥٧٢	٧	أما الذي يبلغ رأسه بالحجر	٤٠٦	٤	ألا لا يحج بعد العام مشرك
٢٣٠	٤	أما الركوع فعظموا فيه الرب	٣٣٣	٥	ألا هل بلغت
٢٥٩	١	أما الركوع فعظموا فيه الرب	٣٨٨	١٠	ألا وإن في الجسد مضغة
٢٢٠	١٠	أما الركوع فعظموا فيه الرب	٣٤٩	١	ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان
٣١٠	٣	أما الركوع فعظموا فيه الرب	١٥٧	٥	ألحقوا الفرائض بأهلها
٢٣٤	٤	أما السجود فأكثروا فيه من الدعاء	١٠	٩	ألحقوا الفرائض بأهلها
١٠	٦	أما الطيب الذي بك فاعسله ثلاث	٥٢ ٤٢ ٣٥ ٣٠	٩	ألحقوا الفرائض بأهلها
٦٣٤	١	أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثاً	٣٤	٩	ألحقوا الفرائض بأهلها
		أما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه... (من قول أبي سعيد)	٤٧	٩	ألحقوا الفرائض بأهلها
١٤٤	٥	أما أنا والله فإني كنت أصلي... (من قول سعد)	٤٨٦	٥	أصبح أربعاً، أصبح أربعاً؟
٢٣٨	٣	أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا	٨٧	٣	ألن عنك شعر الكفر واحتن
			٣٥٩	٢	ألنه على بلال؛ فإنه أئدى صوتاً منك
			٦٠٩	٢	ألك ينة؟
			٦٢٥	٩	

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٢	٣٦٧	الطواف	٢	٥٤٦	تضامون
٥	٤٨٢	أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت	٧	٤٣٣	أما أول أشراف الساعة: فإنا تحشر الناس
٥	١٣٩	أمر النبي ﷺ أن يحرق نخل بني النضير			أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم لكني
٢	٢٠٣	أمر النبي ﷺ ألا يطوف بالبيت عريان	٣	٥٤٢	خشيت
١	١٨٨	أمر النبي ﷺ الرهط من جهنة وعكل	٣	٥٤٤	أما بعد
١	٥٥٩	أمر النبي ﷺ العرنين	٤	١٤٧	أما بعد
٩	١٢٥	أمر النبي ﷺ أن يرض رأسه	٩	٦٤٥	أما بعد: فإني أستمعل رجالاً منكم على أمور
٣	٣٤٤	أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء	٧	٥٥٤	أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة
٣	٣٥٤	أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعظم	٩	١١٢	أما ترضين أن تكوني سيلة نساء أهل الجنة
		أمر النبي ﷺ بالاضطجاع بعد سنة			أما تستحي المرأة أن تهب نفسها
٤	٤٩	الفجر	٦	٢٣٦	للرجل...؟ (من قول عائشة)
٤	١٤٠	أمر النبي ﷺ بالعاتقة في كسوف الشمس	٥	١٠٨	أما شعرت أنا لا تأكل الصدقة
		أمر النبي ﷺ بدفن الشهداء في ثيابهم			أما علمت أن آل محمد لا يأكلون
٤	٤٢٦	التي قتلوا فيها	٥	١٠١	الصدقة
٥	١٤٣	أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر	٧	٥٤٣	أما غنمك وجاريتك فرد عليك
		أمر النبي ﷺ علياً ض أن يقيم على			أما قطع السبيل؛ فإنه لا يأتي عليك إلا
٥	٢٣٨	إحرامه	٤	٦٣٠	قليل
		أمر النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى	٧	٢٠٣	أما كان فيكم رجل رحيم
١	١٤٢	الأشعري			أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله:
٩	١٠٠	أمر النبي ﷺ من كان بالبيت أن يضروه	٦	٣٣٩	بسم الله
		أمر النبي ﷺ من لم يسق الهدي أن	٥	٢٣٦	أما موسى كآني أنظر إليه إذا انحدر في
٥	٥٠٠	يجعلها عمرة			أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب
٥	٤٩١	أمر أن تضرب له قبة بنمرة	٧	٥٤٣	الله
		أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى			أما والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب
٥	١٤٥	الصلاة	٩	١٨٧	الله
		أمر بلال أن يشفع الأذان، وأن يوتر			أما والله إني لأعلم أنك حجر... (من
٢	٦١٠ ٦٠٨	الإقامة	٥	٣١٧	قول عمر)
		أمر بهم قطعق أيديهم وأرجلهم، وسمر	٢	٦٣٨	أما والله لاستغفرون لك ما لم أنه عنك
٩	١٢٥	أعيهم	٤	٥٧٨	أما والله لاستغفرون لك ما لم أنه عنك
٥	٤٤٧	أمر رسول الله ﷺ من لم يكن معه هدي	٣	١٤٩	أما يخشى أحدكم، أو لا يخشى
٧	٤١٢	أمر رسول الله ﷺ أن يسترقي من العين	٧	٣٧٤	إمام عادل، وشاب نشأ
٥	١٨٧	أمر عائشة أن تخرج إلى التنعيم	٧	٥١٠	أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح
١	٣٢١	أمر من صلى منفرداً أن يعيد	٣	٦٢٥	أمر الحبيص أن يعتزلن المصل
		أمر من ضحك أن يعيد الوضوء	٥	٦٣٧	أمر الله بوفاء النذر... (من قول ابن عمر)
١	٤٦٩	والصلاة	٧	٦٣٩	أمر الله بوفاء النذر... (من قول ابن عمر)
٢	٢٣٨	أمرت أن أسجد على سبعة أعظم			أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٦	٢٠٦	أمرني أن آذن له	٧	٤٤٩	أمرت أن أسجد على سبعة أعظم
٥	٤٢٤	أمرني رسول الله ﷺ أن أتصدق بجلال	٣	٣٤٩	أمرت أن أسجد على سبعة
٢	٣٥٩	البدن	٣	٣٥٤	أمرت أن أسجد على سبعة
٧	٥٨٤	أمره النبي ﷺ أن يغتسل بهاء وسدر	١	٨٢	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا
٦	٦١٠	أمره أن يعيد الذبح	٤	٦١٠	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
٦	٦١٠	أمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ثم	٤	٥٧٩	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله
٤	١٤١، ١٣٣	يمسكها	٩	٣٢٤	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله
٤	١٨٠	أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر	١٠	١٨٩	أمرت أن أقاتل الناس
٤	١٢٥	أمرهم أن يجعلوها عمرة	١٠	٦١	أمرت أن أقاتل الناس
٩	٥٨٦	أمرهم أن يخرجوا فيشربوا من أبوالها وألبانها	٥	٦٥٤	أمرت بقرية تاكل القرى
٤	٣٧	أمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها	١٠	٥٦٤	أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع
٤	٣١	أمرهم أن يعتزلن المصلى	٤	٦٠٩	أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع
١٠	٨٩	أمرهن أن يعتزلن المصلى	٢	٤٤٩	أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع... (وفد عبد القيس)
٣	٦١١	أمرهم أن يغزوا الحدية	٤	٤٤٠	أمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه
٣	٤١٧	أمرهم أن يغزوا الحدية	٧	٥٦٨	أمرنا النبي ﷺ بإبرار المقسم
٧	٣٤٤	أمرهم أن يغزوا الحدية	٤	٣٨١	أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع
٢	٥٠٢	أمرهم أن يغزوا الحدية	٦	٣٤٨	أمرنا النبي ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع
٩	٦١١	أمرهم أن يغزوا الحدية	٧	٥٢٠	أمرنا النبي ﷺ بسبع
٧	٢٣	أمرهم أن يغزوا الحدية	٢	٢٠٧	أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين
٥	٦١٣	أمرهم أن يغزوا الحدية	٢	١٧٨	أمرنا أن نخرج العواتق... (من قول أم عطية)
٧	٣٧١	أمرهم أن يغزوا الحدية	٣	٢٥١	أمرنا أن نسجد على سبعة أعضاء؛
١٠	٥٨	أمرهم أن يغزوا الحدية	٣	٣٤٥	أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم
٣	٢٤٨	أمرهم أن يغزوا الحدية	٧	٣١٤	أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع
٦	٤٨١	أمرهم أن يغزوا الحدية	٧	٦٦٦	أمرنا نبينا بأن نخرج العواتق وذوات
٩	١٥٥	أمرهم أن يغزوا الحدية	٣	٦٤٢	الخدور
٦	٤٠٢	أمرهم أن يغزوا الحدية	٤	١٠	أمرنا نبينا بأن نخرج العواتق... (من قول أم عطية)
٤	٦٢٦	أمرهم أن يغزوا الحدية	٥	٤٣٥	أمرني النبي ﷺ أن أقوم على البدن
٦	٥٠	أمرهم أن يغزوا الحدية			
١	٥٦١	أمرهم أن يغزوا الحدية			
٦	٣٦٥	أمرهم أن يغزوا الحدية			
٣	١٨١	أمرهم أن يغزوا الحدية			

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
عائشة).....	٧	٥٣٣	مفتون	٧	٣٤٢
أن أبا بكر كتب له فريضة الصدقة	٥	٥٧	إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير		
أن أبا حذيفة بن عتبة تبنى سالما	٦	١٦٨	مفتون	٧	٣٤٣
إن أبا سفيان رجل شحيح... (من قول هند)	٩	٦٢٣	إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير		
إن أباها أخي من الرضاعة	٦	٢٥٠	مفتون	٩	٤٢٣
أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك	٦	٢٨٢	إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير		
إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي	٤	٤٨٦	مفتون	٩	٥٣٧
إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرم			إن أردت بعبادك فتنة.....	١٠	٦
المدينة.....	٥	٥٨٠	إن أردت بعبادك فتنة.....	٧	٣٠٧
إن إبراهيم عليه السلام قال للنبي ﷺ: اقرأ			أن أسامة بن زيد كان ردف النبي ﷺ		
أمتك مني السلام	٧	٥١٦	من عرفة	٥	٤٠٣
أن ابن عمر ه كان يبيت بذي طوى.....	٥	٤٩٢	أن أسامة ض كان ردف النبي ﷺ من		
إن ابني هذا سيد	٧	٥٥٢	عرفة	٥	٢٢٣
إن ابني هذا السيد	٩	٥٢٩	إن أستخلف فقد استخلف... (من قول		
إن أتيا أتاني من ربي فيشرني أن الله يدخل			عمر).....	٩	٦٦١
الجنة	٧	٤٧٣	أن أشد الناس عذابا يوم القيامة	٧	٦٢٠
إن أحب أموالي إلي بيرحاء... (من قول			إن أشد الناس عذابا	٧	٦١٨
أبي طلحة).....	٥	٦٦	إن أصحاب هذه الصور يعذبون يقال لهم:		
إن أحذكم إذا صلي يناجي ربه	٢	٤٦٥	أحيوا.....	١٠	٣٣٧
إن أحذكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي			إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم		
ربه.....	٢	٢٩٣	القيامة	٧	٦٢٧
إن أحذكم إذا قام يصلي	٤	٣٦٤	إن أصحاب هذه الصور يعذبون.....	١٠	٥٦٥
إن أحذكم إذا كان في الصلاة فإن الله قبل			إن أصحاب هذه الصور يعذبون.....	٦	٣٦١
وجهه	٣	٢٣٣	إن أصحاب هذه الصور يعذبون	٧	٦٢٢
إن أحذكم يجمع في بطن أمه	٧	٥٢١	إن أصحاب هذه الصور يعذبون.....	٧	٦٢٦
إن أحسن الحديث كتاب الله... (من قول			إن أصدقها الإزار بقيت بلا إزار	٧	٢٢٥
ابن مسعود).....	١٠	٥٧	إن أطيب ما أكلتم من كسبكم	٥	١٦٨
أن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله	٦	٤٨	إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن		
إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله	٧	٤١١	شيء	١	١١٢
إن أخاك رجل صالح.....	٩	٤٥٥	إن أعظم المسلمين جرما.....	١٠	٦٥
إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة	١٠	٤٩٠	إن أفضل صلاة المرء في بيته	١٠	٦٨
إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر	٢	٤٩٩	إن أفضل صلاة المرء في بيته	١٠	٦٨
إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملك القي			إن أنضلكم من تعلم القرآن وعلمه	٦	٨٠
سنة	١٠	٢٧٠	أن أفلح أخا أبي القعيس جاء يستأذن		
إن أذننت لي أعطيت هؤلاء	١	٦١٠	عليها	٦	٢٠٦
إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير			إن أكثر ما أخاف عليكم	٧	٣٠١

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٨٢.....	١٠.....	إن الروح إذا قبض تبعه البصر.....	٥٨٥.....	١.....	أن الإبل خلقت من الشياطين.....
٣٤١.....	١.....	إن الروح إذا قبض تبعه البصر.....	٣٦٦.....	٢.....	أن الإبل خلقت من الشياطين.....
٤٣٢.....	١٠.....	إن الروح إذا قبض تبعه البصر.....	٥٩٩.....	٢.....	إن الإسلام ليأرز إلى المدينة.....
٤٣٣.....	٧.....	أن الساعة لن تقوم حتى تروا قبورها.....	٣١٩.....	٧.....	إن الأكرين هم المقولون يوم القيامة.....
٤٧٢.....	٧.....	إن السبعين ألفاً سيفهم الله في آباءهم.....	٥١٠.....	٩.....	أن الأمانة نزلت في جنز قلوب الرجال.....
		أن الشمس خسفت على عهد رسول الله	٥٧.....	١٠.....	أن الأمانة نزلت من السماء.....
١٤٨.....	٤.....	ﷺ.....	٦٦٤.....	٥.....	إن الإيوان ليأرز إلى المدينة.....
١٤٧٠، ١٤٦٠، ١٣٦٠، ١٣١٠، ١٢٤٤.....		إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله.....	٢٠٢.....	٩.....	إن البلاء موكل بالمناطق.....
٤١٤.....	٦.....	إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله.....			إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله
٤٤٧.....	٧.....	إن الشمس والقمر آيتان.....	٦٢٧.....	٧.....	الملائكة.....
		إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت	٣٦١.....	٦.....	إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله.....
١٤٣٠، ١٢٣.....	٤.....	أحد.....	٣٦٨.....	٧.....	إن التليسة تجرم فؤاد المريض.....
		إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت	٦٣٢.....	٣.....	أن الحيف يخرجن إلى المصلى.....
١٢٢٠، ١٢١.....	٤.....	أحد.....	٤٥.....	٤.....	إن الخلاف شر... (من قول ابن مسعود).....
٦٤٠.....	٧.....	إن الشملة التي أخفها يوم خير من المغانم.....	٣٨.....	١٠.....	إن الخمر قد حرمت... (من قول أنس).....
٢٥٠.....	٢.....	إن الشهر تسع وعشرون.....	٢٦٠.....	١٠.....	إن الدجال أعور، وإن ريكم ليس بأعور.....
٤١٨.....	٦.....	إن الشهر تسع وعشرون.....	٨٧.....	١٠.....	أن الذهب حرم على ذكر هذه الأمة.....
٦٠٠.....	٧.....	إن الشهر يكون تسعاً وعشرين.....			إن الذي تدعونه أقرب إلى أحلكم من عتي
٤٢٢.....	٦.....	إن الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً.....	٢٨٣.....	١٠.....	راحته.....
٣٢٥.....	٤.....	إن الشيطان عرض لي.....	٢٧٥، ٢٤٧.....	٧.....	إن الذي تدعونه أقرب إلى أحلكم.....
		إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى			إن الذي تدعونه المفصل هو
٤٢٩.....	٢.....	الدم.....	٩٥.....	٦.....	المحكم... (من قول ابن عباس).....
٦١٣.....	٩.....	إن الشيطان يجري من ابن آدم.....	٥٤٦.....	١٠.....	إن الذين جاءوا بالإفك... (من قول عائشة).....
٥٨١.....	٩.....	إن الصبر عند أول صدمة.....	٦١٨.....	٧.....	إن الذين يصنعون هذه الصور.....
١٣٤، ١٢٧.....	٤.....	إن الصلاة جامعة.....	٦٢٢.....	٧.....	إن الذين يصنعون هذه الصور.....
٤٦٥.....	٥.....	أن العباس ض استأذن النبي ﷺ لبيبت.....	٤٣٠.....	١٠.....	إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة.....
٨١.....	٥.....	إن العباس قد أسلفنا زكاة.....			إن الرجل لينصرف، وما كتب له إلا
٣٧٢.....	٧.....	إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان.....	٦١٦.....	٢.....	عشر صلواته.....
٣٧٠.....	٧.....	إن العبد ليتكلم بالكلمة.....	٣٦٥.....	١٠.....	إن الرسول ﷺ أخذ المدرا أو جعل يخبئ.....
٥٣٢.....	٥.....	إن العيش عيش الآخرة.....			أن الرسول ﷺ أقام بمكة عام الفتح
٤٨٥.....	٤.....	إن العين تدمع، والقلب يحزن.....	٢٤٠.....	٢.....	تسعة عشر يوماً.....
٦٠٧.....	٧.....	إن العين لتدخل الرجل القبر.....			أن الرسول ﷺ خطب الرجال، ثم نزل
٥٨.....	١٠.....	إن العين نائمة، والقلب يقظان.....	٢٠٩.....	٢.....	إلى النساء.....
٣٢٢.....	١.....	إن العينين وكاء السه.....	٣٠٣.....	٦.....	أن الرسول ﷺ كان يتخولهم.....
١١٥.....	١.....	إن القبلة قد حولت.....			أن الرهط الذين ولاهم عمر... (من قول
		إن القتل قد استحر يوم القيامة بقراء	٦٥٢.....	٩.....	المسورين مخرومة).....

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٣٥٣	١	إن الله حيي ستر يحب الحياة	١٢	٦	القرآن... (من قول عمر)
٢٤	٢	إن الله حيي كريم يستحي			إن القتل قد استحر يوم القيامة... (من قول عمر)
٣٥٢	١	إن الله حيي كريم	٦٣٤	٩	إن القرآن أنزل على سبعة أحرف
٣٨١	٢	إن الله حيي كريم	١٠١	٦	إن الله أبدلكم بخير منها: عبد الأضحى
٣٣٢	٦	إن الله حيي كريم			إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق... (من قول ابن عباس)
١٩٧	٧	إن الله حيي كريم	٦٠٥	٣	إن الله اتخلفني خليلاً
٥٠٣	٧	إن الله خلق آدم على صورته	٤٩١	٧	إن الله أنشئ عليكم
٣٤٥	٧	إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة	٤٠٩	١	إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية
٣٤٦	٧	إن الله خلق الرحمة يوم	١٧	٩	إن الله أنكحني في السماء... (من قول زينب)
٣٤٦	٧	إن الله خلق مائة رحمة	٣٨٧	١٠	إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق... (من قول ابن عباس)
٣٧٠	٢	إن الله خير عبداً بين الدنيا	١٢١	١٠	إن الله تبارك وتعالى إذا أحب
٣٢٦	٩	إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله	٤٧٠	١٠	إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها
٦٣٠	٦	إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً	٤٤٢	١٠	إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها
		إن الله ع وكل بالرحم ملكاً يقول: يا رب	٥٢٣	٦	إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت
١١٥	٤	نطفة	٥٧٩	٧	إن الله تجاوز لأمتي عما وسوست
٢١٥	٢	إن الله ع وكل بالرحم ملكاً	٩٦	١٠	إن الله تصدق عليكم
١٤٧	٧	إن الله ع يقبل توبة	٥١٥	٦	أن الله تعالى أشد فرحاً بتوبة
٣٢٤	١٠	إن الله ع عن تغليب هذا نفسه لغني	٨	٦	أن الله تعالى تابع على رسول الله ﷺ الوحي
٦٣٩	٥	إن الله ع عن تغليب هذا نفسه لغني	٤٧١	٣	إن الله تعالى جميل يحب الجمال
٣٢٤	١٠	أن الله غني عن تغليب هذا نفسه	٧٩٣	٧	إن الله تعالى عرض بالخمر
٥٠٧	١	إن الله قال: قسمت الصلاة بيني	٢٢٣	١٠	أن الله تعالى محسن
٦٥٨	٧	إن الله قال: من عادى لي ولياً	١٣٢	٤	إن الله تعالى يخوف بهما عباده
٥٨٢	٢	إن الله قبض أرواحكم حين شاء			أن الله تعالى يمقت على ذلك... (الكلام
٤٥٨	١٠	إن الله قبض أرواحكم	٥٦٨	١	وقت قضاء الحاجة)
٣٣١	٤	إن الله قبل أحدكم	٣٠٧	٧	إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه
١٣	٩	إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية	٨٥	٣	إن الله جميل يحب الجمال
		إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله	٤٤٦	٧	إن الله جميل، يحب الجمال
٢٧٧	٤	إلا الله	٢٣٨	٩	إن الله حبس عن مكة الثقل
٢٨٢	٤	إن الله قد حرم على النار	٢٩٦	١	إن الله حبس عن مكة القتل أو الفيل
٣٨٥	٧	إن الله كتب الحسانت والسيئات			إن الله حرم المشركات... (من قول ابن عمر)
٦٧٣	٧	إن الله كتب على ابن آدم حظاً من الزنا	٥٤٣	٦	إن الله حرم على الأرض
٦٧	١٠	إن الله كتب عليكم الحج فحجوا	٢٨٢	٤	إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا
٥٥٤	١٠	إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق			الله
		إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال،	٢٨٣	٤	إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي
٩٠	٥	واضاعة المال	٥٨٨	٥	إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي
٣٨٧	٩	إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٤	٤٣١	إن الله يعثه يوم القيامة ملياً أن الله يجعل السموات على إصبع	١٠	٣٢٩	إن الله لا يخفى عليكم إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب
١٠	٢٥٦	والأرضين على إصبع	٤	٤٨٩	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الرجال
٧	٢٦٣	إن الله يحب الرفق في الأمر كله	٦	٤٥٣	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الرجال
٣	١٠٤	إن الله يحب أن تؤتى رخصه	٩	١٣٤	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً
١٠	٥١٦	إن الله يحدث من أمره ما شاء	٧	٥٢٩	إن الله لا يمل حتى تملوا إن الله لا يتزعه انتزاعاً من صدور الرجال
١٠	٥١٨	إن الله يحدث من أمره ما يشاء	٤	١٠٢	إن الله لا يتزع العلم انتزاعاً من صدور الرجال
٤	١٠٦	إن الله يستعقبكم فاعتبوه	٩	٤٩٨	إن الله لا يتزع العلم
٧	٤٠٣	أن الله يعطي بالرفق ما لا	١٠	٩٨	إن الله لا يغار، وغيره الله
١٠	٢٩	أن الله يعطي بالرفق	٧	٦٣٧	إن الله لغني عن تعذيب هذا نفسه
٧	٢٦٣	إن الله يعطي بالرفق	٧	٦٣٦	إن الله لغني عن تعذيب
٧	٧٠٣	إن الله يعطي بالرفق إن الله يعلم أن أحداكم كاذب، فهل منكم	٤	١٦٨	إن الله لم يفرض السجود... (من قول ابن عمر)
٦	٥٨٢	تائب	٤	١٥٣	إن الله لم يفرض علينا السجود... (من قول عمر)
٦	٤٤٢	إن الله يغار، وغيره الله إن الله يغيثكم أو نعشكم بالإسلام... (من قول أبي هريرة)	٤	٣٨٩	إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه
١٠	٥٢	إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات	٥	٣٦	إن الله لما قضى الخلق كتب إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها
١٠	٣٥٩	إن الله يقول لأهل الجنة	٩	٤٣١	إن الله ليزيد الكافر عذاباً بيبكاء أهله عليه
١٠	٥٠٢	إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة	٤	٤٥٨	إن الله يعذب المؤمن بيبكاء أهله عليه
٧	٤٧٦	إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم	٧	٣١٠	إن الله ليحلي للظالم
٧	٥٥٦	إن المؤمن إذا كان في الصلاة فإنما يناجي ربه	١٠	٢٤١	إن الله هو السلام ولكن قولوا
٢	٢٩١	إن المؤمن لا يشجس	٣	٣٧٥	إن الله هو السلام
٧	٥٥٤	إن المؤمن للمؤمن كالبنیان	٣	٣٨٠	إن الله هو السلام
٢	٣٨٨	إن المؤمن يرى ذنوبه	٧	١٨٤	إن الله هو السلام
٧	١٤٦	إن الباء لا يجنب	٧	١٨٦	إن الله هو السلام
٧	٢٩٧	إن المرأة ناقصة في دينها وعقلها	٧	٦٦٣	إن الله هو السلام
١	٥٧٥	إن المكثرين هم المقولون يوم القيامة	١٠	٢٢١	إن الله هو القابض الباسط المسعر
٧	٣١٥	إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة	١٠	٢٢١	إن الله هو القابض الباسط
١	١١٣	إن الميت لا أرضاً قطع			
٤	٤٥٩	إن الميت ليعذب بيبكاء الحي			
٤	٤٥٨	إن الميت ليعذب بيبكاء أهله عليه			
٤	٤٥٨	إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه			
٢	٤٣٠	إن الميت يعذب بيبكاء أهله			

طُرف الحديث	الجزء	الصفحة	طُرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن النار اشكت إلى ربها.....	٧	٥٠٥	وجلسنا حوله.....	٣	٥٣٧
إن الناس قد صلوا وورقدوا.....	٣	٤١٤	أن النبي ﷺ حج مرة واحدة.....	٥	٥٠٦
إن الناس قد صلوا وناموا.....	٧	٥٤٠	أن النبي ﷺ خرج إلى المصلى		
أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة			فاستسقى، فاستقبل.....	٤	٧٤
أنواع.....	٧	٤٣٥	أن النبي ﷺ خرج يوم الفطر، فصلى		
إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة.....	١	٣٢٣	ركعتين.....	٤	٣٦
أن النبي ﷺ أي نعمان أو بابت نعمان، وهو			إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة		
سكران.....	٩	١٠١	فاغتسل.....	٤	٢٦٨
أن النبي ﷺ أرفد الفضل.....	٥	٤٠٣	أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء.....	٥	٢٦٧
أن النبي ﷺ استسقى فرفع يديه.....	٧	٢٠٠	أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء.....	٥	٢٦٧
أن النبي ﷺ استسقى فصلى ركعتين،			أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى		
وقلب رداءه.....	٤	٩١	رأسه المغفر.....	٧	٤٧٩
أن النبي ﷺ استسقى فقلب رداءه.....	٤	٧٤	أن النبي ﷺ دعا بإناء من ماء، فأتي بقدح.....	١	٥٣٣
أن النبي ﷺ أعطى لبيتي سعد بن الربيع			أن النبي ﷺ رأى رجلاً يطوف بالكعبة.....	٧	٦٣٦
الثلاثين.....	٩	٨	أن النبي ﷺ رأى رجلاً يطوف.....	٥	٣٣٢
أن النبي ﷺ اغتسل من الجنابة.....	١	٦٣٧	إن النبي ﷺ رخص لهن.....	٥	٤٨٥
أن النبي ﷺ أقبل من خيبر.....	٧	٢٤٩	أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف.....	٧	٦٩٣
أن النبي ﷺ أمر بالوضوء من لحم الإبل.....	١	٥٤٣	أن النبي ﷺ سجد بالنجم.....	٤	١٦٠
أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود.....	٩	٦٤٣	إن النبي ﷺ سباه الزور.....	٧	٥٩٧
أن النبي ﷺ أمره أن يردف عائشة.....	٥	٥١٥	إن النبي ﷺ صف بهم بالمصلى.....	٤	٥١٨
أن النبي ﷺ أمره أن يقوم على بدنه.....	٥	٤٣٥	أن النبي ﷺ صلي السجدة بالليل في		
أن النبي ﷺ أمرهم ألا ينزعوا خفافهم			السفر.....	٤	١٩٣
إلا من جنابة.....	١	٥٤٠	أن النبي ﷺ صلى الظهر بالمدينة أربعاً.....	٥	٢٢٨
أن النبي ﷺ أهل وأصحابه بالحج.....	٥	٥١٥	أن النبي ﷺ صلى الظهر والعصر.....	٥	٤٨٢
أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن.....	١٠	٢٠٣	أن النبي ﷺ صلى بالمدينة سبعاً وثلاثين.....	٢	٤٨٤
أن النبي ﷺ بعثه وأتبعه بمعاذ.. (عن أبي			أن النبي ﷺ صلى بهم الظهر.....	٣	٣٧٦
موسى).....	٩	٥٨٢	أن النبي ﷺ صلى بهم بالطحاء.....	٢	٤٠٢
أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم.....	٥	٥٩٧	أن النبي ﷺ صلى في ثوب واحد.....	٢	٢١٢
إن النبي ﷺ تزوجها وهو حلال.....	٥	٥٩٧	أن النبي ﷺ صلى يوم العيد ركعتين.....	٧	٥٥١
أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست			أن النبي ﷺ صلى يوم الفطر ركعتين لم		
سنتين.....	٦	٢٧٣	يصل قبلها.....	٣	٦٢٤
أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست			أن النبي ﷺ ضرب في الخمر بالجريد.....	٩	٩٧
سنتين.....	٦	٢٧٥	إن النبي ﷺ قام فبدأ بالصلاة ثم خطب		
إن النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه.....	٣	٤٣٠	الناس.....	٣	٦٢١
أن النبي ﷺ ترضاً مرتين مرتين.....	١	٤١٨	أن النبي ﷺ قتل يهوداً بجارية قتلها علي		
إن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر			أوضح لها.....	٩	٢٤٦

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم، فسجد بها	٤	١٦٠	أن النبي ﷺ كان يعجبه التيمن ما استطاع	٧	٥٨٨
إن النبي ﷺ قضى بالدين قبل الوصية	٩	١٣	أن النبي ﷺ كان يقلها وهو صائم	٢	٢٢٩
أن النبي ﷺ قطع العرنين	٩	١٢٤	أن النبي ﷺ كان يقرأ بألم الكتاب	٣	٢٨٧
أن النبي ﷺ قطع يد امرأة	٩	١٢٠	وسورة معها	٣	٢٨٧
أن النبي ﷺ قيل له في الذبح	٥	٤٥٩	أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الأولين	٣	٢٨٥
أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه	٦	٤٣١	أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه	٧	٤٠٨
أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه	٦	٦٠	أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه	٧	٤٢٣
أن النبي ﷺ كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني	٤	٢٤٩	أن النبي ﷺ كان يومًا يحدث	١٠	٥٠٢
أن النبي ﷺ كان إذا صلى فرج بين يديه	٢	٢٦٣	أن النبي ﷺ كانت تركز الحرية قدامه	٤	٨
أن النبي ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول	٥	٣٢٦	يوم الفطر	٤	٨
أن النبي ﷺ كان إذا قام للتهجد من الليل يشوص فاه	٤	٢٢٧	أن النبي ﷺ لآعن بين رجل وامرأته	٦	٥٩٢
أن النبي ﷺ كان أهل بعمره عام الحديبية	٥	٥٤٧	أن النبي ﷺ لم يدخل بيتها إلا صلاهما	٥	٣٤٥
أن النبي ﷺ كان خاتمه من فضة	٧	٥٤٠	أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته	٧	٦٢٣
أن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء	٣	٢٦١	أن النبي ﷺ لما جاء إلى مكة	٥	٢٦٦
أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر	٤	٢٧١	أن النبي ﷺ مر وهو يطوف بالكعبة	٥	٣٣٢
أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب	٧	٥٩١	أن النبي ﷺ مر وهو يطوف بالكعبة	٧	٦٣٦
إن النبي ﷺ كان لا يصلي هذه الساعة	٥	٣٩٥	أن النبي ﷺ مسح على خفيه	١	٥٣٧
أن النبي ﷺ كان له حصير يسطه بالنهار	٣	٢٠٤	أن النبي ﷺ نهي أن يلبس السلاح في بلاد الإسلام	٣	٦٢٩
أن النبي ﷺ كان يأتي قباء ماشيًا وراكبًا	١٠	١٣١	أن النبي ﷺ نهي عن اشتغال الصاء	٧	٤٨٩
أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير	٦	٦٤٦	أن النبي ﷺ نهي عن الصلاة في أعطان الإبل	٢	٣٦٥
أن النبي ﷺ كان يتكئ في حجري	٢	١٦١	إن النبي ﷺ نهي عن المتعة	٦	٢٤٣
أن النبي ﷺ كان يرى ويبص المسك في مفارقة	٥	٦٠٣	إن النبي ﷺ نهي عن المتعة وعن لحوم الحمر	٩	٣٨٢
أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين	٤	٢٦٣	إن النبي ﷺ نهي عن ثمن الدم	٧	٦٢٧، ٦١١
أن النبي ﷺ كان يصلي على راحلته	٤	١٩٠	أن النبي ﷺ نهي عن لبس الحرير	٧	٤٩٦
أن النبي ﷺ كان يصوم تسع ذي الحجة	٣	٦٣٤	أن النبي ﷺ وأبا بكر، وعمر كانوا يفتحون الصلاة	٣	٢٢٥
أن النبي ﷺ كان يضرب شعره منكبيه	٧	٥٦٩	إن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة	٥	١٨٠
أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه	٦	١٤٢	أن النبي ﷺ وقت لأهل المدينة ذا الحليفة	٥	١٨٩
أن النبي ﷺ كان يطول في الركعة الأولى	٣	٢٨٨	أن النبي ﷺ كان يعتم، ويلبس برده الآخر	٢	٢٠٤

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٣.....	١٣.....	إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا.....	٥.....	٦٠٩.....	الحليفة.....
٣.....	١٠.....	إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا.....	١.....	٦٣٣.....	أن النبي ﷺ وميمونة كانا يغتسلان من إناء واحد.....
٣.....	١٨.....	إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا.....	٤.....	١٩٣.....	أن النبي ﷺ يوم فتح مكة اغتسل.....
١٠.....	٣٤.....	إن بلالاً ينادي بليل.....	٩.....	٦٣٩.....	أن النبي ﷺ قضى بالشاهد واليمين.....
٣.....	١٣.....	إن بلالاً ينادي بليل، فكلوا واشربوا.....	٧.....	٦٢٠.....	إن التمر لا يقدم شيئاً.....
٦.....	٥٣٥.....	إن بني المغيرة استأذنوا في أن ينكح علي ابنتهم.....	٧.....	٦٢٣.....	إن التمر لا يقدم شيئاً.....
٦.....	٤٥٠.....	إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن ينكحوا.....	٩.....	٣٢٦.....	إن اليهود إذا سلموا على أحدكم إنما يقولون.....
٩.....	٤٩٧.....	إن بين يدي الساعة أياماً يرفع فيها العلم.....	٧.....	٥٦٦.....	إن اليهود والنصارى لا يصبغون.....
٩.....	٤٩٧.....	إن بين يدي الساعة أياماً يزل فيها الجهل.....	٧.....	٥٦٥.....	أن أم سلمة أرته شعر النبي ﷺ أحمر.....
٩.....	٤٩٧.....	إن بينك وبينها باباً مغلقاً... (من قول حذيفة لعمر).....	١.....	٣٦٧.....	إن أممي يدعون يوم القيامة غرا.....
٢.....	٤٥١.....	أن تؤمن بالقدر.....	٧.....	٣٧٢.....	إن أمثل ما تداوئتم به الحجامة والقسط البحري.....
٧.....	٥٢١.....	أن تجعل الله نداً وهو خلقك.....	٦.....	٢٨٢.....	أن امرأة يكرأ جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أبي زوجني.....
١.....	١٠١.....	أن تجعل الله نداً وهو خلقك.....	٦.....	٢٨٢.....	أن امرأة ماتت في بطن، فصل عليها النبي ﷺ.....
١٠.....	٥١٤.....	أن تجعل الله نداً وهو خلقك.....	٢.....	٢٤٥.....	أن امرأة يهودية أتت الرسول ﷺ بشاة مسمومة.....
٩.....	١٣٦.....	أن تجعل الله نداً وهو خلقك.....	٦.....	١٨٥.....	إن امرأتى ولدت غلاماً أسود.....
٩.....	٢٠٥.....	أن تجعل الله نداً وهو خلقك.....	١٠.....	١٠٧.....	إن أمن الناس على في صحته وماله.....
١٠.....	٥٣٤.....	أن تدعو الله نداً وهو خلقك.....	٢.....	٣٧٠.....	إن أنفستنا بيد الله... (من قول علي).....
٩.....	٢١١.....	أن تدعو الله نداً وهو خلقك.....	٣.....	٦١.....	إن أهل الإسلام لا يسيئون... (من قول ابن مسعود).....
١٠.....	٥١٤.....	أن تراني بحليلة جارك.....	٩.....	٦٦.....	إن أهل الجنة ليرامون الغرف.....
١٠.....	٥٣٤.....	أن تراني حليلة جارك.....	٧.....	٤٧٩.....	إن أهل الجنة ليرامون أهل الغرف.....
٦.....	٢٧٨.....	أن تسكت.....	٧.....	٢٠٩.....	إن أهل هذه الصور يعذبون.....
٤.....	٦٣٥.....	أن تصدق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر.....	١٠.....	١٢٨.....	إن أهون أهل النار عذاباً.....
٩.....	٦٢٨.....	إن تطعنوا في إمارته فقد كسبتم تطعون.....	٧.....	٤٨٦٠ ٤٨٥٠.....	إن أول ما نبأ به في يومنا.....
٧.....	٤٧٣.....	أن تعبد الله كأنك تراه.....	٣.....	٦٣١.....	إن أول ما نبأ في يومنا هذا أن نصلي.....
٩.....	٤٢٦.....	أن تعبد الله كأنك تراه.....	٣.....	٦٢٦.....	إن أول ما نبأ من يومنا هذا.....
١٠.....	٥١٤.....	أن تقتل ولك تخاف أن يطعم معك.....	٣.....	٦١٠.....	إن أول نسكنا في يومنا هذا أن نبداً بالصلاة.....
١٠.....	٥٣٤.....	أن تقتل ولك مخافة أن يطعم معك.....	٣.....	٦٤٣.....	إن أول نسكنا في يومنا هذا أن نبداً بالصلاة.....
٩.....	١٣٦.....	أن تقتل ولك من أجل أن يطعم معك.....	٤.....	١١.....	إن أولئك إذا كان فيهم الرجل.....
٥.....	٢٢٩.....	أن تلبية رسول الله ﷺ: ليك اللهم ليك.....	٢.....	٣٠٨.....	إن أولئك إذا كان فيهم الرجل.....
٩.....	٤٣٤.....	أن تلد الأمة ربتها.....			
٧.....	٥٦٣.....	إن ثلاثة في بني إسرائيل.....			
٦.....	٥٨٦.....	إن جاءت به أحر قصيراً كأنه وحره فلا أراها إلا قد صدقت.....			

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٤٠١.....٥		إن رسول الله ﷺ أذن للظعن.....	٥٧٤.....١		إن جبريل أتاني، فأخبرني أن فيها قنراً
٣٤٥.....٦		أن رسول الله ﷺ أعتق صفية وتزوجها.....	٣١٨.....٧		أن جبريل بشرني أن من مات لا يشرك
١٦٤.....٦		أن رسول الله ﷺ أعتق صفية.....			إن جبريل ش ناداني قال: إن الله قد سمع
٥٠١.....٥		إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمرات.....	٢٨٩.....١٠		قول قومك.....
١٩٠.....٥		أن رسول الله ﷺ أناخ بالبطحاء.....			أن جبريل كان يعارض الرسول ﷺ
		إن رسول الله ﷺ برئ من الصالحة،	٧٦٤.....٧		بالقرآن.....
٤٧٣.....٤		والحائقة.....	٦٩٣.....٧		إن جبريل يقرأ عليك السلام.....
٣٩٤.....٥		أن رسول الله ﷺ جمع في حجة الوداع.....	٦٠٢.....٥		إن حبسني حابس.....
١٩٠.....٥		إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرناً.....	٤٠٢.....٧		إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً.....
		أن رسول الله ﷺ حين توفي سجي برد	٧٨.....٥		إن خالداً احتبس أذراعه في سبيل الله.....
٤٨٤.....٧		حبرة.....			إن خلقاً أحكمهم يجمع في بطن أمه أربعين
		أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلي	٤٢٨.....١٠		يوماً.....
٦٠٩.....٥		رأسه المغفر.....	٢٤٣.....٤		إن خلوف فم الصائم عند الله.....
٢٦٦.....٥		أن رسول الله ﷺ دخل مكة.....			إن خنساء بنت خدام أنكحها أبوها وهي
		أن رسول الله ﷺ رآه وقمعه يسقط على	٣٩٤.....٩		كارهة.....
٥٥٢.....٥		وجهه.....	٧٣.....٤		إن خير التابعين رجل يقال له أويس.....
٣٩٠.....٢		أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً قد شبك.....	١٩١.....٢		إن دم الحيض أسود يعرف.....
		أن رسول الله ﷺ رأى في جدار القبلة			إن دعاءكم وأموالكم وأعراضكم حرام
٢٨٦.....٢		مخاطباً.....	٣٦٩.....٩		عليكم.....
٦٣١.....٧		أن رسول الله ﷺ ركب على حمار.....	٤٥٤.....٧		إن دعاءكم وأموالكم.....
		أن رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي	٢٢٢.....٣		إن ذلك شيطان يسمى: «خنزب».....
٢٩٤.....٢		أضمرت.....	٢٣٠، ١٩٣.....٦		إن ذلك لا يحل لي.....
٢٤٩.....٢		أن رسول الله ﷺ سقط عن فرسه.....	٤٣٠.....٣		إن رؤيا الأنبياء وحي.....
٥٩٧.....٣		أن رسول الله ﷺ صلى الصبح بغلس.....	٩٧.....٤		إن ربك يسارع في هোক.....
٣٥٢.....٤		أن رسول الله ﷺ صلى الظهر خمساً.....			إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا
٤٨٩.....٢		أن رسول الله ﷺ صلى العصر والشمس.....	٤٦٤.....٩		يرون الرؤيا.....
٣١٣.....٥		أن رسول الله ﷺ صلى فيه.....	٤٥٦.....١		أن رجلاً رأى كلباً يأكل الثرى.....
		أن رسول الله ﷺ طاف بالبيت وهو على	١٤٢.....٩		أن رجلاً من أسلم أتى رسول الله ﷺ فحدثه.....
٣٤٦.....٥		بعير.....			أن رجلاً من الأنصار قذف امرأته،
١٤١.....٥		أن رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر.....	٥٨١.....٦		فأحلفها.....
٥٩٢.....٦		أن رسول الله ﷺ فرق بين رجل.....			أن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض
٣٦٢.....٤		أن رسول الله ﷺ قام في صلاة الظهر.....	١٢٢.....٥		بني إسرائيل.....
		إن رسول الله ﷺ قام من اثنتين من	٣١٨.....١٠		إن رحمتي تغلب غضبي.....
٣٤٧.....٤		الظهر.....	٤٥٢.....١٠		إن رحمتي سبقت غضبي.....
		إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة	٥٣٥.....٧		أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب.....
٢٨٤.....٢		قرآن.....	٥٣٥.....٧		أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب.....

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن رسول الله ﷺ قضى في بروع بنت واشق..... ٦٣٢	٦	٦٣٢	العشاء..... ٢٢	٥٣٢	
أن رسول الله ﷺ قضى في جنتين امرأة..... ٢٨٧	٩	٢٨٧	أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة..... ٢	٢٢١	
أن رسول الله ﷺ قضى فيمن زني..... ١٧٨	٩	١٧٨	أن رسول الله ﷺ كفن في ثلاثة أثواب بيانية..... ٤	٤٢٣	
أن رسول الله ﷺ قطع في مجن ثمنه..... ١١٧	٩	١١٧	أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة في يمينه..... ١	٤٤٥	
أن رسول الله ﷺ كان إذا اعتكف المؤذن..... ٣	١٣	١٣	أن رسول الله ﷺ نحر قبل أن يحلق..... ٥	٥٤٦	
أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة..... ٥٣٥	٥	٥٣٥	أن رسول الله ﷺ نهي عن الحرير..... ٧	٤٩٥	
أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج يوم العيد..... ٤٠١	٢	٤٠١	أن رسول الله ﷺ نهي عن الشغار..... ٦	٢٣٢	
أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحج..... ٣٢٦	٥	٣٢٦	أن رسول الله ﷺ نهي عن القزع..... ٧	٥٨٠	
أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيرك..... ١٣٧	٥	١٣٧	أن رسول الله ﷺ نهي عن التجش..... ٩	٣٨٨	
أن رسول الله ﷺ كان يتخلونا بالموعظة..... ٢٨٠	٧	٢٨٠	إن ساقيه في الميزان أثقل من أحد..... ١٠	٥٧١	
أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين هاتين الصلاتين..... ٤	١٩٧	١٩٧	إن شئت أنكحتك حفصة... (من قول عمر)..... ٦	٢٦٦	
أن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة..... ٥	١٩١	١٩١	إن شئت أنكحتك حفصة... (من قول عمر)..... ٦	٢٩٨	
أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه..... ٢١٣	٣	٢١٣	إن شئت بقيت معه، وإن شئت..... ٦	١٨٢	
أن رسول الله ﷺ كان يسبح علي ظهر راحلته..... ١٩٤	٤	١٩٤	إن شئت حبست أصلها..... ٧	٦٣٩	
أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة..... ٢١٦	٤	٢١٦	إن شئت حبست أصلها..... ٧	٦٤٠	
أن رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح..... ٤٤٧	٣	٤٤٧	إن شئت صبرت ولك الجنة..... ٧	٣١٦	
أن رسول الله ﷺ كان يصلي العصر فيأتي العوالي..... ١٠	١٣٢	١٣٢	إن شئت أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني..... ٥	٨٥	
أن رسول الله ﷺ كان يصلي جالسًا..... ٢٠٧	٤	٢٠٧	إن شئت أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني..... ٥	١٠	
أن رسول الله ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين..... ٥٦٢	٣	٥٦٢	إن شئت شاة لحم..... ١٠	٣٠٩	
أن رسول الله ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين..... ٣٢	٥	٣٢	إن شدة الحر من فيح جهنم..... ٢	٤٧٥	
أن رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة..... ٤٣٦	٢	٤٣٦	إن شدة الحر من فيح جهنم..... ٣	٣٠	
أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم..... ١٨٧	٧	١٨٧	إن شر الناس ذو الوجهين..... ٩	٦٢١	
أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل أن يقرأ..... ١٨٧	٧	١٨٧	إن شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل..... ٢	١٧٣	
			إن صلي قائمًا فهو أفضل..... ٤	٢٠٠	
			أن عائشة أنكرت ذلك على فاطمة..... ٦	٦٠٧	
			أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن النكاح في الجاهلية..... ٦	٢٦٢	
			إن عادوا فعد..... ١٠	٣٦٥	
			أن عبد الرحمن بن عوف تزوج امرأة على وزن نواة..... ٦	٣٠٩	

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	٥٣	إن كان في شيء من أدويتكم.....	١٠	٥٣	أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك بن مروان.....
٩	٤٦٦، ٤٦٤	إن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف.....	٩	٤٦٦، ٤٦٤	إن عبد الله رجل صالح.....
١	٣١	إن كان ما تقول فكأنما تسفهم.....	١	٢٣٤	إن عبدًا خيره الله تعالى بين أن يعيش في الدنيا.....
٥	٤٧١	إن كان ولا بد فأعطوا الطريق حقه.....	٧	٢٦٣	إن عصية عصوا الله ورسوله.....
٣	٣١٨	إن كانت هذه لصلاته حتى فارق الدنيا.....	٢	٣٥٦	إن عفريتًا من الجن تفلت على البارحة.....
٤	٦٢٦	أن كلنا يدي الله يمين.....	٧	٥٠٥	إن عليه كلاليب مثل شوك السعدان.....
٤	٣٠٤	إن كنا لتكلم في الصلاة... (من قول زيد بن أرقم).....	٥	٥٠٨	إن عمرة في رمضان حجة.....
٥	٣٨٢	إن كنت تريد السنة فهجر... (من قول سالم).....	٢	١٨٧	أن عمرو بن العاص أجنب في ليلة باردة فتيمة.....
٤	٣٢٠	إن كنت فاعلاً فواحدة.....	٤	٢٧٤	إن عند كل أذانين ركعتين.....
٧	٥٣٧	إن كنتم تطعون في إمرته.....	٧	٦٠٠	إن غم عليكم فأكملوا.....
٦	٩٧	إن لربك عليك حقًا ولنفسك.....	٦	٣١٣	إن فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها.....
٧	٥٠٩	إن لكل نبي حوضًا.....	٦	٢٦٣	إن فاطمة بضعة مني.....
١	٥٦	إن الله تسعة وتسعين اسمًا.....	٧	٤٧٨	إن في الجنة لشجرة يسير.....
١٠	٢٩٩	إن الله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا.....	٧	٤٧٨	إن في الجنة لشجرة.....
١٠	٢١٩	إن الله تسعة وتسعين اسمًا من أحصى.....	١٠	٣٩١	إن في الجنة مائة درجة أعدها الله.....
٩	٧٠	إن الله عابدا لا يكلمهم الله تعالى.....	٢	٦٣٢	إن في الصلاة شغلًا.....
٤	٤٥٥	إن الله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى.....	٤	٣٠٣	إن في الصلاة شغلًا.....
٧	٥٦٨	إن الله ما أخذ وما أعطى.....	٤	٣٣٤	إن في الصلاة شغلًا.....
١٠	٤٢١	إن الله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل إلى أجل مسمى، فلنصبر ولتحتسب.....	٤	٣٠٦	إن في الصلاة لشغلًا.....
٧	٢٧٢	إن الله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتصقون بأهل الذكر.....	١٠	١٧١	إن في نواصيها الخير.....
٦	١٢٣	إن لم تبكوا فتباكوا.....	١	٢٣٧	إن فيمن كان قبلكم محدثون.....
١	٣٠٤	إن لم تجدني فأني أبا بكر.....	٧	٣٧٤	إن فيه شفاء.....
٧	٧٢٤	إن لم تجدني فأني أبا بكر.....	٧	٥١١	إن قدر حوضي كما بين أيلة وصعاء.....
٩	٦٦٢	إن لم تجدني فأني أبا بكر.....	٤	٨٢	إن قريشًا أبطثوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ.....
١٠	١٧٦	إن لم تجدني فأني.....	١٠	١١	إن قومك قصرت بهم الثقة.....
٣	٢٦٣	إن لم تزد على أم القرآن أجزأت... (من قول أبي هريرة).....	٥	٢٧٧	إن قومك قصرت بهم الثقة.....
٩	١٨٢	إن لنفسك عليك حقًا.....	٦	١٧٧	إن كان الشؤم في شيء ففي الدار.....
١	٥٤٩	إن له دسمًا.....	٤	٢٢٣	إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل.....
١	٥٥٤	إن له دسمًا.....	٣	٤٤٠	إن كان رسول الله ﷺ ليصلي الصبح.....
٤	٤٨٦	إن له مرضعًا في الجنة.....	٦	١٧٨	إن كان في شيء ففي الفرس، والمرأة.....
			٧	٣٧٥	إن كان في شيء من أدويتكم خير.....
			٧	٣٧٦	إن كان في شيء من أدويتكم شفاء.....

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إن لو تفتح عمل الشيطان.....	٧	٣٦٦	أن ناسًا من عربة اجتروا المدينة	٥	١٣٤
أن مري غلامك التجار يعمل لى أعوادًا.....	٢	٣٤٢	أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نساته في		
أن معاذ بن جبل كان يصلي مع النبي ﷺ.....	٣	١٦٦	الليلة الواحدة.....	٦	٤٣٧
إن معه ماءً ونزًا، فتارة ماء بارد.....	٩	٥٥٤	أن نبي الله ﷺ كان يطوف على نساته في		
إن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله.....	١٠	٢٣٣	الليلة.....	٢	٣٠
إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس.....	١	٢٧٥	أن نبي الله ﷺ وزيد بن ثابت ض تسحرا	٤	٢٢٧
إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس.....	٥	٥٧٩	أن نرى كفرا بواحا عندنا فيه من الله برهان.....	٩	٥٣١
إن ما أخاف عليكم من بعدي.....	٥	٧١	أن نعل النبي ﷺ كان لها قبالة.....	٧	٥٢٨
أن من أتى كاهنا فصدقه.....	٧	٤٣٠	إن هاتين الصلاتين حولتا عن وقتها.....	٥	٤٠٥
إن من أشرط الساعة: أن يرفع العلم.....	١	٢٣١	إن هدايا العمال غلول.....	٥	١٣٣
إن من أشرط الساعة: أن يرفع العلم.....	٦	٤٥٢	إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا		
إن من أفرى القرى أن يري عينه ما لم تر.....	٩	٤٧٢	كبه الله.....	٩	٥٦٥
إن من البيان لسحرا.....	٦	٣٠٠	إن هذا البلد حرمه الله لا يعضد شوكه.....	٥	٢٨٦
إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها.....	١	١٨٣	إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف.....	١٠	٥٤٩
إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها.....	١	٣٥٥	إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف.....	٩	٣٤١
إن من الشجر شجرة مثلها كمثل			إن هذا الال خضرة حلوة.....	٧	٣١٣
المسلم.....	١	٢١٨	إن هذا أمر كبه الله على بنات آدم.....	٢	١٥٦
إن من الشجر شجرة مثلها.....	٧	٤٠٤	إن هذا حمد الله، وإنك لم تحمد الله.....	٤	٣٨٥
أن من جاء منهم مسلما.....	١	٨٣	إن هذا قيام داود.....	٧	٧٤٢
أن من خرج على الإمام.....	١٠	١١٧	إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء.....	٧	٣٦٦
أن من خرج عن الجماعة، فإنه شاذ.....	١٠	١١٧	إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من		
إن من ضضى هذا قومًا يقرءون.....	١٠	٤٠٠	كلام الناس.....	٤	٥١٠
إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره.....	٩	٢٤٨	إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء.....	١٠	٢٤٣
إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره.....	٩	٢٥٧	إن هذه الصلاة لا يصلح.....	٤	٣١٢
أن من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل			إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها.....	٤	٥١٥
عليه.....	٦	١١٥	إن هذه النار إنها هي عدو لكم.....	٧	٧٧٩
إن من كان قبلكم اختلقوا فأهلكهم.....	٦	١٣٠	إن هذه من ثياب الكفار.....	٢	٢٣٨
إن من ورطات الأمور..... (من قول ابن عمر)	٩	٢١٢	إن وجدتم فلا تأ وفلا تأ فأحرقوها بالنار.....	٩	٣١٩
إن منكم منفرين.....	٣	١٦٨	إن وجدتموه فاجعلوه بين حزمتي حطب.....	٩	٣٢٠
إن نأخذ بسنة النبي ﷺ فإنه لم يحل.....	٥	٢٤١	الآن يا عمر.....	١	٦٣
إن نأخذ بكتاب الله فإنه يأمرنا			الآن يا عمر.....	٧	٥٤٢
بالتمام..... (من قول عمر)	٥	٢٤١	إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم.....	٣	٣٨٣
أن ناسًا اختلقوا عندها يوم عرفة.....	٥	٣٨٢	أن يد السارق لم تقطع علي عهد النبي ﷺ إلا		
أن ناسًا طافوا بالبيت بعد صلاة الصبح.....	٥	٣٤٤	في ثمن.....	٩	١١٦
إن ناسًا من الأنصار سألو رسول الله			إن يطعموا أبا بكر وعمر يرشدوا.....	٤	٣٠٦
ﷺ، فأعطاهم.....	٥	٨٢	إن يعش هذا لا يدركه الهرم.....	٧	٤١٦

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٧	٤١٦	إن لا تدخل بيتاً فيه صورة ولا كلب	٧	٤١٦	إن يعيش هذا لا يدركه الهرم
٧	٢٥٣	إن لا نولي هذا الأمر أحداً سألناه	٦	٢٥٣	إن يك هذا من عند الله يمضه
٩	٢٨٢	إن لا نولي هذا من سألناه	٢	٢٨٢	إن يكن فيكم محدثون فعمرو
٦	٤٣٠	إن لم نؤمر أن نكسوا الحجارة والطين	٤	٤٣٠	إن يكن فيكم محدثون فعمرو
٥	٤٠٠	إن لم نرد عليك إلا أنا حرم	٧	٤٠٠	إن يكن فيكم محدثون فعمرو
٥	١٥٤	إن لم نرد عليك إلا أنا حرم	٦	١٥٤	إن يكن هذا من عند الله يمضه
١٠	٥٧١	أنا مع عدي	٤	٥٧١	إن يكنه فلن تسلط عليه
٩	٣٨٥	إن معاشر الأنبياء لا نورث	١٠	٣٨٥	إن يمين الله مألأى لا يغيضها
٩	٣٦٠	إن معاشر الأنبياء لا نورث	١٠	٣٦٠	أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد
	٥٣٨	إن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا	٧	٥٣٨	إن اتخذنا خاتماً ونقشنا فيه
١	٥٤٥	صدقة	٧	٥٤٥	إن اتخذنا خاتماً ونقشنا فيه
٥	٢٢٨	أنا ممن قدم النبي ﷺ ليلة المزدلفة	٢	٢٢٨	إن إذا نزلنا بساحة قوم فساء
١	٣٦٠	أنا نازل ثم قام ويطنه معصوب	١٠	٣٦٠	أنا الملك... (قدسي)
١٠	٦٢٦	إن اتوب إلى الله... (من قول عمر)	٢	٦٢٦	أنا النبي لا كذب
٦	١١٤	أنا وكافل اليتيم في الجنة	٩	١١٤	أنا أول الناس يشفع في الجنة
	٦٣٩	أنتبع الدم من جرحه (أي سعد بن	٢	٦٣٩	أنا أول شفيع في الجنة
٢	٥١، ٢٧	معاذ)	٩	٥١، ٢٧	أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم
٦	٣٤٩	الأنبياء لم يورثوا مالاً وإنما ورثوا العلم	٤	٣٤٩	أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون
	١٧٠	أنت أخي في دين الله وكتابه وهي لي	٦	١٧٠	أنا بن عبد المطلب
٦	٤٣٢	حلال	٤	٤٣٢	أنا بين خيرتين
١٠	١١٤	أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر	٩	١١٤	أنا سيد الناس يوم القيامة (حديث الشفاعة)
١٠	١٦٧	أنت الحق وقولك الحق	٢	١٦٧	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر
٧	٥٤٧	أنت إمامهم	٤	٥٤٧	أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة
١		أنت أول رسول أرسله			أنا طيب رسول الله ﷺ... (من قول عائشة)
٧	٤٨٦	أنت أول رسول بعثه الله	٢	٧	أنا على حوضي أنتظر من يرد علي
١٠	٣٧٧	أنت رحمتي أرحم بك من أشياء	٩	٤٨٦	أنا عند حسن ظن
٩	٥٨٠	أنت مع من أحببت	٧	٣٧٧	أنا عند ظن عبدي بي
٧	٤٨٦	أنت مني بمنزلة هارون من موسى	١٠	٤٨٦	أنا عند ظن عبدي بي
١٠	٣٤٤	أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا	٧	٣٤٤	أنا عند ظن عبدي بي
١٠	١٢٩	نبي بعدي	٩	١٢٩	أنا عند ظن عبدي بي
٦		أنت ومالك لأبيك			أنا قتلت قلاته هدي رسول الله ﷺ
١	٤٢١	اتخذوا بها شتم غير ألا تشربوا مسكراً	٥	٤٢١	بيدي
٤	٥٠٩	اتخذوا فيها شتم غير أن لا تشربوا	٧	٥٠٩	أنا فرطكم على الحوض
	٤٨٦	مسكراً	٩	٤٨٦	أنا فرطكم على الحوض
١	٤٦٢	انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه	١٠	٤٦٢	إن قافلون غداً إن شاء الله
١	٨١	إلا إيماناً بي	٥	٨١	إن كنا احتجنا، فتعجلنا من العباس

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢١٣	٢	انقضى رأسك وامتشطي وأمسكي	٣٧٢	٢	انتظر على رسلك
٢٣٧	٥	انقضى رأسك وامتشطي			انتظري، فإذا طهرت فاخرجي إلى
٦٠٠	٧	أنقعت - العروس - له تمرًا في تور من الليل	٥١٧	٥	التنعيم
٣٢٠	٧	إنك أحب البلاد إلى الله	٢٣٦	٩	أنتم أعلم بأمور دينكم
		إنك امرؤ تائه... (من قول علي لابن عباس)	١٣٧	٦	أنتم الذين قلمت كذا وكذا
٢٩٦	٦	إنك امرؤ فيك جاهلية	٣٦٧	١	أنتم الغر المحجلون
٩٦	١	إنك أن تدع ورثك أغنياء خير	٣٩٥	١٠	أنزل القرآن على سبعة أحرف
٣٣٦	٧	إنك إن تركت ولداً أغنياء خير			أنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على
٣٣	٩	إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن	٢٢٨	٢	فخذني
		أول ما تدعوهم		١٠	أنزل الله
٦٢	٥	إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب	٥٧٣	٦	انزل فاجدح لي
٢٠٣	١٠	إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جتهم فادعهم	٥٧٨	٧	أنزلت في قوله: لا والله... (من قول عائشة)
١١٥	٥	إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك	٤٧٤	١٠	أنزلت ورسول الله ﷺ متوار بمكة
٤٣٨	٧	إنك لأحب البقاع إلى الله	١٣٨	١	أنشدك الله، هل ساني لك رسول الله
٢١٢	١٠	إنك لم تخلف فتعمل	٣٨٣	٤	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
٢٩٣	٧	إنك لن تخلف فتعمل عملاً يتبني به وجه الله	٥٣٤	٧	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
		إنك لن تخلف فتعمل عملاً يتبني به وجه	٣٧٠	٩	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
٢٩٣	٧	إنك لن تخلف فتعمل عملاً يتبني			انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه
٢٣٥	٧	إنك لن تنفق نفقةً يتبني بها وجه الله إلا	٢٦٥	٣	عامدين
١٦٧	١	أجرت بها	٤٦٦	٧	انطلق النبي ﷺ لحاجته
٤٧٠	٤	إنك لن تنفق نفقةً يتبني بها وجه الله	٢٢٥	٥	انطلق النبي ﷺ من المدينة
٦٤٤	٦	أنكحني أبي امرأة ذات... (من قول عبد الله بن عمرو)	٥٥٤	٦	انطلقن فقد بايعتكن
١١٥	٦	أنكحني أسامة	٣٥٨	٩	انطلقوا إلى يهود
٢٩٨	٦	انكحني (في حديث سبيعة الأسلمية)	٦٦٦	٧	انطلقوا فإنها حل لكم
٥٩٦	٦	انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ			انظر حيث يصلي أمراؤك فصل... (من قول أنس)
١٤٧	٤	إنكم إذا فعلتم ذلك فقد سلمتم	٣٧٤	٥	انظر ولو خاتماً من حديد
٣١٣	٤	إنكم إذا قلمت ذلك فقد سلمتم	١٦٦	٦	انظر ولو خاتماً من حديد
١٧٠	١٠	إنكم إذا قلمت ذلك فقد سلمتم	٨٣	٦	انظر ولو كان خاتماً من حديد
١٨٦	٧	إنكم إذا قلمت عباد الله الصالحين	٢٥٤	٦	انظرون من إخوانكن فإنها الرضاة من
		إنكم إذا قلمتم: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين			المعاجة
٤١٦	١٠	إنكم ترعون أن أباً هريرة يكر الحديث	١٩٦	٦	انظروها، فإن جاءت به
١٦٣	١٠		٩٣	١٠	انظروها، فإن جاءت به
			٩٤	١٠	أنفق أنفق عليك
			٤٨٢	١٠	أنفق يا ابن آدم أنفق عليك... (قلمي)
			٦٤٠	٦	أنفقي عليهم، فلك أجر ما أنفقت عليهم
			٧٥	٥	

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٩	٥٧٦	إنكم ستحرقون على الإرملة	٩	٤١٤، ٣٥٢	إنما الأعمال بالنيات
٩	٤٨٧	إنكم سترون بعدي أثره وأموراً تنكرونها	٩	٦٤٦	إنما الأعمال بالنيات
١٠	٤٠٥	إنكم سترون ربكم عياناً	٧	٦٠٦	إنما الأعمال بالنية
٢	٥٠٥	إنكم سترون ربكم عياناً	٩	٣٥١	إنما الأعمال بالنية
٢	٤٧٩	إنكم سترون ربكم كما ترون القمر	٩	٣٧١	إنما الأعمال بالنية
١٠	٤٠٤	إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر	٦	٢٠٥	إنما الرضاة من المجاعة
٢	٤٩٧	إنكم سترون ربكم كما ترون هذا	٤	٤٥١	إنما الصبر عند الصدمة الأولى
٧	٤٥٣	إنكم سترون ربكم كما ترون	٢	٤٣	إنما الماء من الماء
١٠	٤٠٥	إنكم سترون ربكم يوم القيامة	٩	٦٥٥	إنما المدينة كالكير تنفي خبثها
١٠	١٩	إنكم ستلقون بعدي أثره	١٠	١١٩	إنما المدينة كالكير
٩	٤٩٩	إنكم ستلقون بعدي أثره	٧	٣٩٧	إنما الناس كالإبل الهائمة
		إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق... (من قول	٦	١٨٢	إنما الولاء لمن أعتق
٧	٣٨٧	أنس ض)	٦	٥٣٨	إنما أنا أشفع
٧	٥٤٠	إنكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتموها	٦	٥٤٢	إنما أنا أشفع
٧	٤٣٨	إنكم محشورون حفاة عراة	١	٢٢٩	إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون
٧	٤٣٦	إنكم محشورون، ونحي يبله	٧	٣٩٥	إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون
٧	٤٣٧	إنكم ملاقوا الله	٢	١٣	إنما أنا بشر مثلكم
٦	٤٧	إنكم ملاقوا العدو غداً	٣	٣٧٧	إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كم تنسون
٣	١٢٤	إنكن صواحب يوسف	٩	٦٠٩	إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي
٤	٣١٦	إنكن صواحب يوسف	٩	٦٢٤	إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم
١٠	٩٣	إنكن لأئن صواحب يوسف	٩	٦٢٧	إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم
١٠	٤٠٠	إنما أنا كفهم	٩	٣٩٣	إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي
٦	٦٦	إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم	٦	١٨٢	إنما أنا شافع
٩	٣٥٢	إنما أقضي بنحو ما أسمع	١	٢٢٩	إنما أنسى لأمن
٩	٥٨٨	إنما أقضي بنحو ما أسمع	٤	٤٨٦	إنما أنهى الناس عن النياحة
٩	٥٩٠	إنما أقضي بنحو ما أسمع	٩	١١٢	إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم
		إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما			إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق
٦	٤٨٧	نوى	٥	٤٨	فيهم الضعيف
١	١٩	إنما الأعمال بالنيات	٧	٣٦١	إنما أهلك من كان قبلكم كرة مسائلهم
١٠	١٥٦، ٥٤	إنما الأعمال بالنيات	٧	٤٩٧	إنما أهلك من كان قبلكم
٣	١١٥	إنما الأعمال بالنيات	٧	٣٥٣	إنما أوعك كما يوعك الرجلان
٤	٤١١	إنما الأعمال بالنيات	٧	٥٠٧	إنما بعثت إليك لتبعها أو تكسوها
٦	٢٤٢	إنما الأعمال بالنيات	٧	٦٦٠	إنما بعثت لأنتم صالح الأخلاق
٦	٥٠٨	إنما الأعمال بالنيات	٧	١٦٦	إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق
٧	٦٠٩، ٦٠٨	إنما الأعمال بالنيات	٧	٦٦٠	إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق
٩	٢٨٨	إنما الأعمال بالنيات	١٠	٤٥٢	إنما بعثت ميسرين

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
إنا بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم	١٠	٤٥٦	إنا نزل أول ما نزل منه سورة... (من قول عائشة)	٦	٣١
إنا بقاؤكم فيمن سلف من الأمم	١٠	٥٣٨	إنا نبت عن صوتين أحقين فاجرين	٤	٤٨٥
إنا جعل الإذن من قبل البصر	٩	٢٧٩	إنا هذا من إخوان الكهان	٧	٤٢٩
إنا جعل الإذن من قبل البصر	٩	٢٨٠	إنا هذه صفة	٩	٦١٢
إنا جعل الإمام ليؤتم به	٢	٢٤٩	إنا هذه لباس من لا خلق له	٣	٦٠٦
إنا جعل الإمام ليؤتم به	٢	٢٤٩	إنا هلك من كان قبلكم	١٠	٦٥
إنا جعل الإمام ليؤتم به	٣	١٤٠	إنا هلك من كان قبلكم	٩	١١٢
إنا جعل الإمام ليؤتم به	٣	٢١٠ ٩٩٠	إنا هلك بنو إسرائيل	٧	٥٩٦
إنا جعل الإمام ليؤتم به	٣	٣٢١	إنا هو من إخوان الكهان	٩	٦٥٠
إنا جعل الإمام ليؤتم به	٤	٣٦٨ ٩٩٨	إنا هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن	٦	٦١٦
إنا جعل الطواف بالبيت وبالصفاء والعروة	٥	١٥٩	إنا هي صفة	٩	٦١٣
إنا جعل الطواف بالبيت وبالصفاء	٥	٤٦٩	إنا يرحم الله من عباده الرءاء	١٠	٤٢١
إنا جعل النبي ﷺ الشفعة في كل ما لم يقسم	٩	٤٠١	إنا يرحم الله من عباده	٧	٥٦٨
إنا خير في الله	٧	٣٠٧	إنا يلبس الحرير في الدنيا من لا خلق له	٧	٥٠٠
إنا ذلك العرض	٧	٤٦٠	إنا يلبس هذه من لا خلق له في الآخرة	٣	٤٧١
إنا ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك	١	٢٧١	إنا يلبس هذه من لا خلق له	٧	٥٠٧
إنا ذلك عرق وليس بالحیضة	٢	١٩٠	أنه ﷺ خطب مرتين	٣	٦١٨
إنا سعى رسول الله ﷺ بالبيت وبين الصفا	٥	٣٦٤	أنه أبصر النبي ﷺ يضطجع في المسجد	٧	٦٣٨
إنا سأل النبي ﷺ أعين أولئك	٩	١٢٥	إنه أتاني الليلة آتيان، وإنها ابتعاني	٩	٤٧٩
إنا فعلت هذا لتأتموا بي	٢	٢٤٦	أنه أدق من الشعر وأحد من السيف	٧	٥٠٤
إنا فعلت هذا لتأتموا بي	٣	١١٥	إنه أعطي شطر الحسن	٩	٤٣٩
إنا كان منزل ينزله النبي ﷺ ليكون أسمح لخروجه	٥	٤٩٠	إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور	٩	٤٤٥
إنا كان يكفيك أن تصنع هكذا	٢	١٩٢	إنه أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح)	٩	١٧٣
إنا كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا	٦	٥٧٨	إنه حديث عهد بربه	١٠	٥٢٠
إنا كان يكفيك هكذا	٢	١٩٢	أنه حديث عهد بربه	٤	٩٧
إنا كان يكفيك هكذا	٢٢	١٧٦	إنه حديث عهد بربه	٤	٩٨
إنا كانت فتنة بني إسرائيل في النساء	٧	٥٩٩	إنه حلية أهل النار	٧	٥٤٢
إنا مثل صاحب القرآن	٦	٩٢	إنه دم عرق	٢	١٥٢
إنا مثلي ومثل الناس كمثلي رجل	٧	٣٧٩	أنه ذكر رجلان من سلف	١٠	٤٨٨
إنا مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثلي رجل أتى قوما	١٠	٦٠	أنه صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء	٥	٤٩٠
إنا متعني أن أرد عليك	٤	٣٣٤	أنه طاف طوافاً واحداً	٥	٤٥٨
			أنه عقل رسول الله ﷺ	٤	٢٧٦

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٣٣٣	٦	أنها استعارت من أسماء قلادة...	١٧٠	١٠	إنه على رأس مائة سنة...
	٦	أنها استعارت من أسماء قلادة (أي)...	٤٦٣	٦	إنه عمك فأذني له...
		أنها بعد العصر... (ساعة الإجابة يوم	٤٩٨	٧	أنه قال للنبي ﷺ: هل نفعت أبا طالب بشيء...
٥٥٨	٣	الجمعة)...	٢٤٥	٦	إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا...
٦٦٩	٥	إنها تنفي الرجال كما تنفي النار...	٣٨٢	٩	إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا...
٢٤٦	٦	إنها حرام إلى يوم القيامة...	٦٢٠	٥	إنه قد أذن للظعن...
١٩٧	٢	إنها خمس بالفعل، وخسون في الميزان...	١٢٢	٦	أنه قرأ على الرسول ﷺ سورة النجم...
٣٢٧	٦	إنها ستكون...			أنه كان بين جدار المسجد مما يلي
١١٤	٥	إنها قد بلغت محلها...	١٣٥	١٠	القبلة... (من قول سهل)...
٢٢٩	٦	إنها لا تحل لي...	٤٠٧	٧	أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء...
٦٠٨	٢	إنها لرؤيا حق...	٣٩١	٦	أنه كان يصيب الهاء على النبي ﷺ...
١٥٦	٦	إنها لو لم تكن ربيتي في حجري...	٦٢٠	٧	إنه لا يرد شيئاً ولكنه يستخرج...
٥٢٨	١	إنها من فيح - بهنم فأبردوها...	٥٠٢	٦	إنه لا عتق فيها لا يملك...
٥٥٨	٧	إنها الشوارب وأعفوا اللحى...	٧٢	٥	إنه لا يأتي الخير بالشر...
٤٩٦	٩	أنهلك وفيها الصالحون...	٦٤١	٥	إنه لا يأتي بخير...
		إنهم ليكون عليها، وإنها لتعذب في	٦٤١	٥	إنه لا يأتي بخير...
٤٥٩	٤	قبرها...	٤٥٢	٧	إنه لا يبقى على ظهر الأرض...
٥٦٦	١٠	إنهم ليسوا بشيء...	٥١٧	٧	أنه لا يقفن في قبره...
٥٩٨	٤	إنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقول حق...	٢٧٩	١٠	إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خاتمة الأعين...
٢٢٧	٧	إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم...	٤٠٩	٧	إنه لم يبق في دنيكم إلا كما بقي في هذا اليوم...
		إنها آيات من آيات الله لا يخسفان	٤١٣	٧	إنه لم يقبض نبي قط...
١٣١	٤	لموت...	٣٤٨	٧	إنه لمن أهل الجنة...
٥٠٨	١	إنها آيات من آيات الله...	٢٧٦	٢	إنه لو حدث في الصلاة شيء...
٣٣٠	٤	إنها آيات من آيات الله...	١٠٨	١	إنه لو قتها لولا أن أشق على أمتي...
		إنها آيات من آيات الله، لا ينخسفان	٣٠٨	٩	إنه ليس بذلك، ألا تسمعون لي قول لقمان...
١٠١	٤	لموت أحد...	٥٨٣	٢	إنه مكان حضرتنا فيه الشيطان...
١٣٤	٤	إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير...	١١٤	٦	أنه من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة...
٥٨٥	٤	إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير...			أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث
٢٢٨	٧	إنها ليعذبان وما يعذبان في كبير...		٤	(يعني)...
٢٢٨	٧	إنها ليعذبان وما يعذبان...	٤٢٢	٧	إنه يبقى في الأرض أربعين يوماً...
٥٥٩	١	إنها ليعذبان، وما يعذبان في كبير...	٤٤٥	٩	أنه يسير في الأرض كالغيث استقبلته الريح...
٦٠٩	٧	إنها يلتسمسان البصر ويسقطان الحبل...			أنه يقف على أبوابها وأن على أبواب
		إنهن من العتاق الأول... (من قول ابن	٤٠٧	٧	المدينة ملائكة...
٣٤	٦	مسعود)...	٤٦١	٧	إنه يمكث أربعين، يوم كسنة...
٣٢٩	٧	أنهن ناقصات عقل...	٥٦٦	٩	أنه يملك الناس في آخر الزمان...
٨٨	١٠	إني آيت يطعمني ربي ويسقيني...	١٩٢	٦	إنها ابنة أخي من الرضاعة...

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
		أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد	٨٣..... ١٠		إني اتخذت خاتماً من ذهب
٢٤٩..... ٦		ذكرها... (من قول أبي بكر)	٥٤٧..... ٧		إني اتخذت خاتماً من ورق
٦٢١..... ٩		إني لا أدرى من أذن فيكم ممن لم يأذن	٣٧٠..... ١		إني أحب ألا أذكر الله إلا على طهارة
٦٣٠..... ٩		إني لا أشهد على جور	١٢٢، ١١٢..... ٦		إني أحب أن أسمع من غيري
		إني لا ألو أن أصلي بكم كما رأيت النبي	٤٨١..... ٩		إني أحبك فلا تدعن أن تقول دير كل صلاة
٣٦٢..... ٣		ﷺ	١٨٤..... ٧		إني أحبك، قل في
١٧٥..... ٣		إني لأدخل في الصلاة، وأنا أريد إطالتها			إني أراك تحب الغنم والبادية... (من قول
٥٥٢..... ٧		إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة	٥٤٧..... ١٠		أبي سعيد)
٥١٦..... ٩		إني لأرى الفتن خلال بيوتكم	١٥٢..... ١٠		إني أريد أن أجليكم من هذه الأرض
٣٢٠..... ٩		إني لأستحي من الله	٩٢..... ١٠		إني أصوم وأفطر
٢٩٧..... ٣		إني لأشبهكم صلاة رسول الله ﷺ	٥٣٩..... ١٠		إني أعطي الرجل وأدع الرجل
٥٣٢..... ٣		إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي			إني أعلم أنك حجر لا تضر... (من قول
٩٠..... ٥		إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إلي منه	٣٠٨..... ٥		عمر)
٤٩٧..... ٧		إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها	٣١٩..... ٩		إني أمرتكم أن تحرقوا فلا تأكلوا ولا تأبوا
٤٤٨..... ٦		إني لأعلم إذا كنت عني راضية	٦٠..... ١٠		إني أنا التنوير العريان
		إني لأعلم أي يوم نزلت هذه الآية... (من			إني أنكرت بصري، وإن السيول (من
٥٢..... ١٠		قول عمر)	٣٩٦..... ٣		قول عتيان بن مالك)
١٧٤..... ٣		إني لأقوم إلى الصلاة أريد أن أطول فيها	٣١٢..... ٧		إني أوعك كما يوعك رجلان منكم
		إني لأنزركموه وما من نبي إلا وقد أنزله	٣٠٩..... ٦		إني تزوجت امرأة على وزن نواة
٥٤٦..... ٩		قومه	٢٠٢..... ٣		إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل
		إني لأول العرب رمى بسهم... (من قول			إني خيرت فاخترت، لو أعلم أي إن
٣٣٥..... ٧		سعد)	٥٩٢..... ٤		زدت
٤٥١..... ٥		إني لبيدت رأسي وقلدت هديي	١٣٦..... ٤		إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً
٥٧٣..... ٧		إني لبيدت رأسي وقلدت هديي	٤١٤..... ٦		إني رأيت الجنة، أو رأيت الجنة
٢٥١..... ٥		إني لبيدت رأسي، وقلدت هديي	٥١٩..... ٧		إني على الحوض حتى أنظر
٤٢٠..... ٥		إني لبيدت رأسي، وقلدت هديي	١٦٨..... ٦		إني على ما أشاء قادر
٥٥٧..... ٧		إني لست أنا حملتكم	٢٩٠..... ١٠		إني على ما أشاء قادر... (قدسي)
٦١٤..... ٢		إني لست كهيتكم؛ إني أبيت	٥١٧..... ٧		إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم
٨٨..... ١٠		إني لست مثلكم	٥٥١..... ٤		إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم
٤٧١..... ٣		إني لم أكسكها لتلبسها	٥١٣..... ٧		إني فرطكم على الحوض
		إني لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما	٣٠٠..... ٧		إني فرطكم وأنا شهيد عليكم
٦٧٤..... ٩		أهليت	٤٦١..... ٧		إني قد سترتها عليك في الدنيا
٩٣..... ٥		إني متعجل إلى المدينة	٣٧..... ٣		إني كرهت أن أذكر الله على غير طهارة
		إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف	٥٤٦..... ٧		إني كنت اصطنعته وإني لا ألبسه
٦٢٩..... ٧		ليلة... (من قول عمر)	٥٦٠..... ٧		إني كنت ألبس هذا الخاتم
		إني نهيته عن كذا وكذا، وإن	٥٢٢..... ٩		إني كنت أمر بالمعروف ولا أفعله

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٤٧٢.....	٧.....	أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر.....	٤٨.....	٥.....	الناس... (من قول عمر).....
.....		أول شيء بدأ به حين قدم النبي ﷺ أنه	٦٦٢.....	٧.....	إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى
٣٢٥.....	٥.....	توضأ ثم طاف.....	٥٦٢.....	١٠.....	إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها
.....		أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ، ثم	٣٦٢.....	٢.....	اهتز لموت سعد بن معاذ.....
٣٥٨.....	٥.....	طاف.....			أهدت أم حفيد بنت الحارث إلى النبي ﷺ
٢٠.....	١.....	أول ما بدئ به الرؤيا.....	١٧٤.....	١٠.....	سمناً.....
.....		أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي	٤٣٥.....	٥.....	أهدي النبي ﷺ مائة بدنة.....
٤١١.....	٩.....	الرؤيا.....	٤٢٢.....	٥.....	أهدي النبي ﷺ مرة غنماً.....
٢٣.....	١.....	أول ما بدئ به.....	٢٣٦.....	٢.....	أهدي إلى النبي ﷺ فروج حرير.....
١٧١.....	٢.....	أول ما فرضت الصلاة.....	٢٣٦.....	٢.....	أهدي إلى النبي ﷺ فروج حرير.....
٢١٣.....	٩.....	أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة.....	١٩٠.....	٧.....	أهريقوا ما فيها وكسروها.....
٢١٣.....	٩.....	أول ما يحاسب عليه العبد.....			أهل النبي ﷺ حين استوت به راحلته
٤٥٦.....	٧.....	أول ما يقضى بين الناس في الدماء.....	٢٣٢.....	٥.....	قائمة.....
٢١٣.....	٩.....	أول ما يقضى بين الناس في الدماء.....	٥٤٣.....	٥.....	أهل بعمرة عام الحديبية.....
٤٤٠.....	٧.....	أول من يدعى يوم القيامة آدم.....			أهللت مع رسول الله ﷺ في حجة
.....		أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا	٢١٣.....	٢.....	الوداع.....
٥٤٣.....	٤.....	على قبره.....	٢٩٨.....	١٠.....	أو استأثرت به في علم الغيب عندك.....
١٠٧.....	١.....	أولئك العصاة أولئك العصاة.....	١٩٣.....	٦.....	أو تحيين ذلك.....
١٧٦.....	٢.....	أولئك العصاة أولئك العصاة.....	٤٢٨.....	٧.....	أو جوزي بصعقة الطور.....
٣٢١.....	٢.....	أولئك شرار الخلق عند الله.....	١٨٨.....	٣.....	أو ليخالفن الله بين قلوبكم.....
٣٢١.....	٢.....	أولئك قوم إذا مات فيهم.....	٩٠.....	٥.....	أو مسلمًا.....
.....		أولم النبي ﷺ بزينب فأوسع المسلمين	٨٩.....	١.....	أو مسلمًا؟.....
٣١٩.....	٦.....	خيرًا.....	٢٩٣.....	٢.....	أو يفعل هكذا.....
٣٤٦.....	٦.....	أولم النبي ﷺ على بعض نسائه.....	٤٢٩.....	٦.....	أو إنكم لتفعلون؟.....
٢٦٣.....	٧.....	أولم تسمعي أني أرد ذلك.....	٤٤.....	٥.....	أو ساخ الناس (أي الزكاة).....
٣١٨، ٤٤٨.....	٦.....	أولم ولو بشاة.....	٥٢.....	٤.....	أوصاني النبي ﷺ بالوتر قبل النوم.....
٣٤٥.....	٦.....	أولم ولو بشاة.....	٢٦١.....	٤.....	أوصاني النبي ﷺ بركعتي الضحى.....
٤١٢.....	٩.....	أومخرجي هم؟.....	٦٧.....	٦.....	أوصى بكتاب الله.....
٩١.....	٦.....	أي الأجلين قضى موسى.....	٦٢٩.....	٧.....	أوف بنفرك.....
.....		أي حفصة أتغاضب إحداكن... (أي	٢٠١.....	١.....	أوفوا للحي.....
٣٨٨.....	٦.....	عمر).....	٣٩٠.....	٦.....	أوفي هذا أنت يا بن الخطاب؟!.....
٥٩٠.....	٩.....	أي داء أدواء من البخل.....	٢٢٣.....	٢.....	أو كلكم يجد ثوبين؟.....
٣٣٢.....	٧.....	أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟.....	٥٣٩.....	٩.....	أول أشراف الساعة نار تحشر الناس.....
٦٩٤.....	٧.....	أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟.....	٢٨٣.....	٤.....	أول جيش يغزو القسطنطينة.....
٤٨٨.....	١٠.....	أي عبدني ما حلك على أن فعلت.....			أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة
٥٥٩.....	٤.....	أي هؤلاء أكثر أخذًا للقرآن؟.....	٣٤٥.....	١٠.....	البدر.....

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
أي يوم هذا؟	١	١٩٨	أيكم يحفظ حديث رسول الله عن الفتنة؟... (من قول عمر)	٥	٣٤
أيؤذيك هوام رأسك؟	٧	٣٣٣	أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة... (من قول عمر)	٢	٤٥١
أيؤذيك هوامك	٧	٦٤٥	أيكم ينطلق إلى المدينة	٧	٦٢١
أيؤذيك هوامك؟	٥	٥٥٢	أي لعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم	٦	٤٨٤
أيؤذيك هوامك؟	٧	٣٧٥	أي لعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم	٦	٥٨٥
إياك والاتفات في الصلاة، فإنه هلكت	٣	١٢٩	أيأ امرأة أصابت بخوراً، فلا تشهد معنا	٣	٤٤٣
إياك وكرائم أموالهم	١٠	٣٩٦	أيأ امرأة سألت زوجها الطلاق	٦	٥٣٠
إياك وكرائم أموالهم	٥	١١٥	أيأ امرأة مات لها ثلاثة من الولد	٤	٤٠٨
إياك وكرائم أموالهم	٧	٢٠٦	أيأ إهاب دبغ فقد طهر	٥	١١٠
إياكم والدخول على النساء	١	٤٠٣	أيأ رجل أدركته الصلاة فليصل	١	٤٤٨
إياكم والدخول على النساء	٣	٦٢٨	أيأ رجل ارتد عن الإسلام فادعه، فإن عاد	٩	٣١٥
إياكم والدخول على النساء	٦	١٧٠	أيأ رجل كانت عنده وليدة	٦	١٦١
إياكم والدخول على النساء	٦	١٩٧	أيأ رجل وأمرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال	٩	٣٨٣
إياكم والدخول على النساء	٦	٤٥٤	أيأ رجل وأمرأة توافقا فعشرة ما بينهما	٦	٢٤٥
إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	٦	٢٩٢	أيأ مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة	٤	٥٩٤
إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث	٩	١٨	إيمان بالله ورسوله	١	٨٤
أيون تائبون عابدون لربنا حامدون	٧	٦٣٦	إيمان بالله ورسوله	٥	١٧٥
أيون، تائبون، عابدون، ساجدون	٥	٥٢٨	الإيمان بضع وسبعون شعبة	١	٤٧
آية الإيمان: حب الأنصار	١	٦٧	الإيمان هاهنا - مرتين - ألا وإن القسوة		
آية التيمم	٦	٣٣٣	وغلظ القلوب	٦	٥٧٩
آية المنافق ثلاث	١	١٠١	الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته	١	١٤٤
آية المنافق ثلاث	٦	٣١٣	أيمن طيباً أو دهنأ إن كان عند أهله	٣	٤٧٠
آية ساعة هذه؟... (من قول عمر لعثمان)	٣	٤٥٧	أين ابن عمك؟... (لفاطمة)	٢	٣٢٩
الآيتان من آخر سورة البقرة	٦	١٠٠	أين الذي سأل عن العمرة؟	٥	١٩٣
أيسرك أن يجعل الله في يدك خواتيم من نار	١	٢٦٦	أين السائل عن العمرة؟	٥	٥٢٢
أيسرك أن يسورك الله بهما سوارين من نار؟	٥	٧٠	أين أنا غداة، أين أنا غداة؟	٦	٤٣٩
أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة	٦	٥٩	أين تحب أن أصلي لك من بيتك؟	٢	٣٠٠
أيكسر أم يفتح؟... (من قول عمر لحذيفة)	٢	٤٥١	أين تحب أن أصلي من بيتك	٣	١٣٥
أيكم لم يقارف الليلة؟	٥	٦٣١	أين تحب أن أصلي من بيتك؟	٢	٣٠١
أيكم مال وارثه أحب	٧	٣١٤	أين تحب أن أصلي من بيتك؟	٣	٣٩٦
أيكم مثلي إني آيت يطعمني ربي ويسقني	١٠	١١	أين تحب أن أصلي من بيتك؟	٤	٢٧٧
أيكم مثلي؟ إني آيت يطعمني ربي ويسقني	٩	١٩٦	أين تحب أن أصلي؟	٣	١٠١

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	٣٠٢	باسمك نموت ونحيا.....	٥	٤٩٣	أين تريد أن أصلي؟
٣	٢٨٧	باضطراب لحيته... (من قول خباب)			أين صلى الظهر يوم التروية؟... (من قول
٣	٢٢٨	باضطراب لحيته... (من قول خباب)	٥	٤٨٩	ابن ربيع)
٣	٢٥٧	باضطراب لحيته... (من قول خباب)	١	٣٣٠	أين علي بن أبي طالب؟
٤	٢٣١	بال الشيطان في أذنه	٢	٣٠	أين كنت يا أبا هر؟
٥	٤٨٩	بالأبطح... (من قول أنس)	٤	٥٩	أين كنت يا أبا هر؟
٥	٤٧٢	بأمثال هؤلاء فارموا	٣	١٩٤	أين كنت يا أبا هريرة
		بأي شيء دووي جرح النبي	٢	٢٦	أين كنت يا أبا هريرة؟
١	٦٠٧	ﷺ... (من قول سعد)	٧	٥٥١	أين لكع؟
		باع النبي ﷺ أصحابه على ألا يسألوا	٩	٢٣٠	أين ماله؟
١	٤١٤	الناس شيئاً	١	١٠٠	أين لم يظلم
		بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء	٧	٢٤٦	أيها الناس اربعوا على أنفسكم
٤	٦١١	الزكاة	٧	٢٧٦	أيها الناس اربعوا على أنفسكم
٩	٦٥١	بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة	١	٢٥٦	أيها الناس إنكم مفرون
١	١٦٨	بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة	١٠	٦٨	أيها الناس صلوا في بيوتكم
٢	٤٥٠	بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة			أيها الناس، ضحوا، تقبل الله
٩	٦٤٩	بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة			ضحايكم... (من قول خالد بن عبد الله
٩	٢٢١	بايعناه علي أن لا نشرك بالله شيئاً	١٠	٢٠١	القصري)
١	٦٧	بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً			أيها الناس، عليكم بالسكينة، فإن البر
٩	١٠٨	بايعوني علي أن لا تشركوا بالله شيئاً	٥	٣٩٢	ليس بالإيضاع
		بت عند النبي ﷺ فاستن... (من قول	٤	٥٦٧، ٥٥٩	أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟
١	٦٠٩	ابن عباس)	٧	٤٠١	بش خطيب القوم أنت
٣	٤٣٠	بت عند خالتي ميمونة ليلة	٦	٩٢	بش ما لأحدهم أن يقول نسيت آية
٣	١٦٠	بت في بيت خالتي ميمونة	٦	٩٨	بش ما لأحدهم يقول نسيت آية
		بت في بيت خالتي ميمونة... (من قول			بشما عدلتمونا بالكلب والحصار... من
١	٣١٦	ابن عباس)	٢	٤٣٧	قول عائشة)
		بت في بيت ميمونة ليلة والنبي ﷺ عندها	٥	٢٦٥	بات النبي ﷺ بذى طوى حتى أصبح
١٠	٤٢٥	لأنظر كيف صلاة رسول الله	٧	٢٥٠	بارك الله لك وألم ولو يشاة
٧	٦٤١	بخ بخ ذلك مال رابع	٦	٣٤٥	بارك الله لك في أهلك ومالك
١٠	١٢٤	بخ بخ... (من قول أبي هريرة)	٦	٣٢٠	بارك الله لك، وألم ولو يشاة
٥	٦٦	بخ، ذلك مال رابع، ذلك مال رابع	٥	١٣٨	بارك الله لكما في ليلتكما
٥	٤١٥	بدأ رسول الله ﷺ فاهل			بارك الله لكما وعليكما وجمع بينكما في
١٠	١٠٧	برحمتك أستغيث	٦	٣٢٠	خير
١٠	٢٦٥	برحمتك أستغيث	٧	١٨٣	باسمك اللهم أموت وأحيا
٢	٢٩١	البزاق في المسجد خطيئة	٧	١٥٢	باسمك أموت وأحيا
		البزاق في المسجد خطيئة، وكفارتها	٧	١٧١	باسمك رب وضعت جنبي بك

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٣	٣٣٣	قول أبي سعيد)..... بل ، ولكنك كنت إمامنا فيها، ولو	٢	٤٦٧	دفنها..... بسم الله الرحمن الرحيم. هذه فريضة
٤	١٦٦	سجدت لسجدنا.....	٥	٥٧٠	الصدقة.....
٢	٣٩٢	بل قد نسيت.....	٧	٤١٧	بسم الله، تربة أرضنا.....
٥	٢٤١	يا أهملت؟.....	٦	٣٤٠	البسوا البياض وكفونوا.....
٥	٥٢٥، ٤٤٩	يا أهملت؟..... بنو التجار، ثم الذين يلونهم بنو عبد	٤	٤٢٤	البسوا ثياب البياض؛ فإنها أطهر وأطيب.....
٦	٥٧٨	الأشهل.....	٥	٥٢٤	بشروا خديجة بيت من الجنة.....
١	١٣٣	بني الإسلام على خمس.....	٥	٦٠	بصدقاتهم علانية.....
١	٥٢	بني الإسلام على خمس.....	٩	٤٠٦	بع الجمع بالدرهم ثم اشتر بالدرهم جنيًا.....
٥	١٥١	بني الإسلام على خمس.....	٩	٤٩٣	بع الردي بالدرهم، واشتر بالدرهم جيدًا.....
٧	٣٣٧	بني الإسلام على خمس.....	٥	١٧٥	بعث النبي ﷺ معها أخاها عبد الرحمن
٦	٣٤٦	بنو النبي ﷺ بامرأة فأرسلني فدعوت.....	٢	٣٧٤	فأعمرها..... بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد.....
٤	١١٠	بها يطلع قرن الشيطان.....	٢	٣٧٤	بعث رسول الله ﷺ عشرة، منهم خبيب
٢	٤٤٣	بهذا أمرت... (صلاة جبريل بالنبي ﷺ).....	١٠	٣١٢	الأضاري.....
٥	٦٦	بيرحاء... (حديث أبي طلحة).....	٧	٤٠٩	بعثت أنا والساعة كهاتين.....
٩	٤٠٩	بيع المسلم لداة ولا خبة ولا غائلة.....	٧	٤١٠	بعثت أنا والساعة كهاتين.....
٧	٥٣٩	بين أصبعين من أصابع الرحمن..... بين الرجل و بين الشرك والكفر ترك	٦	٥٧٨	بعثت أنا والساعة كهذه من هذه.....
٩	٨٥	الصلاة.....	٧	٤٠٩	بعثت أنا والساعة.....
١٠	٤٧٢	بين الرجل وبين الشرك.....	١٠	٥٤	بعثت بجوامع الكلم.....
٩	٨٥	بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة.....	٩	٤٥٣	بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب.....
٣	١٨	بين كل أذانين صلاة -ثلاثاً- لمن شاء.....	٥	٤٣٤	بعثني النبي ﷺ فقممت على البدن.....
١٠	٣٣	بين كل أذانين صلاة.....	٥	٤٠٠	بعثني رسول الله ﷺ من جمع ليليل.....
٣	٢٠	بين كل أذانين صلاة.....	٣	٥٥٢	بعثني.....
٣	٢٣	بين كل أذانين صلاة.....	٩	١٤٠	البكر بالبكر جلد مائة، وتغريب عام.....
٤	٣٦	بين كل أذانين صلاة.....	٩	٣٩٥	البكر تستأذن.....
٣	٢٣	بين كل أذانين.....	٦	١٥٨	البكر يستأذن أبوها.....
٩	٤٩٧	بين يدي الساعة أيام الهرج.....	٧	٤٥٩	بل أحسن صحبتته.....
٢	٢٨٤	بيننا الناس بقاء في صلاة الصبح..... بيننا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام	٦	٥٣٢	بل أشير عليك.....
٣	٥٥٤	أعرابي.....	٧	٣٥٣	بل أنا ولأولسائه.....
٩	٤٦١	بيننا أنا على إثر أنزع منها إذ جاء أبو بكر وعمر.....	٥	٦٤٩	بل أنتم فيه.....
٢	١٦٢	بيننا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خيمصة..... بيننا أنا مع النبي ﷺ مضطجعة في خيمة	٧	٦١٤	بل شربت عسلًا عند زيب بنت جحش.....
٢	٢٣٠	حضت.....	١	١٣٧	بل يعيش حيّدًا، ويقتل شهيدًا.....
			٩	٦٢٧	بلغ النبي ﷺ أن رجلاً من أصحابه أعتق غلامًا..... بلغني أن الجسر أدق من الشعرة... (من)

الجزء	الصفحة	الجزء	الصفحة	الجزء	الصفحة
١	٤٦٦، ٤٦٤، ٤٥٠	١	٢٣٣	١	٤٦٨
٢	٤٥٩	٢	٤٥١	٢	٤٦٧
٣	٤٦٧	٣	٤٦٢	٣	٤٦٣
٤	٤٦٣	٤	٤٦١	٤	٤٦٠
٥	٤٦٠	٥	٤٦٣، ٤٦٢	٥	٥١٤
٦	٥١٤	٦	٨٠	٦	٤٥١
٧	٤٥١	٧	٤٦٢	٧	٥٨٣
٨	٤٦٢	٨	٥٥١	٨	٦٢٣
٩	٤٦٣	٩	٥٩١، ٥٨٨	٩	٢٣٦
١٠	٤٦١	١٠	٥١٢	١٠	٥١٢
١١	٤٦٠	١١	٤٥١	١١	٤٤٨
١٢	٤٦٣، ٤٦٢	١٢	٤٧٨	١٢	٤٥٠
١٣	٥١٤	١٣	٤٥٠	١٣	٢٢١
١٤	٤٥١	١٤	٢٢٨	١٤	١٧٧
١٥	٤٦٢	١٥	٥٥٠	١٥	٢١٣
١٦	٥٨٣	١٦	١٧٣	١٦	١٧٣
١٧	٥٥١	١٧	١٧٣	١٧	١٧٣
١٨	٦٢٣	١٨	١٧٣	١٨	١٧٣
١٩	٥٩١، ٥٨٨	١٩	١٧٣	١٩	١٧٣
٢٠	٢٣٦	٢٠	١٧٣	٢٠	١٧٣
٢١	٥١٢	٢١	١٧٣	٢١	١٧٣
٢٢	٤٥١	٢٢	١٧٣	٢٢	١٧٣
٢٣	٤٤٨	٢٣	١٧٣	٢٣	١٧٣
٢٤	٤٧٨	٢٤	١٧٣	٢٤	١٧٣
٢٥	٤٥٠	٢٥	١٧٣	٢٥	١٧٣
٢٦	٢٢١	٢٦	١٧٣	٢٦	١٧٣
٢٧	١٧٧	٢٧	١٧٣	٢٧	١٧٣
٢٨	٥٥٠	٢٨	١٧٣	٢٨	١٧٣
٢٩	٢١٣	٢٩	١٧٣	٢٩	١٧٣
٣٠	١٧٣	٣٠	١٧٣	٣٠	١٧٣
٣١	١٧٣	٣١	١٧٣	٣١	١٧٣
٣٢	١٧٣	٣٢	١٧٣	٣٢	١٧٣
٣٣	١٧٣	٣٣	١٧٣	٣٣	١٧٣
٣٤	١٧٣	٣٤	١٧٣	٣٤	١٧٣
٣٥	١٧٣	٣٥	١٧٣	٣٥	١٧٣
٣٦	١٧٣	٣٦	١٧٣	٣٦	١٧٣
٣٧	١٧٣	٣٧	١٧٣	٣٧	١٧٣
٣٨	١٧٣	٣٨	١٧٣	٣٨	١٧٣
٣٩	١٧٣	٣٩	١٧٣	٣٩	١٧٣
٤٠	١٧٣	٤٠	١٧٣	٤٠	١٧٣
٤١	١٧٣	٤١	١٧٣	٤١	١٧٣
٤٢	١٧٣	٤٢	١٧٣	٤٢	١٧٣
٤٣	١٧٣	٤٣	١٧٣	٤٣	١٧٣
٤٤	١٧٣	٤٤	١٧٣	٤٤	١٧٣
٤٥	١٧٣	٤٥	١٧٣	٤٥	١٧٣
٤٦	١٧٣	٤٦	١٧٣	٤٦	١٧٣
٤٧	١٧٣	٤٧	١٧٣	٤٧	١٧٣
٤٨	١٧٣	٤٨	١٧٣	٤٨	١٧٣
٤٩	١٧٣	٤٩	١٧٣	٤٩	١٧٣
٥٠	١٧٣	٥٠	١٧٣	٥٠	١٧٣
٥١	١٧٣	٥١	١٧٣	٥١	١٧٣
٥٢	١٧٣	٥٢	١٧٣	٥٢	١٧٣
٥٣	١٧٣	٥٣	١٧٣	٥٣	١٧٣
٥٤	١٧٣	٥٤	١٧٣	٥٤	١٧٣
٥٥	١٧٣	٥٥	١٧٣	٥٥	١٧٣
٥٦	١٧٣	٥٦	١٧٣	٥٦	١٧٣
٥٧	١٧٣	٥٧	١٧٣	٥٧	١٧٣
٥٨	١٧٣	٥٨	١٧٣	٥٨	١٧٣
٥٩	١٧٣	٥٩	١٧٣	٥٩	١٧٣
٦٠	١٧٣	٦٠	١٧٣	٦٠	١٧٣
٦١	١٧٣	٦١	١٧٣	٦١	١٧٣
٦٢	١٧٣	٦٢	١٧٣	٦٢	١٧٣
٦٣	١٧٣	٦٣	١٧٣	٦٣	١٧٣
٦٤	١٧٣	٦٤	١٧٣	٦٤	١٧٣
٦٥	١٧٣	٦٥	١٧٣	٦٥	١٧٣
٦٦	١٧٣	٦٦	١٧٣	٦٦	١٧٣
٦٧	١٧٣	٦٧	١٧٣	٦٧	١٧٣
٦٨	١٧٣	٦٨	١٧٣	٦٨	١٧٣
٦٩	١٧٣	٦٩	١٧٣	٦٩	١٧٣
٧٠	١٧٣	٧٠	١٧٣	٧٠	١٧٣
٧١	١٧٣	٧١	١٧٣	٧١	١٧٣
٧٢	١٧٣	٧٢	١٧٣	٧٢	١٧٣
٧٣	١٧٣	٧٣	١٧٣	٧٣	١٧٣
٧٤	١٧٣	٧٤	١٧٣	٧٤	١٧٣
٧٥	١٧٣	٧٥	١٧٣	٧٥	١٧٣
٧٦	١٧٣	٧٦	١٧٣	٧٦	١٧٣
٧٧	١٧٣	٧٧	١٧٣	٧٧	١٧٣
٧٨	١٧٣	٧٨	١٧٣	٧٨	١٧٣
٧٩	١٧٣	٧٩	١٧٣	٧٩	١٧٣
٨٠	١٧٣	٨٠	١٧٣	٨٠	١٧٣
٨١	١٧٣	٨١	١٧٣	٨١	١٧٣
٨٢	١٧٣	٨٢	١٧٣	٨٢	١٧٣
٨٣	١٧٣	٨٣	١٧٣	٨٣	١٧٣
٨٤	١٧٣	٨٤	١٧٣	٨٤	١٧٣
٨٥	١٧٣	٨٥	١٧٣	٨٥	١٧٣
٨٦	١٧٣	٨٦	١٧٣	٨٦	١٧٣
٨٧	١٧٣	٨٧	١٧٣	٨٧	١٧٣
٨٨	١٧٣	٨٨	١٧٣	٨٨	١٧٣
٨٩	١٧٣	٨٩	١٧٣	٨٩	١٧٣
٩٠	١٧٣	٩٠	١٧٣	٩٠	١٧٣
٩١	١٧٣	٩١	١٧٣	٩١	١٧٣
٩٢	١٧٣	٩٢	١٧٣	٩٢	١٧٣
٩٣	١٧٣	٩٣	١٧٣	٩٣	١٧٣
٩٤	١٧٣	٩٤	١٧٣	٩٤	١٧٣
٩٥	١٧٣	٩٥	١٧٣	٩٥	١٧٣
٩٦	١٧٣	٩٦	١٧٣	٩٦	١٧٣
٩٧	١٧٣	٩٧	١٧٣	٩٧	١٧٣
٩٨	١٧٣	٩٨	١٧٣	٩٨	١٧٣
٩٩	١٧٣	٩٩	١٧٣	٩٩	١٧٣
١٠٠	١٧٣	١٠٠	١٧٣	١٠٠	١٧٣

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠.....	٥٠٩	تمس عبد الدنيا.....	٦.....	٣١٠	تزوج ولو بخاتم من حديد.....
٧.....	٣١٠	تمس عبد الدينار.....	٦.....	٤٤٤	تزوجني الزبير وما له في الأرض... (من قول أسماء).....
٧.....	٤٩١	تغدو به إلى النبي ﷺ يحنكه.....	٦.....	٣٢٦	تزوجني النبي ﷺ فأنتني أمي فأدخلتني الدار.....
٥.....	٦٦٠	تفتح اليمين فيأتي قوم يسون.....	٦.....	٣٢١	تزوجني النبي ﷺ فأنتني أمي فأدخلتني تزوجني النبي وأنا بنت... (من قول عائشة).....
٢.....	١٦٧	تقرصه، ثم تحته، ثم تغسله، وتصلي فيه.....	١٠.....	٣٤٣	تزوجوا الوودد الولود فأني مكاثر بكم يوم القيامة.....
٩.....	١٠٨	تقطع اليدي ربع دينار فصاعداً.....	٦.....	١٤٣، ١٣٧	تزوجوا الوودد الولود.....
٩.....	١١٥	تقطع اليدي ربع دينار فصاعداً.....	٧.....	١٨٧	تسبحون في دبر كل صلاة عشراً.....
٩.....	١١٦	تقطع اليدي ربع دينار.....	٣.....	٤٠٧	تسبحون وتحمدون وتكبرون.....
٩.....	١١٦	تقطع يد السارق في ربع دينار.....	٧.....	٥٧١	تسبق شهادة أحلمهم بميته.....
١٠.....	٢٦٢	تقول جهنم قط قط وعزتك.....	٤.....	٣١٥	التسبيح للرجال، والتصفيح للنساء.....
١٠.....	٢٥٧	تقول جهنم: قط قط.....	٤.....	٣١٥	التسبيح للرجال، والتصفيح للنساء.....
٢.....	١٧٠	تكفر كل شيء.....	٧.....	٦٤٨	تستطيع أن تعقر رقبة.....
٩.....	٤٢٤	تكفر كل شيء.....	٣.....	١٢	تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة.....
١٠.....	٤٣٣	تكفل الله لمن جاهد في سبيله.....	٩.....	٣٤٣	تسير على يعبر لها.....
١٠.....	٤٤٢	تكفل الله لمن جاهد في سبيله.....	٣.....	٦٠٨	تشتبهين نظيرين.....
١.....	٣٠٩	تلاحي رجلان.....	٣.....	٦٠٧	تشتبهين نظيرين؟.....
٧.....	٣٦٨	التلبية.....	٥.....	٦	تصدق رجل من ديناره من ثوبه.....
٩.....	٤٥٣	تلك الروضة روضة الإسلام.....	٥.....	٧٤	تصدقن ولو من حليكن.....
٦.....	٥٥	تلك السكينة تنزلت بالقرآن.....	٥.....	٢٠	تصدقوا فسيأتي عليكم زمان يمشي.....
١٠.....	٥٦٦	تلك الكلمة من الحق يخطفها.....	٤.....	٦٢٩	تصدقوا، فإنه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدفته.....
		تلك الكلمة من الحق، يخطفها من الجني.....	٩.....	٥٤٤	تصدقوا، فسيأتي على الناس زمان.....
٧.....	٤٣٠	تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت.....	١.....	٩٢، ٥٩	تطعم الطعام، وتقرأ السلام.....
٦.....	٦١	لأصبحت.....	٢.....	٢١٢	تطهري.....
		تلك امرأة كانت تظهر السوء... (من قول ابن عباس).....	٦.....	٩٢	تجاهدوا القرآن فول الذي نفسي بيده.....
٦.....	٦٥٣	تلك امرأة يغشاها.....	٤.....	٦٠٨	تعبد الله لا تشرك به شيئاً.....
٣.....	٥٥٠	تبارى الناس في صوم النبي ﷺ يوم عرفة.....	١٠.....	٣٦٢	تعجبون من غيره سعد.....
		تمتعتا على عهد رسول الله ﷺ، فنزل القرآن.....	٦.....	٢٤٧	تعرض عليه نفسها.....
٥.....	٢٥٥	القرآن.....	١٠.....	٢٢٢	تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.....
٦.....	٢٧٧، ٢٤٨	التمس ولو خاتماً من حديد.....	٢.....	١٦٧	تمس عبد الخميصة.....
٩.....	٤٢٧	التمسوها في السبع الأواخر.....			
٧.....	١٥٧	تمام عيانه ولا ينام قلبه.....			
		تحى بعد أن فرغ من غسله... (من قول ميمونة).....			
١.....	٦٣٠	ميمونة).....			
٦.....	١٧٢	تنكح المرأة لأربع: لملها.....			

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢٣٥	٧	الثالث كبير، إنك أن تذكر	٥٤٦	٧	تهادوا تحابوا
٢٩٣	٧	الثالث والثالث كبير إن تذكر	٣٥٥	٩	تهادوا تحابوا
٣٣٠	٧	الثالث والثالث كبير	٣٥٥	٩	تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر
٤٦٧	٤	الثالث، والثالث كبير	٥٤٤	١	توضئوا مما مست النار
٦٤٢	٦	الثالث، والثالث كبير	٦٣٠	٧	توضئوا من لحوم الإبل
		ثم أتى النساء ومعه بلال فأمرهن	٥٧٧	١	توضئي لكل صلاة
٦٢٤	٣	بالصدقة	١٠١	١٠	توضأ رسول الله ﷺ ثم صب وضوءه على
		ثم أتى بمنديل، فلم ينفض بها... (من)			توضأ رسول الله ﷺ وضوءه للصلاة
٦٣٦	١	قول ميمونة	٦٣٠	١	غير رجله
١٩٩	٢	ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جبال اللؤلؤ	٣٨	٢	توضأ، واغسل ذكرك، ثم نم
١٤٠	٤	ثم أدخلت الجنة	٥٦٧	٧	توفي النبي ﷺ وليس في رأسه ولحيته
١٠٥	٩	ثم إذا شرب فاقطوه			توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر
٢٢١	٧	ثم صلوا علي	٩٥	٦	سنتين... (من قول ابن عباس)
٧٥	٤	ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد	٥٩٤	٦	التيس المستعار
		ثم صلى لنا ركعتين جهر فيها بالقراءة	٣١٠	١٠	تكلتك أمك يا معاذ
٩٠	٤	(الاستسقاء)	٧٢	١٠	تكلتك أمك يا معاذ
٣٥٧	٣	ثم ليتخير بعد من المسألة ما شاء	٤٧٧	٤	تكلتك أمك يا معاذ
٦٠٠	١	ثم ليتخير من الدعاء ما شاء	٣٦٥	٧	تكلتك أمك يا معاذ
٣٨٩	٣	ثم ليتخير من الدعاء ما شاء	٣٠٠	٣	تكلتك أمك
٢٦٢	٧	ثم ليتخير من الدعاء ما شاء	١٦٧	٧	تكلتك أمك
٢٨٦	١٠	ثم ليتخير من الدعاء			تكلتك أمك، سنة أبي القاسم ﷺ
٥١	٤	ثم يضطجع على شقة الأيمن	٣٠٠	٣	ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ يهانا
		ثوبي حجر، ثوبي حجر... (من قول)	٤٦٨	٣	ثلاث ساعات نهانا الرسول ﷺ أن
٥٣٣	٣	موسى ﷺ)	٥٦٥	٢	نصلي فيهن
٤٣٠	٧	ثورونون، يأكل من زائدة كدهما	٧٨٦٤	١	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
١٤٠	٩	الثيب بالثيب جلد مائة والرجم	٣٥٤	٩	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
٣٧٢	٢	جئت أنا وأبو بكر وعمر، ذهبت	٣٣	٢	ثلاثة لا تقر بهم الملاذنة: جيفة الكافر
		جاء اليهود إلى النبي ﷺ برجل منهم	٤١٦	١٠	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
٥١٨	٤	وامرأة زنيا	١٥	٥	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
		جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي	٣٧٣	٧	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
١٣٧	٦	ﷺ	٥٨٩	٧	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
		جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب،	٦٥٥	٩	ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة
٣٦٠	١٠	فقال: يا أبا القاسم إن الله يمسك السموات	٢٧١	١	ثلاثة لم يبلغوا الحنث
٣٢	١	جاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين	٢٦٤	١	ثلاثة لهم أجران
		جاء رسول الله ﷺ يعودني، وأنا مريض	٣٣	٩	الثالث كبير
٥٢٧	١	لا أعقل	٣٣٦	٧	الثالث كبير

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠.....	١٣٨.....	حالف النبي ﷺ بين الأنصار	٦.....	٥٩٦.....	جاءت النبي ﷺ فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت
٢.....	٣٩١.....	حب إلي من الدنيا: النساء	٦.....	٢٤٧.....	جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ
٤.....	٣٠٤.....	حبس النبي ﷺ	٧.....	٣٣٢.....	جاءني النبي ﷺ يعودني
٩.....	١٨٨.....	حبست الناس... (من قول أبي بكر)	٧.....	٢٥٣.....	جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي
٩.....	١٨٨.....	حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا علي ماء... (من قول أبي بكر)	١٠.....	١٦٨.....	جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصائد الدجال
٦.....	٣٣٣.....	حبستي الناس على غير ماء... (من قول أبي بكر)	٩.....	٤٠٦.....	الجار أحق بصقبه لما أعطيتكه
٣.....	٢٧٠.....	حبك إياها أدخلك الجنة	٩.....	٤٠٩، ٤٠٨، ٤٠٥.....	الجار أحق بصقبه
٦.....	٦٤٢.....	حتى اللقمة ترفعها في امرأتك			جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر قط
٧.....	٢٠٩.....	حتى تورم قنما	٦.....	٣٣٣.....	إلا جعل... (من قول أسيد)
٥.....	١٠٥.....	حتى تحمار	١.....	٣١٥.....	الجساسة
		حتى تخرج الظعينة من كذا إلى كذا لا	٢.....	٥٩٣.....	الجساسة
١.....	١٥٩.....	تخشى إلا الله	٤.....	٩٢.....	جعل اليمين على الشمال (الاستسقاء)
٥.....	١٠٥.....	حتى تذهب عاهته	٧.....	٣٨٢.....	جعلت قرة عيني في الصلاة
٥.....	٥٣٦.....	حتى تستعد المغيبة، وتمشط الشعنة	٢.....	١٧٨، ١٥٣.....	جعلت في الأرض مسجداً وطهوراً
١٠.....	٤٣٥.....	حتى تقوم الساعة	٤.....	٢٦٢.....	جعلت في الأرض مسجداً وطهوراً
٦.....	٤٦٦.....	حتى تمشط الشعنة، وتستعد المغيبة	٤.....	٦٦٦.....	جعلت في الأرض مسجداً
		حتى هممت بأمر سوء... (من قول ابن مسعود)	٧.....	٣٠٩.....	جعلت في الأرض
٣.....	٢٨٥.....	حتى يأذن أو يترك	٧.....	٥٥٨.....	الجلالة
٦.....	٢٨٩.....	حتى يضع رب العزة عليها قلمه	٩.....	١٠٢.....	جلد النبي ﷺ في الخمر بالجريد والتعال
٧.....	٤٧٩.....	حتى يضع رب العزة فيها	٦.....	٣٧٠.....	جلست إحدى عشرة امرأة
٧.....	٥٧٤.....	حج النبي ﷺ مرتين	١.....	٥١٧.....	جمع ﷺ بتوك
١.....	٢٣٩.....	حج عن نفسك، ثم حج عن شبرمة	١.....	٥٧٨.....	جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر
٥.....	١٦٨.....	حج مبرور	٢.....	٥١٩.....	جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر
٥.....	١٧٥.....	الحج مرة فما زاد فهو تطوع			جمع النبي ﷺ بين المغرب والعشاء
٥.....	١٨٥.....	الحج مرة فما زاد فهو تطوع	٥.....	٣٩٤.....	بجمع
٥.....	٦٠٩.....	الحج مرة، فما زاد فهو تطوع	٧.....	٣٨٣.....	الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله
٥.....	١٨١.....	حجابه النور لو كشفه لأحرقت			جتان من فضة آتيتهما وما فيها، وجتان من ذهب
٢.....	٤٩٩.....	حجبت النار بالشهوات	١٠.....	٤١٣.....	ذهب
٧.....	٣٨٢.....	حجي عنها، أ رأيت لو كان	٥.....	١٧٥.....	جهاد في سبيل الله
١٠.....	١٠٨.....	حجي واشترطي	١.....	٩٣.....	جهد المقل
٦.....	١٧١.....	حدث الناس كل جمعة مرة... (من قول ابن عباس)	٥.....	٢٧.....	جهد المقل
٧.....	١٩٢.....	حرم الله مكة، فلم تحل لأحد قبلي			جهز النبي ﷺ في صلاة الخسوف
٤.....	٥٦١.....		٤.....	١٤٨.....	بقراءته
			٥.....	٤٥٨.....	حايستنا هي؟

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢٧٤.....	١٠.....	حملني عيدي، فإذا قال: الرحمن الرحيم.....	٤٧٤.....	٧.....	حرم على ذكورها.....
٤٠٣.....	١.....	الحمو الموت.....	٦٤٩.....	٥.....	حرم ما بين لابتى المدينة على لساني.....
٦٢٨.....	٣.....	الحمو الموت.....	٢٢٠.....	٦.....	حرم من النسب سبع، ومن الصهر سبع.....
٤٥٤، ١٧٠.....	٦.....	الحمو الموت.....	٥١٢.....	١٠.....	حرمت الظلم على نفسي.....
١٩٧.....	٦.....	الحمو الموت.....	٢٣٢.....	٦.....	حرموا من الرضاة ما يحرم من النسب.....
٣٩٧.....	٧.....	الحمي من فوح جهنم.....			حسابكم على الله، أحذكم كاذب لا.....
٣٩٧، ٣٩٦.....	٧.....	الحمي من فيح جهنم.....	٦٣٥.....	٦.....	سبل لك عليها.....
		حوضه ما بين صنعاء والمدينة... (من قول.....	٥١٧.....	١٠.....	حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه.....
٥١٨.....	٧.....	حارثة).....	٣٣٤.....	٧.....	حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه.....
٥١١.....	٧.....	حوضي مسيرة شهر.....			حسبت علي بتطبيقه... (من قول ابن.....
٢٥.....	٢.....	الحياء شعبة من الإيمان.....	٤٨٠.....	٦.....	عمر).....
٤٧.....	١.....	الحياء من الإيمان.....	١١٣.....	٦.....	حسبك الآن.....
٢٥.....	٢.....	الحياء من الإيمان.....	٢٢٧.....	٢.....	حسر النبي ﷺ عن فخذة.....
٢٩٠.....	٥.....	حيث تقاسموا على الكفر.....	٣١٤.....	١.....	حفاة عراة عرلاً.....
		حبل بيننا وبين خبر الساء... (من قول.....	٢٧١.....	٤.....	حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات.....
٢٦٥.....	٣.....	الجن).....	٧٢٨.....	٧.....	حق العباد على الله.....
٣٨.....	٥.....	الخازن المسلم الأمين الذي.....	٤٢٩.....	٤.....	حق الله على العباد أن يعبدوه.....
٥٦٦.....	٧.....	خالفوا المجوس.....	٧٢٥.....	٧.....	حق الله على العباد، أن يعبدوه.....
٥٥٨.....	٧.....	خالفوا المشركين.....	٣٨٨.....	٤.....	حق المسلم على المسلم خمس.....
		خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في.....	٦٦٨.....	٧.....	حق المسلم على المسلم ست.....
٢٦١.....	٢.....	نعالهم.....	٣٥١.....	٦.....	حق المسلم على المسلم.....
٤٧٠.....	٧.....	خبأت هذا لك.....	٣٢٨.....	٧.....	حق المسلم على المسلم.....
٢٢٩.....	٢.....	خذ جارية من السي غيرها.....	٣٣٠.....	٧.....	الحق إلى أهل الصفة فادعهم إلى.....
٢٨٤.....	٧.....	خذ من صحتك لمرضك.....	٤٨٧.....	٣.....	حق على كل مسلم أن يغتسل.....
٦١٩.....	١.....	خذ هذا أفرغه على نفسك.....	٢٥٠.....	٥.....	حل كله.....
٦٥٢.....	٧.....	خذ هذا فتصدق به.....	١٥٧.....	١.....	الحلال بين والحرام بين.....
٦٤٩.....	٧.....	خذ فتصدق به.....	٤٥٤.....	٥.....	خلق النبي ﷺ وطائفة من أصحابه.....
٦٠٦.....	٩.....	خذ فتموله وتصدق به.....	٤٥٢.....	٥.....	خلق رسول الله ﷺ في حجه.....
٦٠٧.....	٩.....	خذ فتموله وتصدق به.....	٤٩٥.....	٥.....	خلق عقرى، ما أراها إلا حابستكم.....
		خذه، إذا جاءك من هذا الال شيء.....			الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه.....
٨٦.....	٥.....	وأنت غير مشرف.....	٣٠٢.....	١٠.....	النشور.....
٥٥٩.....	٦.....	خذها فإنها هي لك أو لأخيك أو للذئب.....	١٥٣.....	٧.....	الحمد لله الذي أحيانا.....
٣٨.....	٦.....	خذوا القرآن من أربعة.....	١٨٣.....	٧.....	الحمد لله الذي أحيانا.....
٥٦٨.....	٥.....	خذوا ساحل البحر حتى نلتقي.....	٥٧٤.....	٤.....	الحمد لله الذي أنقذه من النار.....
١٦٨.....	٩.....	خذوا عني، خذوا عني، فقد جعل الله.....	٣٦٧.....	٧.....	الحمد لله على كل حال.....
٥٢٩.....	٧.....	خذوا من الأعمال ما تطيقون.....	٢٧٧.....	١.....	الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره.....

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٤٨٥	١٠	خلق الله الخلق فلما فرغ منه	٤١٠	٧	خذوها واضربوا لي بسهم
٣٦٧	٦	خلقن من ضلع	٢١٢	٢	خذني فرصة ممسكة
٧٧٩	٧	خروا الأنية	٢١١	٢	خذني فرصة من مسك فتنطهري بها
١٣٣	١	خمس صلوات في اليوم واللييلة	٥٨٧	٩	خذني ما يكتيك وولئك بالمعروف
١١٤	٤	خمس لا يعلمهن إلا الله	٦٢٣	٩	خذني ما يكتيك وولئك بالمعروف
٥٧٧	٥	خمس من الدواب كلهن فاسق	٥٣٩	٦	خذنيها واشترطي لهم الولاء
٥٧٣	٥	خمس من الدواب لا حرج	٦٩١	٧	خذنيها واشترطي لهم الولاء
٥٧٣	٥	خمس من الدواب ليس على المحرم	٨٩	٤	خرج النبي ﷺ بالناس يستسقي لهم
٢٨٩	١	خير الأسماء ما حمد وعبد	٩٠	٤	خرج النبي ﷺ يستسقي فتوجه إلى القبلة
٢٨٨	١٠	خير الدعاء دعاء يوم عرفة	٦٧	٤	خرج النبي ﷺ يستسقي، وحول رداءه
٢٧	٥	خير الصدقة جهد المقل	٥٥٠	٧	خرج النبي ﷺ يوم عيد فصلى ركعتين
٢٦	٥	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى	٣١	٥	خرج النبي ﷺ يوم عيد، فصلى ركعتين
٢٧	٥	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى	٢٦٥	١	خرج رسول الله ﷺ إلى النساء فوعظهن
٦٤٦	٦	خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى	٤٧٤	٦	خرج رسول الله ﷺ فصلى ثم خطب
٣٠٥	٧	خير الناس قرني	٥١٦	١	خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة
٣٥١	٧	خير الناس قرني	٤٠٦	٢	خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة
٩٩	٤	خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم			خرجت مع النبي ﷺ في جنازة،
٢١١	٧	خير الناس من طال عمره وحسن عمله	٢٥٠	١	وجلس خلفه أنتظر
٢٨٠	٤	خير دور الأنصار			خرجت مع النبي ﷺ يوم فطر أو
١٩٩	٣	خير صفوف الرجال أولها	٦٤٢	٣	أضحى
٣٢	٥	خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها	٥٤٦	٥	خرجنا مع النبي ﷺ معتمرين
١٥٩	٦	خير نساء ركب الإبل صالح نساء قريش			خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة
		خير هذه الأمة أكثرها نساء.. (من قول	٢٤٧	٥	الوداع
١٤٤	٦	ابن عباس)	٤٢٧	٥	خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين
٣٨٥	٦	خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي	٤٤٧	٥	خرجنا مع رسول الله ﷺ لخمس بقين
٤٤٩	٦	خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي			خرجنا مع رسول الله ﷺ، فحال كفار
٤٢٦	١٠	خيركم خيركم لأهله	٥٤٤	٥	قريش دون البيت
١٦٢	٢	خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي			خسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ
٢٥١	٢	خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي	١٢٤	٤	فصل
٣٠٢	٧	خيركم قرني	٢٩٠	٧	خط النبي ﷺ خطا مرتين
٦٢٤	٧	خيركم قرني	٥٤٨	٣	خطب خطبتين
٣٩	٦	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	٤٦٣	٥	خطبنا النبي ﷺ يوم النحر
٧٨	٦	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	٦٤٤	٧	خلق الله آدم على صورته
٤٨٦	٦	خيرنا النبي ﷺ، أنكان طلاقاً	٦٤٤	٧	خلق الله آدم على صورته
٤٨٦	٦	خيرنا رسول الله ﷺ فاخترنا الله ورسوله			
١٧٣	١٠	الخيال لثلاثة: لرجل أجر			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٦٥٩..... ٩	ذلك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعوك	٦٠١..... ٧	دباغ جلود الميتة		
٣٣٤..... ٧	ذلك لو كان وأنا حي	١١١..... ٥	دباغها ذكاتها		
٣٩١..... ٧	فروة سنامه	٥٤٥..... ١٠	الدجال أعور		
٣٧٦..... ٧	ذكر رجلاً فيمن كان سلف	٧٧..... ٤	الدجال		
٣٤١..... ٤	ذكرت وأنا في الصلاة تبرأ	٥٠٥..... ٧	دحض مزلة		
	ذكرنا هذا الرجل صلاة كنا نصليها مع	٢٦٧..... ٥	دخل النبي ﷺ عام الفتح من كداء		
٢٩٦..... ٣	رسول الله ﷺ		دخل على النبي ﷺ وأنا مريض فتوضأ		
٢٩..... ٦	ذكره أبي بن كعب بأية كان نسيها	٣٥٠..... ٧	فصب علي		
١٤٣..... ٦	ذلك الواد الخفي	٤٨..... ٩	دخل علي النبي ﷺ وأنا مريض فدعا بوضوء		
٥٢٤..... ٦	ذلك صريح الإيمان		دخلت الجنة - أو أتيت الجنة -		
٢٢٨..... ٢	ذلك عرق، وليست بالحضة	٤٤٧..... ٦	فأبصرت قصرًا		
٤٥٦..... ١٠	ذلك فضلي أوتيه من أشاء	٤٦٢..... ٩	دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب		
٤٠٦..... ١٠	ذلك لك وعشرة أمثاله... (قسي)	٣٤٩..... ٦	دعا أبو أسيد الساعدي رسول الله		
٤٠٦..... ١٠	ذلك لك ومثله معه	٣٧٠..... ٧	دعا بهاء فرس عليه		
٦٥١..... ٥	ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم	٥٠٧..... ٧	الدعاء هو العبادة		
٦٨..... ٩	ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم	٤٨٩..... ٩	دعانا النبي ﷺ فبايعناه		
٨٩..... ١٠	ذمة مسلمين واحدة	٨٢..... ١	دعه؛ فإن الحياة من الإيمان		
١٧..... ٣	ذنب السرحان	١٥٠..... ١	دعها، فإننا معها سقاؤها وحذاؤها		
٤٠٧..... ٣	ذهب أهل الدثور	٣٥..... ٤	دعهم أمنا بني أرفدة		
٦٢٦..... ٦	الذهب بالذهب	٤٦٨..... ٧	دعها فإني أدخلتها طاهرتين		
٦١٢..... ٧	الذهب بالذهب	٣٥..... ٤	دعها يا أبا بكر، فإنها أيام عيد		
	الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر	٥٣٨..... ١	دعها؛ فإني أدخلتها طاهرتين		
١٤٣..... ٥	بالبر	٦٥..... ١٠	دعوني ما ترككم		
٤٩٧..... ٧	الذهب، والفضة، والحرير	٥٦٠..... ١	دعوه		
٤٩٢..... ٢	الذي تقوته صلاة العصر كأنها وتر أهله	٢١٤..... ٢	دعي عمرتك وانقضي رأسك		
٣٦٤..... ٣	الذي يتكلم يوم الجمعة	٥١٧..... ٥	دعي عمرتك وانقضي رأسك		
٥٩٠..... ٤	الذي يخنق نفسه يخنقها في النار	٣٠٤..... ٦	دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين		
١٩١..... ٧	رأيت أذكرني من عرفة	٣٨١..... ١	دفع رسول الله ﷺ من عرفة		
	الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من	٥٦٥..... ٤	دفن مع أبي رجل... (من قول جابر)		
٤١٦..... ٩	سته وأربعين	٥٣٠..... ٤	دلوني على قبره		
٤٧٣..... ٩	الرؤيا الحسنة من الله	١٧٠..... ١	الدين النصيحة		
٤١٧..... ٩	الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان	٤٥٠..... ٢	الدين النصيحة لله ولكتابه		
٤١٨..... ٩	الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين	٥٧٧..... ٩	الدين النصيحة		
٤١٨..... ٩	الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان	٤٩٧..... ٧	ذلك أدنى أهل الجنة منزلة		
٤٤١..... ٩	الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان	٦٣٢..... ٢	ذلك شيطان يقال له خنزب		
	رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من	٤٦٠..... ٩	ذلك عمله يجري له		

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢١٦	٣	رفع يديه.....	٤١٨	٩	النوبة.....
٣٥	٣	رأيت رسول الله ﷺ بالأطح.....	٢٦	١	الرؤيا جزء من ستة وأربعين.....
٣١٦	٥	رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة.....	٤١٩	٧	الرؤيا من الله.....
٧٦٨	٧	رأيت رسول الله ﷺ في المسجد مستلقياً.....	٤٥٠	٩	الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان.....
		رأيت رسول الله ﷺ قاعداً على لبنتين،.....	٣٩٠	١٠	الراحمون يرهمهم الرحمن.....
٤٠٤	١	مستقبل بيت المقدس.....			رأى رجلاً يصلي معقوص الشعر... (أي)
		رأيت رسول الله ﷺ وهو علي الرحلة.....	٣٤٥	٣	ابن عباس).....
١٩٠	٤	يسبح.....	٥٣٦	٧	رأى في يد رسول الله ﷺ خاتماً من ورق.....
		رأيت رسول الله ﷺ يأكل ذراعاً يحترق.....			رأيت بلالاً يؤذن، فجعلت أتبع... (من)
١١٢	٣	منها.....	٤٠	٣	قول أبي جحيفة).....
١٧٠	٥	رأيت رسول الله ﷺ يركب راحلته.....	٤٤٦	١	رأيت الماء ينبع.....
٣٢٣	٥	رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله.....	٩٦	٤	رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ.....
		رأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء.....	٥٥٨	٤	رأيت الملائكة تغسلها.....
١٠٤	٣	والطين.....			رأيت الناس اجتمعوا، فقام أبو بكر فترفع
		رأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء.....	٤٦١	٩	فنوناً.....
٣٩٣	٣	والطين.....	١٨٧	٤	رأيت النبي ﷺ إذا أعجله السير.....
٥٢٥	٧	رأيت رسول الله ﷺ يصنع بالصفرة.....	٥٣٩	٥	رأيت النبي ﷺ إذا جد به السير.....
		رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التي.....			رأيت النبي ﷺ صنع مثل هذا... (في
٥٢٥	٧	ليس فيها شعر.....	٢٦٢	٢	المسح على الخفين).....
٥٤٠	١٠	رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح.....	٤٠٩	٢	رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها.....
		رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وهو.....	٥٤٦	١	رأيت النبي ﷺ يحترق من كثرة شاة.....
٩٤	٦	يقرأ.....			رأيت النبي ﷺ يستري بردائه وأنا أنظر
		رأيت عبد الله بن الزبير، يطوف بعد.....	٤٦٠	٦	إلى الحيشة.....
٣٤٥	٥	الفجر.....	١٨٨	٤	رأيت النبي ﷺ يصلي علي راحلته.....
		رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض.....	٢١١	٢	رأيت النبي ﷺ يصلي في ثوب.....
٤٦٧	٩	بها نخل.....			رأيت النبي ﷺ يفعله.. (الصلاة إلى
		رأيت في المنام كأن في يدي سرقة من.....	٣١٤	٢	البعير).....
٤٥٥	٩	حرير... (من قول ابن عمر).....	١٠٩	٦	رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته.....
		رأيت في رؤياي أني هزرت سيفاً فانقطع.....			رأيت امرأة سوداء تثرثر الرأس خرجت من
٤٧٠	٩	صدره.....	٤٦٩	٩	المدينة.....
٤٦٨	٩	رأيت كأن امرأة سوداء تثرثر الرأس.....	٤٩٤	٧	رأيت بشمال النبي ﷺ ويمينه رجلين.....
٢٣٨	١٠	رأيت نوراً.....	٣١٣	٣	رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يتدرونها.....
٧٩٤	٧	رأيتني مع النبي ﷺ بنيت بيدي بيتاً.....			رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير في
		رأيتني عبداً! يعني... (من قول ابن.....	١٩٦	٤	السفر.....
٥٤١	٦	عباس) زوج بيرة.....	١٨٦	٤	رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير.....
٥٧٠	٧	رب أشعث أغبر ملدوع بالأبواب.....			رأيت رسول الله ﷺ إذا قام في الصلاة

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٧٦	١٠	رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً... (من قول عمر).....	١٧٤	٦	رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره.....
٤٠٤	٣	رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس.....	٣٢٧	٩	رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.....
١٤٢	٩	رفع القلم عن ثلاث.....	٢٦٦	٧	رب اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي.....
١٥٣	٥	رفع القلم عن ثلاثة.....	١٩٩	٧	رب اغفر لي وارحمني.....
٤٩٧	١	رفع النبي ﷺ رأسه إلى السماء.....	١٠٥	١٠	رب مبلغ أوعى.....
٣١٥	٣	رفع النبي ﷺ واستوى حتى يعود كل فقار.....	٢٥٢	٧	ربنا آتانا في الدنيا حسنة.....
٩٣	٤	رفع النبي ﷺ يديه حتى رأيت يياض إبطيه.....	٣١٢	٣	ربنا لك الحمد.....
٥٦٢	١	الرفق ما كان في شيء إلا زانه.....	٥٢٨	١٠	رجل آتاه الله القرآن.....
٣٩٦	١	رقيت يوماً على بيت حفصة فرأيت النبي ﷺ.....	٤٠١	٧	رجل آتاه الله تعالى مالا.....
١٣٤	٤	ركع النبي ﷺ ركعتين في سجدة (صلاة الكسوف).....	٣٩٠	٧	رجلجاهد بنفسه وماله.....
٤٩٥	٧	ركعتا الفجر.....	٣٩١	٧	رجل في شعب من الشعاب.....
		ركعتان لم يكن رسول الله ﷺ يدعها سرا.....	٣٨٥	٤	الرجل مزكوم.....
٥٦٩	٢	ولا علانية.....	٤٣٤	١٠	الرجل يقاتل حمة، ويقاقل شجاعة.....
٢١	٣	ركعتين خفيفتين... (من قول عائشة).....	١٥٧	٩	رجم النبي ﷺ ورجمنا بعده.....
٣٨١	٥	الروح إن كنت تريد السنة... (من قول ابن عمر).....	١٨٥	٩	رجم النبي ﷺ.....
٣٨٤	٥	الروح... (من قول ابن عمر).....	١٦٠	٩	رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده.....
٤٧٤	٢	رويداً أيها الناس، عليكم السكينة.....	٢٧٢	٤	رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعاً.....
٢٣٩	١	زادك الله حرصاً ولا تعد.....	٧٧٦	٧	رحمة الله على موسى.....
٢٩٤	٣	زادك الله حرصاً ولا تعد.....	٢٧٠	١٠	رحمته سبقت غضبه.....
٤١٧	١٠	الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والأرض.....	٣٦	٥	رحمتي سبقت غضبي... (قدسي).....
		زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم.....	٤١٦	٧	رخص النبي ﷺ الرقية من كل ذي حمة.....
٥٦٠	٤	زوجت أختاً لي من رجل فطلقها... (من قول معقل).....	٥٠٦	٧	رخص النبي ﷺ للزير وعبد الرحمن في لبس الحرير.....
٢٦٦	٦	زوجتك يا معك من القرآن.....	٤٦٥	٥	رخص النبي ﷺ.....
٢٢٥	٧	زوجتك يا معك من القرآن.....	٤٨٥	٥	رخص للحنافض أن تنفر إذا أفاضت.....
٨٠	٦	زوجتك يا معك من القرآن.....	٢٣٨	٢	رخص للحنافض أن تنفر إذا.....
٢٧٧	٦	زوجتك يا معك من القرآن.....	٢٣٨	٢	رخص للحنافض أن تنفر... (من قول ابن عباس).....
			٥٩٠	٥	رخص للرعاة في ترك المبيت بمنى.....
			٥٥١	٦	رد رسول الله ﷺ ابنته على أبي العاص بالنكاح الأول.....
			١٥٠	٦	رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل.....
			٤٤٨	٧	رسول الله ﷺ خرج في حلة مشمراً.....
			٢٧٨	٦	رضاهما صمتها.....

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٣٧٣.....	٧.....	سبعة يظلمهم الله في ظله.....	٣٢٧.....	٣.....	سئل عن بيع التمر بالرطب.....
١٢٦.....	٩.....	سبعة يظلمهم الله يوم القيامة في ظله.....	١٠٥.....	٤.....	سائر أيامه كأيامكم.....
٤٨٨.....	٧.....	سبعة يظلمهم الله.....			سابق النبي ﷺ بين الخيل... (من قول ابن
٤٣١.....	٧.....	سيعون ألفاً يدخلون الجنة بلا.....	١٣٧.....	١٠.....	عمر).....
٤٦٠.....	٢.....	سبقك بها عكاشة.....			الساعي على الأرملة والمساكين
٤٢٤.....	٧.....	سبقك بها عكاشة.....	٥٦٥.....	٣.....	كالمجاهد.....
٤٦٥.....	٧.....	سبقك بها عكاشة.....	٦٤١.....	٦.....	الساعي على الأرملة والمسكين.....
٣٧٧.....	٧.....	سبقك عكاشة.....	٣٠١.....	٢.....	سأفعل إن شاء الله... (لعتبان بن مالك).....
٤٨٤.....	٧.....	سبقك عكاشة.....	٤٧٢.....	٧.....	سألت ربي فوعدي أن يدخل الجنة.....
		ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا.....	٤٤٩.....	٤.....	سألوا النبي ﷺ عن امرأة توفي زوجها.....
٣٩٢.....	١.....	دخل.....			سب رسول الله ﷺ الواصلة
٢١.....	٢.....	سرت النبي ﷺ، وهو يقتسل.....	٥٩٧.....	٧.....	والمستوصلة.....
		ستغرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين.....	٢١٥.....	٩.....	سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر.....
٤٦٩.....	٤.....	فرقة.....	٩٨.....	١٠.....	سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.....
٥٠٤.....	٩.....	ستكون قنن القاعد فيها خير من القائم.....	١٤٠.....	١٠.....	سباب المسلم فسوق.....
٤٣٦.....	٧.....	ستكون هجرة بعد هجرة، وتحتاز الناس.....	٨٥.....	٩.....	سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.....
٣٦٣.....	٣.....	سجد النبي ﷺ ووضع يديه غير مفترش.....	٣٧٦.....	٤.....	سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.....
٢٦١.....	٣.....	سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ.....	٥٠٣.....	٩.....	سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر.....
٢٦٠.....	٣.....	سجدت خلف أبي القاسم ﷺ.....			سبحان الله عشراً، والحمد لله عشراً،
		سجدتها داود توبة، ونحن نسجدها.....	٤٠٨.....	٣.....	والله أكبر عشراً.....
١٥٩.....	٤.....	شكراً.....			سبحان الله يا أبا هر، إن المؤمن لا
٣٥٨.....	١٠.....	سقاء الليل والنهار.....	٣٠.....	٢.....	ينجس.....
٤٨٦.....	٩.....	سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي.....	٢١٢.....	٢.....	سبحان الله.....
٥١٣.....	٧.....	سحقاً سحقاً لمن غير بعدي.....	٥٠٠.....	٩.....	سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن؟.....
٣٤٢.....	٧.....	سلدوا وقاربوا، وأبشروا.....	٢٢٠.....	٤.....	سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة.....
٣٤٠.....	٧.....	سلدوا وقاربوا،.....	٢٦.....	٢.....	سبحان الله، إن المسلم لا ينجس.....
		سعى النبي ﷺ ثلاثة أشواط، ومشى.....			سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا
٣١٧.....	٥.....	أربعة.....	٤٠٨.....	٣.....	إله إلا الله.....
٤٥٤.....	٤.....	السفر قطعة من العذاب.....	٣٨٧.....	١٠.....	سبحان ربي الأعلى.....
٤٩٠.....	٤.....	السفر قطعة من العذاب.....	٣١٠.....	٣.....	سبحانك اللهم ربنا ويحمدك.....
٥٣٨.....	٥.....	السفر قطعة من العذاب.....	٣٥٤.....	٣.....	سبحانك اللهم ربنا ويحمدك.....
٤٩٨.....	٦.....	سقتي حفصة شربة عسل.....	٥٦٣.....	٣.....	سبحانك اللهم ويحمدك.....
٣٩٥.....	٩.....	سقتي حفصة شربة عسل.....	٣٧٤.....	١.....	سبحانك اللهم.....
٣٥١.....	٥.....	سقت رسول الله ﷺ من زمزم، فشرب.....	١٥.....	٥.....	سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله.....
٣٦٠.....	٩.....	سكاتها إنفا.....	٧٨.....	٣.....	سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل.....
٢٤٣.....	١٠.....	السلام على النبي... (من قول ابن مسعود).....	٧.....	٥.....	سبعة يظلمهم الله في ظله.....

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٣٧٣	١٠	السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي.....	٣٨٠	٣	السلام على النبي... (من قول ابن مسعود).....
٤٣٦	٦	السنة إذا تزوج البكر أقام عندها سبعا.....	١٨٧	١٠	السلام على أهل الديار.....
٢٥١	٥	سنة النبي ﷺ... (من قول ابن عباس في حج التمتع).....	٣٨٠	٣	السلام عليك أيها النبي... (من قول عمر).....
٣٥٤	٩	سنين كسني يوسف.....	٤١٥	٩	السلام عليكم دار قوم مؤمنين.....
٦٠٩، ٢٥٩، ١٥٠	١	السواك مطهرة للفم مرضاة للرب.....	٢٦٠	١	سلوني عما شئتم.....
٤٧٨	٣	السواك مطهرة للفم مرضاة للرب.....	٧٦	١٠	سلوني.....
٢٢٠	١٠	السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب.....	٤٧٦	٢	سلوني.....
٤١٥	٧	سودوا نونته.....	٣٧٩	١	سلوه لأي شيء يصنع ذلك.....
١٩١	٣	سوا صفوكم فإن تسوية.....	٢٠٨	١٠	سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟.....
٣٣٦	٩	سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان.....	٢١٦	٣	سمع الله لمن حمده.....
١٨٣	٧	سيد الاستغفار اللهم أنت ربي.....	٢١٦	٣	سمع الله لمن حمده.....
١٤١	٧	سيد الاستغفار أن يقول.....	٣٠١	٣	سمع الله لمن حمده.....
٢٢٤	١٠	السيد الله تبارك وتعالى.....	٣١١	٣	سمع الله لمن حمده.....
٣٦٨	١	سيما ليست لغيركم.....	٣١٣	٣	سمع الله لمن حمده.....
١٧٧	٦	الشؤم في المرأة، والدار، والفرس.....	٣٤٥	٣	سمع الله لمن حمده.....
٤٢٦	٧	الشؤم في ثلاث.....	٥٧٢	٩	السمع والطاعة على المرء المسلم.....
٦١٤	٣	شاة لحم.....	١٧٧	٩	سمعت النبي ﷺ يأمر فيمن زني ولم يحصن.....
٢٦٦	٩	شاهدك أو يمينه.....	٢٢٧	٧	سمعت النبي ﷺ يتعوذ من عذاب القبر.....
٤٣٠	٢	شبهتمونا بالحر والكلاب... (من قول عائشة).....	٤٦٣	٥	سمعت النبي ﷺ يخطب يعرفات.....
٣٥٠	٦	شر الطعام طعام الوليمة.....	٢٥٩	٣	سمعت النبي ﷺ يقرأ بطول الطولين.....
٦٤٠	٧	شراك من نار.....	٥٤٧	١٠	سمعت النبي ﷺ يقرأ في العشاء.....
٢٣٢	٣	شغلتنى أعلام هذه، اذهبا.....			سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿والتين والزيتون﴾ في العشاء.....
٥٩٢	٣	شغلونا عن الصلاة الوسطى... (من قول عمر).....	٢٦١	٣	سمعت النبي ﷺ ينهى عن الصلاة عند طلوع الشمس.....
٣٥٩	٧	الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم.....	٣٤٥	٥	سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور.....
٣٥٩	٧	الشفاء في ثلاثة: شربة عسل.....	٢٦٠	٣	سمعت رسول الله ﷺ يستعذ في صلاته.....
٣٥٧	١٠	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي.....	٣٨١	٣	سمعت رسول الله ﷺ يستعذ في صلاته من فته الدجال.....
٣٧٩	٥	شك الناس يوم عرفة في صوم النبي ﷺ.....	٥٥٤	٩	سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الفرع.....
٣٦٤	٢	شكوت إلى رسول الله ﷺ أي.....	٥٨٠	٧	سمعت رسول الله ﷺ يهل مليدا.....
١٤٢	٤	أشكتي... (أم سلمة).....	٢٠٤	٥	سموا أئمتهم وكلوا.....
		الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته.....	٩٢	١٠	سموا أئمتهم وكلوا.....
		شهد عندي رجال مرضيون (من قول ابن	٣٣٤	٧	

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢٦٢.....	٣	لسعد).....	٥٥٢.....	٢	عباس).....
٢٣١.....	٧	صدقك وهو كذوب.....	١٩٠.....	٣	الشهداء: الغرق، والمطعون.....
٥٤.....	٦	صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان.....	٥٤٨.....	٧	شهدت العيد مع النبي ﷺ فصل قبل الخطبة.....
٢٤٣.....	٩	صرخ إبليس يوم أحد في الناس... (من قول عائشة).....	٦٠٧.....	٩	شهدت المتلاعنين... (من قول سهل بن سعد).....
٣٣٢.....	٢	صل ركعتين.....	٢٤٩.....	٥	شهدت عثمان وعليه، وعثمان ينهى عن المتعة.....
٥٥٧.....	٣	صل ركعتين، وتجاوز فيها.....	٤٧٤.....	٦	شهدت مع رسول الله ﷺ العيد أضحى أو فطرًا؟.....
١١١.....	١	صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا.....	٥٥٥.....	٦	الشهر تسع وعشرون.....
٢٠٦.....	٤	صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا.....	٥٧٩.....	٦	الشهر هكذا وهكذا.....
٦٣٤.....	٧	صل هاتنا.....	٢٣٠.....	٩	الشهر هكذا وهكذا.....
		صلاة الآيات ست ركعات وأربع	٦٠٠.....	٧	الشهر هكذا وهكذا.....
١٠٤.....	٤	سجديات.....	٢٥١.....	٢	الشهر هكذا، وهكذا، وهكذا.....
٦٣١.....	٣	صلاة التسابيح.....			شيخ زان، وملك كذاب، وعائل
٤٨٧.....	٢	صلاة الجاعة أفضل من صلاة الفذ.....	١٦.....	٥	مستكر.....
٦٣.....	٣	صلاة الجاعة تفضل صلاة الفذ.....	١٦٧.....	٩	الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا.....
٣٨٦.....	٢	صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته.....	٦٣٠.....	٥	الشیطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.....
٢٠٤.....	٤	صلاة الرجل قاعدًا على نصف الصلاة.....	١٥٧.....	٤	﴿ص﴾ ليس من عزائم السجود.....
٦٤.....	٣	صلاة الرجل مع الرجل أزكى من	٦٣٦.....	١	صبت للنبي ﷺ غسلاً.....
		صلاته وحده.....	٤٨٤.....	٤	الصبر عند الصدمة الأولى.....
٥٥.....	٤	صلاة الرجل مع الرجل أزكى من			صحب النبي ﷺ فلم أره يسبح في
		صلاته وحده.....	١٩٢.....	٤	السفر.....
٢٢٨.....	٤	صلاة الرسول سبع وتسع وإحدى			صحب رسول الله ﷺ فكان لا يزيد في
٤١٤.....	٧	عشرة.....	١٩٢.....	٤	السفر.....
٤١٥.....	٧	الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم.....	٣٣٣.....	٦	صدق الله: ﴿كَذَّبُوا ثُلُثًا﴾.....
٥٣٥.....	٢	الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم.....	٣٦٠.....	٧	صدق الله، وكذب بطن أخيك.....
		صلاة العشاء إلى نصف الليل.....			صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب
٢٥٣.....	٣	صلاة القاعد على النصف من أجر صلاة	١٢١.....	٦	وحده.....
٢٠٣.....	٤	القائم.....	١٧١.....	٢	الصدقة تدفع ميتة السوء.....
٥٠٤١.....	٤	صلاة الليل مثنى مثنى.....			صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
٤٨.....	٤	صلاة الليل مثنى مثنى.....	٣٧٨.....	٥	صدفته.....
٣٨١.....	١	الصلاة أمامك.....	١٧١.....	٢	الصدقة تطفى الخطيئة.....
٣٩٣، ٣٩٠، ٣٨٨.....	٥	الصلاة أمامك.....	١٨٤.....	٦	الصدقة تطفى الخطيئة.....
		الصلاة أول ما فرضت ركعتين... (من			صدقت ذاك الظن بك... (من قول عمر
١٨٥.....	٤	قول عائشة).....			
٥٠٥.....	١	الصلاة جامعة.....			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١	٤٢٩، ١٠٥	الجمعة	٣	١٤	الصلاة خير من النوم
٢	٢٣٩	صل الظهر ركعتين، والعصر ركعتين	٣	٢٠	الصلاة خير من النوم
٣	٨٥	صل الناس ورددوا، ولم تزلوا	٣	٣٦٠	الصلاة خير من النوم
٥	٤٣٤	صل النبي ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً	١	٨٦	الصلاة على وقتها
٣	١٨٢	صل النبي ﷺ الظهر ركعتين	٢	٤٥٧	الصلاة على وقتها
		صل النبي ﷺ العشاء، ثم صلى ثمان	٣	٦	الصلاة في الرحال
٤	٢٤٦	ركعات	٤	٢٩٠	صلاة في مسجدي هذا خير
		صل النبي ﷺ بالمدينة أربعاً، وبذي	١٠	٦٨	صلاة في مسجدي هذا
٥	٢٢٧	الحليفة ركعتين	٤	٢٩١	صلاة في مسجدي هذا
٥	٢٢٨	صل النبي ﷺ بالمدينة الظهر أربعاً	١٠	٥٣٨	الصلاة لوقتها
٧	٥٦٢	صل النبي ﷺ خمساً			صلوا ركعتي الفجر، ولو طردتكم
		صل النبي ﷺ على أصحمة النجاشي،	١	٣٨٣	الخیل
٤	٥٢٧	فكبر أربعاً	٤	٥٠٨	صلوا على صاحبكم
		صل النبي ﷺ على رجل بعد ما دفن	٣	٤٩٠	صلوا في بيوتكم
٤	٥٤٣	بليلة	١٠	١٢٦	صلوا في رحالكم
		صل النبي ﷺ في كسوف الشمس أربع	٢	٦٣١	صلوا في رحالكم
٤	١٤٨	ركعات في سجدتين			صلوا في مراض الغنم، ولا تصلوا في
		صل النبي ﷺ إلى بيت المقدس ستة	٢	٣١٦	أعطان الإبل
١	١١٤	عشر شهرا	٧	٥٦٢	صلوا في نعالكم
		صل بنا النبي ﷺ آمن ما كان بمنى	١	٥٠١	صلوا قبل المغرب
٤	١٧٧	ركعتين	٣	١٩٠	صلوا قبل المغرب
٥	٣٧٧	صل بنا النبي ﷺ بمنى	٤	٣٦٠	صلوا قبل المغرب
٧	٥٨٣	صل بنا النبي ﷺ قدام في الركعتين	١٠	١٨٥	صلوا قبل صلاة المغرب
٣	٣٧٩	صل بنا رسول الله ﷺ الظهر	٤	٢٧٢	صلوا قبل صلاة المغرب
		صل بنا عثمان بمنى أربع (من قول عبد	٣	٢٩٦	صلوا كما رأيتموني أصلي
٢	٦٠٤	الرحمن بن يزيد)	٣	٣١٢	صلوا كما رأيتموني أصلي
٥	٣٧٧	صل رسول الله ﷺ بمنى ركعتين	٣	٥٤	صلوا كما رأيتموني أصلي
٤	٥٠٥	صل رسول الله ﷺ على النجاشي	٤	٣٤٩	صلوا كما رأيتموني أصلي
		صل رسول الله ﷺ ونحن معه بالمدينة	٤	٣٦٠	صلوا كما رأيتموني أصلي
٥	٢٣١	الظهر أربعاً	٧	٢٦٢	صلوا كما رأيتموني أصلي
٤	٢٦٠	صل لنا رسول الله ﷺ ركعتين	٩	٣٧٨	الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئاً
٤	٣٤٧	صل لنا رسول الله ﷺ ركعتين			الصلوات الخمس، والجمعة إلى
٤	١٨٥	صلت الظهر مع النبي ﷺ	٣	٢٩٠	الجمعة
٤	١٧٦	صلت مع النبي ﷺ بمنى ركعتين			الصلوات الخمس، والجمعة إلى
		صلت مع النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ النبي	٣	٤٦٩	الجمعة
٣	٢٧٤	ﷺ «البقرة» ثم «النساء» ثم «آل عمران»			الصلوات الخمس، والجمعة إلى

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فقمتم			طاف بالبيت سبعاً.....		٣٦٤
عن يساره.....	٣.....	١٩٥	طاف رسول الله ﷺ على بعيره، وكان		
صليت مع النبي ﷺ ركعتين.....	٥.....	٣٧٨	كلما أتى على الركن.....	٦.....	٥٧١
صليت مع النبي ﷺ سجدتين قبل			طعام بطعام وإناء بإناء.....	٩.....	٢٢٤
الظهر.....	٤.....	٢٦٥	الطهور شرط الإيمان.....	٧.....	٣٠٩
صليت مع رسول الله ﷺ بمَنَى ركعتين.....	٤.....	١٧٩	الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله أباح فيه		
صليت مع رسول الله ﷺ ثمانياً جميعاً.....	٤.....	٢٦٦	الكلام.....	١.....	٣٦٩
صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل			طوافك بالبيت والصفاء والمروة يسعك		
الظهر.....	٤.....	٢٦٠	لحجك.....	٦.....	٣٣٦
صليت وراء النبي ﷺ على امرأة ماتت			طوافك بالبيت والصفاء والمروة يسعك.....	٢.....	١٨٢
في نفاسها.....	٤.....	٥٢٥	طوافك بالبيت والصفاء والمروة يسعك.....	٩.....	٦٧٧
صليت وراء النبي ﷺ على امرأة ماتت			طوفي من وراء الناس وأنت راكية.....	٥.....	٣٤٦، ٣٣١
في نفاسها.....	٤.....	٥٢٥	طابت النبي ﷺ بيدي لحرمة.....	٧.....	٥٨٢
صليت: ولو مت مت على غير الفطرة.....	٣.....	٣٠٥	طابت رسول الله ﷺ بيدي هاتين.....	٥.....	٤٨٠
صم ثلاثة أيام، أو تصدق بفرق بين ستة.....	٥.....	٥٥٠	طابت رسول الله ﷺ بيدي.....	٧.....	٥٩١
صم في كل شهر ثلاثة.....	٦.....	١١٥	العائد في هبته كالكلب يعود في فيه.....	٩.....	٤٠١
الصورة الرأس، فإذا قطع الرأس فلا صورة.....	١٠.....	٣٣٧	العائد في هبته كالكلب يقيء.....	٣.....	٣٦٤
صورت لي الجنة والنار.....	٧.....	٢٢٣	عائلاً بالله من شر الفتن.....	٩.....	٥١٣
صوم ثلاثة أيام من كل شهر.....	٤.....	٢٦٩	عائشة.....	٦.....	٣٣٣
الصوم لي وأنا أجزي به.....	١٠.....	٤٧٦	عائني أبو بكر وجعل يطعني بيده في		
الصوم لي وأنا أجزي به... (قدسي).....	٣.....	٦٣٥	خاصرتي.....	٦.....	٤٧٥
صيد البر لكم حلال ما لم تصيده، أو			العبد إذا وضع في قبره وتولي.....	٤.....	٥٣٢
يصد لكم.....	٥.....	٥٦٤	العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا.....	٧.....	٤١٧
ضحى النبي ﷺ بكبشين، يسمى ويكبر.....	١٠.....	٣٠٨	عبدًا قبطاً مات عام أول... (من جابر بن		
ضحى بالمدينة بكبشين أملحين.....	٥.....	٤٣٤، ٤٣٢	عبد الله).....	٧.....	٦٥٧
ضحى بكبشين موجهين.....	٦.....	١٤٧	عشان.....	٦.....	١٠٣
ضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد.....	٢.....	٣٦١	عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير.....	٧.....	٣١٠
ضع من دينك هذا.....	٢.....	٣٥٢	العجفاء التي لا مخ فيها.....	٥.....	٤٤١
ضفرنا شعر بنت النبي ﷺ ثلاثة قرون.....	٤.....	٤٢٢	العجفاء جبار، والبشر جبار، والمعدن		
الضيافة ثلاثة أيام جاتزته.....	٧.....	٣٦٩	جبار.....	٥.....	١٢٦
الطاعون شهادة لكل مسلم.....	٧.....	٢٠٥	العجفاء جبار، والبشر جبار، والمعدن		
الطاعون شهادة لكل مسلم.....	٧.....	٤٠٧	جبار.....	٥.....	١٣١
الطاعون شهادة لكل مسلم.....	٩.....	٤٠٠	العجفاء جرحها جبار.....	٥.....	٤٤٠
طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير.....	٢.....	٣٦٥	العجفاء جرحها جبار، والبشر جبار.....	٩.....	٢٩١
طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير.....	٥.....	٣٢٤، ٣٢٣	العجفاء علقها جبار، والبشر جبار.....	٩.....	٢٩٦
طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير.....	٥.....	٣١٩	عذاب عذب به بعض الأمم ثم بقي منه.....	٩.....	٤٠٠

الجزء	الصفحة	طرق الحديث	الجزء	الصفحة	طرق الحديث
٣	٥٢٠٤٨٠	على مكانكم.....	١٠	٣٩٢	عرش الله ع على سجاوته مثل القبة.....
٣	٢٤٤٠	عليك السلام.....	٧	٣٧٦	عرضت على الأمم.....
٣	٢٤٠	عليك بالشرط.....	٧	٤٢٣	عرضت على الأمم.....
١	٦١٩٠	عليك بالصعيد فإنه يكفيك.....	٧	٤٦٤	عرضت على الأمم.....
٢	١٩٣٠ ١٨٠	عليك بالصعيد فإنه يكفيك.....	٢	٤٧٦	عرضت على الجنة والنار آنفاً في عرض.....
١٠	٨٥٠	عليك بالصعيد، فإنه يكفيك.....	٢	٣١٦	عرضت على النار وأنا أصلي.....
٤	٤٣٠	عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين.....	٧	٦٧١	عرفتك يا سودة... (من قول عمر).....
٢	٦٠٤٠	عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين.....	١	٤٠١	عرفتك يا سودة (من قول عمر).....
٣	٥٢٢٠	عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين.....	٦	٥٥٩	عرفها سنة.....
٧	٣٦٩٠	عليكم بهذا العود الهندي.....	٢	٤٨٢	العشاء أحياناً يؤخرها، وأحياناً يعجل.....
٦	٥٣٧٠	عليها صدقة ولنا هدية.....	١	٤٥٠	عفره الثامنة بالتراب.....
٤	٤٢٨٠	عليهن جهاد لا قتال فيه؛ الحج والعمرة.....	٩	٣٤٨	عفي لأمتي عن الخطأ والسيان.....
٥	٤٩٩٠	العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما.....	٦	٦٠٨	عقرى - أو حلقى - إنك لحابستنا.....
٥	٥٠٨٠	عمرة في رمضان.....	٥	٤٩٤	عقرى حلقى أطافت يوم النحر؟.....
٦	١٤٥٠	العمل بالنية، وإنها لا مرئى ما نوى.....	٥	٢٤٧	عقرى حلقى أو ما طفت يوم النحر؟.....
٧	٥٤١٠	عندك شيء تصدقها.....	٥	٤٨٧	عقرى حلقى، إنك لحابستنا.....
٥	٤٣٠	عندكم شيء؟.....	٣	٣٩٦	عقل مجة.....
٩	٨٥٠	العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة.....	٦	٦٣٠	العقل وفكاك الأسير.....
٥	٤٤٠	العوراء الذين عوروا.....	٧	٣٨٤	علام تدغرن أولادكن بهذا العلاق.....
٧	٧٧١٠	العين تدمع والقلب يحزن.....	٧	٣٨٨	علام تدغرن أولادكن بهذا العلاق؟.....
١	٥٠٤٠	العين تدمع، والقلب يحزن.....	٣	٥١٠	علام يضحك أحدكم مما يفعل.....
٧	٤١٥٠	العين حق.....	٧	٦٠٦	علام يقتل أحدكم أخاه.....
٧	٦٠٤٠	العين حق.....	١	٢٣٤	العلم.....
١	٥٠٣ ٣٢٢	العين وكاء السه.....	٧	٢١٩	على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.....
٢	٥٨٢٠	العين وكاء السه.....	٩	٦٥٢	على الموت... (من قول سلمة).....
٧	٧٧٨٠	العين وكاء السه.....			على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها
٦	٤٤٦٠	غارت أمكم.....	٩	٥٥٥	الطاعون.....
١٠	٤٥٠	غداً أخيركم.....	٥	٦٦٧	على أنقاب المدينة ملائكة.....
		غلوت إلى رسول الله ﷺ بعد الله بن	٧	٤٧٧	على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي.....
٥	١٣٧٠	أبي طلحة.....			على رسلكم أبشروا، إن من نعمة الله
٧	٤٩٥٠	غلوة في سبيل الله أو روحه.....	٢	٥٣١	عليكم أنه.....
٥	٦٣٦٠	غزا مع النبي ﷺ ثنتي عشرة غزوة.....	٧	٤٩٧	على رسلكم إنها صافية بنت حبي.....
		غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا	٩	٦١٣	على رسلكم إنها صافية بنت حبي.....
٦	٣٢٤٠	يتبعني.....	٢	٤٢٩	على رسلكم، إنها صافية.....
٣	٥٧٦٠	غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد.....	٢	٣٦٦	على كل ذروة يعبر شيطاناً.....
٣	٤٦٩٠	غسل الجمعة واجب على كل محتلم.....	٥	٤٣٠	على كل مسلم صدقة.....

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الفصل يوم الجمعة واجب على كل محتلم.....	٣.....	٤٢٩	فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا.....	٢.....	٢٤٤
غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم.....	٣.....	٤٥٨	فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض.....	٣.....	٣٤٧
غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم.....	٣.....	٤٨٧	فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته.(من قول أنس).....	٢.....	٤٨٢
الفصل يوم الجمعة واجب.....	٣.....	٤٥٨	فإذا نسيت فذكروني.....	٢.....	٢٧٧
الفصل يوم الجمعة واجب.....	٣.....	٤٦٢	فإذا نسيت فذكروني.....	٣.....	٥٢
الفصل يوم الجمعة واجب.....	٣.....	٤٦٣	فاستن به.....	٣.....	٤٧٧
غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله.....	٤.....	٦٨	فاطمة بضعة مني.....	٩.....	١٧٢
غير ألا تطوفي بالبيت.....	٢.....	١٥٨	فاطمة بضعة مني.....	٩.....	٩
غير ألا تطوفي بالبيت، ولا بالصفاء والمروة.....	٢.....	١٨٢	فاعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك فاعني على نفسك بكثرة السجود.....	٩.....	٤٦٥
فأبصرني النبي ﷺ، فأُنزل الرداء.....	٣.....	٤٢٢	فاغسلي عنك الدم ثم صلي.....	٧.....	٣٩٥
فإنك هذا لعله نزع عرق.....	١٠.....	٩٨	فأفعل ماذا؟.....	٦.....	٢٢٩
فإنك هذا لعله نزع عرق.....	٩.....	٥٧	فاقدروا قدر الجارية الحديثة.....	٦.....	٣٨٦
فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.....	٦.....	٣٤٠	فاقرأه في سبع ولا تزدد على ذلك.....	٦.....	١١٦
فأبواه يهودانه، أو ينصرانه.....	٧.....	٤٧٥	فاقض الله، فهو أحق.....	٧.....	٦٣٤
فأت أبا بكر.....	٣.....	٩٧	فاقضوا الذي له، فإن الله.....	١٠.....	١٠٨
فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك.....	٧.....	٦٦٧	فأكون أول من بعث فإذا موسى.....	١٠.....	٣٩٦
فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين.....	١٠.....	٥٤٤	فالتسناها فوجدناها مع خزيمة..(من قول زيد بن ثابت).....	٦.....	١٧
فأجب.....	٣.....	٩٥	فأمر الرسول بها فرجا.....	١٠.....	١٣٣
فاجعل لنا يوماً تأتي إلينا...(من قول النساء للنبي ﷺ).....	٥.....	٥١	فأمر بقتل الأسرى.....	١٠.....	٣٤٢
فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره، فقال على ثوبه.....	١.....	٥٦٤	فأمر بلال أن يشفع الأذان، وأن يوتر.....	٢.....	٦١٢
فأحث في أفواههن التراب.....	٤.....	٤٧٥	فأمر لهم رسول الله ﷺ بدود وبراع.....	٧.....	٣٩٨
فأحلق رأسك.....	٥.....	٥٥٠	فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه.....	٧.....	٣٢٧
فأخذني فجعلني عن يمينه...(من قول ابن عباس).....	٣.....	١٦٢	فأمرنا رسول الله ﷺ فجعلناها عمرة.....	٥.....	٢٥٤
فأخرجني مع أخيك إلى التعميم.....	٥.....	٤٨٧	فأمرنا عند منامنا بثلاث.....	٧.....	١٧٠
فإذا اختلفتم فقوموا عنه.....	٦.....	١٢٩	فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب.....	٦.....	٤٢٥
فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله.....	٧.....	٦٦٣	فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة.....	٥.....	٣١٥
فإذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة.....	٤.....	١٣١، ١٢٨	فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة.....	١٠.....	٣٩٩
فإذا قالوها عصموا مني دماءهم.....	١.....	٢٣٧	فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له.....	٦.....	٢٧٦
			فإن أطاعوك لذلك، فلإيك وكرائم أموالهم.....	١٠.....	٣٧٩
			فإن الله أحق بالوفاء.....	١٠.....	٩٧
			فإن الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دماءكم.....	٩.....	١١١

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٢	٣٠١	فإن الله قد حرم على النار	٥	٤٢٣	فقلت لهدي النبي ﷺ - تعني القلائد -
٧	١٩٥	فإن الله لا يتعاطاه شيء أعطاه	٧	١٧٠	فذلك مائة باللسان
٧	٧٠٢	فإن الله يحب الرفق في الأمر	٩	٥١٩	فتنة الرجل في أهله وماله وولده
٣	٦٢	فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم	٦	٥٧٢	الفتنة من ها هنا
٥	٤٦٣	فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام	٩	٥١٤	الفتنة هاهنا، الفتنة هاهنا
٩	٥٠٣	فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم	١	٥١٤	فتوضأ لهم وضوء النبي ﷺ
٥	٦٣٢	فإن عمره في رمضان تقضي حجة معي	١٠	٣٥١	فجاءهما الشيطان فقال: سمياه عبد الحارث
٢	٤٦٧	فإن عن يمينه ملكًا	٥	٦١٧	فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل
٢	٢١٦	فإن كان واسعًا فالتحف به	٧	٣٢٦	فجعل خير من ملء الأرض
٧	٦٦٩	فأنزل آية الحجاب	١	٣٤	فحمي الوحي، وتتابع
١	٤٦٠	فإنك لا تدري الباء قتله أم سهمك	٤	١١١	فحينئذ يسجد لها الكفار
		فإنكم إذا قُلتُم ذلك سلمتم على كل عبد صالح	٢	٢٢٧	الفخذ عورة
١٠	٢٤٥	فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا	٦	٢٨٢	فخيرها النبي ﷺ
٧	٢٧٤	فإنها بعثت ميسرين			فدخلت فإذا النبي ﷺ على حصير قد أثر
٣	١٠١	فإنها تلعب تستأذن في السجود فيؤذن لها	٧	٥١٠	في جنبه
١٠	٣٩٣	فإنني رأيتكم أكثر أهل النار	١٠	٤٣	فدعا عليهم رسول الله ﷺ
٥	٤٩	فإنني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر	٦	٦٠٩	فدعاه رسول الله ﷺ فقرأ عليه
٩	٤٩٥	فأني يستجاب لذلك	٧	٦٤٥	فدية من صيام أو صدقة
٧	١٤٠	فأني يستجاب له	٢	١٧٠	فذلك من نقصان دينها
٦	٤٩	فأني يستجاب	٢	١٧٠	فذلك من نقصان عقلها
٧	١٤٠	فبكرًا تزوجت أم ثيبًا؟	٧	٤٠٥	فر من المجذوم فرارك من الأسد
٦	٤٦٧	فتؤذوا الأحياء	٢	٢٠٥	فرأه قد فك أزراره
٧	٤٢٠	فتان، فتان، فتان	١٠	٣٦٠	فرايت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه
٣	١٦٦	فتبعت القرآن حتى وجدت آخر سورة التوبة... (من قول زيد)	٣	٢٢٧	فرايت جهنم يحطم بعضها بعضًا حين
١٠	٣٩٤	فتفتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه	٦	١٢٠	فرايت عينيه تذرفان... (من قول ابن مسعود)
٦	٥٧١	فتدوين عليه حديثه؟ فتصدقن	٥	٣٥٠	فرج سقفي وأنا بمكة، فنزل جبريل ش
٦	٥٣٤	فتلعت قلائد هدي النبي ﷺ ثم أشعرها	٢	١٩٨	فرج عن سقف بيتي، وأنا بمكة
٤	١٣	فتلعت قلائدها من عهن... (من قول عائشة)	٤	١٨٠	الفرج يصدق ذلك أو يكذبه
٩	٦٠٧	فتلعت قلائد هدي النبي ﷺ بيدي	٦	٢٨٢	فرد نكاحها
٥	٤١٩	فتلعت قلائد هدي النبي ﷺ ثم أشعرها	٢	٢٠٠	فرض الله الصلاة حين فرضها، ركعتين
٥	٤٢١	فتلعت قلائدها من عهن... (من قول عائشة)	٥	١٤٨	فرض النبي ﷺ صدقة الفطر
٥	٤٢٣		٥	١٤٠	فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر
			٥	١٤٨	فرض رسول الله ﷺ صدقة الفطر
			٥	١٤١	فرض زكاة الفطر
			٥	١٧٩	فرضها رسول الله ﷺ لأهل نجد قرآنًا

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
فرق النبي ﷺ بينهما، والحق الولد بالمرأة	٩٠	٥٤	فلا أزال أسجد فيها	٤	١٦٩
فسكت... لما سئل عن الروح	١٠	٣٣٩	فلا بأس انفري	٥	٤٨٧
فصعد النظر إليها وصوب	٦	٢٥٣	فلا تفعل، صم وأفطر	٦	٤١٦
فصل رضاعه في الجنة	٤	٤٨٦	فلا تفعلوا، إذا أنتمم الصلاة فعليكم		
فصلوا أيها الناس في بيوتكم	٢	٣١٨	بالسكينة	٣	٤١
فصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة	٥	٥٥١	فلا صلاة إلا التي أقيمت	٣	٨٨
فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له	١٠	٣٦٠	فلا يتناجى اثنان	٧	٧٧٥
فضرب بكفه ضربة على الأرض	٢	١٩٢	فلأن أصلي في بيتي أحب إلي من أن		
فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد	٦	٥٤٠	أصلي	٢	٣١٩
الفطر أقوى لكم فأفطروا	٦	٤٧	فلان قتلك؟	٩	٢٢٩
الفطرة خمس	٧	٥٥٨، ٥٥٧	فلعل ابنك هذا نزع عرق	٩	١٩٢
الفطرة خمس	٧	٧٨١	فلعل ابنك هذا نزع	٦	٥٨٠
فطلق النبي ﷺ يلوهم حزة	٦	٥١٨	فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام	٦	٣٦٥
فعتده مسجده وطهوره	٢	١٦٥	فلولا صليت بسبح اسم ربك	٣	١٧٠
ففرض الله على أمتي خمسين صلاة	٢	١٩٩	فليتني قبلت رخصة رسول الله		
فقال أتعجبون من غيرة سعد	٩	١٩٠	ﷺ... (من قول ابن عمرو)	٦	١١٥
فقال الله: قد فعلت	١	٧٤	فليجعل في أنفه، ثم ليش	١	٤٢٢
فقام النبي ﷺ خطيباً صبيحة عشرين من			فليخلقوا حبة أو ذرة أو شعيرة	٧	٦١٩
رمضان	٣	٣٥٠	فليخلقوا ذرة أو لخلقوا حبة	٦	٦٢٨
فقام إليه النبي ﷺ بمشقص	٧	٦٧٢	فليلصركميتين، ثم ليقل	٢	٤٣٩
فقام رسول الله ﷺ فخرج، وخرجت			فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجلتنا	١٠	١٧٥
معه	٧	٦٦٩	فما رأي بعد ذلك عرياناً ﷺ	٢	٢٢١
فقد ملكتكها بما معك من القرآن	٦	٢٨٧	فما سقت	٦	١٤٨
فقمنا إلى بطحان... (من قول جابر)	٢	٥٨٤	فما من يوم أكثر عتيقاً من النار	١	١٣٢
فقولوا مثل ما يقول المؤذن	٣	٥٢٧	فمصح بوجهه ويديه، ثم رد عليه السلام	٢	١٧٥
فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله			فمصح رأسي ودعالي بالبركة	٧	٣٣٩
ﷺ	٣	١٢٥	فمصح رأسي، ودعالي بالبركة	٧	٢١١
فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة يوماً ويوم			فمن أطاع محمداً ﷺ	١٠	٥٨٠
سودة	٦	١٤٢	فمن تركها - يعني: الصلاة - فقد كفر	٢	٤٩٥
فكانت سنة المتلاعنين	٦	٥٨٣	فمن رغب عن ستي فليس مني	٦	١٣٥
فكبر ثنتين وعشرين تكبيرة	٣	٣٠	فمن رغب عن ستي فليس مني	٦	١٣٧
فكبراً ثلاثاً وثلاثين، وسبحاً	٧	١٦٨	فمن يطيع الله إذا عصيته	١٠	٤٠٠
فكلته ففني... (من قول عائشة)	٥	٣٣	فنزول النبي ﷺ إلى بطحان	٣	٥٤
فكلوا ما بقي من لحمها	٥	٥٦٨	فنزول رداءه ﷺ حتى يشاهد سلمان خاتم		
فكروا العاني وأجيبوا الداعي	٩	٦١٦	النوبة	١	٥٢٣
فكروا العاني، وأجيبوا الداعي	٦	٣٤٨	فنزول رداءه ﷺ من أجل أن يراه	٧	٢١٣

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٦	١٤٦	فنهانا عن ذلك... (أي الاختصاص)	٦	١٤٦	فنهانا عن ذلك... (أي الاختصاص)
٦	١٥٠	فنهانا عن ذلك... (أي الاختصاص)	٦	١٥٠	فنهانا عن ذلك... (أي الاختصاص)
٧	٦٥٢	فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين...	٧	٦٥٢	فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين...
٦	١٥٥	فهلأ جارية تلاعبها وتلاعبك	٦	١٥٥	فهلأ جارية تلاعبها وتلاعبك
٦	٤٦٧	فهلأ جارية تلاعبها وتلاعبك	٦	٤٦٧	فهلأ جارية تلاعبها وتلاعبك
٩	٦١٧	فهلأ جلس في بيت أبيه وأمه	٩	٦١٧	فهلأ جلس في بيت أبيه وأمه
		فهلأ جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيتك			فهلأ جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيتك
٩	٤٠٧	هديثك	٩	٤٠٧	هديثك
٩	٦٤٥	فهلأ جلست في بيت أبيك	٩	٦٤٥	فهلأ جلست في بيت أبيك
٩	٦٧٣	فهو بنيت فيها في الأجر سواء	٩	٦٧٣	فهو بنيت فيها في الأجر سواء
٧	٤٠٢	فهو بنيت فيهما في الوزر سواء	٧	٤٠٢	فهو بنيت فيهما في الوزر سواء
١٠	٥٣٨	فهو فضلي أوتي من أشياء	١٠	٥٣٨	فهو فضلي أوتي من أشياء
٥	٥١	فواعدهن، وأتى إليهن	٥	٥١	فواعدهن، وأتى إليهن
٧	٥٤٧	فوالذي نفس محمد بيده لا يغل	٧	٥٤٧	فوالذي نفس محمد بيده لا يغل
٩	٤١١	فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم	٩	٤١١	فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم
٥	٥١	فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن	٥	٥١	فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن
٥	٣١	فوعظهن، وأمرهن أن يتصدقن	٥	٣١	فوعظهن، وأمرهن أن يتصدقن
٥	٥٧٨	فويسق... (أي الوزغ)	٥	٥٧٨	فويسق... (أي الوزغ)
٦	١٥٣	في التي لم يرتع منها	٦	١٥٣	في التي لم يرتع منها
٦	٥٧١	في الجمعة ساعة لا يوافقها	٦	٥٧١	في الجمعة ساعة لا يوافقها
٧	٣٦٦	في الحبة السوداء	٧	٣٦٦	في الحبة السوداء
١٠	٤٥١	في ضحاضح من نار	١٠	٤٥١	في ضحاضح من نار
		في كل إبل سائمة من كل أربعين: ابنة			في كل إبل سائمة من كل أربعين: ابنة
٥	٥٨	لبون	٥	٥٨	لبون
٣	٢٦٣	في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا	٣	٢٦٣	في كل صلاة يقرأ، فما أسمعنا
٦	١١٦	في كم تقرأ القرآن؟	٦	١١٦	في كم تقرأ القرآن؟
١	١٣٢	في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها	١	١٣٢	في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها
٧	٢٦٧	في يوم الجمعة ساعة	٧	٢٦٧	في يوم الجمعة ساعة
		فيا ليت حظي من أربع ركعتان... (من)			فيا ليت حظي من أربع ركعتان... (من)
٥	٣٧٨	قول ابن مسعود	٥	٣٧٨	قول ابن مسعود
		فيحى الله تعالى ملك الموت وجبريل			فيحى الله تعالى ملك الموت وجبريل
٧	٤٧٦	وميكايل	٧	٤٧٦	وميكايل
٧	٤٧٤	فيشرئون يطلعون فيؤتى بالموت	٧	٤٧٤	فيشرئون يطلعون فيؤتى بالموت
٤	١٨	فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم	٤	١٨	فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم
١٠	٢٣٤	فيقضي الله ما شاء	١٠	٢٣٤	فيقضي الله ما شاء
٧	٤٨٤	فيقوم على جنازته أربعون رجلاً	٧	٤٨٤	فيقوم على جنازته أربعون رجلاً
٥		فبكر الباب أو يفتح؟... (من قول	٥		فبكر الباب أو يفتح؟... (من قول
٥	٣٤	عمر)	٥	٣٤	عمر)
٢	١٨١	فيم يختصم الملاء الأعلى؟	٢	١٨١	فيم يختصم الملاء الأعلى؟
٩	٦٥١	فما استطعتم	٩	٦٥١	فما استطعتم
٥	١٠٠	فما سقت السماء العشر	٥	١٠٠	فما سقت السماء العشر
٥	٩٧	فما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً	٥	٩٧	فما سقت السماء والعيون أو كان عثرياً
١	٤٧٧, ٣٥٧	العشر	١	٤٧٧, ٣٥٧	العشر
٣	٥٥٧	فيه الوضوء	٣	٥٥٧	فيه الوضوء
١٠	١١٢	فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم	١٠	١١٢	فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم
٢	٣٢٤	فيه غرة عبد أو أمة	٢	٣٢٤	فيه غرة عبد أو أمة
٩	٣٨٧	قاتل الله اليهود اتخذوا قبور	٩	٣٨٧	قاتل الله اليهود اتخذوا قبور
٥	٣١٤	قاتل الله اليهود لها حرمت عليهم الشحوم	٥	٣١٤	قاتل الله اليهود لها حرمت عليهم الشحوم
٩	٣٦٤	أذابوها	٩	٣٦٤	أذابوها
٥	٣١٤	قاتلهم الله، أما والله لقد علموا	٥	٣١٤	قاتلهم الله، أما والله لقد علموا
٩	٣٦٤	قال إبراهيم لامرأته: هذه أختي	٩	٣٦٤	قال إبراهيم لامرأته: هذه أختي
١	١٦٧	قال الله تعالى ما تقرب إلي عبدي	١	١٦٧	قال الله تعالى ما تقرب إلي عبدي
٥	٦١٠	قال الله تعالى: قد فعلت	٥	٦١٠	قال الله تعالى: قد فعلت
		قال الله: أعدت لعبادي الصالحين ما لا			قال الله: أعدت لعبادي الصالحين ما لا
٩	٢٩٨	عين رأيت	٩	٢٩٨	عين رأيت
٧	٥٧٣	قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله	٧	٥٧٣	قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله
		قال النبي ﷺ للمتلعين: «حسابكم			قال النبي ﷺ للمتلعين: «حسابكم
٦	٥٩١	على الله	٦	٥٩١	على الله
٥	٨	قال رجل: لأتصدقن بصدقة	٥	٨	قال رجل: لأتصدقن بصدقة
		قال سليمان بن داود عليها السلام:			قال سليمان بن داود عليها السلام:
٦	٤٦٤	«لأطوفن الليلة	٦	٤٦٤	«لأطوفن الليلة
٧	٥٤٨	قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة	٧	٥٤٨	قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة
		قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي			قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي
٦	٥١٥	وأنا ربك	٦	٥١٥	وأنا ربك
		قام النبي ﷺ يوم الفطر فصلى فبدأ			قام النبي ﷺ يوم الفطر فصلى فبدأ
٤	١٢	بالصلاة	٤	١٢	بالصلاة
٩	٢٧٩	قام إليه بمشقص أو بمشاقص	٩	٢٧٩	قام إليه بمشقص أو بمشاقص
٧	٧٨٢	قبض النبي ﷺ وأنا ختين	٧	٧٨٢	قبض النبي ﷺ وأنا ختين
٧	٤٨٥	قبض روح النبي ﷺ في هذين	٧	٤٨٥	قبض روح النبي ﷺ في هذين
٢	٢١٣	قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ	٢	٢١٣	قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ
٥	٥٤٥	قد أحصر رسول الله ﷺ فحلقت رأسه	٥	٥٤٥	قد أحصر رسول الله ﷺ فحلقت رأسه
٦	٤٦٠	قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن	٦	٤٦٠	قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
قد أذن أن تخرجن في حاجتكن	١	٤٠١	قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعاً	٥	٣٣٦
قد أريت الآن الجنة والنار	٧	٣٤٢	قدم علي النبي ﷺ نفر من عكل فأسلموا	٩	١٢٤
قد أنزل الله فيك وفي صاحبك	٦	٤٨٢	قدمت علي النبي ﷺ فأمره بالحل	٥	٢٥١
قد أنزل الله فيكم قرأتاً	١٠	٩٣	قدمني - النبي ﷺ في الثقل من جمع بليل	٥	٦١٩
قد بايعتكن	٦	٥٥٤	قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران	٦	٣٣
قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش	٤	٥٠٧	قرأ البقرة وآل عمران والنساء	٤	٥١
قد خيرني ربي	٧	٤٦٢	قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد	٤	١٥٥
قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت	٣	٢٢٧	قرأ النبي ﷺ في صلاة الليل	٣	٢٧٠
قد ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ	٣	٢٩٨	قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم		
قد رأيت الذي صنعت	٤	٢٢٥	الله	٦	١٠٧
قد رجعتا بسنة رسول الله ﷺ	٩	١٣٨	قرأت علي النبي ﷺ والنجم فلم يسجد		
قد صلي الناس واناموا	٢	٥٤١	فيها	٤	١٦٢
قد عجب الله من صنعكما الليلة	٦	٦٤٧	القرآن حجة لك أو عليك	٩	٤٢٦
قد عدت بمعاذ	٦	٤٨٠	قرني، ثم الذين يلونهم	٧	٥٧٠
قد عرفت الذي رأيت من صنعكم	٣	٢٠٥	قسم النبي ﷺ يوماً قسمه	٧	٧٧٥
قد علمتم أني أتاكم الله	١٠	١٨٥	قسمت الصلاة بيني... (قدسي)	١	٥٠٧، ٢٩
قد فعلت... (قدسي)	٥	٦١٠	القصاص	٩	٢٤٧
قد قضى الله فيك وفي امرأتك	٦	٥٨٥	القصد القصد تبلغوا	٧	٣٤١
قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيخفر له	٩	٣٥٨	قصرن عن رسول الله ﷺ بمشقص	٥	٤٥٤
قد كنت تكذب الوحي لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ	٩	٦٣٤	قضاء الله أحق	٩	٦٥٠
قد ملككها يا معك من القرآن	٧	٥٤٢	قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق	٤	٨٧
قدر خمسين أو ستين... (من قول زيد بن			قضي النبي ﷺ أن دية جنيها غرة عبد أو		
ثابت)	٢	٥٤٨	وليلة	٩	٢٨٧
قدر خمسين آية... (من قول زيد بن			قضي النبي ﷺ بالغرة عبد أو أمة	٩	٢٨٦
ثابت)	٢	٤٨٨	قضى رسول الله ﷺ في جنين امرأة من بني		
قدم النبي المدينة فأضاء منها... (من			لحيان	٩	٤٤
قول أنس)	٤	٣٩٠	قضي رسول الله ﷺ فيها بغرة عبد أو أمة	٩	٢٨٦
قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعاً	٢	٢٦٧	قضى فينا معاذ بن جبل علي عهد رسول الله		
قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعاً	٥	٣٦٤، ٣٤٤	ﷺ	٩	٤٥
قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعاً	٥	٥٢٤	قضى فيه النبي ﷺ بغرة عبد	٧	٤٢٩
قدم النبي ﷺ مكة، فطاف بالبيت، ثم			قطع النبي ﷺ في مجن ثمنه ثلاثة دراهم	٩	١١٧
صلى ركعتين	٥	٣٦٤	قطع النبي ﷺ بد سارق في مجن ثمنه ثلاثة		
قدم النبي ﷺ مكة، فطاف وسعى بين			دراهم	٩	١١٧
الصفاء والمروة	٥	٣٤٠	قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً	١٠	٢٨٦
قدم النبي ﷺ من سفر	٧	٦٢٥	قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً	٣	٣٨٦
قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى	١٠	٣٧	قل اللهم إني ظلمت نفسي	٧	١٨٤

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٣٤٣	٦	كان ابن عمر سنين مقدم رسول الله ﷺ المدينة... (أي أنس)	٥٩٧	٧	قل لا إله إلا الله كلمة أحاج
٢٣٦	٥	كان ابن عمر إذا أراد الخروج	١٠٣	٣	قل: الصلاة في الرحال
٢٦٤	٥	كان ابن عمر إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية	٥٥٠	٧	قلادة لأساء فبعث النبي ﷺ في طلبها
٢٣٣	٥	كان ابن عمر إذا صلى بالغة بذى	٤٣	١٠	قلت: قل هذا عمر بن الخطاب
١٠٨	٣	كان ابن عمر يوضع له الطعام وتقام الصلاة	٧٤٧	٧	قم أبا تراب
٣٧	٦	كان أجود بالخير من الريح المرسلة	٣٢٩	٢	قم أبا تراب، قم أبا تراب
٤٨٤	٧	كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة	٥٥٢	٣	قم فاركع ركعتين خفيفتين
٣٣٩	٧	كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يلوم	٥٥١	٣	قم فاركع ركعتين
١٢٤	١	كان إذا أخذ مضجعه نفث	٣٧٥ ٣٥٢	٢	قم فاقضه
١٧١	٧	كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ لقاءه	٥٣٣	٥	قم يا حذيفة
٩٤	٣	كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه	٧٢	٤	قم يا عباس فادع الله... (من قول عمر)
٦٠	٦	كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات	٧٢	٤	قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها
٤٩٣	٥	كان إذا أقبل بات بذى طوى	٤٧٥	٧	المساكين
١٨٢	٤	كان إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال	٤١٣	٦	قمت على باب الجنة فكان عامة
٥٣٦	٢	كان أصحاب رسول الله ﷺ ينامون ثم يصلون	٦٣	٤	قنت النبي ﷺ شهراً؛ يدعو على رعل
٣٨٦	٦	كان الحيش يلعبون بحراهم فسترني	٦٣	٤	ودكون
١٣٨	٥	كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد	٦٢	٤	قنت النبي ﷺ في الصباح
١٤٣	٣	فينا... (من قول أنس)	٦٣	٤	قنت رسول الله ﷺ بعد الركوع شهراً
٢٢٦	٤	كان الرجل يؤتى به يهادى... (من قول ابن مسعود)	٤٧٩	٤	قنت رسول الله ﷺ شهراً حين قتل
١٣٢	١٠	كان الرسول ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ	٣٠٩	٤	البراءة
٦٥٢	٧	كان الصاع على عهد النبي ﷺ مداً وثلاثاً... (من قول السائب بن يزيد)	٥٣٩	٢	قولوا كذا وكذا
٣٠٧	٣	كان الصاع على عهد النبي ﷺ... (من قول السائب بن يزيد)	٢٥٠	٣	قولوا: اللهم صل على محمد
٢٧٢	٦	كان الصاع على عهد النبي ﷺ... (من قول السائب بن يزيد)	٢٠٩	٢	قولي: السلام عليكم دار قوم مؤمنين
			٥٠٦	٩	قوم يهلون بغير هدي تعرف منهم وتنكر
			٢٥٤	٢	قوموا فلاصل لكم
			٤٣١	٣	قوموا فلاصلي بكم
			٢٩٨	٢	قوموا
			٤٣٥	١٠	قيام الساعة لا يكون إلا على شرار الخلق
			٦٣٨	٥	فيد رمح
			٩٢	١٠	كاد الخيران أن يهلكا... (من قول أبي مليكة)
			٢٢	١	كاد يرضها
			٢٣٦	٤	كان ﷺ ينام أوله، ويقوم آخره
			٦٣٧	١	كان النبي ﷺ يغتسل بالصاع
			٢٧٢	٣	كان ﷺ يوعك كما يوعك الرجلان

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كان الطلاق في عهد النبي ﷺ	٦	٥١٣	الشمس	٤	١٩٧
كان القنوت في المغرب والفجر	٣	٣١٣	كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة دعا	١	٦٣٥
كان القنوت في المغرب والفجر... (من قول أنس)	٤	٦٣	كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا	١	٤٠٦
كان الله ولم يكن شيء قبله	١٠	٣٨١	وغيلا معنا	١	٤٠٦
كان المؤذن إذا أذن قام ناس	٣	١٩	كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته	٢	٤٠٦
كان الهال للولد... (من قول ابن عباس)	٩	٤٤	كان النبي ﷺ إذا سافر فأراد أن يتطوع	٤	٦١
كان المسلمون حين قدموا المدينة... (من قول ابن عمر)	٢	٦١٠	كان النبي ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر	٤	٢٤٨
كان المشركون على منزلتين من النبي ﷺ	٦	٥٤٦	كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه	٣	٤١٠
كان المهاجرون حين قلعوا المدينة... (من قول ابن عباس)	٩	٥٣	كان النبي ﷺ إذا فاتته ركعتا الفجر	٢	٥٥٤
كان الناس يؤرمون أن يضع الرجل يده اليمنى	٣	٣٧٢	كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد	٧	١٦٠
كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة... (من قول عروة)	٥	٣٨٦	كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه	١٠	٤٢٧
كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة	١	٦٣٠	كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص	١	٦٠٨
كان النبي ﷺ إذا سكت المؤذن من الأذان لصلاة الصبح	٣	٥٥٢	كان النبي ﷺ إذا قام من الليل	٣	٤٧٥
كان النبي ﷺ في مهنة أهله	١	٥٨٢	كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق	٤	٢٢
كان النبي ﷺ يتكى في حجر عائشة	٢	٣٠	كان النبي ﷺ أشد حياة من العذراء	٢	٢١١
كان النبي ﷺ يصلي الظهر بالهجرة	٢	٥٢٩	كان النبي ﷺ شئن القدمين	٧	٥٧٠
كان النبي ﷺ يصلي العصر والشمس في حجرتها	٢	٤٤٣	كان النبي ﷺ ضخم القدمين	٧	٥٦٩
كان النبي ﷺ يصلي الهجير	٢	٥٩١	كان النبي ﷺ ضخم الكفين	٧	٥٧٠
كان النبي ﷺ يقرأ بالجمعة والمنافقين	٣	٥٠٣	كان النبي ﷺ ضخم اليدين والقدمين	٧	٥٦٩
كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة بسبح والغاشية	٣	٥٠٣	كان النبي ﷺ ضخم اليدين	٧	٥٦٩
كان النبي ﷺ يفرق بين نسائه	٢	١٥٧	كان النبي ﷺ لا يرد سائلا	١	٥٤
كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال	٧	٣٥٩	كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا	٤	٩٤
كان النبي ﷺ أجود الناس	٦	٣٧	كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلا	٣	٥٥٤
كان النبي ﷺ إذا أتاه رجل بصدقة	٧	١٩٠	كان النبي ﷺ لا يطرق أهله	٥	٥٣٥
كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب	٢	٣٧	كان النبي ﷺ متواريا بمكة	١٠	٥٤٧
كان النبي ﷺ إذا ارتحل قبل أن ترغف			كان النبي ﷺ مربوعا وقد رأيت في حلة حمراء	٧	٥١٨
			كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء راكبا وماشيا	٤	٢٩٤
			كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت	٤	٢٩٣
			كان النبي ﷺ يأخذ ثلاثة أكف	١	٦٣٤
			كان النبي ﷺ يأمر نساءه، فيتزرن		

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٢..... ١٥٣	فيأشهرهن.....	كان النبي ﷺ يصلي في السفر على راحلته	١..... ٢٠٩	كان النبي ﷺ يتحولنا.....	كان النبي ﷺ يصلي في نعليه
٩..... ٦٥٦	كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام.....	كان النبي ﷺ يصلي في مراض الغنم	٤..... ٥٤٧	كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتل أحد في ثوب واحد.....	المسجد في مراض الغنم
١..... ٢٠٩	كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتل أحد.....	كان النبي ﷺ يصلي قبل أن ينسى	٤..... ٥٥٩٠٥٥٥	كان النبي ﷺ يجمع بين المغرب والعشاء.....	كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة
٤..... ١٩٤	كان النبي ﷺ يجمع بين المغرب والعشاء.....	كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة.....	٤..... ١٩٤	كان النبي ﷺ يجمع بين رجلين من قتل أحد.....	كان النبي ﷺ يصلي وأنا إلى جنبه نائمة
٤..... ٥٦٧	كان النبي ﷺ يجمع بين صلاة المغرب والعشاء.....	كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة	٤..... ٥٦٧	كان النبي ﷺ يجمع بين صلاة المغرب والعشاء.....	كان النبي ﷺ يصلي وأنا راقدة معترضة
٢..... ٣٥	كان النبي ﷺ يحب التيمن.....	كان النبي ﷺ يطيل الصلاة في الكسوف	٢..... ٣٥	كان النبي ﷺ يحب التيمن.....	كان النبي ﷺ يعجبه التيمن
٢..... ٣٠٨	كان النبي ﷺ يحب التيمن.....	كان النبي ﷺ يطيل الصلاة في الكسوف	٢..... ٣٠٨	كان النبي ﷺ يحب التيمن.....	كان النبي ﷺ يعجبه التيمن
٧..... ٥٢٦	كان النبي ﷺ يحب الطيب.....	كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور	٧..... ٥٢٦	كان النبي ﷺ يحب الطيب.....	كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور
٣..... ٤٢٧	كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب.....	كان النبي ﷺ يعودني وأنا مريض بمكة	٣..... ٤٢٧	كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب.....	كان النبي ﷺ يعودني وأنا مريض بمكة
٧..... ٥٧٤	كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما.....	كان النبي ﷺ يعود بعضهم	٧..... ٥٧٤	كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما.....	كان النبي ﷺ يعود بعضهم
٣..... ٥٤٨	كان النبي ﷺ يخطب قائماً ثم يقعد ثم يقوم.....	كان النبي ﷺ يغتسل	٣..... ٥٤٨	كان النبي ﷺ يخطب قائماً ثم يقعد ثم يقوم.....	كان النبي ﷺ يغتسل
٣..... ٥٣٤	كان النبي ﷺ يخفف الركعتين.....	كان النبي ﷺ يغدو إلى المصلى والعزرة	٣..... ٥٣٤	كان النبي ﷺ يخفف الركعتين.....	كان النبي ﷺ يغدو إلى المصلى والعزرة
٤..... ٢٦٤	كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.....	كان النبي ﷺ يفرغ على رأسه ثلاثاً	٤..... ٢٦٤	كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.....	كان النبي ﷺ يفرغ على رأسه ثلاثاً
٣..... ٣٦	كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.....	كان النبي ﷺ يقرئ القرآن ما لم نكن جنباً	٣..... ٣٦	كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.....	كان النبي ﷺ يقرئ القرآن ما لم نكن جنباً
٣..... ٣٧	كان النبي ﷺ يسرع في ركعتي الفجر.....	كان النبي ﷺ يقرأ السجدة ونحن عنده	٣..... ٣٧	كان النبي ﷺ يسرع في ركعتي الفجر.....	كان النبي ﷺ يقرأ السجدة ونحن عنده
٤..... ٥٢	كان النبي ﷺ يصبح جنباً من جماع.....	كان النبي ﷺ يقرأ القرآن	٤..... ٥٢	كان النبي ﷺ يصبح جنباً من جماع.....	كان النبي ﷺ يقرأ القرآن
٣..... ٤٣٠	كان النبي ﷺ يصلي الصبح وأحدنا يعرف جلسه.....	كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها	٣..... ٤٣٠	كان النبي ﷺ يصلي الصبح وأحدنا يعرف جلسه.....	كان النبي ﷺ يقرأ علينا السورة فيها
٢..... ٤٨٠	كان النبي ﷺ يصلي الظهر بالهجرة.....	السجدة، فسجد.....	٢..... ٤٨٠	كان النبي ﷺ يصلي الظهر بالهجرة.....	السجدة، فسجد.....
٢..... ٥١٨	كان النبي ﷺ يصلي الظهر حين تزول الشمس.....	كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة بسبح	٢..... ٥١٨	كان النبي ﷺ يصلي الظهر حين تزول الشمس.....	كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة بسبح
٣..... ٢٦٢	كان النبي ﷺ يصلي ركعتين خفيفتين.....	كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر	٣..... ٢٦٢	كان النبي ﷺ يصلي ركعتين خفيفتين.....	كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر
٣..... ١٣	كان النبي ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت به.....	كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين	٣..... ١٣	كان النبي ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت به.....	كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين
٤..... ٦١	كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين	كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين	٤..... ٦١	كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين	كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين الأوليين

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين من	٣	٢٥٨	كان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل	١٠	٥٢٢
كان النبي ﷺ يقرأ إذا سمع الصارخ	٧	٣٣٨	كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر	٢	١٦٩
كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله			كان رسول الله ﷺ إذا ارتحل قبل أن		
طروقاً	٦	٤٦٦	تزيغ الشمس	٤	١٩٨
كان النبي ﷺ ينحر أو يذبح بالمصل	٤	١٨	كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من		
كان النبي ﷺ ينيخ بها	٥	٤٩٢	الجنابة غسل يديه	٢	٨
كان النبي ﷺ إذا عمل عملاً	١	١٢٤	كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من		
كان النبي لا يقرأ بيسم الله الرحمن			الجنابة	١	٦٤٠
الرحيم	٦	١٠٨	كان رسول الله ﷺ إذا أمرنا بالصدقة	٤	٦٣٣
كان النبي يقسم لعاشة بيومها ويوم			كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه	٧	٤٢٠
سودة	٦	٤٣٤	كان رسول الله ﷺ إذا سكك المؤذن		
كان النبي ﷺ إذا أمر أميراً	١	٨٤	بالأولى	٣	٢٠
كان النبي ﷺ يجب موافقة أهل الكتاب	١	١١٦	كان رسول الله ﷺ إذا طاف الطواف		
كان النبي ﷺ يستقبل الكعبة وبيت			الأول	٥	٣٦٣
المقدس	١	١١٨	كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده	٤	٣٨٦
كان أهل اليمن يحجون ولا يترددون	٥	١٨٠	كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل		
كان برجل جراح فقتل نفسه	٤	٥٩٠	ليصلي	٣	٥٥٣
كان بين مصلّي رسول الله ﷺ وبين			كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر	٥	٥٣٧
الجدار	٢	٤٠٢	كان رسول الله ﷺ إذا قعد في الصلاة		
كان جبريل يدارسه القرآن كل سنة في			جعل قدمه	٣	٣٧٥
رمضان	٦	١٣	كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل		
كان حقاً على كل من سمعه	٤	٣٨٥	بالوحي	٦	١٠٤
كان حقاً على كل من سمعه بيومها	٧	٥٢١	كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء	٣	٦٠٩
كان خاتم النبي ﷺ في هذه	١	٤٤٥	كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت		
كان خاتم النبي ﷺ في يده	٧	٥٤٧	المقدم ستة عشر	٢	٢٧٢
كان ذلك كمن أعتق أربع أنفس	٧	٥٥٣	كان رسول الله ﷺ قد مسح عينه	٧	٢١٧
كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في			كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر		
الجاهلية	٥	٤٩٤	يصلون العيدين	٣	٦٢٤
كان رجال يصلون مع النبي ﷺ عاقدي			كان رسول الله ﷺ يتعوذ من جهد البلاء	٧	٢٠٧
أزهرهم	٢	٢١٧	كان رسول الله ﷺ يجمع بين صلاة		
كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج	٥	١١٨	الظهر والعصر	٤	١٩٤
كان رجل ممن كان قبلكم	٧	٣٧٦	كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء	٩	٣٩٥
كان رجل يسرف على نفسه	١	٤٨٧	كان رسول الله ﷺ يحب العسل		
كان رجلاً مؤمناً يخفي إيمانه مع قوم كفار			والحلواء	٦	٤٩٨
قتلته	٩	٢١٤	كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر		
كان رسول الله ﷺ أجود الناس	١	٣٧	والأضحى	٣	٦١٦

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٧	٣٤١	عائشة).....	١	٤٠٨	كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء، فأجل أنا وغلام.....
١	٤٥٤	كان عند أم سلمة ث جلجل من فضة.....	٥	٢٦٥	كان رسول الله ﷺ يدخل من الثنية العليا.....
٧	٣٣٧	كان فراش رسول الله ﷺ من آدم.....	٤	١٩٠	كان رسول الله ﷺ يسبح على الراحلة.....
٢	٤٣٦	كان فراشي حيال مصلي النبي ﷺ.....	٢	٤٩٢	كان رسول الله ﷺ يصلي العصر والشمس مرتفعة.....
٣	١٤٨	كان فعل رسول الله ﷺ إذا قال سمع الله لمن حمده.....	٢	٤٨٨	كان رسول الله ﷺ يصلي العصر والشمس.....
١	٢٥٢	كان فيا أنزل من القرآن عشر رضعات.....	٤	٢٦٤	كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة.....
٦	٢٠٠	كان فيا أنزل من القرآن عشر رضعات.....	١	٤٢٠	كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر.....
٩	١٥٧	كان فيا أنزل من القرآن: عشر رضعات.....	٢	٢٥٢	كان رسول الله ﷺ يصلي وأنا حذاءه وأنا حائض.....
٦	٥٩	معلومات.....	١	٣٦	كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة.....
٥	٦٣٦	كان كمن أعتق أربع أنفس من بني إسماعيل.....	٤	٢٢٩	كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر.....
٧	٢٧٠	كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل.....	١	٤٢٠	كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر.....
٤	٤٤	كان كمن أعتق رقبة.....	٥	٤٢٠	كان رسول الله ﷺ يهدي من المدينة.....
٦	١٨٧	كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على.....	٤	٥٩	كان رسول الله ﷺ يوتر على البعير.....
٣	١٧٨	كان له ستائة جناح.....	٦	٤٣٩	كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من العصر.....
١٠	٦٣	كان معاذ يصلي مع النبي ﷺ، ثم يأتي قومه.....	٣	٣٠٥	كان ركوع النبي ﷺ، وسجوده.....
٧	٣٣٧	كان وقفاً عند كتاب الله... (من قول ابن عباس).....	٣	٣١٦	كان ركوع النبي ﷺ، وسجوده.....
٢	١٦٨	كان يأتي علينا الشهر مانوقد فيه نازاً.....	٦	٥٤١	كان زوج بريدة عبداً أسود... (من قول ابن عباس).....
٥	٤٣١	كان يأمرني فأترز، فيأشترني.....	٤	٦١٩	كان رسول الله ﷺ يركعه وقعوده.....
٦	٤٣١	كان يبعث يهديه من جمع من آخر... (أي ابن عمر).....	٣	٣٦٢	كان رسول الله ﷺ رجلاً.....
٢	١٦٨	كان يختم القرآن في ليلة... (أي).....	٧	٥٦٩	كان عبد الله بن عمر يجمع بين المغرب والعشاء بجمع.....
٥	٤٧٨	كان يخرج رأسه إلي، وهو معتكف.....	٥	٣٨٩	كان عبد الله بن عمر، يقدم ضعفة أهله.....
٧	١٤٥	كان يرمي الجمرة الدنيا بسمع حصيات.....	٤	٥٠	كان عمر ض يكبر في قبة بمنى.....
٥	٣٨٧	كان يستغفر الله مائة مرة.....	١	٤٠١	كان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك.....
٥	٤٨	كان يسير العتق، فإذا وجد... (من قول أسامة).....	١	٤٠١	كان عمله ديمة، وأيكمن يستطيع... (من قول نساءك).....
٤	٤٩٠	كان يصلي إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً.....			
٢	٤٩٠	كان يصلي الهجير... (من قول أبي برزة).....			
٤	٢٦٥	كان يصلي سجدتين خفيفتين بعدما يطلع الفجر.....			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٧	٤٦٤	كانوا لا يكونون ولا يسترقون	٧	٥٦٩	كان يضرب شعر النبي ﷺ منكبيه
٥	١٤٥	كانوا يخرجونها قبل العيد يوم أو يومين	٢	٣٠٧	كان يعجبه التيامن في تنعله
٥	٢٥٠	كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج	٤	٤١٦	كان يعجبه التيامن في كل شيء
٥	١٤٨	كانوا يعطون قبل الفطر يوم أو يومين			كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة
٧	٥٧٥	كأنني أنظر إلى ويصص الطيب في مفارق النبي ﷺ	٦	٣٧	كان يقتسل بالصاع إلى خمسة أمداد
٥	٢٠١	كأنني أنظر إلى ويصص الطيب في مفارق	١	٥٣٤	كان يفتح صلاة بركعتين خفيفتين
٢	٧	كأنني أنظر إلى ويصص الطيب... قول عائشة)	١	٤٩٩	كان يكبر في كل صلاة من المكتوبة
		كأنني أنظر إلى ويصص المسك في مفارق رسول الله ﷺ، وهو محرم	٣	٣١٨	كان يكون بين يدي النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة
٤	٤٢٧	كأنني أنظر إلى ويصص المسك في مفارق	٩	٥٨٢	كان يكون في مهنة أهله
٥	١٩٧	كأنني أنظر إلى ويصص المسك... (من قول عائشة)	٣	١١٤	كان يلبي الملبى لا ينكر عليه
٢	٥	كأنني أنظر إليه يتبعها في سكك المدينة	٣	٦٣٨	كان يلبي الملبى لا ينكر عليه... (من قول أنس)
٦	٥٤١	الكبار: الإشراف بالله وعقوق الوالدين	٤	٦	كان يمد مدا
٩	٢١٨	الكبار: الإشراف بالله	٦	١٠٧	كان ينحر في المنحر
٧	٥٨٦	الكبر الكبير	٥	٤٣٠	كان ينهى عن قيل وقال، وكثرة السؤال
٩	٢٧٠	كبر ثم أوما ييده إلى القوم أن اجلسوا	١٠	٦٩	كان يهل منا المهمل فلا ينكر عليه... (من قول أنس)
٣	٥١	كبر كبر	٥	٣٨٠	كان يوضع لي ولرسول الله ﷺ هذا المكن
١	٦١١	كبر كبر	١٠	١٣٨	كانت الأولى من موسى نسياناً
٩	٦٣٧	كتاب الله القصاص	٧	٥٨٤	كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي ﷺ
٩	٢٤٨	كتب له ما كان يعمل صحيحاً مقيماً	٤	٩٩	كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حشفاً... (من قول زينب)
٤	٢١٨	كخ، كخ	٦	٦١٧	كانت امرأتان معها ابناهما، جاء الذئب
٥	١٠٨	كذب أبو السنايل	٩	٨٦	كانت بنو إسرائيل يقتسلون عراً
١٠	١٧٨	كذب أبو السنايل	٢	١٥	كانت تغسل الدم عن وجهه ﷺ
٢	٢٠٦	كذب أبو السنايل	١	٥٧٣	.. (يعني: فاطمة)
٧	٢٣١	كذب أبو السنايل	٤	٢٢٨	كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة
		كذب ثلاث كذبات في ذات الله... (أي إبراهيم)			كانت فاطمة ~~تغسل~~ تغسل الدم عن وجه رسول الله ﷺ
١٠	٣١٣	كذب سعد، اليوم تعظم الكعبة	٢	٣٦٣	كانت في بني إسرائيل قصاص... (من قول ابن عباس)
٥	٥٨٧	كذب سعد، بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة	٩	٢٤١	كانت مدا
١	٢٨١	كذب من قالها إن له لأجرين	٦	١٠٧	كانت ناقة لرسول الله ﷺ تسمى العضاء
٩	٢٥٤	كذب؛ اليوم تعظم الكعبة	٧	٤٠٢	
٥	٥٨٢	كذبوا، ما بطل أجر عامر			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٦١٤..... ٩	كل مسكر حرام.....	كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على	٢١..... ٦	مسيعة.....	
٦٠٥..... ١	كل مسكر خمر وكل مسكر حرام.....	كذلك أنزلت.....	٥٤٩..... ١٠	كذلك أنزلت.....	
٣٦٥..... ٦	كل مسكر خمر.....	كذلك صنع النبي ﷺ.....	٤٢٦..... ٥	الكروسي موضع القدمين.....	
٣٨٩..... ١	كل مولود يولد على الفطرة.....	كرهت أن أذكر الله على غير طهر.....	٢٨٥..... ١٠	كرهت أن أذكر الله على غير طهر.....	
٢٤٧..... ١٠	كل مولود يولد على الفطرة.....	كساني النبي ﷺ حلة سبراء.....	٢٤٦..... ٧	كساني النبي ﷺ حلة سبراء.....	
٣٠٣..... ١٠	كل مولود يولد على الفطرة.....	كسب الحجام خيث.....	٥٠٧..... ٧	كسب الحجام خيث.....	
٥٥٩..... ٧	كل مولود يولد على الفطرة.....	كسر عظم الميت ككسره حيا.....	١٧١..... ١٠	كسر عظم الميت ككسره حيا.....	
٥٥١..... ١٠	كل ميسر لما خلق له.....	كسرت على رأس رسول الله ﷺ البيضة.....	٢٥٨..... ٩	كسرت على رأس رسول الله ﷺ البيضة.....	
٤٥٨..... ٧	كل واشرب وتصدق.....	كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ.....	٣٩٤..... ٧	كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ.....	
كلا، لو كانت كما تقول كانت فلا		يوم مات إبراهيم.....	١٢٣..... ٤	يوم مات إبراهيم.....	
جناح... (من قول عائشة).....	٥٢٤..... ٥	كف - أو أمسك -.....	١٢٠..... ٦	كف - أو أمسك -.....	
كلا كما محسن، فاقراً.....	١٣٠..... ٦	كف عليك هذا.....	٧٢..... ١٠	كف عليك هذا.....	
كلانا جنب... (من قول عائشة).....	١٦٨..... ٢	كفارة النذر إذا لم.....	٦٢٢..... ٧	كفارة النذر إذا لم.....	
كلنا يليه يمين.....	٣٤٨..... ١٠	كفر عن يمينك، وأت.....	٥٣٤..... ٧	كفر عن يمينك، وأت.....	
كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.....	٣٣٧..... ١٠	كفن النبي ﷺ في ثلاثة أثواب.....	٤٣٥..... ٤	كفن النبي ﷺ في ثلاثة أثواب.....	
كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ.....	٣٦٣..... ٦	كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب.....	٤٣٥..... ٤	كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب.....	
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.....	٥٦٤..... ٩	كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب.....	٤٣٦..... ٤	كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب.....	
كلكم راع وكلكم مسئول.....	٣٦٩..... ٦	كفونه في ثوبيه.....	٦٠١..... ٥	كفونه في ثوبيه.....	
كلكم راع وكلكم مسئول.....	٤١٦..... ٦	كفى بيارقة السيوف.....	٥١٧..... ٧	كفى بيارقة السيوف.....	
كلكم راع ومسئول عن رعيته.....	٤٥٣..... ٤	كل الليل أوتر رسول الله ﷺ.....	٥٦..... ٤	كل الليل أوتر رسول الله ﷺ.....	
الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم.....	٤٢٨..... ٧	كل أمتي يدخلون الجنة.....	٥٨..... ١٠	كل أمتي يدخلون الجنة.....	
كلمتان حبيتان إلى الرحمن.....	٥٧١..... ١٠	كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	١٧٢..... ٢	كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	
كلمتان خفيفتان على اللسان.....	٢٧١..... ٧	كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	٨١..... ٣	كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	
كلمتان خفيفتان على اللسان.....	٥٩٧..... ٧	كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	٣٧٥..... ٧	كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	
كلهم من قرش.....	٦٦٥..... ٩	كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	١٦..... ٥	كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة.....	
كلوا أو اطعموا فإنه حلال.....	٤٦..... ١٠	كل بدعة ضلالة.....	٣٦..... ٩	كل بدعة ضلالة.....	
كلوا واشربوا حتى تسمعوا.....	٢٤..... ١٠	كل بني آدم خطاء.....	٦١٧..... ٧	كل بني آدم خطاء.....	
كلوا وتزودوا.....	٤٤٦..... ٥	كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني.....	٣٠٧..... ٦	كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني.....	
كلوا.....	٥٦٦، ٥٦٥..... ٥	كل شراب أمسكر فهو حرام.....	٦٠٤..... ١	كل شراب أمسكر فهو حرام.....	
كلوا، غارت أمكم.....	٦٩٦..... ٧	كل شيء عنده باجل مسمى.....	٥٢٢..... ٧	كل شيء عنده باجل مسمى.....	
كلوه حلال.....	٥٦٧..... ٥	كل ضلالة في النار.....	٩٩..... ١	كل ضلالة في النار.....	
كم أصدقها؟.....	٣٤٥..... ٦	كل عمل ابن آدم له.....	٥٨٩..... ٧	كل عمل ابن آدم له.....	
كم اعتمر النبي ﷺ؟.....	٥٠٥..... ٥	كل فاني أناجي من لا تناجي.....	٤٢٥..... ٣	كل فاني أناجي من لا تناجي.....	
كم سقت إليها؟.....	٣١٨..... ٦	كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله.....	٥٩٢..... ١	كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله.....	
كم من كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة.....	٥١٣..... ٧				
كما أنتم.....	١٢..... ٢				

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١	٥٠٠	كنا نصلي مع النبي ﷺ المغرب، ثم نرجع إلى منازلنا.....	٧	٥١٨	كما بين المدينة وصنعاء.....
٤	٣٢١	كنا نصلي مع النبي ﷺ في شدة الحر.....	٧	٤٨٠	كما ترامون الكوكب الغارب.....
٢	٢٦٠	كنا نصلي مع النبي ﷺ فيضع أحدنا طرف الثوب.....	٣	٢٦	كما رأيتوني أصلي.....
٩	٦٢١	كانعدنا نفاقاً... (من قول ابن عمر).....	٧	٣٨٢	الكساء من المن.....
٦	٤٢٩	كنا نغزل على عهد رسول الله ﷺ.....	١٠	٤٦٨	كمر السلسلة على الصفوان.....
٦	٤٢٩	كنا نغزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل.....	٧	٢٨٨	كن في الدنيا كأنك غريب.....
٦	٤٢٩	كنا نغزل والقرآن ينزل.....	٢	٥٤٩	كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ.....
٥	١٤٤	كنا نعطيهما في زمان النبي ﷺ صاعاً... (من قول أبي سعيد).....	٣	٥٩٨	كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبחנו.....
٧	٣٥٧	كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم.....	٢	٤٨٢	كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ بالظواهر.....
٢	٢٨	كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، فنصيب من آية.....	٦	٤٩٧	كنا لا نعد الصفرة والكدره بعد الظهر شيئاً.....
٣	٣٠٤	كنا نفعله فنهينا عنه، وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب.....	٢	٢٢٣	كنا لا نعد الصفرة والكدره شيئاً.....
٥	٣٦٧	كنا نمنع عواتقنا أن يخرجن... (من قول حفصة).....	٥	٥٦٦	كنا مع النبي ﷺ بالقاحه.....
٢	٢٠٠	كنا ننهي أن نحد على ميت فوق ثلاث.....	٥	٥٦٦	كنا مع النبي ﷺ بالقاحه، ومنا المحرم.....
٦	٦٢٠	كنا ننهي أن نحد على ميت فوق ثلاث.....	١	٦٢٧	كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله ﷺ.....
٦	٦٢٠	كنا ننهي عن اتباع الجنائز.....	٣	٦٣٩	كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى نخرج البكر.....
٧	٥٨٧	كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ.....	٤	٧	كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد... (من قول أم عطية).....
٢	١٥٩	كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ، وأنا حائض.....	٥	٤٦٨	كنا نتحين، فإذا زالت الشمس رمينا.....
١٠	٤٨٤	كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ.....	٦	٣٦٨	كنا نتقي الكلام والإنسباط إلى نساءنا.....
٧	٥٨٤	كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد.....	٢٢٩	٢٢٩	كنا نحيض مع النبي ﷺ فلا يأمرنا.....
٧	٥٩٠	كنت أطيب النبي ﷺ.....	٥	١٤٢	كنا نخرج زكاة الفطر... (من قول أبي سعيد).....
١	٣٦٤	كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه.....	٥	١٤٦	كنا نخرج في عهد رسول الله ﷺ يوم الفطر.....
٥	٢٠٢	كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه.....	٥	٣٦٧	كنا نداوي الكلمى... (من قول حفصة).....
٣	٤٠٤	كنت أعرف انقضاء صلاة النبي ﷺ بالتكبير.....	٢	٤٩١	كنا نصلي العصر ثم يخرج الإنسان (من قول أنس).....
١	٦٤٠ ٦٣١	كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد.....	٢	٤٩٢	كنا نصلي المغرب مع النبي ﷺ فينصرف أحدنا.....
٢	٨	كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد.....			
		كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ... (من)			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	١٣٨	حديث عائشة).....	١٠	١٣٨	كيف تسألون أهل الكتاب... (من قول ابن عباس)
١	٥٨١	كنت أغسل الجنابة من ثوب النبي ﷺ	١	٥٨١	كيف كان رسول الله ﷺ يغسل رأسه
١	٥٨٣	كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ	٥	٦٠٤	وهو محرم؟
٥	٤٢٢	كنت أفضل القلائد للنبي ﷺ فيقلد	٥	٣٢٨	كيف يمنهم وقد طاف نساء النبي ﷺ
٥	٤٢٢	كنت أفضل قلائد الغنم للنبي ﷺ فيبعث	٧	٥٧٤	لا تزال جهنم تقول
٧	٤٨٠	كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد	٧	٦٦٧	لا تسأل الإمارة فإنك
٧	٤٨٠	نجراني	٧	٥٨٠	لا حرج
٤	٥٧٥	كنت أنا وأمي من المستضعفين... (من قول ابن عباس)	٧	٥٣٨	لا ومقلب القلوب
٢	٢٥٨	كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ	٧	٦٢٠	لا يأتي ابن آدم النذر شيء
٢	٤٢٨	ورجلاني في قبلته	٧	٥٤٦	لا يغفل أحدكم منها شيئاً
٢	٢٣١	كنت أنظر إلى علمها وأنا في الصلاة	٧	٥٦٩	لا يموت لأحد من المسلمين
٥	٣٠	كنت خلفت في البيت تبرأ	٩	٦٦١	لا أتحمّلها حيا وميتاً... (من قول عمر)
١	٤٧٧	كنت رجلاً مذاء... (من قول علي)	٩	٥٨٢	لا أجلس حتى أخله قضاء الله ورسوله ﷺ
٦	٥٢٦	قول جابر).....	٧	٥٣٣	لا أحلف على يمين... (من قول أبي بكر)
٦	٣٧١	كنت لك كأبي زرع لأم زرع	٦	٣٨	لا أزال أحبه سمعت النبي ﷺ
١٠	٤٥	كنت نهيتمكم عن الانتباذ	٩	٥٩٢	لا أشهد على جور
١٠	٥٦٤	كنت نهيتمكم عن الانتباذ	١٠	١٧١	لا أكله ولا أحرمه
٣	٤٥٩	كنت نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها	٤	٤٢	لا إلا أن تطوع
٤	٤٥٢	كنت نهيتمكم عن زيارة القبور، فزوروها	٧	٥٣٦	لا ألبسه أبداً
٧	٥١١	إياه... (من قول ابن عباس)	١٠	٥٩	لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته
٦	٢٩٧	كونوا عباد الله إخواناً	٧	٢٠٦	لا إله إلا الله العظيم الحليم
٩	١٩	كونوا عباد الله إخواناً	١٠	٤٠٠	لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله
٧	٣٩٣	حي	٧	٢٠٦	لا إله إلا الله العظيم الحليم
٦	٤٦٧	الكيس الكيس يا جابر	١٠	٣٩٥	لا إله إلا الله العظيم الحليم
١٠	٣١٩	الكيس من دان نفسه	٧	٤١٤	لا إله إلا الله إن للموت سكرات
٩	٢٣٠	كيف أفته الحروب، الهال كثير	٧	٥١٠	لا إله إلا الله ماذا أنزل الليلة من الفتنة
٦	٢٠٧	دعها عنك	٥	٥٢٨	لا إله إلا الله وحده لا شريك له
١٠	٥٢٠	قول ابن عباس)	٧	٣٥٩	لا إله إلا الله وحده لا شريك له
					لا إله إلا الله وحده لا شريك له... (في الذكر عقب الصلاة)
					لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك
					لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده
					لا إله إلا الله، وحده لا شريك له
					لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب
					لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٦	٢٩٣	لا تحقّق	٦	٤٢٤	لا إله قد لعن الموصلات
١٠	١٧	لا تحل لأحد بعدي	٧	١٩٦	لا بأس طهور إن شاء الله
٥	١٠٢	لا تحل لآل محمد إنها هي أوساخ الناس	٧	٣٣١	لا بأس طهور إن شاء الله
٧	٥٥٧	لا تحلقوا بأبائكم	١٠	٤٥٨	لا بأس عليكم طهور إن شاء الله
١٠	٣٠٩	لا تحلقوا بأبائكم، ومن كان حالفًا	٦	٤٦٣	لا تبأشر المرأة المرأة فتنتعها
٦	٤٩٦	لا تحلين لزوجك الأول حتى يذوق الآخر عسلتك	٦	٤٦٤	لا تبأشر المرأة المرأة فتنتعها
٢	٦٢٠	لا تخاف أحدًا إلا الله	٧	٦٩٨	لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام
٩	٤٥٨	لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام	٧	٧٠٠	لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام
٣	٤٩	لا تختلفوا تختلف قلوبكم	٤	٤٢٩	لا تبشرهم فيتكلموا
٤	٤٢٧	لا تخمروا رأسه	٧	٦٣٤	لا تبشرهم فيتكلموا
٩	٢٩٩	لا تخيروا بين الأنبياء	٥	١٠٣	لا تبيعوا الثمرة حتى يبدو صلاحها
١٠	٤٥٩	لا تخيروني على موسى	٤	٢٩٣	لا تتحروا طلوع الشمس ولا غروبها
٧	٤٢٣	لا تخيروني على موسى	٧	٧٧٩	لا تتركوا النار في بيوتكم
٩	٣٠١	لا تخيروني من بين الأنبياء	٧	٣١١	لا تتمنوا لقاء العدو
٢	٣٣	لا تدخل الملائكة بيتًا فيه جنب	١	٣١٠	لا تجتمع أمتي على الضلالة
٧	٦١٥	لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب	٦	٢٩٣	لا تجسوسوا ولا تحسسوا
٢	٣١٩	لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين	٩	٢٠	لا تجسوسوا
١٠	٧٠	لا تدعن أن تقول في دير كل صلاة	٦	٣٩٨	لا تجعل مصيبتنا في ديننا
١٠	١٣١	لا تلغني مع النبي ﷺ في البيت... (من قول عائشة)	٢	٣٠٩	لا تجعلوا بيوتكم قبورًا
٦	٢٨١	لا تذبحوا إلا مسنةً إلا أن يعسر عليكم	٩	١٩٥	لا تجلدوا فوق عشرة أسواط إلا في حد
٧	٣٧٦	لا تذبحوا إلا مسنةً	٤	٥٢٤	لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها
٧	٥٨٦	لا تذبحوا إلا مسنةً	١٠	٤٧٤	لا تجهز بصلاتك
٣	٦٢٧	لا تذبحوا إلا مسنةً، إلا أن تعسر	١٠	٥٢٩	لا تحاسد إلا في اثنتين
٩	٥٠٤	لا ترتكبا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	٩	٦٧٩	لا تحاسد إلا في اثنتين
٩	٣٧٢	لا ترتكبا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله	٧	٤٢٠	لا تحدث الناس بتلاعب الشيطان بك
٩	٢١٦	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	٩	٤٤٣	في منامك
٩	٢١٧	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	٥	٥٣٣	لا تحدث شيئاً
٩	٥٠٤ ٥٠٣	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	٦	٢٠٠	لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجاتان
١	٣٢٦	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	١	٢٥٢	لا تحرم المصة ولا المصتان
٥	٤٦٢	لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	٦	٢٠٣	لا تحرم المصة ولا المصتان
			٢	٥٥٢	لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها
			٩	٢٠	لا تحسسوا
			٥	٣٣	لا تحصي فيحصى الله عليكم

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٢	١٦٣	لا تصلوا إلى القبور.....	٩	٨٤	لا ترغبوا عن آبائكم.....
٤	٢٨٥	لا تصلوا إلى القبور.....	٢	٢١٧	لا ترفعن رءوسكن حتى يستوي الرجال.....
٤	٥٢١	لا تصلوا إلى القبور.....	٩	٤٩٨	لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين.....
٤	٥٤٤	لا تصلوا إلى القبور، ولا تقعدوا عليها.....	١	٣١١	لا تزال طائفة من أمتي على الحق.....
٢	٥٥٦	لا تصلوا بعد الفجر حتى تطلع الشمس.....	٥	٦٢٩	لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم.....
٦	٤٠٨	لا تصوم المرأة ويعلمها شاهد إلا بإذنه.....	٩	١٣٥	لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم.....
٩	٢٣	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم.....	٤	١٨٢	لا تسافر المرأة ثلاثاً.....
٩	١٦١	لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم.....	٤	١٨١	لا تسافر المرأة ثلاثة أيام.....
٥	١٠٥	لا تعد في صدقتك.....	٤	٢٩٤	لا تسافر المرأة يومين.....
٩	٣١٩	لا تعذبوا بعذاب الله.....	١٠	٤٤٩	لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم.....
٦	١٩٣	لا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن.....	٥	٤٩٠	لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم.....
٦	٢٣١	لا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن.....	١٠	٤٤٩	لا تسافر امرأة مسيرة ثلاثة أيام.....
٤	٥٥٨	لا تغسلوهم فإن كل جرح.....	٥	٦٣٦	لا تسافر امرأة مسيرة يومين.....
١	٧٦	لا تغضب.....	١٠	٤٤٩	لا تسافر امرأة يوماً وليلة.....
٥	٦٠١	لا تغطوا رأسه.....	٧	٥٣٤	لا تسأل الإمارة.....
٣	٧٤	لا تغليكم الأعراب على صلاتكم.....	١٠	٥٥٧	لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء.....
١٠	١٥٥	لا تفعلوا، ولكن مثلاً بمثل.....	٧	٢٢٢	لا تسألوني اليوم عن شيء إلا يئته لكم.....
١	٣٦٥	لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ.....	٩	٥١٢	لا تسألوني عن شيء إلا يئته لكم.....
١٠	٥٦٨	لا تقبل له صلاة أربعين ليلة.....	٧	٤٢٠	لا تسبوا الأموات.....
		لا تقتل نفس إلا كان على ابن آدم الأول كفل منهن.....	٩	١٠٧	لا تسبوا الأموات.....
٩	٢١٥	لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلة قبل أن تقتله.....	٣	٢٥٣	لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول.....
٩	٢١٤	لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن.....	٢	٢٦٦	لا تستقبلوا القبلة بغائط.....
١	٤٩٢	لا تقسم.....	٣	٩٦	لا تسلموا تسليم اليهود.....
٧	٥٦٧	لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله.....	٧	٦٩٨	لا تسلموا على شراب.....
٢	٣٠١	لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان.....	٦	٣٠٥	لا تشتري الصاع بالصاعين.....
٩	١٠٢	لا تقولوا: السلام على الله.....	٥	١٠٦	لا تشتري، ولا تعد في صدقتك.....
٣	٣٩٢	لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم.....	٤	٢٨٩	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.....
٤	١٠١	لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق.....	٥	٦٣٦	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.....
١	٢١٥	لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي.....	٧	٦٣٤	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.....
١٠	١١٣	لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز.....	١٠	١٥	لا تشدوا فيشد الله عليكم.....
٩	٥٣٩	لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء.....	٤	٣٨٦	لا تشربوا في آنية الذهب والفضة.....
٩	٥٣٧	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من.....	٧	٦١٥	لا تشمن ولا تستوشمن.....
			١٠	١٧٨	لا تصدقوا أهل الكتاب.....
			١٠	٥٢١	لا تصدقوا أهل الكتاب.....
			١٠	٥٤٤	لا تصدقوا أهل الكتاب.....
			٩	٣٩٠	لا تصروا الإبل.....

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
مغربها.....	٧	٤١٠	لا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم.....	٧	٢٣٧
لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب			لا تنسب المحرمة، ولا تلبس الفغازين.....	٥	٥٩٩
مروجاً.....	١	٦٦	لا تنسب المرأة.....	٧	٤٥٨
لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان دعواهما			لا تنسأ يا أخي من دعائك.....	٤	٧٣
واحدة.....	٩	٣٣٩	لا تنسأ يا أخي من دعائك.....	٩	٤٤٨
لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان.....	٩	٥٤٤	لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة.....	٧	٥١٥
لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها.....	١٠	١٢٠	لا تنظروا إلى من هو فوقكم.....	٧	٣٥١
لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت.....	٥	٢٩٨	لا تنقطع التوبة حتى تخرج الشمس.....	٥	٥٩٥
لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان.....	٩	٥٣٧	لا تنقطع التوبة حتى تطلع.....	٧	١٤٧
لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم.....	٤	١٠٢	لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة.....	١٠	٣٩١
لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال.....	٤	٦٣٠	لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة.....	٧	٤١١
لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر.....	٩	٥٣٧	لا تنكح الأم حتى تستأمر.....	٦	٢٧٨
لا تقوم الساعة وفي الأرض.....	١٠	٤٣٥	لا تنكح الأيم حتى تستأمر.....	٩	٣٩٤
لا تقوم الساعة.....	٩	١٣٣	لا تنكح البكر حتى تستأذن.....	٦	١٥٨
لا تقوموا حتى تروني وعليكم السكينة.....	٣	٥١١	لا تنكح البكر حتى تستأذن.....	٩	٣٩٤
لا تقوموا حتى تروني.....	١٠	٤٢٧	لا تواصلوا.....	١٠	٨٨
لا تقوموا كما تقوم الأعاجم.....	٧	٧١٣	لا نوعي فيوعي الله عليك.....	٥	٣٤
لا تكتبوا عني ومن كتب.....	١٠	٧٠	لا نوعي فيوعي الله عليك.....	٦	٦٤١
لا تكحل، قد كانت إحدانك.....	٦	٦١٩	لا توكي فيوكي عليك.....	٥	٣٣
لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلع			لا حرج... لمن سعى قبل الطواف.....	١	٢٤٠
النار.....	١	٢٨٤	لا حرج عليك أن تطعمهم من معروف.....	٩	٥٨٩
لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل.....	١	١٢٤	لا حسد إلا على اثنين.....	٦	٧٦
لا تكونوا عون الشيطان علي أخيكم.....	٩	١٠٦	لا حسد إلا في اثنين رجل.....	٦	٧٦
لا تلبس ثوباً مسه الزعفران.....	٥	٥٢٣	لا حسد إلا في اثنين.....	١	٢١٩
لا تلبسوا القميص، ولا العائم.....	٧	٤٧٥	لا حسد إلا في اثنين.....	١٠	١١١
لا تلبسوا القميص ولا السراويلات.....	٥	٥٩٨	لا حسد إلا في اثنين.....	١٠	١١١
لا تلبسوا القميص، والسراويل.....	٧	٤٧٦	لا حسد إلا في اثنين.....	١٠	٥٢٩
لا تلبسوا ثوباً مسه زعفران، ولا ورس.....	٥	١٩٤	لا حسد إلا في اثنين.....	٩	٥٦٩
لا تلبسوا.....	٩	٢٤٨	لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً		
لا تلعنوه.....	٩	١٠٤	فسلطه.....	٤	٦٢٠
لا تلعنوه، فوالله ما علمت إنه يحب الله			لا رضاع إلا ما أنشز العظم.....	٦	١٩٧
ورسوله.....	٩	١٠٤	لا رضاع إلا ما فثق الأمعاء.....	٣	٦٢٨
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله.....	٢	٤٦٠	لا رقية إلا في نفس.....	٧	٦١٠
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله.....	٣	٤٤٨	لا شيء أغبر من الله.....	٦	٤٤٢
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله.....	٣	٤٨٨	لا صلاة بحضرة الطعام.....	١	٥٤٦
لا تمنوا الموت.....	١٠	٥	لا صلاة بحضرة طعام.....	٢	٦١٥

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	٩٤	لا نورث ما تركنا صدقة	٣	١٩٩	لا صلاة بحضرة طعام
٩	٢٧، ٢٤، ٢٣، ٢١	لا نورث ما تركنا صدقة	٣	٢٢٢	لا صلاة بحضرة طعام
١٠	٣٩٢	لا هجرة بعد الفتح	٦	٤٠٥، ٣٢٤	لا صلاة بحضرة طعام
٧	٤٠٥	لا هجرة بعد الفتح			لا صلاة بعد صلاتين: بعد العصر حتى
٧	٤٠٦	لا هجرة بعد الفتح	٥	٦٣٦	تقرب
٥	٥٩٤	لا هجرة ولكن جهاد ونية	٤	٣٢٩	لا صلاة في حضرة طعام
٧	٥٤٢	لا والذي نفسي بيده حتى أكون	١٠	٥٣٨	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
٧	٤٥٥	لا والذي نفسي بيده رجال	٣	٣٠٩، ٢٤١	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
		لا والله لا أؤثرهم بأحد أبدًا... (من قول	٣	٢٩٥	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
١٠	١٣١	عائشة)	٤	١٥٤	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
٦	٧٠	لا وصية لوارث	٧	٦٨٩	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
١	٤٦٤	لا وضوء إلا من حدث أو ربح	٤	٥٢٩	لا صلاة لمن يقرأ بفاتحة الكتاب
١	٣٨٧	لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه	١	٣٢١	لا صلاة لمنفرد خلف الصف
١٠	٢٩٧	لا ومقلب القلوب	٣	١٩٩	لا صلاة لمنفرد خلف الصف
٧	٥٣٩	لا ومقلب القلوب	٧	٧٤٢	لا صوم فوق صوم داود
٣	٦٣٣	لا يؤذين بعضكم بعضًا في القراءة	٥	٦٣٦	لا صوم يومين: الفطر والأضحى
١	٦٢	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه	٧	٦٨٠	لا ضرر ولا ضرار
		لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب	٢	١٨٠	لا ضير - أو لا يضير - ارتحلوا
٩	٤٢٦	نفسه			لا طاعة في معصية الله، وإنما الطاعة في
١	٦٠	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	٦	٤٠٨	المعروف
٣	٣٠٨	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	١٠	٤١	لا طاعة في معصية
٦	٢٤٢	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	٧	٥٩٤	لا طلاق في إغلاق
٣	١٤٢، ١٣٥	لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه	٧	٤٢٨، ٤٢٦	لا طيرة، وخيرها الفأل
٩	١٩٨	لا يبيع بعضكم على بيع بعض	٧	٣٩٢	لا عدوى ولا صفر ولا هامة
٩	٢٤٨	لا يبقى أحد منكم إلا لا غير العباس	١٠	٩٤	لا عدوى ولا طيرة
٩	٢٤٩	لا يبقى أحد منكم إلا للد	٧	٤٢٨، ٤٢٦، ٣٨١	لا عدوى ولا طيرة
٢	٥٩٢	لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض	٧	٤٢٨	لا عدوى، ولا طيرة
٩	٢٦٢	لا يبقى منكم أحد إلا لد وأنا أنظر	٩	١٩٥	لا عقوبة فوق عشر ضربات إلا في حد
٢	٣٧٠	لا يقيين في المسجد باب إلا سد إلا	٦	٢٧٤	لا عليك أن تستأمرى أبويك
		لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا	٦	٤٩٢	لا عليك أن تستأمرى أبويك
١	٥٩٥	يجري	٩	٢٣١	لا قود إلا بالسيف
٧	٧٣٠	لا يبولن أحدكم في الماء	٦	٥٩٠	لا مال لك إن كنت صادقًا
٢	٤٦٠	لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل	٦	٦٣٥	لا مال لك، إن كنت صدقت عليها
		أصحابه	٧	٦٢٩	لا نذر في معصية
٧	٤٦٣	لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل	٩	٣٢٣	لا نستعمل على عملنا من أراده
		أصحابه	٦	٢٥٧	لا نكاح إلا بولي

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٥٧٨.....	٥	أن يسفك.....	٥٦٢.....	٢	لا يتحري أحدكم فيصلي.....
.....		لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق	٢١٠.....	٧	لا يتمنين أحدكم الموت.....
٣٥٢.....	٦	ثلاث.....	٥٣٧.....	٩	لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به.....
٤١٠.....	٦	لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها.....	٣٣٩.....	٧	لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه.....
٦٦٧.....	٧	لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه.....	٣٤٠.....	٧	لا يتمنين أحدكم الموت.....
٦٦٥.....	٧	لا يحل لمسلم أن يهجر.....	٢٩٧.....	٧	لا يتوضأ الرجل بفضل.....
٦٢٥.....	٩	لا يحلف على يمين صبر.....	٤١٨.....	١	لا يتوضأ رجل يحسن وضوءه.....
١٠٥.....	١	لا يخرج به إلا الصلاة.....	٤٢٣.....	٦	لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد.....
٤٠٣.....	١	لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم.....	١٩٣.....	٩	لا يجلد فوق عشر جلادات إلا في حد.....
٤٥٦.....	٦	لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم.....	١٩٤.....	٩	لا يجلد فوق عشر جلادات إلا في حد.....
٤٩٦.....	٧	لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار.....			لا يجمع الله عليك موتتين... (من قول
١٩٨.....	٩	لا يدخل الجنة قتات.....	٣٨٩.....	٤	أبي بكر).....
٢١٣.....	٩	لا يدخل الجنة قتات.....	٢٣١، ٢١٧.....	٦	لا يجمع بين المرأة وعمتها.....
٥٤٦.....	٤	لا يدخل القبر أحد قارف أهله البارحة.....	٢٧٧.....	٧	لا يهجر بعضكم على بعض في القراءة.....
٤٠٧.....	٧	لا يدخل المدينة المسيح.....	٣١٤.....	٣	لا يهجر بعضكم على بعض.....
٦٦٥.....	٥	لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال.....	٢٢٦.....	٢	لا يحج بعد العام مشرك.....
٥٤٦.....	٩	لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال.....	٢٩٣.....	٦	لا يحدثني أحد منكم عن أحد شيئاً.....
٥٤٦.....	٩	لا يدخل المدينة رعب المسيح.....	٣٤٤.....	٩	لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث.....
٥٥٥.....	٧	لا يدخلن هؤلاء عليكن.....	٢٣١.....	٩	لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله.....
٤٥٩.....	٦	لا يدخلن هذا عليكن.....	٢٣٧.....	٩	لا يحل دم امرئ مسلم.....
٨٠.....	٩	لا يرث المسلم الكافر.....			لا يحل لأحد بعد الأجل إلا أن
٨٣.....	٩	لا يرث المسلم الكافر.....	٥٥٦.....	٦	يمسك... (من قول ابن عمر).....
٣٢١.....	٧	لا يرحم الله من عباده إلا الرءاء.....			لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر
٢١٣.....	١٠	لا يرحم الله من لا يرحم الناس.....	٤٤٨.....	٤	أن تحد.....
٤٥٤.....	١٠	لا يرد القدر إلا الدعاء.....			لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر
٧٥.....	١٠	لا يرد القضاء إلا الدعاء.....	٤٤٨.....	٤	تحد على ميت.....
٤٦٦، ٣٥٦.....	٧	لا يرقون.....	٦١٦.....	٦	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.....
٥٥٨.....	٣	لا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة.....	٦١٦.....	٦	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.....
.....		لا يزال العبد في صلاة ما كان في	٦٢١.....	٦	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.....
٤٧٥.....	١	المسجد ينتظر.....	٦٢٤.....	٦	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.....
٤٨.....	٩	لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر.....	٣٨٠.....	٧	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.....
١٠٤.....	١٠	لا يزال طائفة من أمتي.....	١٨٢.....	٤	لا يحل لامرأة تؤمن بالله.....
٢٩٢.....	٧	لا يزال قلب الكبير شاباً.....	٣١٥.....	٦	لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها.....
٤٣٥.....	١٠	لا يزال من أمتي أمة قائمة.....			لا يحل لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم
٤٣٥.....	١٠	لا يزال من أمتي قوم.....	٦٢٠.....	٦	الآخر.....
٥٦٥.....	٩	لا يزال هذا الأمر في قرين ما بقي منهم اثنان.....			لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	٢٦٦	لا يزال يلقى فيها، وتقول: هل من مزيد؟	٩	١٣٦، ١٠٦، ٩٥	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
٤	٣٧٨	لا يزني الزاني حين يزني، وهو مؤمن	٢	٤٩٦	لا يزني الزاني، وهو مؤمن
٩	١٣٥	لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن	١٠	٧٧	لا يسألني أحد عن شيء
٧	٦٣٨	لا يستلقين أحدكم	٧	٧٦٩	لا يستلقين أحدكم
٩	٥٠٢	لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح	٢	٢١٥	لا يصلي أحدكم في الثوب
٣	٥٩٤	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٣	٥٩٤	لا يصلين أحد العصر
١	٢٥٣	لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة	٧	٣٤٧	لا يصيب الإنسان من أذى ولا هم
٩	٢٤٠	لا يعضد شجرها، ولا يقطع شوكها	١٠	٢٣٧	لا يعلم الغيب إلا الله
٦	٢٩٥	لا يفرك مؤمن مؤمنة	٧	٣٨٥	لا يفرك مؤمن مؤمنة
٩	٣٧٤	لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ	١	٥٠٣	لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث
١	٥٥٠	لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث	١	٤٩٠ ٣٦٥	لا يقبل الله صلاة غير طهور
١	٣٦٦	لا يقبل الله صلاة من شرب الخمر	٩	٢٦	لا يقتل المسلم بكافر
١٠	٩٠	لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً	٩	٢٣٢	لا يقتل المسلم بكافر
٩	٢٦	لا يقتل المسلم بكافر	٩	٢٣٢	لا يقتل المسلم بكافر
٩	٢٨٣	لا يقتل والد بالولد	٩	٢٢٧	لا يقتل والد بالولد
٩	٢٢٧	لا يقتل المسلم بكافر	٩	٢٢٧	لا يقتل والد بالولد
١٠	٥٤٨	لا يقرأ الجنب	١	٤٧٥	لا يقرين مساجدنا
٣	٢٤٧	لا يقض القاضي وهو غضبان			
١	٢٦١	لا يقضي القاضي وهو غضبان	٩	٥٨٤	لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان
٩	٤٦١	لا يقول أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت	١٠	٤٥٣	لا يقول أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت
١٠	١٤٩	لا يقول أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت	١	١٩٥	لا يقول أحدكم: اللهم اغفر لي
٧	٧٣٠	لا يقيم الرجل الرجل	٧	٦٦٤	لا يكيد أهل المدينة أحد
٧	٤٩٦	لا يلبس الحرير في الدنيا	٥	٢٠٦	لا يلبس القمص ولا العمام
٥	٢٢٤	لا يلبس القميص ولا السراويل	٧	٤٥٧	لا يلبس القميص ولا السراويل
٧	٣٦٠	لا يلبس القميص ولا العمام	١	٦٠٥	لا يلبس القميص، ولا العمام
٥	٤٥٦	لا يلبس المحرم القميص	٧	٤٧٦	لا يلبس المحرم القميص
٦	٦٨	لا يمس القرآن إلا طاهر	٦	٤١٣	لا يمسن أحدكم ذكره يمينه، وهو يبول
١	١٢٤	لا يعمل الله حتى تملوا	١	٦٢٨	لا يعمل الله حتى تملوا
٤	٣٨٧	لا يمنع فضل الماء ليمنع به فضل الكلاء	٩	٥٧٣	لا يمنعن أحدًا منكم نداء بلال
٩	٣٢	لا يمنعن أحدكم أذان بلال	١٠	١٦	لا يمنعن أحدكم أو أحدًا منكم
٣	٧٢	لا يمنعنكم من سحورك أذان بلال	٩	١٢	لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد، فيلج النار
٣	٤٠٩	لا يموتن أحدكم إلا وهو	٧	٣٤٤	لا ينبغي لأحد من أهل النار
٧	٤٦٦	لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس	١٠	٥٤٠	لا ينبغي للإنسان أن يقرأ... (من قول ابن عباس)
١٠	١٨١	لا ينبغي لنبي يلبس	١٠	١٨٨	لا ينبغي هذا للمتقين
١٠	٢٣٦	لا ينبغي هذا للمتقين			

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لا ينبغي هذا للمتقين.....	٧.....	٤٧١	لأبعث إليكم رجلاً أميناً حق أمين.....	١٠.....	٣٩
لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً.....	١.....	٤٦٧	لأنهما ولو حبواً.....	٢.....	٦٤٠
لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً.....	٢.....	٢٣	لأجل أن تستحد المغيبة، وتمشط الشعثة.....	٥.....	٥٣٦
لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً.....	١.....	٤٧٦	لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب.....	٩.....	٥٥٩٠٤٩٦
لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء.....	٧.....	٤٤٦	لأخرجن اليهود والنصارى لإرجاع القائم، وإيقاظ النائم.....	٢.....	٥٩٩٠
لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً.....	٧.....	٤٥٠	لأطوفن الليلة على تسعين امرأة.....	٣.....	٣٦٠
لا يقتل أو لا ينصرف حتى يسمع لا ينفع ذا الجند منك الجد.....	١.....	٣٧٢	لأطوفن الليلة على نسائي.....	٤.....	٥٦٣
لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب.....	١٠.....	٦٩	لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله.....	١.....	٤٥٧
لا، الثالث والثلاثين.....	٩.....	٢٣٨	لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله.....	١.....	٣٣٠
لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له.....	٧.....	٤٠٢	لاعن النبي ﷺ بين رجل وامرأة من الأنصار.....	١.....	٨١
لا... (في الكحل للمحلاة).....	٦.....	٦٢٠	لأقربن صلاة النبي ﷺ.....	٦.....	٥٩٢
لا... (لما سئل عن الكحل للمرأة وقت الإحدا).....	٢.....	٢٠٢	لأقربن صلاة النبي ﷺ.....	٣.....	٣١٣
لا، لما سأله عمر عن تطليق نسائه.....	١.....	٢٥٥	لأقربن صلاة النبي ﷺ..... (من قول أبي هريرة).....	٣.....	٣١٣
لا، إلا بالمعروف.....	٧.....	٥٥١	لأقضي بينكما بكتاب الله.....	١٠.....	٥٨
لا، إلا أن تطوع.....	١.....	١٣٣	لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو.....	٩.....	٦٤١
لا، إلا أن تطوع.....	٤.....	١٢٢	لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة.....	٥.....	٩٢
لا، إن ذلك عرق.....	١.....	٣٧٤	لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً.....	٥.....	٨٤
لا، إن ذلك عرق، ولكن دعي الصلاة.....	٢.....	٢٣٤	لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً.....	٧.....	٥٩٨
لا، إنما ذلك عرق، وليس بحيض.....	١.....	٥٧١	لأنك تنكح اللعنة، وتكفرن العشير.....	٦.....	٤١٣
لا، إنما هو بضعة منك.....	٢.....	١١	لأنه إنما تركها من جرأتي.....	٧.....	٣٨٧
لا، إنه قد لعن الموصلات.....	٦.....	٤٢٤	لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن.....	٦.....	٥
لا، بل شربت عسلاً عند زينب.....	٦.....	٤٩٧	لبسها النبي ﷺ محتاجاً إليها.....	٤.....	٤٤١
لا، بل يكسر... (من قول حذيفة).....	٥.....	٣٤	ليك اللهم ليك.....	٧.....	٥٧٣
لا، حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك.....	٦.....	٥٩٤	ليك اللهم ليك، ليك لا شريك.....	٥.....	٢٣٠
لا، حتى يذوق عسيلتها كما ذاق الأول.....	٦.....	٤٨٥	ليك إن العيش عيش الآخرة.....	٥.....	٥٣٢
لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه.....	٤.....	٢٤١	ليك إن العيش عيش الآخرة.....	٧.....	٢٨٥
لا، هو حرام.....	٥.....	١١٠	ليك عمرة وحجة.....	٥.....	٥٠٢
لا، والذي نفسي بيده رجال.....	٧.....	٢٠٩	لنأخذوا عني مناسككم.....	١.....	٣٣٨
لا، ولكن أليت منهم شهراً.....	٦.....	٤٢٢	لتبعن سنن من كان قبلكم.....	١٠.....	١١٣
لا،... فما زلت أعرفها في لهوات الرسول.....	١.....	١٠٩			

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لتبعن سنن من كان قبلكم	٣	٣٨٥	لعن الله الواشيات والمستوشيات...		
لتبعن سنن من كان قبلكم	٥	٦٢٧	(من قول ابن مسعود).....	٧	٦٠٤
لتبعن سنن من كان قبلكم	٩	١٣٤	لعن الله الواشيات والمستوشيات... من		
لتبعن سنن من كان قبلكم؛ اليهود			قول (عبد الله).....	٧	٦١٥
والتصارى	٤	٤٧٠	لعن الله الواشيات، والمستوشيات..		
لتخرج العواتق ذوات الخدور	٥	٣٦٧	(من قول عبد الله).....	٧	٥٩٢
لتركن سنن من كان قبلكم	١	١٥٩	لعن الله الواصلة والمستوصلة.....	٧	٥٩٦، ٥٩٧
لتركن سنن من كان قبلنا	٢	٦٢٠	لعن الله الواصلة والمستوصلة.....	٧	٦٠٣
لتسبون صفوفكم، أو ليخالفن	٣	١٨٧	لعن الله اليهود والنصارى.....	٤	٥٢٤
لتقوم الساعة وقد انصرف	٧	٤١٦	لعن الله من أرى محدثاً.....	١	٣٦٦
لتلبسها صاحبها من جلبابها	٢	٢٠٧	لعن الله من جلس وسط الحلقة.....	٩	١٩٠
لتلبسها صاحبها من جلبابها	٢	٢٣٠	لعن النبي ﷺ زائرات القبور.....	٢	٢٠٩
لتلبسها صاحبها من جلبابها	٤	١٦	لعن النبي ﷺ المتشبهات من النساء		
لتلبسها صاحبها من جلبابها، ولتشهد			بالرجال.....	١	٥٥١
الخير	٥	٣٦٧	لعن النبي ﷺ المحلل والمحلل له.....	٩	٣٧٣
لتمش ولتركب	٥	٦٤٣	لعن النبي ﷺ المعختين من الرجال.....	٩	١٧٨
لجميع أمتي كلهم	٢	٤٥٢	لعن النبي ﷺ المعختين.....	٧	٥٥٤
الحد لنا والشق لغيرنا	٤	٥٦٨	لعن النبي ﷺ الواصلة والمستوصلة.....	٧	٥٩٧
لخلف فم الصائم أطيب	١٠	٤٧٦	لعن النبي ﷺ الواصلة.....	٧	٦٠٣
لست أنا أحلحكم	١٠	٥٦٢	لعن النبي ﷺ زائرات القبور.....	٤	٤١١
لست لك بمخلية... (من قول أم حبيبة)	٦	٢٢٩	لعن النبي ﷺ: الواشمة، والمستوشمة.....	٦	٦٢٦
لست ممن يصنعه خيلاء	٧	٤٤٧	لعن النبي ﷺ: الواصلة والمستوصلة.....	٧	٦١٥
لعل الله أن يبارك لكم في ليلتكما	٤	٤٨٠	لعن رسول الله ﷺ المتشبهين.....	٧	٥٥٣
لعلك أذاك هو أمك؟	٥	٥٤٨	لعن زائرات القبور.....	٣	٤٥٩
لعلك أردت الحج	٦	١٧١	لعن زائرات القبور.....	٥	٤٤٣
لعلك بلغت معهم الكدى	٤	٤٤٦	لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا		
لعلك تريدن أن ترجعي إلى رفاعه	٦	٤٨٤	قبور.....	٤	٥٤٣
لعلك تريدن أن ترجعي إلى رفاعه	٧	٤٥٤	لعنة الله على اليهود والنصارى.....	٢	٣٢٣
لعلك قبلت أو غمرت أو نظرت	٩	١٥٤	لعنة الله على اليهود والنصارى.....	٢	٥٨٥
لعلك نفست	٢	١٦٤	لعنة الله على اليهود والنصارى.....	٧	٤٨٥
لعلنا أعجلناك	١	٤٧٩	لعنة الله على اليهود والنصارى.....	٧	٧٠٤، ٧٠٣
لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة	٧	٤٨٦	لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا		
لعله يخفف عنها ما لم ييسا	١	٥٥٩	قبور.....	٤	٥٢٠
لعلها تجسنا، ألم تكن طاقت معكن؟	٢	٢٣٨	لغوة في سبيل الله وروحه.....	٧	٢٨٧
لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا	١	٢٣٨	لقد أمر أمر ابن أبي كيشة.....	١	٣٣٢
لعن الله السارق يسرق البيضة تنقطع يده	٩	١١٨٠، ١٠٦	لقد أمره ربه أن يسرها.....	١٠	٤٧٠

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٥	٣٠٠	لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء	٦	٥٥	لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب
١	٢٦٥	لك الأجر مرتين	٦	١١٠	لقد أوتيت مزارًا من مزامير داود
١٠	٢٥٧	لك ذلك وعشرة أمثاله... (قدسي)	٤	١٣٨	لقد أوحى إلي أنكم تقتنون في القبور
٥	١٠	لك ما نويت يا يزيد	٦	٣٥	لقد تعلمت النظائر
١٠	٣٩	لكل أمة أمين			لقد توفي النبي ﷺ وما في رفي... (من قول عائشة)
٧	٤٠١	لكل أمة أمين	٧	٣٢٩	لقد جعلتمونا كلابًا... (من قول عائشة)
١٠	٥٤٠	لكل عمل كفارة	٢	٤٢٦	لقد حكمت بما حكم به الملك
٩	٣٩٢	لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به	٧	٧١٢	لقد خشيت أن يطول بالناس زمان... (من قول عمر)
٧	٣٧٦	لكل مسكين نصف صاع	٩	١٥٦	لقد خشيت أن يكون قد عجلت... (من قول ابن عوف)
١٠	٤٢	لكل نبي حواري وحواري الزبير	٤	٤٣٨	لقد خشيت علي نفسي
٩	١٧٤	لكل نبي حواري، وإن حواري الزبير	٧	٣٧٣	لقد ذكرني هذا صلاة محمد ﷺ
١٠	٤٦٠	لكل نبي دعوة	٣	٣٦٩	لقد رأيت الآن الجنة والنار
٧	١٣٧	لكل نبي دعوة			لقد رأيت الذين عد رسول ﷺ صرعى في القلب
٧	١٣٧	لكل نبي سأل	١	٥٩٨	لقد رأيت النبي ﷺ كثيرًا ينصرف عن يساره
٥	٦٢٣	لكن أحسن الجهاد وأجمله	٣	٤١٠	لقد رأيت النبي ﷺ كثيرًا ينصرف عن يساره
٦	٢٤٧	لكن الله لا يستحي من الحق			لقد رأيتني مضطجعة على السرير فيجيء النبي ﷺ
٩	٥١١	لكن رسول الله ﷺ أنذني في البدو	٢	٤١٩	لقد رأيتني وإن عمر موقفي... (من قول سعيد بن زيد)
٦	١٣٧	لكنني أصلي وأنام، وأصوم، وأفطر	٩	٣٥٧	لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني
٦	٤٦٨، ١٥٥	لكي تمتشط الشعنة، وتستحد المغيبة	٧	٤٩٦	لقد عدت بعظيم، الحق بأهلك
٩	٤٧	للأبنة النصف ولأبنة الابن السلس	٦	٤٨٠	لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهما
١٠	٤٧٦	للصائم فرحتان	٣	٢٨٥	لقد فرطنا في قراريط كثيرة... (من قول ابن عمر)
٧	١٤٦	لله أفرح بتوبة عبده من رجل	٤	٥١٦	لقد كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر
٧	٢٧٩	لله تسعة وتسعون اسمًا	٢	٢٣٠	لقد كانت إحدانكم تمكث في بيتها
٣	٤٨٨	لله تعالى على كل مسلم حق أن يغتسل	٧	٣٨٠	لقد كنت أنشد فيه... (قول حسان لعمر)
١٠	٤٦٩	لله أشد أذى إلى الرجل	٢	٣٤٦	لقد نزلنا معه هاهنا، ونحن يومئذ خفاف
١	١٣٧	لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة			
٥	٣٢٢	لم أر النبي ﷺ يستلم من البيت إلا الركنين			
١	٤٣٥	لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليايين			
٧	٥٢٥	لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليايين			
٧	٥٢٥	لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تنبعث به راحلته			
١	٥٠٨	لم أر منظرًا أفظع منه			
٦	٣٨٧	لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب... (من قول ابن عباس)			
١٠	٢٤	لم أنس ولم تقصر			

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
		لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي ﷺ	٣٨٩	٢	لم أنس ولم تقصر
٣٦٤	٦	لما قدم النبي ﷺ مكة استقبلته أغيلمة	٣٥٧	٤	لم أنس ولم تقصر
٥٣٤	٥	لما قدم النبي ﷺ مكة	٤٩٢	٧	لم تحلي له حتى يذوق من عسيلتك
٤٥٨	٥	لما قدم النبي ﷺ مكة			لم تقطع يد سارق علي عهد النبي ﷺ في أدني
٦٣٢	٧	لما قدم النبي ﷺ مكة	١١٧	٩	من ثمن
		لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر			لم تكن تقطع يد السارق في أدني من حجة أو
٦٧٠	٥	لما قدم علي النبي ﷺ وفديني تميم	١١٦	٩	ترس
٩٢	١٠	لما قدم علي النبي ﷺ وفديني تميم	٤٦٨	١٠	لم تكن قبيلة من الجن
٩٣	١٠	لما قضى الله الخلق كعب عنده فوق عرشه	٧٣	٦	لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي
٤٢٧	١٠	لما قضى الله الخلق	٣٢٩	٧	لم يأكل النبي ﷺ على خوان
٥٥٣	١٠	لما كان يوم أحد هزم المشركون... (من قول عائشة)	٤١٨	٩	لم يبق من النبوة إلا المبشرات
٢٥١	٩	لما نزل جبريل بالوحي	٥٦٥	٧	لم يبلغ النبي ﷺ ما يخضب
٤٦٨	١٠	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	١٠٣	١٠	لم يبلغوا الحلم
٦٣٢	٤	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)			لم يزل النبي ﷺ يلي حتى رمى جرة العقبة
	٣	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٢٢٣	٥	لم يصل رسول الله ﷺ صلاة الليل قاعدًا
٤١١	٢	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٢٠٧	٤	قط
٣٤٥	٧	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٤١٤	٧	لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة
٣٣	٩	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	١٦٣	٦	لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات
٣٤٠	٣	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)			لم يكن الرسول يصوم يوم الأضحى... (من قول ابن عمر)
٨٠	١٠	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٦٣٩	٧	لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل
٤٤٩	٩	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٦٢٠	٣	لم يكن يؤذن يوم الفطر
٣٤٠	٧	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٥٦	٦	لم ينشب ورقة أن توفي
٢١٢	٩	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	١٢٤	٣	لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه
٥٢٤	٩	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)			لما بنيت الكعبة ذهب النبي وعباس
٢٠٨	٧	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٢٧٤	٥	ينقلان الحجارة
٣٣٩	٧	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٦٧٠	٧	لما تزوج النبي ﷺ زينب دخل القوم
٢٩٤	٧	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)			لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش
١٥	٢	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٧٣٤	٧	لما ثقل النبي ﷺ واشتد وجعه
٣٤٥	٧	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٩١	٣	لما خلق الله الخلق كتب في كتابه
٥٠٣	٧	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٣١٨	١٠	لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه
١٥٠	٧	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٢٦٩	٢	كلها
٥٩٧	٣	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)			لما دعا أو أراد أن يدعو مستقبل القبلة، وحول رداءه
٤٠٨	٥	لما نزلت آية الصدقة... (من قول أبي مسعود)	٩٢	٤	

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
الله أكبر	٣	٥٩٨	اللهم اغفر لعبيد أبي عامر	٧	٢٤٥ ٩٨٩
الله أكبر، إني ألسن	١	٢٥٦	اللهم اغفر للمحلقين	٥	٤٥٣
الله أكبر، خربت خيبر	٢	٢٢٨	اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وظلمنا وهزلنا		
الله الواحد الصمد ثلث القرآن	٦	٥٩	وجدنا	٤	٨٧
الله يعلم أن أحدكم كاذب فهل منكم			اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه	٤	٥٥٢
تائب؟	٦	٦٣١	اللهم اغفر له، اللهم ارحمه	٢	٣٣٥
الله يعلم أن أحدكم كاذب	٦	٥٩٠	اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي	٧	٢٦٦
الله يعلم أن أحدكم كاذب، فهل منكم			اللهم اغفر لي ذنبي كله	٧	٦١٨
تائب؟	٦	٥٩٠	اللهم اغفر لي وارحمني	٧	٣٤٠
اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد	٩	٦٣٠	اللهم اغفر لي	٧	١٦٤
اللهم اجعل بالمدينة ضعفي	٥	٦٦٩	اللهم اغفر لي ذنبي كله	٧	١٩٤
اللهم اجعل في عظامي نورًا	٧	١٥٩	اللهم أكثر ماله وولده	٧	٢٤٢، ١٩١
اللهم اجعل في قلبي نورًا	٧	١٥٥	اللهم أكثر ماله وولده	٧	٢٤٢
اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا	٤	٩٩	اللهم أكثر ماله وولده، وأطل عمره	٩	٢٩٠
اللهم اجعلها سنين كسني يوسف	٤	٦٨	اللهم أكثر ماله	٧	٢٠٤
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف	٤	٨٤	اللهم الرفيق الأعلى	٧	٢٠٨
اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي	٧	٢١٠	اللهم الرفيق الأعلى	٧	٤١٣
اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي	٧	٣٤٠	اللهم العن شبيهة بن ربيعة	٥	٦٧٠
اللهم ارحم المحلقين	٥	٤٥٢	اللهم العن فلانًا، وفلانًا وفلانًا	٩	١٠٧
اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا			اللهم العن فلانًا وفلانًا	٧	٢٥٩
(الأعرابي)	١	٥٦٣	اللهم أمض لأصحابي هجرتهم	٤	٤٧١
اللهم ارزق آل محمد قوتًا	٧	٣٣٧	اللهم أمض لأصحابي هجرتهم	٧	٢٣٩
اللهم ارزقني شهادةً في سبيلك	٥	٦٧٠	اللهم إن الخير خير الآخرة	٩	٦٥٠
اللهم اسقنا	٤	٨٨	اللهم إن كان لي عندك خير .. (من قول ابن عمر)	٩	٤٦٦
اللهم اسقنا، اللهم اسقنا	٤	٧٦	اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا		
اللهم أسلمت نفسي إليك	٧	١٥٤	فتسقين .. (من قول عمر)	٤	٧٢
اللهم اشدد وطأتك على مضر	٣	٣١٨	اللهم إنا نتوسل إليك بنبينا .. (من قول عمر)		
اللهم اشدد وطأتك على مضر	٤	٦٨	اللهم أنت الأول فليس قبلك	١٠	٨١
اللهم اشف سعدًا	٧	٣٤٩	اللهم أنت السلام، ومنك السلام	٣	٤١٠
اللهم أشهد	٦	١٢٠	اللهم أنت عبيدي وأنا ربك	٧	١٤٩
اللهم أطل عمره، وأكثر ماله	٦	٣٣٢	اللهم أنت عبيدي	٧	٣٧٦
اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف	٧٠	٢٥٩	اللهم أنتم من أحب الناس إلي	٦	٣٥٨
اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا	٤	٧٨	اللهم أنج الوليد بن الوليد	٣	٣١٨
اللهم أغثنا	٧٠	١٩٨	اللهم أنج عياش ابن أبي ربيعة	٤	٦٨
اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في					
المهديين	٢	٦٣٨			

الصفحة	الجزء	طرق الحديث	الصفحة	الجزء	طرق الحديث
١٨٥.....	٧	اللهم بعلمك الغيب.....	٣٥٣.....	٩	اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة.....
٥٩٣، ٥٨٨.....	٦	اللهم بين.....	٢٦١.....	٧	اللهم أنج عياش.....
٢٠٠.....	٩	اللهم بين.....	١٩٧.....	٧	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد.....
٢٧٠.....	٩	لهم تأتون بالبيئة علي من قتله.....	٢٠١.....	٧	اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد.....
١٩١، ١٩٠.....	٧	اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًا.....	٥٥١.....	٧	اللهم إني أحبه فأحبه.....
		اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو.....	٢٢٤.....	٧	اللهم إني أحرم ما بين جليلها.....
٦٧٠.....	٥	أشد.....	٩٩.....	٤	اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها.....
٣٥١، ٣١٩.....	٧	اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة.....	٢٥٣.....	٤	اللهم إني أستخيرك بعلمك.....
٢٣٥.....	٧	اللهم حبب إلينا المدينة.....	٢٥٣، ٢٣٤، ٢٢٧.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من البخل.....
		اللهم حبب إلينا المدينة... وانقل حماها.....	٢٤٠.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من الجبن.....
٣٥٩.....	١	إلى الجحفة.....	٣٩٠.....	١	اللهم إني أعوذ بك من الخبث.....
٥٥٤.....	٣	اللهم حوالينا ولا علينا.....	١٨٢.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من الخبث.....
٩٦، ٨٨، ٨٢، ٧٩.....	٤	اللهم حوالينا ولا علينا.....	٢٣٢.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من العجز.....
٢٠٤.....	٧	اللهم حوالينا ولا علينا.....	٢٤٠، ٢٣٢.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من الكسل.....
		اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على.....	٢٣٤.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من الكسل.....
٧٦.....	٤	الأكام والجبال.....	٢٢٤.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن.....
		اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على.....	٢٣٤.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من الهم.....
٧٨.....	٤	الأكام.....	٣٨١.....	٣	اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر.....
١٩٨.....	٧	اللهم حوالينا.....	٢٤١.....	٧	اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار.....
٤١٧.....	٧	اللهم رب الناس مذهب الباس.....	٢٢٢.....	٧	اللهم إني أعوذ من عذاب جهنم.....
٢٥٢.....	٧	اللهم ربنا آتني الدنيا حسنة.....	١٨١.....	٧	اللهم إني ظلمت نفسي.....
		اللهم ربنا لك الحمد، أنت قيم السموات.....	٢٦٥.....	٧	اللهم أهددوسًا وأت بهم.....
٤١١.....	١٠	والأرض.....			اللهم أيده بروح القدس... (لحسن بن ثابت)
١٤٤.....	١٠	اللهم ربنا ولك الحمد في.....	٣٤٥.....	٢	اللهم بارك لأمتي في بكورها.....
٧٠.....	٤	اللهم سبع كسيع يوسف.....	٣٠٤.....	٢	اللهم بارك لنا في شامنا.....
٢٤٣.....	١٠	اللهم سلم اللهم سلم.....	٥١٥.....	٩	اللهم بارك لنا في شامنا، وفي يمننا.....
١٢٠.....	٥	اللهم صل على آل أبي أوفى.....	١١٠.....	٤	اللهم بارك لنا في شامنا، وفي يمننا.....
٢١٩.....	٧	اللهم صل على آل أبي أوفى.....	١٣٢.....	١٠	اللهم بارك لهم في مكيالهم.....
١٢٠.....	٥	اللهم صل على آل فلان.....	٦٥٣.....	٧	اللهم بارك لهم في مكيالهم.....
١٩٠.....	٧	اللهم صل على آل فلان.....	٣٠٢.....	١٠	اللهم باسمك أحيا وأموت.....
٢٢٠.....	٧	اللهم صل على محمد وأزواجه.....	١٨٣.....	٧	اللهم باسمك أموت وأحيا.....
١٨٥.....	٧	اللهم صل على محمد.....	١٥٣.....	٧	اللهم باسمك أموت.....
٢١٨.....	٧	اللهم صل على محمد.....	٢٢٥.....	٣	اللهم باعد بيني وبين خطاياي.....
٩٥.....	٤	اللهم صيبًا نافعا.....	٢٦٩.....	٣	اللهم باعد بيني وبين خطاياي.....
٢٢٣.....	١	اللهم علمه الكتاب.....	٥٦٣.....	٣	اللهم باعد بيني وبين خطاياي.....
٥٢.....	١٠	اللهم علمه الكتاب.....	١٩٩.....	٧	اللهم باعد بيني وبين خطاياي.....

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٩	٥١١	اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك	٤	٨٠	اللهم على الأكام والظراب والأودية
٧	٧٢٤	لو اتخذت من أمتي خليلاً	٤	٨٠	ومتاب الشجر
٢	١٧٢	لو أحسنت إلى إحداهن الدهر	٤	٨٠	اللهم على رؤوس الجبال والأكام
٤	٣٣٠	لو أخذت منه	٤	٨٠	ويطون الأودية
٣	٤٤٢	لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء	٤	٨٢	اللهم على ظهور الجبال والأكام ويطون
٣	٤٤٢	لمنعهن	٤	٨٢	الأودية
٥	٣٦٦	لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما	١	٥٩٨	اللهم عليك بأبي جهل
٥	٣٦٦	أهديت	٧	٢٥٩	اللهم عليك بأبي جهل
٩	٦٧٤	لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت	٢	٤٣٨	اللهم عليك بعمر بن هشام
٩	٦٧٤	الهلدي	٢	٤٣٨	اللهم عليك بقرش
٥	٥١٥	لو استقبلت من أمري ما استدبرت	٧	٢٩٩	اللهم عني عنهم الأخبار
٩	٦٧٣	لو استقبلت من أمري ما استدبرت	٧	٢٢١	اللهم فأيا مؤمن سيته
١٠	٥٥٨	لو أصبح موسى فيكم	١	٢٢٤	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
٩	٢٥٠	لو اطلع في بيتك أحد، ولم تأذن له	٩	١٦٢	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
٦	٤١	لو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب	١	٣٩٣	اللهم فقهه في الدين
٦	٤١	الله... (من قول ابن مسعود)	١	٦٢٠	اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل
٣	٢٩٧	لو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله	٣	٣٥٦	اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل
٣	٢٩٧	لو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب	٢	٣١١	اللهم لا خير إلا خير الآخرة
٣	٢٩٧	الله... (من قول ابن مسعود)	٧	٢٨٤	اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة
٩	٢٧٩	لو أعلم أنك تستظري لطعت به في عينيك	٧	٢٨٤	اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة
٧	٦٧٢	لو أعلم أنك تنظر لطعت به	١٠	٧٢	اللهم لا مانع لما أعطيت
٧	٤٦١	لو أعلم أني إن زدت عن السبعين	١٠	٧٢	اللهم لك الحمد أنت رب السموات
٧	٥٦٧	لو أقسم على الله لأبره	١٠	٢٧٣	والأرض
٧	٣١١	لو أن ابن آدم أعطي وادياً	٤	٢١٤	اللهم لك الحمد أنت قيم السموات
١	٣٨٦	لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله	٤	٢١٤	اللهم لك الحمد أنت نور السموات
١٠	٣٠٢	لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله	١٠	٤٨٣	والأرض
٧	٢٥١	لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله	٧	١٦٠	اللهم لك الحمد أنت نور السموات
٩	٢٧٩	لو أن امرأاً طلع عليك بغير إذن	٧	٣٠٧	اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى
٩	١١٢	لو أن فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها	٧	٣٠٧	طاعتك
٧	٣١١	لو أن لابن آدم ملء واد	١٠	٤٧٤	اللهم منزل الكتاب
٧	٣١١	لو أن لابن آدم وادياً من ذهب	٧	١٩٤	اللهم منزل الكتاب
٣	٥٠٠	لو أنكم تطهروهم ليوكم هذا	٧	٢٦٠	اللهم منزل الكتاب
٦	١٩٣	لو أنها لم تكن ربيتي في حجري ما حلت	٧	٦٩٦	اللهم هالة بنت خويلد
١	٢٤٦	لي	٩	٣٥٥	اللهم هذا قسبي فيا أملك
١	٢٤٦	لو أني أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا	٧	٢٤٩	اللهم هون علينا سفرنا
١	٢١٠	لو تأخر الهلال لزدنكم	٩	٢١٣	اللهم وليديه فاغفر

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
لو تأخر الهلال لزدنكم	١٠	٤٦٣	لو قال: إن شاء الله لم يحنث	٧	٦٦٥
لو تأخر الهلال لزدنكم	١٠	٨٨	لو قال: إن شاء الله	١٠	٤٤٨
لو تركته بين	٤	٥٧٣	لو قال: إن شاء الله لم يحنث	٦	٤٦٥
لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً			لو قال: إن شاء الله لم يحنث	٧	٦٦٢
ولبيكنم كثيراً	٤	١٢٤	لو قال: إن شاء الله لم يحنث، وكان		
لو تعلمون ما أعلم لضحككم	٧	٣٨١٠٣٨٠	دركاً لحاجته	٢	٥٨١
لو تعلمون ما أعلم	٧	٤٠١	لو قلت: نعم، لوجبت	١٠	٦٧
لو تعلمون ما أعلم	٧	٥٤٢	لو كان سليمان استشى لحملت	١٠	٤٥٨
لو تفتح عمل الشيطان	١٠	١٢	لو كان شيء سابق القدر	٧	٦٠٦
لو تناولته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا	١	٥٠٧	لو كان علي أمك دين أكنت قاضيته	٥	٦١٤
لو توكلتم على الله حق توكله	١٠	٣٤٣	لو كان عليها دين أكنت قاضيه	٧	٦٣٤
لو دخلوها لم يزلوا فيها إلى يوم القيامة	١٠	٤٠	لو كان عندي أحد ذهباً	٩	٦٧٣
لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً	٩	٥٧٣	لو كان لابن آدم واديان من مال	٧	٣١١
لو دعيت إلى كراع لأجبت	٦	٣٥٦	لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرنى	٧	٣٢٠
لو راجعته	٦	١٨٢	لو كان موسى بين أظهركم	١٠	٥٥٨
لو راجعته	٦	٥٤٢	لو كان موسى حياً	١٠	٥٥٧
لو رأى الرسول ما رأينا من النساء (من قول عائشة)	٢	٤٦٠	لو كنت أعلم لحبرته لك تحبيراً... (من قول أبي موسى)	٦	٢٠
لو رأيتموني وإبليس	٤	٣٢٧	لو كنت راجعاً امرأة عن غير بينة	٩	٢٠٠
لو رجعتن إلي أهليكم صلوا	٣	٣٥٧	لو كنت راجعاً امرأة	١٠	١٠
لو رجعت أحداً بغير بينة رجعت هذه	٦	٥٨٨	لو كنت متخذاً خليلاً من أمتي	٢	٣٧٠
لو رجعت أحداً بغير بينة رجعت هذه	٩	٢٠٠	لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت		
لو رجعت أحداً بغير بينة لرجعت هذه	٦	٥٩٣	أبا بكر	٤	٢٧٠
لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها	١٠	٤٣٦	لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً	١٠	٢٨٦
لو سلك الناس وادياً أو شعباً	١٠	١١	لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً	٩	٤٣
لو سلك الناس وادياً	٧	٥٥٤	لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً	٩	٤٢
لو طلقت مرة أو مرتين... (من قول ابن عمر)	٦	٤٩٢	لو لبثت في السجن ما لبث يوسف	٩	٤٤٠
لو علم النبي ﷺ من النساء ما حصل.. (من قول عائشة)	٢	٤٦١	لو لم أحك شعر رأسي إلا برجلي		
لو علمت أنك تسمعني لحبرته لك تحبيراً	٦	١١٠	لحككت	٥	٦٠٣
لو علمت أنك تنظر لطعت بها في عينك	٧	٥٨٦	لو لم أر النبي ﷺ يسجد... (سجدة الانشقاق)	٤	١٦٣
لو قال إن شاء الله، لم يحنث	١	٣٠١	لو لم تكن ريبيتي ما حلت لي	٦	٢٢٩
لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله	٧	٥٤٨	لو مدي الشهر لوصلت	١٠	١٠
لو قال: إن شاء الله لكان دركاً لحاجته	٧	٦٦٣	لو يعطى الناس بدعواهم	٩	٦٢٣
			لو يعلم البار بين يدي المصلي ماذا عليه	٢	٤٠٠
			لو يعلم البار بين يدي المصلي	٢	٤٢٤

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٤.....٦٣١	في بالصدقة.....	ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل	٢.....٦٤٠	لو يعلم الناس ما في النداء والصف	الأول.....
١٠.....٢٧	ليبلغ الشاهد الغائب.....	ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني	٦.....٤٣٢	لو يعلم الناس ما في النداء والصف	الأول.....
٩.....٦٧٨	الليلة.....	ليدخل الجنة من أمي سبعون ألفاً.....	٧.....٥٥٤	لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار.....	١٠.....١١
٥.....٢٩٨	ليحجن البيت وليعتمر.....	ليدخل الجنة من أمي سبعون.....	١٠.....١١	لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار.....	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن
٧.....٤٦٥	ليدخل الجنة من أمي سبعون.....	ليراجعها ثم ليسكها حتى تطهر.....	٢.....٥٣٥	يصلوها.....	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك.....
٩.....٥٨٧	ليراجعها.....	ليرجع قائمكم ويوقف نائمكم.....	١.....١٠٨	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك.....	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك.....
٦.....٤٨٠	ليرجع قائمكم ويوقف نائمكم.....	ليردن علي ناس من أصحابي الحوض.....	٣.....٤٧٤	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك.....	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك.....
٣.....١٠	ليردن علي ناس من أصحابي الحوض.....	ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك.....	١٠.....١٠	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك.....	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك.....
٧.....٤٦٠	ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك.....	ليس التحصيب بشيء.....(من قول ابن عباس)	١٠.....١٣	لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك.....	لولا أن النبي ﷺ ثبانا أن ندعو بالموت.....
٥.....٤٩١	ليس التحصيب بشيء.....(من قول ابن عباس)	ليس السنة بأن لا تمطروا.....	١٠.....٥	لولا أن رسول الله ﷺ ثبانا أن ندعو بالموت.....	لولا أن رسول الله ﷺ ثبانا أن ندعو بالموت.....
١.....١٥١	ليس السنة بأن لا تمطروا.....	ليس الغنى عن كثرة العرض.....	٧.....٢١٠	لولا أن رسول الله ﷺ ثبانا أن ندعو بالموت.....	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٧.....٣٢٤	ليس الغنى عن كثرة العرض.....	ليس المسكين الذي ترده الأكلة	٧.....٣٠٦	لولا أن رسول الله ﷺ ثبانا أن ندعو بالموت.....	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٥.....٨٩	ليس المسكين الذي ترده الأكلة	والأكلتان.....	١٠.....١١	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٥.....٩٢	ليس المسكين الذي ترده الأكلة	ليس المسكين الذي يطوف على الناس.....	٧.....٦٥٩	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٤.....٤٨٣	ليس المسكين الذي يطوف على الناس.....	ليس المسكين بالطواف الذي ترد	١.....٣٤٤	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
١.....٥٧	ليس المسكين بالطواف الذي ترد	اللقة واللقتان.....	٥.....٢٤١	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
١.....٣٠	ليس المسكين بالطواف الذي ترد	ليس المسكين بالطواف.....	١٠.....٧	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٧.....٤١٢	ليس المسكين بالطواف.....	ليس الواصل بالمكافئ.....	١٠.....٧	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٣.....٧٧	ليس الواصل بالمكافئ.....	ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت.....	٧.....٦٥٩	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٢.....٢٨	ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت.....	ليس صلاة أثقل على المنافقين.....	٤.....٤٨٦	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٥.....٦٩	ليس صلاة أثقل على المنافقين.....	ليس على الأرض من أنجاس القوم	٥.....٤٦٩	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٥.....٤٢	ليس على الأرض من أنجاس القوم	شيء.....	٤.....١٩١	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٥.....٦٩	شيء.....	ليس على المسلم صدقة في عبده.....	٥.....٣٢٣	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٢.....٤٤٢	ليس على المسلم صدقة في عبده.....	ليس على المسلم في عبده ولا فرسه.....	٥.....٢٨٣	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٢.....٥٤٣	ليس على المسلم في عبده ولا فرسه.....	ليس على المسلم في فرسه وغلامه	٥.....٢٧٥	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٥.....١٠٠	ليس على المسلم في فرسه وغلامه	صدقة.....	٦.....٥٨٧	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
٤.....٦١٧	صدقة.....	ليس في النوم تفريط.....	٩.....٢٠٢	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى	لولا أن قومك حديث عهد بالكفر لبنى
	ليس في النوم تفريط.....	ليس فيها أقل من خمسة أوسق صدقة.....			
	ليس فيها أقل من خمسة أوسق صدقة.....	ليس فيها دون خمس أواق صدقة.....			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٩.....	٢٢٥	أدأهم.....	٤.....	٦٠٦	ليس فيها دون خمس أوسق صدقة.....
٥.....	٦	ما أبقيت لأهلك.....	٥.....	٤٥	ليس فيها دون خمس ذود صدقة من الإبل.....
٢.....	٤٥٣	ما اجتنبت الكبائر.....	٥.....	٩٤	ليس فيها دون خمسة أوسق صدقة.....
٩.....	١٢٤	ما أجد لكم إلا أن تلتحقوا بإيل رسول الله.....	٥.....	٦٤	ليس فيها دون خمسة أوسق من التمر.....
٤.....	٦٢٠	ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً أنفقته كله.....	٧.....	٤٢٧	ليس فيهم حلة العرش.....
١٠.....	٢٢٧	ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله.....	٩.....	٣٤٢	ليس كما تظنون، إنها هو كما قال لقمان لابنه.....
١.....	٢٢٥	ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا.....	٣.....	٣٦٥	ليس لنا مثل السوء.....
٣.....	٤٣	ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا.....	٢.....	١٧٧	ليس من البر الصيام في السفر.....
٤.....	٥١٢	ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا.....	٢.....	٤٥٥	ليس من البر الصيام في السفر.....
٢.....	١٥٧	ما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فاقضوا.....	٦.....	٣٣٧	ليس من البر الصيام في السفر.....
٩.....	٤٤٩	ما أدري ما يفعل به؟.....	٥.....	٦٦٧	ليس من بلد إلا سيطوه الدجال.....
١٠.....	٤٦٨	ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ.....	١٠.....	١١٤	ليس من نفس تقتل ظلماً.....
٦.....	٧٣	ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ.....	٧.....	٣٥٨	ليس منا من تطير.....
١٠.....	٥٤٦	ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ.....			ليس منا من ضرب الخدود وشق
٦.....	٩	ما أرى شيطانك إلا قد ترك فأترل الله.....	٤.....	٤٧٤	الجيوب.....
١.....	٤٢٧	ما أسفل من الكعيبين ففي النار.....	٤.....	٤٧٥	ليس منا من ضرب الخدود.....
٧.....	٤٤٧	ما أسفل من الكعيبين ففي النار.....	٤.....	٤٦٤	ليس منا من لطم الخدود.....
٧.....	٤٥٢	ما أسفل من الكعيبين ففي النار.....	١٠.....	٥٢٧	ليس منا من لم يتغن بالقرآن.....
		ما أسفل من الكعيبين من الإزار ففي	٤.....	١١٤	ليست السنة ألا تمطروا.....
٧.....	٤٥٠	النار.....	٤.....	٩٥	ليست السنة ألا تمطروا.....
٥.....	٥٠٤	ما اعتمر رسول الله ﷺ في رجب.....	١٠.....	٣٣٤	ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها.....
٩.....	٥٨٠	ما أعددت لها؟.....	١٠.....	٤٢٢	ليصين أقواماً سفع من النار.....
		ما أعلم النبي ﷺ رأى رغباً مرفقاً، حتى	٦.....	٧٤	ليكونن أقوام من أمتي يستحلون.....
٧.....	٣٣٧	لحق.....	٣.....	٥١٤	ليلني منكم أولوا الأحلام والنهي.....
		ما أعلم والله خير مما لا أعلم... (من)	٣.....	٥٤٦	ليلني منكم أولوا الأحلام والنهي.....
٣.....	٦١٧	قول أبي سعيد لمروان.....	٣.....	٢٣٠	ليتهن عن ذلكم أو لتخطفن أبصارهم.....
		ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين... (من قول	٣.....	٥٢٣	ليوقظ التائم ويرجع القائم.....
٧.....	٣٣٦	عائشة).....	٧.....	٤١٢	المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله.....
٢.....	٢١٦	ما السرى يا جابر؟.....	٧.....	٣٩٠	المؤمن الذي يخالط الناس.....
		ما ألفاه السحر عندي إلا نائمًا... (قول			المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به
٤.....	٢٢٧	عائشة).....	٦.....	١٢٨	كالأترجة.....
٧.....	٢٩٨	ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم	١٠.....	١٢	المؤمن القوي خير.....
٣.....	١٩٧	ما ألفيته سحرًا إلا نائمًا.....	١.....	٤٨٩	المؤمن لا ينجم حيا، ولا ميتًا.....
١٠.....	٢٣٣	ما المستول عنها بأعلم من السائل.....	١.....	٤٧٢	المؤمن لا ينجم.....
٢.....	٣٣٩	ما أمرت بتشديد المساجد.....	٤.....	٤١٣	المؤمن لا ينجم.....
		ما أنا إلا رجل من المسلمين... (من			المؤمنون تكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١	٣٩٥	ما بين المشرق والمغرب قبله	١	٤٧٧	قول علي).....
٣	٢٥٣	ما بين المشرق والمغرب قبله	١	٦٣٥	ما أنا إلا رجل من المسلمين... (من)
٢	٣٤٣	ما بين يتي ومنبري روضة من رياض الجنة	٧	٦٦١	ما أنا حلتكم بل الله حلكم
٥	٦٦٩	ما بين يتي ومنبري روضة من رياض الجنة	٧	٥٣٥	ما أنا حلتكم،
٧	٥١٥	ما بين يتي ومنبري روضة من رياض الجنة	٩٠	١٩٩	ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء
٤	٥٥٣	ما بين يتي ومنبري روضة	٩٠	٢٦٥	ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط
١٠	١٣٦	ما بين يتي ومنبري	٧	٣٥٥	ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء
٤	٢٩٤	ما بين يتي ومنبري	١٠	٣٠٥	ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا
١	٥٠٨	ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة	١٠	٥٤	ما أنهر الدم
٧	٥١٥	ما بين قري ومنبري	١	٤٦١	ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه
٥	٦٥٦	ما بين لابتها حرام	١	٤٦١	ما أهل رسول الله ﷺ إلا من عند
٣	٥٥٧	ما بين مجيء الإمام إلى انقضاء	٥	٢٠٤	المسجد
٧	٤٧٨	ما بين منكى الكافر	٥	٢٠٤	ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه ما
٩	١٨٦	ما تجلون في التوراة في شأن الرجم؟	٦	٣٤٥	أولم على زينب
٩	١٤٨	ما تجلون في كتابكم؟	٢	٤٦٧	ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنزع
١٠	٤٤٥	ما ترددت عن شيء أنا فاعله	١٠	٩١	ما بال أقوام يتزهدون
٢	٥٦٩	ما ترك النبي ﷺ السجدة بعد العصر عندي قط	٣	٢٣٠	ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء
٥	٣١٨	ما تركت استلام هذين الركنين في شقة... (من قول ابن عمر)	٢	٣٤٨	ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في
٧	٤٧٥	ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال	٢	١٨٢	كتاب الله
٦	١٧٨	ما تركت بعدي فتنة أضر على	٦	١٨٢	ما بال أقوام يشترطون شروطاً
٦	١٥٥	ما تزوجت؟	١	١١٣	ما بال أقوام يقولون كذا وكذا، إني أصلي
١٠	١٩٢	ما تشيرون على في قوم يسبون أهلي	٥	١٣٢	ما بال الرجل نستعمله على عمل فيرجع
٦	١٦٦	ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها	٩	٦١٧	ما بال العامل نيعة
٦	٨٣	ما تصنع بإزارك، إن لبسته	٧	٥٤٥	ما بال العامل نستعمله
٦	٢٥٤	ما تصنع بإزارك؟	٥	٦٣٩	ما بال هذا؟
١٠	٥٤٤	ما تصنعون بها؟	٢	٣٢٢	ما بال هذه النمرقة
٤	٤٥٣	ما تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول	٦	٣٦١	ما بال هذه النمرقة؟
٧	٦٥٨	ما تقرب أحد إلى الله بشيء أحب إليه	٧	٦٢٧	ما بال هذه النمرقة؟
٣	٦٢	ما تقرب إلى عبيدي بشيء أحب... (قدسي)	١	٥٧٤	ما بالك؟... (لما خلعوا نعالهم)
٧	٣٣٩	ما تقرب إلى عبيدي	١٠	٣٢٩	ما بعث الله من نبي إلا أنذر
			٩	٦٤٦	ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة
			٩	٥٥٤	ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعداء الكذاب
			٣	٥٤٠	ما بعد فإن خير الحديث كتاب الله
					ما بقي من الناس أحد أعلم به
			٦	٤٦٩	مني... (من قول سهل)

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
ما تقولون في هذا؟	٦	١٧٣	الضحى	٣	١٠٥
ما تنخم النبي ﷺ نخامة إلا وقعت	١	٦٠١	ما رأيته صلى الضحى غير ذلك اليوم	٤	٢٧٠
ما جاءك من هذا الهال وأنت غير مشرف	٧	٣١٣	ما زال بك الهال رأيت من صنعكم	١٠	٦٧
ما جاءك من هذا الهال	٧	٤٨٢	ما زالت أكلة خبير تعادوني	١	١٠٩
ما جاءك من هذا الهال، وأنت غير مشرف	٥	٨٣	ما زالت أكلة خبير تعادوني	٧	٢٥٤
ما حصلت فتنة منذ خلق آدم	٦	١٨١	ما سئل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه	١	٥٥
ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه	٦	٧١	ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن	١٠	٤٤٣
ما هللكم على خلق نعالكم	٧	٥٦٢	ما شأنكم؟	٣	٤١
ما خبات لك؟	١٠	٥٦٧	ما شيع آل محمد ﷺ من خبز بر... (من)		
ما خرجت لأبرز رجلين... (من قول علي)	١٠	٢١٧	قول عائشة	٧	٦٠٤
ما خلا القيام والقعود	٣	٣٦٢	ما شيع آل محمد ﷺ... (من قول عائشة)	٧	٣٣٦
ما خلق الله أعظم من آية الكرسي	١٠	٣٦٧	ما صليت وراء أحد قط أخف صلاة ولا أتم	٣	١٧٤
ما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما	٩	١١١	ما صليت وراء إمام قط أتم قراءة	٦	٧٤
ما خير النبي ﷺ بين شيئين	١٠	٥٠٦	ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة	١	٢٥٧
ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما	٦	١٤١	ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة	٣	١٦٧
ما رأيته أحداً أحسن في حلة حمراء من النبي ﷺ	٧	٥٦٨	ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة... (من)	٣	١٧٤
ما رأيته أحداً أشد عليه الوجع من رسول الله	٧	٣١١	قول أنس	٩	٥٨٦
ما رأيته أوم على أحد من نسائه	٦	٣٤٦	ما صنع النبي ﷺ؟... (أي في داخل الكعبة)	٢	٤١٢
ما رأيته النبي ﷺ صائماً العشر قط	٣	٦٣٤	ما ظنك بآيتين الله ثالثهما	١٠	٣٢١
ما رأيته النبي ﷺ صلى صلاة بغير ميقاتها	٥	٤٠٤	ما عليكم أن لا تفعلوا	١٠	٣٣٤
ما رأيته النبي ﷺ يقرأ في شيء	٤	٢٣٨	ما عندك؟	٦	٢٤٨
ما رأيته رسول الله ﷺ سبوح سبحة الضحى	٤	٢٦٩	ما عندنا شيء إلا كتاب الله (من قول علي)	٥	٦٤٩
ما رأيته رسول الله ﷺ صلى إلى عمود	١	٥٢٠	ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت	٦	٤٤٩
ما رأيته رسول الله ﷺ يصلي إلى عمود	٣	٦٤١	ما غرت على امرأة... (من قول عائشة)	١٠	٤٧٠
ما رأيته رسول الله ﷺ يصلي إلى عمود ولا عمود	٤	٩	ما فرحت بعد الإسلام فرحي... (من قول ابن أبي سلمة)	٣	١٥٢
ما رأيته في الخير والشر كالיום قط	٧	٢٢٢	ما قال لي شيء صنعت لم صنعت هذا	٩	٢٨٩
ما رأيته من ناقصات عقل ودين	١	١٣٠	ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة	١	٥٧٣
ما رأيته من ناقصات عقل ودين	٥	١٦٤	ما كان لنبي أن تكون	٧	٦١٧
ما رأيته صلاتها إلا يومئذ... (أي: صلاة)					

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٦	١٦٦	ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات	٧	١٦٦	ما كان لنبي أن
٥٤	٤٤٤	ما من الأنبياء نبي	٧	٤٤٤	ما كانتا في شيء إلا كثرناه
	٥٨٤	ما من الناس من مسلم يتوفى له ثلاث لم	٢	٥٨٤	ما كدت أصلي العصر... (من قول عمر)
٤٠٨		يبلغوا الحنث			ما كنا نقبل ولا نتغدي... (من قول
٢١٢	٥٦٧	ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله	٣	٥٦٧	سهل)
	٥٤٨	ما من رجل تكون له إبل أو بقرة أو غنم	٥	٥٤٨	ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى
٦٤	٥٥١	لا يؤدي	٥	٥٥١	ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى
	٤٨٤	ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته	١٠	٤٨٤	ما كنت أظن أن الله يتزل في براعتي
٣٦١	٤٨٧	أربعون	٥	٤٨٧	ما كنت تطوفين بالبیت
٤٨٤		ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته			ما كنت لأصيب منك خيراً... (من قول
	١١٨	ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على	٣	١١٨	حفصة)
٦٣٩		جنازته أربعون			ما كنت لأصيب منك خيراً... (من قول
	١٨٤	ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في	٣	١٨٤	عائشة)
١٣٨		مقامي هذا			ما كنت لأقيم حلاً علي أحد... (من قول
	١٠٣	ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في	٩	١٠٣	علي)
٥٠١		مقامي			ما لفاطمة ألا تتقي الله... (من قول
٦٤	٦٠٥	ما من شيء لم أره	٦	٦٠٥	عائشة)
٥٣٩	١٥٦	ما من شيء لم أكن أريته إلا قد رأيته	٢	١٥٦	ما لك أنفستي؟
٢٤٤	٣٠٧	ما من شيء لم أكن أريته	٤	٣٠٧	ما لك تأخرت؟
	١٥٥	ما من صاحب ذهب، ولا فضة لا يؤدي	٦	١٥٥	ما لك وللعداري ولعابها
٦٠١	٥٥٩	منها حقها	٦	٥٥٩	ما لك ولها، معها الحذاء
٥٧٧	٥٩	ما من عبد استراحه الله رعية فلم يحطها	٣	٥٩	ما لم يأمروا بمعضية
٤٩٤	٤٨٨	ما من عبد قال لا إله إلا الله	١	٤٨٨	ما لم يكن جنباً
	٣٨	ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات	٣	٣٨	ما لم يكن جنباً
٣٧٧	٥٤٢	على ذلك	٧	٥٤٢	ما لي أجد منك ريح الأصنام؟
	٥٤٢	ما من قلب من قلوب بني آدم إلا وهو بين	٧	٥٤٢	ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟
٣٦٠	٢٨٧	أصبعين	٦	٢٨٧	ما لي اليوم في النساء من حاجة
	٨٠	ما من قلب من قلوب بني آدم إلا وهو بين	٦	٨٠	ما لي في النساء من حاجة
٥١٠	٦٥٦	أصبعين	٩	٦٥٦	ما مست يدر رسول الله ﷺ يدا امرأة
٥٣٩	٥٧١	ما من قلب من قلوب	٧	٥٧١	ما مستت حريراً البين من كفه ﷺ
٤١٤	٨٠	ما من مسلم يدعو لأخيه	٦	٨٠	ما معك من القرآن
٥٠٦		ما من مسلم يصلي عليه ما يبلغ			ما من أحد أغير من الله أن يزني عيله أو تزني
	٣١٧	ما من مسلم يصيبه أذى إلا حانت عنه	١٠	٣١٧	أتمته
٣٣١	٤٤١	خطاياها	٦	٤٤١	ما من أحد أغير من الله من أجل ذلك
٣١٢	٣١٧	ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها	١٠	٣١٧	ما من أحد أغير من الله
٣٣١	٣٤٧	ما من مسلم يصيبه أذى: مرض فما سواه	١	٣٤٧	ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠٢.....	١٠	ما من مسلم يصيبه أذى، إلا حات الله	٣١١.....	٧	عنه خطاياہ.....
٢١٦.....	٢	ما هذا الاشتغال الذي رأيت؟	٣٠٨.....	٧	ما من مسلم يصيبه هم أو غم.....
٣٢٠.....	٦	ما هذا؟	٥١٧.....	٧	ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته.....
٣٣٤.....	٦	ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر... (من قول أسيد)	٣٠٨.....	٧	ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها.....
١٥٦.....	٢	ما هي بأول بركتكم... (أسيد بن حضير)	٥٠٣.....	٧	ما من مكلم في سبيل الله.....
٢٤٣.....	٥	ما يبيحك يا هتاه؟	٢٠١.....	١٠	ما من مكلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة.....
١٨١.....	٢	ما يبيك؟... (لعائشة حينما حاضت في الحج)	٤٩٢.....	١٠	ما من مكلم يكلم.....
٣٤٣.....	٩	ما يدريك لعل الله اطع عليهم فقال: اعملوا ما تشتم.....	٥٧٧.....	٤	ما من مولود إلا يولد على الفطرة.....
٨٧.....	٥	ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة.....	٥٧٥.....	٤	ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه.....
٣١٩.....	٧	ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً.....	٣٤٠.....	٦	ما من مولود ولد إلا نخسه الشيطان.....
٣٠٩.....	٧	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ما يضرك منه؟ (المسيح الدجال)	٣٨٨.....	١	ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان.....
٥٤٥.....	٩	ما يعجلك.....	٤٢٩.....	٦	ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة.....
١٥٥.....	٦	ما يعجلك؟	٥٧٨.....	٩	ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش.....
٤٦٧.....	٦	ما يكون عندي من خير لا أذكره.....	٣٩.....	٥	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان.....
٣٥٢.....	٧	ما يكون عندي من خير.....	٤٥٦.....	٢	ما من صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن راحة.....
٨٢.....	٥	ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم.....	٥٠٨.....	٥	ما منعك أن تحجي معنا؟.....
٥٣٠.....	٢	ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً.....	٨٥.....	١٠	ما منعك أن تصلي معنا؟.....
٨٠.....	٥	الاء لا يجنب.....	٦٣١.....	٥	ما منعك من الحج؟.....
٥٢٧.....	١	مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي.....	١٨٠.....	٢	ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم؟.....
٣٢.....	١	مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة.....	٦١٩.....	١	ما منعك؟... (للذي جلس ولم يصلي).....
٤٣.....	٦	مات عن تسع من النساء.....	٤٠٦.....	٤	ما منعكم أن تعلموني؟.....
١٨٩.....	٦	مات وأخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.....	٥٥٣.....	٢	ما منعكم؟... (بي: الصلاة).....
١٩٧.....	١٠	مات لنا شاة فلبغنا مسكها.....	٤٩٠.....	١٠	ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه.....
٦٠١.....	٧	ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي.....	٤١٢.....	١٠	ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه.....
٧٠.....	٦	ماذا معك من القرآن.....	١٦٢.....	٧	ما منكم من أحد إلا سيكلمه.....
٨٣.....	٦	ماذا معك من القرآن؟.....	٥٥٢.....	١٠	ما منكم من أحد إلا كتب مقعده.....
٢٤٨.....	٦	البال كثير العهد قريب.....	٤٦٣.....	٧	ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة.....
٥٥٦.....	٧	الباهر بالقرآن مع الكرام البررة.....	٤٠٢.....	٧	ما منكم من أحد ولا وقد كتب مقعده.....
٥٤٥.....	١٠	المبطون شهيد، والمطمون شهيد.....	٥٨٨.....	٤	ما منكم من أحد، ما من نفس منقومة.....

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٦٦٨	٥	المدينة كالكير تنفي خبيثها، وينصع طيها	٤٤١	٦	المتشع يالم يعط كلابس ثوبي زور
٥٥٥	٩	المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها	٢٣٠	٢	متلفعات في مروطن ... (من قول عائشة)
٤٥٩	١٠	المدينة يأتيها الدجال	٤١	٥	مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين
٤٢٩	٣	مر النبي ﷺ على قبر منبوذ فأهمهم وصفوا	٤٦٤	٧	مثل البخيل والمتصدق
٣٢٠	٢	مر النبي ﷺ بديار ثمود	٤١	٥	مثل البخيل والمتفق كمثل رجلين
٥١٣	٤	مر النبي ﷺ بقبر منبوذ فأمننا، فصفقنا	٥٧٣	٦	مثل البخيل والمتفق كمثل رجلين
٥٣٠	٤	مر النبي ﷺ على قبر منبوذ فأهمهم وصلوا خلفه	٢٧٢	٧	مثل البيت الذي يذكر الله
٤٧٢	٩	الشجرة... مر برأس التمثال فليقطع حتى يكون	٥٧٨	٤	مثل المجلس الصالح كحامل المسك
٣٣٨	١٠	مر برأس التمثال فليقطع	٢٧٢	٧	مثل الذي يذكره
٣٣٧	١٠	مر برأس التمثال فليقطع	٦٤	٦	مثل الذي يقرأ القرآن كالآثرجة طعمها
٣٥٤	١٠	المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل	٥٦٥	١٠	مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن
٣٦٦	٦	المرأة كالضلع إن أمتها	٣٠٩	٧	مثل المؤمن كالحامة من الزرع تغيثها
٥٧٩	٦	مرأة ثلاثين ومرة تسعاً وعشرين	٣٠٩	٧	مثل المؤمن كمثل الحامة من الزرع
٣١٤	٧	مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح	٤٥٥	١٠	مثل المؤمن كمثل خامة
١٦٢	١	مرحباً بالقوم أو الوفد غير خزايا ولا ندامى	١٢٩	٦	مثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة
٤٤	١٠	مرحباً بالوفد والقوم	٢٣٠	١	مثل ما يعشي الله به من الهدى
٢١٣	٢	مرحباً بأم هانئ	٣٧٨	٧	مثلي ومثلي ما يعشي الله
١٨	٩	مرضت فعادني رسول الله ﷺ وأبو بكر	٣٧٨	٢	مثنى مثنى، فإذا خشى الصبح صلي واحدة
٦٣٦	٧	مره فليتكلم وليستظل	٣٧٩	٢	مثنى مثنى، فإذا خشيت الصبح فأوتر بواحدة
١٦٦	٢	مره فليراجعها، ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً	٢٢٧	٤	مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة
٤٧٩	٦	مره فليراجعها، ثم ليمسكها	٥١٦	١	مع رسول الله ﷺ في وجهه
٩٣	١٠	مروا أبابكر فليصل بالناس	٢١٦	٧	مع رسول الله ﷺ في وجهه
١١٧	٣	مروا أبابكر فليصل بالناس	٣٧٩	١٠	مجلني عجلي... (فلمسي)
٣١٦	٤	مروا أبابكر فليصل بالناس	٢٣٦	١٠	مجنوس هذه الأمة
٩٠	٣	مروا أبابكر فليصل للناس	٥٠٩	١٠	مجنوس هذه الأمة
٩٣	١٠	مروا أبابكر يصل بالناس	٣٨	١	العملة التي كان رسول الله ﷺ ماد
١٧٩	٣	مروا أبابكر	٦٨	٩	المدينة حرم ما بين غير إلى ثور
٦١٠	٧	مروا أبابكر ثابت يتعوذ	٨٩	١٠	المدينة حرم من غير إلى كذا
			٦٤٥	٥	المدينة حرم من كذا إلى كذا
			٦٥٤	٩	المدينة كالكير تنفي خبيثها وتنصع طيها
			٦٥٨	٩	المدينة كالكير تنفي خبيثها

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٧	٢١٦	مروا أبناءكم بالصلاة لسبع	٧	٢١٦	مروا أبناءكم بالصلاة لسبع
٩	١٨٩	مروا أبناءكم بالصلاة لسبع	٩	١٨٩	مروا أبناءكم بالصلاة لسبع
٣	٥٢٩	مري غلامك التجار أن يعمل لي أعوادًا	٣	٥٢٩	مري غلامك التجار أن يعمل لي أعوادًا
٥	١٥	المسبل والمنان والمنفق سلعته	٥	١٥	المسبل والمنان والمنفق سلعته
٧	٣٧٣	المسبل والمنان	٧	٣٧٣	المسبل والمنان
٧	٤١٧	مستريح ومستراح منه	٧	٤١٧	مستريح ومستراح منه
١٠	٤٠٢	مستقرها تحت العرش	١٠	٤٠٢	مستقرها تحت العرش
١	٤٨٢	مسح على الخفين	١	٤٨٢	مسح على الخفين
٩	٣٦٤	المسلم أخو المسلم	٩	٣٦٤	المسلم أخو المسلم
٩	٣٦٥	المسلم أخو المسلم	٩	٣٦٥	المسلم أخو المسلم
٩	٣٦٩	المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلّمه	٩	٣٦٩	المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلّمه
٤	٤١٢	المسلم لا يتجنس حيا... (من قول ابن عباس)	٤	٤١٢	المسلم لا يتجنس حيا... (من قول ابن عباس)
١	٥٧	المسلم من سلم المسلمون	١	٥٧	المسلم من سلم المسلمون
٧	٣٨٠	المسلم من سلم المسلمون	٧	٣٨٠	المسلم من سلم المسلمون
١	٤٨٢	المصلى أمامك	١	٤٨٢	المصلى أمامك
٧	١٤٠	مطعمه حرام وملبسه حرام	٧	١٤٠	مطعمه حرام وملبسه حرام
٧	٣٥٦	مع كل واحد سبعين ألفًا	٧	٣٥٦	مع كل واحد سبعين ألفًا
١٠	٢٣٧	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم	١٠	٢٣٧	مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم
٤	١١٤	مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله	٤	١١٤	مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله
٣	٨١	المقسطون على منابر من نور على يمين	٣	٨١	المقسطون على منابر من نور على يمين
٢	١٢	مكانكم... (لما خرج إليهم في الصلاة)	٢	١٢	مكانكم... (لما خرج إليهم في الصلاة)
٥	٢٣٦	مكتوب بين عينيه كافر	٥	٢٣٦	مكتوب بين عينيه كافر
١	٢٥	مكث النبي في مكة	١	٢٥	مكث النبي في مكة
٣	٥٩٣	ملا الله قبورهم وأجوافهم نازًا	٣	٥٩٣	ملا الله قبورهم وأجوافهم نازًا
٧	٢٦٤	ملا الله قبورهم ويوتهم نازًا	٧	٢٦٤	ملا الله قبورهم ويوتهم نازًا
٣	٤٨٩	الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم	٣	٤٨٩	الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم
٢	٣٣٥	الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه	٢	٣٣٥	الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه
٣	٧٨	الملائكة تصلي على أحدكم	٣	٧٨	الملائكة تصلي على أحدكم
٣	٤١٥	الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه	٣	٤١٥	الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه
٢	١٦٢	الملائكة لا تدخل بيتًا فيه حائض، ولا جنب	٢	١٦٢	الملائكة لا تدخل بيتًا فيه حائض، ولا جنب
٣	٥٩٩	ملكتهها بما معك من القرآن	٣	٥٩٩	ملكتهها بما معك من القرآن
٩	١٥٢	مم ذلك	٩	١٥٢	مم ذلك
٦	٣٦٤	مما يتأذى منه بنو آدم	٦	٣٦٤	مما يتأذى منه بنو آدم
٢	٢٢٠	أحدكم مما يفعل	٢	٢٢٠	أحدكم مما يفعل
٤	٦٣٣	من ابتلي من هذه البنات بشيء، كن له سترًا من النار	٤	٦٣٣	من ابتلي من هذه البنات بشيء، كن له سترًا من النار
٦	٤٢	من أبو زيد؟ قال: أحد عمومي... (من قول أنس)	٦	٤٢	من أبو زيد؟ قال: أحد عمومي... (من قول أنس)
١٠	١٥٣	من أتاكم ولركم جميع	١٠	١٥٣	من أتاكم ولركم جميع
٤	٦١٣	من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته	٤	٦١٣	من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته
١	١٣٥	من أتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا	١	١٣٥	من أتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا
٦	٤٩	من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه	٦	٤٩	من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه
١	٣٦٧	من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم يقبل	١	٣٦٧	من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم يقبل
١٠	٢٤٠	من أتى كاهنًا أو عرافًا	١٠	٢٤٠	من أتى كاهنًا أو عرافًا
٧	٤٣٢	من أتى كاهنًا أو عرافًا	٧	٤٣٢	من أتى كاهنًا أو عرافًا
١٠	٥٦٨، ٥٦٧	من أتى كاهنًا فصلقه	١٠	٥٦٨، ٥٦٧	من أتى كاهنًا فصلقه
٧	٤٣٢	من أتى كاهنًا فصلقه	٧	٤٣٢	من أتى كاهنًا فصلقه
٧	٧١٤	من أحب أن يتمثل له الناس	٧	٧١٤	من أحب أن يتمثل له الناس
١	٢٦٦	من أحب أن يحلق حبيبه حلقة من نار	١	٢٦٦	من أحب أن يحلق حبيبه حلقة من نار
٤	٦١١	من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة	٤	٦١١	من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة
٧	٢٨٩	من أحب أن يزحزح عن النار	٧	٢٨٩	من أحب أن يزحزح عن النار
٩	٤٢٦	من أحب أن يزحزح عن النار	٩	٤٢٦	من أحب أن يزحزح عن النار
١	٦١	من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة	١	٦١	من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة
٢	٤٧٦	من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل	٢	٤٧٦	من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل
١٠	٧٦	من أحب أن يسأل عن شيء	١٠	٧٦	من أحب أن يسأل عن شيء
٧	٦٤٧	من أحب أن يقرأ القرآن غضا طربا	٧	٦٤٧	من أحب أن يقرأ القرآن غضا طربا
٧	٣٨٩	من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل	٧	٣٨٩	من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل
٧	٣٨٨	من أحب أن ينظر إلى رجل	٧	٣٨٨	من أحب أن ينظر إلى رجل
٥	٥١٧	من أحب أن يهل بعمرة فليهل	٥	٥١٧	من أحب أن يهل بعمرة فليهل
٢	٢١٤	من أحب أن يهل بعمرة فليهل	٢	٢١٤	من أحب أن يهل بعمرة فليهل
٤	٤٤	من أحب أن يوتر بثلاث فليقبل	٤	٤٤	من أحب أن يوتر بثلاث فليقبل
٧	٤١٢	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	٧	٤١٢	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٧	٤١٢	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه	٧	٤١٢	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه
٥	٥٠٩	من أحب منكم أن يهل بالحج	٥	٥٠٩	من أحب منكم أن يهل بالحج
١٠	١٥٦	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس	١٠	١٥٦	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢٧٤.....	١٠	القيامة.....	٥٧٦.....	٧	من أحدث في أمرنا هذا.....
٢١.....	٦	من أقرأ هذه السورة... (من قول عمر).....	٢٢٠.....	٢	من أحرم بعمره ولم يهد فليحلل.....
٤٧٥.....	١	من أكل بصلاً أو ثوماً.....	٣١١.....	٩	من أحسن في الإسلام لم يؤخذ بها عمل في الجاهلية.....
٤٢٥.....	٣	من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا.....	٢٧٩.....	٧	من أحصاها دخل الجنة.....
١٧٤.....	١٠	من أكل ثوماً أو بصلاً.....			من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله.....
٤٤.....	١٠	من أكل فليتم بقية يومه.....	٢٣.....	٥	
٤٢٥.....	٣	من أكل من هذه الشجرة.....	١٤٥.....	٥	من أداها قبل الصلاة فهي صدقة مقبولة.....
٤٢٥.....	٣	من أكل من هذه الشجرة.....			من أدرك ركعةً من الصلاة فقد أدرك الصلاة.....
٤٢٦.....	٣	من أكل من هذه الشجرة.....	٥١١.....	٢	من أدرك ركعةً من الصلاة فقد أدرك الصلاة.....
٥٨٢.....	٧	من أكل ناسياً وهو صائم.....	٥٥٢.....	٢	من أدرك ركعةً من الصلاة.....
٥٥٦.....	١	من البول.....	٨٩.....	٣	من أدرك سجدةً من العصر.....
٩٦.....	١٠	من التمس رضا الناس.....	٥٤٤.....	٢	من أدرك سجدةً من العصر.....
٢٥٤.....	٩	من السائق؟.....	٥٤٥.....	٢	من أدرك سجدةً من العصر.....
.....		من السنة إذا تزوج الرجل البكر على الشيب.....	٥٥١.....	٢	من أدرك من الصبح ركعةً.....
٤٣٧.....	٦		٨٤.....	٩	من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم.....
٥٥٧.....	٧	من الفطرة حلق العانة.....	٥٣٣.....	٧	من أراد أن يقرأ القرآن.....
٥٥٧.....	٧	من الفطرة قص الشارب.....	٦٠٢.....	٧	من أراد أن يقرأ القرآن.....
١٦٢.....	١	من القوم أو من الوفد؟.....			من استجمر فليوتر.....
.....		من المتكلم؟... (لمن قال ربنا و لك الحمد حمدا).....	٤١٥.....	١	من استلج في أهله يمين.....
٣١٣.....	٣		٥٣٦.....	٧	من أسلف في شيء فليسلف.....
٣٩١.....	١٠	من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة.....	٢٦٥.....	٦	من أسلم على شيء فهو له.....
١٢٧.....	٩	من أنظر معسراً، أو وضع له أظله الله.....	٨١.....	٩	من أسلم على شيء فهو له.....
٨٢.....	٣	من أنظر معسراً، أو وضع له.....	١٣٣.....	٩	من أشرط الساعة أن يرفع العلم.....
١٨٩.....	١٠	من بدل دينه فاقتلوه.....	٣٩٤.....	٧	من أشرط الساعة.....
.....		من بدل دينه فاقتلوه.....			من أشرط الساعة: أن يقل العلم.....
٣١٥.....	٩	من بدل دينه فاقتلوه.....	٢٣٢.....	١	من أطاعني دخل الجنة.....
٣١٩.....	٩	من بدل دينه فاقتلوه.....	٥٨.....	١٠	من أطاعني دخل الجنة.....
٥٧.....	٥	من بلغت عنده من الإبل صدقة الجذعة.....	٥٩.....	١٠	من أطاعني دخل الجنة.....
٣٤٢.....	٢	من بنى مسجداً يتخى به وجه الله.....	٥٦١.....	٩	من أطاعني فقد أطاع الله.....
١٤٧.....	٧	من تاب قبل أن تطلع الشمس.....			من أظلم رأس غاز أظله الله يوم القيامة.....
.....		من تبع جنازةً فله قيراط... (من قول أبي هريرة).....	١٥.....	٥	من أعتق رقبةً مسلمةً أعتق الله.....
٥١٦.....	٤		٦٥٥.....	٧	من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة.....
.....		من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين.....	٤٦٦.....	٣	من اغتسل يوم الجمعة غسل.....
٤٧٠.....	٩		٦٠٧.....	٢	من اغتسل يوم الجمعة غسل.....
.....		من ترك ما لا فلاح له.....	٤١٥.....	١٠	من اقتطع مال امرئ مسلم يمين كاذبة.....
٢٧.....	٩		٤٧٣.....	١٠	من اقتطع من الأرض شبرًا.....
٨٠.....	٩	من ترك ما لا فلاح له.....			من اقتطع من الأرض شبرًا طوفه الله يوم
٤٨٩.....	٧	من ترون أن نكسو هذه.....			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١٠	٣٠٩	من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك	٧	٥١٥	من تروا نكسوها هذه الخميسة؟
٧	٥٦٢	من حلف بغير ملة الإسلام فهو كاذب	٢	١٦٠	من تشبه بقوم فهو منهم
٤	٥٨٩	من حلف بملة غير الإسلام كاذباً متعمداً	٧	٤٧٣	من تشبه بقوم فهو منهم
٧	٥٩١، ٥٨٨	من حلف على يمين صبر	٧	٥٦٣	من تشبه بقوم فهو منهم
١	١٠٣	من حلف على يمين كاذبة	١٠	٣٩٩	من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب
٧	٥٧١	من حلف على يمين كاذبة	٤	٦٢٤	من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب
١	٢٨٥	من حلف على يمين هو فيها فاجر	٤	٢٤٥	من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله
٧	٥٨٦	من حلف على يمين هو فيها فاجر	١٠	٣٢٥	من تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً
٧	٦٦٢	من حلف على يمين	١٠	٥٠٠	من تقرب مني شبراً
٧	٦٦٣	من حلف على يمين	٩	٦٧١	من تمنى الشهادة بصدق
٧	٥٥٩	من حلف فقال في حلفه واللات والعزى	١	٤٢١	من توضعاً فليستتر، ومن استجمر فليوتر
٧	٧٨٦	من حلف منكم فقال في حلفه: باللات	١	١٠٥	من توضعاً في بيته
٩	٢٢١	من حل علينا السلاح فليس منا	٧	٣٠٩	من توضعاً مثل هذا الرضوء
٩	٥٠١	من حل علينا السلاح فليس منا	١	٤١٨	من توضعاً نحو وضوئي هذا
١	٢٧١	من حوسب عذب	١	٤٢٩	من توضعاً نحو وضوئي هذا
		من خاف ألا يقوم من آخر الليل فليوتر	٩	١٣٢	من توكل لي ما بين رجله وما بين لحيه
٤	٥٢	في أوله	٣	٥٣٤	من جاء إلى الجمعة فليغتسل
١	٢٨١	من دخل المسجد فهو آمن	٣	٤٨٧	من جاء منكم الجمعة فليغتسل
٥	٦١٠	من دخل المسجد فهو آمن	١	٤٢٨	من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه
٥	٦١٠	من دخل دار أبي سفيان فهو آمن	٧	٤٤٧	من جر ثوبه خيلاء
١	٢٨١	من دخل دار أبي سفيان	٧	٤٥١	من جر ثوبه مخيلة
١٠	١١٥	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور	٦	٤٢	من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟
٧	٥٨٤	من ذبح فليدل مكانها	٦	٧٩	من جهز غازياً فقد غزا
٣	٦١٢	من ذبح قبل الصلاة فليعد	٥	٦١٧	من جهز غازياً فقد غزا
		من ذبح قبل أن يصلي فليذبح أخرى	٧	٦٩٧	من حالت شفاعة
٤	٢١	مكانها	٣	٢٩١	من حج فلم يرفث، ولم يفسق
١٠	٣٠٨	من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى	٢	٤٦٢	من حج فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم
١٠	٥٠٣	من ذكرني في نفسه			من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع
٩	٤٤١	من رأيي فقد رأي الحق	٥	١٧٨	كيوم
		من رأيي فقد رأي الحق، فإن الشيطان لا	٥	٥٥٤، ٥٥٣	من حج هذا البيت فلم يرفث
٩	٤٤٢	يتكونني			من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئاً... (من)
٩	٤٤١	من رأيي في المنام فسيراني في اليقظة	١٠	٥٣٤	قول عائشة)
١	٢٨٨	من رأيي في المنام فقد رأيي			من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد
٩	٤٤١	من رأيي في المنام فقد رأيي	١٠	٢٣٧	كذب
٩	٥٠١	من رأي من أميره شيئاً يكرهه فليصبر	٤	٣٨٤	من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه
			٧	٥٣٤	من حسن إسلام المرء

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر.....	٩.....	٥٧١	من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها.....	٩.....	٢١٦
من رأى من أميره شيئاً يكرهه.....	٩.....	٤٨٨	من سن في الإسلام سنة حسنة فله.....	٥.....	٦
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده.....	٣.....	٢٣٦	من سن في الإسلام سنة حسنة.....	٥.....	٧
من رأى منكم منكراً فليغيره.....	٧.....	٦٣٨	من شاء أن يصومه فليصمه.....	٥.....	٢٩٧
من رغب عن مستي فليس مني.....	١.....	١١٣	من شبرمه؟.....	٥.....	١٦٨
من رغب عن مستي فليس مني.....	١.....	١٧٩	من شرأ الناس من تدركم.....	٩.....	٤٩٧
من رغب عن مستي فليس مني.....	٥.....	١٦٢	من شرب الخمر في الدنيا، لم يشربها في		
من رغب عن مستي فليس مني.....	٦.....	١٣٠	الآخرة.....	٩.....	٩٩
من رغب عن مستي فليس مني.....	٦.....	١٥١	من شغله ذكرى عن مسألتي.....	٧.....	١٦٥
من رغب عن مستي فليس مني.....	٩.....	٣٢٤	من شهد الجنائزة حتى يصل عليها.....	٤.....	٣٨٢
من رغب عن مستي.....	١٠.....	٩٢	من شهد الجنائزة حتى يصلي فله قيراط.....	٤.....	٥١٧
من رمى مؤمناً بكفر.....	٧.....	٥٦٢	من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل		
من زاد على ذلك.....	٤.....	٣٠١	قبلتنا.. (من قول أنس).....	٢.....	٢٦٦
من زاد على هذا، أو نقص فقد أساء			من شيء كنت لم أره إلا رأيته في مقامي		
وظلم.....	١.....	٣٦١	هذا.....	٤.....	١٤٠
من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من			من صام رمضان إيماناً واحتساباً.....	١.....	١١٠
كتاب الله.....	٢.....	٦٠٥	من صام رمضان إيماناً واحتساباً.....	٥.....	١٩
من زعم أن محمداً قد مات... (من قول			من صام رمضان.....	٧.....	٢٩٧
عمر).....	٦.....	١٥	من صلى البردين دخل الجنة.....	١٠.....	٣٩٩
من سأل الله الشهادة بصدق.....	٩.....	٦٧٢	من صلى البردين دخل الجنة.....	٢.....	٥٤٧
من سأل الناس أموالهم تكثراً.....	٥.....	٨٣	من صلى ثلثي عشرة ركعة من غير		
من سأل الناس أموالهم تكثراً.....	٧.....	٣٦١	الفريضة.....	٤.....	٢٦٥
من سأل كاهناً ولم يصدقه.....	٧.....	٤٣٠	من صلى صلاتنا ونسكنا فقد		
من سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس			أصاب النسك.....	٤.....	١٩
فحرام.....	٩.....	٣٧٤	من صلى صلاتنا ونسك.....	٣.....	٦١٣
من سره أن يقرأ القرآن.....	٧.....	٧٤٥	من صلى على الجنائزة.....	٤.....	٥٠٨
من سره أن يمثل له الرجال قياماً.....	٣.....	٤٦	من صلى على جنازة، ولم يمش معها.....	٤.....	٥٠٠
من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة.....	٤.....	٦٠٨	من صلي قائماً فهو أفضل.....	٤.....	٢٠٥
من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً.....	٦.....	١٦٢	من صنع اليكم معروفاً فكافئوه.....	٧.....	٥٩١
من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً.....	٦.....	٤٢	من صور صورة في الدنيا.....	٧.....	٦٢٩
من سمع النداء فلم يأت؛ فلا صلاة له.....	٢.....	٣٨٧	من صور صورة ومن تحلم ومن استمع.....	٩.....	٤٧١
من سمع النداء فلم يجب فلا.....	٢.....	٤٨٧	من صفر فليحلق... (من قول عمر).....	٧.....	٥٧٣
من سمع بالرجال فليأت عنه.....	٦.....	١٣٩	من طلب القضاء واستعان عليه.....	٧.....	٦٦٩
من سمع بالرجال فليأت عنه.....	٦.....	٢٨٧	من طلب قضاء المسلمين حتى يناله.....	٧.....	٦٦٩
من سمع سمع الله به يوم القيامة.....	٩.....	٥٧٨	من طيب أهله.....	٣.....	٤٦٨
من سمع سمع الله به.....	٧.....	٣٩٨	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.....	٧.....	٤٠٥

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من عصاني فقد ألبى.....	١	٥٨	من قام رمضان.....	٧	١٤٤
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا.....	٥	٦٥٧	من قام مع الإمام حتى يتصرف كتب له		
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد.....	٥	١٤٥	قيام ليلة.....	٤	٤٦
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد.....	٦	٢٨٢	من قتل دون نفسه فهو شهيد.....	٤	٥٤٧
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد.....	٩	٥٨٥	من قتل قتيلاً فله سلبه.....	٦	١١٠
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا.....	١	١٤٣	من قتل له قتيلاً فهو بخير النظرين.....	٩	٢٢٨
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا.....	١	١٧٨	من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة.....	٩	٢٩٧
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا.....	٢	٤٦٤	من قتل نفسه بحديدة عذب به في نار		
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا.....	٢	٥٤٤	جهنم.....	٤	٥٨٩
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا.....	٣	٣٣٨	من قتل نفسه بحديدة فحليلته في يده يتوجأ		
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا.....	٥	٤٤٤	بها.....	٩	٢١٢
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا.....	٦	٦١٢٠ ٦١١	من قتل وزغاً في أول ضربة.....	٥	٥٧٨
من عمل عملاً ليس عليه.....	١٠	١٥٦	من قتل؟ فلان؟.....	٦	٥٧٢
من عمل عملاً ليس عليه.....	١٠	٥٤	من قُتل مملوكه كان لله في ظهره حد.....	٩	٢٠٦
من عمل عملاً ليس عيه أمرنا فهو رد.....	٦	٢٣٨	من قُتل مملوكه وهو بريء.....	٩	٢٠٥
من عمل عملاً ليس عيه أمرنا فهو رد.....	٩	٥٨٧	من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه.....	١	٣٨٩
من عمل عملاً ليس.....	٣	٣٢٣	من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في		
من عمل عملاً ليس.....	٧	٦٢١	ليلة كفتاه.....	٦	٥٢
من غدا إلى المسجد وراح.....	٣	٨٦	من قرأ بها في ليلة كفتاه.....	٦	١٠٠
من غسل واغتسل.....	٣	٤٦٦	من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة.....	٦	٥٥
من غش فليس منا.....	٦	٢٤٣	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل		
من غشنا فليس منا.....	٢	٤٥١	الجنة.....	٤	٣٧٣
من غشنا فليس منا.....	٩	٥٠١	من كان حالفاً فليخلف بالله.....	٧	٥٥٥
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.....	١	١٠٦	من كان عنده شيء فليجيء به.....	٢	٢٢٩
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.....	١	٣٣٥	من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث.....	٢	٥٩٣
من قاتل؛ لتكون كلمة الله هي العليا.....	٣	٧١	من كان له أرض فليزرعها أو يمنحها.....	٩	٢٣٦
من قال سبحان الله ويحمده مائة مرة.....	٢	٤٦٢	من كان معه هدي فليهل بالحج والعمرة.....	٥	٣٥٥
من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له.....	٧	٢٦٩	من كان معه هدي فليهل بالحج.....	٥	٢٣٧
من قال لأخيه يا كافر.....	٦	١٢٨	من كان منكم أهدى فإنه.....	٥	٤١٥
من قال لصاحبه تعال أقامرك فليصلق.....	٧	٥٥٩	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل.....	٧	٣٥٩
من قال: سبحان الله ويحمده.....	٧	٢٧١	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.....	١	٤٠٢
من قال: لا إله إلا الله وحده.....	٧	٥٥٣	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.....	١٠	٧٢
من قالها من النهار موقناً بها فمات.....	٧	١٤١	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.....	٦	٣٦٧
من قالهن ثم مات تحت.....	٧	١٥٤	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.....	٧	٣٦٥
من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له.....	٥	١٩	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.....	٧	٣٦٦
من قام رمضان إيماناً واحتساباً.....	١	١١٠	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.....	٧	٣٦٨

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يسق	١٠	٣٠٣	من محمد عبد الله ورسوله	١٠	٥٤٣
من كان يؤمن بالله واليوم	٧	٣٦٩	من مس فرجه فليتبوأ	٢	١١
من كان يؤمن بالله	٧	٧٧٧	من نام عن صلاة الجمعة أو نسيها	٣	٤٥٧
من كانت عنده مظلمة لأخيه	٧	٤٥٦	من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا		
من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من			ذكرها	٣	٥٤
النار	٤	٤٦٢	من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها	٢	٥٤٥
من كذب في رؤياه	٩	٤٧٠	من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها	٢	٥٥٥
من كره من أمره شيئاً فليصبر	٩	٤٨٨	من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها	٢	٥٧١
من كل ألف تسعة وتسعون وتسعون	١٠	٤٤٠	من نذر أن يطيع الله فليطعه	٤	٢٨٤
من لبس الحرير في الدنيا	٧	٤٩٨، ٤٩٩	من نذر أن يطيع الله فليطعه	٥	٦٤١
من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة	٢	٢٣٧	من نذر أن يطيع الله فليطعه	٧	٦٢٧
من لغا فلا جمعة له	٣	٥٥٦	من نذر أن يطيع الله فليطعه	٧	٦٣٦
من لم يجد إزاراً فليلبس السراويل	١	٣٦٤	من نذر أن يطيع الله فليطعه	٧	٦٣٧
من لم يجد إزاراً فليلبس سراويل	٧	٤٧٥	من نذر أن يطيع الله	٧	٦٢١
من لم يجد الإزار فليلبس السراويل	٥	٦٠٦	من نذر أن يطيع	٧	٦٣٨، ٦٢١
من لم يجد النعلين فليلبس الخفين	٥	٦٠٤	من نذر أن يعصي الله فلا يعصيه	٥	٦٣٨
من لم يجد نعلين فليلبس الخفين	٥	٥٩٩	من نسي صلاة أو نام عنها، فكفارتها أن	٢	٤٥٩
من لم يجد نعلين فليلبس خفين	٧	٥٢٦	يصلها إذا ذكرها	٣	٥٩١
من لم يصل ركعتي الفجر فليصلها			من نسي صلاة فليصل	٢	٥٩٠
بعدها	٢	٥٥٤	من نسي وهو صائم، فأكل وشرب	٦	٥٢٣
من لم يكن له إزار فليلبس السراويل	٧	٥٢٦	من نوقش الحساب عذب	٧	٤٦٠
من لم يكن معه هدي فأحب	٥	٥١٩	من نبح عليه يعذب بما نبح عليه	٤	٤٦٢
من لم يكن منكم معه هدي فأحب	٥	٢٤٢	من ها هنا قام الذي أنزلت عليه سورة		
من له بينة على قتيل	٩	٦١١	البقرة	٥	٤٧٨
من مات في سبيل الله	٧	٥٠٣	من هذا؟ (عن جبريل)	٦	٦
من مات لا يجعل الله ندا	٧	٥٩٧	من هذه؟	١	١٢٤
من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة	٤	٣٨١	من هذه؟	٢	٢١٣
من مات من أمتك لا يشرك بالله	٧	٣٢٠	من هذه؟ (لأم هانئ)	٢	٢١
من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً			من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر	٣	٢٩٠
دخل الجنة	٤	٣٧٤	من والى قومًا بغير إذن مواله فعليه لعنة الله	٩	٦٨
من مات وعليه صيام	٧	٧١٦	من وجد معاذاً فليعذبه	٧	٥٦٤
من مات يجعل الله ندا	٧	٥٩٧	من ورق، ولا تتمه مثقالاً	٧	٥٤٢
من مات يجعل الله ندا	٧	٥٩٩	من وضع هذا؟	١	٣٩٣
من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار	٤	٣٧٥	من يسطر رداءه حتى أقضى مقاتلي	١٠	١٦٣
من مات، وهو يدعو من دون الله ندا	٤	٣٧٩	من يتصدق على هذا؟	٣	٦٤
من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل	٧	٧٠٩			

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٧٤٩.....	٧.....	ناس من أمتي عرضوا علي غزاة.....	٢١٨.....	١.....	من يرد الله به خيراً يصب منه
٢١٩.....	٣.....	الناس يؤمرون أن يضع الرجل.....	٣٠٩.....	٧.....	من يرد الله به خيراً يصب منه
٣١٦.....	١.....	نام الغليم.....	٢١٢.....	١.....	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
٢٩٨.....	٤.....	نام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل.....	٣٩٣.....	١.....	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين
١٨٩.....	٤.....	النبي ﷺ كان يصلي التطوع وهو راكب.....	١٠٤.....	١٠.....	من يرد الله به خيراً.....
٢٠.....	١.....	نبي مكلم.....	٢٦.....	١٠.....	من يرد الله به خيراً.....
٣٥٣.....	١٠.....	نبي مكلم.....	٦٥٧.....	٧.....	من يشتره مني.....
٧١١.....	٧.....	نجر خشبة فجعل.....	٣٦١.....	٩.....	من يشتره مني؟.....
٤٣٢.....	٥.....	نحر النبي ﷺ بيده سبع بدن قياماً.....	٣٦٧.....	٧.....	من يضمن لي ما بين لحيه.....
٤٠٨.....	١٠.....	نحن الآخرون الأولون يوم القيامة.....	٦٤٧.....	٦.....	من يضيف هذا.....
٤٨١.....	١٠.....	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة.....	٢٨٥.....	١.....	من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ.....
٤٥٥.....	٣.....	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة.....	١٠٤.....	١.....	من يقيم ليلة القدر.....
٤٨٧.....	٣.....	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة.....	٥٠٢.....	٧.....	مناديل سعد بن معاذ في الجنة.....
٥٣٦.....	٧.....	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة.....	منزلنا غداً - إن شاء الله - بخيف بني		
٢٥٠.....	٩.....	نحن الآخرون السابقون يوم القيامة.....	٢٩٠.....	٥.....	كنانة.....
٥٩٥.....	١.....	نحن الآخرون السابقون.....	منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار		
٤٦٨.....	٩.....	نحن الآخرون السابقون.....	٥٦٨.....	٥.....	إليها؟.....
نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث			٤٥١.....	٩.....	منهومان لا يشعنان؛ منهوم في علم لا يشع
٢٩٢.....	٥.....	تقاسموا.....	١٢٤.....	١.....	مه عليكم بما تطيقون.....
نخرج الحيف، فيكن خلف الناس			٢٤٢.....	٤.....	مه، عليكم ما تطيقون من الأعمال.....
٦٣٩.....	٣.....	فيكنر.....	٦٠٩.....	٧.....	المهاجر من هجر.....
٤٩٢.....	٥.....	نزل بها رسول الله ﷺ وعمر وابن عمر.....	١٨٨.....	٥.....	مهل أهل المدينة ذو الحليفة.....
نزلت آية ولا تجهر بصلاتك... (من قول عائشة)			٢٦٨.....	٧.....	مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق.....
٥٢٦.....	١٠.....	عائشة.....	١٤٨.....	٦.....	مهيم يا عبد الرحمن.....
١٣٢.....	١.....	نزلت علي النبي ﷺ وهو قائم.....	٢٨٧.....	٧.....	موضع سوط في الجنة.....
٥٣٧.....	٥.....	نزلت هذه الآية فينا... (من قول البراء)	٧٨.....	٩.....	مولي القوم من أنفسهم.....
٥٧٩.....	٧.....	نساء كاسيات عاريات.....	٤٦٢.....	٤.....	الميت يعذب ببيكاه الحي عليه.....
٥٤.....	١٠.....	نصرت بالرعب.....	٤٦٢.....	٤.....	الميت يعذب في قبره بما نيج عليه.....
٥٩٥.....	٣.....	نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور.....	٤٨٧.....	١٠.....	ن عبداً أصاب ذنباً.....
١٠٠.....	٤.....	نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور.....	١٠٣.....	٩.....	نؤتي بالشارب علي عهد رسول الله ﷺ.....
٢٧.....	١٠.....	نضر الله امرأة سمع مني حديثاً.....	٥١٧.....	٧.....	نا فرطكم على الحوض.....
٤٠٢.....	١٠.....	النظر إلى وجه الله.....	٦٥٧.....	٩.....	الناتحة إذا لم تب.....
٦٧٥.....	٧.....	النظرة الأولى لك.....	٣١٨.....	٤.....	نادت امرأة ابنها وهو في صومعة.....
٥٢١.....	١.....	نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه.....	٥٥٤.....	٧.....	الناس دنثار، والأضمار شعار.....
٣٧٩.....	١.....	نعم... لمن سأل عن الصدقة عن الميت.....	٢٣٦.....	٩.....	الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلا والنار.....
٢٣.....	٢.....	نعم إذا رأيت الماء.....	٤٤٧.....	٩.....	ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله.....

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل.....	٤.....	٢١٥	نهانا عن النجاسة.....	٩.....	٦٥٧
نعم الرجل عبد الله.....	٤.....	٢٤٦	نهانا عن سب.....	٧.....	٥٢٠
نعم الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة.....	٦.....	١٩٢	نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند قيام الشمس.....	٣.....	٥١٣
نعم النساء نساء الأنصار... (من قول عائشة).....	٢.....	٢٦	نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال.....	٧.....	٧٨٧
نعم بين العمودين اليانين... (من قول بلال).....	٥.....	٣١٠	نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق.....	٢.....	٥٥٢
نعم حجي عنها.....	٥.....	٦١٤	نهى النبي ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفة.....	٣.....	٥٥٠
نعم ما من مسلم يصيه أذى.....	٧.....	٣٣٦	نهى النبي ﷺ أن تشبه الوتر بصلاة المغرب.....	٤.....	٤٤
نعم ولن تجزي عن أحد بعدك.....	٣.....	٦١٤	نهى النبي ﷺ أن تقام الحلود في المساجد.....	٩.....	١٥٠
نعم... (في الحج عن الكبير).....	٥.....	١٦٣	نهى النبي ﷺ أن تتكح المرأة على عمتها.....	٦.....	٢٣٢
نعم... (في الحج عن الكبير).....	٥.....	٦١٦، ٦١٨	نهى النبي ﷺ أن يبيع بعضكم على بيع بعض.....	٦.....	٢٩٠
نعم، إذا تروضا أحدكم فليرقد وهو جنب.....	٢.....	٣٦	نهى النبي ﷺ أن يتزعر الرجل.....	٧.....	٥١٦
نعم، إذا تروضا.....	١.....	٦١٣	نهى النبي ﷺ أن يجلس على القبر.....	٤.....	٥٨٤
نعم، إذا تروضا.....	٢.....	٣٨	نهى النبي ﷺ أن يطرق أهله ليلاً.....	٥.....	٥٣٦
نعم، إذا فكر الخبث.....	٩.....	٥٥٨	نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس.....	٣.....	٥١٣
نعم، فإني أحب أن أسمعه من غيري.....	٧.....	٦٤٧	نهى النبي ﷺ أن يلبس المحرم ثوباً مصبوغاً بورد.....	٧.....	٥١٧
نعم، ولك أجر.....	٥.....	١٥٣	نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال.....	١.....	٣٦٥
نعم، ويتروضا... (من قول عائشة).....	٢.....	٣٥	نهى النبي ﷺ عن البناء على القبور.....	٤.....	٥٢٤
نعمت البدعة هذه... (من قول عمر).....	٣.....	٥٤٣	نهى النبي ﷺ عن الدفن ليلاً.....	٤.....	٤٠٦
نعمت البدعة هذه... (من قول عمر).....	٥.....	٦	نهى النبي ﷺ عن الشغار.....	٦.....	٢٣٢
نعمتان مغبون فيها.....	٧.....	٢٨٣	نهى النبي ﷺ عن الصلاة في أعطان الإبل.....	١.....	١٨٨
نعى النبي ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه.....	٤.....	٥٢٦	نهى النبي ﷺ عن الملازمة والمنازمة.....	٧.....	٤٨٦
نعى النبي ﷺ إلى أصحابه النجاشي.....	٤.....	٥٠٦	نهى النبي ﷺ عن النثر.....	٧.....	٦٢٠
نعى رسول الله ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه.....	٤.....	٣٩٨	نهى النبي ﷺ عن الوطء على القبر.....	٤.....	٥١٦
نفر من قعر الله إلى قعر الله.....	٩.....	٣٩٩	نهى النبي ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها.....	٥.....	١٠٥
نما أنا شافع.....	٦.....	١٨٢	نهى النبي ﷺ عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها.....	٥.....	١٠٥
نزل غداً إن شاء الله.....	١٠.....	٤٦٢	نهى النبي ﷺ عن بيع الغرر.....	٢.....	٥٥٩
نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب.....	٧.....	٥٠٤	نهى النبي ﷺ عن بيع الولاء.....	٩.....	٧١
نهانا النبي ﷺ عن الميائير الحمر.....	٧.....	٥٠٥			
نهانا النبي ﷺ عن سب.....	٧.....	٥٣٣			
نهانا رسول الله ﷺ أن نستجني بأقل من ثلاثة.....	١.....	٤٢٢			

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٢٠٨.....٢	٦٢٥.....٦	نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا	نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب وحلوان	٦٢٥.....٦	نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب وحلوان
٤٤٤.....٤	٤٢٩.....٧	نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا	نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب	٤٢٩.....٧	نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب
٧٥.....١٠	٥٣٥.....٧	نهينا عن التكلف... (من قول عمر)	نهى النبي ﷺ عن خاتم الذهب	٥٣٥.....٧	نهى النبي ﷺ عن خاتم الذهب
٢٣٨.....١٠	٦٣٠.....٦	نور أنى أراه	نهى النبي ﷺ عن كسب الإمام	٦٣٠.....٦	نهى النبي ﷺ عن كسب الإمام
٤٥٥.....١	٧٨٤.....٧	ها... للحلاق	نهى النبي ﷺ عن كل ذي مخلب	٧٨٤.....٧	نهى النبي ﷺ عن كل ذي مخلب
٤٣.....٥	٧٦٢.....٧	هات، فقد بلغت محلها	نهى النبي ﷺ عن لبستين، وعن بيعتين	٧٦٢.....٧	نهى النبي ﷺ عن لبستين، وعن بيعتين
٥٨٣.....٧	٦٢١.....٦	هاتان السجلتان لمن لا يلدي	نهى النبي ﷺ ولا تمس طيباً إلا أدنى	٦٢١.....٦	نهى النبي ﷺ ولا تمس طيباً إلا أدنى
٣٦٤.....٩	٤٦٦.....٢	هاجر إبراهيم بسارقة دخل بها قرية	نهى النبي ﷺ عن الاستنجاء باليمين	٤٦٦.....٢	نهى النبي ﷺ عن الاستنجاء باليمين
٤٩٥.....٧		هبلت أجنة واحدة هي	نهى أن يزيق الرجل بين يديه أو عن يمينه		نهى أن يزيق الرجل بين يديه أو عن يمينه
٤٨٠.....٦	٢٩١.....٢	هبي نفسك لي	نهى أن يبيع الرجل على بيع أخيه	٢٩١.....٢	نهى أن يبيع الرجل على بيع أخيه
٦٦٩.....٧	٢٩١.....٦	هجر النبي ﷺ كعب بن مالك	نهى أن يتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة	٢٩١.....٦	نهى أن يتوضأ الرجل بفضل وضوء المرأة
٥٤٧.....٧	٥٢٦.....١	هنايا العمال غلول	نهى أن يصلي الرجل مختصراً.. (من قول أبي هريرة)	٥٢٦.....١	نهى أن يصلي الرجل مختصراً.. (من قول أبي هريرة)
٥٩٣.....٤	٣٣٧.....٤	هذا أئنتيم عليه خيراً فوجبت له الجنة	نهى أن يصلى إلى القبور	٣٣٧.....٤	نهى أن يصلى إلى القبور
٢٩٠.....٧	٣٠٩.....٢	هذا الأمل وهذا أجله	نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها	٣٠٩.....٢	نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها
٢٩٠.....٧		هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به	نهى رسول الله ﷺ عن الشغار		نهى رسول الله ﷺ عن الشغار
١٥٥.....٢	٢٣١.....٦	هذا أمر كتبه الله على بنات آدم	نهى رسول الله ﷺ عن الوشم	٢٣١.....٦	نهى رسول الله ﷺ عن الوشم
٣٢٧.....١٠	٣٨٠.....٩	هذا أيسر	نهى رسول الله ﷺ عن الوصال	٣٨٠.....٩	نهى رسول الله ﷺ عن الوصال
٢٧.....٢	١٩٦.....٩	هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم	نهى رسول الله ﷺ عن لبستين وعن بيعتين	١٩٦.....٩	نهى رسول الله ﷺ عن لبستين وعن بيعتين
١٤٢.....١	٤٨٨.....٧	هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم	نهى رسول الله ﷺ عن لبستين	٤٨٨.....٧	نهى رسول الله ﷺ عن لبستين
١٤٤.....١	٤٨٩.....٧	هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم	نهى رسول الله ﷺ عن متعة النساء يوم خير	٤٨٩.....٧	نهى رسول الله ﷺ عن متعة النساء يوم خير
٥٣٩.....٤	٣٨١.....٩	هذا جبل بجننا ونجه	نهى عن التزجل إلا غبا	٣٨١.....٩	نهى عن التزجل إلا غبا
١٣٤.....١٠	٤٤٣.....١	هذا جبل بجننا ونجه	نهى عن التعذيب بالنار	٤٤٣.....١	نهى عن التعذيب بالنار
٢٢٤.....٧	١٣٨.....٥	هذا جبل بجننا ونجه	نهى عن الخصر في الصلاة... (من قول أبي هريرة)	١٣٨.....٥	نهى عن الخصر في الصلاة... (من قول أبي هريرة)
٢٢٦.....٧	٣٣٧.....٤	هذا خالي فليزني امرؤ خاله	نهى عن المتعة	٣٣٧.....٤	نهى عن المتعة
٢٣٩.....٣	٢٤٣.....٦	هذا خير من ملء الأرض مثل هذا	نهى عن الملامسة والمناوبة	٢٤٣.....٦	نهى عن الملامسة والمناوبة
١٧٣.....٦	٤٨٨.....٧	هذا خير من ملء الأرض	نهى عن بيع أمهات الأولاد	٤٨٨.....٧	نهى عن بيع أمهات الأولاد
٣٢٤.....٧	٢٧٢.....٦	هذا شيء كتبه الله على بنات آدم	نهى عن قتل الكلاب	٢٧٢.....٦	نهى عن قتل الكلاب
٦٧٧.....٩	٤٥٨.....١	هذا عرق	نهى نبي الله ﷺ عن لبس الحرير	٤٥٨.....١	نهى نبي الله ﷺ عن لبس الحرير
٢٣٨.....٢	٤٧٢.....٣	هذا عيدنا أهل الإسلام	نهينا أن نحد أكثر من ثلاث إلا بزوج	٤٧٢.....٣	نهينا أن نحد أكثر من ثلاث إلا بزوج
٢٨.....٤	٤٤٧.....٤	هذا في البيعة التي تكون... (من قول عائشة)	نهينا أن نحد أكثر من ثلاث إلا بزوج	٤٤٧.....٤	نهينا أن نحد أكثر من ثلاث إلا بزوج
٢٦٥.....٦	٦٢٠.....٦	هذا كهز الشعر		٦٢٠.....٦	
١٠٣.....٦		هذا كهز الشعر... (من قول ابن مسعود)			
٢٨٥.....٣		هذا لك عشرة أمثاله			
٤٩٩.....٧		هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة			

طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة
هل أنتم إلا عبيد لأبي... (من قول حمزة)..... ٥١٨	٦	٤٧٤	هل أنتم إلا عبيد لأبي... (من قول حمزة)..... ٥١٨	٦	٤٧٤
هل بك جنون؟ هل أحصنت؟..... ٥٢٥	٦	٤٧٧	هل بك جنون؟ هل أحصنت؟..... ٥٢٥	٦	٤٧٧
هل بك جنون؟..... ٥٢٦	٦	٤٧٧	هل بك جنون؟..... ٥٢٦	٦	٤٧٧
هل بلغت؟..... ١٢٠	٦	٦٤٥	هل بلغت؟..... ١٢٠	٦	٦٤٥
هل تجد رقية؟..... ١٥٢	٩	٣٨٥	هل تجد رقية؟..... ١٥٢	٩	٣٨٥
هل تلرون ما الإيمان بالله؟..... ٤٤	١٠	٤٦٤	هل تلرون ما الإيمان بالله؟..... ٤٤	١٠	٤٦٤
هل تلرون ماذا قال ربكم..... ٤٨٦	١٠	٤٩٢	هل تلرون ماذا قال ربكم..... ٤٨٦	١٠	٤٩٢
هل تلري ما حق الله على عباده..... ٣٩٩	٧	٣٦٧	هل تلري ما حق الله على عباده..... ٣٩٩	٧	٣٦٧
هل تلري ما حق الله على عباده..... ٦٣٣	٧	٢٦٤	هل تلري ما حق الله على عباده..... ٦٣٣	٧	٢٦٤
هل ترون قبلي ها هنا..... ٢٢١	٣	١٤٣	هل ترون قبلي ها هنا..... ٢٢١	٣	١٤٣
هل ترون قبلي ها هنا؟..... ٢٩٤	٢	٢٦٩	هل ترون قبلي ها هنا؟..... ٢٩٤	٢	٢٦٩
هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن..... ٦٦٥	٥	٦٣٧	هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن..... ٦٦٥	٥	٦٣٧
هل ترون ما أرى؟..... ٤٩٥	٩	٦٢٣	هل ترون ما أرى؟..... ٤٩٥	٩	٦٢٣
هل تسمع النداء بالصلاة؟..... ٣٨٧	٢	٤٨٢	هل تسمع النداء بالصلاة؟..... ٣٨٧	٢	٤٨٢
هل تسمع النداء بالصلاة؟..... ٥٨	٣	٤٥٥	هل تسمع النداء بالصلاة؟..... ٥٨	٣	٤٥٥
هل تسمع النداء؟..... ٩٥	٣	٥٦٨	هل تسمع النداء؟..... ٩٥	٣	٥٦٨
هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب..... ٤٩٨	٧	١٤٢	هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب..... ٤٩٨	٧	١٤٢
هل تضارون في القمر ليلة البدر..... ٤٠٥	١٠	٤٩٢	هل تضارون في القمر ليلة البدر..... ٤٠٥	١٠	٤٩٢
هل تضارون في رؤية الشمس والقمر..... ٤٠٨	١٠	٦٥٦	هل تضارون في رؤية الشمس والقمر..... ٤٠٨	١٠	٦٥٦
هل تهاونون..... ٣٢٩	٣	٣٥٥	هل تهاونون..... ٣٢٩	٣	٣٥٥
هل رأى أحد منكم من رؤيا؟..... ٤٧٩	٩	٢٥٩	هل رأى أحد منكم من رؤيا؟..... ٤٧٩	٩	٢٥٩
هل رأيتم السعدان؟..... ٤٠٦	١٠	٥٣١	هل رأيتم السعدان؟..... ٤٠٦	١٠	٥٣١
هل رجم رسول الله ﷺ؟..... ١٤١	٩	٣٨٦	هل رجم رسول الله ﷺ؟..... ١٤١	٩	٣٨٦
هل ظلمتكم شيئا؟..... ٦٦	٦	٥٨١	هل ظلمتكم شيئا؟..... ٦٦	٦	٥٨١
هل عندك من شيء تصدقها..... ٢٧٧	٦	٤٧٩	هل عندك من شيء تصدقها..... ٢٧٧	٦	٤٧٩
هل عندك من شيء؟..... ٨٣	٦	٤٧٩	هل عندك من شيء؟..... ٨٣	٦	٤٧٩
هل عندك من شيء؟..... ٣١٠	٦	٤٧٩	هل عندك من شيء؟..... ٣١٠	٦	٤٧٩
هل عندكم شيء؟..... ١١٤	٥	٤٧٩	هل عندكم شيء؟..... ١١٤	٥	٤٧٩
هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟..... ٥٤٤	٤	٤٧٩	هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟..... ٥٤٤	٤	٤٧٩
هل لك من إيل..... ١٠٧	١٠	٤٧٩	هل لك من إيل..... ١٠٧	١٠	٤٧٩
هل لك من إيل؟..... ٥٨٠	٦	٤٧٦	هل لك من إيل؟..... ٥٨٠	٦	٤٧٦
هل لك من إيل؟..... ١٩٢	٩	٥٢٣	هل لك من إيل؟..... ١٩٢	٩	٥٢٣
هل معك من هدي؟..... ٢٤١	٥	٣٢٧	هل معك من هدي؟..... ٢٤١	٥	٣٢٧
هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟..... ٤٥٧	٤	٦٢٧	هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟..... ٤٥٧	٤	٦٢٧
هل يكب الناس في النار على وجوههم..... ٧٢	١٠		هل يكب الناس في النار على وجوههم..... ٧٢	١٠	

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٥٦٣.....	٥	هو الطهور ماؤه، الحل ميتته	١٠٩.....	٥	هلا أنفعتم بجلدها؟
٥٤٥.....	٩	هو أمون على الله من ذلك	٣٠٣.....	٦	هلا بعثتم معها من يغني فإن الأنصار
٧٢.....	٩	هو أولى الناس بمحياه ومماته	١٤٤.....	٩	هلا تركموه يتوب فيتوب الله عليه
٧٣.....	٩	هو أولى الناس بمحياه ومماته	٦٣.....	٩	هلا تركموه يتوب، فيتوب الله عليه
٦٥٤.....	٩	هو صغير	٥٦٧.....	٤	هلا تزوجت بكراً
١٠٩.....	٥	هو عليها صدقة ولنا هدية	١٥٥.....	٦	هلا جارية تلاعبها وتلاعبك
١٨١.....	٦	هو عليها صدقة ولنا هدية	٢٥٠.....	٧	هلا جارية تلاعبها وتلاعبك
١١٤.....	٥	هو عليها صدقة، وهو لنا هدية	١٥.....	١٠	هلك المتطعون
٣٦١.....	١٠	هو في ضحاح	٢٦٧.....	١٠	هلك المتطعون
١٤٧.....	٩	هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش	٣٨١.....	١٠	هلك المتطعون
٥٧.....	٩	هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش	٧٦.....	١٠	هلك المتطعون
٨٤.....	٩	هو لك يا عبد بن زمعة، الولد للفراش	٥٤٠.....	٧	هلك كسرى، ثم لا يكون كسرى بعده
٥٤٣.....	٦	هو لها صدقة ولنا هدية	٤٩٣.....	٩	هلكة أمني على يدي غلمة من قریش
٦٧.....	٩	هو لها صدقة ولنا هدية	٦٥٠، ٦٤٨.....	٧	هلكت يا رسول الله
٤٩.....	٦	هو لها صدقة، ولنا منها هدية	١٠٠.....	٩	هلكت يا رسول الله
١١١.....	٥	هو لها صدقة، ولنا هدية	٣٣٦.....	٧	هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده
٦٤.....	٩	هو لها صدقة، ولنا هدية	١٨٢.....	١٠	هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا
٢٧٣.....	٣	هي السبع المثاني	٦٠٥.....	٧	هلمي يا أم سليم ما عندك
٤٢٧.....	٦	هي المرأة تكون عند الرجل... (من قول عائشة)	٥٤٧.....	٧	هم الأخسرون ورب الكعبة
١٨٤.....	١	هي النخلة	٢٧٣.....	٧	هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم
٢١٨.....	١	هي النخلة	٤٢٣.....	٧	هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون
٣٥٥.....	١	هي النخلة	٤١٤.....	٧	هم الذين لا يسترقون
٤٩٩.....	٢	هي النظر إلى وجه الله	٣٧٧.....	٧	هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون
١٩١.....	٦	هي اليتيمة تكون عند الرجل... (من قول عائشة)	٣٣٥.....	٩	هم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة
٢٧٠.....	٦	هي اليتيمة تكون في حجر الرجل... (من قول عائشة)	٥٠٦.....	٩	هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا
٣٩٢.....	٩	هي اليتيمة في حجر... (من قول عائشة)	٥٧.....	١٠	هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها... (من قول عمر)
١١٣.....	٩	هي بضعة مني يربوها مارابني	٤٨٠.....	٧	هن لهن ولهن لمن أتى عليهن
٢٤٦.....	٦	هي حرام إلى يوم القيامة	٤٥٥.....	١	ههنا أبو طلحة؟
٨٢، ٧٩.....	٥	هي علي ومثلها	٢٢.....	٥	هو أحد المتصدقين
٤٩٧.....	٧	هي لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة	٢٣٢، ٢٢٢.....	٣	هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد
٥٠٥.....	٧	هي من فيج جهنم	٦٧٩.....	٧	هو إذنه
٤٦٠.....	٢	ويوتن خير لهن	٣٦١.....	١	هو الطهور ماؤه الحل ميتته
		ولكن من غائط، أو نوم، أو بول... (من)	٣٩٣.....	٦	هو الطهور ماؤه الحل ميتته

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
		والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث	١٠..... ٥٤٠	قول صفوان بن العسال)	قول صفوان بن العسال)
٥٨..... ٦		القرآن.....	٤..... ٧١	وأبيض يستسقى الغمام بوجهه... (من)	وأبيض يستسقى الغمام بوجهه... (من)
٥٥٣..... ٧		والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن.....	٢..... ٤٣٨	قول ابن عمر).....	قول ابن عمر).....
٥٤٥..... ٧		والذي نفسي بيده إنهم خير منهم.....	٥..... ١١٥	وأتبع أصحاب القلب لعنة.....	وأتبع أصحاب القلب لعنة.....
٤٤٣..... ٧		والذي نفسي بيده إني لأطعم أن.....	٩..... ٤٤٤	واتق دعوة المظلوم.....	واتق دعوة المظلوم.....
٤١..... ١٠		والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله.....	٧..... ٤٣٤	واختصر لي الكلام اختصاراً.....	واختصر لي الكلام اختصاراً.....
٢٠٧، ١٧٩، ١٥٥..... ٩		والذي نفسي بيده لأقضي بينكما بكتاب الله.....		وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن.....	وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن.....
		والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم		وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحجر	وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحجر
٨٤..... ٥		جله.....	٢..... ٢٧٧	الصواب.....	الصواب.....
٥٣٩..... ٧		والذي نفسي بيده لتفكن كوزهما.....	٣..... ٩٦	وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً.....	وإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً.....
٧٦..... ١٠		والذي نفسي بيده لقد عرضت.....	٦..... ٢٩٢	وإذا ظننت فلا تحقق.....	وإذا ظننت فلا تحقق.....
٦٦٥..... ٩		والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب.....	٣..... ٣٢٣	وإذا قال: سمع الله لمن حمده.....	وإذا قال: سمع الله لمن حمده.....
٦٠..... ٣		والذي نفسي بيده لقد هممت.....	٧..... ٤٠٤	وإذا وقع بأرض وأنتم بها.....	وإذا وقع بأرض وأنتم بها.....
٥٤٩..... ٧		والذي نفسي بيده لمانديل سعد.....	٢..... ٦٣٥	وأرجو أن أكون أنا هو.....	وأرجو أن أكون أنا هو.....
٥٥٧..... ١٠		والذي نفسي بيده لو أن موسى.....	٧..... ٦٢٠	وأشد الناس عذاباً يوم القيامة.....	وأشد الناس عذاباً يوم القيامة.....
٦٧١..... ٩		والذي نفسي بيده لو لا أن رجالاً يكرهون.....	١٠..... ٢٣١	واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك.....	واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك.....
		والذي نفسي بيده ليوشكن أن يتزل فيكم ابن	١٠..... ٢٢٠	واشف أنت الشافي.....	واشف أنت الشافي.....
٦٧٢..... ٩		مريم.....	٥..... ٥٢٢	واصنع في عمرتك كما تصنع في حجبك.....	واصنع في عمرتك كما تصنع في حجبك.....
٢٩٧..... ١٠		والذي نفسي بيده.....		واعصياً لك يا ابن عباس هما عائشة،	واعصياً لك يا ابن عباس هما عائشة،
٥٣٨..... ٧		والذي نفسي بيده.....	٦..... ٣٨٨	وحفصة... (من قول عمر).....	وحفصة... (من قول عمر).....
٥٥٤..... ٧		والذي نفسي بيده، إنكم لأحب.....	٣..... ٤٠٩	واعلم أن الأمة لو اجتمعوا.....	واعلم أن الأمة لو اجتمعوا.....
		والذي نفسي بيده، وددت أني أقتل في سبيل	٦..... ١٥٢	واعلم أن النصر مع الصبر.....	واعلم أن النصر مع الصبر.....
٦٧١..... ٩		الله.....	١٠..... ٢٣٨	واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا.....	واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا.....
٥٤٥..... ١٠		والذي يقرأ القرآن ويتنعم فيه.....	٣..... ٢٥١	وافعل ذلك في صلاتك كلها.....	وافعل ذلك في صلاتك كلها.....
٤٥٨..... ٦		والله إنكم لأحب الناس إلي.....	٧..... ٣٠٦	وافقت ربي في ثلاث... (قول عمر).....	وافقت ربي في ثلاث... (قول عمر).....
		والله إنني لأعرف مما هو... (من قول	٢..... ٢٨٠	وافقت ربي في ثلاث... (من قول عمر).....	وافقت ربي في ثلاث... (من قول عمر).....
٥٢٩..... ٣		سهل في منبر رسول الله ﷺ).....	٩..... ٦٤٩	والأنازع الأمر أهله.....	والأنازع الأمر أهله.....
١٤٥..... ٧		والله إني لأستغفر الله.....	٢..... ٢٥٨	والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح.....	والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح.....
٥٥٧..... ٧		والله لا أحلف على يمين.....	٧..... ٧٩٣	والخيل في نواصيها الخير.....	والخيل في نواصيها الخير.....
٥٩٥..... ٧		والله لا أحلکم على شيء.....		والذي بعثك بالحق لا أعلم أهل بيت	والذي بعثك بالحق لا أعلم أهل بيت
٦٦٦..... ٧		والله لا أحلکم وما عندي ما أحلکم عليه.....	٣..... ٣٣٩	أفقر مني.....	أفقر مني.....
٥٥٧..... ٧		والله لا أحلکم.....		والذي فلق الحبة وبرأ النسمة... (من قول	والذي فلق الحبة وبرأ النسمة... (من قول
٥٦٠..... ٧		والله لا ألبس أبداً.....	٩..... ٢٨٣	علي).....	علي).....
		والله لا أنفق على مسطح شيئاً... (من قول	٧..... ٥٣٩	والذي نفس محمد بيده لتفكن كوزهما.....	والذي نفس محمد بيده لتفكن كوزهما.....
٥٩٥..... ٧		أبي بكر).....	٧..... ٥٤٧	والذي نفس محمد بيده لو تعلمون.....	والذي نفس محمد بيده لو تعلمون.....
٥٦٢..... ١٠		والله لا أحلکم.....	٧..... ٥٣٨	والذي نفس محمد بيده.....	والذي نفس محمد بيده.....

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
.....		والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة	٥٣٥	٧	والله لا أحلکم
٥٥٤	٦	قط	٥٥	٩	والله لا أفصح قومي سائر اليوم
٥٩٦	٧	والله إن شاء الله لا أحلف على يمين	٣١٣	٦	والله لا تجتمع بنت عدو الله
١٥٨	٥	والله، إني لأعلم أنك حجر لا			والله لا يجمع الله عليك موتتين... (من)
.....		تضرب... (من قول عمر)	٣٩٢	٤	قول أبي بكر
٤١١	٢	والمغرب إذا وجبت	٦٦٣	٧	والله لأطوفن الليلة على تسعين امرأة
٤٥٢	٥	والمقصرين			والله لأطوفن الليلة على تسعين... (من)
١٦٩	١	والنصح لكل مسلم	٥٩٤	٥	قول سليمان
٦٥١	٩	والنصح لكل مسلم			والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة...
.....		والوضوء أيضًا، وقد علمت أن رسول	٦١	١٠	(من قول أبي بكر)
٤٥٧	٣	الله ﷺ			والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة
٧٨	٥	وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا	٦١٠	٤	والزكاة... (من قول أبي بكر)
٤٧	٥	وأما خالد فقد احتسب أدراعه			والله لأقاتلن من فرق بين... (من قول أبي
٢١١	٧	وإن أردت بعبادك فتنة	٣٢٤	٩	بكر)
٧٩٥	٧	وأن ترى الحفاة العراة	٥٣٦	٧	والله لأن يلج أحلكم يمينه
٥٤٧	٣	وأن تمنعوني مما تمنعون			والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ
٣٧٤	٤	وإن زنى وإن سرق	٣٩	٦	بضعًا
٤٩٤	٧	وإن زنى وإن سرق	٤٩٢	٧	والله لهم أشبه به من الغراب بالغراب
٥٤٥	٦	وأن عيسى عبد الله ورسوله	٥٤٥	٧	والله لو تعلمون ما أعلم
.....		وإن كانوا أكثر من ذلك فليصلوا قيامًا	٢٣٠	٦	والله لو لم تكن في حجري ما حلت لي
٥٨٥	٣	وركيًا	٦١	٥	والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها
٤٨٠	١	وإن لم يزل	٥٤	٣	والله لولا الله ما اهتدينا
٢٤٤	٤	وإن لنفسك حقًا ولأهلك حقًا			والله ليتن الله هذا الأمر حتى تسير
١٨٦	٦	وأنا أكل اللحم	٤٦٩	٤	الظعينة
١٥٣	١٠	وأنا أمركم بخمس أمرني الله بهن	١٣٥	٩	والله ليتن الله هذا الأمر حتى تسير الظعينة
٤٢	٣	وإن إن شاء الله بكم لا حقون	٥٥٤	٤	والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي؟
٩٦	٦	وأنا على حمار أتان وقد ناهزت الاحتلام			والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا
٥٩٢	٣	وأنا والله ما صليتها بعد	٤٦٠	٩	بكم
٢٣٦	١٠	وأنت الباطن فليس دونك شيء	٣٩٥	٤	والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي
٤٣	٢	وإنما الماء من الماء	٤٤٩	٩	والله ما أدري وأنا رسول الله ماذا يفعل بي؟
٤٤٨	٧	وإنما أمي جزء من ألف جزء	٢٣٣	٧	والله ما الفقر أخشى عليكم
٥١٦	٧	وإنني لأرى حوضي الآن	٥١٤	٧	والله ما الفقر أخشى عليكم
٥٣٥	٧	وإنني والله -إن شاء الله- لا أحلف			والله ما تعطينا الجزل... (من قول عينة بن
٥٦٩	٧	وأهل النار كل جواظ عتل مستكبر	٦٣	١٠	حصن لعمر)
٥٥١	٧	وأيضًا والذي نفس محمد بيده	٥٨٤	٢	والله ما صليتها
١٦٨	٢	وأبكم يملك إربه	٥٤	٣	والله ما صليتها

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
١	٣٦٠	وقت النبي ﷺ لأهل العراق	٧	٥٣٧	وايم الله، إن كان لخليقاً للإمارة.
		وقت رسول الله ﷺ لأهل المدينة ذا	١٠	٢٤٤	ونيك الذي أرسلت
٥	١٨٤	الحليفة	٢	١٧٧	ويوتن خير لهن.
٥	١٨٩	وقت لأهل المدينة ذا الحليفة	٦	٢٣٠	وتحين؟
٧	٥٦٦	وقت لنا ألا تترك فوق أربعين	١	٥٧٨	وتر النهار
١٠	١٨٢	وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به	٦	٤٥٢	وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة
٨	٦٥٢	وقعت على امرأتي في رمضان يا رسول الله	٧	٤٥٠	وتضع الحوامل ما في بطونها
٥	٤٦١	وقف رسول الله ﷺ على ناقته	٤	٥٩٣	وجبت
٥	٥٧٧	وقيت شركم، كما وقيتم شرها			وجدت آخر سورة التوبة... (من قول
١٠	٤٥٤	وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً	٦	١٢	زيد بن ثابت)
		وكان رجل من الأنصار إذا غاب عن رسول	٤	٥٩٧	وجدتم ما وعد ربكم حقاً
١٠	٤٠	الله	١	٤٧٤	وجرحه يتعب دماً... (يعني عمر)
٧	٣٩٧	وكان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نردها	٢	١٦٤	وجعلت تربتها لنا طهوراً
٧	٣٣٧	وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم	٧	٤٨٧	وحين تضيف الشمس للغروب
١٠	٢٥٤	وكلنا بيديه يمين	١٠	٥٢٨	ورجل يقول: لو أوتيت
		وكننت أنقل النوى من الأرض... (من	٢	٣٤٦	ورسول الله ﷺ يسترنى بردائه
٦	٤٤٤	قول أساء)	١٠	٥٤٥	وزينوا القرآن بأصواتكم
٧	٦٦٠	الولاء لمن أعتق	٣	٢٠١	وسطوا الإمام وسدوا الخلل
٥	٤٣٥	ولا أعطي عليها شيئاً في جزارتها	٣	٣٢	وصلوا كما رأيتموني أصلي
١	٣٦٤	ولا الخفاف	٢	١	وضعت لرسول الله ﷺ غسلاً
١٠	٥٢٦	ولا تجهر بصلاتك	٢	١٤	وضعت للنبي ﷺ غسلاً
		ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة	١	٦٣٥	وضعت للنبي ﷺ ماءً للغسل
١	٣٦٢	ملياً	٧	٢٢٦	وضلع الدين، وغلبة الرجال
١	٢٤٢	ولا حرج			وعلني ربي أن يدخل الجنة من أمي سبعين
٧	٣٤٧	ولا يتمنين أحدكم الموت	٧	٤٧٢	ألفاً
٥	٥٢	ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق	٧	٤٧٠	وعلني ربي أن يدخل الجنة من أمي سبعين
٩	٣٧٧	ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع	١٠	٢٥٧	وعزتك لا أغني لي عن بركك ش
٥	٦٠	ولا يخرج في الصدقة هزمة			وعلموهم وأدبوهم وصلوا كما رأيتموني
		ولا يخلون رجل بامرأة؛ فإن ثالثهما	٣	٢٤	أصلي
١	٤٠٣	الشيطان	١	٢٠١	وفروا للحى
١٠	٣٩٩	ولا يصعد إلى الله إلا الطيب	١٠	٤٧٧	وفي بضع أحدكم صدقة
١	٢٧٩	ولا يعضد شوكة	٢	٥٣٩	وفي بضع أحدكم صدقة
٥	٦٥٢	الولاء لحمه كالحمة النسب	٦	٥٧٨	وفي كل دور الأنصار خير
٢	٣٤٨	الولاء لمن أعتق	٢	٥٤٤	وقت العصر ما لم تصفر الشمس
٦	١٨١	الولاء لمن أعتق			وقت النبي ﷺ قرأنا لأهل نجد... (من قول
٦	٥٣٧	الولاء لمن أعتق	١٠	١٤٣	ابن عمر)

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢٤٨.....٦		منه.....	٥٣٨.....٦		الولاء لمن أعتق.....
٣٥.....١٠		وما ذاك.....	٦٤.....٩		الولاء لمن أعتق.....
٢٧٦.....٢		وما ذاك؟.....	٧٧، ٧٢، ٦٦، ٦٥.....٩		الولاء لمن أعتق.....
٢٨٤.....٢		وما ذاك؟... (لما قيل أزيد في الصلاة).....	٧٣.....٩		الولاء لمن أعتق.....
٢٤٧.....٥		وما طفت ليالي قدما مكة؟.....	٧٢.....٩		الولاء لمن أعطى الورق.....
٤٥.....٣		وما فاتكم فاقضوا.....	٧٧.....٩		الولاء لمن أعطى الورق.....
		وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد	٤١٤.....٧		ولا يكتون.....
١٧٥.....٢		الله بن رواحة.....	٤١١.....٧		ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان.....
٤٩١.....١٠		وما قدروا الله حق قدره.....	٦٠.....٩		الولد لصاحب الفراش.....
٥٤.....٥		وما كان من خليطين فإنها.....	٢٠٢.....٦		الولد للفراش وللعاهر الحجر.....
٤٦.....٦		وما كان يدريه أنها رقية.....	٥٨١.....٦		الولد للفراش وللعاهر الحجر.....
٥١٦.....١٠		وما كنتم تستترون.....	٦٢٤.....٩		الولد للفراش وللعاهر الحجر.....
		وما لي لا ألعن من لعن رسول الله.....	١٤٧.....٩		الولد للفراش، وللعاهر الحجر.....
٦٠١.....٧		(من قول عبد الله).....	٤٢٣.....٦		ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم.....
٩٩.....٤		وما يؤمنني أن يكون فيه عذاب.....	٥٤٠.....١		ولكن من غائط، ونوم، وبول.....
٤٤٨.....٩		وما يدريك أن الله أكرمه؟.....	٦١٢.....٦		ولم يرها شيئا.....
٣٩٥.....٤		وما يدريك أن الله قد أكرمه؟.....			ولما تلذذتم بالنساء على الفراش،
٤٢٠.....٧		وما يدريك أنها رقية؟.....	١٢٦.....٤		ولخرجتم إلى الصعدات.....
٤٦٠.....٩		وما يدريك؟.....	٦٣١.....٣		ولن تجزي جذعة عن أحد بعدك.....
		وما يسرنى بتلك الصلاة... (من قول			ولو استزددته لزادني... (من قول ابن
٥٨٦.....٣		أنس).....	٤٥٧.....٢		مسعود).....
٤٦٣.....٧		وما يغني عنه قميصي من الله.....	٥٨٤.....٦		ولو بأن تخلته.....
٣٣٦.....١٠		ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي.....	٧٠.....٣		ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه.....
٣٣٦.....١٠		ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي.....	١٩٠.....٣		ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا.....
٥٦٥.....١٠		ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي.....			ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو
٦٢٨.....٦		ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي.....	٣٤٠.....٧		بالموت لدعوت به.....
		ومن أظلم ممن ذهب يخلق			ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من
٣٤٠.....١٠		كخلقي... (قدسي).....	٦٣٨.....٢		النار.....
٦٢٥.....٧		ومن أظلم ممن ذهب يخلق.....	٤٨٦.....٧		ولولا أنا لكان في الدرك.....
		ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست	٦١١.....١		وليؤمكم أكبركم.....
٥٠.....٥		عنده.....	٢٨.....٣		وليؤمكم أكبركم.....
٦.....١٠		ومن توفيته متأخفة.....	٣١.....١٠		وليتابعه من سمعه.....
٥١٢.....٧		ومن قتل نفسه شيئا.....	٦٠٥.....٥		وليقطعها حتى يكون أسفل من الكعيعين.....
		ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم	٤١٠.....٧		وما أدراك أنها رقية.....
٣٧٠.....٧		ضيفه.....	٤٣٧.....١٠		وما أوتوا من العلم إلا قليلا.....
٦٢١.....٧		ومن نذر أن يعصي الله.....			وما تصنع بإزارك، إن لبسته لم يكن عليها

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٢٨	٣	يؤمكم أقرأكم	٢٩٠	٥	وهل ترك عقيل من ربيع أو دور؟
٤٨٠	٦	يا أبا أسيد اكسها رازقينين	١٦٦	٦	وهل عندك من شيء؟
٦١١	٣	يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا	٢٥٣	٦	وهل عندك من شيء؟
٣٧٠	٢	يا أبا بكر، لا تبك، إن أمن الناس على	٣٤١	٢	ويح عار تقتله الفئة الباغية
٣٩٣	١٠	يا أبا ذر هل تدري أين تنهب هذه؟			ويحك -أوهبت- أوجة واحدة هي جنان
٩٦	١	يا أبا ذر، أعيرته بأمة؟	٤٧٧	٧	كثيرة
٦٥٦	٥	يا أبا عمير ما فعل النغير؟	٤٠١	١٠	ويحك من يعدل إذا لم أعدل
٨	٢	يا أبا عمير، ما فعل النغير	٣١٣	٢	ويحك يا أنجشة
١١٠	٦	يا أبا موسى، لقد أوتيت مزماراً			ويحك، إن شأنها شديد، فهل لك من
١٥١	٦	يا أبا هريرة جف القلم يا أنت لاق	٥٦	٥	إيل
١٥٢	٦	يا أبا هريرة جف القلم	١١٧	١٠	ويد الله مع الجماعة
		يا ابن أخي هذه اليتيمة... (من قول عائشة)	٤٣٧	١٠	ويسألونك عن الروح
٢٨٦	٦	يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت	٨١	١٠	ويسألونك عن الروح
٣٦١	٥	يا آدم أخرج بعث النار	٣٦٨	٥	ويعتزل الحيف المصلى
٦٤٥	٩	يا آدم، فيقول: ليك وسعديك			ويكبر حين يقوم من التثني بعد
٤٤٠	١٠	يا آدم، فيقول: ليك وسعديك	٣٠١	٣	الجلوس
٤٦٣	١٠	يا أم خالد هذا منا	١٧٨	١	ويل للأعقاب من النار
٥١٦	٧	يا أمة محمد ما أحد أغير من الله	٢٦٣	١	ويل للأعقاب من النار
٤٤٢	٦	يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم	٣٦٥	١	ويل للأعقاب من النار
٥٤٢	٧	يا أمة محمد، والله ما من أحد أغير من الله	٤٢٥	١	ويل للأعقاب من النار
١٢٤	٤	يا أنيس اغد على امرأة هذا فارجهما	٤٥٢	٧	ويل للأعقاب من النار
٦٤١	٩	يا أيها الناس إن منكم مغفريين	٤٥٢	٧	ويل للأعقاب، ويطون الأقدام من النار
٥٨٥	٩	يا أيها الناس إنا غل من قبلكم أنهم كانوا	٣٣٨	٩	ويلك، من يعدل إذا لم أعدل؟
١١٤	٩	يا أيها الناس توبوا إلى الله	٣٣٧	٩	ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟
٦١٨	٧	يا أيها الناس ما لكم حين نابكم شيء	٤٨٩	١٠	ويلهمني محامداً أحده بها
٣٦٧	٤	يا أيها الناس ما لكم حين نابكم شيء	٥٥٠	٥	يؤذيكم هوامك؟
٣٣٦	٤	يا أيها الناس، إنا الاعمال بالنية	٢٢٩	١٠	يؤذني ابن آدم يسب الدهر
١٧٠	٣	يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم	٤٧٥	١٠	يؤذني ابن آدم يسب الدهر
٣٧١	٩	يا أيها الناس، أي يوم هذا؟	٢١٨	١٠	يؤذني ابن آدم، يسب الدهر (قلمسي)
٥٥٨	١٠	يا بلال حدثني بأرجى عمل	٣٢	١٠	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
٤٦٢	٥	يا بلال، قم فناد بالصلاة	١٧٩	٢	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
٢٤٠	٤		١٣١	٣	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
٦١٠	٢		٣٢	٣	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
			٣٦٢	٣	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
			٢٨	٣	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله
			٣٧٠	٤	يؤم الناس أقرؤهم لكتاب الله

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٤٤١.....	٧	يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني.....			يا بن أخي، اليتيمة تكون... (من قول عائشة).....
٨٨.....	٩	يا عائشة ألم تري أن مجزأ المملجي.....	١٣٨.....	٦	يا بن أخي، هذه اليتيمة... (من قول عائشة).....
٢٣٧.....	٤	يا عائشة إن عيني تمانان ولا ينام قلبي.....	١٧٥.....	٦	يا بنت أبي أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر.....
٤٣٧.....	٧	يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء.....	٥٣٧.....	٢	يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر.....
٣٢٨.....	٦	يا عائشة ما كان معكم لهو.....	٣٦٦.....	٤	يا بني النجار، ثامنوني.....
٦٨٢.....	٧	يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام.....	٦٤٧.....	٥	يا بني سلمة ألا تحسبون أثاركم؟.....
٦٨٢.....	٧	يا عائشة هذا جبريل.....	٦٦٩.....	٥	يا بني سلمة دياركم.....
		يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية.....	٢٨٠.....	٤	يا بني عبد مناف، لا تمنعوا أحدا طاف.....
٢٨٣.....	٥	يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني.....	٥٥٤.....	٢	يا بنية لا يغرنك هذه... (من قول عمر).....
٤٣٧.....	٧	يا عائشة، لولا قومك حديث عهدهم.....	٤٤٠.....	٦	يا جبريل ما يمنعك أن تروونا.....
٣٤٤.....	١	يا عائشة، ما كان معكم لهو؟.....	٤٣١.....	١٠	يا حاطب ما حلك على ما صنعت؟.....
٣١٢.....	٢	يا عبادي لو أن أولكم.....	٣٤٣.....	٩	يا حسان، أجب عن رسول الله ﷺ.....
١٥٠.....	٧	يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فضروني... (قسي).....	٣٤٥.....	٢	يا حكيم، إن هذا الهال خضرة حلوة.....
		يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم... (قسي).....	٨٥.....	٥	يا رب أمي أمي.....
٢٢٩.....	١٠	يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة.....	٤٨٩.....	١٠	يا رب إن أمي ضعفاء.....
٣٥٨.....	١٠	يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة.....	٤٩٥.....	١٠	يا رسول الله ﷺ أيعذب الناس في قبورهم؟.....
		يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة.....	١٤١.....	٤	يا رسول الله ﷺ هلكت الكراع.....
٥٤٢.....	٦	يا عبد الرحمن، اذهب بأختك فأعمرها.....	٥٥٣.....	٣	يا رسول الله ﷺ، أنسيت أم قصرت الصلاة.....
٥٧٤.....	٩	يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم.....	٨٥.....	٦	يا رسول الله ﷺ أليس أبي قميصك الذي يلي جلدك.....
٥٣٤.....	٧	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....	٥٦٤.....	٤	يا رسول الله ﷺ ما أنقم على ثابت في دين ولا خلق.....
٥٧٤.....	٩	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....	٥٣٤.....	٦	يا رسول الله ﷺ هلكت الهال، وجاع العيال.....
١٧٥.....	٥	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....	٩٦.....	٤	يا رسول الله ﷺ هلكت الأموال.....
٤١٦.....	٦	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....	٩٦.....	٤	يا رسول الله ﷺ، تهدم البناء، وغرق الهال.....
٢٤٧.....	٧	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....	٩٣.....	٤	يا رسول الله ﷺ، هلكت الهاشية، هلكت العيال.....
٢٤٤.....	٤	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....			يا رسول الله ﷺ، يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك؟.....
٤٥١.....	١٠	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....	٥١٧.....	٥	يا سلمة ألا تابع؟.....
٥٧٨.....	٤	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....	٦٥٣.....	٩	
		يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....			
٦٣٨.....	٢	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....			
٣٣٤.....	٧	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....			
٦٦٢.....	٧	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....			
٧٦٤.....	٧	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....			
٢٦٦.....	١	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....			
٤٧٣.....	١٠	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....			
٢٧٠.....	٣	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....			
٣٥٢.....	٢	يا عبد الله بن قيس قل: لا حول ولا.....			

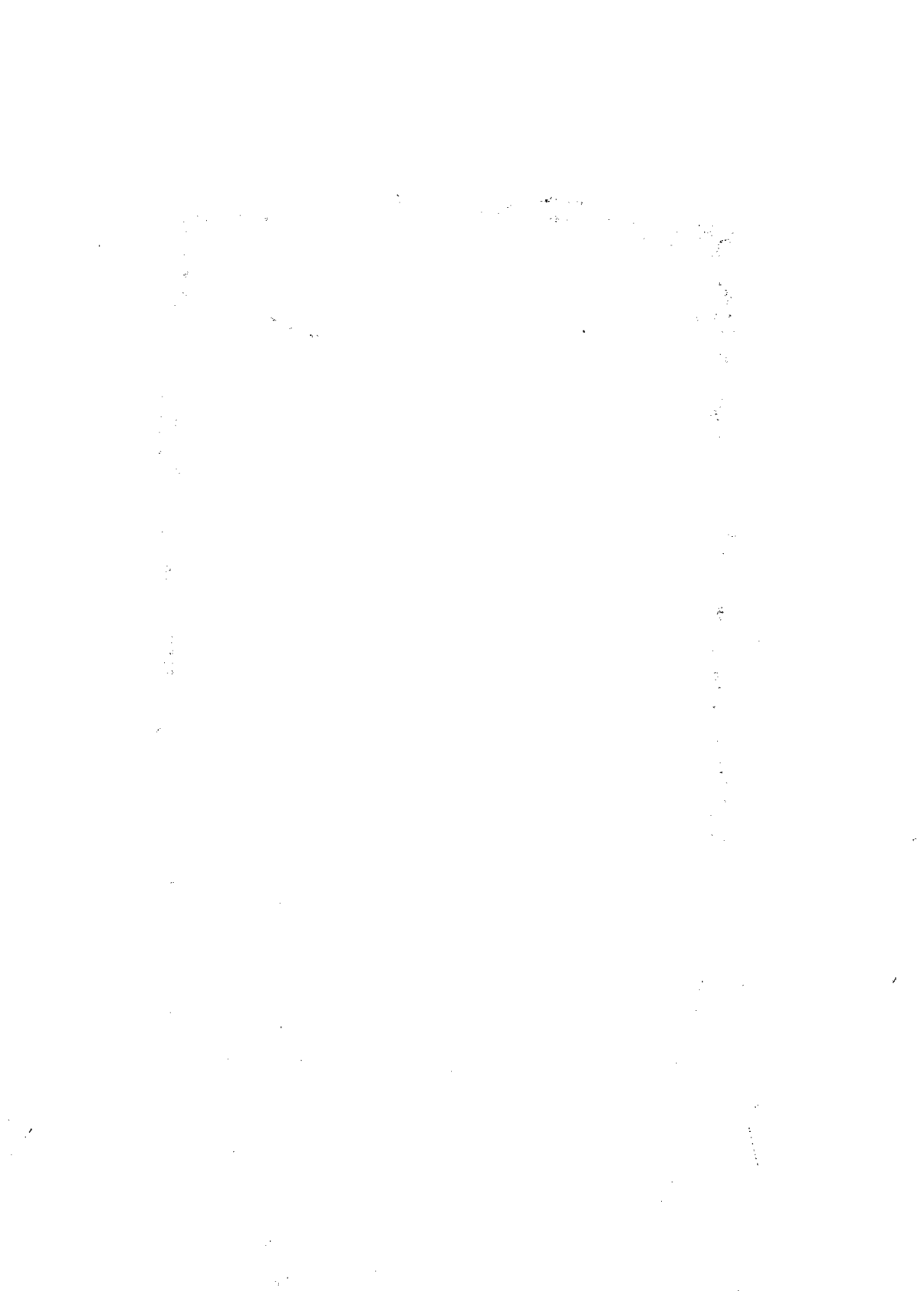
الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٤٧٨.....	١٠	يأتي يوم القيامة وجرحه يثقب دماً.....	٣٧٥.....	٢	يا كعب بن مالك، يا كعب.....
.....		يا أمرونا بالصلاة، والزكاة، والصلة،	٤٢٢.....	١٠	يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع.....
٦٠١.....	٤	والعفاف.....	٤١٣.....	٩	يا محمد إنك رسول الله حقاً.....
.....		يا أمرونا -يعني: النبي ﷺ- بالصلاة	٥٣٢.....	٧	يا مخزومة هذا خيأناه لك.....
١٩٨.....	٢	والصدق.....	٣٤٧.....	١	يا معاذ بن جبل.....
٥٧٣.....	٧	يقي رجل بين الجنة والنار فيقول.....	٢٠٦.....	١٠	يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد.....
٢٦٣.....	١٠	يقي رجل بين الجنة والنار.....	١٧٠.....	٣	يا معاذ، أفتأنت أنت.....
٤١٨.....	٧	يتبع الميت ثلاثة.....	٧٣٨.....	٧	يا معشر الأنصار.....
٧٢.....	٣	يتراصون ويكملون الأول فالأول.....			يا معشر الشباب من استطاع الباءة
٣٩٨.....	١٠	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل.....	١٤١.....	٦	فليتزوج.....
٤٧١.....	١٠	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل.....			يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
٥٠٨.....	٢	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل.....	١٣٩.....	٦	فليتزوج.....
٤٩٦.....	٩	يتقارب الزمان وينقص العمل.....	١٣٦.....	٦	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة.....
١٧٣.....	٧	يتنزل ربنا تبارك وتعالى.....	٦٠.....	١٠	يا معشر القراء استقيموا... (من قول حذيفة)
٤٦٢.....	٧	يجاء بالكافر يوم القيامة.....			يا معشر المسلمين كيف تسألون... (من
٥٢٢.....	٩	يجاء برجل فطرح في النار فيطحن فيها.....	٥٢٠.....	١٠	قول ابن عباس).....
١٥٤.....	١٠	يجاء بنوح يوم القيامة.....	١٩٢.....	١٠	يا معشر المسلمين من يعذروني.....
.....		يجعل السماء على أصبع والأرضين على	٦٧.....	٥	يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن.....
٣٤٨.....	١	أصبع.....	١٧٠.....	٢	يا معشر النساء تصدقن.....
٣٤٩.....	١٠	يجمع الله المؤمنين يوم القيامة.....	١٥١.....	١٠	يا معشر يهود أسلموا تسلموا.....
٤٨٧.....	٧	يجمع الله الناس يوم القيامة.....	٣٥٨.....	٩	يا معشر يهود، أسلموا تسلموا.....
٤٩٤.....	١٠	يجمع المؤمنون يوم القيامة.....	٢١٩.....	٢	يا مغيرة، خذ الإداوة.....
٥٤٦.....	٩	يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة.....	٢١٤.....	٩	يا مقداد قتل رجل قال: لا إله إلا الله؟.....
٤١٠.....	١٠	يجلس المؤمنون يوم القيامة حتى يهيموا.....	٤٩٥.....	١٠	يا موسى قد والله استحييت.....
١٦٧.....	٦	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.....			يا نبي الله أو عليك أغار؟... (من قول
٢١٦، ١٩٢.....	٦	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.....	٤٤٧.....	٦	عمر).....
٢١٣.....	٦	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.....	١٧٦.....	١٠	يأبى الله والمؤمنون إلا.....
٥٩.....	٩	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.....	٣٠٤.....	١	يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر.....
٤٦٣.....	٦	يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة.....	٧٢٤.....	٧	يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر.....
٥٤٣.....	٩	يحسر الفرات عن جبل من ذهب.....	٩٧.....	٣	يأبى الله ورسوله، والمؤمنون إلا أبا بكر.....
٥٣٩.....	٩	يحسر عن جبل من ذهب.....			يأتي الدجال -وهو محرم عليه أن يدخل
٤٦٦.....	١٠	يحشر الله العباد.....	٦٦٧.....	٥	
٤٦٦.....	١٠	يحشر الله الناس يوم القيامة.....			يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل تقاب
٤٣٣.....	٧	يحشر الناس على ثلاث طرائق.....	٥٥٤.....	٩	المدينة.....
٤٣٢.....	٧	يحشر الناس يوم القيامة.....	٣٩٢.....	٧	يأتي على الناس زمان خير مال.....
٤٢١.....	٧	يحشرون حفاة عراة.....	١٢٤.....	٦	يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان.....

الصفحة	الجزء	طرف الحديث	الصفحة	الجزء	طرف الحديث
٢٩٦	٥	يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة	٢٩٦	٥	يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة
٣٠٨	٥	يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة	٣٠٨	٥	يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة
٣٣٦	٩	يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم	٣٣٦	٩	يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم
١٢٦	٦	يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم	١٢٦	٦	يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم
١١٤	٩	يخرج قوم من النار بشفاعته محمد ﷺ	١١٤	٩	يخرج قوم من النار بشفاعته محمد ﷺ
٤٩٤	٧	يخرج قوم من النار بشفاعته محمد	٤٩٤	٧	يخرج قوم من النار بشفاعته محمد
٤٨٥	٧	يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفيع	٤٨٥	٧	يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفيع
٥٢٧	٩	يخرج قوم هلكي لا يفلحون	٥٢٧	٩	يخرج قوم هلكي لا يفلحون
٤٨٢	٧	يخرج من النار بالشفاعة	٤٨٢	٧	يخرج من النار بالشفاعة
١٣٠	١	يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله	١٣٠	١	يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله
		يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز			يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز
٣٣٧	٩	ترافقهم	٣٣٧	٩	ترافقهم
٥٦٨	١٠	يخرج ناس من قبل المشرق	٥٦٨	١٠	يخرج ناس من قبل المشرق
٤٥٧	٧	يخلص المؤمنون من النار	٤٥٧	٧	يخلص المؤمنون من النار
١٣١	٤	يخوف الله بها عباده	١٣١	٤	يخوف الله بها عباده
١٣١	٤	يخوف الله عباده بالكسوف	١٣١	٤	يخوف الله عباده بالكسوف
		اليدين العليا خير من اليدين السفلى وأبدأ بيمين			اليدين العليا خير من اليدين السفلى وأبدأ بيمين
٢٦	٥	تعمل	٢٦	٥	تعمل
٢٧	٥	اليدين العليا خير من اليدين السفلى	٢٧	٥	اليدين العليا خير من اليدين السفلى
٣٥٧	١٠	يد الله ملائ لا يغنيها نفقة، سحاء الليل والنهار	٣٥٧	١٠	يد الله ملائ لا يغنيها نفقة، سحاء الليل والنهار
٤٨٤	٧	يدخل الجنة من أمتي زمرة	٤٨٤	٧	يدخل الجنة من أمتي زمرة
٣٥٥	٧	يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً	٣٥٥	٧	يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً
٢١٣	٩	يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار	٢١٣	٩	يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
		يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار			يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار
٧٩	١		٧٩	١	
٤٦٥	٧	يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً	٤٦٥	٧	يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً
٤٦٧	٧	يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً	٤٦٧	٧	يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً
٣٧٤	٤	يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب	٣٧٤	٤	يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب
٤٧٦	١٠	يدع شهوته، وأكله، وشربه	٤٧٦	١٠	يدع شهوته، وأكله، وشربه
٤٩١	١٠	يدنو أحدكم من ربه	٤٩١	١٠	يدنو أحدكم من ربه
٣٠٩	٧	يذهب الصالحون الأول	٣٠٩	٧	يذهب الصالحون الأول
٣٩٩	١٠	يربها لصاحبه كما يربي أحدكم فله	٣٩٩	١٠	يربها لصاحبه كما يربي أحدكم فله
٢٩	٦	يرحم الله فلاناً لقد أذكرني آية كنت	٢٩	٦	يرحم الله فلاناً لقد أذكرني آية كنت
١٩٢	٧	يرحم الله موسى لقد أودني	١٩٢	٧	يرحم الله موسى لقد أودني
١٠١، ٩٨	٦	يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا	١٠١، ٩٨	٦	يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا
٩٨	٦	يرحمه الله لقد أذكرني	٩٨	٦	يرحمه الله لقد أذكرني
		يرد على الحوض رجال من أصحابي			يرد على الحوض رجال من أصحابي
٥١٤	٧	فيحلتون	٥١٤	٧	فيحلتون
٥١٤	٧	يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي	٥١٤	٧	يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي
٤٥٠	٦	يريني ما أراها	٤٥٠	٦	يريني ما أراها
٧١	٦	يريد أن يوصي فيه	٧١	٦	يريد أن يوصي فيه
٢٠٣	٢	يزره ولو بشوكة	٢٠٣	٢	يزره ولو بشوكة
١٩٦	٧	يستجاب لأحدكم ما لم يعجل	١٩٦	٧	يستجاب لأحدكم ما لم يعجل
١٣٩	٧	يستجاب لنا فيهم	١٣٩	٧	يستجاب لنا فيهم
٦١٤	٩	يسرا ولا تعسرا	٦١٤	٩	يسرا ولا تعسرا
٢١٠	١	يسروا ولا تعسروا	٢١٠	١	يسروا ولا تعسروا
٤٥٢	١٠	يسروا ولا تعسروا	٤٥٢	١٠	يسروا ولا تعسروا
٣٣٠	٤	يسروا ولا تعسروا	٣٣٠	٤	يسروا ولا تعسروا
١٠١	٣	يسروا ولا تعسروا، وبشروا	١٠١	٣	يسروا ولا تعسروا، وبشروا
٦٦٥	٧	يسلم الراكب على الماشي	٦٦٥	٧	يسلم الراكب على الماشي
٦٦٦	٧	يسلم الراكب على الماشي	٦٦٦	٧	يسلم الراكب على الماشي
٦٦٦	٧	يسلم الصغير على الكبير	٦٦٦	٧	يسلم الصغير على الكبير
١٣٧	٥	يسم إيل الصدقة	١٣٧	٥	يسم إيل الصدقة
١٩٨	٧	يشير بأصبعه هكذا	١٩٨	٧	يشير بأصبعه هكذا
		يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من			يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من
٤٢٤	٧	قام	٤٢٤	٧	قام
٣٩٦	١٠	يصعقون يوم القيامة فإذا أنا بموسى	٣٩٦	١٠	يصعقون يوم القيامة فإذا أنا بموسى
١٥٣	٣	يصلون لكم فإن أصابوا فلكم	١٥٣	٣	يصلون لكم فإن أصابوا فلكم
١٥٣	٣	يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم	١٥٣	٣	يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم
		يصلّي الركعتين قبل صلاة الغداة، وكان			يصلّي الركعتين قبل صلاة الغداة، وكان
٥٢	٤	الأذان بأذنيه	٥٢	٤	الأذان بأذنيه
٢٦٩	١٠	يضع رب العزة فيها رجله	٢٦٩	١٠	يضع رب العزة فيها رجله
١١٠	٥	يطهرها الماء والقرظ	١١٠	٥	يطهرها الماء والقرظ
١٩٧	٧	يطيل السفر أشعث أغبر	١٩٧	٧	يطيل السفر أشعث أغبر
٦٣٩	٣	يعتزل الحيف المصلى	٦٣٩	٣	يعتزل الحيف المصلى
٥١٩	٤	يعتزل الحيف المصلى	٥١٩	٤	يعتزل الحيف المصلى
٤٥٣	٤	يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه	٤٥٣	٤	يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه
٥٥٤	١	يعذبان وما يعذبان في كبير	٥٥٤	١	يعذبان وما يعذبان في كبير
٤٥٣	٧	يعرق الناس يوم القيامة	٤٥٣	٧	يعرق الناس يوم القيامة
٢٥٥	٩	يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل لا دية لك	٢٥٥	٩	يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل لا دية لك
٢٢٩	٤	يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم	٢٢٩	٤	يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم
٤٩٩	١	يعقد الشيطان	٤٩٩	١	يعقد الشيطان

الجزء	الصفحة	طرف الحديث	الجزء	الصفحة	طرف الحديث
٩	٦٦٥	يكون اثنا عشر أميراً	٤	٤٨	يعقد الشيطان
٤	٦٣١	يكون الرجل قيم خمسين امرأة	٥	٤٣	يعين ذا الحاجة الملهوف
١٠	٤٦٨	يكون العام كنزاً	٢	٤٣	يغسل ما مس المرأة منه، ثم يتوضأ
٩	٣٧٨	يكون كثر أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع	٩	٥٥٩	يفتح الردم ردم بأجوج وأجوج مثل هذه
٧	٤٢٨	يلبثون ما لبسهم، ثم تبعث الصائحة	٧	٤٧٤	يقال لأهل الجنة: خلود لا موت
١٠	٢٦٥	يلقى في النار	١٠	١٩٨	يقال لهم: أحيوا ما خلقتم
٩	٣٣٦	يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية	١	٢٤٣	يقبض العلم ويظهر الجهل
٦	١٢٤	يمرقون من الإسلام	١٠	٢٤٨	يقبض الله الأرض يوم القيامة وطوي السماء يمينه
٣	٤٦٨	يمس من طيب بيته	١٠	٣٥٩	يقبض الله الأرض
٩	٤٥٢	يموت عبد الله وهو أخذ بالعروة الوثقى	٧	٤٢٩	يقبض الله الأرض
٩	٥١٠	ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه	٥	٥٧٣	يقتل المحرم
٧	٣٩٤	ينام الرجل النومة فتقبض	٩	٥٤٣	يقتل عند كتركم ثلاثة كلهم ابن خليفة
٩	٩٣	يرجع منه نور الإيثار في الزنا... (من قول ابن عباس)	٤	١٧٠	يقرأ السورة التي فيها السجدة، فيسجد
١٠	٤٦٨	يتزل الأمر إلى السماء	٢	٤٠١٢، ٢٥٩	يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب
٧	٣٦٢	يتزل ربنا إلى السماء الدنيا	٢	٤١٩	يقطع الصلاة المرأة
٧	٣٦٣	يتزل ربنا إلى السماء الدنيا	٧	٤٨٠	يقول الله تعالى لأهل النار عدائياً
١٠	٥٠٠	يتزل ربنا إلى السماء	٧	٢٩٧	يقول الله تعالى ما لعبدى المؤمن
٤	٢٣٣	يتزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء	١	٣٠	يقول الله تعالى من وصلك وصلته
١٠	٤٧٨	يتزل ربنا تبارك وتعالى	١٠	٣١٩	يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي
٩	٥٣١	ينصب لكل غافر لواء يوم القيامة	١٠	٤٦٩	يقول الله: يا آدم
٥	١٨٢	يهل أهل المدينة من ذي الحليفة	٥	٦٥٤	يقولون يثرب وهي طيبة
٩	٥٣٩	يوشك الغرات أن يحسر عن كثر من ذهب	٧	٤٥٢	يقوم أحلهم في رشحه
		يوشك أن تنزل عليكم حجارة... (من قول ابن عباس)	٧	٢٩٢	يكبر ابن آدم ويكبر
٦	٢٤٤	يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم	٥	٤٧٩	يكبر عند كل حصة
٩	٥١٢	يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم	٣	٣٠٠	يكبر في كل خفض ورفع
٩	٥١٢	يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم	٧	٣٢٩	يكثر اللعن
٣	٢٧	يوقظ النائم ويرجع القائم	٣	٥٥٠	يكفر السنة التي قبله والتي بعده
١٠	٦٦	اليوم الأول كسة	٦	٤١٥	يكفرون العشير، ويكفرون الإحسان
٥	٥٨٢	اليوم تستحل الكعبة... (من قول سعد)	٤	١٣٦	يكفرون العشير، ويكفرون الإحسان
			٢	١٧٦	يكفيك الوجه والكفان

مَشْنَعُ
صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ

الْفَهْرَسْتُ



الفهرست

الموضوع

رقم الصفحة

- كتاب التمني ٣
- باب ما يكره من التمني ٥
- قول الرجل لولا الله ما اهتدينا ٧
- كراهية التمني لقاء العدو ٩
- ما يجوز من اللو ٩
- كتاب أخبار الأحاد ٢١
- ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام ٢٣
- بعث النبي ﷺ الزبير طلعة وحده ٤٢
- باب قول الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ٤٢
- ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحد بعد واحد ٤٣
- وصاة النبي ﷺ وفود العرب يبلغوا من وراءهم ٤٤
- خبر المرأة الواحدة ٤٦
- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٤٩
- قول النبي ﷺ: بعثت بجوامع الكلم ٥٤
- الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ٥٥
- ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ٦٥
- الاقتداء بأفعال النبي ﷺ ٨٣
- ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع ٨٧
- إثم من آوى محدثًا ٩٧

- ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ٩٧
- ما كان النبي ﷺ يسأل عما لم ينزل عليه الوحي ١٠٠
- تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء ١٠٢
- قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي...» ١٠٤
- قول الله تعالى: «أُولَئِكَ سَمِعُوا» ١٠٥
- من شبه أصلاً معلوماً بأصل مبين ١٠٧
- ما جاء في اجتهاد القضاء بما أنزل الله تعالى ١٠٩
- قول النبي ﷺ لتبعن سنن ما كان قبلكم ١٠٣
- إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة ١١٤
- ما ذكر النبي ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ١١٦
- قول الله تعالى: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» ١٤٤
- قوله تعالى: «وَكَاذِبًا كَانَتْ» ١٤٦
- قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» ١٥٢
- إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول ١٥٥
- أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ١٥٩
- الحجة على من قال إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة ١٦٣
- من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة لا من غير الرسول ١٦٨
- الأحكام التي تعرف بالدلائل وكيف معنى الدلالة وتفسيرها ١٧٠
- قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ١٧٧
- كراهية الخلاف ١٨٠
- نهى النبي ﷺ عن التحريم إلا ما تعرف بإباحته ١٨٤
- قول الله تعالى: «وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ» و «وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ» ١٨٨
- كتاب التوحيد ١٩٥
- ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٢٠٢
- قول الله تبارك وتعالى: «قُلْ أَدْعُو اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ» ٢١٣
- قول الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ» ٢٢٧
- قول الله تعالى: «عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا» ٢٣١
- قول الله تعالى: «السَّكَنُ الْمُؤْمِنُ» ٢٤٠
- قول الله تعالى: «مَلِكِ النَّاسِ» ٢٤٧

- قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ ٢٥٧
- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ٢٧١
- قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٢٨٠
- قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾ ٢٨٩
- مقلب القلوب وقول الله تعالى ﴿وَنَقَلُبُ أَفْعَدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ ٢٩٦
- إن لله مائة اسم إلا واحدا ٢٩٨
- السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ٢٩٩
- ما يذكر في الذات والنعوت وأسماء الله ٣١١
- قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ٣١٦
- قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ٣٢٧
- قول الله تعالى: ﴿وَلْيُصْنَعْ عَلَى عَنَقِي﴾ ٣٢٩
- قول الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ ٣٣٤
- قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ٣٤٤
- قول النبي ﷺ: لا شخص أغير من الله ٣٦٢
- ﴿قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهْنَةً﴾ ٣٧٠
- ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ٣٧٤
- قول الله تعالى: ﴿تَمُوجُ الْمَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ٣٩٦
- قول الله تعالى: ﴿وَبُيُوتُهُمْ نَارُهَا نَاطِرَةٌ﴾ ٤٠٢
- ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٤٢١
- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ ٤٢٢
- ما جاء في تخليق السموات والأرض وغيرها من الخلائق ٤٢٣
- باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْفَرَسَيْنِ﴾ ٤٢٧
- قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٤٣٥
- قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ٤٣٨
- في المشيئة والإرادة ٤٤٢
- قول الله تعالى: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ ٤٦٣
- كلام الرب مع جبريل ونداء الله للملائكة ٤٧٠

- قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكِ كُتُبَهُمْ وَأَنْزَلَ بِهِ الْوَحْيَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ٤٧٣
- قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ ٤٧٥
- كلام الرب ﷺ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٤٨٨
- ما جاء في قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ٤٩١
- كلام الرب مع أهل الجنة ٥٠٢
- ذكر الله بالأمر وذكر العباد بالدعاء والتضرع والرسالة والبلاغ ٥٠٣
- قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ ٥٠٧
- قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَشْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَعَكُمْ وَلَا أَبْصَرَكُمْ وَلَا جُلُودَكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٥١٥
- قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ٥١٧
- قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ ٥٢١
- قوله الله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٥٢٤
- قول النبي ﷺ: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به ٥٢٨
- قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ نَبِّئْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ٥٣٠
- قول الله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ ٥٣٥
- وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً وقال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ٥٣٨
- قول الله تعالى: ﴿إِنَّا إِنْسَنٌ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ ٥٣٩
- ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه ٥٤٠
- ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها ٥٤٢
- قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع الكرام البررة ٥٤٥
- قول الله تعالى: ﴿فَأَقْرَأُوا مَا يَسْرَرْتُمْ﴾ ٥٤٩
- قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ ٥٥٠
- قول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ۝٦٦ فِي تَوْحِجٍ مَحْفُوظٍ﴾ ﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ وَكُنْتَ مَسْطُورٍ ٥٥٢
- قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ٥٥٩
- قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم ٥٦٦
- قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ ٥٧٠
- ٥٧٣
- فهرس الاطراف ٦٨٥
- الفهرس ٦٨٥